

د. فخرى لبيب

الشيوعيون

وعبد الناصر

التحالف والمواجهة

[ ١٩٥٨ - ١٩٦٥ ]

الجزء الأول



## التكود لقاءات شخصية

---

□ عدلى جرجس  
 □ فاروق اسماعيل  
 □ فاروق ثابت  
 □ فاطمة زى  
 □ فخري لبيب  
 □ فريد رمزي  
 □ فكري قورة  
 □ فوزى حبشى  
 □ فوزى عطية  
 □ فؤاد مرسى  
 □ فؤاد مصطفى  
 □ لطفى الخولى  
 □ لمى يوسف  
 □ ليل الشال  
 □ مبارك عبد فضل  
 □ محمد الجندي  
 □ محمد سعد  
 □ محمود العالم  
 □ محمود شندى  
 □ محمود عبد الخالق  
 □ مصطفى الهجرسى  
 □ منجد توفيق  
 □ نبيل زكى  
 □ نبيل صبحى  
 □ نجاة عبد المجيد  
 □ نسيم يوسف

□ إبراهيم مرسى  
 □ اسماعيل صبرى  
 □ اسماعيل عبد الحكيم  
 □ إكرام محارب  
 □ الين السنلى  
 □ انتصار خطاب  
 □ إنجي أفلاطون  
 □ أنور نعمان  
 □ ايغون حبشى  
 □ ثريا سعيد أدهم  
 □ ثريا شاكر  
 □ جمال الشرقاوى  
 □ حسين طلعت  
 □ حلمى ياسين  
 □ خيري عزيز  
 □ داود عزيز  
 □ ستوة الشرقاوى  
 □ سعد رضى  
 □ سيد اسحق  
 □ شفيق اسماعيل  
 □ شكرى هازر  
 □ صابر زايد  
 □ صلاح خطاب  
 □ عبد الرازق حسن  
 □ عبد القادر ياسين  
 □ عبد المحسن شاه

# الشيوعيون وعبد الناصر

( التحالف والمواجهة )

١٩٥٨ - ١٩٦٥

الجزء الأول





# إهداء

\* إلى كل مصري

- آمن بوطنه وبحقوق هذا الوطن عليه

- اهتلك أرادته فاختر طريقه

- تحمل كل المذاباة في سبيل ما اختار

\* إلى كل أب وأم ، شقيق وشقيقة ، ابن وابنة ، زوجة وخطيبة  
وقف أو وقفت إلى جوار من اختار يتحمل أو تتحمل معه آلامه

\* إلى أبي وأمي وأخوتي







# مقدمة

هذا الكتاب ليس تاريخاً لمرحلة ، لكنه في الأساس وجهة نظر في تاريخ تلك المرحلة . وهي مرحلة ، في تقديري ، كانت حاسمة في تقرير مصير كثير من الأحداث الهامة والعاصفة اللاحقة ، حتى أنها لم تترك على المستقبل مجرد بصمات عابرة ، لكنها تركت خدوشاً عميقة غائرة .

ان كتابة تاريخ هذه المرحلة يحتاج الى تناولها من زوايا عدة ، تقوم في الأساس على دراسة الوثائق الحقيقية التي تعبر عن مختلف جوانبها ، ان وجدت تلك الوثائق ، كذلك على شهادة الامناء منه الشهود ، فأكثر الحقيقة دار خلف الكواليس او بعيداً عن السمع والوثيق .

ان التجربة المصرية عامة تجربة دسمة وسمينة وتحتاج الى دراسات كثيرة ووجهات نظر عديدة ، تطرح ما جرى فيها من أحداث تحت مجهر البحث والتقييم . تحتاج الى تشخيص مسؤل يحدد ما لها وما عليها . ويمكن لهذه الدراسات أن تشكل في مجملها مواقع الطبقات الاجتماعية المختلفة مما حدث . ان هذا التناول ، لا بد وأن يعود على مجرى الثورة المصرية بالقائدة حيث يتحدد من خلال ذلك ، وعلى لسان أصحاب المصلحة أنفسهم موقفهم الاجتماعي الصريح مما ينبغي أن تكون عليه مجريات الأمور المستقبلية . اذ أن الماضي والحاضر والمستقبل كل متصل ، فالحكم على الماضي موقف من الحاضر ونظرة للمستقبل .

ان أهمية التجربة المصرية للعالم الثالث ، أنها تجربة تتمتع بكثير من التكامل . فالتبقات في مصر لها تمايزها . والصراع الطبقي والاجتماعي فيها ليس صراعاً هلامياً غير محدد المعالم . انه صراع قديم نسبياً اذا قورن ببلدان العالم الثالث ، مما يمنحه درجات من التوضيح لم تتح لغيره في هذه البلدان . ان الطبقات الاجتماعية في مصر قد خاضت نضالات وطنية وطبقية في ظل أوضاع متغيرة ومتميزة ، مما جعل هذه الطبقات تتوارث خبرات هامة في كيفية استخدام اسلحتها وقدراتها النضالية . ان الطبقة الاجتماعية لا تتخلى عن مصالحها أبداً . وبما هائن ممثلوها أو تراخوا في التنازع عنها أو فرطوا في التناقص من حقوقها أو زبها تخلى البعض منهم عن التمسك اليها . الا أن الطبقة سرعان ما تقرر من قلب الحشائش ممثلين حقيقيين لها مدافعين عن مصالحها . وبذا فإن مصالح الطبقة متصلة حتى وإن تغير المعبرون عنها أفراداً أو جماعات .



ان معرفة الواقع الاجتماعى فى حركته والاعتراف به كحقيقة موضوعية ، والتصرف على ضوئه واساسه ، هو السبيل الوحيد الصحيح لمن يتصدى للمسئولية والقيادة . . اما تجاهل هذا الواقع والقفز عليه وعلى قوانينه ومحاولة فرض قواعد وقوانين أخرى قائمة على تقدير ذاتى أو نزعات فردية ، فإنه مهما حسنت النية وخلصت الطوية لابد وأن يقود الى نتيجة حتمية هى الصدام مع الحقيقة الموضوعية ، التى هى قائمة ، شاء هذا أو ذاك أو لم يشأ . انها موجودة تفعل فعلها وتسأى نتائجها ، ولا يمكن نفيها بتجاهلها . والقائد الناجح هو الذى يدرك هذه القوانين ويتعامل معها ، يطوعها ويطور دورها لما فيه خدمة الوطن وتقديره .

ان الصراع الطبقي حقيقة موضوعية ، لا يمكن اعطاء الظاهر لها . وهو ليس كما يزعم للبعض صراعا دمويا بالضرورة ، ان هذا الصراع ان فتحت امامه السبل الصحيحة ، فهو صراع صحى ، يأخذ مجراه الطبيعى ويصل الى نتائج طبيعىة ، وهو أن يكون الوطن لكل الوطنيين ، وأن تكون القيادة والريادة فيه انتقاء طبيعىا للاجدر والأقدر على فهم قضايا وطرح الحلول التى تحقق مصالح الغالبية فيه . اما ان انفردت به فئة من طبقة أو طبقة بذاتها لا تمثل فى المجتمع غير اقلية محدودة ، وحاولت الوقوف بحركة المجتمع عند حدود مصالحها هى ، مصالحها الضيقة الانانية ، فإنها لابد مصطحمة بالواقع الفاعل الذى لا يمكن إيقافه . مما يعنى ويستلزم فرض العنف من جانبها ، فى محاولة لا جدوى فيها لتعويق مثل تلك القوانين ، مما يدفع بالمجتمع كله الى العنف . ان الصراع الطبقي لا يستلزم العنف بالضرورة ، لكن للتصدى له ومحاولة وقفه ، أو تعويقه أو واده ، انما هو الذى يدفع بالعنف والعنف المضاد الى المجتمع ، ويفرض على الصراع الطبقي صفة مفروضة عليه

ان الدرب الطبيعى للصراع الطبقي والاجتماعى ، هو الحزب الذى يتوفر فيه للمجتمع وكل قواه الطبقيية المختلفة حقوق فعلية متساوية للتعبير والتنظيم . والحق للفعل يعنى ضمانات حقيقية للممارسة . بمعنى أن لا يكون حق التعبير مثلا ، مجرد عملية افراغ أو تنفيس يحوطها التلاعب والاحتياىل حتى تنتهى الى لا شئ غير تكريس الوضع القائم . اى ان تكون هذه الحقوق جزءا لا يتجزأ من البنيان الاجتماعى والسياسى ، وليست مجرد ديكور أو غطاء مطلق على الجدران . ان المنافذ الحقيقية للصراع الطبقي والاجتماعى تتمثل فى حريات حقيقية لكل القوى الوطنية والطبقات الاجتماعية . اما سد هذه المنافذ فلا يعنى شيئا غير الضغط



المخالف لطبائع الاشياء ، مما يولد الانفجار ، وحينئذ لا تكون المسؤولية ، مسؤولية الصراع الطبقي والاجتماعي ذاته ، ولا مسؤولية القوى التي انفجرت ، لكنها مسؤولية الذي تصدى لغلاق هذه المنافذ لاتهمه غير اللحظة الآنية التي ينفرد فيها بالسلطة والارادة ، وتحقيق مصالح ضيقة ومحدودة على حساب باقى القوى والطبقات الاجتماعية ، في مجتمع متعدد الطبقات ، فأت المصالح المتباينة ، أو التي توجد بينها مساحات وهوامش من الاتفاق أو الاختلاف .

ان الإدراك الواعي بمنافذ الصراع الطبقي والاجتماعي ينعكس واقعيا في الاقرار بالحقوق المتساوية في التعبير ، حتى يمكن لكل أصحاب مصلحة أن يطرحوا برنامجهم على مجموع الشعب ، نصا وشرحا وتفسيرا ودعوة لتبنيه والالتفاف حوله . هذا البرنامج هو المعبر عن مصالح هذه الفئة أو تلك ، وهو يتضمن في ذات الوقت وجهة نظرها في تغيير الأوضاع المحيطة ان تقدما أو ارتدادا أو محافظة على ما هو قائم . ومجموع الشعب صاحب المصلحة الحقيقية هو صاحب الكلمة في المفاضلة والاختيار ، بين ما هو مطروح عليه ، تحقيقا لمصلحة غالبية الساحة . ان حرية التعبير تستلزم بالضرورة حرية الاختيار . والاختيار هنا ليس امرا عشوائيا ، انما هو اختيار قائم على تنوع التعبير ، أى انه اختيار ارادى ، اختيار واع بالمصلحة . ان حرية التعبير هي المقدمة الضرورية لحرية الاختيار التي تعنى ممارسة الارادة .

وتأتى حرية التنظيم لتحول تلك الاختيارات والارادات الواعية ، الى اختيارات وارادات منظمة . ويتمثل ذلك في الاحزاب التي تشكل اطارا واحدا لمجموع الارادات المتماثلة . والارادة الفردية تظل غير مؤثرة كما يجب ، دون اطار منظم يحيلها الى فعل وحركة . وبذا يصبح الحزب السياسى هو الشكل الراقى للتعبير عن المصلحة الطبقية ، حيث تتجمع فيه وتتجسد الارادات التي كانت متناثرة والتي تحققت نتيجة الاختيار الواعى ، الذى يعكس بالضرورة انتماء اجتماعيا أو انحيازا طبقيا . ويصبح كل حزب سياسى هو اداة الطبقة أو الفئة من طبقة ، المعبر عنها والمدافع عن مصالحها ، والساعى الى أحداث التغيير الاجتماعى في اتجاه أهدافها .

ان الانسان بطبيعته كائن منتم . والانتماء يعنى الاختيار الارادى الواعى بالمصلحة والهدف . فان قامت محاولات تستهدف ضرب الاختيار الارادى الواعى فانها في واقع الامر محاولات تصيب الانتماء في صميمه . الانتماء هنا في الاساس انتماء الى الوطن في مجمله ، الا أنه ليس انتماء



مجردا او مطلقا ، انه ائتماء للوطن من خلال الانتماء الى واحدة من مكوناته ، طبقاته وفئاته وشرائحه . وتأتى الاحزاب لتعكس هذا التنوع فى الانتماء الطبقي فى اطار الانتماء الوطنى العام . ومن هنا تتنوع برامج الاحزاب تعكس وجهة نظر تلك الطبقة او الفئة او الشريحة . تعكس رؤيتها لمستقبل الوطن . وهى على الدوام تعكس هذه الرؤية فى اطار مصالحها هى . فكل طبقة ترى ان المستقبل الافضل للوطن هو المستقبل المرغوب بتحقيق مصالحها هى ، اى تحقيق مستقبل افضل لها . ولما كانت هذه الطبقات غير متطابقة او متماثلة المصالح والاهداف ، فان رؤاها لمصير الوطن غير متطابقة او متماثلة . برؤية مالك الأرض الكبير ، غير رؤية الرأسمالى ، غير رؤية العمال والفلاح ، وان كان الجميع مصريين .

ان كبار الملاك مثلا ، يقوم وجودهم وكيانهم الاجتماعى على استغلال ملايين الفلاحين . وبذا فانهم يضعون انفسهم فى موقف العداء من الغالبية الساحقة لبنى جلدتهم . وهم لا يستطيعون الاستمرار فى تحقيق مصالحهم دون وجود قوة تسندهم وتدعمهم وتحصينهم . ثم انهم ، فى ذات الوقت ، - كما كان الحال فى مصر وقت الاحتلال - يقومون بتصدير منتجهم الرئيسى الى السوق الخارجى تحقيقا للربح الاعظم والاكبر . وبذا تكون علاقتهم عدائية لغالبية الشعب الذى ينتهون له ، وعلاقة منفعة ومصلحة بالاجنبى الذى يتعامل معهم . ولذلك تنعكس هذه النظرة المصلحية ، ان ساد كبار الملاك او اشباه الاقطاعيين المجتمع ، اى كانت لهم السلطة والارادة عليه . اذ تعبر هذه الرؤية عن نفسها فى اختيار الاجنبى سندا لهم فى مواجهة وطنهم وببنى جلدتهم . ومن هنا فانهم ، اختاروا ، ومن واقع مصالحهم وكيفية تحقيقها ، قد فقدوا ائتماءهم الوطنى بسبب انتمائهم الطبقي .

وتأتى الرأسماليون منوأة كائنا تجاريا او صناعيا او مصرفيا لتتعارض مصالحهم مع كبار الملاك الذى بسيادتهم على المجتمع والسلطة يفرضون القوانين التى تخدمهم هم فى الاساس ، وتحدد من دور الطبقات الأخرى من زاوية الفعل السياسى المؤثر فى صنع القانون والقرار ومن زاوية المصلحة الاقتصادية مما يحجم نمو الرأسماليين ويحاول وضعهم فى الاطنار الذى يخضع للقوى السائدة . فان اضعف الوجود والنفوذ الاستعماري الى تلك السلطة ، اصبح الرأسماليون محاصرين . وغدت قضية السوق المحلى الذى يعتبرونه سوقهم الخاص محل صدام بينهم وبين تلك القوى المحلية والاجنبية الوافدة ، والتى لا تراهم فقط فى هذا السوق بل وتسعى الى طردهم منه . ومن هنا لا تصبح قضية نمو الرأسماليين وتطورهم هى القضية المطروحة امامهم ،



بل تصبح القضية المطروحة هي قضية وجودهم أصلاً . ويقود ذلك الى الصدام بين تلك القوى الرأسمالية المحلية الوطنية من ناحية والقوى التي تقف في مواجهتها ، قوى الاستعمار وشبهه الاقطاع من ناحية أخرى . الا أن القوى الرأسمالية في حدود ذاتها لا تستطيع الاقدام على تلك المواجهة بمفردها ، ومن هنا فهي تستعين بقوى الشعب العريضة ، قوى العمال والفلاحين ، تحت شعارات ضخمة عن الكرامة والوطنية وطرد الأجنبي الدخيل . وتأتى الثورة البورجوازية الوطنية الساعية الى تحرير السوق المحلى باسم تحرير الوطن . تحرير السوق لحسابها لا لحساب الملايين التى تستعين بها . وتنفجر في مصر أولى حلقاتها ممثلة في الثورة العربية التى اصابتها الهزيمة على يد الغزو العسكرى الاستعماري المساند لسلطة الخديوى . ثم تأتى الحلقة الثانية ممثلة في ثورة ١٩١٩ ، والتى لم تتمكن من تحقيق اهدافها . ويعمد الاستعمار الى ضرب تلك الطبقة الرأسمالية الوطنية من داخلها ، فيقدم صيغة المشاركة لفئاتها العليا والاقرب الى مهادنته والتعامل معه . وتنضم اجزاء من تلك الفئة الى جبهة اعداء الشعب والثورة الوطنية . ويحكم مصر ذلك الثالوث البغيض في تاريخها ، الاستعمار وشبهه الاقطاع والرأسمالية المرتبطة بالاستعمار . ويتداخل الصراع الطبقي والوطني ، وتستمر الثورة البورجوازية الوطنية تحاول تحقيق اهدافها . ويأتى عام ١٩٥٢ لتكون الحلقة الثالثة في تلك الثورة . وتنجح البورجوازية الوطنية في هذه الجولة في الوصول الى السلطة نتيجة اوضاع عالمية وعربية مواتية ، وظروف محلية خاضت فيها كل قوى الشعب الوطنية من عمال وفلاحين ومثقفين ثوريين وصغار منتجين ورأسمالية وطنية ، صراعات متصلة في المصنع والحقل ، في المدرسة والكلية ، في الشارع وعلى ضفاف القنال . صراعات تمثلت في صدامات دامية في كل مكان بين قوى الثورة والحلف المعادى للثورة والمعوق لتقدمها . صراعات تصل الى حد الكناح المسلح وحرب العصابات في مواجهة قوات الاحتلال . وتنفرد الرأسمالية الوطنية بعد النصر بالسلطة . وتحاول تطبيق رؤيتها في مصير الوطن ومستقبله ، باعتباره مصير الرأسمالية الوطنية ومصالحها ومستقبلها . ان رؤيتها لمصر تنحصر في حدود الرأسمالية الوطنية . وتحقق خلال سلطتها خطوات هامة في مواجهة الوجود الاستعماري العسكرى والسياسى والاقتصادى . اى تحقق خطوات هامة في مجال السيادة الوطنية والعمل على تحقيق الاستقلال الاقتصادي وبناء صناعة وطنية وحصول العمال والفلاحين على مكاسب وحقوق في مجال العمل والمجال الاجتماعى . كما تحققت ايضا خطوات هامة في مجال المساهمة الايجابية في دعم حركة التحرير العربية كمنطلق للوحدة العربية المتحررة والقومية العربية المتحررة . كما تحققت مساهمات هامة في حركة



التحرير العالمية وتجميع دول العالم الثالث في مواجهة الاستعمار والاحلاف والقواعد العسكرية تحت شعار عدم الانحياز .

كل ذلك كان يحقق اهدافا هامة لحركة الثورة الوطنية المصرية في مجراها العام . وكان ايضا تحقيقا لاهداف التفت حولها القوى الوطنية قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وبعدها . اى انها كانت نقاط التقاء ومساحات برنامجية مشتركة لكل القوى الوطنية التي مهدت وساهمت ولعبت دورا هاما وجوهريا في انجاح هذه الحلقة من الثورة الوطنية .

الا ان الرأسمالية الوطنية التي جاءت الى السلطة ، ومثلها تنظيم الضباط الاحرار او الحزب العسكرى ، قد سعت الى الانفراد بالسلطة دون غيرها من الطبقات الوطنية . وكان ذلك يعنى انها سوف تجعل تحقيق اهداف الثورة المصرية محاصرا ومحدودا بحدود رؤيتها ، اى حدود اهدافها هي ومصالحها هي . ولم يكن في وسعها ان تفرض هذه الحدود على غيرها من القوى الوطنية الاخرى الا بالقهر والقييد . وبدأت بالعمل تقتحم مصانعهم بالدبابات وتعدم وتسجن وتعتقل قاداتهم . وكان ذلك بمثابة اعلان منها عن موقفها من الطبقة العاملة والصراع الطبقي الحتمى الذى سيثور بينهما . فالبورجوازية الوطنية والتي امسكت بالسلطة لن تستخدمها اداة لتحقيق المصالح الحقيقية للعمال والفلاحين الذين كانوا وقود الثورة على مراحلها المختلفة ، بل انها تستخدمها اداة لتحقيق مصالحها هي ، تلك المصالح القائمة على استغلال الآخرين وعلى رأسهم العمال والفلاحين .

ان الرأسمالية الوطنية والتي جاءت الى السلطة نتيجة صراع طبقي ووطنى في مواجهة الاستعمار وشعبه الاقطاع والقطاعات الرأسمالية الكبيرة المرتبطة بالاستعمار ، والتي كانت خلال نضالها الوطنى تمارس هذا الصراع الطبقي وتزكية وتغذية في سبيل تحقيق غاياتها واهدافها ومصالحها ، قد أصبحت وهي منفردة بالسلطة أمام صراع طبقي يعبر عن مصالح الطبقات الوطنية التي مهدت وشاركت في هذه الثورة ، ثم حمتها ودعمتها بعد نجاحها ، دون ان تحصل على نصيبها وتحقق اهدافها . وكان هذا للصراع الطبقي يعنى بالنسبة لها الحد من انفرادها بالسلطة وبالتالي الحد من سيطرتها واستغلالها وجشعها للظفر بكل مكاسب الثورة والتي دفعت جموع الشعب ثمنها ، لذا عمدت في المجال العملى الى محاولة القمع العنيف لهذا الصراع ، وفي المجال الفكرى بدأت في تقديم نظريات فاسدة ومضللة عن عدم وجود الصراع الطبقي ودمويته ، وهي التي اسالت الدماء



من فوهات الرشاشات وعلى أعواد المشانق . وكان انكارها ورفضها الاعتراف بوجود الصراع الطبقي ، يعنى فى الواقع رفضا لمنح هذا الصراع مساراته الطبيعية ومنافذه ومسالكه التى يعبر من خلالها ، عن نفسه ، سلميا . الا أن هذا الانكار فى ذاته ما كان فى وسعه أن ينفى الحقيقة الموضوعية حقيقة وجود الصراع الطبقي ، والذي عبر عن نفسه ، نتيجة الضغط عليه ومحاولة كتمه فى صورة انفجارات حادة أو هبات عنيفة .

ان الرأسمالية الوطنية ترى انها هى الوطن . وان الانتماء اليها هو الانتماء الى الوطن . وبذا يجب الغاء وحض كل انتماء طبقي آخر . حيث يعنى ذلك - فى عرفها ورؤيتها - انتماء لغير الوطن ، أى انتماء غير وطني ، أى انتماء للأجنبي . وأصبح الهجوم عليها أو الاختلاف معها يعنى - فى رؤيتها - الهجوم على الوطن والاختلاف معه . انها تعمل جاهدة على تسويد مفهوم يقوم على تلخيص مصر كلها فى حدود مصالحها هى ، تلك المصالح الضيقة الانانية . ومعنى ذلك اخضاع مصالح كل الطبقات الأخرى لمصالحها . وهذا أمر مستحيل . الا انها حاولت أن تفرض هذا المستحيل قهرا وقسرا . وكان سبيلها الى ذلك هو حرمان القوى ، ما عداها ، من حقوقها وحرياتها السياسية ، وانفرادها هى بكل الحقوق والحرريات السياسية .

وما كان لذلك أن يتحقق الا بالعنف والارهاب والسجن والاعتقال والمطاردة فى الحياة العامة والارزاق والتكيل والتعذيب حتى القتل .

ان الرأسمالية الوطنية الحاكمة ، وهى تفعل كل ذلك ، لم تكن تهدم فقط ركنا أساسيا يجب أن تقوم عليه الثورة الوطنية الا وهو الديمقراطية ، انما كانت تعمل أيضا على سحق مكون أساسى يحكم حركة المجتمع وتطوره ، الا وهو حق الاختيار ، أى ممارسة الإرادة تعبيرا عن الانتماء الطبقي والاجتماعي . وبذا دفعت بالصدام فى الأساس كى يكون مصريا - مصريا ، بعد ان كان فى الأساس مصريا فى مواجهة الأجنبي ، الوضع الذى كانت قوانين المجتمع وحركته للامام ما زالت تحتّم استمراره خدمة للثورة واتصالها .

ان قوانين حركة المجتمع رغم انها شئ غير مرئى الا انها تتجسد فى ارادات الطبقات والفئات الاجتماعية ، ولحاولة ضرب هذه القوانين ، وجهت للضربات الى الإرادة التى تجسدها ، الإرادة القائمة على الاختيار الواعي . وكانت محاولات تمزيق تلك الإرادة بالالغاء للرسمى لحق الاختيار والانتماء والعامل على طحنه ، يعنى تمزيق أجيال حطمتها تلك المعركة وفرضت عليها



الاستسلام والسلبية واللامبالاة أو المحاراة والمجاراة والتقنية ، والبحث عن  
الحل الفردى مهما كانت وسيلته ، للانفلات من هذا المأزق - بعيدا عن  
الانتماء الطبقي والاجتماعى الجماعى ، مما اثر بالضرورة على الانتماء الوطنى  
العام . حقيقة لم تنجح البورجوازية الوطنية ، وما كان فى امكانها بكل  
وسائل قهرها وسطوتها ، ان تلغى مكونا اجتماعيا اساسيا ، الا وهو حق  
الاختيار ، وتحيله رصيذا لحسابها ، الا انها نجحت - مؤقتا - فى طمس  
هذا الحق ، الذى تلاه بالضرورة طمس الشعور بالانتماء الطبقي والوطنى  
طمس مؤقتا ايضا

الا ان كل ذلك لم ينجح فى وقف فعل وحركة قوانين الصراع الطبقي  
التي تحرك المجتمع . فالرأسمالية الوطنية نفسها طبقة غير متجانسة ،  
بمعنى أنها مكونة من شرائح وفئات تتفاوت درجة نموها . والشرائح  
أو للفئات الأكثر نموا ، أو التي قدمت لها الاوضاع السائدة ظروفا أكثر  
مواتاة ، تحاول ان تعكس هذه القوة الاقتصادية فى صورة نفوذ سياسى  
يفتح للباب أمام طموحاتها الجديدة . وهذا ايضا صراع طبقي . فحتى  
الصراع بين شرائح الطبقة الواحدة وفئاتها صراع طبقي . واذا كانت  
الطبقة فى مجموعها تحاول توجيه نيران حربها الى غيرها من الطبقات فى  
محاولة مستميتة لواد الصراع الطبقي فى مواجهتها ، فهي فى غمرة هذا  
التوجه ، تفعل صراعاتها الداخلية فعلا ، وتنتظر اللحظة المناسبة  
والمواتية لتؤتى اكلها وثمارها . ويأتى عام ١٩٧١ ليعبر عن انتصار شريحة  
من تلك الطبقة نمت وترعرعت فى ظل الظروف التي كانت سائدة حينذاك ،  
ويتجسد هذا الانتصار فى تحويل نفوذها الاقتصادي الى نفوذ سياسى  
وامساكها بمقاييد الامور فى البلاد .

ان محاولة كبت الصراع الطبقي فى مجراه العام والصحيح والصحي  
والسلمى أدى الى اخلال بالتوازنات الطبقيّة بحركة المجتمع ، وكأنت نتيجة  
تلك المحاولة ، اعطاء الفرصة لجانب من هذا الصراع ان ينمو ويجد فرصته .  
الا ان هذا الجزء الذى نما وأخذ فرصته كان الجزء الذى لا يرفض الديمقراطية  
والحريات السياسية الحقيقية فقط ، ولكنه بحكم نموه الطبقي ووضع  
الجديد يرفض ايضا الاجراءات التي نما فى ظلها ونهب وسلب وأثرى من  
خلالها حتى الامتلاء . فبعض تلك الاجراءات قد غدا بعد الوضع الجديد لهذه  
الشريحة ، قيда على نموها . لقد انطلق الطريق امام المسار الطبيعى ، والذى  
يجب ان يكون ، فانفتح امام المسار الذى ما كان يجب ان يكون . وببنفس  
الطريقة النأمرية التي اختطتها هذه الطبقة فى ممارساتها السياسية مع  
الغير ، تم الانقلاب عليها من داخلها وببنفس أسلوبها الثأمرى . وهكذا



لم تلد خطيئة العداء للحريات السياسية غير تلك الشريحة التي جاءت ومن قلب الطبقة ذاتها ، لتحاول محو كل شيء وهدم كل شيء .

جاءت هذه الشريحة لتتخذ من انعدام الديمقراطية خلال المرحلة السابقة ستارا ذخنتى وراءه وتثبت اركانها بالعزف على اوتاره ، حتى ان تمكنت واستقرت لها الامور ، اغرقت البلد في سلسلة من القوانين المعادية للحركة الجماهيرية ، تكاد تتجاوز خلال حقبة من الزمن محدودة ، كل ما صدر في تاريخ البلاد ، ربما منذ الاحتلال الاستعماري . كانت هذه الشريحة بوضعها الطبقي المتميز لا تنفصل فقط عن مجوع القوى الوطنية المضروبة ديمقراطيا خلال المرحلة السابقة ، بل هي تنفصل ايضا عن الرأسمالية الوطنية ذاتها والتي كانت يوما ما جزءا منها ، وغدت اليوم في مواجهتها . واصبحت تلك الفئات من الرأسمالية الوطنية ، والتي كانت حتى الامس القريب في السلطة ، جزءا من المعارضة الجديدة ، تنادى بالديمقراطية والحريات السياسية العامة ، التي رسخت هي يوم ان كانت في السلطة اشكال معاداتها ومنهج حرمان الشعب منها .

ولم يكن هذا التكبير للشعب بكل تلك القوانين المعادية له ، الا تحضيرا وتهيدا لما هو اخطر وافدح . كانت هي التهديد الضروري واللازم للاستسلام للعدو .

كانت هذه الشريحة المنتفخة اقتصاديا ترى طبقا لرؤيتها الطبقية ، ان تحقيق مصالح الوطن ، تعنى بالنسبة لها تحقيق مصالحها هي . فالوطن بالنسبة لها ينحسر عن كل القوى ما عداها . ويكون الطريق الى تحقيق مصالحها ، هو تسويد اسلوبها الذي اعتادته ومارسته . فتصبح الرشوة والاختلاس وكل اشكال الفساد هي النمط الجديد السائد والذي تروج له كل ابواق تلك الشريحة باعتباره النموذج الذي يجب ان يحتذى . ولما كانت هذه الشريحة محدودة للغاية وتتضارب مصالحها وتتعارض مع مصالح مجوع القوى الوطنية وجماهير الشعب الكادحة ، فانها تبحث عن أمنها وأمانها ، أي استمرار اسلوبها في تحقيق الثروة وبأسرع السبل على حساب الملايين ، وهي تجد هذا الامن والامان والسند والدعم في القوى الاجنبية المعادية للشعب . ومن هنا تتعارض وتتناقض مع كل للشعب وطنيا واقتصاديا وسياسيا وديمقراطيا ، وتصبح بسبب هذا الانتماء الطبقي في صف اعداء الشعب ، لا جزءا منه . ولذا تقفز الى تل اببيب ، الى العسكرو الصهيوني ومن ورائه الاستعمار الامريكي لتشكل ثالوثا جديدا ، لا بالنسبة لمصر وحدها ولكن بالنسبة للوطن العربي كله . وتستسلم له باعتبار ان هذا هو انتماؤها الطبيعي ، وهذا هو اختيارها الطبقي . وتغطي هذا



الاستسلام بكل المزاعم التضليلية عن السلم والسلام . وتعيد مصر الى حظيرة التبعية الاستعمارية ، وتفتح أرض الوطن للاستعمار ونفوذه العسكرى والاقتصادى والسياسى . وتصبح هى وكيلة عنه وشريكة صغرى تقوم بأعمال السمسرة وتلقى العىولات عن العمليات التى يتفق هذا الثلاثى المعادى على تنفيذها . وهى فى سبيل ذلك تحاول ضرب كل ما تحقق من انجازات فى مجال الاستقلال والسيادة الوطنية والاقتصادية والسياسية . كل ما كان معارضا للاستعمار . كل ما كان محققا لخطوات فى اتجاه الثورة المصرية والقومية العربية المتحررة . وتختل كل القيم والمعانى المتعارف عليها . فيصبح هؤلاء الذين اعادوا مصر الى التبعية ومكنوا للعدو الصهيونى هم للوطنىون ، والوطنىون الحقيقيون، عملاء وخونة . ويعطى هؤلاء السادة الجدد لانفسهم حق تكبير كل من لا ينهج نهجهم . ويهاجمون كل معارض لهم ولسياساتهم ومنهجهم باعتباره معارض للوطن والوطنية . ويدمغون كل من يهاجم زعيم هذه الشريحة وقائدها بالخيانة والتشكيك واشارة للبلبل والخروج على المصرية . ويصبح كل تاجر مخدرات ولص وقواد وتاجر عملة وسوق سوداء وسارق اقوات الفقراء بطلا قوميا ونموذجا يحتذى . ويغدو الفساد وساما يتباهى به صاحبه ، والشرف غفلة وبلاء ولعنسة تصيب صاحبها بالبؤس والفلاقة . واصبحت هذه الشريحة بما حققت من نهب وسلب تحميه سيادة قوانينها التى لا تنتهى ، تعيش اسعد ايامها وازهى عصورها . ولما كانت ، كما قلنا ، ترى ان مصلحة الوطن تنحصر فى تحقيق مصالحها هى ، فقد اصبح زعيمها يباهى ويفاخر بان مصر كلها تعيش اسعد ايامها وازهى عصورها . كانت الفترة السابقة على هذه الشريحة تصالح الصراع الطبقي ، ضمن مواجعتها له ، باتخاذ اجراءات اصلاحية ، تتنازل فيها عن جزء لنفوز بالبقية السائقة من الكل . اما تلك الشريحة فقد كانت تسعى الى الفوز بالكل دون جزئية تلقى بها الى الغير ، وفى اسرع وقت ممكن . كان شعارها العلى ، اسرق وانهب واهرب او هرب كل ما غنمت . وبذا اطلقت لاصراع الطبقي كل عوامل العنف والحدة . الثراء الفاحش الاستفزازى يتحدى الفقراء والبسطاء والشرفاء ويعجزهم ، ويخطف كل لقمة تدخل احشائهم . يحدث ذلك جهارا نهارا ، يدعمه جهاز الأمن والامان الداخلى والخارجى الذى يحمى تلك الشريحة . واخيرا لم تعد تلك الفئة فى حاجة للتستر وراء شعارات عن الديمقراطية الزائفة والمضللة . فافصحت عن ديمقراطيتها ذات المخابى والانياب ، ديمقراطية المفرمة والسجن والاعتقال والاغتيال . وانفضحت المرحلة كمرحلة معادية للديمقراطية معادية للوطنية ، تفرض على مصر الفساد والتبعية . ولتنتفض كل القوى الوطنية ، تدافع عن مصر الثورة الوطنية الديمقراطية . ويرتد العنف الذى زرعه زعيم تلك المرحلة وقائدها عنفا مضادا ورصاصا ينهى حياته .



ليست تلك تجربة فريدة النضج في العالم الثالث ؟ ليست دراسة المرحلة منذ عرابي حتى للسادات ، دراسة لحركة الثورة الوطنية الديمقراطية ، وهي مرحلة ما زالت مصر تعيشها وتسعى الى استكمالها كثورة تحررية ديمقراطية تمهيدا للاشتراكية ؟ ليست دراسة حركة الطبقات والحراك الاجتماعي ، وما أصاب الشعب المصري نفسيا ووجدانيا ، خلال كل تلك الحقبة من تاريخ مصر ، ضرورة للتعرف على مستقبلها بصورة علمية صحيحة ؟ الا تطرح هذه التجربة الفذة ، القضية الابدية التي ناضل الشعب المصري من أجلها ، وما زال يناضل ، الا وهي قضية الحريات السياسية ، قضية حريته في الاختيار وممارسة ارادته التي هي ارادة الثورة ، وانتمائه الذي هو الانتماء المصري العربي الاصيل ؟ ليست دراسة مثل هذه التجربة الناضجة ، اضافة هامة وجوهرية للفكر الانساني ؟

ان هذا الكتاب يطرح رؤيتي خلال فترة محددة تمتد ما بين عامي ١٩٥٨ ، ١٩٦٥ . فترة اراها حاسمة ومصرية ، فيها آلت اليه البلاد منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حتى ١٥ مايو ١٩٧١ وما تلا ذلك .

ان هذا الكتاب ليس تصفية حسابات ، لكنه شهادة شاهد عاش تلك الايام ، من موقع سياسي معين ، وبرؤية خاصة ، تقوم على اختيار ارادي وانتهاء طبقي . ومن هنا فان هذه الشهادة ، من هذه الزاوية ، تعبر عما عاشه قياسا على معتقداته الفكرية وقناعاته السياسية آنذاك .

انها شهادة حتى لا نفسي ، اذ لا يجوز في عالم السياسة ومصائر الشعوب وتجاربها أن يرفع أحد شعار عفى الله عما سلف . فان كان ذلك جائزا فيما يخص الفرد شخصا ، فانه غير جائز ، أبدا ، فيما يخص الوطن ويمسه . فتجارب الشعوب التي تبفع فيها الثمن غاليا ، لا يملك انسان ان يهدر هذا الثمن ويضيعه . ان مدرسة الشعوب هي تجاربها التي تتعلم منها . والخطا هتبا مهما كان ضارا يصبح مفيدا ان تعلمنا منه جديدا يجنبنا مشقة التكرار . ويغدو حتى السلبي ، ايجابى ان درس بامانة ، ونقصد باخلاص ، تفاديا للوقوع فيه مرة أخرى ، وتجنبنا لاضراره وكوارثه . وان كان البعض يرى في تجارب الشعوب الاخرى افكارا مستوردة ، وفي دراسة الماضي نبشًا للقبور ، فهل ينبغي هؤلاء السادة ان نجعل من الشعب المصري حقل تجارب لكل من شاء وأراد واعتلى صهوة السلطة ! ان تجارب الشعوب هي كنزها الثمين ، الذي يجب أن تجلوه وتستخرج منه ما يفيدها في دفع ثورتها . ان مواقف الطبقات التي قادت المعارك المختلفة خلال المراحل المتتالية درس بليغ لكل الشعب يتعرف من خلاله على قدرات تلك الطبقات والفئات وحقيقة اهدافها ، ومدى ارتباط تلك الاهداف باهدافه هو . مدى



الالتقاء ومدى التعارض والتناقض ، ومن هنا يمارس اختياره الارادى والانتقاء الطبيعى لقيادته الحقيقية القادرة على تحقيق مصالحه وانجاز ثورته . قيادة لا تساوم ولا تهادن في حقوقه التى هى حقوق الوطن . قيادة ترتبط في الاساس بالحقل المصرى والمجتمع المصرى والفكر المصرى والواقع المصرى . قيادة تتحرك به وتعمل له ، ولا تعطى لنفسها حق الوصاية وتمنحه هو صفة القاصر .

يجب الا ننسى حتى لا ندخل متاهات نعلم مسبقا مدى ظلمها واذلامها . يجب الا ننسى حتى نجنب شعبنا آلاما تبدو كالفكر المحتوم سواء حكمه الاجنبى او المصرى . ان امانة المسئولية تعنى امانة الكلمة واماانة الشهادة . فليحمل كل من عاش في موقع المسئولية سواء كان حاكما او محكوما - ما دام اختياره حتى اليوم قائما على الانتقاء الحقيقى لقسوى الثورة المصرية - قلمه وليكتب شهادته وقائما وتقييما . وليكن مجموع ذلك دراسة للواقع المصرى كما كان وكما يجب ان يكون . فكل شهادة سوف تحدد اختيارا كان وما يزال ام زال . تحدد انتماء كان وما يزال ام تحول وانتقل . ان الكثير من تاريخ تلك الفترة حتى اليوم ما يزال اسرارا في صدور اصحابها ، الا ان هذه الاسرار ليست ملكية خاصة . انها ملك الشعب ومن حقه ان يطلع عليها . ومن هنا كانت الشهادة امانة يجب ان ترد لاصحابها طال الزمن ام قصر .

ان احدا لا يستطيع ان يوقف حركة التاريخ . لكن السؤال المطروح هو ، من منا يعمل في اتجاه هذه الحركة يدفع بها ويذلل العقبات من امامها ويرشدها بالفكر الواقعى للصادق ، ومن منا يعمل في الاتجاه المضاد لهذه الحركة ، يود ان يوقفها حيث وقفت مصالحه وتحققت . من منا يقف مع الشعب ، ومن منا يقف في مواجهته ؟

الاختيار مطروح ، وعلى كل ان يحدد بصورة ايجابية موقعه . والحسم في النهاية للارادة الواعية والانتقاء الحقيقى لجماهير الشعب الكادحة ، للملايين المصريين الذين لم يمكنوا بالقسر والقهر حتى الآن من ان يبتوا في مصيرهم ويشقوا الطريق الذى اختاروه .

الانسان في جوهره اختيار و ارادة ، وكل من يحاول قتل هذا الاختيار وتلك الارادة ، انما هو في الواقع يحاول قتل الانسان . لكن ، من ذا الذى نجح في تحقيق تلك الكارثة على مدى التاريخ ؟ لا احد فيها مضى ، ولن يكون هنا لك ذلك الاحد في المستقبل . فذلك الاختيار وتلك الارادة هى التى حملت الانسان من الغابة والكهف الى اجواز الكون المجهول لاستجلائه . وسيظل



الاختيار وتظل الارادة هما القوة الدافعة لحركة المجتمع والكون حتى يحقق الانسان باختياره وارافته أفضل مجتمعات البشرية .

\*\*\*

ولا يفوتني في ختام هذه المقدمة ان اثنى بالتقدير الكبير جهد كل هؤلاء الذين اجهدوا ذاكرتهم وانفسهم ليدلوا بشهاداتهم . فقد كان ذلك عوناً جوهرياً بدونه ما كان لهذا الكتاب ان يصدر . ان بعض الشهادات رغم صغر حجمها كانت بمثابة الحلقة التي ربطت للعقد المنفرط من الوقائع والاحداث . كما كانت الشهادات التي عرضت افكار ووجهات نظر اصحابها فيها جرى من احداث هامة للغاية ، حيث انها تعيد تسجيل الفكر الذي حكم الموقف ، اى موقف ، وقاد اليه . وبذلك تفسر الاحداث والوقائع لا على اساس ذاتي او تقديري ولكن على اساس فكري ، وحتى لا يوضع في قسم احد غير ما قاله ، ولا يدخل فيه فكر دخيل عليه . ثم يأتى التقييم بعد ذلك للفكر والحدث . وهو امر يملكه الكاتب كما يملكه القارئ ، قد يختلف فيه وقد يتم الاتفاق حوله جزئياً او كلياً ، الا ان الامر الذي لا يجب الاختلاف عليه هو الوقائع ذاتها والانكار التي كانت بعينها .

ورغم الجهد الذى بذله الكثيرون مشكورين ، الا اننى اعتبر هذا الكتاب دعوة للجميع ان يدلوا بشهاداتهم والا يحتجزوا في صدورهم مخزوناً ليس ملكاً لهم ، انما هو ملك لمن جاء بعدهم من اجيال ، حتى تتصل الارحام ولا يبدأ الجدد كالايتام ، بلا ماضى ولا تاريخ ولا تجربة ولا عبرة . ان الاجيال الجديدة من انشاء شعبنا لها حق الشرع في هذا الميراث الضخم . ومن حقها ان ترث ما هو ملك لها ، من واجبنا جميعاً ان نيسر عليها . فهذا الميراث ان خيراً وان شراً هو لها ، وعليها ان تفتقى وأن تختار ، فستغدو تلك مسئوليتها ، بعد ان اصبحت الامر واقعاً على عاتقها ، وعليها ان تمارس اراحتها وتحدد انقضاءاتها ، فذلك الذى يجب ان نفعله هو اقل ما يجب ان نقدمه تأكيداً لايماننا باتصال الاجيال واتصال النضال وعدم الغرق في دوامة السلبية او السقوط في هوة اللامبالاة .

الشهادة تعريف ومعرفة يجب ان تفتقل لمن بعدنا . والشهادة امانة يجب ان ترد لاصحابها . والشهادة ميراث لا نملك ان نذهب به الى القبر . انما يجب ان نوثقه تاريخاً او وجهات نظر في التاريخ هي حق لابنائنا ، حتى لا يذهب في طي النسيان ، جزء هام من حياة الانسان .

**فخرى لبيب**

**يناير ١٩٨٤**







# الباب الأول

١٩٥٨

عام القيمة والأزمة





# الفصل الأول

عام ١٩٥٨ محصلة أعوام سابقة

عام ١٩٥٨ هو واحد من ابرز الاعوام في تاريخ مصر القريب ، وكذا في تاريخ المنطقة العربية . كانت مصر قد خاضت معركة وطنية ، عام ١٩٥٦ . انتهت الى دحر العدوان الاستعماري الصهيوني عليها والغناء المعاهدة المصرية - البريطانية وتمصير كل الشركات والبنوك الاستعمارية ، على وجه التقريب ، وغدا عبد الناصر بطلا وطنيا مصريا ، بطلا قوميا عربيا .

كان العدوان الاستعماري امتحانا قاسيا لقادة ٢٣ يوليو ، وفي ذلك يقول عبد اللطيف البغدادي : « ... ونحن في طريقنا الى الاسماعيلية .. » قال عبد الناصر بصورة مؤثرة ومحزنة بعد ما شاهد العربيات والديابات على جانبي الطريق ، « انها بقايا جيش محطم ... » كما قال بالانجليزية ، لقد هزمت بواسطة جيشي ، « ورايا اهالي الاسماعيلية يحملون السلاح وهم ، « ... اقرب الناس الى منطقة القتال ، وهم يسرون بهذا الهدوء وهذه الثقة ... » ما ساعدنا على استرداد بعض مخوياتنا التي كنا قد فقدناها ، وبدأت الثقة تعود الى نفوسنا ، (١) .

وانتهى العدوان بانسحاب قوات المعتدين ، وهلك الشعب ، فقد مضى زمن الاستعمار . وجاء الزمن الذي يفترض فيه ان يحصل للشعب على حقوقه التي دفع ثمنها غاليا ، أجيالا وراء أجيال . الا ان الطبقة الحاكمة ، وعلى رأسها قيادة يوليو ، استعانت « الثقة في نفسها » ، وبدأت تخطط للانفراد بكل مكاسب هذه المعركة . وتسعى للحصول على امتيازات ، لم تدفع فيها غير القليل . وحتى تحقق ذلك ، كان لابد لها من ابتساع اشكال تنظيمية « جماهيرية » ، واستصدار قوانين وقرارات تستهدف تجميع الشعب في وعاء واحد ، يخضع حركة كل الطبقات لقبضتها ، تكون هي فيه الوصي المطلق ، وكل الشعب في موضع القاصر الذي لا يملك من أمره شيئا .

ان هذا الذي تجسد سافرا عام ١٩٥٨ ، لم يكن وليد هذا العاصم وحده . كان وليد أعوام سبقت ، ربما تعود الى نشأة القيادة التي امسكت بزمام الامور ، والى الظروف الخارجية والداخلية التي تمكنت في اطوارها من الوصول الى السلطة . كان محصلة مكونات ، لابد من تناولها ، حتى يمكن فهم ما حدث ، خلال هذا العاصم .

---

(١) مذكرات عبد اللطيف البغدادي . الجزء الأول .

## الضباط الأحرار حزب سياسي

ان الحزب السياسى فى أبسط تعريف له ، هو مجموعة من الناس ، التفت حول برنامج يحقق أهدافا محددة ، والتزمت بلائحة أو قواعد وضوابط تحدد العلاقة فيما بين أعضائها ، واجبات وحقوقا . وهى فيها فعلت ، قد عبرت ، كطليعة ، عن مصالح طبقة بذاتها ، أو شريحة من طبقة . وهى تسعى ، بتنظيم ، الى تنفيذ تلك الأهداف ، بالأساليب السريعة أو غير الشرعية ، من خلال الوصول الى الحكم أو السلطة .

فان طبقت تلك القواعد العامة على « تنظيم الضباط الأحرار » ، لانضخ القالى :

### ١ - برنامجيا :

تلخص برنامج الضباط الأحرار فى النقاط الست . وهى فى مجموعها تشكل برنامجا وطنيا ديمقراطيا ( بغض النظر مؤقتا عن التطبيقات اللاحقة ) . ونحن ان قارنا هذا البرنامج ، وقت صدوره ، ببرنامج القوى البورجوازية الوطنية المصرية ، حينذاك ، لما اختلف عنها ، وان كان فى مظهره العام ، أكثر تقدما من بعضها ، حيث نص على القضاء على الاقطاع ، وعلى سيطرة رأس المال على الحكم .

### ٢ - لائحيًا :

كان لهذا التنظيم هيكله الذى يتحدد فى الجمعية التأسيسية ( قيادة مركزية ) وبعض المناطق ( قيادات وسطى ) ، وقواعد لهذه المناطق . ثم هنا لك تشكيلات تنظيمية داخل افرع الجيش المختلفة . أى هنالك الشكل الهرمى للتنظيم ، والانتشار القاعدي فى الأماكن المؤثرة ، عندما يتحرك هذا التنظيم .

العضوية فى التنظيم نوعية ، من الضباط متوسطى الرتب وصغارها . ثم يأتى التزام الأعضاء بعضوية هذا التنظيم فقط دون سواء ، بغض النظر عن الانتفاء الفكرى أو الايديولوجى لهذا العضو . ومن يخرج عن هذه القاعدة ، يتم فصله ، مهما كان موقعه التنظيمى .

الاختيار أو الانتخاب ، لموقع المسئولية ، يتم بناء على دور هذا المسئول فى الحركة وقدراته القيادية ، بغض النظر عن الاقدمية العسكرية . أى ان الاختيار هنا ، رغم عسكرية التنظيم ، اختيار سياسى .



### ٣ - جماهيريا .

استخدم التنظيم المنشور لتوصيل اهدافه الى جماهيره من الضباط ، كما استفاد من كل العلاقات والانتماءات التاريخية لأعضائه ، لخلق علاقات من التنسيق يمكن ، تجاوزا ، تسميتها بالعلاقات الجبهوية ، مع الاخوان المسلمين والوفديين والشيوعيين \* وكانت علاقته بهذه الجماعات السياسية تتوطد ، أو تضعف ، طبقا للظروف السياسية المختلفة ، وقرب أو بعد هذه الجماعة أو تلك من رؤيته السياسية والاجتماعية ( أى برنامجه ) .

وقد شارك هذا التنظيم في أهم ما يخصه ، الا وهو تحريض الفدائيين ، واعدادهم بالسلاح ، والاشتراك الفعلى لبعض اعضائه في معركة القنال . كما عهد ، شأنه شأن أى تنظيم سياسى ، الى اختبار قوته بين جماهيره ، كما حدث في معركة نادى الضباط ، حيث استطاع رجاله ان يفوزوا في الانتخابات على رجال السراى من الضباط .

ومن هنا يمكن القول ان ما سمي « بتنظيم الضباط الاحرار » ، كان حزبا سياسيا يعمل في صفوف الجيش ، أو حزبا عسكريا يعمل بالقضايا الوطنية والسياسية العامة ، أى أنه كان حزبا سياسيا وطنيا عسكريا ، الا ان هذا الحزب له خصوصيته التي تميزه عن الاحزاب المدنية ، والتي يلزم ان يلقى بعض الضوء عليها .

#### خصوصية الحزب العسكرى :

ان الحزب السياسى هو اعظم مدرسة لأعضائه يتعلمون في داخله كيف يتعاملون مع بعضهم البعض ، وبالتالي كيف يتعاملون مع جماهيرهم . والحزب المدنى الذى ينشأ بين الجماهير ، ينمو ويتطور بالعمل بها ومن أجلها ، تصوبه ان خطأ ، وتدعّمه ان أصاب ، بل وتهجره ان سلك ، في قيادته ، مسلك الصفوة ، فعمل بالوكالة عنها أو الوصاية عليها وبذا يكون الحزب السياسى افرازا طبقيًا صحيحا وصحيا \* .

اما الحزب العسكرى فهو ينشأ في قلب واحد من اخطر أجهزة السلطة \* ولذا لابد وأن يتسم بأعلى درجة من السرية والانضباط . وتغدو الممارسة الديمقراطية في داخله ، نوعا من الترف الذى لا يمارس الا في اضيق الحدود والصور \* فان اضيف الى الظروف المحيطة الضاغطة ، طبيعته عضويته ، النى تقتصر على الضباط ، أى على مكونات اعتادت ان تتمر

وتؤمر ، تطاع وتطيع ، فان ذلك لابد وأن ينعكس على سلوكها الحزبي ،  
الذى لن يتجاوز ، مع بعض المبالغة ، شعار : « تمام يا أفندم » .

ومن هنا ، فان قضية الخلاف فى الراى ، والصراع حول هذا الاختلاف ،  
وحسمه بالشكل الديمقراطى الصحيح ، أمر يكاد يكون مستبعدا ، الا فى  
حدود ضيقة ، يخلب عليها طابع الممارسة التأميرية ، أكثر من طابع الممارسة  
الديمقراطية . ولما كان الحسم الصحى ، لأى خلاف حزبي ، هو الممارسة  
من خلال الجماهير صاحبة المصلحة ، فى القضايا محل الخلاف ، وهى مسألة  
مستحيلة ، لخصوصية هذا الحزب ، فان مسلكه مع جماهيره ، من  
الضبط ، لابد وان يتسم بسمة الصفة ، التى تبلغ رسالة ، لها قدسيته ،  
ولا مكان للجدل حولها .

ان مثل هذه المدرسة الحزبية لا نملك الا أن تقدم خريجين لا يملكون  
من المعرفة غير ما تعلموا « فالسمع والطاعة » تلخص خبرتهم وتجربتهم .  
التي لابد عند تعميمها ، على الشعب كله ، ان تكون محاولة لا تتوقف من  
أجل عسكرة الجماهير والحياة المدنية كلها .

واذا كان الحزب لم يعتد الراى والراى الآخر فى داخله ، فهو لن يقبل  
بالراى والراى الآخر فى خارجه . وان كان لا يقبل بالخلاف فى مجرد  
الراى ، فهو بالضرورة لن يقبل بوجود أى حزب أو تنظيم خارج حزبه  
أو اطاره التنظيمى . لقد قام هذا الحزب ونشأ من ضباط ذوى انتماءات  
عقائدية تتراوح بين اليمين واليسار . وهو قد رفض ، منذ البداية ، استمرار  
هذه الانتماءات تنظيميا ، أى رفض الشكل الجبهوى ، وتمسك بنمط الحزب  
الواحد . ان للوطن الواحد ، لا يمكن أن يكون به غير جيش واحد ، وبالتالي  
لا يمكن أن يوجد به غير حزب عسكرى واحد . ان وحدانية التشكيل  
العسكرى ، قد انعكست فى وحدانية الكيان السياسى الذى يعمل داخل  
هذا التشكيل العسكرى . فان انتقلت التجربة الى مجال الحياة المدنية ،  
فليس هنالك غير حزب واحد ، للشعب الواحد .

ان للحزب السياسى ذاتيته ، كما للأفراد ذاتيتهم . ونجاح الحزب  
العسكرى فى تنفيذ الثورة ، أى نجاحه فيما لم ينجح فيه الآخرون ( طبقا  
لرؤيته هو ) ، يعنى طبقا لفهمه البراجماتى « صحة تجربته » هو ،  
مفردا ، مما يجعله يضى على نفسه دورا متميزا ورسالة خاصة . ويترجم  
ذلك عمليا باعتبار ان كل ما يصدر عنه فوق الخطأ والمساءلة ، وانه ليس  
هنالك ارادة غير ارادته . وأن كل من يخرج عن تلك القاعدة ، التى تشبه  
الحق الالهى ، فردا كان أو جماعة ، ملتزما بتنظيم آخر ، أو غير ملتزم بغير



أفكاره الخاصة ، يكون مستحقاً للعنة ، ويغدو عدواً ، أو غملاً ، أو خائناً ، وصاحب أفكار ونظريات مستوردة . ويصبح من حق هذه الصفوة القدسية أن تجرده من وطنيته ، وتعلن تكفيره سياسياً ، مما يستوجب زجه - عقاباً له - في جحيم أرضى ، أو في مطهر يغتسل فيه من أفكساره ، حيث يعلن توبته ، لاعنا أفكاره ، مستذكرا كل معتقد آمن به ، على غير إيمان الحزب العسكرى .

إن هذا الحزب وقد نشأ على التعامل مع من يثق بهم ، فقط ، فإنه ، لابد ، فيما بعد ، أن يتعامل مع الكافة بنفس القياس والمعيار . وبذا يطرح في التنفيذ العملى نظرية « أهل الثقة وأهل اللواء » ، بغض النظر عن قدراتهم أو نزاهتهم .

إن الحزب السياسى الأدنى ، الذى ينبت من بين الجماهير ، يحقق أمنه السياسى والتنظيمى ، بتوعية الجماهير ، والانتشار الفكرى والتنظيمى بين صفوفها . أما الحزب العسكرى ، الذى ينبت في قلب الجيش ، فهو لا يعرف عن الأمن إلا الأمن الاستخبارى . ولذا فإنه ، عندما يصل الى السلطة ، كحزب سياسى ، يعتمد فى الأساس على أجهزة الأمن ، لتحقيق أمنه السياسى . بل هو يحول الذين يرتبطون به سياسياً ، الى كتبة تقارير أمنية ، أى أنه يشيع النهج البوليسى فى العمل السياسى ، ويتخذ من التخويف والارهاب ، لا التوعية والعضوية الاختيارية سبيلاً الى انتشاره وحماية نفسه وتحقيق أمنه .

والحزب العسكرى عندما تحرك لتنفيذ الثورة ، اعتمد على القوات المسلحة لتحقيق هذا الغرض . لم يعتمد على حركة الجماهير المدنية ، بل اعتمد على الضباط والجنود والدبابات والمدفع والطيار ، أى اسلحة الجيش المختلفة . ومن هنا ، فإن استثماره فى تنفيذ برنامج الثورة ( من وجهة نظره ) ارتبط بالحفاظ على السيطرة على الجيش ، وسيطرة الجيش على الحياة المدنية . ومن هنا يقول الفريق أول محمد فوزى عن القوات المسلحة : « إنها القوات التى تعتبرها القيادة أداة التغير الثورى » (١) . وبهذا الفهم ، يعطى العسكريون امتيازات خاصة . وتنقل كثير من السلطات المدنية اليهم ، فيمسكوا بمفاتيح الصناعة والاقتصاد والثقافة والتعليم والاعلام والسياسة والتشريع والتنفيذ والقضاء . ويشكل الحزب العسكرى بيروقراطيته العسكرية . وتتحول اهتمامات قيادة وضباط القوات المسلحة ، من الحدود وحماية الوطن ، الى مجالس الادارات ومواقع المال

---

(١) « حرب الثلاث سنوات » ١٩٦٧/١٩٧٠ - مذكرات الفريق أول

محمد فوزى .

والنفوذ والسلطة التنفيذية والادارية ، تختل كل القيم العسكرية ، كما تختل كل الاوضاع الحتية .

ان عسكرة الحياة المدنية ، ومدينة للحياة العسكرية ، تخطط كل الأوراق ، وتكتب كل المعايير .

ان حزب الضباط الأحرار ، رغم اشتراكه مع باقى القوى والأحزاب الوطنية ، فى كونه حزبا سياسيا وطنيا ، الا أنه يتميز عنها بسمه خاصة ، هى كونه حزبا عسكريا ، له ظروف نشأته الخاصة ، ومكوناته الخاصة ، وجماعيره الخاصة . ان تلك الخصوصية تجعل منه مدرسة أخرى متميزة فى الممارسة السياسية ، سواء فى داخله أو فى خارجه ، كما تشكل له منهجه فى كل ممارسته وعلاقاته وتأثيراته .

الا ان هذه الخصوصية ، بمفردها ، لا تكفى لتفسير كل ما حدث من مواقف واجراءات ، والا فانها تكون خصوصية مجردة . ان معرفة الطبقة التى وظفت هذه الخصوصية فى خدمة مصالحها أو التعبير عنها ، أمر ضرورى للتعرف على تلك الظاهرة ، مكتملة ، قدر الامكان .

### طبيعة الطبقة التى يثلها الحزب العسكرى :

ان الجيش المصرى بطبيعة تكوينه والانتماءات الطبقيّة لضباطه ، وخاصة الصغار منهم ، ووجود النفوذ الأجتبى للصارخ فى مواجهة مشاعرهم الوطنية ، واحساسهم بالقهر السياسى والاجتماعى ، كل ذلك قد شكل ارضية خصبة لنمو اتجاهات وتنظيمات رافضة للوضع القائمة ، ساعية الى التغيير . الا ان القضية الهامة ، دائما ، هى : التغيير فى اى اتجاه ؟ اى التغيير لحساب من ، من داخل مصر ؟ ان اى تغيير يجرى انما يتم ، فى النهاية وبشكل رئيسى ، لحساب طبقة أو شريحة من طبقة أو فئة اجتماعية محددة . والحزب السياسى ( مخنيا كان أم عسكريا ) هو أداة تحقيق تلك المصالح . ان التوظيف الطبقي للحزب ، لا يأتى عفو الخاطر أو بناء على رغبات فردية ، انه يتحدد فى الاساس بالانتماء الطبقي لهذا الحزب والذى يتحدد بأهدافه النهائية ، التى تتجسد فى برنامج العام .

ان برنامج الحزب العسكرى المعادى للاستعمار والاقطاع وسيطرة رأس المال على الحكم ، انما كان يعبر عن طموح القطاعات الوطنية من الرأسمالية المصرية ، أو ما اصطلح على تسميته بالبورجوازية الوطنية . وهى البورجوازية الساعية الى تخليص سوقها المحلى من قبضة الاستعمار



والرأسمالية الكبيرة المرتبطة به والمشاركة في السلطة مع السراى وشبه الاقطاع . وهذا البرنامج يلتقى في بعض اتجاهاته العامة مع الاتجاهات البرنامجية العريضة للييسار المصرى . الا ان الفرق بين البرنامجين ، هو ان برنامج البورجوازية الوطنية ، يمثل برنامج الحسد الاقصى لحركتها الوطنية ، أى الحد الذى يخلص لها السلطة من السيطرة السياسية والاقتصادية للاستعمار والطبقات المتعاونة معه داخليا ، حتى يخلو لها السوق ، ففتاح لها فرصة النمو الى قمة المجتمع ، سياسيا واقتصاديا ، واجتماعيا ، فرصة ان تصبح البديل الذى يمسك بالسلطة ، وينفرد بها ، متخذاً منها أدواته لتحقيق مصالحه فى الاثراء عن طريق الاستغلال . أما برنامج اليسار ، فهو بناء مرحلى يغطى مرحلة استكمال الثورة الوطنية الديمقراطية ، كخطوة على طريق بناء الاشتراكية التى تحقق مصالح الاغلبية لا مصالح اقلية جديدة .

وتتميز طبقة البورجوازية الوطنية بانها :

( أ ) محدودة القدرات ، جامحة الدموحات . تخشى الانحدار الى أسفل . ترفض الطبقات التى تعلوها ، لا رفضاً لدورها الاجتماعى ، فى الأساس ، لكن لأن وجود هذه الطبقات يحد من نموها ، ويفرض نفسه على المجالات التى تعطيها فرصة الازدهار والصعود الى أعلى .

(ب) تسعى الى بناء مجتمع رأسمالى ، فى عالم لم يعد النظام الرأسمالى فيه ، هو النظام السائد أو الصاعد .

(ج) تعادى الاستعمار من أرضية مصالحها فى استخلاص السوق المصرى لحسابها ، لتمارس فيه ، بديلاً عنه ، نفس العلاقات الرأسمالية والاستغلالية . أى أن تناقضها مع الاستعمار مرهون ، فى الأساس بقضية السوق المحلى .

(د) لا تستطيع ، بقدراتها المحدودة ، مواجهة الاستعمار والقوى الرجعية بمفردها . ولذا فانه لابد لها من الاستناد الى حركة الجماهير العارمة ، الرافضة للاستعمار والاستغلال . انها تسعى الى تحقيق مصالحها ، بمواجهة من يعلوها ، اعتماداً على من هم دونها . ويوتنعها هذا الوضع فى تناقض مزدوج ، أى يجعلها ذات طبيعة مزدوجة . ان طرد الاستعمار والقوى القديمة ، بمعاونة الجماهير ودورها الاساسى والفعال ، يفتح امامها السوق المحلى على مصراعيه ، الا انه فى ذات الوقت ، يفتح

الطريق واسعا امام تصاعد الحركة الجماهيرية واضطراب نموها ، مما يهدد طموحات تلك البورجوازية في البناء الرأسمالى الخاص بها . لذا فهى تواجه الاستعمار ، بحركة الجماهير ، تضغط بها ، عليه . وهى تهادن الاستعمار وتساهمه ، ان تصاعدت حركة الجماهير الى الحد الذى يهدد مصالحها . وبضعها ذلك بين نارين : نار الماضى ونار المستقبل . ومن هنا ، فانها ما ان تصل الى السلطة وتحقق ، حسب رؤيتها ، سيطرتها المحلية على السوق ، أى خلاصها من الماضى ، حتى تستدير بغيرانها الى القوى الجماهيرية التى حملتها الى السلطة ، خشية أن تحرمها الجماهير من الاستئثار بالسوق والانفراد بها ، أى تعتمد الى مواجهة المستقبل ، محاولة تجميد الوضع لصالحها هى فقط . ويكشف ذلك عما تتميز به تلك الطبقة من انانية ، وقصر نظر ، ورؤية محدودة ، تلخص مصالح الوطن كله ، والشعب كله ، فى حدود مصالحها هى فقط .

وفى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ نجحت هذه الطبقة ، فى الوصول الى السلطة . عن طريق حزبها العسكرى ، حزب الضباط الاحرار . الا ان هذا النجاح لم يكن مرجعه اليها ، هى وحدها ، او الى حزبها العسكرى فقط . كانت الظروف الداخلية مواتية ، حبلى بالذورة ، والظروف العالمية تقدم امكانيات معاونة ومساعدة ، تمكن للظرف الداخلى ان يحقق فعله

### الظروف الداخلية :

ان نظرة عامة على الوضع الداخلى فى مصر ، فيها بعد الحرب العالميه الثانية ، توضح ان المد الوطنى كان فى حالة تصاعد متصل ، فى الوقت الذى كانت تتزايد فيه عزلة القوى الرجعية والعملية ، ويفتضح دورها .

كانت القوى الوطنية غامة ، واليسارية منها بشكل خاص ، تشن نضالا ، لا هوادة فيه ، ضد الوجود الاستعمارى . وتربط ما بين سلطة القوى الرجعية والمعادية لمصالح الشعب ، وهذا الوجود الاستعمارى ، وظهرت قيادات جديدة ، عمالية وطلابية وفلاحية ، تربط ، ربطا كاملا ، بين التحرر الوطنى والتغيير الاجتماعى .

كان الشيوعيون والقوى الوطنية الديمقراطية ، كالطليعة الوفدية ، وبعض الاجنحة المتقدمة فى بعض الاحزاب الأخرى ، هى التى قادت ، المعارك الوطنية المختلفة ، التى كانت من ابرز ملامحها ، للجنة الوطنية للطلبة والعمال ، ومعارك كوبرى عباس و ٢١ فبراير و ٤ مارس ، ومعارك الفدائيين فى القنال ، واضرابات العمال ، ونضالات الفلاحين .



كان الشيوعيون يناضلون على أساس ان الاستقلال الوطنى لا يعنى مجرد اجلاء جيوش الأجنبي ، انما يعنى ، ايضا ، ضرب المصالح الاقتصادية والعسكرية الأجنبية ، وان القضاء على الاستعمار غير منفصل عن القضاء على الطبقات والشرائح الاجتماعية الموالية له فى الداخل . وانه من أجل ان تعود ثمار الاستقلال الوطنى ، أو الجزء الأوفى منها ، الى الشعب الكادح ، وبخاصة العمال والفلاحين ، وهبم غالبية الشعب العظمى ، والا تنفرد طبقة واحدة ، أو شريحة من طبقة ، بهذه الثمار ، وحدها ، يلزم أن يحاط الاستقلال والاجراءات المصاحبة له بسياسات من الضمانات والحقوق والحريات السياسية ، للشعب صاحب المصلحة الأساسية فى الثورة ونجاحها واستمرارها .

كان هذا هو حال القوى الوطنية ودورها قبل حلول عام ١٩٥٢ . وفى المقابل كانت هنالك الاحزاب الشرعية والرسمية ، تحاول فى استماتة الوقوف فى وجه الموجة الوطنية العارمة . كانت كل هذه الاحزاب باستثناء حزب الوفد قد التقت فى جبهة واحدة ، تساند السراى ومن خلفها الاستعمار . وكان بعض تلك الاحزاب ، اذا ما هاجم السراى ، هاجمها خوفا عليها مما هو آت ، وحرصا منه على ترشيد النظام .

وجاء الوفد الى الحكم ، عام ١٩٥٠ ، بشعبية حقيقية ، الا انه سعى لمهادنة السراى ، بسبب سيطرة عناصر ذات مصلحة فى ذلك ، على قيادته . ثم كان حريق القاهرة ، فى يناير ١٩٥٢ ، واعلنت حكومة الوفد حالة للطوارئ . وبذا فان الوفد قد شعر السلاح الذى تبتغيه القوى الرجعية والاستعمارية ، وضرب بذلك القوى الوطنية ، كما ضرب نفسه بنفسه . واكملت عليه السراى فاقالاته . وجاءت احزاب الاقلية والسراى لتعلن ، افلاسها ، رسميا ، خلال الفترة من ٢٦ يناير ١٩٥٢ حتى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . ولتثبت عجزها الكامل ، عن الامساك بدفة الأمور ، حتى من وجهة نظرها .

ومن هنا يمكن القول ان النصف الأول من عام ١٩٥٢ قد شهد ضرب الاحزاب الرجعية والمتهادنة ، جماهيريا . كذا ضرب الحركة الشيوعية والطلیعة الوفدية وحركة الفدائيين ، بواسطة القوى الرجعية والاستعمارية . وبذا لم ينج ، من كل ذلك ، غير تنظيم الضباط الأحرار ، أو الحزب العسكرى أو حزب الضباط الأحرار .

كان ، هذا الحزب ، هو الوحيد ، من بين القوى الوطنية المصرية ، السرية أو العلنية ، القادر على ضرب الدولة القديمة من داخلها ، وبواحد من

أخطر أسلحتها ، إلا وهو الجيش . أن هذا الحزب ، رغم محدودية المجال الذي يتحرك فيه ، وضيق المساحة التنظيمية التي يتكون منها ، إلا أنه كانت هنالك أرضية هائلة داخل الجيش بين الجنود وصف الضباط ، وخارجه بين صفوف الشعب وخاصة طبقاته الوسطى والكادحة ، تشكل رصيда ضخما لحركته .

ولهذا فإن الحزب العسكري ، عندما تحرك بالثورة ، ضد النظام ، بطريقة سرية وبعيدة عن حركة الجماهير ، وجد الدعم والمساندة والحماية الحقيقية من حركة الجماهير ، التي سرعان ما التفت حوله . كما لقي التأييد أيضا ، من بعض أجنحة الأحزاب القديمة ، والتي كانت تعبر عن نفسها ، في ظل الأوضاع القديمة ، بطريقة محدودة للغاية . كما حظي أيضا بتأييد « حدثو » ، أكبر تنظيم شيوعي حينذاك ، كما رحبت به في البداية منظمة طليعة العمال الشيوعية . وقد هرعت إليه ، في نفس الوقت ، بعضا من القوى القديمة ، في محاولة لإدارة الدفة لحسابها واستيعاب هذا الجديد .

أن الحزب العسكري ، عندما نجح في الاستيلاء على السلطة ، لم يكن يعبر عن قواه الذاتية ، والألا كان مجرد حركة عصيان عسكري داخل الجيش . لقد نجح في الاستيلاء على السلطة ، لأنه كان يعبر عن طموحات قوى للثورة الوطنية الديمقراطية . تلك القوى التي سبقته ، أو عاصرتة ، وكانت تنادى بنفس المطالب وتسعى إلى نفس الأهداف . وتخوض نضالا لم يتوقف في مواجهة السلطة القديمة ، دافعة ثمن هذا النضال ، تضحيات متصلة ، من سجن ، واعتقال ، وتشريد ، ومطاردة واستشهاد . كانت هذه القوى ، والشبوعيون في القلب منها ، بمثابة المدفعية الثقيلة التي دكت وحرثت الأرض ، ليأتي فجر ٢٣ يوليو ، وقد تداعى أمامه كثير من الحصون القديمة . لقد لعبت هذه القوى الدور الأساسي في التمهيد للثورة ، ولعب الحزب العسكري الدور الأساسي في تنفيذ الثورة .

### الظروف العالمية :

أن نظرة عامة على الظروف العالمية اللاحقة للحرب العالمية الثانية ، توضح :

( أ ) هزيمة الاستعمارية الألمانية والإيطالية واليابانية ، مما قاد إلى إضعاف الاستعمار ، بوجه عام .

( ب ) أن الدول الاستعمارية التي انتصرت ، كانت إنجلترا وفرنسا ، خرجت من الحرب مثقلة بالدمار ، مهددة في مستعمراتها وأسواقها . فإبناء المستعمرات ، الذين شاركوا في هزيمة النازية والفاشية والعسكرية اليابانية ،



لم يكونوا يقومون بذلك دفاعا عن مصالح الامبراطورية البريطانية ، أو الاستعمارية الفرنسية ، أو الهولندية ، أو البلجيكية ، انما كانوا يقومون بذلك دفاعا عن مصالحهم هم ، وتحقيقا لاستقلالهم هم . ولذا ، ما ان وضعت الحرب أوزارها ، حتى انطلقت قوى التحرير في المستعمرات والبلدان التابعة تستكمل حربها ، من أجل الاستقلال والسيادة الوطنية . ومن هنا ، فان توقف الحرب العالمية الثانية ، لم يكن يعنى توقف الحرب ذاتها في مواجهة قوى الاستعمار التي كانت ما تزال متشبثة بأراضي وأسواقها .

( ج ) ان امريكا التي تشكل رأس الرمح في القوى الاستعمارية وأقوى معاقلها ، قد فقدت تفوقها النووي ، ولاقت الهزيمة المنكرة في حرب كوريا ( ١٩٥١ )

( د ) انقسام العالم الى معسكرين ، المعسكر الشرقي ، الذي يضم البلدان الاشتراكية ، والذي يتناقض بشكل أساسي مع المعسكر الغربي الذي يضم البلدان الاستعمارية . وبذا انتهى الزمن الذي كان فيه الاستعمار قادرا على فرض ارادته الكاملة على شعوب البلدان المستعمرة والتابعة .

( هـ ) النمو الهائل للعالم الاشتراكي ، وتشكيله ثقلا صاعدا في الوضع العالمي ، قادرا على دعم ومساندة نضال الشعوب ، وتقديم نموذج آخر ، يناقض النموذج الاستعماري ، نموذج يقوم على بناء مجتمعات جديدة ، تحقق مصالح شعوبها ورفاهيتها .

( و ) التناقض بين القوى الاستعمارية ، حول الاسواق العالمية، ومحاولة امريكا ، الزعيمة الجديدة لهذا العالم الغربي ، وراثة اسواق ومناطق نفوذ القوى الاستعمارية القديمة ، مما يخلق مجالا لتضارب المصالح فيما بينها ، وظهور نقاط ضعف ، يمكن الاستفادة منها لحساب حركات التحرير .

( ز ) تواجد طبقات مؤثرة ، داخل المجتمعات الغربية ، ترغب الدور الاستعماري لانظمتها ، وتضع هذا الرفض موضع التطبيق ، في مواقف مؤيدة ومساندة لحركة الشعوب المناضلة من أجل التحرر والسيادة الوطنية .

وفي المنطقة العربية ، كان النضال يتصاعد ، ضد الاستعمار بشكل عام ، وضد الصهيونية بشكل خاص .

اي أن الظروف العالمية والعربية كانت مواتية لنجاح الثورة ، ان سلبا بقدرات الاستعمار ، وان ايجابا بقدرات قوى التحرير والتقدم .

ويمكن بناء على :

ان الظروف المحلية تشكل العامل الاساسى للنجاح فى ضرب السلطة  
التنمية ، وان للظروف العالمية تشكل العوامل المعاونة او المساندة على  
نجاح الثورة ، وان الظروف الذاتية او خصوصية الحزب الذى نفذ الثورة  
سوف تحدد منهج وطريقة تعامل هذا الجديد مع الاوضاع المحلية والعالمية ،  
واسلوبه فى استخدام السلطة لتحقيق برنامجه ،

ملاحظة :

ان الامكانات الثورية ، المحلية والعالمية ، والتي مكنت لثورة ٢٣ يوليو  
من النجاح ، هي بعينها التي كانت تثير مخاوف الحزب العسكرى بعد ان  
وصل الى السلطة . وهذه الملاحظة تطرح ضرورة معرفة :

**كيف تعامل الحزب العسكرى « السلطة الجديدة » مع الظروف الداخلية  
والعالمية :**

بداية يجب ان نوضح ان ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كان - دون شك - علامة  
بارزة فى تاريخ مصر الوطنى . انه حلقة من حلقات الثورة الوطنية . انه  
محطة نضالات متصلة للشعب المصرى ، وقواه الوطنية الديمقراطية ، فى  
اعقاب الحرب العالمية الاولى ، والثانية على وجه الخصوص .  
الا ان الخطا الفادح الذى وقع فيه الحزب العسكرى عندما جاء الى السلطة ،  
هو النظر الى تاريخ مصر وكأنه لم يبدأ الا فى هذا التاريخ ، والى نضال  
شعب مصر ، وكأنه لم يبدأ الا به .

كانت اهم قضية تواجه الثورة ، فى ايامها الاولى ، هي تثبيت  
الثورة ، والعمل على تخطيط البلاد من السلطة القديمة ، وهي سلطة تتوحد  
فيها مصالح وقوات الاستعمار والسراى وشبه الاقطاع وكبار الراسمالين  
المرتبطين برأس المال الاجنبى . وكان التوحد الرجعى الاستعمارى ،  
يقتضى توحيد القوى الوطنية الديمقراطية ، صاحبة المصلحة فى هذه  
الثورة . والتوحيد هنا هو التوحيد الواعى الجبهوى المنظم .

الا ان الحزب العسكرى ، عندما نفذ الثورة ، استقبل الشكل  
الجبهوى المنظم بالتأييد الجماهيرى العام ، التلقائى ، غير المنظم ، وعندما  
استعان برموز من القوى الوطنية ، استعان بها كأفراد ، وليس كممثلين



لقوى وطنية ، في ساحة الصراع الوطنى المصرى . لقد رفض ، بشكل عملى ، ومنذ اللحظة الأولى ، وجود أى قوى وطنية منظمة ، غير حزبه . وبذا لم يتعامل مع باقى القوى الوطنية باعتباره جزءا منها ، وباعتبار انها قد لعبت الدور الأساسى فى التمهيد للثورة ، كما لعبت جماهيرها الدور الأساسى فى انجاح الثورة وحمايتها . لقد تصرف ، ومنذ اللحظة الأولى ، باعتباره القوة الوطنية الوحيدة ، فى الساحة ، والتى من حقها ، وحدها ، كل الحقوق الديمقراطية .

ان الحزب العسكرى الحاكم ، فى حدود تجربته المحدودة ، قد رفض الشكل الجبهوى للجماعات المفتية الى أصول عقائدية مختلفة داخل الجيش . وهو هنا ، فى السلطة ، يحاول فرض هذه للتجربة ، تجربة الحزب الواحد ، على الوطن كله . وهو ، ان كان يملك قبل السلطة حق فصل الأعضاء الذين يخالفون قواعده ، فهو بعد ان جاء الى السلطة ، يملك كل ادواتها من قسر وقهر لفرض وجوده للواحد الأحد ، والذي اتخذ اسما متعددة ، ابتدأت بهيئة التحرير ، ثم الاتحاد القومى ، وتبلور مفهوم الوطنية عند الحزب العسكرى الحاكم ، باخضاع كل القوى الوطنية ، بالقسر والقهر ، لقيادته . فلا يرتفع فى مصر صوت غير صوته ، ولا تكون هناك ارادة غير ارادته . ولما كان هذا النهج ضد طبيعة الأمور والعلاقات الاجتماعية والاضاع الطبقة السائدة فى مصر ، فانه كبت التناقضات ، ولم يدعها تتخذ طريقها الطبيعى الى الحل . والتناقضات ، بالطبع ، لا تاتمر بأمر الحزب العسكرى ، فتفعل فعلها بين صفوف القوى الوطنية ، لتفجرها . وبذا ، فان هذا المفهوم للوحدة الوطنية كان ، فى حقيقة الأمر ، مفجرا لوحدة القوى الوطنية ، وممزقا لها . لقد كان المستهدف من هذا النهج ، طبقيا ، ان تتخلى كل الطبقات الوطنية عن مصالحها ، لحساب الطبقة الحاكمة التى يعبر عنها هذا الحزب . وذاك أمر مستحيل .

لقد انفرد الحزب العسكرى بالسلطة ، وبكل حقوق التعبير والتنظيم السياسى والنقابى ، واللغى الدستور والاحزاب ، ورفض الحياة الحزبية وجرمها ، واخضع كل وسائل الاعلام لسيطرته . وجعل القوانين الاستثنائية هى القاعدة ، واستخدم المعتقل والعزل السياسى والوظيفى لفرض ارادته ، ولم يترك للقوى الوطنية ، فرصة للتعبير عن ارائها الا امام المحاكم ، متهمه ، أو خلف القضبان ، سجينه .

وجاءت هبة مارس عام ١٩٥٤ تعبيرا عن رفض الجماهير لهذا المفهوم الذى يعالج به الحزب الحاكم ، أمانيتها الديمقراطية ، وارتفعت شعارات الحريات السياسية والجبهة الوطنية ، أى رفض عسكرة الحياة السياسية ،

والحزب الواحد ، مهما كان هذا الحزب وطنيا . ورفض الوصاية ، مهما كان اخلاص هؤلاء « الاوصياء » . ورد الحزب الحاكم ، على مظاهرات الجماهير الوطنية الديمقراطية ، بطريقة فريدة ، ربما تكون الاولى من نوعها في مصر . رد بشراذم من الأماقين والمأجورين ، تهتف بسقوط الحريه والديمقراطية . وكشفت مظاهرات البلطجية تلك ، أن الحزب الحاكم ، لم ينجح ، بعد عامين من وجوده في السلطة ، وبسبب مفهومه هذا ، من فرض نفسه على جماهير القوى الوطنية والتقدمية في مصر ، بالقسر والقهر ، كما فشل ، ايضا ان يكون له وجود حقيقي ومنظم في الشارع السياسي المصري .

لقد طرحت القوى الوطنية الديمقراطية ، والمؤيدة للثورة الوطنية الديمقراطية ، في الأساس ، اختيارها لشكل الحكم . ورفض الحزب العسكري الحاكم هذا الاختيار ، مصرا على اختياره هو . وشن حملة عنيفة ضد القوى الديمقراطية ، في داخله وخارجه . وغالى في تأمين نفسه ، لا عن طريق الارتباط بالجماهير والاقتراب منها ، بل بتكثيف الارهاب ، والاجهزة الأمنية ، واشاعة للخوف والتجسس وكتابة التقارير . وقبل البعض ، ممن يرفضون هذه الأوضاع ، بها ، دون قناعة أو اختيار ارادى . وظهر في مصر وباء سياسى جديد ، هو « الشيزوفرانيا » السياسية ، ان تعلن شيئا ، وتصر غير ما تعلن .

ان الخطأ الأساسى الذى وقع فيه الحزب العسكرى ، والطبقة التى يمثلها ، انهما لم يفرقا بين القوى التى ساهمت فى صنع الثورة ونجاحها ، والقوى المعادية التى احاطت بها الثورة . الكل ، ان لم يخضع للحزب ، سواسية . وأصبح الانسان الجيد فى مصر ، الوطنى فى مصر - بغض النظر عن موقفه الوطنى الحقيقى - ، هو ذلك الذى يخضع للحزب ويتلأشى فيه ، وان شكلا . لقد نظرت الطبقة الحاكمة وحزبها ، الى القوى الوطنيه الأخرى ، وخاصة اليسارية ، على أنها عوائق بينها وبين فرض سيطرتها الشمولية القسرية . على أنها منافسة لها وبديلة عنها . ووضعت الخلاف بين الطبقات والشرائح الوطنية ، فى موضع التناقض الحساد ، الذى يجب ان تحسمه لحسابها . وهى بذلك قد دفعت بنقاط الخلاف لتطغى على نقاط الاتفاق ، أى دفعت بالتناقضات الثابته بين القوى الوطنية ، لتطغى على التناقض الرئيسى ، الذى يجمع كل هذه القوى فى خندق واحد فى مواجهة القوى المعادية ، قوى الثورة المضادة . وهى ، بذلك ، قد بذرت ، ومنذ البداية ، عوامل انتكاس الثورة .

لقد سار الحزب العسكرى على خطة ، متكاملة ، ذات شقين . الشق الاول ، والذى سبق التعرض له ، قصد به ازاحة القيادات الوطنية ،



الأخرى ، والاستيلاء على جماهيرها ، واحتوائها ، واخضاعها لقيادته ، في وعاء تنظيم منفرد ، أو حزب واحد أحد . وقد أشرف عليه ، كما حدث في « الاتحاد القومي » ، واحد من قادة الثورة ، هو كمال الدين حسين ، ومعه ستة عشر ضابطا وثمانية مدنيين محيرى مكاتب ، هم في مجموعهم قلب هذا التنظيم الواحد . وكانت اللجنة التي تبت في أسماء المرشحين للمجلس التشريعي ، مجلس الأمة ، من داخل هذا الحزب أيضا ، كلها من العسكريين . ويرأسها واحد من قادة الثورة ، هو زكريا محي الدين . أي أن الحزب العسكري كان هو القوة الفاعلة والمؤثرة في توجهات وحركة التنظيم الواحد الشامل . هو الذي يمسك بالمصفاة ، التي تملك حق الاعتراض ، والفرز ، والمنع ، والمنع ، لمن هم داخل الاتحاد القومي وخارجه في صفوف الحركة الجماهيرية . مما جعل الحياة السياسية في قبضته ، ومن صياغته . وبهذا تحكم في السلطة التشريعية ، بشكلها ، كيف يشاء .

وكان الشق الثاني من الخطة ، هو الاستيلاء على معظم المراكز الرئيسية ، الحساسة والمؤثرة . أصبح جمال عبد الناصر ، رئيسا لمجلس التخطيط الأعلى ، يتولى تحديد الأهداف الاقتصادية والاجتماعية للدولة ، وقرار خطط التنمية في مراحلها المختلفة . وعبد اللطيف بغدادى ، رئيسا للجنة التخطيط القومي ، وحسن ابراهيم ، رئيسا للمؤسسة الاقتصادية . واللواء أنور الشريف ، رئيسا لإدارة التعبئة ، والتي تطورت ، حتى أصبحت الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء . وكانت لها ، لجان في مختلف الوزارات ، يمثلها عسكريون ، يتدخلون في المشاريع كافة ، والصاغ حلمي السعيد ، رئيسا لمؤسسة مصر .

وكما وضع الحزب العسكري رجاله ، من الضباط ، في الوزارة ومفاتيح التحكم في الأوضاع الاقتصادية ، وضعهم ، أيضا ، سفراء في وزارة الخارجية ، ومحافظين في مختلف المحافظات .

وكما أخضع الحزب العسكري السلطة التشريعية والتنفيذية لسلطته المنفردة ، عمدا ، أيضا ، إلى إخضاع السلطة القضائية ، بالقدر الذى يلزمه ويكمل سيطرته . إذ مورس التحقيق العسكري على المدنيين ، واستخدم السجن الحربى مكانا « آمينا » لاقامتهم ، والمحاكم العسكرية ساحة قضاء في مصيرهم .

وحتى يحقق سيطرته الفكرية وتحكمه في توجهات الراى العام ، أصدر "صحف" الجمهورية ، و « التحرير » و « المساء » و « الشعب » و « بناء الوطن » و « الثورة » و « الفجر » . وقد رأس العسكريون كل

الصحف التي اصدرتها الحكومة . كذلك ، تشكلت لهذا الغرض جمعيات غير رسمية ، مثل « جمعية الخريجين » و « رابطة اشتراكية عربية » ، و « رابطة مصر للعلوم السياسية » و « رابطة الوعي الوطنى » و « لجنة التربية الوطنية » و « رابطة دراسة الاشتراكية المعاصرة » على الصعيد النظرى (١) .

وبنتحقيق تلك الخطه ، انفرد الحزب العسكرى ، دون كل القوى الوطنية ، بل وعلى حسابها ، بكل السلطة ، وبكل الحريات السياسية ، فرض نفسه ، بالقسر ، على الحركة الجماهيرية ، وبالغزو والفتح على أجهزة الدولة وسلطاتها المختلفة . وتداخل كل شئ وتعسكر . ونشأت ، ثم ترسخت ، قاعدة سادت الحياة السياسية فى مصر ، منذ ذلك الحين . قاعدة التداخل التام ، بين الحزب والدولة . وأصبحت ظاهرة الحزب - الواحد الدولة ، أو دولة الحزب الواحد ، هى التعبير والتجسيد الحى ، لمفهوم الحزب العسكرى للوحدة الوطنية : للنوحد تحت قيادته والتسليم بانفراذه وتفرد ، ولا مكان للاختلاف ، حتى فى اطار الوحدة .

اما بالنسبة للاوضاع الخارجية ، وموقف السلطة الجديدة منها ، فان «ذا الموقف كان محكوماً بالاوضاع الداخلية ايضاً . كانت المعادلة الصعبة ، التى على البورجوازية الوطنية الحاكمة ، وحزبها العسكرى ، مواجهتها ، تتلخص فى قضيتين أساسيتين :

١ - ان هذه البورجوازية الوطنية تسعى الى تخليص السريق المحلى من سيطرة الأجنبي المستعمر .

٢ - انها تسعى لبناء مجتمع رأسمالى .

للجانب الأول من المعادلة يعنى مواجهة العالم الرأسمالى العالمى ، والجانب الثانى من المعادلة يعنى علاقات بالعالم الرأسمالى العالمى .

ان نجاحها فى مواجهة الاستعمار ، وانتزاع السوق المحلى منه ، يستلزم شل قوى الاحتلال المباشر فى الداخل ، اعتمادا على عوامل التوازن الدولى . ان هذا الشلل يتوقف على مساندة قوى التحرير العالمى ، وهى القوى التى تتناقض ، تنافضا رئيسيا ، مع الاستعمار العالمى . كما انه يتوقف ، ايضاً ، على كيفية الاستفادة من التناقضات الموجودة داخل العسكر الاستعمارى ذاته .

---

(١) المعلومات فقط ، عن « قصة ثورة ٢٣ يوليو » ، للاستاذ أحمد حمروش .



الا ان قوى التحرير العالمى تضم فى قمتها قوى الاشتراكية ، وهى قوى تلتقى مع البورجوازية الوطنية المصرية فى الهدف العام ، الا وهو ضرب القوى الاستعمارية ، الا انها تتناقض معها فى التوجه الاقتصادى والاجتماعى الخاص بها . والقوى التى يمكن أن تساندتها من داخل المعسكر الاستعمارى ، هى القوى الاستعمارية الاقوى ، انها الولايات المتحدة الأمريكية ، والتى ترحب بازاحة النفوذ الاستعمارى البريطانى ، ليس لحساب البورجوازية الوطنية المحلية ، ولكن لحسابها هى ، كى تملأ « الفراغ » . انها تعمل كى تلتقط لها القوى المحلية « الكستناء من الجمر » .

كما أن سعيها الى بناء مجتمع رأسمالى يقتضى منها النوجه ، أساسا ، الى النظام الرأسمالى العالمى ، اى العالم الغربى ، فعلاقتها بهذا العالم كعلاقة الجنين بالرحم . الا أن هذا السعى ، الذى يفرضه ضعف قدراتها الاقتصادية ، وضرورة قيام بنائها على أسس تكنولوجية وآلية حديثة ، مهلكة لمثلها الأعلى فى الغرب ، محوط بحقائق لا تحسب حسابها . اولها ، أن العالم الغربى كله ، باستثناء الولايات المتحدة الأمريكية ، يعانى فى هذه الفترة ، ظروفا عسيرة . انه عاجز عن تقديم العون الى الغير ( هذا ان رغب فى تقديم العون ! ) ، لأنه هو نفسه فى حاجة لمن يعاونه . وثانيها ، أن هذا العالم الغربى الاستعمارى يقف معسكرا واحدا فى مواجهة اى قوى وطنية محلية ، تحاول انتزاع سوقها من احد أطرافه ، ولن يقدم العون لها ، ان نجحت ، لأن ذلك يعنى ، أنه يغلق ، بيديه ، سوقا فى وجه منتجاته . كما يفاقم ازمتة ، ويهدد مصالحه « التاريخية » . وثالثها ، ان الذى يقف فى هذا العالم الغربى ، الى جانب القوى البورجوازية الوطنية المحلية انها يفعل ذلك من منطلق احتواء هذه القوى المحلية ، واعادتها الى الحظيرة الاستعمارية لحسابه هو ، فان لم يفلح ، فهناك الضغوط السياسية ، والحصار الاقتصادى ، والعدوان العسكرى ، للاخضاع او لاعادة الغزو والفتح ، و « استرداد » السوق المفقود .

أى أن العالم الاشتراكى يشكل الحليف الطبيعى للثورة المصرىة الوطنية الديمقراطية فى حركتها العامة والاستراتيجية ، ومن هنا فهو مساند من واقع طبيعة سياسته ومصالحه لأى قوى وطنية تضرب الاستعمار وتضعف نفوذه ، حيث يؤدى ذلك الى اضعاف الاستعمار ، عالميا ، ويوسع رقعة الأرض المتحررة من وجوده ، وهو هدف مشترك ، تلتقى فيه القوى الاشتراكية عالميا والقوى التحررية الوطنية عالميا ، ايضا . اما مجرى الثورة وتحولها الى علاقات انتاج اشتراكية ، فذلك أمر يحدده توازن القوى داخل كل بلد على حدة ، ومدى نضج الصراع الطبقي والاجتماعى فيه .

أما للعالم الاستعماري ، فهو العدو الطبيعي للثورة المصرية الوطنية الديمقراطية في حركتها العامة والاستراتيجية ، ومن هنا ، فهو معاد ، من واقع طبيعة سياسته ومصالحه لأي قوى وطنية ، تمس نفوذه وتضعف قوته . إلا أنه يمثل الأم الطبيعية للميراث الرأسمالي ، والدفاع عن هذا الشكل من علاقات الانتاج . وأمريكا ، التي تلبس - أحيانا - ثوب المساندة لقوى وطنية ، لن تقبل من هذه القوى أقل من التبعية والخضوع والدوران في فلكها ومخططاتها . لقد فعلت ذلك بحليفاتها الاستعمارية التقليدية . الأوروبية ، أو الآسيوية . وهي لن تقبل دون ذلك مع قوى وطنية محلية ، تتطلع إليها باعتبارها المثل الأعلى الذي تسعى لاحتذائه .

إن المعادلة للصعبة التي واجهت للبرجوازية الوطنية المصرية وحزبها العسكري ، كانت تعبيرا حقيقيا عن المأزق التاريخي لهذه الطبقة . إن العالم الذي يساندها هو العالم الذي ترفض نموذجه ، بل تعاديه ، والعالم الذي يعاديه هو العالم الذين تسعى للانتماء اليه وهو مثلها الأعلى . أي أنها ترفض العالم الذين معها ، ويرفضها العالم الذين تود أن تكون معه وجزءا من نسيجه . إلا أنها تحاول الخروج من هذا المأزق ، بما يتسق مع ، مصالحها هي ويمناها هي ، مصالحها الآنية المحدودة الضيقة ورؤيتها القصيرة المدى ، والتي لا تتجاوز تحت اقدامها ، فتتجه الى جزء من الغرب يمكن ، في صورتها ، أن يساندها ، في مواجهة الجزء الآخر . إنها بذلك تحاول أن تفرض مجراها الخاص على المجرى العام للثورة الوطنية الديمقراطية ، وبذلك تجعل مأزقها التاريخي الخاص مأزقا عاما لحركة الثورة ، على طول مداها .

إن رؤيتها للقوى الاستعمارية محصورة في الاستعمار المباشر عليها ، والذي يتحكم في سوقها المحلي . إنها ضد هذا الاستعمار ، الذي هو الاستعمار البريطاني ، إلا أنها ليست ضد الغرب عامة ، وأمريكا بوجه خاص . إنها تنجيه نحو العالم الرأسمالي ، منذ أمسكت وحزبها العسكري بالسلطة فترفع نسبة مشاركة رأس المال الأجنبي الى ٥١٪ ، بعد أن كانت ٤٩٪ . وتتجه الى الغرب من أجل تسليح الجيش الوطني المصري ، وتمويل السد العالي أهم مشروعاتها كبدية لتوفير الطاقة اللازمة للبناء الضخامي . إن هذه القوى الغربية عامة ترفض تقديم العون ، اتساقا مع مصالحها ، وإن عرضته فهو مشروط بما يعيد لها نفوذها ويخضع « للشاة الشاردة »

أن السلطة الجديدة ، ورغم كونها سلطة رأسمالية ، ارتباطها الطبيعي بالغرب الرأسمالي ، إلا أنها سلطة وطنية . إنها لا تقبل أن تكون في هذا



العالم. تابعة لأحد ، أو تعمل لحساب أحد ، أو خاضعة لسيطرة أحد .  
 انها كبورجوازية ، وطنية مصرية ، في الأساس ، تهدف الى الاستئثار  
 بالسوق المصرى خالصا لحسابها ، مستقلا عن أى نفوذ أو سيطرة . انها  
 كلما خطت خطوة ، اتجهت ، أولا ، الى عالمها الغربى ، ولكن بشروطها هى ،  
 لا شروط الآخرين . بأولوياتها هى ، لا أوليات الآخرين ، انها تو دان تظل  
 عذراء فى بيت البغايا . الا ان ذلك الموقف منها يدفع بتناقضاتها مع القوى  
 الاستعمارية الى السطح ، فيزداد ، أكثر فأكثر ويحتمد ، أكثر فأكثر ، حتى  
 يصل الى ذروته فى معركة تأميم قناة السويس ، ثم الهجوم الاستعماري  
 العالمى كله عليها . ثم يأتى عدوان عام ١٩٥٦ ، والموقف السوفيتى المناصر  
 لمصر ، والذي لعب دورا حاسما فى ردع العدوان ، والموقف الأمريكى الذى  
 عبر بصحى عن التناقضات داخل جبهة الاعداء ، ليرفع فور انتهاء المعركة  
 « مشروع ايزنهاور » ، لملء الفراغ . ونعلن للبورجوازية الوطنية المصرية  
 وحزبها العسكرى ، فى خريف ١٩٥٨ ، بعد الجلاء ، والغاء الاتفاقية المصرية -  
 البريطانية ، وتمصير البنوك والشركات الأجنبية ، أن معركتها مع الاستعمار  
 قد انتهت . وهذا الموقف منها يتسق تماما ، مع رؤيتها المحصورة بحدود  
 السوق ، وليس بحدود الحركة الوطنية والثورة المصرية فى مجراها العام .  
 انها تعلن انتهاء المعركة مع الاستعمار من جانب واحد ، هو جانبها ، لأن  
 الاستعمار ، وقد فقد واحد من أهم أسواقه ، سوف تزداد ضراوة محاولاته  
 لاسترجاع هذا السوق ، وبذا فان معركته معها لم تنته ، بعد . ومرة أخرى ،  
 تحاول البورجوازية الوطنية المصرية ، منفردة عن باقى القوى الوطنية ،  
 فرض معركتها هى على مجرى الثورة ، باعتبار انها هى وأهدافها كل  
 أهداف الثورة . ولقد كان هذا الموقف بمثابة اعلان تاريخى للداخل والخارج  
 عن الحدود التى تود البورجوازية الوطنية المصرية الا تتخطاها فى صراعها  
 مع الغرب ، أى اعلان بعزمها على تجميد النضال المعادى للاستعمار ، وهو  
 القسم الأساسى التى تجمع القوى الوطنية المصرية فى الداخل ، لاستمرار  
 الثورة حتى التحرير الكامل للأرض والانسان .

ويتواكب الموقف من الشرق الاشتراكى ، عكسيا ، مع موقفها من  
 الغرب الرأسمالى الاستعماري . انها تبدأ معه بالحذر والتوجس ، الناتج  
 عن طبيعة موقفها الطبقي الطامح الى بناء رأسمالى ، والناتج ، أيضا ،  
 عن الفكريات التاريخية التى تسيطر على غالبية حزبها العسكرى وقيادته .  
 على وجه الخصوص ، فكريات العداء للشيعوية ، والتى استقتها من ارتباطاتها  
 السابقة على تكوين هذا الحزب ، من مصادر الاخوان المسلمين ، أو النظرة  
 القاصرة فى التعامل مع المانيا النازية لتحرير مصر من الاستعمارية البريطانية .  
 الا أن تصاعد تناقضاتها مع القوى الاستعمارية يدفعها للتعامل مع المعسكر  
 الاشتراكى ، توظيفا للتناقض الرئيسى بينه وبين المعسكر الاستعماري

لحسابها • وتبدأ الخطوة الأولى بتسليح الجيش المصرى ، ثم الموقف المساند للجاسم ، اثناء العدوان ، ثم بناء السد العالى •

ان للبورجوازية الوطنية ذات طبيعة مزدوجة : انها تهدف الى الاستقلال بالسوق من الاستعمار ، والانفراد به لحسابها على حساب الشعب ، أى عليها أن تواجه الاستعمار حيناً ، والشعب حيناً آخر • وهى ساعة تتعرض للضغوط الشعبية تهاذن الاستعمار ، وساعة تتعرض للضغوط الاستعمارية تستثير وطنية الشعب ضده • أى انها تحاول استخدام كل طرف من هذه الأطراف ، فى مواجهة الطرف الآخر ، حفاظاً على مواقعها هى ، وأسلابها هى • الا أن هذا الوضع يفرض عليها تنازلات لمن تهاذته • ولما كانت غير راغبة فى هذه التنازلات ، وخاصة بالنسبة للحركة الجماهيرية ، التى تهدد ، مباشرة ، انفرادها « بمغانم » السوق المحلى ، فانها تجد فى العلاقة المتكافئة بالمعسكر الاشتراكى سنداً لها ، فى مواجهة القوى الاستعمارية ، بحيلة عن الشعب المصرى ، كما تجد فى تعميق أسلوبها الديكتاتورى القمى وسيلة لمواجهة الضغوط الشعبية •

وهى بهذا تتصور أنها قد خرجت من مأزقها ، فهى تبنى الرأسمالية بمعاونة الاشتراكية ، وتحمى بناءها الرأسمالى من حركة الجماهير بالاحكام العرفية والسجون والمعتقلات والافتراء بالحياة السياسية وكل الحريات الديمقراطية • الا أن هذا المخرج يوقعها فى مأزق آخر • ان الاشتراكية لا تدعم البناء للرأسمالى ، بالمعنى المطلق أو المجرى ، ولكنها تدعم البناء الاقتصادى والصناعى المستقل عن النفوذ الاستعمارى ، والذى يتم على حسابه • ان البناء الوطنى المستقل فى مواجهة الاستعمار يعنى دعم الحركة الوطنية ، وتقديم النموذج الحى لمن هم اصدقاء الشعب ومن هم أعداؤه ، على النطاق الدولى • ان الاستعمار يعتدى ، والعالم الاشتراكى يساند ويدعم • الاستعمار ينهب الشعب واثرواته ، والعالم الاشتراكى يبنى مع الشعب مستقبله ويضيف الى قدراته • الاستعمار يسعى الى اعادة الشعب الى التبعية ، والعالم الاشتراكى يتعامل مع الشعب فى ندبة ، ويقف الى جواره ، تأكيداً لحريته واستقلاله • ان كل ذلك لا بد وأن تكون له آثاره العميقة بين الجماهير • انه يضع كلا النظامين العالميين موضع الاختبار العملى ، فيفضح الاستعمار وما يمثله من تطور رأسمالى يقف هو على قمته • ويجسم الاختيار الجماهيرى الى جانب الاشتراكية باعتبارها النظام الذى تقوم الدول السائرة على دريه بتقديم العون الأخوى والمساندة غير المشروطة للشعوب المقهورة والتي تتعرض لعدوان الاستعماريين ومطاميرهم • ونتيجة ذلك دعم الاتجاه الاشتراكى داخل مصر ، أى دعم النقيض الاجتماعى للبورجوازية الوطنية وطموحاتها الرأسمالية •



ان البورجوازية الوطنية تعمل في مواجهة هذا المأزق ، على أن يقتصر  
عائد المساندة الاشتراكية على نموها هي ومصالحها هي ، لا على المجرى  
العام للثورة الوطنية في مصر . وهي تحاول أن تحطم كل قانون طبيعي  
بقوانينها المفتعلة . ان النموذج الاشتراكي يطرح البديل الطبيعي للقادر على  
حل مشاكل الشعب المصري وإخراجه من خندق المأزق . الا ان البورجوازية  
الوطنية تصر على فرض مأزقها على حركة الثورة في مجملها وهي في سبيل  
ذلك ، تملأ البلاد طولا وعرضا بالشائعات المضادة للسوفيت والمعسكر  
الاشتراكي حتى تبطل الاثر الايجابي لمواقف هذا المعسكر من حركة الثورة  
عامة . وتشدد في نفس الوقت من قبضتها على الحركة الجماهيرية عنامة  
والهجوم على الشيوعيين والشيوعية خاصة بغرض ضرب القوى الاشتراكية  
الحقيقية والتي يمكن أن تستفيد سياسيا وجماهيريا من تأثير النمط  
الاشتراكي العالمي باتساع التعاطف الجماهيري المحلي معه . وتعتمد  
البورجوازية الوطنية وحزبها للمعسكر الحاكم في ذات الوقت ، الى تنفيذ  
بعض الاصلاحات الاجتماعية التي تستهدف سحب البساط من تحت  
الاشتراكيين الحقيقيين في الوقت الذي تقوم فيه بسجنهم واعتقالهم  
وتشريدهم . وخداع الجماهير بالشبابه الشكلي بين ما كانوا يطالبون به  
وما تنفذه بالفعل ، والخلاف العميق في الممارسة والتطبيق والذي يحدد الى  
من ترجع عوائد تلك الاجراءات . وتنهج نفس الاسلوب الذي اتبعته عندما  
ضربت القوى الوطنية المختلفة وسعت للاستيلاء على جماهيرها ، فترتدى  
هي مسوح الاشتراكية بهدف سد الطريق امام الاشتراكية الحقيقية ،  
وتقديم اعلان زائف بتحقيق اشتراكية تعاونية او ما شابهها من المسميات  
المضللة .

ويضعها هذا الحل الذي تنهجه للخروج من مأزقها الى الوقوع في مأزق  
جديد . ان علاقتها بالمعسكر الاشتراكي وزعمها الاشتراكية يزيد من صعوبة  
موقفها مع القوى الغربية ، كما انه يثير المخاوف في شرائح من الطبقة  
ذاتها ، فيزداد احتجامها عن استثمار اموالها بينما يزداد توجهها الى التعامل  
مع الغرب دون اعتبار للثمن ، كما ان هجوم الحزب العسكري الحاكم باسم  
الاشتراكية على الحركة الجماهيرية والقوى الديمقراطية والتقدمية المحلية ،  
ثم العربية فيما بعد . يعرض الدول الاشتراكية التي تدعمه وتسانده للهجوم  
من كل القوى الديمقراطية والتقدمية عالميا باعتبار أن هذه الدول الاشتراكية  
تساند وتدعم نظاما ارجائيا يضرب القوى الديمقراطية مستندا الى الاشتراكية  
العالمية ، مما يخرج هذه الدول الاشتراكية .

وبذا فان هذه الطبقة الانانية تحاول حصار الثورة المحلية والعربية في  
اطار مصالحها هي ، فقط ، فتدفع بالتناقضات الثانوية مع طوائفها خلال

هذه المرحلة الى مرتبة التناقضات الرئيسية ، وتعكس مأزقها الخاص على حركة التحرير كلها ، فتثير البلبلة وخطط الاوراق كلها . انها طبقة ليست في زمان انتصارها الكلى وازدهارها ونموها الطبيعي ، انها جاءت لتقود منفردة ، في زمن غير زمانها ، بل جاءت في زمن مأزقها ، وهي تحاول جاهدة حلا لمأزقها أن تجعله مأزق حركة الثورة كلها .

ان الظروف العالمية والمحلية كانت مواتية لغيرها من الطبقات ، الا ان تلك الطبقات وخاصة العمال والفلاحين لم تكن لديها القيادة القادرة على الاستيلاء على السلطة . كان الشيوعيون رغم دورهم الهام ، منقسمين مما اضعف دورهم كطليعة . كما ان الحزب القادر على قيادة الثورة الجماهيرية والاستمرار بها واحداث تغيير جذري بالمجتمع يجب ان يكون حزبا عميق الجذور والارتباطات بقواته وطفائه من عمال وفلاحين ، اذ لا يكفي هنا القدرة على الحركة واحداث الضجة ، اذ ان تلك من سمات الاحزاب البورجوازية اساسا . كذلك لا يكفي ان يكون هذا الحزب ممثلا لنظرية ثورية ، اذ لا قيمة للنظرية الثورية بدون تطبيقات ثورية لهذه النظرية على الواقع المحلى . كما ان تلك القيادة كانت معرضة لعنليات متصلة من المطاردة والاضطهاد ؛ لكل تلك الاسباب لم تتمكن تلك القيادة من توظيف الظروف المحلية والعالمية المواتية . وتمكنت البورجوازية الوطنية بحزبها العسكرى ، ولظرومه الخاصة ، من الاستفادة بهذه الظروف . وبدا جاءت تلك الطبقة الى الحكم ، في غير زمانها ، وانفردت بمكان الصدارة ، وهو ليس بمكانها .

ان الظروف الموضوعية المحلية والعالمية ، والذاتية الخاصة بطبيعة الطبقة وخصوصية حزبها ، قد لعبت الدور الاساسى في سيادة المنهج اللاديمقراطى فى الحكم . وبدلا من ان يقال ، كما قيل ، ان تلك للظروف ، قد جعلت تلك الطبقة محكوم عليها بالوطنية ، فاقول الحق ، انه رغم وطنية هذه الطبقة ، فانها بقيادة حزبها العسكرى ، كان محكوما عليها بانتهاج سياسة ديكتاتورية .

\*\*\*



# الفصل الثاني

على مشارف عام ١٩٥٨

ويجىء عام ١٩٥٨ ، والنضال الشعبى الذى لم يتوقف - رغم كل القيود - مع وجود سلطة وطنية ، قد حقق ، منذ جاءت ثورة ٢٣ يوليو :  
( ١ ) ازالة السلطة القديمة وتولى البورجوازية الوطنية السلطة ،  
وهى الخطوة الأولى والضرورية لفتح الطريق أمام انطلاق الثورة الوطنية ،  
كما تم إلغاء الملكية وإعلان الجمهورية .

(ب) تنفيذ الإصلاح الزراعى الأول ، وهو أحد الخطوات الهامة لتوسيع رقعة السوق المحلى ، وإدخال قوى جديدة ، ذات قدرة شرائية تمكنها من المساهمة فى امتصاص السلع المحلية المنتجة ، أو المزمع إنتاجها . كما أن هذه الخطوة تضرب الركائز الاقتصادية ، لأحد مكونات السلطة القديمة ، وتكسب الفلاحين المستفيدين من الإصلاح الزراعى ، والآملين فى تغيير تلك الأوضاع ، كركيزة سياسية للسلطة الجديدة .

(ج) الصدام مع القوى الاستعمارية حول تسليح الجيش المصرى ، كجيش وطنى حديث ، ثم تفاقم الصدامات حول الإحلاف العسكرية ، والقواعد العسكرية ، والموقف فى باندونج ، والتعامل مع المعسكر الاشتراكى ، وانتهاء سياسة الحياد الإيجابى .

( د ) الاتجاه الى بناء السد العالى ، باعتباره - فى الأساس - مصدرا للطاقة ، والقوى المحركة ، لما هو مزمع إقامته من بناء صناعى وطنى .

( هـ ) تصاعد الصدام مع القوى الاستعمارية ليلبغ ذروته فى تأميم قناة السويس ، ثم العدوان على مصر وصمودها شعبا وحكومة ، والإنسحاب الاستعمارى ، وإلغاء المعاهدة المصرية - البريطانية .

(و) اجراءات تمصير الشركات والبنوك الاستعمارية .

ان كل تلك الانتصارات ، تعتبر خطى هامة على طريق الثبوتية الوطنية . انها تعطى القوى الوطنية مواقع افضل فى صراعها ضد عدوها الرئيسى الا وهو الاستعمار . وبالتالي يفترض فيها ، ان تشكل عوامل دافع الى مراكز أخرى أكثر تقدما فى البناء الاقتصادى المستقل والتطور الاجتماعى

والديمقراطية ، مما يحقق توحيد الصفوف ، والاستمرار بالثورة لاستكمالها ،  
الا ان للبورجوازية الوطنية الحاكمة رأت فيها انجز ، تحقيقا لمصالحها  
الاساسية . فقد :

١ - تحقق لها استخلاص السوق المصرى ، الى حد كبير ، من قبضة  
المستعمر الأجنبى .

٢ - اتسعت رقعة السوق عما كان عليه .

٣ - بدأت فى الاعداد لتوفير مصدر للطاقة اللازمة لبنائها الصناعى .

٤ - توفرت لها بعض مصادر التمويل الداخلى والخارجى .

وهي بانفرادها بالسلطة تسعى الى الاتفراد ايضا بكل المكاسب ،  
دون باقى الطبقات . ويكشف هذا ، عن أن محور صراعها ، كان نضالا  
من أجل « حقها » فى الاستغلال ، لا حق الشعب فى الاستقلال التام ،  
وتقرير مصيره ومسار ثورته .

انها الآن ، وفى حدود رؤيتها القاصرة ، ترى أن الخطر الخارجى قد  
غدا بعيدا . وأن الخطر الداخلى هو الذى يطرح نفسه فى مواجهتها . خطر  
الحركة الجماهيرية ، الرافضة لاستبدال السيد الاجنبى ، بسيد مصرى .

ويتزامن مع هذا الوضع اعلان تكوين الحزب الشيوعى المصرى  
للاول فى اوائل عام ١٩٥٨ ، مما يجسد اهمها ، مخاطر البديل ، ووجود  
قائد آخر ، فى ساحة النضال الوطنى ، يتبنى مطالب الجماهير والدفاع  
عنها ، والاستمرار بالثورة .

كان تكوين الحزب الشيوعى المصرى ، واحدا من أعظم انتصارات  
الطبقة العاملة المصرية . ان هذا التأسيس لم يأت من فراغ ، ولكنه  
كان محصلة نضالات طويلة وتضحيات جسيمة .

فالشيوعيون المصريون ، وهم نبت اصيل لتربة النضال المصرى  
الوطنى والاجتماعى ، لهم وجسودهم فى ارض الواقع المصرى منذ  
العشرينيات . الا ان ما يهم فى هذا المجال ، هو ذلك الوجود والفعل والفكر  
الذى حملوه وناضلوا من أجله فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، أى منذ  
الاربعينيات .

ان الشيوعيين المصريين هم الذين رفعوا ، في مجال القضية الوطنية ، شعار الجلاء بالدماء ، في الوقت الذي كان يسود فيه المنهج البورجوازي .  
لحل القضية الوطنية ، بالتفاوض قبل الجلاء او بعده . جاء شعار الجلاء بالدماء ، في مواجهة قوات الاحتلال ، دعوة واضحة للمقاومة الشعبية ، والنضال حتى القتال .

كما ربط الشيوعيون المصريون ، ربطا تاما ، بين الوجود العسكري الاستعماري ، ووجوده الاقتصادي . ومن هنا حددوا ، ان الجلاء العسكري . في ذاته ، لا يحقق الاستقلال الحقيقي . ولذا رفعوا شعارات تأميم الممتلكات الاستعمارية ومصادرتها لحساب الشعب ، تطبيقا لمبدأ اعاده الحق المنهوب الى صاحبه الأصلي .

وهم الذين قالوا بان قضية التحرر الوطني ، تستلزم التحرر ايضا من الطبقات التي ارتبطت بالاستعمار ومصالحه ، وشكلت القاعدة والواجهة التي اعتمد عليها الاستعمار في فرض نفوذه على البلاد ومن هنا رفعوا شعار ، اسقاط الملكية ، وعلان الجمهورية ، وضرورة ضرب السيادة القديمة واستبدالها بسلطة الشعب الوطنية الديمقراطية .

وهم الذين قالوا ايضا بان قضية التحرير الوطني ، قضية تخص كل القوي والطبقات الوطنية المعادية للاستعمار ، على أساس من مصالحها الاقتصادية ودورها الاجتماعي ، وهي العمال والفلاحون والمثقفون الثوريون والبورجوازية الصغيرة ، والوطنية . وطرحوا ، ايضا ، الشكل الذي يحقق وحده هذه القوى في جبهة وطنية ديمقراطية . وكانت اللجنة الوطنية للطلبة والعمال عام ١٩٤٦ واحدا من انجح تلك الاشكال واهمها . وهي التي نظمت وقادت النضال الوطني المصري في فترة من أصعب الفترات ، اثر الحرب العالمية الثانية . وهي التي اعدت وقادت يوم ٢١ فبراير ١٩٤٦ ، في القاهرة ، والذي دارت خلاله معركة بين المصريين والمستعمرين على ارض ميدان الاسماعيلية ( التحرير فيما بعد ) ، والذي رحلت على اثره قوات الاحتلال من العواصم والمدن المصرية الى قتال السويس . وهو الذي غدا اليوم العيد العالمي للطلاب .

وهم الذين قالوا ايضا ، بان حركة التحرير في مصر جزء لا يتجزأ من حركة التحرير العربي ، وهم في مقابل شعارات البورجوازية عن « نيل واحد وملك واحد » بالنسبة للقضية السودانية ، رفعوا شعارات « للنضال المشترك ضد العدو المشترك » و « حق تقرير المصير للشعب »



السوداني ، • وهم الذين رفعوا - على النطاق العربي العام - في وجه  
الدعوى الاستعمارية والرجعية عن الدفاع المشترك والحلف الاسلامي  
والهلال الخصيب وحلف بغداد ، شعاراتهم ضد الاحلاف العسكرية  
والقواعد الأجنبية •

وهم الذين قالوا بان حركة التحرير في مصر جزء لا يتجزأ من حركة  
التحرير العالمية المعادية للاستعمار • ومن هنا رفعوا شعارات التضامن  
مع الشعوب المناضلة من اجل حريتها والتضامن مع المعسكر الاشتراكي ،  
لموقفه المناصر لتحرير الشعوب ، وضرورة الاعتراف المتبادل مع بلدان  
هذا المعسكر •

وهم الذين ناضلوا من اجل السلام العالمي ، في مواجهة الحروب  
الاستعمارية والعدوانية ، ومع الحروب التحريرية ، فالسلام لا يسود  
الا بالقضاء على مصدر الحروب ، الا وهي القوى الاستعمارية • ومن اجل  
ذلك لعبوا دورا بارزا واساسيا في تكوين اللجنة القومية المصرية لانصار  
السلام ، كي تكون الوعاء الجبهوي الذي يضم كل القوى المناهضة  
للحرب ، العدوانية ، بغض النظر عن ارضيتها الاجتماعية او العقائدية •

وهم ، بكل ما سبق ، قد وضعوا منهاجا متكاملًا ، لمواجهة الاستعمار  
وعملائه : تحديد جبهة العدو ، تحديد جبهة الحلفاء ، وتحديد الهدف  
والوسيلة • ولم يكن هنالك ، على ارضية الواقع المصري ، حزب واحد  
يمثل مثل هذه الرؤية المحددة ، والصحيحة ايضا ، كما اثبتت الاحداث  
فيما بعد •

والشيوعيون المصريون هم للذين اعطوا للقضية الوطنية المصرية ،  
ابعادها الاقتصادية والاجتماعية والديمقراطية • ان تحرير الوطن ، لا يعني  
ابدا تحرير ارادة فئة او طبقة وطنية واحدة ، على حساب ارادة ومصالح  
باقي الطبقات • فالمواطن المصري ، وهو يناضل من اجل الاستقلال  
الوطني ، ويضحى في سبيل ذلك بحياته ، لا يقدم هذه التضحية هدبة  
او قربانا لمستغلين وقاهرين جدد ، من بني جلته • انه يقدم هذه التضحية  
ثمنا لمستقبل افضل ، من حاضره وماضيه ، لابنائهم وأحفاده ، او بمعنى  
عام للاجيال القادمة • ومن هنا فان الوطن لا يكون مجررا بالفجس ،  
الا اذا تحررت ارادة كل الوطنيين وتحققت مصالحهم •

والحقيقة ان هذا البعد ، الذي تقدمه الشيوعيون ، للقضية الوطنية ،  
هو الذي جعل الطبقات البورجوازية ، بما فيها البورجوازية الوطنية ، تنظر

بعين الخوف والعداء الى الشيوعيين . ولذا فان الموقف من الشيوعية والشيوعيين ، كان في حقيقته وجوهرة ، موقفا من حقوق الشعب . ان البورجوازية الوطنية ، وهي تسعى الى كسب الجماهير ، الى صفها ، وتحت قيادتها ، تحقيقا لمصالحها هي ، لم يكن في وسعها ان تفصح عن نفسها وتفضح أهدافها ، وتكشف عن أن عداءها للشيوعيين ، إنما يصدر عن موقفها منهم ، لدفاعهم عن حقوق الشعب ، كان عليها أن تلجأ الى أسلوب الاستعمار نفسه ، فتستعير منه ، كل قاذرواته ومزاعمه الكاذبة عن حماية الدين والاخلاق ، بغرض تضليل الجماهير وعزلها عن القيادة الأميئة على مصالحها ، لكسبها وراءها هي ، لحسابها الخاص .

ان الطابع السائد ، لنضال تلك المرحلة ، كان هو طابع النضال الوطني . الا أن ذلك لم يجعل الشيوعيين يغفلون عن دورهم الطبقي المتميز . أي دور الدفاع عن حقوق الكادحين والمضطهدين . ان الطبقات والقوى الوطنية التي تواجه الاستعمار ، تتحد معا في قضية تخليص الوطن منه ، الا انها تختلف فيما بينها - طبقا لحدود مصالحها - حول نتائج هذا الاستقلال ، وعلى من يعود . ان وجود ممثلي البورجوازية الوطنية الى جانب ممثلي العمال في الجبهة الوطنية ، لا يعنى تنسازل ايا منهم عن مصالحه ، كما لا يعنى أن التناقضات التي فيما بينهم قد تم تصفيتا ، ولكنه يعنى ، انهم أمام الخطر الواحد ، خطر الاستعمار ، الذي يقهرهم ، يعالجون التناقضات فيما بينهم ، في اطار خط الوحدة ، أي أن الجبهة الوطنية محكومة بخط الوحدة والصراع .

وطبقا لذلك فانهم ، في الوقت الذي دعوا فيه الى وحدة كل للطبقات الوطنية ، وقفوا يدافعون عن حقوق العمال والكادحين المضطهدين . فناصرلوا من أجل توحيد الطبقة العاملة في منظماتها النقابية الديمقراطية ، ورفعوا شعارات استقلالية الحركة العمالية ، وحققها في تكوين نقاباتها واتحاداتها واتحادها العام . وقادوا المعارك من أجل تحسين شروط العمل وظروفه ، ورفعوا مطالب تحديد ساعات العمل ، والحد الأدنى للأجر والمعاشات والتأمينات على العجز والشيخوخة والاجازات مدفوعة الأجر .

وهم الذين خاضوا بعض المعارك دفاعا عن حقوق الفلاحين في مواجهة قبضة كبار الملاك العائلية ، وطالبوا بضرب هذه الطبقة ، ورفعوا شعار الأرض لمن يفلحها ، من فقراء الفلاحين والمعدمين .

ووضعوا البرامج لرفع مستوى الجماهير الكادحة بصورة عامة ، وطالبوا بمجانية التعليم والعلاج وهم الذين طالبوا بمساواة المرأة بالرجل

في الحقوق السياسية والاقتصادية ، باعتبار ان المرأة نصف المجتمع .

وهم الذين وضعوا برنامجا للحقوق الديمقراطية والحريات السياسية ، كإلغاء الأحكام العرفية ، وحق الترشيح والانتخاب لكل المواطنين دون قيد أو عائق ، والاقتراع السري المباشر . وطالبوا بحرية التعبير والتنظيم والاجتماع والتظاهر والاضراب . حرية تكوين الأحزاب الوطنية ، بما فيها الحزب الشيوعي .

وقدموا في مجال الثقافة والفن مدرسة جديدة ، شجعت اليها خيرة المثقفين المصريين . وأصبح للقصة والقصيدة والمسرحية والفنون التشكيلية دورها في معركة الشعب . وأصدروا الصحف والمجلات الوطنية ، وأقاموا النوادي الثقافية والتعليمية .

. لقد كان للشبوعيين المصريين ، في تلك الفترة الحافلة بالمعارك الوطنية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، السابقة على ٢٣ يوليو ، طرح جديد على الواقع المصري ، فيما يختص بقضية المرحلة التي تمر بها الثورة المصرية . كان لهم برنامج استراتيجي يغطي المرحلة كلها ، أي يضع الخطوط العامة لاستكمال الثورة الوطنية الديمقراطية ، وأسس الانتقال الى الاشتراكية . وبرنامج تكتيكية ، تعالج الفترات المختلفة ، داخل المرحلة ، وصولا الى الاستراتيجية .

وهم قد عانوا ، من أجل ذلك ، كل صنوف العنت والتعذيب والاضطهاد والسجن والاعتقال والمطاردة .

كان للشبوعيين ، هذا السجل الحافل بالفكر والنهج والبرامج والشعارات والنضالات ، الا ان ما كان يضعف للشبوعيين المصريين ، ولا يجعل لفطهم نفس قوة أفكارهم ، هو وضعهم الانقسامي . ان لهذا الوضع الانقسامي ظروف خاصة ، بعضها تاريخي مرتبط بالنشأة ، وبعضها ذاتي ، مرتبط بالطابع الغالب على عضويتها . ودون الدخول في هذه القضية ، بصورة تفصيلية ، فان الانقسامية كانت أحد العوامل الأساسية التي تحد من انطلاقهم ، كما يجب ، والقيام بدورهم ، كما يجب . اذ استهلك هذا الانقسام من جهودهم الكثير ، في صراعات داخلية ، أو صراعات عقائدية ، فيما بينهم . وكان الانقسام بين صفوفهم ، يشكل رصيذا ، جيدا ، للقوى المتناقضة معهم ، ثانويا أو رئيسيا ، استفادت منه تمام الاستفادة . وعندما قامت ثورة ٢٣ يوليو ، اشتد الخلاف ، فيما بينهم ، حول تقييمها ، وبالتالي الموقف منها . فالبعض أيدها والبعض



عارضها . ومنذ تلك اللحظة ، احتل الموقف من ٢٣ يوليو ، مكانا بارزا بين صفوف الشيوعيين . وغسدا محورا لتحليلات وتفسيرات ، تلتقى أو تتعارض ، تؤثر بالاجاب أو السلب على وحدتها .

.. وفي عام ١٩٥٤ وخاصة بعد هبة مارس ، تقتارب مواقف المنظمات الشيوعية المصرية المختلفة . وتتلاحق ضربات النظام لكل هذه المنظمات ، ويتصاعد النضال من أجل وحدة الحركة الشيوعية مع تصاعد النضال الوطنى الديمقراطى الجماهيرى . ويطرح الكساد الاساسى للحركة الشيوعية ، قضية الوحدة فى صلابة واصرار . وتدخل هذه المعركة فى حيز التنفيذ ، اذ تبدأ بخمس منظمات هى : الحركة الديمقراطية للحرز الوطنى ( حدثو ) ، طليعة الشيوعيين المصريين ، النجم الأحمر ، نواة الحزب الشيوعى والتيار الثورى ( ت . ث . حدثو ) . وتنتهى تلك المعركة فى فبراير ١٩٥٥ ، بوحدة هذه المنظمات وعلان تكوين الحزب الشيوعى المصرى الموحد .

ويأتى العدوان الاستعمارى الصهيونى عام ١٩٥٦ ، وتقف الحركة الشيوعية المصرية فى مجملها ، صفا واحدا مع باقى القوى الوطنية فى مواجهة هذا الغزو . ويلعب الحزب الشيوعى المصرى الموحد دورا بارزا ، هاما واساسيا فى تشكيل الجبهة الوطنية مع الحزب الحاكم ، فى قلب الأرض المحتلة فى بورسعيد . ويحرز خط الوحدة بين الشيوعيين انتصارا آخر ، اذ يتوحد الحزب الشيوعى المصرى الموحد ، مع الحزب الشيوعى المصرى ( الراية ) ، ويعلن تكوين الحزب الشيوعى المصرى المتحد فى سبتمبر عام ١٩٥٦ . وتأتى انتخابات عام ١٩٥٧ ، ويخوض الشيوعيون المصريون هذه المعركة ، يطرحون برامجهم على الجماهير ، ويحرزون انتصارا حقيقيا ، منها ، حولهم . الا ان الاتحاد القومى ، يسارع باستخدام « حقه » فى الاعتراض عليهم جميعا ، على وجسه التقريب ، وحرمانهم من حق الترشيح . ويتصاعد خط الوحدة بين الشيوعيين ، محققا أهم انتصار تاريخى له ، اذ يتحد الحزب الشيوعى المصرى المتحد مع الحزب الشيوعى للعالم والفلاحين ( ع . ف ) ، ويعلن فى الثامن من يناير عام الف وتسعمائة وثمانية وخمسين تكوين الحزب الشيوعى المصرى . ذلك الحزب الذى ضم الغالبية الساحقة للحركة الشيوعية ، اذ ظلت خارج اطاره منظمتان ، محدودتا النفوذ الجماهيرى ، هما الطليعة الشيوعية ( ط . ش ) ، ووحدة الشيوعيين ( و . ش ) .

وبذا توحدت قيادة الطبقة العاملة وطيعتها ، على نحو لم يسبق له مثيل ، منذ عادت الحركة الشيوعية المصرية الى الظهور ، فى جيلها

الثانى ؛ فى الاربعينيات . وكان ذلك الحدث التاريخى انتصارا ضخما للطبقة العاملة المصرية ، وانجازا من أروع انجازاتها فى 'تاريخ الثورة المصرية' .

ان على هذه الوحدة - من زاوية المنهج الماركسى - مآخذ عدة ، بل ومبدئية أيضا ، سوف تظهر فيما بعد . الا أن الوحدة ، امام البورجوازية الحاكمة وللشعب المصرى ، قد حققت تكوين الحزب الواحد للشيوعيين المصريين ، الجامع لهم كلمة وتنظيما .

والخلاصة ، أن عام ١٩٥٨ يبدأ ، فى الواقع المصرى ، بحزبين أساسيين . الحزب العسكرى الحاكم ، حزب البورجوازية الوطنية المصرية . والحزب الشيوعى المصرى ، حزب الطبقة العاملة المصرية والمدافع عن حقوق كل الجماهير الكادحة .

\*\*\*

## الفصل الثالث

### كيف تطورت الأمور عام ١٩٥٨ ؟

كان عام ١٩٥٨ ، هو عام الموقف الدقيق ، عام مفترق الطرق ، كان هنالك طريقان ، طريق يقول ان ما كسبته مصر ، في معركة التحرير عظيم ، الا ان الخطر الذى يحيط به عظيم ، ايضا . فالاستعمار الذى فقد السوق المصرى ، الى حد كبير ، سوف يقاتل لاسترداده بكل السبل ، بل وان جنونه سوف يزداد كلما احس الاخفاق ، وتأكد ضياع السوق منه . وأن السبيل الى مواجهة ذلك ، هو وحدة كل القوى الوطنية ، في جبهة وطنية ديمقراطية ، بمرادة حرة متساوية ، يحكمها منهج الوحدة والصراع . كان ذلك هو الطريق الذى طرحه الحزب الشيوعى المصرى ، وكل القوى الوطنية الديمقراطية والتقدمية .

وكان الطريق الآخر يقوم على أساس ان السوق المصرية قد خرجت من قبضة الاستعمار ، الى قبضة البورجوازية الوطنية المصرية ، وان افراد البورجوازية الوطنية الحاكمة بالسوق واستغلاله لحسابها ، يواجه خطرا آخر هو الذى يحتل الآن المقدمة ، خطر الطبقات العمالية والشعبية الكادحة التى سيقع عليها هذا الاستغلال ، وبالتالى خطر الحزب الشيوعى المصرى الذى يتصدى للدفاع عن مصالح وحقوق هذه الطبقات .

كان الطريق الأول يعنى ان التناقض الرئيسى ما زال بين مجمل القوى الوطنية والاستعمار العالمى ، وكان الطريق الثانى يعنى ان التناقض الرئيسى لم يعد مع الاستعمار كقوى خارجية ، انما انتقل الى الداخل ، ما بين البورجوازية الوطنية الحاكمة والطبقة العاملة ، وكل الطبقات الشعبية والكادحة . ومن هنا ارتفع شعار ، انتهاء المعركة مع الاستعمار ، وبدايتها مع اليسار . وارتفعت ، عاليا ، راية العداء للشيوعية . واستعارت البورجوازية الحاكمة ، من الاستعمار ، كل ما فى قاموسه من أكاذيب . لقد اخطى السوق من الاستعمار بعانة اليسار ، واليوم يجب أن يخلى السوق من اليسار بمساعدة كل اساليب ووسائل الاستعمار ، بل وبالتنسيق معه .

يقول الدكتور فؤاد مرسى : « كانت معركة ، انتهاء المعركة مع الاستعمار وبدايتها مع اليسار ، معركة ترتب لها أمريكا بالذات . ومن هنا جاءت زيارة راونترى ، نائب وزير الخارجية الأمريكى ، الى مصر . وهى زيارة ذات دلالة خاصة . لأنها بنيت على أساس مناقشة



عبد الناصر ، والنظام المصري ، في طبيعة الثورة المصرية ، ومستقبلها ، ودور الثورة المصرية في المنطقة العربية . ولقد تناولت الزيارة نقطتين ، الأولى . نهنئكم على نجاحكم في المعركة الوطنية ضد الاستعمار . لقد كسبتم معركة النضال الوطني ، وتحررت مصر نهائيا من الاستعمار . لقد انتهت المعركة مع الاستعمار ، وبدأت المعركة الداخلية بين الطبقات ، وعليكم ان تنبهوا لهذا ، لأن هذه المعركة الطبقيّة ، هي التي يمكن للشيوعيين ان يضربوكم فيها . والنقطة الثانية هي : دور النظام داخل المنطقة العربية . وهنا كان التركيز على الخطر الشيوعي متمثلا في اوضاع سوريا ، وفي النظام العراقي . وأن دور النظام المصري يمكن أن يكون دورا مانعا للمد الشيوعي في المنطقة العربية . هذه النظرية التي وضعت مع روانتري ، هي التي جاءت في خطاب بورسعيد . خطاب جمال عبد الناصر يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٥٨ . وللتحضير لهذا الخطاب ، تم القيام بحملة اعلامية ، منظمة ودقيقة ، كانت من أبرع الحملات التي نمت . فالى جانب الحملة الموجهة الى النظام العراقي ، والى دور الشيوعيين هناك ، تم التركيز على فكرة أساسية ، هي دور الشيوعيين في مصر . وتصنعت لهذه الحملة ، دفاعا عنها ، وتاصيلها ، أقلام سياسية ، في مقمّتها : يوسف الدريس ، أحمد بهاء الدين ، محمد عودة وغيرهم . ثم جاء هيك ، بعد الخطبة ، ليترجمها الى معانيها ، (١) .

وفي مدينة بورسعيد ، التي ناضل الشيوعيون بين جماهيرها ، ضد قوات الغزو والعدوان ، وقف عبد الناصر ، في عيد النصر ، ليعلم الحرب على الشيوعية ، متهما الشيوعيين بالعمالة والخيانة . الا ان هذا الاعلان سبقته مناقشات عديدة ، تدور في مجملها ، حول قضية الوحدة : الوحدة العربية ، والوحدة الداخلية .

### قضية الوحدة العربية :

ان الوحدة العربية ليست مجرد هدف مطلق في ذاته . انها تجسيد للوحدة العربية المتحررة ، يجري انجازها طبقا لتطورات محددة ، وبالشكل الذي يخدم هذه القضية ، ويدفع بها الى الامام . اذ ان شعار الوحدة العربية ، لم يكن ، فقط ، شعار القوى الوطنية والتقدمية ، لكنه كان ، ايضا ، شعار القوى الرجعية ، ترفعه من اجل تحقيق وحدات مشبوهة ، تخضع مشاريع استعمارية في المنطقة .

ولقد اثرت قضية الوحدة المصرية - السورية ، اثر حشود تركية ، على الحدود السورية ، بتحريض من القوى الاستعمارية ، وخاصة

(١) لقاء شخصي معه في ١٦ ، ٤/٢٢ - ٥ ، ٦/١٢ - ١٩٨١/٧/١٠

الأمريكية ، بهدف الضغط على سوريا ، لمنعها من التحول الى الشيوعية .  
كما ادعت الاوساط الاستعمارية حينذاك . ووقفت مصر الى جانب سوريا ،  
فتزايدت المطالبة الجماهيرية في سوريا بالوحدة بين مصر وسوريا .

ووافق مجلس النواب السوري بالاجماع ، على الاتحاد الفيدرالى مع  
مصر . وكان خالد بكداش سكرتير الحزب الشيوعى السوري عضوا فيه ،  
حيث اعلن موقف الحزب ، فيه ، بقوله : « لقد دعونا دائما الى أن يؤخذ  
في كل مشروع أو سعى الى الوحدة ، الظروف الموضوعية ، في كل بلد بعين  
الاعتبار . ولا نزال عند رأينا . فحتى بعد ازالة الاقطاعية والبورجوازية  
الكبيرة من الحكم ، تبقى لكل بلد ظروفه الموضوعية ، وان تغير محتواها ،  
أو طرأ عليها بعض التعديل ، من الناحية الاقتصادية والاجتماعية . وعلى  
كل حال ، يجب التمهيد للوحدة العربية ، باقامة علاقات اجتماعية أخوية بين  
البلدان العربية المتحررة ، تخلق جوا من الثقة المتبادلة ، التى يجب أن تتعاضد  
خلال التعاون السياسى والثقافى والاقتصادى » .

كما قال ايضا ، « لقد أبدى حزبنا ، من زمن طويل ، رايه بان شعار  
الوحدة العربية ، ليس وليد نشاط أو دعاية حزب من الاحزاب ، بل هو منبثق  
من الواقع الموضوعى للبلدان العربية . فتحليل الوضع فى العالم العربى .  
على أساس الماركسية اللينينية ، يؤدى حتما الى اعتناق شعار الوحدة  
العربية ، فهو اذن شعار تمليه علينا مبادئنا نفسها ، وكل ادعاء آخر ،  
حول موقفنا نحن الشيوعيين ، من الوحدة العربية ، هو كلام باطل » (١) .  
وكان حزب البعث الاشتراكى السورى ، يرى أن يكون الاتحاد  
فيدراليا .

وكتب وكيلا المخابرات المصرية ، شعراوى جمعه وأمين هويدى ، الى  
الرئيس جمال عبد الناصر ، ان « الفروق كبيرة ، والواقع مختلف ، وقبول  
الوحدة مخوف بالخطر ، والنصيحة هي : التأجيل » (٢) .

وكان أغلب اعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين ، الذين عرض عليهم  
جمال عبد الناصر الأمر ، ضد قيام الوحدة الاندماجية فورا ، ويفضلون عليها  
قيام اتحاد بين البلدين (٢) .

واعترض جمال عبد الناصر على الوحدة الفورية بين البلدين ، وفضل  
عليها ، قيام اتحاد فيدرالى مدة خمس سنوات على أن يعاد النظر فى أمر تلك  
الوحدة المقترحة بعد انتهاء تلك المدة (٢) .

---

(١) قصة ثورة ٢٣ يوليو - الجزء الثالث - أحمد حمروش .

(٢) مذكرات عبد اللطيف بغدادى - الجزء الثانى .

« إلا أن عبد اللطيف بغدادى يقول : « اضطررنا للاستجابة ، تفاسيدا  
لنفوذ الشيوعيين المتزايد في سوريا » .

وينتقل موقف عبد الناصر الى الوحدة الشاملة ، وليس الاتحاد  
الفيدرالى ، حتى تتجمع كل خيوط الدولة الجديدة في يده وتحت قيادته (١) .  
وينبع قبول عبد الناصر للوحدة ، من :

التيار الشعبى الشديد المؤيد للوحدة في سوريا . اجماع العسكريين  
السوريين على الوحدة وقبولهم قيادة عبد الناصر بلا تردد .

الخوف من انتشار الشيوعية في سوريا ومصر . الطموح الى ظهور اول  
تحقيق عملى للقومية العربية ، ممثلا في اول دولة (١) . ويشترط من  
السوريين لقبوله هذه الوحدة ، حل ، لاحزاب وابتمعاد ضباط الجيش عن  
الاشتغال بالسياسة (٢) .

أما موقف الحزب الشيوعى المصرى ، فيمكن تناوله من الدراسات  
والبيانات التى أصدرها الحزب في تلك الفترة .

تقول كراسة : « مفهوم القومية العربية » ، الصادرة عن الحزب بقلم  
الرفيقين عباس وخالد ، « ... ان القومية العربية ، على هذا الأساس  
الذى أوضحناه ، ليست شعارا تكتيكيا ، ولا هى عصبية دينية . ان القومية  
العربية ليست تطلع طبقة اجتماعية صاعدة نحو اسواق جديدة ، بهدف  
تكوين امبراطورية جديدة ، تخدم اغراضها التوسعية . ان القومية العربية  
ظاهرة تكوين أمة ، لها كافة المقومات الأساسية ، للامة الواحدة ، وتتناضل  
كافة فئاتها الوطنية والشعبية لتجمع شتاتها المبعثر ، وتكامل اقتصادها  
المزق وتطويرة ، وخلق سوقها المشتركة ، واستعادة ثرواتها وأراضيها  
التي سلبها الاستعمار ، والقضاء على كل القوى الرجعية الاستعمارية المعرقة  
لنموها ، ورفع مستوى معيشة ابنائها ، وتطوير حياتها ، وتنمية ثقافتها ،  
والمساهمة ، مع كافة الشعوب والدول الوطنية والاشتراكية ، للقضاء على  
الحروب ، وصيانة السلام العالمى .

« انها ، في جوهرها ، حركة شعبية نضالية معادية للاستعمار .  
فالاستعمار هو الذى أقام الحدود والحواجز في وجه هذه القومية . مزق  
وحقتها . وطمس معالمها . وعرقل نموها . لهذا كانت معركة التوحيد ، في  
جوهرها ، معركة معادية للاستعمار .

(١) قصة ثورة ٢٣ يوليو - الجزء الثالث - أحمد حمروش .

(٢) مذكرات عبد اللطيف بغدادى - الجزء الثانى .



« انهننا ، بالضرورة ، حركة تقدمية ، من الناحية الاجتماعية ، ففي نضالها ضد الاستعمار ، تناضل كذلك ضد عملائه وخطائمه من الاقطاعيين والاحتكاريين ، وهي تحرر ثروات أرضها وطاقتها شعوبها من الاستغلال والاستعباد . وتحقق التكامل بين اقتصادها الممزق ، وتبني اقتصادها الوطني وتطوره . وتنمي ثقافتها الوطنية والشعبية ، وهي بهذا تتيح لابنائها ارتفاعا في مستوى المعيشة ، كما توفر لهم حريات ديمقراطية متعاضمة » (١) .

كما يصدر المكتب السياسي للحزب في ٢٧/١/١٩٥٨ بيانا يقول فيه : « في هذه الايام المجيدة ، تحرز بلادنا العربية انتصارا جديدا بتحقيق هدف من أكبر اهدافنا الوطنية ، هو الوحدة بين مصر وسوريا . هذه الوحدة وان تكن بين بلدين عربيين ، الا انها تعبر عن ارادة الملايين من شعوب بلادنا جميعا ، وهي ثمرة لنضالها وتدعيم للانتصارات والمكاسب التي ساهمت جميعا في تحقيقها ، وهي كذلك نقطة انطلاق نحو التحرر الشامل والوحدة الشاملة لقوميتنا العربية . »

ولقد حملنا نحن الشيوعيين المصريين راية القومية العربية ، ودعونا الى تحقيق الوحدة بين مصر وسوريا ، معبرين عن ارادة شعبنا ومضالحيه الحيوية . محركين ادراكا علميا واعيا ان هذه للوحدة هدف رئيسي من اهداف نضالنا الوطني . ان الوحدة بين مصر وسوريا وحدة حقيقية ، لأنها وحدة متحررة بين بلدين مستقلين . وهو وحدة تدعم هذا الاستقلال وتثبته وتدفعه الى الامام ، وتحمي مصر وسوريا معا من مؤامرات الاستعمار ومشروعاته العدوانية والاستغلالية . انها وحدة ضد حلف بغداد وتوابعه النووية والصاروخية ، وحدة ضد اسرائيل ضفيرة الاستعمار والصهيونية . وحدة ضد مشروع ايزنهاور ، وحدة ضد القوى الرجعية في بلادنا العربية من عملاء الاستعمار وحكامه وبقايا الاقطاع والاحتكار » (١) .

كما أصدر الحزب الشيوعي المصري بيانا عن الوحدة للسورية المصرية في فبراير ١٩٥٨ ، جاء فيه ، « . . . يستخدم الاستعمار العالمي بقبسادة امريكا جميع الوسائل التي ترمى الى اضعاف القومية العربية وتأخير اندفاع الجماهير العربية في طريق الوحدة . وهذه المؤامرات توجه من خارج البلدان العربية ومن داخلها سواء بنسواء ( ثم يتحدث البيان عن المؤامرات الخارجية وبعدها ينتقل الى المؤامرات الداخلية ) . وفي الوقت ذاته لم تقف قوى الاستعمار والرجعية عند حد التفريق بين الشيوعيين العرب ، وبقية الوطنيين

---

(١) الاحزاب الشيوعية في الوطن العربي - الطبعة الاولى - تشرين الثاني ١٩٦٤ . القسم الثاني ملاحق - الياس مرقص .

للعرب ، بل أنها بدأت تشير الذعر بين الطبقة الرأسمالية الوطنية في مصر وبين مثيلتها في سوريا . ومن هنا راحوا يشيعون في مصر أن الوحدة ستصيب بالخراب صغار التجار ومتوسطيهم ، وبأن التجار المصريين سوف يكونون تحت رحمة التجار السوريين . واشاعوا أن الرأسمالية المصرية - وهي للرأسمالية الأفوى - ستزحف على سوريا لتستعمر وتستنزف جماة الشعب العربي في سوريا ، وأنها تمهد لذلك بالقضاء على الحريات وتشديد الكبت ضد الحزب الشيوعي السوري متعاونة في ذلك مع الرجعية السورية . . . . . ولكن هل تعنى معارضتنا في حل الأحزاب ، أن مستقبل الديمقراطية مظلم في الجمهورية العربية المتحدة ، كلا لأنه لا يجب النظر الى مستقبل التطور الديمقراطي من زاوية وجود الأحزاب وحدها . ولكن يجب النظر الى المسألة من زاوية :

- ١ - أن القوى الشعبية والوطنية ستلتقي في الدولة الواحدة وتتجمع وتناضل بكيفية فعالة ، من أجل توسيع الحريات الديمقراطية وتدعيمها .
- ٢ - أن السياسة الوطنية التحررية السائدة في الجمهورية العربية المتحدة موجهة لضعاف النفوذ الاستعماري وتصفيته . وهذا يحقق الظروف الملائمة لتطور الديمقراطية ، كما تخلقها السياسة الديمقراطية التي ترمى الى تصفية الامتاع وتصنيع البلاد وتطوير الزراعة فيها .

« ويجب علينا في الوقت نفسه أن نحذر من أن تنحرف قضية الوحدة وتدعيمها الى وضع مسألة الأحزاب في مركز الأحداث . فإن المهمة الرئيسية هي في الدفاع عن الوحدة الوليدة وحمايتها ، والتوعية لأصبيتها العظمى ورفع الشعارات التي تؤدي الى تطويرها لمصلحة الشعب » (١) .

وفي منتصف عام ١٩٥٨ قامت ثورة العراق الوطنية ، ومزقت هذه الثورة حلف بغداد ، للقلعة الاستعمارية في المنطقة العربية . وكان هذا ايذاناً بانطلاقة وطنية جارفة في المنطقة كلها ، وجاء الى مصر وفد من الساسة العراقيين على رأسه ، رئيس الحزب الوطني الديمقراطي « كامل الجادرجي » ، الذي أوضح لعبد الناصر ، أن ملاحظته الوحيدة ، هي تعطيل الحريات في مصر ، وطالب بإلغاء الاتحاد القومي وإعادة الأحزاب ، حتى يمكن قيام اتحاد فيدرالي . إلا أن عبد الناصر رفض تلك الرؤية (٢) .

ويصدر المكتب السياسي للحزب الشيوعي المصري ، في سبتمبر ١٩٥٨ ، بياناً حول الاتحاد القومي ، رداً على أنور السادات ، جاء فيه : « إن

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) قصة ثورة ٢٣ يوليو ، الجزء الثالث : أحمد حمروش .

قضية الاتحاد القومى ، هى احدى القضايا الاساسية . وفيها تتجمع قضايا لها شأن خطير فى حياتنا السياسية ، الا وهى قضية الديمقراطية ، وقضية بناء الجبهة الوطنية . واليوم حين تطرح قضية للوحدة العربية وينظر العرب الى مصر التى يتخذونها مثالا لوحدهم الكبرى ، فمن حقهم أن يقلقوا على مصير الديمقراطية فى بلادهم ، فى ظل الوحدة . انهم بطبيعة الحال يتأملون . مليا ، ما آلت اليه سوريا بعد وحدتها مع مصر . فقبل الوحدة ، كانت الديمقراطية المزدهرة ضمانا قويا لقيادة الجبهة الوطنية . ولما تمت الوحدة ، وعطلت الأحزاب والحياة الديمقراطية ، تعرضت الجبهة الوطنية للخطر الشديد . ومن حق العراقيين ، اليوم ، ان يحرصوا على مطلب الاتحاد الفيدرالى كوسيلة للمحافظة على حرياتهم الديمقراطية وصون جبهتهم الوطنية ، (١) .

من كل ما سبق يتضح ، ان الظروف التى ارتفعت فيها الدعوة لوضع الوحدة العربية موضع التنفيذ تجسيدا للقومية العربية ، كانت ظروف مد عربى شامل فى كل من مصر وسوريا والعراق ، فى نفس الوقت الذى كانت هنالك مؤامرات استعمارية تحيط بالبلدان العربية المتحررة الثلاث .

وانه لم تكن هنالك قوة وطنية عربية فى كل هذه البلدان الثلاث ترفض الوحدة العربية ، وان كانت تختلف فى الشكل الذى تتم به هذه الوحدة ، رغم انها بدأت جميعا متقاربة تدور حول فكرة الاتحاد الفيدرالى .

الا ان عبد الناصر ينتقل من الاتحاد الفيدرالى الى الوحدة الاندماجية . ويتهم كل مخالف له بالشيعوية والعمالة والخيانة ، محاولا بث الخوف فى القوى الوطنية غير الشيوعية ، ومجتمعا حوله كل القوى المعادية للشيوعية .

وتبدو المسألة ، هنا ، للوهلة الاولى ، غريبة . لقد كان هو نفسه مع الاتحاد الفيدرالى ، فكيف به يهاجم ويدين هؤلاء الذين ظلوا على قناعاتهم المبدئية ، ولم يتحولوا معه عندما تحول ؟ والمسألة ، فى الحقيقة ، لا غرابة فيها . حيث ان الخلاف حول الشكل الذى تتم به الوحدة العربية ، لم يكن مجرد خلاف على مسمى ، ليس مجرد خلاف شكلى ، ولكنه كان خلافا على مضمون الوحدة ذاتها . كانت القوى التى تؤمن بان القومية العربية تتجسد فى وحدة الشعوب العربية المتحررة ، وان وحدة هذه الشعوب ، بل تحريرها ذاته ، امر تستهدفه القوى الاستعمارية ، ترى ضرورة ، ايجاد الشكل

---

(١) انظر الملحق رقم (١) .



الافضل والانسب للوحدة العربية ، الذى يدعم وحدة الشعوب العربية ، في مواجهة القوى الاستعمارية . وكان ذلك الشكل ، من وجهة نظرها ، هو الاتحاد الفيدرالى ، الذى يؤكد حرية هذه الشعوب واراقتها ، في وحدتها ، مراعى الخصائص المحلية لكل شعب من هذه الشعوب .

وكان عبد الناصر قد بدأ يرى ، أن المعركة مع الاستعمار قد انتهت ، وانها قد بدأت مع اليسار عامة والشيوعية خاصة . وبالتالي يجب أن تحقق الوحدة العربية ، « ضمانا ضد القوى الداخلية ، لا القوى الخارجية » . وكان الشكل الاندماجى للوحدة ( والذى تحول اليه ، ايضا ، حزب البعث ، السورى ، وجناح في البعث العراقى ) هو الشكل الانسب لعمليات الفرز الداخلى ، وفرض الحزب الواحد ، حزب التجربة المصرية العسكرية ، مما يشدد من قبضة عبد الناصر ، ليس في المجال المحلى ، فقط ، ولكن في المجال القومى ايضا . ان هذا الشكل الشمولى ، هو وحده القادر أن يمنحه القدرة على تحقيق ارادته هو ، ومن يمثله طبقيا ، والقادر ، ايضا ، على اخضاع الاوضاع الداخلية محليا وعربيا ، لنفس تلك الارادة ايضا . وقد صرح عبد الناصر في ١٧ ابريل ١٩٥٩ للصحفي الهنذى كرانجيا ، « ليس بالقومية العربية اى خطأ ، الا أنها معرضة ، في الوقت الحاضر ، لهجوم من الحركات الهدامة . اننا نقاتل معركة دفاعية ، ضد الشيوعية ومطامعها ، كما سبق أن قاتلنا ضد الاستعمار الغربى » (١) . وفي ختام حديثه قال انه يتوقع كهاحا طويلا بين الشيوعيين والقوميين للعرب .

حقيقة لم يكن في القومية العربية اى خطأ ، لكن الخطأ كان في نظرية عبد الناصر ، في كيفية تحقيقها . وما أصاب وحدة الشعوب العربية ، داخليا وقوميا ، من جراء تطبيق هذا المنهج الاندماجى الشمولى . يقول عبد اللطيف بغدادى ، « . . . وقد وضع لنا ، في بداية عملنا هناك ( سوريا ) قوة عبد الحميد السراج وقبضته البوليسية على الشعب السورى . حتى اطلق عليه أفراد الشعب اسم السلطان عبد الحميد باشا ، اشارة منهم الى عبد الحميد سلطان تركيا المستبد في عهد الدولة العثمانية » . وكان عبد الحميد السراج ، موضع ثقة جمال ومساندته

والتقى بنا بعض من الصحفيين هناك ، وعلمنا منهم ان الناس في سوريا ، تشعر بالخوف وعدم الأمان » (٢) .

لقد قدم الشعب السورى لعبد الناصر اعظم الاستقبالات . « قيم له الحب والثقة والالتفاف حوله كبطل وطنى قومى » ، فقتلهم له عبد الناصر .

(١) قصة ثورة ٢٣ يوليو - الجزء الثالث - أحمد حمروش

(٢) مذكرات عبد اللطيف بغدادى - الجزء الثانى .

«سلطاننا سوريا» ، اطلع بكل مكتسباته الديمقراطية ، وفرض عليه الخوف والارهاب . وجعل من سجن المزة ، بنسبيل القرن العشرين ، الذى تخجل منه بعض معتقلات النازية .

كان ، فى الامكان ، لو طبق الاتحاد الفيدرالى ، أن تتسرب الاوضاع الديمقراطية من سوريا الى مصر . أما فى ظل الوحدة الاندمجية ، فقد كان مؤكدا أن يسيطر الشكل الديكتاتورى للحزب الواحد ، على مصير الشعب السورى .

وتقدم اليه شعب العراق ، يطلب الاتحاد الفيدرالى ، فرفضه . وشن على العراق حربا صليبية ، متهمها اياه بمعاداة الوحدة العربية ، رافعا ، فى وجهه ، راية العداء للشيوعية . ولم يكن حكام العراق شيوعيين . « ففى ٢٩ ابريل أصدر الحزب الشيوعى العراقى بياناً طالب فيه بالمشاركة فى الحكم . وقاسم يجيب ، بأنه يريد حزبا يقضى به على كل الاحزاب . قائلا ان الشعب هو حزبه . ورغم الشعارات اليسارية والصورة الحمراء التى اكتست بها العراق ، كان عبد الكريم قاسم ، لا يزيد عن كونه ضابطا عسكريا ، يريد أن ينفرد بالسلطة فى يده ، ويلعب لعبة التوازن ، ويرفض التعاون المخلص مع الطبقة العاملة ، لتحقيق وحدة وطنية كاملة ، فى مواجهة اخطار الامبريالية والرجعية » (١) .

كان الحزب الشيوعى العراقى ، مستبعدا من الحكم ، بل ويعانى من نظام الحكم القائم حينذاك . لقد كان عبد الكريم قاسم ، فى الحقيقة ، أقرب الى أن يكون عبد الناصر آخر ، وتلك كانت واحدة من أركان المشكلة . وتعددت المؤامرات للاطاحة به حتى قتل . وذهب الشيوعيون ، الذين استبعدهم ، وهم يدافعون عن النظام الوطنى العراقى .

وقال عبد الناصر ، فى أول خطاب له بعد هذا الحدث البشع ، « الحمد لله » . ثم « اهدى الحرس القومى ، الذى كان يرأسه على صالح السعدى ، ٢٠٠٠ رشاشا مصريا ، سافرت فورا الى العراق ، لتسليح الحرس القومى ، بعد أن بدأ يلعب دورا هاما وبارزا فى اشاعة الارهاب بين الجماهير » (١) .

عبد الحميد السراج وسجن المزة فى سوريا ، والقتل والاذابة فى الاحماض كما حدث لفرج الله الحلو سكرتير الحزب الشيوعى اللبنايى (٢) ، وعلى صالح السعدى ومذابح الرشاشات فى العراق . تلك كانت قوى الوحدة الاندمجية ، فى التطبيق ، كما يراها عبد الناصر .

---

(١) قصة ثورة ٢٣ يوليو - الجزء الثالث - أحمد حمروش .

(٢) انظر الملحق رقم (٢) .

وتعددت الانقلابات في العراق ، حتى وصل الأمر الى وجود قوات عسكرية مصرية ، هناك ، تحت تصرف رئيس الجمهورية ، لحمايته . وتمزق العراق وتشرفمت منظماته السياسية ، وغرست العداوة والحساسية بين الانجاسات الوطنية المختلفة .

كان حصاد معركة الوحدة العربية ، تجسيدا للقومية العربية ، طبعا لمنهج عبد الناصر . ارادته : انفصال سوريا بعد أن مورس في شسعبها وتمزقاها الوطنية والنقدية ، ابشع صور التعذيب والتفكيك . وتمزق العراق بمنزق قواه الوطنية ، وطلنت القوى التقدمية والديمقراطية في مصر .

انتهى هذا المنهج ، الى اضعاف الساحة العربية ، بها أوقعه في اشد القوى عنادا في عدائها الفعلى للاستعمار والصهيونية . حتى اذا جاء عام ١٩٦٧ ، كان الطريق سهلا امام الغزوة الاستعمارية الصهيونية ، لتجتاح المنطقة في ستة أيام ، او في ست ساعات . وليثبت الاستعمار بنفسه ، خطأ نظرية انتهاء المعركة معه ، وما ترتب عليها ، وصدق نظرية أن العدو الرئيسي : ما زال هو الاستعمار ، وما كان يجب أن يترتب عليها .

### قضية الوحدة الداخلية :

كان الاتحاد القومى ، هو هيئة التحرير ، في استمرارها ، من حيث الشكل والهدف . فالتشكل ، يحقق اطار أو وعاء تنظيمى واحد ، يضم كل القوى ، تحت قيادة الحزب العسكرى ، دون سواه من القوى الوطنية الأخرى . والهدف ، هو للسيطرة الثامة على الحركة والارادة الجماهيرية . ومحاولة حل المعادلة الصعبة التى خلقها الحزب العسكرى نفسه : كيف يستفيد بالدعم الجماهيرى ، مع وضعه في اطار يخضعه لارادته . يقول أحمد حمروش : « ظلت المشكلة الدائمة هي حرص المجموعة العسكرية على امتصاص النشاط العام أو اسنكاته وكانت تقع دائما ، في تناقض شديد ، بين الرغبة في اكتساب ثقة الجماهير ، مع اضعافها ، وشل فاعليتها ، معضلة بلا حل . الحرس على سلطة الديكتاتورية ، والرغبة في لبس ثياب الديمقراطية ، (١) .

كان هذا الشكل التنظيمى ، يحقق دعم الانفراد بالحكم ، وبالتالي يضمن الانفراد بمكاسب الثورة . ولقد ظل قادة ٢٣ يوليو ينفون عنه صفة الحزب ، أو الجبهة ، أو الجهاز الادارى ، ويجيبون ، ان سئلوا ، عن

---

(١) قضية ثورة ٢٣ يوليو - الجزء الثانى - أحمد حمروش .



طبيعته ، بجمل انشائية ، كما فعل أنور السادات ، عندما كان رئيسا له ،  
اذ قال : « الاتحاد القومى هو جمال عبد الناصر الرمز » . ولقد كانت ، تلك  
الاجابة ، دون أن يقصدها صاحبها ، حينذاك ، تعبيرا صادقا عن حقيقة  
الاتحاد القومى . انه الشكل الذى يمارس من خلاله عبد الناصر ، السلطات  
المطلقة .

كان الاتحاد القومى ، بما اسبغ عليه من سلطات العزل وحق  
الاعتراض ، ومنح صفة المواطنة والوطنية ، للبعض ، وحجبها عن البعض  
الآخر ، أداة تمزيق قومى ، لا توحيد قومى . وكان المنهج الذى يربى عليه  
أعضاءه يفصح عن هويته . حيث كان أحد بنود العمل السياسى الأساسية ،  
المطلوبة من الأعضاء ، هو كتابة تقارير أمنية ، عن بعضهم البعض ، وعن  
هم خارج الاتحاد القومى ، حتى أنه يمكن القول ، ان الاتحاد القومى كان  
مدرسة حقيقية لتدريب كثير من العناصر على ممارسة العمل البوليسى ،  
باعتباره عملا سياسيا .

وانهم كل معارض ، لهذا الشكل ، بتخريب الجبهة الداخلية ، وخيانة  
الوحدة الوطنية .

ولقد تصدى المكتب السياسى للحزب الشيوعى المصرى ، لهذه المزاعم  
الباطلة ، فى بيانه « حول الاتحاد القومى - رد على السيد أنور السادات »  
فى ١٩ سبتمبر ١٩٥٨ . حيث جاء فى هذا البيان ، « ..... لا يمكن أن  
يتهم الشيوعيون بأنهم يخربون الجبهة الوطنية ، حين يكشفون عن جوانب  
للنقص الفادح فى تكوين الاتحاد القومى . ان الشيوعيين أشد انصار الجبهة  
الوطنية ، التى تحتاج اليها بلادنا لتقود كفاحنا الوطنى . انهم يناضلون من  
أجل بناء جبهة وطنية حقيقية ، كذلك التى توجد فى اندونيسيا أو العراق .  
ولكنهم يرون ، الخطر كل الخطر ، على الوحدة الوطنية ، فيما يقوم به الاتحاد  
القومى ، وهو حزب ، فى محاولات لفرض نفسه على الشعب ، بينما يحرم  
الشعب من حرية تنظيم نفسه بنفسه . ان الجبهة الوطنية التى تضم العمال  
والفلاحين والمثقفين وصغار الرأسماليين والرأسماليين الوطنيين ، هى اتحاد  
حر اختياري ، يضم عدة طبقات ، وهو بالتالى أوسع من أن يكون حزبا .  
وليس الاتحاد القومى ، باعتراف السيد / أنور السادات ، جبهة وطنية ،  
بل هو ، على حد قوله : « فوق الجبهات » وبهذا الموقف نجد الاتحاد  
القومى ، يرفض تكوين الجبهة الوطنية ، ويمنع قيام الاحزاب الوطنية ،  
 ويفرض نفسه على جميع الوطنيين حزبا بالاكراه . وعندئذ ، فلا مفر من

انفضاض الجماهير عن الاتحاد القومي ، ولا بد أن يستمر انعزال الحكومة عن الشعب . وليس أمام السيد / السادات ، عندئذ ، غير أن يحمل على الشعب ، ويقول ، ( أن حكومة الثورة هي التي كانت تتولى إلى الآن ، مهام الدفاع عنا وقيادتنا . أما نحن ، كنسعب ، فكان موقفنا متخلفا جدا عن موقف حكومتنا ) .

» . . . . . وحرصا منا ، في الخاتمة ، على تحديد رأينا ، بدقة ، نحاول هنا أن نجمله في النقاط التالية :

أولا - أن الشيوعيين المصريين يناضلون لتكوين جبهة وطنية ، تضم جميع القوى الوطنية في مصر ، على أساس حر اختياري ، وليس على الاكراه أو التمييز .

ثانيا - أن الشيوعيين المصريين يناضلون من أجل إقامة ديمقراطية موجهة ، لا ديمقراطية على النمط الغربي ، وذلك على أساس السماح بحرية تكوين الأحزاب للطبقات والفئات الوطنية ، وليس للطبقات أو الفئات الرجعية والخائنة .

ثالثا - أن الشيوعيين يعتبرون الأحزاب الوطنية ، هي الأساس الوطيد ، لتكوين الجبهة الوطنية ، فالأحزاب وسيلة لتوحيد طبقاتها ، ومن ثم ، فهي وسيلة لتوحيد الوطنيين جميعا ، في جبهة احدة .

رابعا - أن الشيوعيين المصريين يعتبرون أن الاتحاد القومي حزب ، وأنه حزب الرأسمالية الوطنية الحاكمة ، وأنه ليس جبهة على الإطلاق . وأنه يوصفه حزبا وطنيا ، يعتبر حزبا طيفا ، فتحد معه وتتصارع ضده ، في وقت واحد (١) .

ويفشل الاتحاد القومي ، فشلا ذريعا ، في تحقيق « الوحدة الوطنية » ، كما زعم قادته . كان ، بطبيعته وشكله وهدفه ، بعيدا عن أحلام الشعب المصري ، وأمانيه فيما يجب أن تكون عليه أحواله بعد أن استقل وتحرر .

وإذا كان هذا الوعاء ، المفرد بكل الحقوق السياسية والمزايا الاجتماعية ، مرفوضا من شعب مصر ، فإنه كان مرفوضا ، بصورة أشد عنفا ، من الشعوب العربية المتحررة . وغدت محاولة فرضه على البلدان العربية ، عقبة كؤودا أمام انجاز الوحدة العربية . والحقيقة ، أنه ما كان في وسع الشكل الذي فُسل مطيا ، على النطاق المصري ، أن ينجح ، قوميا ،

---

(١) نص البيان في الملحق رقم (١) .

على النطاق العربى • انه شكل حزبى ، يفرق ولا يوحد ، يمزق ولا يجمع ،  
مكيف به يكون اداة للتوحيد القومى ا

ويعلن عبد الناصر ، بعد الانفصام السورى ، أن الاتحاد القومى ، لم  
يكن يزيد عن لامنة تنظيمية ، دون فاعلية حقيقية • وكان معنى ذلك ، فى الحد  
الأدنى ، انه تجربة فاشلة • وأن من رفضوه من قبل ، وخاصة الشيوعيين ،  
كانوا أبعد نظرا ، وأعمق رؤية ، وأقدر على التعبير الصادق عن ارادة الشعب  
المصرى والشعوب العربية ، وطنيا ، وقوميا • وأنه ، بناء على ذلك ، يلزم  
مراجعة الموقف منهم ايجابيا ، وكذا من أفكارهم عن الجبهة طريقا للوحدة  
الوطنية الا أن عبد الناصر وحزبه ، يصران على نفس النهج ، مع تغيير  
المسمى ، ويصبح « الاتحاد الاشتراكى » بديلا عن « الاتحاد القومى » .

ان الانفصام السورى قد تحقق على يد القوى الرجعية التى كانت تحل  
مواقع قيادية فى الاتحاد القومى فى سوريا • ويتحقق نفس الأمر ، ضد  
عبد الناصر ، ذاته بعد وفاته ، من قلب الاتحاد الاشتراكى وقممه العليا • اذ  
يقوم الجناح اليمينى للحزب العسكرى ، بقيادة أنور السادات ، نائب  
الرئيس السابق ، والرئيس الجديد للجمهورية ، بانقلاب ١٥ مايو ، متخذا  
من قضية الديمقراطية المفقودة ، والتى كانت الجماهير تتطلع اليها بشغف  
عارم ، سائر دخان ، يخفى وراءه أهدافه الحقيقية ، والتى هى أهداف  
للجناح اليمينى من البورجوازية الوطنية ، ذلك الجناح الذى نما وترعرع  
واتخم ، فى ظل الاوضاع السابقة ، والتى غدت تلك الاوضاع ، بعد نموه هذا ،  
قيدا عليه • وكان الارتداد عن كل ما حققه الشعب المصرى من انجازات  
ومكاسب وطنية واقتصادية واجتماعية • ويقف الاتحاد الاشتراكى مترهلا ،  
عاجزا ، متفرجا ، على معظم قادته ، وهم يقادون الى حيث قادوا ، من قبل ،  
آلاف المناضلين ، الى السجون وخلف جدران الزنازين •



كان عام ١٩٥٨ هو عام القمة ، وعام الازمة ايضا • الازمة التى  
فرضها النظام على القوى الوطنية والتقدمية • وكان عام الاختيار أيضا ،  
الذى حدد فيه عبد الناصر وحزبه وطبقته ، انتهاء المعركة مع الاستعمار ،  
وبدايتها مع اليسار • وكان ذلك بداية الطريق الى الانكسار ، عام ١٩٦٧ ثم  
سيطرة الجناح اليمينى عام ١٩٧١ ، لتصل مصر ، رغم معركة اكتوبر ١٩٧٣ ،  
الى هزيمة كامب دافيد • والانفتاح الاقتصادى ، والزحف المتنامى فى اتجاه  
القبعية للاستعمار العالمى ، بشركاته عبر القومية •





# الفصل الرابع

## الصراع داخل الحزب الشيوعى المصرى

صعد عبد الناصر ، عام ١٩٥٨ ، صراعه مع الحزب الشيوعى المصرى ، من خارجه وفى مواجهته ، وفى ذات الوقت ، أشد الصراع داخل الحزب نفسه ، حول ذات القضايا ، التى كانت مثار خلاف مع عبد الناصر .

لقد توحدت الغالبية الساحقة من الشيوعيين المصريين ، فى الحزب الشيوعى المصرى ، فى ٨ يناير عام ١٩٥٨ ، الا ان أحد نواقص هذه الوحدة ، انها تمت على أساس وثيقة سياسية عامة ، بها يعنى ، وجود قضايا سياسية لم يتم التوصل الى اتفاق حولها ، وظلت ، هذه القضايا ، معلقة ، تحت التصفية داخل الحزب الواحد . وربما كان هذا القصور ، من الناحية المبدئية العامة ، غير ذى خطورة . اذ يمكن فى الحزب السياسى الواحد الموحد ، فى أى وقت من الاوقات ، أن يتعرض لنشوب خلاف سياسى حاد ، فى داخله ، حول قضية ما يطرحها الواقع فى حركته وتجدده . الا ان الخطورة فى القصور الذى نتناوله ، انه كان تعبيرا عن تأصيلات نظرية وفكرية متباينة ، تدعها نظريات تنظيمية انفسامية . وهكذا ، شكل هذا القصور فى الوحدة ، خطرا جسيما عليها ، اى على الحزب نفسه .

### الخلاف حول قضية الوحدة والطبيعة الطبقة للسلطة :

لقد دار الخلاف ، داخل الحزب ، حول قضية الوحدة ، ايضا . الوحدة الوطنية المحطية والوحدة العربية . تضاف اليها قضية هامة للغاية ، هى قضية الطبيعة للطبقة للسلطة ، وأهمية هذه القضية ، فى أن تحديدها ، يترتب عليه مواقف عملية ، قد تتباين الى أقصى درجات التباين .

والحقيقة التاريخية هى أن أحدا ، من الذين اتحدوا داخل حزب ، عام ١٩٥٨ ، لم يختلف حول كونها بورجوازية وطنية . وهنا كان الاتفاق العام . الا أن هذا الاتفاق العام لم يحل دون وجود خلاقات جفزية حول مفهوم اللبورجوازية الوطنية الحاكمة ، ودورها فى الثورة المصرية . وفى هذا الصدد كانت هنالك ثلاثة أفكار رئيسية :

#### ( ١ ) اللبورجوازية الوطنية التقليدية :

تقول هذه الفكرة بأن اللبورجوازية الحاكمة ، بورجوازية وطنية ، ينطبق عليها ، كل ما ينطق على مثيلاتها ، فى البلدان المستعمرة والتابعة .

مصدر وطنيتها ، نضالها ، في مواجهة الاستعمار ، من أجل استخلاص السوق المحلي من قبضته ، لبناء مجتمع رأسمالي . وهي لهذا ذات طبيعة مزدوجة . اذ ان ما نستهدفه ، يجعل لها معركة في مواجهة الاستعمار ، واخرى في مواجهة الحركة الجماهيرية ، وخاصة الطبقات العاملة والكادحة . وتتضح تلك الطبيعة المزدوجة في استعانتها بكلا القوتين ، في مواجهة بعضهما البعض ، لحسابها الخاص . فهي ان تعرضت للضغوط الاستعمارية لجأت الى الشعب تواجه به هذه الضغوط . وهي ان تعرضت للضغوط الشعبية والجماهيرية ، هانفت للقوى الاستعمارية كي تضمن حماية ظهرها ، وهي تراجع الجماهير .

وهي طبقة غير متجانسة ، سوف تنمو أجزاء منها ، وتحقق مصالحها ، وتعمل على نجميد الثورة ، والوقوف بها عند الحد الذي بلغته ، والمحدود بتلك المصالح . وهذا الانسلاخ ، لتلك الشرائح أو الفئات عملية مستمرة . ولهذا لا بد وأن يدور بداخلها صراع ، بين من تحققت مصالحه ، وبين من لم تتحقق مصالحه بعد . الا ان حسم هذا الصراع ، لن يكون لحساب استمرار الثورة ، ما لم تكن الجماهير الشعبية ، هي العامل الفاعل في هذا الحسم . وهذا لن يتأتى ، الا اذا توفرت الحريات السياسية الحقيقية لهذه الجماهير ، لتكون قادرة على الفعل والتأثير . ولما كانت البورجوازية الحاكمة ، منفردة بالسلطة ، مانعة عن الشعب كل حقوقه وحرياته السياسية ، فان المعركة داخل هذه البورجوازية ، لا بد وان تكون معركة علوية ، وبالتالي لا بد وأن الحسم فيها ، في نهاية الأمر ، لحساب الشرائح والفئات الاقوى اقتصاديا . وهذه الشرائح والفئات تتجه ، بحكم مصالحها الى الاستعمار ، تهادنه ، وتتعاون معه ، بل وتصبح وكيلة عنه في استغلال الشعب وامتصاص خيرات الوطن .

ان استمرار الثورة ، مرتبط باستمرار تحقيق مصالح الجماهير العاملة والكادحة ، والتي تتجدد حاجاتها وتتطور من مرحلة الى مرحلة ، الأمر الذي لا يمكن أن تحققه الا قيادة نابعة من هذه الجماهير ، تعمل بها ، وتعبّر عن مصالحها الأساسية . ان قضية قيادة الثورة ، قضية جوهرية ، فهذه القيادة تسبغ على حركة الثورة ، كثيرا من طابعها وخصوصياتها . وهذه القيادة يلزم ان تكون فرزا طبيعيا للثورة ، لا تأتي بقرار ذاتي ، أو بالقهر والقسر ، والا كانت قيادة مفتعلة ، لا تعبّر ، بصدق ، عن الثورة . ان القيادة الحقيقية ، هي تلك التي تملك الرؤية الصادقة لمجرى الثورة ، في حدودها الدنيا والقصى ، في مراحلها المختلفة . وهي التي تملك ، ايضا ، صلابة القائد في الدفاع عن أهداف الثورة ، والعمل على تحقيقها .



وتطبيقا لهذه النظرة ، فان البورجوازية الوطنية الحاكمة ، نصيل من قوى الثورة ، وجزء لا يتجزأ من قوى الجبهة ، التي تضم العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين والبورجوازية الصغيرة ، والوطنية . وأن هناك فئات من الاخرة سوف تنسلخ عن مجرى الثورة ، وتتقف في جبهة العدو ، وأن البورجوازية الوطنية وان كانت تقود الثورة في المرحلة الحالية ، الا انها ليست الطبقة المؤهلة لقيادة المرحلة كلها . اذ أن استكمال هذه المرحلة ، من الثورة الوطنية الديمقراطية ، يقتضى وضع أسس الانتقال الى الاشتراكية ، مما يتعارض مع مصالحها في البناء الرأسمالى ، وخاصة أجزائها العليا .

وكانت وجهة النظر هذه ترى ، أيضا ، أن هنالك نقاط التقاء برنامجية تشكل خطا للجبهة في مواجهة الاستعمار والصهيونية . وأن هنالك نقاط خلاف حول الديمقراطية والحريات السياسية والحقوق الجماهيرية . وأن هذه النقاط سوف تكون محاور صراع ، لابد أن يدار على ارض الوحدة . أى أن منهج التعامل في داخل الجبهة ، يقتضى الندية في الحقوق السياسية للأطراف الوطنية المختلفة ، على أسس من الديمقراطية ، والاشتراك الفعلى للجماهير ، في كل أعمالها ، طبقا لقاعدة الوحدة والصراع . وأن هذه الجبهة تستلزم ، بناء على ذلك ، حق كل الطبقات الوطنية ، صاحبة المصلحة في الثورة واستمرارها ، في تكوين أحزابها ، دون أن يكون للأحزاب الرجعية هذا الحق . أى ما يمكن تسميته بالديمقراطية الموجهة ، أو ديمقراطية الجبهة الوطنية .

وان الاتحاد القومى ، طبقا لهذه النظرة ، وبالصورة التي هو عليها ، انما هو حزب للطبقة الحاكمة ، تسعى به الى نفي حق القوى الوطنية الأخرى في تكوين أحزابها . وأن يكون هو بديلا عن الجبهة ، لا لتوحيد القوى الوطنية للاستمرار بالثورة ، ولكن لفرض قيادة البورجوازية الحاكمة على القوى الوطنية ، بعد تفكيكها وتمزيقها . وبذا فهو أداة لسيطرة الطبقة الحاكمة على الحياة السياسية ، وعلى مجرى الثورة ، منفردة . ويشكل عائدا أمام النمو الطبيعي الديمقراطى للحركة الجماهيرية ، ولمسار الثورة .

وترى هذه النظرة ، فيما يختص بالوحدة العربية ، ضرورة هذه الوحدة ، تحقيقا وتجسيذا للقومية العربية ، التي هي في الأساس ، وحدة تحرير ، في مواجهة القوى الاستعمارية ، للسير بالثورة على النطاق القومى . الا أن هذه النظرة ترى أن البلدان العربية المتحررة ، بالاضافة الى كل للسمات القومية المشتركة ، ليست على نفس الدرجة من التطور الاقتصادى ، والنضج السياسى ، والتراث الخاص ، أى أن هنالك تفاوتات فيما بينها ، يمكن أن تسمى بالخصوصيات المحلية ، التي ان لم توضع في الاعتبار ، عند اتمام الوحدة ، يمكن أن تتحول الى عوامل تدمر هذه الوحدة ، وبذا

تجهض قضية الوحدة ، وتنتكس بقضية القومية • ان الشكل الذى تتم به الوحدة ؛ سوف يحدد مسارها ، فاما الى نجاح واما الى فشل ، وأن الشكل الانسب ، الذى يراعى الخصوصيات ، هو الاتحاد الفيدرالى • والذى يبدأ بالمستوى القسائم ، ليرتقى به ، لا لسيترد عنه • وبالنسالى فان الوحدة الانتماجية ، التى يسعى النظام المصرى ، لفرضها على البلدان العربية المتحررة والساعية الى الوحدة ، سوف يصيب الوحدة بالدمار ، أى أن الوحدة القومية يجب أن تكون وحدة تحررية ديمقراطية •

### (ب) البورجوازية الوطنية - المحكوم عليها بالوطنية :

أما الفكرة الثانية ، فتقول ، ايضا ، بأن البورجوازية الحاكمة ، بورجوازية وطنية • الا انها ثابتة الوطنية او محكوم عليها بالوطنية •

يقول الدكتور فؤاد مرسى ، « انها بورجوازية وطنية ، ومحكوم عليها بالوطنية • كان هذا هو التحليل السليم لطبيعة البورجوازية الوطنية ، الطبيعة المزدوجة ، دائما ، المعادية للاستعمار ، لكنها فى نفس الوقت • معادية للشعب • وعندئذ ، فهى عندما تلتقى مع الشعب ، يكون طابعها المعادى للاستعمار بارزا ، وعندما تلتقى مع الاستعمار ، خوفا من الشعب ؛ فان طابعها المعادى للشعب ، وخاصة المعادى للديمقراطية ، يكون بارزا • هذه الطبيعة المزدوجة ، للبورجوازية الوطنية ، يجب الا ننساها • واذا كنت ابرزت طابعها كطبعة وطنية ، فان هذا لا ينفى ، أبدا ، جانبها الثانى •

« وأحب أن أوضح أن الظروف التى يشهدها العالم ، من ازدياد المد الاشتراكى فى العالم ، وانحسار المد الإمبريالى ، وبالتالي انحسار المد الرأسمالى ، يفرض على هذه البورجوازية أن تتصلب أكثر فأكثر • لا يفرض هذا عليها ككل ، وهذه النقطة يلزم أن نأخذ بالنا متها • ان أجزاء منها تنفصل عنها ، الطبقات العليا التى ترى ، فى التعاون والتضامن والاندماج فى الرأسمالية العالمية ، مصالحها • أجزاء أخرى منها تزداد تصلبا ، وجذرية ، وراديكالية ، وترى أنه محكوم عليها بأن تكون وطنية ، بمعنى أن الظروف العالمية نقول لها ، لا سبيل الا أن تكون وطنية لكى توجد • لأن الفرقة الأخرى ، صحيح تنمو أكثر ، وتصبح أكثر ثراء ، وأكثر دخلا ، لكنها تصبح استعمارية ، أو ملحقمة بالاستعمار ، ولا وجود لها فى ركب وطنى داخل البلاد ، بمعنى أن مجال الثورة الوطنية ، لا يبقى من البورجوازية ، الا تلك الفئات التى يتصلب عودها ، وتزداد جذرية مواقفها ضد الاستعمار » (١) •

(١) نفس اللقاء الشخصى معه •

ويرى هذا الفكر ، أن هذه البورجوازية الوطنية ، حليف داخل للجبهة الوطنية الديمقراطية . وأن منهج التعامل داخل هذه الجبهة ، هو منهج الوحدة والصراع .

ويبدو هذا الفكر للوهلة الأولى ، قريبا من الفكر الأول ، « ماعدا » جزئية » ، أن البورجوازية الوطنية أو قطاعات منها محكوم عليها بالوطنية . إلا أن هذه « الجزئية » ، في الحقيقة ، جوهرية للغاية ، فإن كانت الفكرتان تتفقان في المسمى العام للطبيعة الطبقيّة ، إلا وهى البورجوازية الوطنية ، إلا أنها يختلفان ، جوهريا في خصائص هذه الطبقة . فالفكرة الثانية ، قد أضفت على هذه الطبقة من الصفات ما يخرجها عن طبيعتها ، ويضعها في إطار طبقي جديد ، ضمن الطبقات جذرية الموقف من الاستعمار ، أى أقرب ما يكون ، أن لم يتطابق ، بوجه خاص ، مع الطبقة العاملة . فهذه الإضافة ، « الجزئية » ، من الفكرة الثانية إلى الفكرة الأولى ، هى في واقع الأمر ، نفي لأى لقاء بين الفكرتين . حيث أن الالتقاء أو الاختلاف ، ليس مجرد خلاف سياسى « جزئى » ، لكنه في الحقيقة خلاف ايديولوجى كلى ، كيف ذلك ؟

ان هذا الفكر :

✳ يعطى للبورجوازية الوطنية ، عامة ، أو لقطاعات منها ، خاصة ، صفات ليست لها ، بأى حال في الأحوال ، إلا وهى جذرية الموقف من الاستعمار ، حيث أن هذه الجذرية من الاستعمار ، تعنى ، في النهاية ، أن لم يكن من البداية ، موقفا من الرأسمالية ذاتها . ويصبح تناقضها مع الاستعمار ليس مرتبطا ، في الأساس ، بمسألة السوق ، التى هى قضية البورجوازية الوطنية ، أيا كانت قطاعاتها ، أو فئاتها ، أو شرائحها ، ولكن التناقض هنا سوف يكون متصلا ، طبقا لزيادة تصلب بعض هذه الشرائح ، وراديكاليتهما ، مما يتبعه ، بالضرورة ، المساس بالرأسمالية ذاتها . وهو موقف لا يتسق ، نظريا ، أو عمليا ، مع مصالح وطبيعة العلاقات التى تسعى لها أى بورجوازية كبيرة كانت ، أو متوسطة ، أو حتى صغيرة .

✳ يربط الجذرية في الموقف الطبقي بالظروف العالمية ، أن الظروف العالمية المواتية أو المعاكسة ، لها تأثير كبير ، في كثير من المواقف ، إلا أنها ليست للعامل الحاسم في أى تغيير . إذ أن التغيير الفعلى ، لا بد وأن يأتى من الداخل . والعامل الذى يمكن أن يشل تردد قطاعات من البورجوازية الوطنية ، هو عامل الحركة الجماهيرية في الداخل ، وقدرتها على الفعل والتأثير ، لفرض هذا الشلل ، فرضا . فإن كانت الحركة الجماهيرية مضروبة ، بيد



هذه البورجوازية الوطنية ، نهى ، اذن ، التى تحاول ثل الحركة الجماهيرية ، ومنع فعلها الحاسم الاثر عليها . وكيف بها لا تستجيب للآثر الداخلى وتضربه حتى العجز والشلل ، ثم تتأثر بالعوامل الخارجية ، التى تتجاوب فى الاساس ، مع التوجهات الجماهيرية التى تضربها ، هى بنفسها ، فى الداخل . !

✽ يفترض ثبات للوطنية ، للبورجوازية الوطنية ، أو قطاعات منها . وهو بهذه الفرضية ، التى اعتبرها حقيقة تاريخية ، قد نفى عن هذه البورجوازية صفة الطبيعة المزدوجة . ان الطبيعة المزدوجة نفترض التهادن مع الشعب حيناً ، والتهادن مع الاستعمار حيناً آخر . وهذه الصفة الأخيرة تتنافى مع جذرية وراديكالية الموقف من الاستعمار . ومن هنا ، فان منهج الوحدة والصراع ، مع هذه القطاعات الجذرية الموقف من الاستعمار ، لابد أن يكون منهج وحدة . وأن يخفت الجزء الآخر منه ، والخاص بالصراع ، قدر الامكان ، حتى لا تخاف تلك القطاعات الراديكالية ، وترتد عن مواقفها الجذرية .

✽ يطرح راديكالية الموقف ضد الاستعمار ، عند بعض قطاعات هذه الطبقة ، ثم لا ينكر ممارستها الديكتاتورية على الحركة الجماهيرية . وهو بذلك يضعنا أمام بورجوازية وطنية من نوع جديد : راديكالية الموقف من الاستعمار ، راديكالية الموقف فى مواجهة الحركة الجماهيرية . وحيث أن هذه الطبقة فى السلطة ، أو حيث أن هذه القطاعات الراديكالية ، منها فى السلطة ، وعلى رأسها جمال عبد الناصر ، يصبح ، « واجبا ثوريا » ، العمل على تحويل للراديكالية المواجهة لحركة الجماهير ، الى راديكالية مع حركة الجماهير . وبذا تتسق راديكالياتها الخارجية ، مع تلك المزمع أن تكون داخلية . ومن أجل تحقيق ذلك ، يجب أن تزال « العقبات » التى تخيف تلك القطاعات ، باعتبارها عقبات أمام هذا « التحول التاريخي » ، حتى وان كانت واحدة من تلك « العقبات » ، هى الوجود المستقل للحزب الشيوعى المصرى !

ان خطورة هذا الفكر ، كانت تكمن فى أنه يفقد صاحبه كل يقظة طبقية . انه يضيف على البورجوازية الوطنية ، أو قطاعات منها ، صفات ليست لها ، ويسقط عليها ، قدرات وامكانيات تتجاوز حدودها الطبيعية الى طبقات أخرى ثورية ، وبذلك يحرم ، « نظريا » ، « وموضوعيا » ، هذه الطبقات الأخيرة من دورها . ان خطورة أى فكر ، هى فى الدور الذى يمكن لهذا الفكر أن يقود اليه صاحبه . ان متابعة هذا الفكر تبين ، بصورة أكثر وضوحا ، ماذا كان يحمل فى طياته .

يقول الدكتور فؤاد مرسى ، « ساد نوع من المفهوم الرأسمالى للتنمية الاقتصادية ، وبخاصة فى سنوات المد الثورى ، وانتعاش الحركة الوطنية ، فى اعقاب ١٩١٩ ، وبخاصة الحركة الوطنية فى عام ١٩٤٦ . عندئذ ساد ، بقدر أو آخر ، مفهوم سببه رأسمالى للتنمية الاقتصادية . لذلك قامت ثورة يريو لتعلن - عمليا - فشل هذا المفهوم . . . . . ولهذا اعلنت ثورة يوليو ، منذ بداية الستينيات ، وبعد تجربة حافلة فى تجريب المفهوم الرأسمالى ، أن التقدم مستحيل فى ظل هذا المفهوم . . . . . وبدأت ، من ثم تجربة أخرى ، فى ظل المفهوم للرأسمالى للتنمية الاقتصادية . . . . . وعندئذ فقط ، تم التخلّى ، من واقع التجربة وحدها ، عن المفهوم الرأسمالى للتنمية الاقتصادية . . . . . المفهوم للرأسمالى للتنمية ، لم تعرفه - ولو بشكل قاصر تماما - الا لمدة أربع سنوات فحسب . بعدها لم يطبق ، على الاطلاق . ( منذ اجراءات يوليو ١٩٦١ حتى عام ١٩٦٥ ) . . . . . تعثر المفهوم للرأسمالى ، لأنه افترق ، منذ البداية ، اهم مقوماته جميعا ، وهو وجود السلطة السياسية للدولة بايدى تحالف طبقي ، تلعب فيه الطبقة العاملة دورا حاسما » (١) .

ويقول الدكتور فؤاد مرسى ، « نظام الثورة ، منذ ١٩٥٢ ، حتى وفاة عبد الناصر ، تطوّر فى تمثيله الطبقي . ولم يثبت ، على الاطلاق ، على تمثيل واحد . فى البداية كان يمثل مجموعة من الطبقات الوطنية ، بما فيها الرأسمالية الكبيرة ، ذات اتجاهات وطنية ، راعية فى السوق وما اليها . وهناك مجموعة ممثلة للاخوان المسلمين ، ومحمد نجيب ودوره ، وموقف عبد الرازق السنهورى ، سليمان حافظ وعلى - ماهر ، بمعنى أن النظام ، فى البداية ، كان ممثلا لتحالف طبقي ، موجود فيه البمين الاجتماعى ، بصورة واضحة ، ولكن فيه ، ايضا ، يسار : يوسف صديق وخالد محى الدين ، ممثلين للفكر والحركة الشيوعية ، وعديد غيرهم من الضباط الاحرار . هنا يوجد تحالف واسع ، لكن من القوة الاساسية ؟ كانت القوة الاساسية هى البورجوازية الوطنية ، والتي لم تتبلور معالمها بعد . بعد ذلك انسلخت من هذا التحالف اجزاء وأجزاء . حسب تقدم الثورة ، فى مراحلها المختلفة . ففى المرحلة التى وجه فيها النضال ضد الاقطاع بضراوة من ٥٢ - ٥٤ ، انفصلت عنها اجزاء ، على ماهر وغيره . وفى المرحلة التى بدأت تواجه فيها الرأسمالية المحلية الكبيرة وندعوها الى الدخول فى الاستثمارات وما اليها ، وجدنا انها تصدر قوانين وقرارات تنظيم الرأسمالية . ومن ٥٤ - ٥٦ وجدنا انها تدخل فى

---

(١) مجلة الطليعة - عدد نوفمبر ١٩٧٥ .

مفاوضات مع الاستعمار الإنجليزي ، وغزل مع الاستعمار الأمريكي . في ذلك الوقت أخذت الاتجاهات الأمريكية داخل النظام في النمو . وأخذت الاتجاهات الإنجليزية في الاضمحلال . ثم وصل الصراع الى حرب ٥٦ ، وعندئذ انكشف ، بوضوح ، الطابع الوطني للثورة ، كثورة معادية للاستعمار ، راغبة في استئصاله ، وليس مجرد التوافق معه أو التعايش معه . انها ، مستندة الى نتائج باندوتج ، ودورها الجديد ، أخذت تطرح معارك قوية مع الاستعمار . وفرضت عليها حرب ٥٦ . لكنها استخلصت منها معان كبيرة ، هي التصفية الجذرية للمصالح الاقتصادية الامبريالية . ولقد دفع ، هذا ، الثورة في طريق جديد ، هو طريق التنمية الاقتصادية ، التي كنا نقول ، انها يجب ان تكون اجتماعية ، ايضا . طريق التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، اوصل الثورة الى برامج التصنيع . ثم دخل بها فيما بعد ، الى ضرورة التخطيط ، فعملت اول خطة اعتمدت فيها على الرأسمالية المصرية بالكامل . دور قطاع الدولة كان دورا ثانويا ، وبالتالي أصبح دور الخطة في مهب الريح . ومن هنا ، تم تصحيح هذا العمل باجراءات يوليو ٦١ . اذ عندما طرحت نتائج السنة الاولى من الخطة على عبد الناصر ، وجدها هزيلة تنبئ كلها بعدم تحقيق الخطة في اوانها ، فاضطر أن يدخل باجراءات يوليو ٦١ وما تلاها ، اجراءات ٦٣ ، ٦٤ ، وهكذا . وأصبحنا في دورة ديناميكية للحياة الاجتماعية في مصر ، الجانب الاقتصادي والاجتماعي والسياسي كله معا . وتلك هي التي دفعت مصر الى الامام .

هنا للتحالف الطبقي الذي كان ملتفا حول الثورة أو تمثله للثورة حتى ٦١ ، كان مكونا من البورجوازية الوطنية ، في الأساس ، بأجنحتها المختلفة . عند اجراءات يوليو ٦١ ، انفصل جزء جديد ، لأن الثورة بدأت تصفى. للرأسمالية الكبيرة المصرية ، وبدأت في التصفية النهائية للقطاع المصري . التصفية الاولى عام ٥٢ . وعندما رأت نمو الاقطاع ونمو للرأسمالية الريفية ، دخلت على اجراءات يوليو ٦١ ، وبهذا كانت اجراءات يوليو ، تصفية للرأسمالية الكبيرة المصرية ، وتصفية نهائية للاقطاع المصري أو شبه الاقطاع المصري . عندئذ ، وخاصة بعد ما أعلنت الميثاق الوطني في ٦٢ ، وأن الطريق قد أصبح هو طريق التحولات الاشتراكية . وأن الهدف هو اقامة الاشتراكية ، والغاء استغلال الانسان للانسان ، من خلال القطاع العام ، الملكية العامة ، من خلال التخطيط ، ومن خلال التعاون ، والاعتماد على الشعب منظم ، الشعب العامل في الاتحاد الاشتراكي ، ثم الحزب الطليعي ، عندئذ طرح المثل



الأعلى لما يسمى بالطريق اللارأسمالي . طرح من فبراير ٦٢ الى يونيو ٦٥ . كمثل لم يوضع في التطبيق ، لأنه افتقد الشرط الأساسي وهو السلطة . هنا ، لمدة سنتين وربع ، فقط ، طرح الطريق اللارأسمالي ، كمثل أعلى ، حاول النظام تطبيقه ، لكنه لم يطبقه .

الأمران الرئيسيان في الطريق اللارأسمالي ، جوهر الطريق اللارأسمالي ، السلطة الشعبية ، سلطة تتشكل لأول مرة من الطبقة العاملة والبورجوازية الصغيرة ، ومثقفهم ، وأجزاء من الرأسمالية الوطنية الى تقبل المسار ، والتوجه الاشتراكي ، التوجه الموضوعي الفعلي الرسمي القومي ، كله معا . التوجه بان الاشتراكية العلمية هي الهادي والمنهج ، وأن هدفك هو الغاء استغلال الانسان للانسان . وأن طريقك هو الغاء الملكية الخاصة لوسائل الانتاج الأساسية والاعتماد على التعاون كشكل مكمل لهذا ، ثم هنالك شروط أخرى ، في تقديرى ، أقل أهمية ، ولكنها حاسمة ، شرط أول ، هو درجة ضرب اعداء الاشتراكية داخل البلد ، والشرط الثانى ، هو درجة مواجهتك لاعداء الاشتراكية والوطنية الخارجيين ، والشرط الثالث ، هو مدى ارتباطك بالعالم الاشتراكي . هذه هي الشروط الثلاث الأخرى المواتية للشرطين الجوهريين . الشرطان الجوهريان ، كان منهم شرط متوفر وشرط آخر غير متوفر . الشرط المتوفر كان هو التوجه نحو الاشتراكية ، كان موضوعا بالافعال والاقوال . التوجه نحو الاشتراكية العلمية ، اذ كان مقبولا عندئذ الدفاع عن الاشتراكية العلمية وأصولها الماركسية اللينينية .

في عام ٥٢ ، كان حلف البورجوازية . في عام ٥٦ البورجوازية الوطنية أساسا داخل هذا الحلف . في عام ٦١ أصبحت البورجوازية الوطنية هي التي تقف ضد البورجوازية الكبيرة وتقوم بتصنيفتها ، وعندئذ بدأت تعتمد على فئات وعناصر أخرى من الشعب ، من البورجوازية الصغيرة وتدخلها الحكم معها ، ولكن دون ان تعطيهما الكيان كمثلية للبورجوازية الصغيرة . جاء التمثيل في الميثاق الوطنى الذى طرح قضيه التمثيل . المؤتمر الذى صدر عنه الميثاق تحدث بلسان البورجوازية الوطنية وبلسان البورجوازية الصغيرة . انتصرت البورجوازية الوطنية ، حتى اليمينية ، في أعمال المؤتمر ، وهى التى أعدت تقرير المؤتمر . وهو تقرير رجعى ، لذا طمسه عبد الناصر ولم يعتمد عليه ، واستند الى الميثاق نفسه من ٦٢ حتى وفاته . التقرير كان رجعى ، بين الفرق بين خطين ، خط البورجوازية اليمينية المصرية على احتواء الثورة ، وهى توقف ، وتضع عقبات ، أو تجمد مسار الثورة ، وبين الخط الذى اتخذ عبد الناصر داخل

المؤتمر والذي يعبر عنه الميثاق الوطني أساسا . هنا بدأ يظهر الشعب والطبقة العاملة كتحالف قوى الشعب العاملة . بدأت الايديولوجية تتوجه نحو الاشتراكية العلمية . الاشتراكية العلمية كما يراها النظام .

واستمر النظام في هذا الوضع ، بوجوازية وطنية أساسا ، لكن في تحالف واسع ، فئاتها اليمينية وفئاتها اليسارية ، وجزء من البورجوازية الصغيرة حتى هزيمة ٦٧ . عند الهزيمة انفصلت البورجوازية اليمينية التي كانت بداخل النظام ، لأنها هي التي قادت الى الهزيمة ممثلة في مجموعة العسكريين ومجموعة التكنوقراطيين التابعين لعبد المنعم القيسوني ومحمود يونس . انفصلت في مارس بعد صدور برنامج أو بيان ٣٠ مارس ، الذي كان أول عمل يقول ، البورجوازية الصغيرة تأتي لتشارك في الحكم . وأعيد انتخاب قيادات الاتحاد الاشتراكي وبالذات امانات الأقسام والمراكز ، أساسا ، نوابا للشعب . هذه التركيبة هي التي ادخلت البورجوازية الصغيرة ، لأول مرة ، في السلطة . وأصبح لها لسانها ومفهومها ، الذي عبرت عنه داخل الاتحاد الاشتراكي ٦٨ والذي حل عام ٧١ .

وأنا ازعم ان عبد الناصر ، ابتداء من ٦٢ ، بصفة خاصة ، قد أصبح ممثل البورجوازية الصغيرة في داخل مصر ، وليس في داخل السلطة . ومع ذلك كانت القيادة في ايدي البورجوازية الوطنية ، بل وفي ايدي الاجزاء اليمينية منها ، مجموعة عامر وخلقه ، (١) .

ان هذه الافكار التي يطرحها الدكتور فؤاد مرسى على صفحات الطليعة أو في اللقاء الشخصي معه ، لم تكن هكذا عام ١٩٥٨ . الا ان بذرتها ، بالتأكيد ، كانت موجودة في مقولة ان قطاعات من البورجوازية الوطنية محكوم عليها بالوطنية ، ثم فضجت وتطورت في نفس هذا الاتجاه ، لتقدم لنا برجوازية وطنية من نوع جديدة . تأتي في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لتعلن عمليا ، فشل المفهوم الرأسمالي للتنمية ، وتحاول تجربة ونطبق المفهوم اللارأسمالي للتنمية الاقتصادية ، يتوفر فيها شرط التوجه نحو الاشتراكية بالانفعال والاقول ، وتأخذ ايديولوجيتها في التوجه نحو الاشتراكية العلمية طبقا لرؤيتها . أي انها في الحقيقة ، تكاد تكون الطبقة العاملة المصرية في مرحلة استكمال الثورة الوطنية الديمقراطية ووضع أسس الانتقال الى الاشتراكية . الا ان الطبقة العاملة ليست في السلطة ، حتى يستقيم طريق التطور اللارأسمالي . والطبقة البورجوازية الوطنية التي هي من نوع جديد ، في السلطة ، تحمل كل سمات الطبقة للعماله وخواصها ، ماعدا اسمها ، أو رايتها . فان همجت الرايتان ، راية الطبقة

---

(١) نفس اللقاء الشخصي السابق .

العاملة ، الممثلة في الحزب الشيوعي المصري ، وراية هذه البورجوازية الجديدة ، الممثلة في الاتحاد الاشتراكي ، في تنظيم طليعى واحد ، فقد تحقق الشرط ، غير المتوافر ، وشقت الثورة مسارها .

الا ان شيئا من هذا لم يحدث ، حتى بعد تسليم راية الطبقة العاملة للبورجوازية الوطنية « الراديكالية الجديدة » ، لأن كل تلك الأفكار ، كانت إسقاطا على الواقع ، لا تعبيرا عن حقيقته .

ان القول ، عام ١٩٥٨ ، بان البورجوازية الوطنية ، أو قطاعات منها ، محكوم عليها بالوطنية ، يمكن اعتباره « مقولة الأساس » التي بنيت عليها تلك المتتاليات في التحليل والتقييم الطبقي فيما بعد . فان كانت مقولة الأساس مخالفة للواقع وطبائع الأشياء ، فان كل ما يقوم عليها يكون أيضا مخالفا للواقع وطبائع الأشياء .

ان هذا الفكر ، عند التطبيق العملي له ، في قضية الوحدة الوطنية في الداخل ، يدعم حزب البورجوازية الحاكمة ، « الاتحاد القومي » ، بالدعوة الى تحويله الى جبهة وطنية ، وذلك بالسماح للشيوعيين بالانضمام اليه ، مع الغاء بعض قواعده المقيدة ، كحق الاعتراض أو القاتون رقم ٨ . ويصبح الموقف من الوحدة العربية ، موقفا نابعا من منظور البورجوازية الوطنية المصرية الحاكمة . ان الموقف من حل الاحزاب في سوريا ، موقف يتم لامعراض عليه ، الا ان هذا الاعتراض ، يتحول الى مجرد ، تحفظ ، لا أكثر ولا أقل ، « ان الاصح هو أن نضع قضية انجاح للوحدة وحمائتها ، فوق كل قضية داخلية » (١) ويصبح الموقف الديمقراطي ، ليس هو التمسك بالخصائص المحلية والحريات السياسية والديمقراطية ، ولكن لموقف الديمقراطي « الصحيح » أو « الأصح » هو دعم الوحدة .

ويتحدث هذا الفكر ، أيضا ، عن الوحدة والصراع داخل الجبهة الوطنية ، الا ان الصراع الذي يخوضه ضد شكل الوحدة العربية - وهو الأمر الجوهري الذي لا ينفصل عنها - يتحول الى تحفظ يلزم التحذير من التمسك به ، والاصرار عليه ، اذ من : « الخطأ أن نحصر موضوع الوحدة في هذه الزاوية الضيقة ، زاوية حل الاحزاب » (١) . ويصبح الموقف العام والعملي ، في النهاية ، مطابقا لموقف البورجوازية الحاكمة . انه يضخم في

---

(١) الاحزاب الشيوعية في الوطن العربي - الطبعة الأولى - تشرين الثاني ١٩٦٤ - القسم الثاني ملاحق - الياس مرقص .



نقاط الاتفاق ( جانب الوحدة ) ، ويهون من نقاط الخلاف ( جانب الصراع ) ، بحيث يطمس الصراع لحساب ما يسمى بالوحدة . ويغدو في آخر الأمر ، منهجا ذيليا للبورجوازية الوطنية الحاكمة ؛ يقف على أرضها ، يتبنى منهاجها ، ويؤيد مواقفها .

( ج ) بورجوازية وطنية - ذات قيادة تمتلك طاقات ثورية كامنسة، ومتجددة :

تقول هذه الفكرة ، ان البورجوازية المصرية الحاكمة ، بورجوازية وطنية ، الا ان قادة يوليو ٥٢ كانوا يمتلكون طاقات ثورية كامنسة ومتجددة .

يقول محمد يوسف الجندي ، « كنا نعتبر السلطة في يد البورجوازية الوطنية ، وهي ليست فئة واحدة ، لكنها تمثل فئات يمينية ، وفئات أكثر تقدما ، وكنا نعتبر ، ان عبد الناصر والمجموعة التي معه ، هي التي تمثل القوى المتقدمة في البورجوازية الوطنية . وكنا نسعى لعمل تحالف مع عبد الناصر والمجموعة التي معه ، في السلطة . وكنا نعتبر ان القوى اليمينية التي في السلطة تحاول ضرب هذا التحالف . وتحاول جر عبد الناصر ، والحكومة ككل ، بقيادته ، الى الاتجاه اليميني . ولهذا ، عندما تشكل الاتحاد القوي ، كان رأينا ان ندخله ونكافح من داخله ، لتحويله الى جبهة . اما الخلافات التي بيننا وبين عبد الناصر ، فلم نكن نعتبرها في الصدارة . نقول عن هذه الخلافات ، لكنها ليست الأمر الذي نبرزه . ونركز على النقاط الايجابية ، التي يمكن أن تحقق التحالف . وكان هذا هو نفس موقفنا من الوحدة المصرية - السورية . كنا نعتبر هذه الوحدة ، خطوة كبيرة ضد الاستعمار . وأن الاستعمار يضرب هذه الوحدة ، ونحن نركز على حماية الوحدة ، ولا نركز على الفواحي السلبية بها . على أساس ان هنالك معركة ضارية ضد الاستعمار في ذلك الوقت ، خصوصا بعد ثورة العراق ، التي كانت انتصارا كبيرا ، وسقوط حلف بغداد . وكان تأكيدنا على ضرورة التحالف بين الثورة المصرية والثورة العراقية . وأن كل القوى الوطنية في مصر وفي العراق تقف وراء واحدة ضد الاستعمار . وكان تقديرنا أن الاستعمار ، سيحاول اللعب . وهو قد لعب فعلا في اتجاه تقسيم القوى الوطنية ، بضرب الشيوعيين ، بغرهم من القوى الوطنية ، وقد حدث ذلك في مصر . وفي محاولة ضرب ناصر بقاسم ، ومحاولة ضرب الشيوعيين العراقيين بعبد الناصر ، ومحاولة تقسيم كل القوى الوطنية داخل العالم العربي . ولذا كان توجيهنا هو لم

الشمول ضد الاستعمار ، وأن العدو الرئيسي هو الاستعمار ، ولذا فقد كنا ضد المقولة ، التي كان يقول فيها هيكل ، أن المعركة ضد الاستعمار قد انتهت ، وأصبحت المعركة ، الآن ، مع اليسار ، لأننا لم نكن نعتبر أن المعركة مع الاستعمار قد انتهت . وإذا كنا قد كسبنا معركة لاستقلال السياسي ، فإن معركة الاستقلال الاقتصادي ومعركة حركة التحرير الوطني العربية ضد الاستعمار ، أكثر شراسة وأكثر عنفا ، ولا بد من توحيد جهودنا في هذه المعركة . في هذه الظروف قامت الحملة ضد الشيوعيين .

فيما يختص بالاتحاد القومي وتحويله الى جبهة ، كنا نرى أن هنالك ارتباطا بين الديمقراطية الاجتماعية والديمقراطية السياسية . وكان تقديرنا أن حجر الزاوية في تحقيق الديمقراطية ، في عهد عبد الناصر ، هو أن تكون العلاقات ، بين عبد الناصر ومجموعته وبين الشيوعيين سليمة . بمعنى عدم انفراد أى من هذه القوى بالحكم والاستغناء عن القوى الثانية أو تجاهلها أو ضربها . وأن هذا لن يقود الى الديمقراطية ، ولهذا وبناء على تقديرنا أن عبد الناصر رجل وطني ، ويلعب دورا وطنيا ، وأن هذا الدور يتقدم ويتطور باستمرار . كان تقديرنا أنه بالسبب للمؤسسات التي تعملها الحكومة وعبد الناصر ، يمكننا الدخول فيها ، ولعب دور ايجابي ، وتحقيق هذا التحالف ، من خلال هذه التنظيمات ، دون التخلي عن حزبنا .

ولقد حدث ، في تلك الفترة ، اتصال بين أنور السادات وكلا من شهدى عطية ، ومحمود أمين العالم على انفراد . كان يعرض ايهما حل الحزب ودخول الاتحاد القومي ، إلا أنه حدث رفض كامل لهذه الفكرة وتمسك بوجوب الحزب . كان تقديرنا أنه يمكن التواجد داخل الاتحاد القومي ، وتحقيق التحالف من خلال نضالنا . ليس مجرد التواجد النكلى ، ولكن للتواجد الفعلى ، ويكون لنا دورا فعالا .

طبعا اثناء معركة ٥٦ ، كنا نقول ان القضايا الخاصة بالطبقة العاملة يمكن تأجيلها ، لأن هنالك معركة ضد الاستعمار . كنا نعتبر أنه قد حدث تطور بالنسبة لعبد الناصر ، طبعا موقف عبد الناصر في سنوات ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ لم يكن هو موقفه في ٥٣ ، ٥٤ . بمعنى أن سلطة بوليو عندما قامت في البداية ، كانت سلطة تجرب . ولو راجعنا القوانين التي صدرت في ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ لوجدنا أنها كانت تعطى ، أساسا ، فرصة لانطلاقة رأسمالية ، لخدمة الرأسمالية ، ربما بصورة لم تصدر هكذا من قبل . وكان هنالك محاولات لحل القضية الوطنية عن طريق أمريكا ، والتصنيع عن طريق أمريكا وتمويل السد العالي وقضية الاسلحة ،

وسفر على صبرى الى أمريكا للحصول على اسلحة ، وركنه. هناك دون اعطائه سلاحا أو شيئا . كانت أمريكا تضع في مقابل ذلك الانضمام لحلف بغداد ، أو التحالف معها ضد الاتحاد السوفيتى . ولقد رفض عبد الناصر هذا الخط ، واتخذ خطا وطنيا . بمعنى أنه في مقابل رفض تمويل السد العالم أمم قناة السويس ، وفي مقابل رفض تسليح مصر ، طلب السلاح من الاتحاد السوفيتى . فضل الاتجاه الوطنى على الاتجاه التقليدى ، اتجاه التعاون مع الغرب ، مع الاستعمار . وكسر الحصار الاقتصادى المفروض على مصر ، فدخل في معركة مع الاستعمار ، وبدأ يدعم علاقاته التجارية والاقتصادية والسياسية مع البلدان الاشتراكية . وبدأ يحارب الاستعمار ، ليس ، فقط ، في اطار مصر ، ولكن في البلاد العربية ايضا ، واطار للبلاد النامية كلها ، مؤتمر بانندونج ، وبعد ذلك في اطار حركة عدم الانحياز . وبالتالي أصبح عبد الناصر له دور أساسى في حركة التحرير الوطنى العالمية المعادية للإمبريالية . ولذلك ، فإنه عندما نقول ، أنه في العملية الثورية العالمية ، التى تشتمل أساسا على الدول الاشتراكية وحركات التحرر الوطنى وحركات الطبقة العاملة في العالم ، كان دور عبد الناصر أساسيا وكبيرا وهاما للغاية ضد الإمبريالية والرجعية المتعاونة معها . وكان هذا هو الاعتبار الهام الذى ننطلق منه في موقفنا من عبد الناصر . كان تقديرنا ايضا ، ان الموقف المستمر والمتواصل والجذرى ضد الاستعمار يجعل عبد الناصر يتناقض حتى مع أجزاء من الرأسمالية في الداخل ويمكن أن يتناقض مع الرأسمالية الداخلية ، لأن عبد الناصر قد جرب في البداية اعطاء امتيازات كبيرة للرأسمالية . جرب أن تتم عملية الاستقلال الاقتصادى والتصنيع بواسطة الرأسمالية واعطى لها فرصة كبيرة لذلك الا أن العملية لم تنجح ، أى أن الرأسمالية المصرية لم تقم بالتصنيع أو التمويل الإيجابى ، وهذا هو ما جعله ايضا - من منطلق وطنى - يتجه الى التأميمات ، وأن تأخذ الدولة على عاتقها عملية التصنيع وعملية التنمية الاقتصادية . ومن هذا المنطلق ايضا اصطدم بالرأسمالية الداخلية ، وبدأ في ضرب أجزاء منها . وبسبب ذلك بدأت تنشأ لديه بعض الأفكار الاشتراكية ، والتى قلنا عنها انها اشتراكية غير علمية .

عندما تم تأميم بنك مصر والبنك الاهلى في اطار افكارنا هذه ، قلنا أن هنالك في السلطة ، ليس كل السلطة ، مجموعة في السلطة ، اسميناها مجموعة اشتراكية ، لها أفكار اشتراكية الا انها غير علمية ، غير لماركسية اللينينية ، وقلنا ان السبب في نشوء هذه الأفكار - الى جانب دور الحركة اليسارية في مصر وتأثيرها - الظروف الموضوعية التى تكلمت عنها ، والتى هي الموقف الوطنى ضد الإمبريالية ، موقف الرأسمالية الرافض للقياس



بأى دور للتنمية الداخلية ، بالإضافة أيضا الى العلاقات التى اقيمت من منطلق وطنى مع المعسكر الاشتراكى وتدعيم هذه العلاقات فى مختلف المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية . كذلك الدور الذى تقوم به هذه المجموعة فى العالم العربى وافريقيا وعلى النطاق العالمى فى معركتها ضد الاستعمار ، وايضا تأثير الافكار الاشتراكية العالمية . كل ذلك قد أوجد مجموعة اشتراكية غير علمية مختلفة عن الاشتراكيات الديمقراطية فى اوربا والتحالف مع الاستعمار . هذه المجموعة كانت تحارب الاستعمار وتتعارض معه . كان هذا هو موقفنا من هذه الاشتراكية غير العلمية والتى اتخذت أسماء مختلفة . كانت تسمى فى البداية بالاشتراكية الديمقراطية التعاونية ، ثم الاشتراكية العربية ، ثم الطريق العربى للاشتراكية ثم الاشتراكية العلمية . وكان موقفنا ان هذه الاشتراكية مختلفة عن الاشتراكية العلمية ، الا اننا نسعى مع هؤلاء ، مع هذه المجموعة ، الى تحقيق وحدة العمل من أجل هذه الاهداف الوطنية والديمقراطية . وكنا ، من ناحية أخرى ، نعتبر أنه من الممكن حدوث تطور فكرى لهذه المجموعة ، والفروض فىنا أن نبذل نحن جهدا فى اتجاه التقارب من الاشتراكية العلمية . . . . . وكان فى تقديرنا ان هناك ظروفًا موضوعية تسمح بدفعها فى هذا الاتجاه ، ويمكن لهذا أن يحدث أولا يحدث الا ان هناك دورا علينا فى اتجاه هذه المحاولة . وكان تقديرنا ان فكر عبد الناصر يتطور الى الامام وليس الى الوراء ، يتطور مقتربا من الماركسية ، وليس مبتعدا عنها . كان مثال ذلك ، رفض الصراع الطبقي فى البداية ثم تغيره الى أن الصراع الطبقي أمر موضوعى وحتمى ، الا أن دوره فى ذلك أن يكون الصراع سلميا . ولقد جاءت فى الميثاق كثير من الامكار التى كان يرفضها فى البداية . لقد بدأ بالاشتراكية الديمقراطية التعاونية ثم غيرها الى الاشتراكية العربية ، ثم رفض هذه أيضا وبدأ يقول بالطريق العربى للاشتراكية ثم الاشتراكية العلمية . كان فيه تقدم من الناحية الفكرية .

كان بعض الزملاء يرون اننا فى مرحلة الثورة الاشتراكية مثل عادل حسين وعلى نجيب وربما ابراهيم عبد الحليم ، فى حين رفض آخرون فكرة المجموعة الاشتراكية وكانت ترى فى عبد الناصر رجلا وطنيا وانفسا فى مرحلة الثورة البورجوازية الوطنية ، مثل محمد عباس وطاهر البحرى وعبد الحميد السحرى . الا أن الغالبية كانت مع فكرة المجموعة الاشتراكية ووحدة العمل .

ان الرأى الذى توصلنا اليه بعد ذلك - بعد اجراءات يوليو ٦١ - والتى اعتبرناها تأكيدا لفكرة المجموعة الاشتراكية - فهو اننا فى مرحلة انتقالية ، مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية وأنه يوجد فى المرحلة الانتقالية اجراءات

وطنية ديمقراطية واجراءات تمهد للاشتراكية مثل التأمينات وما شابه .  
اما بالنسبة لوحدة العمل وما يتلوها فهي تنظيم يجسد وحدة العمل ، بمعنى  
وجود قيانتين مستقلتين يجمعهما تنظيم واحد . كانت الصياغة تجمع  
تنظيمنا في تنظيم واحد ، ليست عملية نوبان ولكن تجسيد فكرة وحدة  
العمل . ثم ظهرت فكرة الحزب الواحد على أساس الماركسية اللينينية .  
وكان تقديرنا أنه من الممكن أن نفاضل في هذا الاتجاه ، وهناك تجربة  
كوبا . ان الموقف الوطني المتواصل يمكن أن يؤدي في النهاية الى تبني  
الفكر الذي يمكن استمراره . وكنا نقول بأن انجاز الثورة الاشتراكية يتم  
بحزب الطبقة العاملة ، وأن هذا الحزب يمكن أن يكون نتيجة للوحدة  
التي سوف تتم بين الشيوعيين والمجموعة الاشتراكية ، وأن هذا الحزب  
بقيادة عبد الناصر على أساس أن عبد الناصر سوف يتحول للاشتراكية ،  
للماركسية وكانت هنالك ظروف تمكن من هذا التحول . كان عبد الناصر  
يحدد في ذلك الوقت ان اشتراكيته تختلف عن الماركسية في ثلاثة نقاط ،  
ديكتاتورية البروليتاريا ، الدين ، الموقف من الملكية الزراعية وعدم تأميم  
الأرض وأن الشيوعيين يطالبون بتأميم الأرض وهو ضد ذلك كان في  
تقديرنا أن النقطة الخلافية الأساسية هي الموقف من الشيوعيين . كان  
تقديرنا انه قد حدث تطور لفكر عبد الناصر والمجموعة التي معه وأن هذا  
للتطور يمكن أن يسبر الى مدى أبعد من ذلك ، (١) .

يقول فاروق ثابت ، « كان التصور الموجود ( عام ١٩٥٨ ) ان  
الموقف من الديمقراطية ، الموقف السياسي الليبرالي مرفوض تماما ، أنها  
الديمقراطية الاجتماعية ، الموقف من كتل الجماهير ، من مصالح الطبقات ،  
الموقف الذي يكون في مصلحة الطبقة ، يكون هو الموقف الديمقراطي بصرف  
ال نظر عن الحرية الليبرالية الموجودة . كانت الفكرة وقتها ، ان الحرية  
الليبرالية لا تتيح الفرصة الا للطبقات الرجعية ، لأنها هي ذات أصل  
ثابت وقوى في المجتمع ، تملك النقود ولديها القدرة على الحركة وعلى عمل  
احزاب تنفق عليها وتستطيع أن تفعل ما تشاء ، في حين أن القوى الشعبية  
ما تزال مفتتة وفقيرة ولا تستطيع فعل ذلك . لذا كان الموقف من  
الديمقراطية موقفا اجتماعيا أكثر منه موقفا سياسيا . لذلك فإننا رغم  
الضربات التي كانت توجهها ثورة يوليو للتقدميين - ونحن لسنا مع تلك  
الضربات - كنا نقول لهم ، انتم تخطئون طريق الضرب ، لا تضربوا  
هؤلاء ، ولكن اضربوا اناسا آخرين ، (٢) .

(١) لقاء شخصي معه - ١٩٨١/١٢/١٩ .

(٢) لقاء شخصي معه - ١٩٨٠/٧/٥ .

يقول محمود أمين العالم : « ... الفشل في ادراك الطاقات الكامنة والمتجددة في قادة ثورة يوليو وفي متابعة تطورهم الفكرى من أرض الوطنية الى أرض الاشتراكية ، كان سببا في الفشل في تحليل حقيقة الاجراءات الثورية التى اصدرتها هذه القيادة ! وكان التمسك بفهم ديمقراطية شكلية ليبرالية وتغليب شعاراتها في غالب الاحيان على المعركة الوطنية ومشروعات التقدم الاجتماعى ، كان سببا في العجز عن ادراك حقيقة الطاقات الثورية في قادة ثورة ٢٣ يوليو ! وكان الفشل في ادراك تداخل المراحل الثورية من تحررية واشتراكية سببا في التمسك بتلك الديمقراطية الشكلية الليبرالية ، بل سببا كذلك في مواقف اقليمية ضيقة من الناحية التطبيقية تتناقض مع الاقرار النظرى في الوثائق المكتوبة ، بالقومية العربية . »

وهكذا سلسلة من الاخطاء تقضى في النهاية الى الفشل في تحليل الظواهر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعجز في اتخاذ الموقف الثورى ... » (١) .

ان ما جاء على لسان محمد يوسف الجندى يوضح هذه الفكرة في تطويرها ولا يقف بها عند حدود عام ١٩٥٨ فقط ، اما محمود أمين العالم العالم فهو يطرح في ايجاز ، « مقولة الأساس ، لهذا الفكر ، المقولة التى قامت عليها كل التقديرات التى جاءت فيما بعد وكذا النتائج . »

ان هذه الفكرة في اوائل ١٩٥٨ - عند وحدة الشيوعيين في حزب واحد - كانت تقول بان الطبيعة الطبقيّة للسلطة الحاكمة هي لبورجوازية الوطنية . ومن هنا كانت تتفق في المسمى للعنّام مع الفكرتين الأولى والثانية . الا انها - عند التفاصيل - تضيف الى هذه العمومية ، خصوصية أجزاء منها تتصف بالطاقات الثورية الكامنة والمتجددة ، النابعة من موقف مستمر ومتواصل وجذرى ضد الاستعمار .

ان هذه الصفات أو السمات المنوحة ، من قبل هذا الفكر ، لجزء « متقدم ، من البورجوازية الوطنية يضافى عليه من الخواص ما يخرج عن طبيعته ، ويضعه في اطار طبقي جديد ضمن الطبقات جذرية الموقف من الاستعمار ، أى اقرب ما يكون ، ان لم يكن يتطابق - بوجه خاص - مع الطبقة العاملة . وبالتالي تنفى هذه الخصوصية المضافة أى لقاء بين الفكر الأول والثالث في حين أنها تحقق لقاء فعليا بين الفكر الثانى والثالث .

---

(١) كتاب الاحزاب الشيوعية في الوطن العربى - لياس مرقص  
نقلا عن مجلة الهلال ، سبتمبر ١٩٦٤ .



الالتقاء الايديولوجى بين الفكر الثانى والثالث يوجد فى « جذرية الموقف من الاستعمار واستمراريته ، مما يقتضى بالضرورة موقفا من الرأسمالية الداخلية ذاتها » . أما الاختلاف فهو موجود فى سبب هذه الجذرية . الفكر الثانى يرى ان هذه الجذرية جاءت من حكم على البورجوازية الوطنية ، بالوطنية ، نتيجة ظروف عالمية فى الأساس ، أى ظروف تؤثر عليها من خارجها وخارج البلاد . أما الفكر الثالث فهو يرى ان هذه الجذرية جزء من طبيعتها هى ، أى من داخلها ، الا ان المسار الفكرى واحد ، حين تستبعد كلناهما - فى الواقع للعلى - الفعل الجماهيرى فى التأثير على مجرى الصراع داخل الفئات المختلفة للبورجوازية الوطنية ، فالفعل العالمى ، خارجى ، والفعل الذاتى ، من داخل الطبقة نفسها ، وبالتالي لا دور للجماهير أو الشعب المصرى . ومن هنا يصل كلا الفكران الى نهاية متقاربة ، هى وجود بورجوازية وطنية من نوع جديد تستهدف التطور الرأسمالى أو الاشتراكى للمجتمع المصرى ، أى تستهدف تطورا يضرب فى الأساس علاقاتها الاقتصادية ومصالحها الخاصة . وان هذا التطور يحدث رغم غياب الدور الفاعل والمؤثر ، الارادى والمنظم للشعب المصرى ، بل هو يحدث ايضا فى الوقت الذى تكبل فيه هذه البورجوازية من النوع الجديد ، هذا الشعب صاحب المصلحة الحقيقية فى الاشتراكية ، وتعلن فيه ايضا القوى الاشتراكية الفعلية .

أما لاختلاف بين الفكر الثالث والأول فهو خلاف جذرى ، اذ ان الفكر الثالث :

- يضى على قطاع من البورجوازية الوطنية برئاسة جمال عبد الناصر صفات ليست له باى حال من الاحوال ، كالجذرية فى الموقف من الاستعمار ، والتقدمية ، والثورية المتجددة خبال مراجيل الثورق المختلفة ، مما يجعل لهذه المجموعة أو القطاع موقفا من الرأسمالية الداخلية :

والذى يؤكد ذلك هو ما يطرحه هذا الفكر من فهم لقضية الديمقراطية . انه يرفض الحزبات السياسية باعتبارها امرا شكليا يخدم القوى الرجعية ، وأن الديمقراطية الحقيقية هى الديمقراطية الاجتماعية . أى ان تحقيق مطالب الطبقة العاملة والجماهير الكادحة هو جوهر الديمقراطية . وخبت أن عبد الناصر ومجموعته يحققان هذه المصالح الطبقة فان ديمقراطية هذه الطبقات محققة بالفعل . والديمقراطية الطبقة تعنى السلطة ، فالطبقة أو الطبقات التى تتمتع بديمقراطية حقيقية تحقق مصالحها ، هى تلك التى فى السلطة . فان كانت المصالح الاجتماعية

والاقتصادية للطبقات العاملة والكادحة تتحقق من خلال السلطة القائمة .  
فلابد وأن تكون هذه السلطة ممثلة لها ، معبرة عنها . وبالتالي فسان  
عبد الناصر ومجموعته - من البورجوازية الوطنية - يمثلان ، طبقا لهذا  
الفهم ، الطبقات العاملة والكادحة .

- لا يرى في مواقف هذه « المجموعة المتقدمة » ، بزعامة عبد الناصر  
غير الجانب الوطنى فقط . انه بذلك ينفى وبصورة صريحة عن هذه  
المجموعة من البورجوازية الوطنية ، طبيعتها المزدوجة . انه في الموقف  
العملى ، لا يثير القضايا التى تشكل الوجه الآخر من الازدواجية ، الوجه  
الناتج عن التعارض مع مصالح الجماهير . انه فيما يختص بالمطالب  
الجماهيرية والطبقية ، يؤجلها أو يؤجل اثارها بحجة المعركة مع  
الاستعمار وحيث أن المعركة مع الاستعمار متصلة ، وحيث أن وطنية هذه  
المجموعة جذرية ومتصلة ، فان القضايا الطباقية فى مواجهتها متصلة  
لتأجيل الى ما لا نهاية . وبذا تقصل الحلقة المفرغة التى تقدم تنظيرا  
تبريريا لتجاهل الوجه الآخر من الطبيعة المزدوجة . وتقدم فى ذات الوقت  
دعما فكريا يساند النظام ويدعم تجاهله لحقوق الشعب الاقتصادية  
والاجتماعية والسياسية ، بل واغتصابها ايضا .

ان هذا الفكر بنفيه العملى للطبيعة المزدوجة لقطاع من البورجوازية  
الوطنية يتزعمه جمال عبد الناصر ، وقصره التعامل معه على جانبه الوطنى  
أى جانب الوحدة فقط ، قد عمد دائما الى سياسة التأييد ، باعتبار أن  
هذه المجموعة أو هذا القطاع لا يعيبه غير عدائه للشيوعية ، وأنه كلما  
زادت جرعة التأييد من الشيوعيين كلما ساعد ذلك هذه المجموعة على  
الشفاء من هذا « المرض للعارض » ، وخلق أرض من الثقة تصل بها الى  
تبني الفكر الماركسى والوحدة مع الشيوعيين . وي طرح هذا الفكر منهج  
التأييد المطلق غير الشروط بديلا عن « وفى مواجهة » منهج الوحدة  
والصراع ، التأييد المطلق للايجابيات ( نقاط الاتفاق ) وعدم التعرض  
للسلبيات ( نقاط الخلاف ) ، وأنه من خلال تعميق الايجابيات سوف تحل  
السلبيات من تلقاء نفسها . وهو يرى فى تناول السلبيات بالنقاش  
أو النقد أو المعارضة يسارية تستفز الحليف وتعمق عدم ثقته بالشيوعيين .

- لا يرى من القوى الوطنية الموجودة فى المجتمع المصرى غير المجموعة  
المتقدمة التى يتزعمها جمال عبد الناصر . ومن هنا فان قضية الجبهة  
الوطنية الديمقراطية بمعنى وحدة كل القوى الوطنية الديمقراطية فى اطار  
الجبهة غير وارد فى منظور هذا الفكر . وبالتالي فان الشكل الجبهوى الذى  
يراه هو التحالف مع هذه المجموعة التى اطلق عليها اسم « الحليف » .

ال ، التعريف والتخصيص . وأن هذا التحالف يمكن أن يتحقق بدخولهم  
الاتحاد القومي والعمل من داخله . ويرى أصحاب هذا الفكر ، أن عملهم  
هم داخل الاتحاد القومي يمكن أن يطوروه الى جبهة مع الحليف ، شئ  
ما مثل الكومنتانج الصيني . بل ان عملهم ايضا يمكن ان يطور هذه  
المجموعة جذرية المواقف من الاستعمار ويعيد تثقيفها في اتجاه الماركسية  
ذاتها . وبذا يمكن أن تتحقق وحدة بينهم وبين مجموعة الحليف تشكل  
الحزب القائد للثورة الاشتراكية .

وطبقا لسياستهم في عدم اثاره نقاط الخلاف حتى لا يستفز  
الحليف ، فان موقفهم من الاتحاد القومي كان هو دخوله والعمل من خلاله .  
كما هو ، دون أى شروط أو تحفظات من جانبهم .

وان كان ذلك هو موقفهم من الحريات السياسية والحياة الحزبية  
في مصر ، وكان ذلك ايضا هو موقفهم من قضية الجبهة والقوى الوطنية  
الأخرى غير المجموعة التي يتزعمها عبد الناصر ، فان نفس المنطق والمنهج  
يتطبق على الوحدة العربية ، انهم يؤيدون الوحدة العربية بالصورة التي  
يراهها الحليف ، انهم لا يرون من الوحدة الا جانبها المعادى للاستعمار ،  
دون اعتبار للظروف والاضاع الخاصة بكل بلد عربى على حدة . وهم  
يرون ايضا ان الوحدة العربية مع المجموعة التي يتزعمها عبد الناصر هي  
وحدة في اتجاه التقدم وتشديد النضال ضد الاستعمار . ومن هنا فان  
موقفهم من الوحدة العربية التحررية موقفا مطلقا من أجل الوحدة في ذاتها .

- ان هذا الفكر في محصلته العامة لا يطرس فقط المعالم الطبقيّة  
المميزة لكل من البورجوازية الوطنية والطبقة العاملة ، بل هو باسم  
الطبقة العاملة يعمل على اعادة صياغة مفاهيمها أو تشكيل هذه المفاهيم  
بالصورة التي تحيلها الى ذيل للبورجوازية .

اذن فقد كانت هنالك ثلاثة أفكار رئيسية :

الفكر الأول هو أقرب ما يكون الى الفكر الطبقي الصحيح ومنهجه  
في العمل يحقق ، دون افتعال ، تمايز الطبقة العاملة ومصالحها عن  
البورجوازية الوطنية ومصالحها ، وبالتالي تمايز حزبي كلا الطبقتين مع  
وجود الالتقاء في القضايا المشتركة .

الفكر الثانى والثالث يقفان على أرضية البورجوازية الوطنية وخاصة  
بعض قطاعات منها اسقطا عليها من السمات والصفات ما ليس لها .



الفكر الثانى يطرح خلاصه أو تمايزه الا أنه سرعان ما يحيله الى مجرد تسجيل أو تحفظ يطفى عليه جانب الوحدة ويتحول منهج الوحدة والصراع الى منهج احدى هو الوحدة . اما الفكر الثالث، فهو منذ البداية يرفض التمايز عن الحزب الحاكم ، انه منهج الوحدة والتأييد الى حد التلاشى ، ثم البحث للتمايز عن الحزب الشيوعى المصرى لا الحزب الحاكم .

كانت هذه النظريات الثلاث الصادرة عن مسمى عام واحد متفق عليه للطبيعة التطبيقية للبورجوازية الحاكمة تعكس مدى الخلاف الشديد داخل الحزب حول الفهم الحقيقى لهذه الطبيعة التطبيقية ومدى الخلل الذى يمكن أن يصيب الحزب ، بسبب عدم الوضوح السياسى والايديولوجى الذى تمت على أساسه الوحدة بين الشيوعيين .

كانت تلك الافكار الاساسية وتفرعاتها فى اللجنة المركزية وهيئاتها المختلفة ، وكذلك بين صفوف الحزب وكادره دون تحديد انتهاء تاريخى معين . ان القيادة المركزية كانت هى البؤرة التى نعبر عن هذه الانتماءات التاريخية المختلفة ، الا ان كادر الحزب كان أكثر حركة فى افكاره من قياداته التاريخية التى ارتبطت افكارها بتاريخها القيادى والتنظيرى أو الفكرى . ومن هنا فانه فى الوقت الذى كانت تسيطر فيه الافكار اليمينية ( الفكر الثانى والثالث ) على قيادة الحزب نتيجة الاغلبية اليمينية المتواجدة فيها ، كانت تلقى تلك السياسة معارضة غالبية كادر الحزب وأعضاؤه ، وكان لابد لهذا الوضع ان يقود الى ازمة سياسية .

ان بيانات الحزب فى ذلك الجين أو خلال الفترة الأولى لتكوينه تعكس هذه الحقيقة . يقول توجيه أصدره مكتب العمل الجماهيرى من السكرتارية المركزية للحزب الشيوعى المصرى الى اعضاء الحزب فى ١٠ فبراير ١٩٥٨ تحت عنوان « تقدموا الصفوف الوطنية فى معركة الوحدة العربية » .

« ... ولكن هل القضية الكبرى هى قضية حل الاحزاب فى سوريا ؟ كلا . القضية الكبرى هى ان تنجح الوحدة السورية - المصرية وتنشأ قوة سلام فى منطقة الشرق الاوسط .

« هل الأصح ان نركز كل جهودنا فى نقد حل الاحزاب والنظر الى الوحدة من هذه الزاوية ؟ كلا . ان الموقف الأصح هو ان نستفيد من المد الثورى الذى أحدثته الوحدة واقترن بها واعقبها ... وهكذا نرى انه

من الخطأ أن نحصر موضوع الوحدة في هذه الزاوية الضيقة ، زاوية حل  
لاحزاب . ان الاصح هو أن نضع قضية اتجاه الوحدة وحمايتها فوق كل  
قضية داخلية . ان الموقف الصحيح الذى يخدم قضية الديمقراطية نفسها  
هو ان نحرك اوسع الجماهير من أجل حماية الوحدة وانجاحها .

### « ايها الرفاق

« تقفوا للصفوف في معركة التحرير العربى ، ارفعوا لواء الوحدة  
للعربية من أجل السلام والديمقراطية والرخاء . ايدوا الوحدة فى كسافة  
المجالات وبكافة الاشكال . افصحوا كل المناورات التى تريد اظهار  
الشيوعيين بمظهر معاد للوحدة سواء فى مصر أو فى سوريا » (١)

ان هذه الورقة الموجهة من المكتب للجماهيرى التابع للسكرتارية  
المركزية للحزب توضح أموراً ثلاث :

١ - ان أعضاء الحزب لا يرفضون مبدأ الوحدة ، لكنهم يرفضون  
أن تتم الوحدة على حساب الديمقراطية .

٢ - ان المكتب الجماهيرى باسم السكرتارية المركزية يحاوع اقناع  
أعضاء الحزب بأن نجاح الوحدة هو الذى يخدم قضية الديمقراطية ، وذلك  
تطبيق واضح للمنهج القائل بان تأييد الايجابى يقود الى تصفية كل ما هو  
سلبى .

٣ - ان هذه الورقة توضح كيف يسجن اليمين الحربى لخطأه  
مع الحزب الحاكم فى صورة تسجيلية أو تخفيفية يقوم هو نفسه بمحاولة  
تفنيدها وتغليب جانب الاتفاق عليها .

وتلك مقالة أخرى بعنوان « المنطقة المتحررة » جاءت فى افتتاحية  
« اتحاد الشعب » جريدة الحزب الشيوعى المصرى فى ١٥ مارس  
١٩٦٨ .

« المنطقة المتحررة هى الجمهورية العربية المتحدة . انها المنطقة  
المتحررة فى أرض الوطن العربى الكبير . انها الدولة الوحيدة من بين جميع  
الدول العربية التى تتمتع باستقلال حقيقى وحرية حقيقية . انها الدولة

(١) كتاب الاحزاب الشيوعية فى الوطن العربى - الياس مرقص .

الوحيدة التي لا سيطرة لاستعماري بخيل أو لاقطاعي رجعي على مصائرنا .

د بل ان جمهوريتنا هي أكثر من هذا .

د انها قلعة الحرية في الشرق العربي . انها المنارة التي تتطلع اليها الشعوب العربية المكاثرة . انها المثل والأمل . انها اليد الرحيمة التي انقذت جميلة . وهي اليد القوية الممدودة بالسلاح للجماهير في جبال اطلس . انها مأوى المكافحين الذين شردهم نوري السعيد وسيد رفاعي وسعود بن عبد العزيز . وهي القاعدة التي تنطلق منها القذائف لتردى جنود الاستعمار في صحراء عمان . انها صورة العرب الأحرار في كل مكان . انها دعوة للكفاح في كل ركن من أركان الوطن العربي . ان مجرد وجودها دعوة لشعب الأردن لكي يثور ويحطم مشروع ايزنهاور ودعوة للشعب العربي في الجزيرة لكي يثور ويحطم قاعدة الظهران . هي دعوة للعرب في كل هذه البلاد لكي يسقطوا حكامهم الخونة والرجعيين وينضموا الى موكب التحرر في الجمهورية العربية المتحدة .

لكل هذا لم يكن غريباً ان يتضاعف حقد الاستعمار على جمهوريتنا ، على أرضنا المتحررة . جمهوريتنا هي الشوكة في جنب الاستعمار ، وهي الضوء الكاشف لمؤامراته واليد الضاربة لوكاره ، والقوة الباطنية بعمالته . ويفرز الاستعمار حقه على جمهوريتنا في مؤامرات تكساد تتابع بعدد الايام ولو استطاع لجعلها تتابع بعدد الوشائق واللحظات (١) .

ان هذه الافتتاحية لجريدة الحزب انما تعكس بشكل واضح ومحدد النظرة الاحادية الجانب ، والتي يرتقى فيها جانب التأييد ، فقط ، الى حد التهليل والتكبير والتسبيح ، مما يخرجها عن نطاق التحليل او المرحل السياسي ، الى الغزل السياسي . المقالة هنا تركز على جانب واحد فقط ، هو ما يسمى بالجانب الايجابي ، لأنها ، وهي تعمل ذلك ، كانت الأحزاب الوطنية في سوريا قد حلت ، وبدأت مظاردة القوى الديمقراطية والتقدمية وعلى رأسها الحزب الشيوعي السوري .

ويمكن ملاحظة الفرق الواضح بين هذا المنهج ، الذي كان يعبر عن الفكر الثاني والثالث ، وما جاء في بيان الحزب الشيوعي المصري ، الصادر عن المكتب السياسي ، رداً على أنور السادات ، في سبتمبر ١٩٥٨ ، وفيه

(١) نفس المصدر السابق .



يكون المنهج اقرب الى الفكر الأول داخل الحزب ، بعد زوال سيطرة الفكر الثانى والثالث ، أى الفكر اليميني ، على اللجنة المركزية وهيئاتها .  
( راجع نص البيان - مرفق رقم - ١ ) .

لقد ظل هذا الفكر اليميني ، الفكر الثانى والثالث ، يسيطر على أغلبية اللجنة المركزية وهيئاتها ، طوال الثلث الأول من عام ١٩٥٨ ، أى منذ تكوين الحزب . فى حين كان الفكر الأول ، هو فكر غالبية أعضاء الحزب وكوادره . ورغم هذه السيطرة اليمينية الفجة على الحزب ، إلا أن الفكر الثالث كان يرى ، فى التوجه العام للحزب ، « يسارية » ، لا يقبل سر بها ، فى التعامل مع « الحليف » . كان هذا الفكر الثالث يحرك ، أن الوضع القائم فى اللجنة المركزية ، حيث يسود الفكر اليميني ، والوضع العام داخل الحزب ومؤسساته المختلفة ، والتي تعارض غالبيتها ، فكر اللجنة المركزية ومنهجها ، وضع مؤقت ، لابد وأن يحسم لصالح غالبية كادر الحزب ، أى لصالح الفكر الأول . وكانت تلك النتيجة ، المحتملة ، أو المتوقعة ، تشكل بالنسبة إليه ، كارثة الكوارث . ومن هنا ، كان لابد وأن تنفجر ، فى داخل الحزب ، أزمة سياسية حادة .

#### أزمة سياسية - ومعالجة تنظيمية :

ان الأزمة السياسية ، أو الصراع السياسى داخل الحزب الشيوعى لم يكن بالغريب . بل هو أمر متوقع إذ أن الحزب يعمل بين الجماهير وداخل مجتمع متعدد الطبقات ، يستمد عضويته من داخل هذا المجتمع وبالتالي فهو عرضة على الدوام لوجود أفكار أو وجهات نظر تعكس فى داخله مصالح قوى اجتماعية أخرى تحاول أن تدفع به الى اليمين أو اليسار عن الخط الطبقي الصحيح . ومن هنا فإن لائحة الحزب أو دستوره للداخلى حدد طريقة معالجة هذا الصراع أو الاختلاف بطريقة ديمقراطية ، تقوم على فتح النقاش داخل الحزب كله حول نقاط الاختلاف وحق كل من الأعضاء أصحاب وجهات النظر المختلفة فى التعبير عنها ، ثم إنهاء هذا النقاش أو الصراع بشكل تنظيمى ديمقراطى ايضا يتوقف على حجم المشكلة أو الظروف التى يمر بها الحزب ، وهذا الشكل هو المؤتمر العام المنتخب أو الكونغرس المعين الاستثنائى أو الملزم للجنة المركزية . ولقد اشتملت لائحة الحزب عند تكوينه فى يناير ١٩٥٨ على كل تلك القواعد ، بل يمكن القول ان لائحة حزب يناير ١٩٥٨ كانت من انضج اللوائح فى تاريخ الشيوعية المصرية فى تلك الفترة .

الا ان المشكلة لم تكن مجرد وجود لائحة جيدة أو ناضجة . كانت القضية هى تطبيق هذه اللائحة أى وضعها فى الممارسة .

كان المقروض طبقا للضرورة السياسية القائمة ، ولظروف تكوين الحزب الذى لم تمضى شهور معدودة على اعلانه ، وللتاريخ الانقسامى الطويل الذى يثقل الحركة الشيوعية المصرية ، ان تكون المعالجة سياسية وبمشاركة كادر الحزب وأعضائه ، الا أن غالبية اللجنة المركزية عالجت الازمة السياسية باعتبارها ازمة تنظيمية . وكانت تلك الاغلبية التى تشكلت خلال معالجة الازمة اغلبية من هم على خلاف مع بعضهم البعض ، أى لم تكن تجمعهم وحدة الموقف السياسى وهى الشرط الأساسى فى معركة أو ازمة سياسية ، كان يجمعهم موقف حلقى . ومن هنا كان هذا التجميع ، بهذه الصورة ، فى تلك الظروف ، تجمعا لا مبدئيا . أى تشكلت أغلبية لا مبدئية لمعالجة ازمة الحزب ، ضمت أطرافا من الفكر السياسى الأول مع الفكر السياسى الثانى فى مواجهة أصحاب الفكر السياسى الثالث . أى تجمعت أغلبية تنظيمية لمعالجة ازمة سياسية . فكان لابد من تجاهلها للطريق اللاتحى فى معالجة الازمات السياسية وتحويل الازمة الى مجرد مخالفات تنظيمية ، تعالج باجراءات تنظيمية ، تحسمها الاغلبية اللامبدئية أو الاغلبية العديدة التى تشكلت فى اللجنة المركزية . وبذا فإن الاسلوب الذى طرحته لم يكن يحل ازمة الحزب بل كان يعمقها .

### فاعلية الفكر الانقسامى :

لساذا وقعت اللجنة المركزية للحزب فى هذا الخطأ الفادح ؟ السبب الأساسى فى ذلك يرجع الى نقطة قصور أخرى ثابتة الوحدة بين الشيوعيين المصريين والتى على أساسها تكون حزب يناير ١٩٥٨ . ويمكن تلخيص هذه النقطة فى أن الفكر الانقسامى داخل الحركة الشيوعية عامة رغم هزيمته باعلان الوحدة ، الا انه كان ما يزال فكرا قويا . ومصدر قوته أن غالبية اللجنة المركزية كانت تتشكل من عناصر تاريخية قيادية لم تكن قد تخلت بعد عن مفاهيمها للحقبة الانقسامية . وهذه العناصر التاريخية لا ترجع الى حزب واحد ، فقط ، من الاحزاب التى اتحدت معا لتكون حزب يناير ١٩٥٨ ولكنها كانت تشكل غالبية القيادات التى جاءت من الاحزاب الثلاث . وبذا حدث نفس التناقض الذى كان واقعا فى المسألة السياسية . غالبية القيادة من عناصر ما زالت تؤمن بصحة فكرها الانقسامى ، وغالبية الكادر والأعضاء تؤمن بالوحدة والحزب الواحد . لقد ناضل كادر الحركة الشيوعية كلها من أجل هذه الوحدة ، الا انه عند التوحيد وتشكيل القيادة جاءت غالبية القيادات التى تشكلت منها القيادة المركزية الواحدة من عناصر تاريخية حقة لم تتطلى عن فكرها الانقسامى .

كان هذا الفكر الحلقى الانقسامى ، هو الذى حول المعركة من معركة سياسية الى معركة تنظيمية . كانت المعركة السياسية سوف تقود الى فرز

طبيعى يحلل هذه الحلقة ويؤكد ويدعم وحدة الحزب بأصوله التاريخية المختلفة . وكان الفكر الحلقى الانتقاسى يدرك جيدا ان المعركة السياسية لن تهرم اليمين فقط ولكنها سوف تهزم بقايا الفكر الحلقى الانتقاسى مما يعرض مواقع نفوذه القيادية لخطر حقيقى . ومن هنا كانت الاستدارة حول المعركة السياسية وتقديم المعركة على انها معركة تنظيمية تعلو فيها رايات الدفاع عن القبلية التاريخية باسم الدفاع عن الحزب والشيوعية .

### ماركسيون ومتمركون :

كان حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى ( ع . ف ) يؤمن قبل وحدة يناير ١٩٥٨ ، بأن فى مصر ؛ تيار ماركسى وتيار متمركون . وأنهم هم الذين يمثلون التيار الماركسى الصحيح . وأن باقى القوى الشيوعية خارج حزبهم انما هى قوى متمركونة ، أى تدعى الماركسية . الا أن كادر هذا الحزب خاض معركة هامة فى مواجهة هذا الفكر داخله ، انتهت الى عقد مؤتمر اقر بالوحدة مع باقى الفضائل الماركسية ، مما يعنى هزيمة هذا الفكر الانتقاسى . الا ان غالبية من رشحهم هذا المؤتمر كى يصبحوا أعضاء فى اللجنة المركزية للحزب الواحد بعد الوحدة ، كانوا ممن لا زالت هذه النظرية الانتقاسية تسيطر عليهم .

### لا شيوعية خارج الحزب :

وكان الحزب الشيوعى المصرى ( البراية ) يؤمن قبل هذه الوحدة ، بأنه ليست هنالك قضية توحيد للشيوخين المصريين وتكوين حزب شيوعى . اذ انهم هم قد كونوا هذا الحزب واعلنوا وجوده ، ولا شيوعية خارج حزبهم . وأن الاحزاب الأخرى أو المنظمات الأخرى التى تدعى الشيوعية ليست الا منظمات انتهازية عميلة للبورجوازية الحاكمة والتى كان يطلق عليها هذا الحزب حينذاك اسم « الفاشية » . الا أنه عندما تغير موقف هذا الحزب من النظام الحاكم ، وقال بان الفاشية قد تحولت الى بورجوازية وطنية بل وايضا الى بورجوازية وطنية ثابتة الوطنية ، وأمام عنف معركة الوحدة التى كان يخوضها كادر الحركة الشيوعية كلها فى مصر ، أعلن هذا الحزب أن يمكن وحدة الحزب الشيوعى - الذى هو حزبهم - مع الانتهازيين عملاء للبورجوازية الوطنية - الذين هم باقى الشيوعيين فى مصر - ، على أساس أن هذه الوحدة هى الطريق الى تصفية هذه الانتهازية باستيعاب قواعدها واعادة تثقيفها وتربيتها . ولقد جاءت غالبية العناصر القيادية من هذا الحزب الى قيادة الحزب الواحد حزب يناير ١٩٥٨ مكونة من غلاة أصحاب هذه النظرية الحلقية الانتقاسية .



## التنظيم الأم والتيار التاريخي :

وكان الحزب الشيوعي المصري الموحد والذي تكون في فبراير ١٩٥٥ من وحدة خمس منظمات شيوعية هي : طليعة الشيوعيين المصريين والنجم الأحمر والتيار الثوري ونواة الحزب الشيوعي والحركة الديمقراطية للتحور الوطني (حدثو) ، قد قام اثر معركة سياسية وتنظيمية ناضجة . الا ان غالبية قيادة « حدثو » كانت ترى في نجاح هذه الوحدة هزيمة لها ولمفاهيمها التاريخية . لقد كانت تلك الغالبية ترى ان « حدثو » هي التنظيم الأم ، وان الغالبية الساحقة من التنظيمات الأخرى ، انما هي انقسامات عليها ، وبالتالي فان الموقف الصحيح - من وجهة نظرها - هي ان تنقد هذه التنظيمات نفسها وتعود الى حدثو الأم . وقد تبدو هذه النظرية مبدئية براءة ، الا انها في الحقيقة كان تؤكد وترسخ الوضع الانقسامى ، لأن المنظمات الأخرى كان لها رأيها في ظاهرة ان تكون « حدثو » معمل تفريح للانقسامات ، وان تنفرد بتلك الظاهرة وبالتالي مسئوليتها هي عن الانقسامية في مصر . والشئ الثانى ان هذه المنظمات لم تعد تلك التى خرجت منها يوما ما بل هي في غالبيتها تختلف اختلافا أساسيا عن هذه الأصول رغم وجود بعض العناصر بها ممن كانوا أصلا في « حدثو » . ولقد هزمت نظرية « حدثو الأم » في معركة تكوين الحزب الموحد بيد كادر « حدثو » نفسه وكادر باقى المنظمات الشيوعية التى اتحدت معا حينذاك . ومن هنا اعتبرت القيادة التاريخية « لحدثو » ان نجاح هذه الوحدة على أسس سياسية ، وعلى أسس من الندية ، هزيمة لها .

كانت ترى هذه الغالبية من قيادة « حدثو » ، في قيادة الحزب الموحد ( فبراير ١٩٥٥ ) انها تمثل التيار التاريخى الثورى في الحركة الشيوعية المصرية كلها . التيار التاريخى الذى خاض نضالات وطنية واجتماعية مختلفة ، وتمكنت غالبية قيادة « حدثو » داخل « الحزب الموحد » - وبسبب تماسكها الحلقى فى الأساس - من فرض غالبية العناصر المرشحة للقيادة المركزية لحزب يناير ١٩٥٨ من عناصرها التاريخية التى ما زالت تتمسك ، وبعنف ، بفكرة التيار الثورى والتيار التاريخى وحدثو الأم أى كل التراث الذى يعبر أى موقف حلقى انقسامى .

كانت غالبية قيادة « حدثو » التاريخية داخل اللجنة المركزية للحزب الواحد ( يناير ١٩٥٨ ) ترى في هذه الوحدة ما يهدد بطمس « دورها التاريخى » المتميز ، وأن هذه الوحدة بالضرورة ستسوف تذيب كثيرا من كوابرها في هذا الحزب الواحد وتصهرهم مع باقى كادر الحركة الشيوعية

القائم من مختلف المنابع ، مما يهدد تماسكها التاريخي ، ، ويؤدي الى تلاشي « التيار الثوري » . وكانت ترى هذه المجموعة في الفكر اليميني الذي يسير عليه حزب يناير ١٩٥٨ فكرا يساريا يضر الثورة ، رغم انه اقرب الى تفكيرها . كان الحزب الواحد بكل نواقصه ، يشكل خطرا مباشرا على وضعها وتحديا لنظريتها عن التيار التاريخي وخلافه . ويهدد تمايزها .

### نظرة التمايز :

ان نظرة التمايز هذه ترتبط ارتباطا وثيقا بفكر هذه المجموعة الحلقى الانقسامى . فالوحدة والحزب الواحد بالنسبة لهذه المجموعة يعنى التلاشى التنظيمى والسياسى والتخطى عن الدور التاريخى او طمسه وضياعه .

ولقد اتخذت هذه النظرية الانقسامية بعدا جديدا مع تطور الاحداث فى مصر ، واتجاه هذه المجموعة بأفكارها ونظرياتها الى التأييد المطلق للحزب الحاكم ورئيسه جمال عبد الناصر .

يفضل فاروق ثابت ، « كانت هناك فكرة لدينا ان السلطة الناصرية تنظر الى كل الشيوعيين باعتبار انهم شيء واحد . وأن الخلافات التى بينهم ، سواء بالتأييد او المعارضة أحيانا ، انما هى خلافات تكتيكية وتآمر على السلطة . ولقد كان تفكيرهم كذلك بالفعل . وحتى نخرج من هذا الوضع ، يصبح من الضرورى ان نقول لهم ، ان الخلاف خلاف أساسى مبنى على أسس من التحليل والنظرية والتطبيق . واننا نؤيدكم بالفعل ، وأننا أصحاب فكرة الديمقراطية الاجتماعية . نحن الذين نتوجه الى الكتل الجماهيرية . ولدينا ثقة انكم فى النهاية سوف تأخذون الموقف مع الكتل الجماهيرية . كان هذا الكلام فى أواخر الخمسينيات .

بدات فكرة التمايز حتى نعلم السلطة ان الفرق ليست واحدة . وانه من الافضل لكم ان تتعاملوا معنا . ولا يعنى ذلك اتفاقات ، لكنه يعنى تعامل سياسى . بمعنى ان تتيحوا الحرية لهؤلاء الذين يؤيدونكم حتى يعملوا فى مختلف المجالات ، فى الثقافة والسياسة ، فى الحزب وفى التنظيم ، هذا ما كان متصورا فى ذلك الوقت ، لأن عملهم فى النهاية سوف يصب فى نفس المصب الذى نسير فيه ثورة يوليو ، وبذا يمكن بناء مصر بناء جديدا ،

لم تقل وقتها أنهم سوف يبنون الاشتراكية . كنا نرى أن هناك مرحلة  
مثل مرحلة « النب » NEP (١) مثلا ، مرحلة تأتي بعدها مرحلة  
الاشتراكية ، (٢) .

كانت نظرية الدمايز نظرية حقلية انقسامية ، تابعة في الأساس من  
نظرية « التيار الثوري التاريخي الأم » ، على أسس سياسية وتنظيمية  
فرضها تكوين الحزب الواحد ( يناير ١٩٥٨ ) ، والموقف السياسي  
والإيديولوجي من النظام الحاكم ، مما جعل انقسام أصحابها على الحزب ،  
أمرا حتميا .

### نظرة أن يوجد الحزب أو لا يوجد :

ويأتي بعد ذلك موقف الغالبية من المجموعة القيادية ، في اللجنة  
المركزية للحزب الواحد ، والمنتمية أصلا إلى الحزب الشيوعي المصري  
( الراية ) .

يقول الدكتور مؤاد مرسى ، « سوف أبدا من تكوين الحزب  
الشيوعي المصري الواحد في ٨ يناير ١٩٥٨ » ، لأن هذا هو الحدث الأساسي في  
تاريخ الشيوعية المصرية ، فيما بعد حدث تأسيس أول حزب شيوعي .  
اذ بتأسيس الحزب الشيوعي المصري الجديد في ٨ يناير ١٩٥٨ ، نحدثت  
المواقف داخل الساحة السياسية بحيث أصبح إلى جانب النظام الوطني  
الذي يقوده جمال عبد الناصر فيما يعرف بالاتحاد القومي ، كيان آخر  
يعمل بالسياسة ، بأسلوب شبه علني هو الحزب الشيوعي المصري . وأن  
الموقف الذي اتخذه هذا الحزب من النظام كان موقف الوحدة والصراع على  
أساس أن النظام في أيدي البورجوازية الوطنية ، ومن ثم كان الموقف منها  
هو الوحدة معها في المواقف الوطنية ثم الصراع معها فيما عدا هذا الصراع  
الوطني وحتى في مواقفها ضد الاستعمار ، ناهيك عن قضايا الصراع  
الطبقي الأساسية والتي طرحت في ذلك الوقت بصورة صريحة ، وقد  
أصبح هناك متحدث باسم الطبقات الشعبية وبالذات العمال والفلاحين ،  
يسمى نفسه الحزب الشيوعي المصري ويتبنى في الأساس مواقف هذه  
الطبقات الشعبية . ومن هنا بدأنا ندخل في صراع مع النظام في جانب  
ونؤيد النظام في جانب آخر . إلا أننا ووجهنا بعد قليل ، في شهر فبراير ،

---

(١) السياسة الاقتصادية الجديدة والتي طبقت بعد الثورة الاشتراكية  
في الاتحاد السوفيتي .

(٢) نفس اللقاء الشخصي .



بقضية الوحدة المصرية السورية وكان علينا ان نقول رأينا بتأييد عملية الوحدة والاعتراض على شكلها ، كان شكلها يتنافى مع الديمقراطية لأنه كان مبنيا على حل الاحزاب في سوريا وتكريس نفس الشيء في مصر ، والسير على عدم الاعتراف بالخصائص المحلية للقطر السوري والشعب السوري ، فبدأنا ندخل في صراع حتى في هذا المجال .

تجمعت بعد ذلك نذر معارك طبقية ، عمال النقل وعمال النسيج وما اليها ، لهم مطالبهم مع الدولة ، مطالبهم مع رأس المال الخاص ، تصدت الدولة لكبت حركات العمال . وكان المعروف ان الدولة وصلت الى حد محاصرة مصانع بقوات بوليس بل بقوات جيش ، وأحيانا أرسلت دبابات لمحاصرة بعض المصانع ، فكان هنالك مجال لاحتكاك مستمر بين الحزب الشيوعي المصري والنظام .

حتى منتصف ١٩٥٨ ، انعكس هذا الاحتكاك المستمر داخل الحزب في صورة صراع حول الخط السياسي للحزب ، وموقف الحزب من النظام . وبنات تطرح مشاكل صغيرة ، كبرت الى حد ان اصبحنا امام مشكلة محددة . هنالك رأيين داخل الحزب الشيوعي المصري : رأى يتبناه كمال عبد الحليم وشهدى عطية ومبارك عبده فضل ورفاق آخرون ، ورأى آخر نتبناه نحن بكل نجمعاتنا . الرأى الأول يرى ان دور الحزب الشيوعي دور منحرف ، ان يتخذ مواقف صراع مع النظام ، وأن على الحزب ان يتخذ موقف المنبر الذى يدعو للشيوعية دون ان يتورط في نضال جماهيرى . هذه الفكرة كانت قد برزت في الفكر والنضال الشيوعي العللى قبل ذلك . بقليل عندما ادينت فكرة تحويل بعض الاحزاب الشيوعية الى نواة للنقاش ، اى منابر لنشر الوعي دون القيام بالنضال . فوجدنا ان لها صدى في هذا الرأى الأول ، الذى بدأ يحدد انه حتى لا ضرورة لوجود حزب شيوعي " طرحت القضية ، الفكرة ، بهتة الصورة ، طرحها للصف الثانى من كادر المناطق على أساس ان للصف الأول لا يتناول هذا الموضوع وان كان مسلمة لديه . وقيل في بعض الاجتماعات رسميا انه لا داعي لوجود حزب شيوعي وان المخططة تستدعى مجرد منبر لنشر الوعي الشيوعي لا أكثر ، وأن علينا ان نبحث عن دور في داخل النظام بتأييده ودعمه . في البداية لم يكن الموضوع بهذا الحجم . كانت خلاصات صغيرة في منطقة القاهرة ، امتدت الى غيرها من المناطق ، ثم ارتفعت الى المستوى المركزى وهكذا . كانت تتزايد باستمرار وتتمو حتى أصبحت في النهاية ، هذا الوضع . هل هنالك داع لوجود حزب شيوعي أم لا ؟ وكنا وقتها في صراع مع الاتحاد القومى . وكنا نرى ان هذا الاتحاد القومى انما هو محاولة لطمس الصراع الطبقي أساسا . ان له جانباً الوطنى ، الا ان

له دورا أساسيا هو محاولة تسطيح الطبقات وطمس الصراع الطبقي ، لهذا كنا نتحفظ كثيرا على دور الاتحاد القومي وأن لنا دورا مستقلا بعيدا عنه . عندها تطورت الخلافات ، وصلنا الى حالة انقسام المجموعة الأولى انقسمت في كل المناطق ، ثم في المستوى المركزي ، .

ويكمل الدكتور فؤاد مرسى ، « ان تقييمي اليوم يختلف عن تقييمي وقتذاك . كنا وقتها متأثرين بأحداث الصراع اليومية التي تحدث وبصفة خاصة الطعن الذي تم للوحدة الحبيثة والاتسكال التنظيمية التي كانت موجودة . بمعنى أنه كان هنالك بدون شك ، شعور لدى انا شخصا بان الحزب يطعن وانها عملية خطيرة . وان الواحد منا يهب للدفاع عن الحزب ، عن وجوده . بمعنى ان العملية لم تعد خط سياسى سليم أو خط سياسى خطأ ، انما في الافكار الجارية . كنت احس ان وجود حزب شيوعى امر مطلوب . وهنا تحركنا بنوع من الحدة ، وبنوع من الحماس للدفاع عن الحزب الوليد ، وظهر ذلك عاجلا في صورة خط تنظيمى ، دون ان ننسى ان المعركة رفعت الى الحد السياسى في كل لحظة . وكان للخلاف يطرح دائما من الطرفين . ولما صدر قرار الفصل في النهاية كان مؤسسا تأسيسيا سياسيا واضحا . ولو امكن الرجوع الى مثل هذا القرار اليوم فاننا سنجد ان الفهم المطروح هو فهم سياسى وليس فهما تنظيميا . لكن هنالك حق في القول بان الاجراء كان متعجلا من جانبنا ، الا انهم هم الذين كانوا يستفزوننا ويجروننا الى هذا الوضع . كان الواحد منا يشعر وقتذاك ، وما زال على هذا اليقين حتى الآن ، بانهم كانوا غير راغبين في البقاء معنا . كانوا يريدون ترك هذا المكان الذى يحجر على حريتهم في الراى ويجعلهم ينتمون لسياسة ليست بسياستهم . الاجراءات التنفيذية كانت تتم من الطرفين ، هم ينقسمون بكل اجراءاته الانقسام ، ونحن نرد على الانقسام . بمعنى انه لم يكن قرارنا ان ينقسموا ، أو ان قرار الفصل كان هو السبب ، لأن قرارات الفصل كانت آخر عمل تم . هم كانوا ينقسمون بالفعل . شكلوا مناطق مستقلة . شكلوا تفرعات مستقلة . شكلوا مركزا مستقلا . كان آخر قرار منا هو الفصل . لكن هنالك حق فيما يقال من اننا عاجلا الامر بتعجيل مهلة كان وبشكل علوى دون الرجوع للقواعد . وبشكل تنظيمى اكثر منه بشكل سياسى . وأن الحل الذى كان يجب اللجوء اليه ، هو الدعوة لمؤتمر طارىء يناقش هذا الموضوع بصورة سياسية أكثر منها تنظيمية . كان هذا الحل سيطيل الوضع القائم ، وضع الشلل الذى كان الحزب فيه . فما زلت اذكر الحزب لغدة شهور في حالة شلل تنظيمى وبالتالى شلل سياسى ، غير قادر على اخذ قرارات ومواجهة مشاكل البلد السياسية والاقتصادية والاجتماعية . ومن هنا كان لابد من وضع حد لهذا الشلل التنظيمى . لكن الحكمة كانت تدعو الى عدم

للتعجيل ومعالجة الموضوع بالرجوع الى الكادر لجعله موضوعا سياسيا اكثر منه تنظيميا ، وكان هذا على الأقل ، ان لم يعيد هؤلاء الذين خرجوا ، كان سيجعل الباقين على الأرضية السليمة « (١) .

وخلاصة ذلك ان الوضع عام ١٩٥٨ كما يراه الدكتور فؤاد مرسى :

- كان خلافا سياسيا داخل اللجنة المركز والحزب ، حول الخط السياسى للحزب وموقف الحزب من النظام .

- كان هنالك رأى تقبيلهم مجموعة من حجتو ترى بأن الحزب منحرف .

- كان هنالك ايضا - فى الصف الثانى من مجموعة حدثو - من يرى ان الحزب الشيوعى غير ضرورى .

- لم تعد المسألة خط سياسى سليم او خاطئ ، انما المسألة هى الدفاع عن وجود الحزب . يوجد أم لا يوجد .

- ان الانقسام بدأ يمارس اجراءاته بالفصل ، ففتت مواجهته باجراءات تنظيمية كرد فعل .

وهو يرى الآن ، ان المعالجة كانت متعجلة وعلوية ، تنظيمية اكثر منها سياسية . وانه كان يجب الرجوع الى القواعد واللجوء الى دعوة مؤتمر طارىء يناقش هذا الموضوع بصورة سياسية اكثر منها تنظيمية .

والحقيقة ان غالبية المجموعة المركزية التى كانت تنتمى فى الأصل الى الحزب الشيوعى المصرى ( الراية ) ، كانت من الناحية السياسية اقرب المجموعات فى اللجنة المركزية - للحزب الواحد - من غالبية مجموعة حدثو المركزية . ( وقدم تم تناول هذه النقطة فيما سبق عرضه ) . كما كانت تؤمن غالبية هذه المجموعة بانهم هم الحزب الشيوعى فى مصر ، وان الوحدة مع الآخرين من « الانتهازيين » انما هى الطريق لتصفيتهم . ومن هنا احتفظوا بعلاقاتهم الحزبية القديمة ، داخل الحزب الواحد ، بعد الوحدة . مما كان يعنى التزام أعضائهم بهم هم كقيادة « الشيوعية الثورية الوحيدة » ، وعدم الالتزام - فى الواقع الفعلى - بقيادة الحزب الواحد . وكان هذا الوضع من الناحية التنظيمية وطبقا للائحة الحزب يعتبر وضعاً تكتليا يخرق قواعد التنظيم وينتهك لائحة الحزب الواحد بل

---

(١) نفس اللقاء الشخصى .



وينفيها • ولهذا فإن الوضع الفعلى والواقعى لغالبية مجموعة الراية القيادية داخل الحزب ، لم يكن يختلف عن وضع غالبية المجموعة القيادية « لحدثو » داخل الحزب سياسيا أو تنظيميا • كان الفرق من الناحية التنظيمية أن الوضع الانقسامى لغالبية حدثو وضعنا يمكن الإمساك به لاثحيا ومواجهته بالاجراءات التنظيمية ، اما وضع غالبية مجموعة الراية التكتلى فهو وضع سرى داخل الحزب السرى ، لم يكن يسهل الإمساك به وقتذاك • ومن هنا فإن ائتلاف غالبية هذه المجموعة المركزية ، مع غالبية المجموعة القيادية المنتمية فى الأصل الى حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى ( ع • ف ) والتي تختلف معها سياسيا بشكل أساسى ، إنما هو موقف لا مبدئى فى السياسة ، كما أن محاسبتها لغالبية المجموعة القيادية من « حدثو » عن أخطائها التنظيمية والتي كانت هى نفسها ترتكب مثلها ، يكون أيضا موقفا لا مبدئيا فى التنظيم • وأن حقيقة هذا الائتلاف أنه قد قام فى الأساس على موقف حلقى انقسامى للتخلص من تيار معاكس لهذين التيارين تاريخيا ، تحت شعار عام براق هو « حماية الحزب ووجوده » •

#### نظرة ضرب اليمين بـ«اليمين الحاسب اليسار» :

ثم يأتى بعد ذلك موقف الغالبية من المجموعة القيادية فى الاجنسه المركزية الحزب الواحد ، والمنتمية أصلا الى حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى ( ع • ف ) •

يقول حلمى ياسين « منذ الدقيقة الأولى للوحدة اتضح ان هنالك عناصر دخلت الوحدة وفى ذهنها ان هذا الوضع مرحلى ارغمتها الظروف عليه • وبكل اسف فان مواجهة ذلك لم تتم بالطريقة المصبوطة من جانب الاغلبية • اغلبية الكوادر والقواعد ، بما ذلك هؤلاء الذين يدينون لتلك العناصر ، كانوا يريدون حزبا واحدا وكانوا ضد الانقسام • لم تكن المعالجة حكيمة ، وليست الحكيمة هنا هى التنازل أو قبول التمرد ، الا انه كان من السهل استدراج الاغلبية لمعالجة التمرد باجراء تنظيمى والحزب ما زال وليدا وبه مشاكل تنظيمية • انت بذلك تعطى له الاذن بالانشقاق وانت تعلم مقنما انه يحضر لهذا الانقسام •

كان وراء الانقسام عقيدة سياسية ، تقول بان هنالك مجموعة من اليساريين قد سيطرت على هذا الحزب • وفى اعتقادى أن الحزب عامة

كان يمينيا رغم اقترابه أكثر فأكثر من النضج والاهتمام بقضية الديمقراطية . ولقد أدى الانقسام الى معرفة كل اسرار الحزب « (١) » .

وخلاصة الوضع كما يراه حلمي ياسين عام ١٩٥٨ :

- أن هنالك عناصر أرغمت على الوحدة على غير رغبتها أو قناعتها  
( بقصد مجموعة من عناصر حدثت القيادة )

- أن أغلبية الكادر والقواعد تقف مع الوحدة وضد الانقسام بما  
في ذلك غالبية كادر قواعد حدثت .

- أن هذه العناصر ترى أن خطر الحزب يسارى رغم أن الاتجاه  
العام للحزب كان يمينيا ، فما أوجد خلافا سياسيا .

- كانت المعالجة في الأساس تنظيمية .

وهو يرى الآن أن المعالجة لم تكن حينذاك حكيمة ، وأن الأغلبية  
استدرجت لاتخاذ ما يحقق صالح الانقسام .

ويقول نبيل صبحي ، « استغرق الحزب في موضوع الانقسام .  
لم يكن هنالك تسييس لهذا الصراع ، فقط جمل عامة مثل ( يد البورجوازية  
داخل صفوف الطبقة العاملة ) . كان الموقف اجرائيا أكثر منه سياسيا .  
للتسييس كان سيجعل حدثت والراية في صف واحد تقريبا ، وهنا تصبح  
عملية الفصل غريبة .. إلا أن الوضع الاجرائى يكتل الوضع الحلقى في  
مواجهة للوضع الآخر .

ولقد تم اجتماع للاربعة عشر عضوا باللجنة المركزية الذين يمثلون  
ع . ف وآخرين من غير المركزيين . كانت غالبية الحاضرين ترى أن اليمين  
للحقيقى هو الرفيق فؤاد مرسى ومجموعته . وأن تقرير الرفيق يمثل ايدى  
البورجوازية واقدامها داخل الطبقة العاملة . وكان مطلب الزملاء هو  
الانتظار بعض الوقت لمحاصرة الفكر الحلقى ، كما أن النزول الى الجماهير  
سيحاصر الفكر اليميني . وقد اعترض على الاجتماع خمسة من اعضاء

---

(١) لقاء شخصى معه في ٦/١٩ ، ٧/٩/١٩٨٠ .

اللجنة المركزية هم لويس اسحق ، حسن صقلى ، نبيل صبحى ، سامى عجيب واحمد سالم وسباس من خارج اللجنة المركزية هو يوسف درويش . وكان اعتراض الزملاء قائم على أساس ان هذا الاجتماع تكلمى وغير تنظيمى الا أن الرفيق عباس رد على كل الاعتراضات واعلن مسئوليته عن الاجتماع باعتبار أن الحزب مقدم على انعطافة خطيرة ، وأن أى اهتزاز أو خلطة سوف تزيد من تمزق الحزب ، وأن الانقسام الواحد سوف يتحول الى عدة انقسامات . ان الانقسام الذى يجرى داخل الحزب غير مستبعد عن تحركات العدو الطبقي ضد وحدة الحزب من أحداث تفجير من داخله . . وأن عدم اخذ فرصة لتسييس المعركة واستئجال الانقسام للانقسام يستدعى نشاطات غير عادية بين كسوار الحزب وتوعيتهم ، وأن هذا الاجتماع جزء من نشاطات التوعية تلك ، وأنه يتحمل المسئولية كاملة .

واستمر الاجتماع ، حتى الذين اعترضوا عليه ، استمروا ولم ينسحبوا . اوضح الرفيق أبو سيف يوسف انه ان لم يتم فصل المنقسمين ومواجهتهم ، وانشغل الزملاء بعملية التسييس تلك ، فانهم وحدهم الذين سيتعبون . كان تلميحا واضحا حيث ان من يسعون باليسار في اللجنة المركزية حينذاك ، كانوا هم أعضاء ع . ف ومعهم اقلية من الموحد ، وكل الباقي يمين . والحقيقة ان المواقع السياسية بين الراية وحدتو لم تكن تختلف . كان قصد أبو سيف يوسف ان يضرب اليمين باليمين ، لحساب ما يسمى باليسار . وهو بذلك كان يسيى المعركة بطريقته الخاصة . الا اننى ارى ان الكثيرين من الذين خرجوا مع حدثو في الانقسام . كان من الممكن كسبهم مع الوقت والعمل السياسى . وان كان هذا متعبا لليسار ، الا ان مجرى الأحداث كانت فى صالحه ، وبذا تأخذ المعركة شكلا مبدئيا .

ان ما حدث كان نتيجة طبيعية للشكل الذى تمت به الوحدة ، حيث انها تمت بتشكيل لا مبدئى . كانت الخلافات بين التيارات ليست مجرد خلافات سياسية ولكنها كانت فكرية ايضا ، تجمعها راية واحدة بعد خلاف عدائى طويل ولمدة تنسيق ستة اشهر فقط . كانت الوحدة قد تمت على أساس لائحة ومبادئ سياسية عامة . وحتى نقاط الخلاف أو الاتفاق لم تكن مسجلة . كان هنالك ثلاثة خطوط سياسية مختلفة لم تسجل كوثائق للوحدة ، حتى يحاسب فى المستقبل كل على صحة فكره أو خطئه (١) .

---

(١) لقاء شخصى معه - انظر المرفق رقم (٣) .



وهذا يعنى :

- ان الفكر اليميني قد تمثل في مجهرعتي الراية وحسدت القياديتين  
دايتس اللجنة المركزية .

- ان مجموعة الراية هي التي تمثل اليمين الحقيقية في الحزب .

- ان مجموعة حدنو القيادية كانت تتجه اتجاها مؤكدا نحو  
الانقسام .

- ان الائتلاف المعلن بين ع . ف والراية يرفض تسييس المعركة .  
حبث تمام على اساس حلقى لا على اساس سياسى .

- ان المنهج الحلقى الانقسامى الذى يعالج به هذا الائتلاف الازمة  
بمعكس انقسامته . أيضا بخرب هذا الائتلاف نفسه ، تحت شعار ضرب  
اليمن باليمن لحساب اليسار . وهنا يكشف المنهج الحلقى الانقسامى  
عن نفسه كمنهج قمارى .

- ان علاج الازمة يتم بعيدا عن . جمل الكادر وقواعد الحزب ،  
محسورا في اجتماعات تكتلية هي في الاساس اجتماعات قبلية تهدف الى  
التدبئة لمساندة الائتلاف المركزى في رفض منهج تسييس الازمة والرجوع  
الى قواعد الحزب كله ، والعجبة في سلوك المنهج التكتلى التائم على  
الاجراءات البائرة .

- ان هناك رفاقا من ع . ف قياديين وغير قياديين كانوا يرغبون  
هذا المنهج ويتخذون موقف الادانة منه .

- ان ما حدث كان نتيجة موقف لا مبحثى في الوحدة ذاتها وحده  
الحزب في ٨ يناير ١٩٥٨ .

يقول فريد رمزى ، « بعد الوحدة لم تكن الحقيقة قد انتهت .  
كانت بعض العناصر عاجزة عن الانهماج في الوحدة . كانت كل تصرفاتهم  
ومناقضاتهم وتحركاتهم تحمل الطابع الحلقى المقيت ، والتشكيك في العناصر  
القادمة من التنظيمات الأخرى . وكان البعض منهم يتخطى المسؤولين  
من تيارهم التاريخى ليتصل بالزملاء في الاقسام أو القواعد ، اذا كان  
لهؤلاء المسؤولين دور توحيدى . كانت هناك عناصر جادة في الوحدة

الا ان التيار الحلقى فى المركز والمناطق انعكس على بقية الكادر ، ولم يكن هذا قاترا شائ ع . ف نقط ، ولكن كانت هنالك عناصر من المصرى ( الراية ) ايضا « (١) .

وهذا يعنى .

- وجود الفكر الحلقى بعد الوحدة ورغمهما .

- كانت هنالك عناصر غير مقتنعة بهذه الوحدة من حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى ( ع . ف ) . ولعبت هذه العناصر دورا فكريا يشكك فى الآخرين وتنظيميا مخائفا لقواعد الحزب الواحد باجراء اتصالات حلقية .

- ان هذه العقائدية ايتظت الحلقية مرة اخرى .

- ان عناصر من الحزب الشيوعى المصرى ( الراية ) كانت تمارس نفس الاسلوب .

- انه رغم ذلك كانت هنالك عناصر جادة فى ايمانها بالحزب والتمسك بوحدته .

كانت غالبية مجموعة ع . ف القيادية تختلف اختلافا اساسيا مع غالبية مجموعة الراية القيادية وغالبية مجموعة حدتو القيادية . ومع ذلك فهى قد اختلفت فى اقلية تنظيمية مع المجموعة اليمينية الاولى ضد المجموعة اليمينية الثانية ، حيث ان المجموعة الثانية ( حدتو ) هى الاقوى عدديا والامثل تنظيميا وجماعيا من المجموعة الاولى ( الراية ) ، وبالتالي فان ضربها بهذا الانحلاف يسسول عليها واو مخندة مواجسة المجموعة الاولى فيما بعد تحت شعار ضرب اليمين باليمين . وهى لتحقيق ذلك عقدت الاجتماعات التكتلية الحلقية ومارست الاتصالات الجانبية ونفذت المستويات الحزبية مما يعد خرقا تاما للمنظيم ولائحة الحزب ، وهى المسائل التى حاسبت مجموعة حدتو تنظيميا لخروجها عليها . أى اذانت السلوك التنظيمى لغالبيتها مجموعة حدتو فى الوقت الذى كانت تمارس فيه نفس ما تدمن به الآخرين ، ومن هنا فقد كان موقف هذه الغالبية القيادية من ع . ف لا مبدئيا فى السياسة ولا مبدئيا فى التنظيم ايضا .

كانت مجموعة ع . ف القيادية هى اقرب المجموعات التاريخية الكبيرة الى الخط السياسى الصحيح ، وكان ذلك يعنى سياسيا انها اقرب

---

(١) لقاء شخصى معه فى ٣ ، ٤ ، ٨/٢٨ - ١٩/١٠/١٩٨٠ .

الى غالبية كوادى الحزب وقواعده والتي كانت ترفض الاتجاه اليميني  
للسائد فى خط الحزب السياسى للرسمى . وكان فى وسعها لو سارت على  
نفس الطريق المبدئى التنظيمى اللاتحى الذى يعبود الى كادر الحزب  
وقواعده - اذا كانت هنالك ازمة سياسية - ان تلعب دورا سياسيا  
مصححا لخط الحزب الرسمى ، ودورا تنظيميا مؤكدا لللائحة ودستوره ، ودورا  
توحيديا يدعم الحزب ويدفع به الى الامام ويضرب الفكر والاعمال  
الانقسامية . الا ان الحقيقة التاريخية هي ان غالبية هذه المجموعة القيادية  
لم يكن مؤهلا لهذا الدور ، ليس من زاوية كفاءة افرادها ، ولكن من زاوية  
عدم الثقة فى مجمل كادر الحزب الشيوعى المصرى الواحد وقواعده ، وعدم  
الثقة فى جدية الوحدة أو عدم القناعة بجديتها ، والتربية الحلقية المغلقة  
والمحاذير التاريخية والتي هي فى جوهرها فكر انقسامى يقوم على أساس  
انهم وجدهم الماركسيين وكل من خارجهم انتهازى متركس .

ان كل ذلك - فى الأساس - يرجع الى الخطأ الفادح فى الشكل الذى  
تمت به الوحدة التى تكون على أساسها الحزب الشيوعى المصرى الواحد ،  
حزب ٨ يناير ١٩٥٨ . ان التيار التوحيدي العارم فى الحركة الشيوعية  
كلها ، لم يعكس صورته الحقيقية فى اللجنة المركزية للحزب الواحد . لقد  
جاءت الغالبية من الاحزاب الثلاثة التى اتحدت ، تمثل القيادات التقليدية  
بفكرها ومنهجها الانقسامى .

ان الوحدة نفسها كانت تعنى هزيمة العقلية الانقسامية لهذه  
القيادات التاريخية . وكان قبول غالبية هذه القيادات التقليدية بالوحدة  
هو نوع من التسليم دون قناعة ، أو الهزيمة أو الخضوع للإرادة العارمة  
لغالبية الكادر والقواعد أو الضغوط العالمية والعربية . وكان على غالبية  
هذه القيادات وقد أمسكت بالسلطة فى الحزب ، ان تحاول اثبات صحة  
رؤاها التاريخية الانقسامية . ولذا كان من الطبيعى ان تكون اللجنة  
المركزية هي بؤرة الانقسامية فى الحزب . وأن يكون منهجها بعد الوحدة  
فى علاج مشاكل الحزب ، هو نفس منهجها الحلقى الانقسامى قبل  
الوحدة . فهي وان كانت قد هزمت فكريا الا انها لم تتخلى عن افكارها  
كما انها لم تهزم تنظيميا فما زالت هي القيادة ايضا . كان كل فريق يحاول  
اثبات صحة مقوله الانقسامية : غالبية قيادة حدثت وضرورة التمايز امام  
خطر تلاشى التيار الثورى التاريخى فى ظل اقلية معادية لها تاريخيا .  
غالبية قيادة ع . ف ونظرية الماركسيين والمتركسين ، غالبية الراية  
ونظرية تصفية الانتهازيين بالوجود معهم . وتحول الصراع الحلقى  
الانقسامى التاريخى من فوق منابر مختلفة الى صراع حلقى انقسامى داخل  
الحزب الواحد . وبذا حولت غالبية هذه القيادات التقليدية الحزب من



وعاء للتوحيد الى وعاء يحقق لها تصفية حسابات تاريخية عجزت عن تحقيقها قبل الوحدة ، كما يحول ايضا هزيمتها بوحدة الشيوعيين الى انتصار لها بانقسامهم مرة اخرى أو استحالة التعايش معا في حزب واحد مما يؤكد صحة مقولاتهم التاريخية الانقسامية الحلقية .

وهكذا أصبح من مصلحة غالبية القيادات التقليدية للحزب الثلاثة السابقة - حتى دون اتفاق - الدفع بتسييس الازمة الى الخلف ، ووضعها على ارضية تنظيمية تخدم بالكامل منهج الانقسامية السائد .

### موقف الفكر التوحيدى :

كان ذلك هو موقف غالبية القيادات التقليدية فى اللجنة المركزية ، وكانت تواجه تلك الاغلبية اقلية فى اللجنة المركزية تمثل الفكر التوحيدى والذى كان يعبر بالفعل عن الاتجاه العام لوجهة نظر غالبية الكادر والأعضاء الذين قاتلوا من أجل الوحدة وتكوين الحزب الواحد . وكانت تتكون تلك الاقلية فى اللجنة المركزية من عناصر كانت تنتمى فيما سبق الوحدة ، الى المنظمات التى كونت الحزب الشيوعى المصرى الموحد ، بها فى ذلك حدثو ، ومن بعض العناصر الشابة اساسا من ع . ف وأقلية ضئيلة من الراية ، وان كانت لم تسفر عن مواقف عملية .

كانت تلك الاقلية ترى أن الازمة فى الحزب هى فى الأساس ازمة سياسية ، وان حل هذه الازمة لن يتحقق بالانقسام على الحزب بغرض التمايز ، أو الاجراءات التنظيمية بناسم حماية الحزب من التخريب ، انما يلزم ان تلقزم اللجنة المركزية بلائحة الحزب فى اطار قواعد المركزية الديمقراطية ، بفتح الصراع الايديولوجى حول نقاط الخلاف على نطاق الحزب كله . وانهاء هذا الصراع بعد استيفائه فى صورة مؤتمر عام ملزم للجنة المركزية ، بل ومن سلطاته تغيير اللجنة المركزية ، اذا رأى ذلك فى مصلحة الحزب ووحدته ، أو فى صورة كونفرنس استشارى أو ملزم للجنة المركزية . ان هذا المنهج الذى يضع القضية فى يد اصحابها من كادر الحزب وقواعده ، كان فى وسعه ان يعالج ما شاب الوحدة من نواقص فى السياسة أو الفكر الانقسامى . لا يمكن للكادر بعد الوحدة ، وتمسكا بها ، تدارك ومعالجة ، ما لم يمكن تداركه ومعالجته قبل الوحدة . وبهذا تتدعم وحدة الحزب ، وتصوب الاخطاء ، ويرسخ المنهج الديمقراطى فى تناول المشاكل التى تعترضه .

وكان هذا المنهج يدرك ايضا أنه يمكن - بمشاركة الكادر - محاصرة الانقسام الى أقصى الحدود وتعريفه ، بحيث يعود الضرر على المنقسمين وحدهم ، لا على الحزب نفسه . وان استخدام سلطة الاغلبية المركزية على نحو تنظيمي ، لمعالجة الوضع الانقسامي ليس بالامر الصائب . انه استخدام قاعدة حزبية صحيحة في غير الموضع والموقف الصحيح .

ولقد بنى هذا المنهج موقفه على أساس :

- ان الخلاف السياسي في الحزب امر متوقع ، وان احتمال سيطرة اقلية يمينية أو يسارية على اللجنة المركزية امر وارد وليس بالمستبعد أو الغريب أو الذي لم تسبقه سابقة . الا ان المسألة على النوام ، ليست في الخلاف السياسي ذاته ، ولكنها في كيفية معالجته ، مما يؤدي الى هزيمة هذه الافكار الغريبة عنه وعن ايديولوجيته ، ويقود إلى المزيد من وضوح سياسته أو تصويبها وتعميق رؤيته التطبيقية وتوحيد صفوفه . وبالتالي فان الفكر اليميني أو اليساري في الحزب ، لا يثير الفرع أو رد الفعل المتسم بالعصبية وفقدان الاتجاه ، انما يثير اليقظة والعمل الواعي من خلال الممارسة الجماهيرية والوضوح النظري والفهم الصحيح للاواقع بما يحاصر هذا الفكر ويحد من نفوذه الى اقصى درجة ممكنة .

- ان الفكر الانقسامي قد حرم حقا باعلان الوحدة والمعركة التي خاضها مجمل كادر الحركة الشيوعية المصرية ، الا انه لم ينته . والقضية انه يسيطر على عناصر نملك مراكز مفتاحية في الحزب ، تتيح لها الممارسة الفعلية لهذا الفكر الانقسامي ودفع الحزب اليه . وان تلك الامكار تنتظر اول مبادرة تتيح لها الانتفاض ، حتى تثبت صحة موقفها التاريخي وخطأ موقف الذين نادوا بالوحدة .

- ان الانصالات الحلقية - بعد عمر طويل من الانقسام وانعدام وفقدان الثقة - امر طبيعي للغاية ، داخل الحزب الواحد بعد تكوينه . ولا يعني ذلك الاقرار بصحة هذه الاتصالات أو بصحة الخروج على التنظيم واللوائح ، لكنه يعني الاقرار بحقيقة موضوعية ، مطروحة للعلاج ، وصولا الى القضاء عليها وتأكيد وتعميق الانتماء للحزب الواحد .

ان هذه المعالجة تأتي بالتنوعية واعادة التربية واعطاء المزيد من الثقة في الحزب الواحد ، والعمل على تحويل الولاء للقيادات التاريخية والاقتناع بها ، الى ولاء لقيادة الحزب الواحد والاقتناع بها . ولا يمكن أن يتم ذلك بشعارات عامة عن الدفاع عن الحزب ووجوده أو اتهام الآخرين بالتخريب

والعمالة للبورجوازية او الاجراءات التنظيمية ، والتي تمثل في مثل تلك الظروف والاحوال والامور الخاصة بالحزب الشيوعى المصرى ، عسفا بالغاً في حدها الأدنى . اذ ان تلك الممارسات لا ينفرد بها طرف دون الآخر ، ولا يمكن لاحد هذه الأطراف أن يستبيحها لنفسه بينما يمينها بالنسبة لغيره . فما كان المبرر « الثورى » لذلك .

الا ان الفكر الانقسامى من أجل « التمايز التاريخى » وتصفية « المتمرسين والانتهازيين » كان يقابل بضراوة . اصحاب النظرية الأولى يسعون للخروج من الحزب بأكبر عدد من الأعضاء وأكبر قدر من الامكانيات الفنية المادية - واصحاب النظرية الثانية ، يسعون الى استبعاد أكبر قدر من الأعضاء الذين ينتمون تاريخيا الى الحزب الشيوعى الموحد . ومن هنا وقع التيار التوحيدى - وهو يناضل من أجل منع الانقسام أو الحد منه - بين فكى الرعى . بلغ موقف الفريق الأول منه حد الاعتداء على افراده والفريق الثانى حد اتهامه بالابفاء على الانتهازية وتخريب الحزب . وكان هذا أمراً طبيعياً ، فالفكر الانقسامى يرى فى الفكر التوحيدى عدواً له يستحق الردع ، كما يرى فيه مدمراً لمنهجه . وكانت القضية ان الفكر الانقسامى يعتبر « تخريب » منهجه بتأكيد الوحدة « تخريباً للحزب » نفسه .

ونجح الانقسام نتيجة الجهود المكثفة التى بذلتها كل الأطراف الانقسامية فى اللجنة المركزية . واعلن الانقسام انه هو الحزب الشيوعى المصرى ( حدثوا ) . وسرعان ما حقق تمايزه عن الحزب الشيوعى المصرى الواحد ، وعدم تمايزه عن الحزب العسكرى الحاكم ، ووقف على منصات الانداد القومى جزءاً لا يتجزأ من حليفة البورجوازية الوطنى . وعاد اسم حدثوا ( الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ) الى الظهور رسمياً مرة أخرى . وكان المفروض انه قد انتهى بانحداد حدثوا واربع منظمات اخرى عام ١٩٥٥ وتكوين الحزب الشيوعى المصرى الموحد . وكان ذلك اعلاماً واضحاً على أن غالبية قيادة حدثوا التاريخية ، كانت تحين الفرصة لاعلان حدثوا مرة أخرى ، وبهذا فانها لم تكن تؤمن بالوحدة بدءاً بالحزب الموحد فى فبراير ١٩٥٥ أو الحزب المتحد عام ١٩٥٦ أو الحزب الواحد فى ٨ يناير ١٩٥٨ .

كانت البورجوازية الوطنية الحاكمة وحزبها العسكرى يرصدان كل ما يجرى داخل الحزب الشيوعى المصرى باعتبار ان الانقسامية ، أى ضرب الحزب لنفسه بنفسه من الداخل ، سوف يصيب الحزب بالعجز ثم التمزق وعودة الوضع الانقسامى الى ما كان عليه . وبهذا يكون



الشيوعيون قد وفروا بأيديهم ما على الحزب العسكري أن ينجزه بيديه ،  
أى ضرب الحزب من الخارج .

ولم ينجح الانقسام فى ذلك ، الا ان العقلية الانقسامية خلال  
الازمة ، طرحت كل اسرار الحزب على المسأله . وكشفت كثير من الاسماء  
الحزبية التى لم تكن معروفة لذى أجهزة الأمن من قبل . فالصراع  
الانقسامى العدائى دفع الأطراف المختلفة الى عدم الحرص على امان  
وسرية الأطراف الأخرى ، مما مكن أجهزة الأمن من تحقيق نصر سهل سقط  
فى ايديها دون جهد منها ، مما جعلها قادرة على استكمال كشفها وبياناتها  
عن قوات كل الفرق ، وأن تعد عدتها ليوم موعود .

\*\*\*

خرج الجزء الأكبر من مجموعة حدثو فى الانقسام ( الحزب الشيوعى  
المصرى « حدثو » ) ، الا أن الغالبية الكبرى ممن كانوا ينتمون الى منظمات  
أخرى فى الموحد ، ظلت داخل الحزب ، وكذا جزء هام ، وحدويا وسياسيا ،  
من الكادر والاعضاء الذين ينتمون تاريخيا الى « حدثو » .

يقول صابر زايد ، « اننا فى الأصل من حدثو ، الا أنه عندما  
حدث الانقسام ظلت داخل الحزب . كان هنالك ما يسمى بالحزب  
وما يسمى بالمنقسمين وكان أغلبهم من حدثو . انا رجل مبدئى ، قلت  
لابد وأن يكونوا مخطئين . كان رأى أنه يلزم بقاؤهم داخل الحزب . كان  
هذا يثير ضيقهم منى للغاية . كان هنالك فضائل أخرى مثل ع . ف  
والراية ، وكان المنقسمون يسمون هؤلاء بالنكتل . لكننى كنت اعتبر  
الحزب هو حيث كنت وبقيت . كانت وجهات نظر الآخرين ان ع . ف  
والراية يتآمرون على تنظيمهم ، وأنهم قد فصلوا البعض وفى طريقهم لفصل  
الآخرين ، ولذا خرج الباقون قبل أن يفصلوا لكننى ظلت فى الحزب ، (١) .

وكان هذا القطاع الذى ظل فى الحزب ، ينتمى فى أصوله التاريخية  
الى الحزب الموحد ، يشكل قوة فاعلة ومؤثرة فى التيار التوحيدى بالحزب .

وأدى خروج غالبية العناصر القيادية المنتمة فى أصولها التاريخية  
الى حدثو ، اما بالفصل او بالانسحاب من الحزب ، الى فقدان اليمين  
لسيطرته على الحزب . ولما كان فقدان هذه السيطرة قد تم بطريقة  
اجرائية وليس بطريقة سياسية فان نفوذ الفكر كان ما يزال قويا  
فى الحزب . فقد ازيج الأفراد ولم ترح الأفكار .

---

(١) لقاء شخصى معه فى ٢٣/٩/١٩٨٠ .

واعيد تشكيل اللجنة المركزية بتضييقها ، كما أعيد تشكيل المستويات الحزبية الأخرى . وتمكن الحزب ببجد خارق من للمة صفوفه واعادة تنظيم قوائمه . وأدى التشكيل الجديد للجنة المركزية الى وجود اغلبيه سياسية يمكن أن تتجه بالحزب الى مواقف ومواقف أكثر طبقية . كما أن التيار التوحيدي في الحزب ، رغم انه لم يتمكن خلال الازمة من فرض منهجه الصحيح لمعالجتها ، الا انه ازداد قوة بعد الازمة ، حيث ثبت بصورة ملموسة ومباشرة لكثير ممن جرفتهم روح القبيلة وندائها ، صحة ما قاله ، من أن ادارة المعركة بالأسلوب الحاقى القامرى قد وسع من خسائر الحزب في الكادر والعضوية واستباحة كل أسرارها الداخلية . كما اعطى مثلاً حياً لكيفية ممارسة الصراع الداخلى والالتزام الحزبى ، مهما كان مخالفاً في المنهج أو الرأى مع اللجنة المركزية ، مع موقفها من اللائحة نصاً وروحاً ، وأمام الصرار هذا التيار للتوحيدي في مجمله ، والذي كان يضم قوى من كل الأصول التاريخية المكونة للحزب ، وافقت اللجنة المركزية على فتح الصراع الايديولوجى في الحزب ، وتنظيم هذا الصراع على أن يختتم بانعقاد مؤتمر عام أو كونهونس مركزى طبقاً للظروف ، يضع خطاً ثابتاً وواضحاً للحزب خلال المرحلة السياسية القادمة ويعيد انتخاب القيادة المركزية . وكانت ازمة الحزب هى احدى النقاط الهامة التى ستطرح خلال هذا الصراع والتى سيقول المؤتمر فيها كلمته . كان الصراع في مجمله سوف يدور ضد خطر الفكر اليميني على الحزب وضد بقايا الفكر الخلقى والانقسامى .

وخسرت البوخوازية الوطنية وحزبها الحاكم رهانها على ان الانقسام سوف يفجر الحزب من داخله ويعيد الوضع الانقسامى الى سابق عهده .

### ثورة العراق وحملة العداء الشيوعية :

في تلك الاثناء تلاحقت الاحداث . قامت ثورة العراق ، واطيح بحلف بغداد ووقع الاعتداء على لبنان وهزم ، ووقف الحزب الحاسم في مصر والحزب الشيوعى المصرى وكل القوى الوطنية تساند ثورة العراق وتواجه الهجمة الاستعمارية ، واثرت قضية الوحدة بين مصر والعراق . وأصر جمال عبد الناصر على منهجه في الوحدة لا الاتحاد . ووقف الحزب الشيوعى المصرى يؤيد الاتحاد الفيدرالى وبدأت الصحافة المصرية تلمح الى السيطرة الشيوعية على ثورة العراق ، كمدخل للهجوم عليها . كانت ثورة العراق تختلف عن ثورة مصر في موقفها من الاحزاب الوطنية المعادية للاستعمار ، فقد تعاونت معهم منذ اللحظة الأولى ، وكانت تلك الاحزاب

في الأساس أربعة أحزاب هي ، الحزب الشيوعي العراقي ، الحزب الوطني الديمقراطي ، حزب البعث وحزب الاستقلال \* وكان هنالك شكل من اشكال الجبهة يربط فيما بينها ، ومن هنا رفع الحزب الشيوعي في مصر - تأكيد لموقفه من الديمقراطية - شعار جبهة وطنية ديمقراطية مثل الجبهة العراقية \* كانت ثورة العراق الوطنية قد اضافت الى الحركة الثورية العربية ممقا وبعدا يدعم النهج الديمقراطي في الوحدة الداخلية والوحدة العربية . وكان ذلك منقضا لنهج الحزب العسكري الحاكم في مصر ، في الوقت الذي كان يدعم فيه نضال القوى الوطنية والتقدمية في كل المنطقة العربية وخاصة مصر وسوريا .

واحسنت البورجوازية الوطنية المصرية وحزبها الحاكم في مصر ان العراق سوف يشكل قطبا ثوريا جديدا في المنطقة يشد اليه القوى الوطنية الديمقراطية والتقدمية ، ويعطى نموذجا آخر غير النموذج الذي قدمته . نموذجا يجسد مطالب هذه القوى ويثبت صحة ما نادى به . ومن هنا بدا التحول من مساندة الثورة العراقية بشكل عام الى مساندة اجنحه معينة تتفق والنهج المصري الحاكم ، الأمر الذي شكل تدخلا في شئون العراق واثار الحساسية بين القوى الوطنية المختلفة .

في تلك الاثناء فتح الصراع الفكري في الحزب الشيوعي المصري . وبدأت تظهر ملامح فكر جديد ومواقف سياسية جديدة . مواقف تجعل الحزب اكثر تمايزا بطريقة موضوعية وطبيعية . موضوعية من حيث قربها من الواقع والحركة الجماهيرية ، وطبيعية من زاوية موقعها الطبقي في التعبير عن الطبقة العاملة والكادحين ، مطالبهم وطموحاتهم . أصبح الحزب اكثر اهتماما بتطوير موقفه من القضايا السياسية وتنشيط العمل الجماهيري ، وان كان الحزب في موقفه العام ما يزال متأثرا بالفكر اليميني ، ما يزال يغلب عليه مفهوم البورجوازية الصغيرة للاحدة الوطنية ، ذلك المفهوم الذي يسلم بالقيادة البورجوازية الوطنية الحاكمة .

**الحزب العسكري يعاني انتهاء المعركة مع الاستعمار وبدايتها مع ابرسار**

وجاءت مؤتمرات الاتحاد القومي ، تلك المؤتمرات التي كانت تحاول اصفاء شعبية على هذا الحزب الحكومي ، وتضيف الى كل وسائل الاعلام المملوكة للحزب والدولة ، وسيلة الحشد الجماهيري حوله .

كانت البورجوازية المصرية الحاكمة ترى ان الأمر قد استتب لها محليا وعربيا ، الا من الشيوعيين الذين فشل الانقسام في تمزيق حزبهم



في مصر ، وتزايد دورهم في العراق ووضوح ، ونضج موقفهم في سوريا .  
من هنا صعدت من حملتها على اليسار عامة والتشيوعيين خاصة . ومما  
زاد الادور سوءا بالنسبة لها ، ان مؤتمرات الاتحاد القومي والتي كان  
يحتل مناصاتها كبار رجال الدولة والحزب الحاكم ، وجماعة حداثتي التي  
انقسمت على الحزب الشيوعي المصري وبدأت تهاجمه وتتهمه باليسارية  
مما يعد سياسيا تحريضا للدولة عليه ، قد فشلت في السيطرة على جماهير  
تلك المؤتمرات ، في الوقت الذي نجح فيه الحزب الشيوعي المصري . من  
خلال اعضائه ، في طرح شعارات الحزب داخل هذه المؤتمرات وحشد  
الجماهير حولها ، مما اضطر الحزب الحاكم الى وقف هذه المؤتمرات ، بعد  
عقد ثلاثة منها فقط ، في حين كان المفروض عقد ثمانية مؤتمرات .

كان الحزب الشيوعي المصري يدعو الى اطلاق الحريات السياسية  
وحرية تكوين الاحزاب الوطنية ، وتكوين جبهة وطنية ديمقراطية من كل  
هذه القوى الوطنية . وعندما تحقق هذه الدعوة انتشارا بين الناس في  
الشوارع والمصانع ، حيث تتفق وتلتقي مع المصالح العريضة لكل القوى  
الوطنية ، وبالتالي تعبر بصدق عن الطريق الواجب اخاذه دفعا للثورة  
الى الامة وحماية لها في الداخل والخارج ، يكون رد الفعل عند الحزب  
الحاكم سلبيا . اذ يرى في هذه الدعوة مساسا بانفراده بالسلطة وبحقه  
الاطلاق في الوصاية . كما يرى في هذه الدعوة ايضا ، طبعا لنظريته الانانية  
وضيق اعنته ، منازعة له وتقديم بديل عنه ، وهو لا يرى اسلوبا لمواجهة  
ذلك غير السلطة وادواتها . وبدلا من المزايم العلنية عن مواجهة الفكرة  
بالفكرة ويمتارعة الحجج بالحجة ، يقوم بحملة اعتقال تتناول عددا من  
تسبب الحزب الشيوعي المصري ، الذين لعبوا دورا بارزا في مؤتمرات  
الاتحاد القومي ، ويرسل بهم في سبتمبر ١٩٥٨ الى معتقل الاجرام  
في قنسا .

واضيف بذلك تصعيد جديد للهجوم الذي بدأت تشنه بعض اقسام  
الحزب الحاكم في الصحف عن اليسار والاستعمار . كانت حملة سبتمبر  
انذارا علنيا الى الحزب الشيوعي المصري ان يكف رايده عن الشوارع  
المصرية ، خاصة انه بدأت في تلك الفترة تحركات عمالية تستخدم العمال  
فيها سلاح الاضراب عن العمل في النقل العام والسكك الحديدية وغيرها .  
كما كان يعد لاضراب عمال مزارع ومصانع كوم امبو . وبسبب الصراع  
الطبقى يطفو الى السطح في مواجهة الاستغلال الطبقي للطبقة الحاكمة .  
واخذ الحزب الحاكم يدفع بالصراع الطبقي دفعا ، بتعميقه للتناقضات  
الاجتماعية وانفراده بالسلطة وبكل الحقوق الديمقراطية مما وسع رقعة  
الرفض في مواجهته .

كان الحزب الحاكم لا يرى في الحزب الشيوعي المصري حليفا ، بل بديلا . ومن هنا أصبح موقفه في مواجهته ليس الالتقاء والتحالف كما كان ينادى الحزب الشيوعي المصري ، بل المواجهة العدائية والحسم البوليسى . وكان الحزب الشيوعي المصري ، برغم فقدان اليمين لسيطرتة للتنظيمية عليه ، ما يزال واقعا بشكل عالم في اسار الافكار والاتجاهات اليمينية . ويتضح ذلك في موقف غالبية قيادته من حملة سبتمبر حيث انها لم تر فيها ما كان يجب ان تراه ، من كونها مؤشرا لنقلة جديدة بين حزبها والحزب الحاكم . لقد اخذت الحملة على أنها مسألة محدودة تمثل نوعا من المناوشات التي تقوم بها الاجهزة الأمنية . والمقصود باليمينية هنا هو ان غالبية القيادة لم تكن على الدرجة المطلوبة من اليقظة الطبقية . كان يجرفها النضال الوطنى . حقيقة كان الحزب على رأس كل النضالات العمالية ، الا انها كانت نضالات فتوية في الأساس . ومن هنا كان رد الفعل خافئا ، مما شجع الحزب العسكرى الحاكم والاجهزة على التخطيط لما هو أبعد من ذلك . لقد كانت حملة سبتمبر ١٩٥٨ هي البداية الحقيقية لحملة يناير ١٩٥٩ ، الا ان عدم ادراك غالبية القيادة لهذه الحقيقة عرض الحزب للمخاطر الشديدة التي تلت فيما بعد .

ورغم ذلك فان الحزب كان يبذل جهدا حقيقيا وجادا من أجل فهم انضج للواقع المصرى وكيفية معالجة تضايها وتناقضاته . كان الصراع الايديولوجى مفتوحا وكانت الافكار اليمينية تتبلور أكثر فأكثر في منهج يسود للوحدة على الصراع ، ليس بالمعنى الصحيح لهذا المنهج ، اى معالجة نقاط الخلاف أو الصراع على أرضية الوحدة ، ولكن بمعنى يقود الى تحويل نقاط الخلاف أو الصراع ، في الواقع العملى ، الى مجرد موقف تسجيلى ، باسم الوحدة والحفاظ عليها . ورغم ان هذا المنهج كان يمثل الاقلية فى اللجنة المركزية والحزب ، الا انه كان يكتل قواه بأساليب غير تنظيمية ليشكل ضغوطا لا مبدئية على الحزب . وكان المنهج الآخر ، وهو المنهج الصحيح الذى يجعل للحزب دوره المتميز من خلال مواقف عملية صحيحة تعبر عن مصالح طبقتة وكل الكادحين فى اطار الدعوة الى الوحدة الوطنية ، يتحسس طريقه من خلال النضالات اليومية ، ليتعرف على انسب الطرق واصدقها فى الممارسة ، بحيث لا تخفى الوحدة جوانب الصراع ، ولا يطغى الصراع على الوحدة . فى هذا الوقت الذى فشلت فيه الانقسامية فى تفجير الحزب ، وفشلت حملة سبتمبر فى ارهابه ، تقدم الحزب العسكرى الحاكم ، عن طريق واحد من قادته هو محمد انور السادات ، بانذار صريح مباشر الى الحزب الشيوعي المصرى . فقد استدعى انور السادات ، محمود أمين العالم ، وهو أحد قادة الحزب الشيوعي المصرى ، الى بيته فى الهرم .

يقول الدكتور فؤاد مرسى ، « في هذا اللقاء الذي دار الى ساعة متقدمة من الليل والساعات الأولى من الفجر ، جرى حديث قوامه الآتى : نحن لا نقبل في مصر بأى تنظيم سياسى سوى الاتحاد القومى . اذا كنتم تريدون أن تعملوا بالسياسة فلا مجال لكم الا داخل الاتحاد القومى . اذا كنتم مصريين على البقاء كحزب شيوعى فنحن لا نعترف بكم ، ولن نسمح لكم بالعمل ، ولن تكونوا اقوى من الاخوان المسلمين الذين سحقناهم . اذا اردتم ان تعيدوا النظر في موقفكم فهناك مجال كبير للتعاون بيننا وبينكم ، املا اذا اردتم الاستمرار فسنسحقكم .. كما اننا لن نكتفى بهذا وانما سننقى على قضيتكم بين الجماهير ، فالمطلب الذى يمكن أن تطالبوا به باسم الجماهير ، سننفذه قبل أن تطالبوا به ، (١) .

كان يطالب بوضوح بحل الحزب الشيوعى المصرى والتعامل الفردى مع الاتحاد القومى . وأصر محمود العالم فى رده ، على حق الشيوعيين فى التنظيم ، وانهم قوة وطنية ، وان الشيوعيين العرب قوة وطنية ايضا . دافع عنهم وعن الحزب الشيوعى المصرى وعلن ان أى تفكير فى اتخاذ اجراء ضد الحزب الشيوعى سوف يكون ضربة للنظام ايضا ، وليس للشيوعيين وحدهم . وانتهت المناقشة كما بدأت .

يقول حلمى ياسين ، « ايسحت السكرتارية المركزية هذا الموقف ، الا انها لم تر فيه الانذار الكافى بعد اعتقالات سبتمبر . كان هناك احساس من القيادة ان الصدام قادم ، الا ان مدى هذا الصدام لم يكن واضحا امام الجميع الا اقلية ضئيلة ، منها ابو سيف يريش وفخرى لبيب ، كانت تحس بانقضاء مقدمين على معركة كبيرة وان الحزب سوف يتعرض للطحن من البورجوازية . وكانوا يهيئون انفسهم على هذا الاساس . كانت الاغلبية ترى ان هناك ازمة قادمة ، الا انها سوف تكون فى حدود قضية الامساك ببعض الزملاء وترك البعض الآخر ، (٢) .

وظل الحزب يواصل نضاله بين الجماهير ، الا ان القيادة لم تتخذ الاجراءات الواجبة لتأمين الكيان الحزبى امام الاخطار الآنية والآتية .

عندما فشل أنور السادات منسحب الحزب الحاسم فى تحقيق ما استهدفه ، نزل جمال عبد الناصر رئيس الحزب بشخصه وثقله السياسى والجماهيرى الى أرض المعركة . واختار عبد الناصر يوم ٢٣

(١) نفس اللقاء الشخصى السابق .

(٢) نفس اللقاء الشخصى السابق .



ديسمبر وهو عيد النصر : ليقف في بورسعيد حيث تمت التجربة الجبهوية الوحيدة رسميا بين الحزب الحاكم والشيوعيين في مواجهة الغزو الاستعماري عام ١٩٥٦ ، ليعلم من ارض نجاح التجربة والانتصار على العدوان ، تدمير هذه التجربة ورفضها . وشن على الشيوعيين ، من هناك ، ابشع حملة استعانة فيها بكل التهم البساطة والنعوت غير الحقيقية ، والتي لم يسبق لها ان صمرت من أى قائد وطنى فى مصر . ثم لحق به حسنين هيكل ، ليضع فى « صراحته » النقط فوق الحروف وليعلن انه يتوجب على الشيوعيين ان يضعوا على افواههم اقفال من جديد والا .

يقول الدكتور فؤاد مرسى ، « اجتمعت السكرتارية المركزية بعد ٢٣ ديسمبر بيوم واحد ووضعنا خط سياسى للحزب واجراءات تنظيمية لمواجهة الحملة المقبلة . كان ذلك يوم ٢٥ ديسمبر ، قرارات ٢٥ ديسمبر . الخط النعاسى كان كالاتى : الثورة المصرية هي ثورة وطنية ضد الاستعمار . وأن هذه الثورة لم تنته بعد . وأن الاستعمار بذكائه يوقع النظام فى مخطط ، وهو توهم انتهاء الخطر الاستعماري عن بلادنا وعن المنطقة ، بينما اذا سلمنا أن مصر قد كسبت استقلالها السياسى ، فإن امامها ان تكسب استقلالها الاقتصادى ، وأن معركة كسب الاستقلال الاقتصادى لا تتم الا فى مواجهة الاستعمار اساسا ، وهى أشد ضراوة من معركة كسب الاستقلال السياسى . وأنه بالتالى على القوى الوطنية ان تحذر الفخ المنصوب لها من قبل الاستعمار . وعلى النظام ان يدرك أنه ما زالت أمامه معارك ومعارك مع الاستعمار ، وأن المعركة مع الاستعمار لم تنته ، بل يمكن القول مجازا انها قد بدأت . وأن البورجوازية الوطنية لها جانبها الوطنى الذى لا يقتل منه ، ولكن لها ايضا جوانبها الأخرى التى علينا نحن ان نبصرها بها من خلال الوحدة والصراع . طرحنا منهج الصراع والوحدة بقوة فى هذا الكلام الجديد . ثم دعينا الى وحدة القوى الوطنية ووحدة النظام معنا ووحدتنا مع النظام لمواجهة الاستعمار . وتحذير النظام الا ينزلق الى الفخ المنصوب له والقوى الوطنية بضرب الشيوعيين . فان بدأ ضرب الشيوعيين ، لابد سيعقبه ضرب قوى أخرى وطنية ، وسيحقيق الامر بالنظام نفسه ، لأن هذا النظام ، مهما كان ، هو فى النهاية نظام وطنى . هذه هي النظرية التى اعتمدت صياغتها فى هذا الخط ، والتى طرحناها باصرح عبارة . ان هذا الذى يفعله النظام خطأ ، وأن هو ضربنا سوف تدور المعركة عليه هو نفسه ، كما عليه أن يتوقع معارك لا تنتهى مع الاستعمار . ووضعنا فى نفس الوقت الخط التنظيمى الذى يقوم على السرية الكاملة والتأمين الكامل » (١) .

---

(١) نفس اللقاء الشخصى السابق .

يقول نبيل زكى ، « عندما حث الانذار بعد لقاء محمود العالم وانور السادات ، كان هناك بين كادر الحزب رأيا يرى ضرورة الاختفاء ، غير انه لم تصل كلمة رسمية من القيادة . كنا نرى ضرورة الاستعداد خاصة بعد خطبة عبد الناصر واتهامه للشيوعيين بالعمالة وبأنه لا مكان لهم ، (١) » .

ويقول شكرى عازز ، « بعد خطبة عبد الناصر في ٢٣ ديسمبر ، والتي هاجم فيها الشيوعيين السوريين والعراقيين والمصريين ، كان هناك توقع ، بصورة كبيرة ، أن تجرى عملية قبض على الشيوعيين المصريين والقوى المعارضة . كنت في ذلك الوقت أوشك أن أنتهى من امتحانى فى نهائى طب . ذهبت الى منزل الهام سيف النصر حيث قابلت د. فؤاد مرسى أو د. السماعيل صبرى . قلت لهم ان هناك احتمال قبض علينا ، قالوا أن هذا التفكير مستبعد تماما ، ولا يمكن حدوث قبض أو قضايا أو اعتقالات فى هذه المرحلة على الأقل . دهشت من هذا القول ، اذ كنت اشعر ان احتمال القبض تكبير للغاية . كان عندى انطباع أن عملية القبض يمكن أن تتم فى أى وقت . حملة كبيرة أو صغيرة ، انما فيه فيه هجوم واضح جدا ضد الشيوعيين . كانت المسألة واضحة ، الا اننى ذهبت الى الامتحان طبقا لكلامهم وقبض على بالليل يوم ٣١ ديسمبر ١٩٥٨ » (٢) .

ويقول صلاح خطاب ، « كنا قد اعدنا المؤسسة ، مكتبة مكونة من ثلاثة طوابق . كان المفروض فيها أن تكون أكبر مكتبة فى الشرق الاوسط . كان بها عشرات الألوف من الكتب .

كنا قد ناقشنا المسألة بعد خطبة ٢٣ ديسمبر وحددنا أن هذه الخطبة انذار . الا اننا خلصنا الى أن المؤسسة قد تفلت من هذه الضربة المتوقعة باعتبار انها عمل تجارى ، اذ كنا قد نجحنا فى ارساء قواعد معاملات دولية ، فيها اتفاقيات رسمية مع السوفييت والصين ، وما بصل منها يمر على الرقابة وتدفع عنه الجمارك ، عمل تجارى بحت . بل أكثر من ذلك كنا قد وقعنا اتفاقية مكتوبة مع وكالة الشرق الاوسط الحكومية . كانوا يصدرن نشرة باللغة الانجليزية ، تحتوى على ملخص لما قالته الصحافة

(١) لقاء شخصى معه فى ٢٤ ، ٣١/١٠/١٩٨٠ .

(٢) لقاء شخصى معه فى ٢/٩/١٩٨٠ .

المصرية خلال اسبوع وتوزع في انحاء العالم . وبالطبع لم يكن ممكنا عقد مثل هذا الاتفاق دون أن تضىء لهم الحكومة النور الأخضر . ومن هنا نفينا عن انفسنا فكرة الهرب ، وكنا نعد ليوم افتتاح كبير يحضره وزير للثقافة وكذا المثقفين المصريين ورجال الاعلام .

وضرب كل ذلك ليلة رأس عام ١٩٥٩ ، (١) .

ويقول فتحى عبد الفتاح ، « . » ، قبض على عبد العظيم انيس في فجر . . . . كانت المظاهر والاحداث في الاسابيع الماضية تسير في اتجاه يمكن ان يصل الى هذا الحد . ولكن احد لم يكن يتوقع أن نجرى الاحداث بمثل هذه السرعة ، بل ان الدكتور عبد العظيم نفسه كان قد قتال لى صباح اليوم السابق : اننى اتوقع ان يسود العقل فى النهاية ، فليس هنالك مصلحة لاحد فى استمرار هذا الشقاق بين القوى الوطنية .

كان عبد العظيم متفائلا مثل كثيرين من قيادة الحركة الشيوعية المصرية فى تلك الفترة » (٢) .

ويقول حلمى ياسين ، « كانت مقالة هيك كلمة واضحة جدا ، لا لبس فيها . وامسك فى اول يناير بكل قيادات اليمين ( حدثو ) ونحن ايضا ، باستثناء الزميلين أو الثلاثة الذين كان لديهم شعور بالالزمة الشاملة . وحتى بعد القبض علينا ، لم يكن هنالك تقدير سليم للموقف ، بمعنى انه عندما جاعتنا الصحف داخل المعتقل فى القلعة ، وبها البيانات التى أصدرتها صحف العالم مثل الديلى ووركرودى برافو والبرافدا تهاجم اضطهاد الشيوعيين فى مصر ، وكان عنوان « اخبار اليوم » - « الاوركسترا تعزف من بكين لى لندن » ، تفاعلنا فى القيادة بان الازمة لن تطول . انها ازمة طارئة . فترة اعتقال محدودة ، بسيطة ، تمتد عدة شهور وتنتهى وانها لن تكون بالالزمة الطويلة » (٣) .

كان الموقف السياسى للحزب الشيوعى المصرى فى اتجاهه العام داعيا الى ضرورة التمسك بوحدة القوى الوطنية ونبذ سياسة العداء للشيوعية ، باعتبار انها سياسة تقسود الى تمزيق القوى الوطنية لا وحدتها . كانت نقاط الاتفاق الواقعية بين الحزب الشيوعى المصرى والحزب العسكرى الحاكم أكثر بكثير من نقاط الاختلاف .

(١) لقاء شخصى معه - ١٩٨٠/٦/٦ .

(٢) كتاب « شيوعيون وناصريون » .

(٣) نفس اللقاء الشخصى السابق .



وكان الموقف السياسى للحزب الشيوعى المصرى ( حقتو ) هو: التأييد  
شبه المطلق ، غير المشروط ، للحزب العسكرى الحاكم . وكانت وجهات  
نظريهما تكاد تتطابق فيما يجرى من أمور .

وهذا ما جعل غالبية الشيوعيين ، خاصة القيادات ، لا تتصور امكان  
ان تصل الأمور الى مذبحة رأس العام الجديد . وهكذا لم يستعدوا لهذا  
اليوم كما يجب . لم يعدوا احزابهم لمواجهة الهجمة القاصمة . وكان الخطأ  
الفادح الذى وقعت غالبية القيادات فيه ، ان القضية انما هى قضية حوار  
واقناع ، وأن العقل فى نهاية الأمر لابد وأن يسود .

كان ذلك فى الحقيقة ، وفى ظل كل تلك الظروف والملايسات ، منطقاً  
بورجوازيًا ، احوال الصراع الطبقي واحتمالاته الى مباراة نقاشية اسلحتها  
للحوار والاقناع . ولم يكن الأمر كذلك عند عبد الناصر وحزبه وطبقته .  
كان الأمر موقفاً طبقياً يرى انتهاء المعركة مع الاستعمار وبدايتها مع  
اليسار . كذلك لم يكن الأمر مع عبد الناصر وحزبه الواحد ، أمر اتفاق  
أو اختلاف مع الآخرين ، وقدر هذا الاختلاف أو الاتفاق . كان الأمر بالنسبة  
ليه وإلى حزبه أمر وجود شكل تنظيمى مستقل ، له ارادته المستقلة  
وموقفه المستقل . كان يمكن لهذا الموقف المستقل أن يؤيد النظام بنسبة  
مائة فى المائة أو سبعين فى المائة ، الا انه فى كلا الحالتين تأييد صادر  
عن ارادة غير ارادته . وهو ان قبل اليوم بحقه فى التأييد فذلك قبول  
بحقه مستقيلاً فى أن يختلف مائة فى المائة أو سبعين فى المائة . المسألة  
عند عبد الناصر وحزبه وطبقته هى وجود ارادة مستقلة بعيدة عن ارادته .  
وهذه الارادة تتجسد فى حزب مستقل بعيد-من الناحية التنظيمية عن  
حزبه ، خارج عن إزمه المطلق . وبذا يتعين ضرب هذه الارادة ، وتمزيق  
الحزب الذى تجسدت فيه .

وبذا جاء فجر العام الجديد عام ١٩٥٩ ليضرب عبد الناصر قيادات  
الحزب الشيوعى المصرى ، والحزب الشيوعى المصرى ( حقتو ) على حدة  
سواء دون تمييز أو تمايز . ضرب حزب التأييد سبعين فى المائة وحزب  
التأييد مائة فى المائة . وكان عمله هذا يضرب القوى الوحيدة المنظمة فى  
مصر ارادياً ولها! موقف ايجابى منه باعتباره وطنياً . وهى فى ذات الوقت  
القوى الرحيمية المنظمة القادرة على دفع حركة الثورة بصورة أو أخرى .  
كان حزبه لا يملك قدراتها الفكرية أو التنظيمية أو حتى علاقاتها الجماهيرية  
الفاعلة . وهو بذلك قد فتح الباب واسعا أمام كل القوى المعادية له  
والثورة وللشعب المصرى . كل القوى الرجعية والعميلة ، والتي تراصت

صفوفها تطعن للوحدة الوطنية والوحدة العربية تحت الراية للرثة العفنة  
لكافة الشيوعية . كان بذلك يضرب اقدر الناس من اعضاء الحزب  
الشيوعي المصري ، على حماية الثورة وتقدمها ، واوضح الناس موقفا منه ،  
ليفتح الباب لاعداء الثورة واعدائه . ان موقفه الطبقي الاتاني الذاتي  
محدود النظر ، قد افقده رؤية من هم اعداء الثورة الحقيقيين ومن هم  
اصدقائها ، فشن هجمته الشرسة على النطاق المحلي والقومي ، تلك  
الهجمة التي مزقت كل القوى الوطنية وفتحت الباب على مصراعيه للغزوة  
الاستعمارية عام ١٩٦٧ .

كان يملك السلطة ، الأجهزة وانظمة الأمن المختلفة ، والسجون  
والمعتقلات . كان واثقا في نصره الآتي ، لكنه لم يستطع ان يرى أو يحسب  
حساب هزيمة مصر والمنطقة العربية كلها في المستقبل .

بدأت المذبحة ، واشتعل المشرق العربي بالحريق ، وانفتحت أبواب  
الجحيم .

\*\*\*

# الباب الثاني

## الحملة





# الفصل الأول

## الاول من يناير

يبدأ عام ١٩٥٩ حيث ينتهى عام ١٩٥٨ ، فى منتصف ليل الواحد والثلاثين من ديسمبر ، عندما تدق الساعة الثانية عشر ، فيطغى الناس الأنوار يودعون عاما مضى ، ثم يضيئونها يستبشرون بعام جديد . الا انه فى تلك الليلة المشئومة ، كانت القوى الحاكمة ، قد قررت أن تكون هى ساعة صفرها ، ساعة الإمساك بلحظة الاظلام لتفرضها واقعا متصلا على شعب مصر . ان ضياء الارادة المصرية يجب اخماد جذوته . ان قبس الاختيار فى ضمير المصرى يجب الاجهاز عليه . يجب ان يذهب الى غير رجعة . فقط ترتفع راية الحزب العسكرى وحده ، وتمزق كل الرايات سواء . وأن يحل محل الارادة المصرية ، المنحلة فى الشيوعيين المصريين والقوى الديمقراطية والليبرالية والنقابية والاسلامية ، قضبان من حديد . وأن يضع كل مصرى على لمة قفلا من صنعه . اصبح الاختيار المطروح على المواطن المصرى هو واحد من اثنين ، إما غيابة السجن والمعتقل والمنفى ، وإما البقاء خارج الاسوار ، يحمل قفله بيمينه « اختيارا » ، ان اراد لنفسه والأهله « الأمن والأمان » .

لم تكن تلك اللحظة فى فجر الأول من يناير عام الف وتسعمائة تسع وخمسين غير بداية لحملة سوف تتصلل ، تضرب وتضرب الارادة المصرية . تمزق وتمزق الوحدة الوطنية . تصيب فى الصميم كيان وبنيان الانسان . وتسمى الى تحويل الكل الى قطيع يسلم امر نفسه وزمام مضيره الى عبد الناصر وحزبه .

وكما جمعت تلك الحملة للشيوعيين خلف اسوار القلعة ، جمعت رايتها كل القوى المعادية لمستقبل مصر وثورتها تحت نداء الحرب الصليبية ضد الشيوعية .

لم يكن السجن او المعتقل وحده كافيا ، فالشيوعيين المصريين لهم تاريخهم الوطنى الطويل بين فئات الشعب المصرى . كانوا دوما فى صدارة كل معركة وطنية ، وكل معركة ديمقراطية ، وكل معركة تدافع عن حق الشعب وفئاته المضطهدة والمقهورة . لم يكن السجن والاعتقال بالأمر الغريب عليهم أو الامر الغريب على شعب مصر بالنسبة لهم . فهم الذين وقفوا مع كل القوى الوطنية أمام الرجعية والاستعمار يناضلون من أجل اجلاء الأجنبي والسيادة الوطنية . وهم الذين وقفوا مع كل القوى التقدمية

يواجهون السراى وشبه الاقطاع وجبروتها . وهم الذين قبل أن يظهر يوم ٢٣ يوليو الى الوجود ، ومعهم كل القوى الوطنية ، قد حرثوا الأرض للثورة . ثورة شعب مصر كى يمسك مصيره بيده واراادته بنفسه . . وهم يعلمون مقدما أن لهذا النضال ثمننا باهظا من حريتهم الشخصية ومن مصيرهم ومصير ذويهم . كان السجن والاعتقال والمطاردة والاضطهاد أمرا يعلمه كل المصريين كمصير للمناضل الشيوعى . وكان ذلك يزيد من اكبار الذين يعرفونهم . وكان عبد الناصر ، ايضا ، وحزبه يعرفان تلك الحقيقة المشرفة الناصعة . ولذا لم تكن حملة الأول من يناير عام ١٩٥٩ ، مثلها مثل ما سبقها من حملات . كانت الحملة التى ترى أن المعركة مع الاستعمار قد انتهت ، وانها قد بدأت مع اليسار عامة والشيوعيين خاصة ، حملة إبادة واجهاز وتصفية . ومثل تلك الحملة ، لا تكفى فيها القضبسان ولا يكفى فيهما السجنان ، فان ذلك لن يهز ثقة المصريين بهم ، بل على عكس ذلك ، سوف يثبت جذور الثقة بهم وبتضحياتهم وبجدارتهم للتصدى للقيادة دفاعا عن مصر وشعبها .

كان لابد أن يضاف الى سوط الارهاب البوليسى ، سوط الارهاب الفكرى . وكان لابد وأن يضاف الى قضبان السجن التى تحاصر من سجن واعتقل من الشيوعيين ، قضبان من الفكر الزائف والقائم على التضليل والخداع والاكثوبة ، يحاصر من بقى خارج السجن والمعتقل . كان لابد من تحويل مصر كلها الى معتقل كبير ، تتنوع فيه وسائل الاعتقال والحصار . وبدأت ابشع حملة ضد اليسار المصرى كله باسم مكافحة الشيوعية . اصابت الصحافة هيستيريا مجنونة . نوع من السعار لم تصب به مصر من قبل . الخطب فى الجوامع ضد اليسار باعتباره الكفر والكفرة . تلاميذ المدارس يعبأون ضد الشيوعية ويدفعون الى رسم الجوامع والكنائس تحترق ، تشتعل بالنيران ، فى لوحات مكبرة تعلق على واجهات دور العلم ، ومن تحتها كتب الزيف والبهتان « هذا من فعل الشيوعيين » . كل الدعايات العفنة العظنة المعادية ، استخرجت من مزابل التاريخ وسخم بها وجه الشيوعيين ، هم الخونة ، هم العملاء ، هم الكفرة ، هم الذين يحرقون دور العبادة ، هم سبب كل فساد ، هم سبب الفقر ، هم سبب المرض ، هم سبب كل شقاء وبلاء تعانى به مصر وشعبها ، هم اعداء الوحدة الوطنية ، هم اعداء القومية العربية ، اعداء الاستقلال ، اعداء الحرية ، اعداء الديمقراطية ، اعداء الشعب ، الشعوبيين ، الملاحدة ، الزنادقة ، الذين لا أسر لهم ، الذين بلا انتماء ، الذين يرتكبون الفحشاء مع ذويهم . لقد اكتشف النظام المارد المعادى مصدر آلام هذا الشعب وهو يسحقه بلا رحمة فى معركة « البطولة والشرف » . كل موبقات البشرية ، كل آثام الشيطان ، ما فعله ، وما يحتمل أن يفعل حتى يوم الدنيونة ، وضعت



فوق رأس الشيوعية والشيوعيين • ونشطت في هذا الجو النتن كل العناصر الفاسدة والمأجورة • وتداخلت رايات الحزب العسكرى الوطنى الحاكم مع رايات العملاء • واختلط الحابل بالنابل • واشتعلت المنطقة كلها بالعداء •

### رد الفعل الحزبى :

في هذا الجو المشحون بالجنون ، وقف الحزب الشيوعى المصرى يواجه الاعصار بارادة الثوار والمفاضلين الالباء • كانت حملة ينساير قد استهدفت القيادات ، كل الصف الأول وقوى القدرات المالية لضرب امكانيات الحزب المالية ، وضرب الاجهزة الفنية واجهزة الاتصال المركزية • كان النظام يتخيل الحزب الشيوعى كحزبه في التنظيم والعمل ، ان ضربت منه الرأس تفككت اوصالته وقواه • ومن هنا وجه الضربة الى رأس الحزب الشيوعى المصرى ، وكذا رأس الحزب للشيوعى المصرى ( حد تو ) • الا ان الحزب الشيوعى المصرى والقائم على قوى كائنه وارادته واختياره الحر وارتباطاته الجماهيرية ، سرعان ما استعاد اتزانته واعمل قدراته •

في القاهرة كان بعض رفاق المستويات دون المركز قد هربوا واختفوا • الغيت مناطق القاهرة بعد الضربة ، لتتشكل لجنة قيادية واحدة للمدينة كلها • وروغى في تكوينها ان تكون ضيقة وماعلة ، تملك القدرة السياسية والنضالية • وتشكل المستوى الجديد من رشدى خليل ، نبيل زكى ، بولس لطفى الله وعبد الحميد الازهرى • كان رشدى خليل هو المسئول السياسى للمنطقة ، ونبيل زكى مسئول الدعاية • واعلن الرفاق ان العمل الحزبى لا يحتاج الى تصريح رسمى من المركز للانطلاق ، فهو واجب يلزم تأديته • واعدت اجهزة فنية بدائية في كل مكان ، وصدر عدد من البيانات المتتالية • واعد الحياطى من رفاق المستويات دون لجنة المدينة لتعويض المستوى القيادى في حالة ضربه او سقوط افراد منه • ووجه تحذير الى كافة الرفاق بعدم التوجه الى منازلهم ، خاصة والشهر رمضان والعيد يقترب ، وأخبار تترى ان الدولة تعد كشوفا جديدة لتوجيه ضربة اخرى • وأصدرت القاهرة في ذلك الوقت ردا على كتابات هيكل بعنوان « صراحة ام شعوزة » • ولقد بذل الرفيق رشدى خليل جهدا خارقا من أجل اعادة البناء والحفاظ على وحدة الحزب (١) •

---

(١) من شهادة نبيل صبحى •

وفي الصعيد لم تتأثر منطقة بالحملة كثيرا . لقد القى القبض على الرفيق لويس اسحق عضو اللجنة المركزية ومسئول القطاع الشمالى في الصعيد ، والرفيق شبل اسماعيل عضو منطقة بنى سويف والمناضل الجماهيرى بها . ورغم ما كان من أثر القبض عليهما ، الا ان رفاق مناطق الصعيد نجحوا ، في فترة زمنية مناسبة ، من الامساك بالاوضاع الحزبية في مواجهة جنون الحملة والجو الارهابى السائد حينذاك . وكان مرجع ذلك ، في الدرجة الاولى ، الى عدم تأثر الصعيد عموما والجنوب خصوصا ، بالصراعات والنشاطات الانقسامية اليمينية ، طوال عام ١٩٥٨ . اذ رغم الانتماء التاريخى لغالبية كادر جنوب الصعيد الى مجموعة « حدتو » الا انهم اتخذوا موقفا مبدئيا رافضا لاية علاقات أو اتصالات جانبية أو تكتلية أو انقسامية . ولقد كان للموقف المبدئى الذى انخذه نبيل صبحى المسئول الحزبى للجنوب سواء من الناحية السياسية أو التنظيمية دورا هاما في الحفاظ على وحدة الحزب ، كما ان التنظيم الحزبى في الجنوب اتجه الى العمل الجماهيرى ، مما حافظ على سرية التنظيم ، وازدياد علاقاته العمالية والجماهيرية .

وفي شمال الصعيد امكن حصار ومعالجة بؤابر اعمال تكتلية لبعض الرفاق الذين كانوا ينتمون في الأصل لمجموعة « الراية » سواء قبل الضربة أو بعدها (١)

لقد استطاع الحزب ، بعد ضربة يناير ، ان يجمع صفوفه ويعيد تنظيمها وتشكيلها . كما اخذت مواقفه السياسية ايضا في الاتساق والتبليز في فكر تخلص ، الى حد كبير ، من النفوذ اليمينى .

بدأ كادر الحزب يعمل في كل مكان : في الدلتا والصعيد ، في الاسكندرية والقاهرة . يقاتل باستماتة دفاعا عن الحزب ووجوده . وتشكلت لجنة مركزية جديدة من الزملاء الاربعة الاصليين الذين افلتوا من الضربة ( ابو سيف يوسف - فخرى لبيب - محمد بدر - عبد المنعم شتلة ) مضافا اليهم عدد من الزملاء الاحتياطيين . كما تشكلت سكرتارية مركزية ضمت الثلاثة الأول ، حيث قبض على عبد المنعم شتلة ، فيما بعد .

### بيان ٩ يناير :

وفي التاسع من يناير عام الف وتسعمائة تسع وخمسين ، اصدرت السكرتارية المركزية الجديدة للحزب بيانا ، اشتهر فيما بعد باسم بيان

---

(١) من شهادة نبيل زكى .

٩ يناير (١) ، وقد جاءت في هذا البيان ملامح سياسية مختلفة ، تعبر عن صحوه وتماسك فكرى ونظرة اكثر سلامة وطبقية للاوضاع السياسية وخاصة قضية الديمقراطية . وقد ركز البيان على سياسة معاداة الشيوعية ، وان راية هذا العداء هي راية الاستعمار والرجعية وتفتيت القوى الوطنية . وهي ما ان ترفع حتى تصبحها سياسة ديكتاتورية معادية لكل القوى الوطنية والديمقراطية في البلاد . وانها سياسة تستهدف ضرب اى حريات سياسية ، والضغط على القوى الشعبية ، وتحريم الاحزاب وحرمان الطبقة العاملة من تنظيماتها الديمقراطية ، وقرض الاتحاد القومى كتنظيم ادارى عليها . وفي ظل مثل هذه السياسة تجنى الاحتكارات المصرية ورأس المال المشارك للأجنبى ارباحا طائلة .

كان لصدور هذا البيان أهمية سياسية ونضالية . ولقد جاءت أهميته السياسية من اتجاهه ، اكثر فأكثر ، نحو التمايز الطبقي ، بصورة طبيعية . وجاءت أهميته النضالية لصدوره فور الضربة ، ليعلن أن الحزب باق ، وأن الضربة لن ترهبه ، فيكف عن الدفاع عن قضايا الشعب وحقوقه .

### ردود الفعل داخل المعتقل :

واقترع الذين قبض عليهم من قيادات الحزب الشيوعى المصرى ، والحزب الشيوعى المصرى ( حدثو ) ، الى معتقل القلعة . كانت المفاجأة قد اخذت الجميع ، وبدأت التحليلات السياسية المختلفة ، تفسيرا لضربة الأول من يناير .

يقول الدكتور فؤاد مرسى ، « وضعنا في القلعة ، كانت المعاملة عمادية وطيبة جدا . أهم حدث في هذا المعتقل هو العسكريين اللذين كانا به . كان التقييم عند اخواننا الآخرين ( يقصد مجموعة حدثو ) انها نظلة حدثت ، وبعد ايام سوف يكونوا في مساكنهم ، من جديد . هنالك خطأ ما . . وكان تقييمنا نحن لها ، انها ضربة وان النظام قد اقبل على مواجهة الشيوعية المصرية في جديد ، بعد ما سكت عدة سنوات . النظام في عام ١٩٥٥ دخل في هدنة نسبية مع الشيوعيين . ويمكن القول بشكل عام ، ان النظام ، في نهاية هذا العام ، قد اقر نوعا من الهدنة مع الشيوعيين .

(١) من شهادات لبيب ونبيل صبحى .



وكانت سنوات ٥٦ ، ٥٧ ، ١٩٥٨ هي سنوات للعمل شبه السرى العلنى . ويمكن أن نقول أنه كانت هناك علاقات متبادلة بين النظام وبين الحزب الشيوعى ، وكان فيه أعمال مشتركة بينهما . تحرير بورسعيد . كان عملا مشتركا . وكانت هناك أعمال متبادلة يتم فيها تعاون فى مجالات بحث قضايا عمالية وما اليه . مشاكل معينة كان يتم فيها بحث مشترك . التقييم للضرب كان مبنى على التحليل السياسى لكل فريق . الفريق الذى كان يرى أن النظام وطنى بالكامل ، وربما به اتجاهات اشتراكية ولا داعى للحزب الشيوعى ، يرى أن الضربة من قبيل الخطأ ، وأنها لابد تصحح عما قريب . الفريق الآخر ، والذى يرى أن للعلاقة مع النظام هي وحدة وصراع ، وجد فى الضربة صورة من صبور الصراع السياسى باستخدام السلطة . وفى الحقيقة كان تقييمنا للنظام بالنسبة للحركات الجماهيرية يتلخص فى عدة نقاط : أن النظام يخشى أيضا حركة جماهيره هو ، ولذلك كانت الأشكال التى يعتمد عليها ، اشكالا تنظيمية موسمية فصلية مناسبة ، تتحرك بأوامر من السلطة ومن أعلى . المبدأ الأول هو الخشية من حركة الجماهير المنظمة . المبدأ الثانى هو موقف الحذر ، أن لم يكن العداء ، من حركة الطبقة العاملة بالذات واذن من حركة الشيوعيين أيضا .

هاتان النقطتان كان تقييمنا لهما واضحا جدا ، منذ وقت مبكر . وبالتالي كان فى مقدورنا أن نقول ، أنه من الممكن أن يتهاون النظام معنا ، لكنه من الممكن أن يضرب . ولكن ان ضرب ، علينا ألا نخطئ فى تقييمه . وتلك كانت نقطة خلافية فيما بيننا . جزء كبير من زملائنا ظن أنه ما دام النظام يضربنا ، إذن تكون طبيعته الطبقيّة ليست هي البورجوازية الوطنية ، إنما هي طبيعة أخرى . ولقد وصل الحد ببعضهم الى القول بأن النظام يمثل الاحتكارية ، أو الاحتكار فى مصر . تقييمنا هو أن النظام ، نعم يضرب ، لكنه بورجوازية وطنية . هو بورجوازية وطنية ويمكن أن يضرب ...

عندما وصلنا خط ٩ يناير فى القلعة « أنا شخصا اعتبرت ذلك انقلابا على سياسة الحزب وقيادة الحزب » (١) .

ويقول حلمى ياسين « عندما رأيت أناسا من المنقسمين ( يقصد مجموعة حقو ) معنا فى القلعة ، قلت لابد أنهم قد أحضروا كى يكونوا شهودا علينا . لقد كان فى ذهنى أن هؤلاء مع الحكومة ، وخافتهم مع الحزب

(١) نفس اللقاء الشخصى .

باعتباره يساريا سوف يودى بهم في داهية . وأنهم قد تركوا الحزب حتى لا يصطدموا بالدولة ، وحتى يؤيدونها دون تحفظ ، في الوقت الذي كانت تتصاعد فيه تحفظاتنا في مواجهة الدولة . ولذا ما أن رأيتهم حتى قلت لنفسي لابد أنهم سيشهدون علينا .

منذ أول دقيقة في القلعة ظهر تفكير يقول إن هذه انما هي أزمة طارئة لن تستمر غير أيام ، ثم يذهب كل الى حال سبيله . وتفكير آخر يقول انما سوف تطول . التفكير الأول كان يجمع بين قسمين ، قسم داخل حزبنا ، وهو يرى انه سوف تحدث بعض المشاكل ، والقسم الآخر هو جماعة المنقسمين . وهم قد روجوا ، منذ أول دقيقة وبأعلى صوت بين زملائهم ، انهم قد جاءوا بطريق الخطأ ، وانه ما أن تتضح الأمور حتى يظل التكتل ( الحزب الشيوعي المصري ) في المعتقل وهم يخرجون ( الحزب الشيوعي المصري « حنتو » ) . فكان عبد المنعم الغزالي يصرخ قائلاً ، يومان فقط وتتضح الأمور . ثم أصبح اليومان السبوعا . وهكذا . وكان شهدى عطية يقول للشباب ، لا تقلقوا ، ليس لنا شأن بما يجرى ، انهم أعضاء التكتل ، اما نحن فقد جئنا بطريق الخطأ ، والمسائل كلها معروضة على الجهات العليا ، وسوف تنتهى في أيام قليلة .

فوجدنا في ٢١ مارس بالطرود قادمة وليس فيها الملابس العادية . كانت الملابس شورتات وقبعات وقمصان بنصف لكم . قال الزملاء الذين سبق اعتقالهم ، ذلك مؤشر لترحيلنا الى معتقل الطور . اذ ما دام الأهالى قد أرسلوا لنا ملابس الصيف ، فلابد قد عرفوا بترحيلنا الى هناك . وجاءت نفس الملابس الى جماعة المنقسمين ، الا انهم قالوا ان التكتل هو الذى سوف يرحل ، وهم سوف يفرج عنهم ، وأن ارسال اهلهم لهم بنفس الملابس ، غفلة وعدم دراية بالاوضاع . ورحلنا جميعا الى اللواحات مربوطين في الحجلات . مكثنا هناك حوالى خمسة عشر يوما ، ثم استدعينا الى القاهرة ، للمحاكمة . كان كل المستدعين من الحزب . فصاح المنقسمون ، ها هي المحاكمة لهم ، تمهيدا لتصفية الاوضاع والامراج عنا . بعد قليل سحبوا هم ، ايضا ، للمحاكمة . في كل المراحل ظلوا متمسكين بفكرة انهم شيء متميز عنا ، وانهم لن يعاملوا مثلنا . الا ان المعاملة كانت متماثلة .

عندما وصلتنا ، في معتقل القلعة ، نسخة اصلية من بيان ٩ يناير ، في اواخر فبراير او اوئل مارس ، اقيمت بهذه المناسبة احتفالات رهيبة في المعتقل . كان ازملاء يجتمعون في مجموعات ليتلى عليهم البيان من الأصل نفسه . ثم يبدأ النشيد والهتاف . وارتفعت معنويات الزملاء

الى اقصى درجة . لقد اثار البيان موجة من الحماس والتوحيد ، فوق ما يتصور العقل . ان الحزب موجود ، والضربة لم تقضى عليه . كان البيان قويا ومطبوعا بالمطبعة . ولم يظهر خلاف واضح حوله في ذلك الوقت ، (١) .

كانت ضربة بناير اختبارا للمناهج المختلفة التي تسود الحركة الشيوعية المصرية آنذاك . منهج الوحدة والتأييد ، والذي كان يسود الحزب الاشيوعى المصرى ( حتى ) ، والذي بسببه تمايزت عن الحزب الشيوعى المصرى وانقسمت عليه . كان هذا المنهج لا يتوقع ما يجرى ، وبالتالي لا يتصوره ولا يصحقه . والحقيقة ان الموقف هنا ليس موقف ضعف نضالى او خشية السجن والاعتقل ، فحدثوا تاريخيا ، وبغض النظر عن الاتفاق او الاختلاف الفكرى والسياسى معها ، كانت قد قدمت اكبر عدد من المناضلين الاشداء الى السجون والمعتقلات . وكانت هى التى لعبت دورا هاما في ارساء تقاليد نضالية داخل السجون والمعتقلات ، دفاعا عن حقوق المعتقلين والمسجونين السياسيين . وهى قد لعبت دورا هاما ، ايضا ، في ارساء تقاليد نضالية امام النيابة والمحاكم . الا انها ، اليوم ، وهى تسير على منهج التأييد المطلق وعدم التمايز عن النظام قد فقدت البوصلة الطبقية ، وبذا فقدت التوجه النضالى في مواجهة السلطة وقهرها . واصبح سبيلها الى الخروج من خف القضبان ، هو المزيد من التأييد ، دعما للثقة موهومة ، الموقف النضالى هنا كان انعكاسا للموقف الفكرى والسياسى والمنهج الذى يحقق هذا الموقف السياسى .

يقول فاروق ثابت ، « جاءت ضربة يناير ١٩٥٩ . وحينئذ صدر قرار ، حتى نكسب ثقة الحكومة اكثر ، ممنوع الهروب . عليك ان تنتظر في بيتك حتى يقبضوا عليك . لا أحد يهرب . انها أزمة ثقة بيننا وبين النظام وسوف تمر . أزمة ثقة وعلينا احتمالها فوق اكتافنا . وعندما يتضح الموقف سوف يكون النعائل بيننا وبينهم جيدا . علينا ان نتحمل والهروب ممنوع . ولذلك عندما جاء ضابط المباحث العامة ( فتحي قننة ) للقبض على فى الساعة السادسة والنصف صباح ٢٨ مارس ، فتحت له الباب ، وكنت عائدا لتوى من الخارج الساعة الرابعة والنصف بعد ان انتهيت من اجتماعاتى واعمالى ، قال لى ، انا فلان . قلت ، أهلا وسهلا ، تفضل . قال ، انتم فى انتظارنا ؟ قلت له ، نعم فى انتظاركم . قال ، انت تعلم انى آت اليك ! قلت له ، نعم اعلم انك آت الى ، تفضل .

---

(١) اللقاء الشخصى السابق معه .



قلت هذا ببساطة شديدة جدا ومذهلة بالنسبة اليه . كان لدى قرار بعدم الهروب « (١) » .

لم تكن ضربة فجر الأول من يناير غير فاتحة الحملة . كشف القبض أو الاعتقال الأخرى كانت معدة . وتوالت الضربات . وهنسا أيضا ، وضع المنهجان اللذان كانا في الحزب الشيوعي المصري نفسه موضع الاختبار . منهج الوحدة بابرار نقاط الاتفاق والصراع بتسجيل نقاط الخلاف ، باعتبار أن الأمر أمر حوار بيننا وبين النظام الحليف ، وأن العقل لابد سوف يسود في نهاية الأمر . ومنهج الوحدة والصراع الصحيح ، والذي يقوم على وحدة كل القوى الوطنية بما فيها البورجوازية الوطنية الحاكمة ، دون التخلي أو التهاون أو التهادن حول مطالب الجماهير الديمقراطية والاجتماعية ، وكان هذا المنهج يرى أن الحزب الحاكم لا يخوض معنا معركة « حوار موضوعي » ، أو معركة تسجيلية مثلما نخوضها نحن ، إنما هو يخوض معركة تصفية للحزب الشيوعي المصري ، ومحاولة اجتثاثه من الجذور . معركة حياة أو موت . وكان كلا المنهجين يرتب ، بناء على فكره وفهمه السياسي ، مواقف عملية ونضالية متباينة ، تظهر بداءة حول الموقف من بيان ٩ يناير والقيادة في الداخل والخارج ، داخل المعتقل وفي قلب المعركة ، وغيرهما من القضايا التنظيمية والسياسية ، مما جعل للصراع يحتدم داخل الحزب ن جديد .

مارس ١٩٥٩ :

ثم جاءت ضربة الثامن والعشرين من شهر مارس عام الف وتسعمائة تسعة وخمسين . ضربة ساحقة ، تحمل في طياتها كل معاني الصراع العدائي ، ليس فقط في مواجهة الحزب الشيوعي المصري أو الشيوعيين المصريين ، ولكن ، أيضا ، في مواجهة كل صوت ديمقراطي ، وكل ارادة حرة . واصابت الضربة الحزب بخسائر فادحة في مناطقه المختلفة . كانت حملة واسعة غير مسبوقة ، حتى انها نالت من اربعة اقسام القوى الحزبية . كانت محاولة مستميتة لاجتثاث الحزب من جذوره . كان زكريا محي الدين وزير الداخلية ، حينذاك ، قد أعلن أنه : « كان من المتصور ان الحزب الشيوعي السوري أقوى من الحزب الشيوعي المصري ، الا أنه قد ثبت ان الحزب المصري هو الأقوى » .

لقد استهدفت الحملة الاجهاز على الحزب ، ومن هنا شملت كل من يشتبه في وجود صلة ما له بالحزب ، أو أي صلة بالفكر الديمقراطي التقدمي . ومن هنا شملت ، أيضا ، عناصر كثيرة من بين المثقفين

(١) نفس اللقاء الشخصي .

والصحفيين واساتذة الجامعات والنقابيين ، عمالا ومهنيين . تحولت الحملة المعادية للشيوعية ، وهو أمر طبيعي تماما ، الى حملة ارهاب للشعب كله ، وتكريس ديكتاتورية لم يسبق لها مثيل .

يقول لطفي الخولي ، « ٢٨ مارس كانت حملة واسعة ، لم تشمل فقط الماركسيين ولا التقدميين ، بل شملت حتى الليبراليين ، ايضا . كنت اسكن في ٤٤ شارع القصر العيني . وكان يسكن معي في نفس العمارة الدكتور لويس عوض ولطف الله سليمان . ليلة الحملة طرقتوا باب لويس عوض ، فاعتقبد انهم مخطئون ، فقتل لهم ، الذي يقبض عليه هو لطفي الخولي ، وهو أعلى في الدور السابع ، وذلك لانه كان قد قبض على اكثر من مرة ، من قبل . الا انهم قتلوا له ، كلا ، نحن قادمون من أهلك ، ايضا ، (١) » .

الحزب ، منذ ضربة يناير ، لم يتوقف لحظة واحدة . جمع صفوفه . اعاد تشكيل تنظيماته ، اندفع يواجه الحملة ولا يتخلى عن دوره ومسئوليته قبل الشعب ، قبل قضية الديمقراطية والمطالب الشعبية . وادرك الحزب الحاكم انه لا يواجه حزبا كحزبه ، تتركز القيادة في رأسه ، فعجل ذلك بضربة مارس ، ضربة تصيب الحزب حتى الاعماق ، تصيب لجان المناطق والاقسام والقواعد . ضربة تعبر عن الفرع والذعر ، وتكشف النظام وتفضحه أمام شعب مصر والعالم اجمع ، تفضح عجزه الحقيقي عن مواجهة الفكرة بالفكرة ، والحجة بالحجة ، كما كان يزعم . لم تكن اسلحة الحزب غير كلمات ، منشورات ، تحمل وجهة نظر الحزب فيما يجري من أحداث . كل هؤلاء الذين اعتقلوا كانوا مجرد اصحاب رأى يعملون على أن تصل الحقيقة ، كما يرونها ، الى آذان وبصائر شعبيهم . لم يحمل احد سلاحا أو يطلق طلقة واحدة . لم يوجد في منزل أحد منهم مدفع رشاش أو قنبلة . الا ان النظام الذي كان يخشى للرأى الآخر ، يخاف حتى اتفاق معه بعيدا عن ارادته المنفردة وحزبه الواحد ، كان يدرك جيدا مدى خطورة الكلمة ، الكلمة عندما تعبر عن اختيار والارادة . انها الوعي ، الوعي بهما للمواطن وما عليه . فضح الزيف والاكاذيب . ومن هنا كانت مضبوطاتهم كتباً وأوراقاً . كلمات ، كلمات وكلمات . الا انها لم تكن مجرد نقوش على ورق ، كانت الحقيقة ، التي كان يرى الحزب الحاكم في حاملها مجرماً يستحق السجن والاعتقال والابادة .

---

(١) لقاء شخصي معه في ٦/١٩ ، ٢٨/١٢/١٩٨٠ .

يقول لطفى الخبولى ، « فتشسوا المنزل تفتيشا كاملا . أخفوا مجموعات كتب عربية واجنبية وبعض مخطوطات خاصة بى ، ومقالات ودراسات أو بدايات قصص . رفضوا ان أخذ معى حقيبة ملابسى . ذهبنا الى المباحث العامة ومنها الى القلعة » (١) .

ويقول الدكتور عبد الرازق حسن ، « كان الوقت رمضان . عدت من زيارة بعض الاصدقاء ، دق الجرس وقت السحور . احسست ان هنالك امرا ما رغم انه لم يسبق لى مثل هذه التجربة . لكن من الذى يثق الباب فى مثل تلك الساعة ؟ قلت لهم ، ارجوكم لا داعى لازعاج البيت ، ان اردتم التفتيش ، فها هى المكتبة وها هى الكتب .

من الاشياء الطريفة أن الضابط وهو يفتش بدأ يجمع الكتب ذات الغلاف الاحمر . قلت له ، ليست المسألة بلون الكتاب . حرام عليك فنانى قد دفعت دم قلبى فى هذه الكتب وليس لى ثروة غيرها . كانت هنالك كتب عن الماركسية ، اراد جمعها واخذها . قلت له ، لا ، انا لن انكر ملكيتى لهذه الكتب ، فهى كتب علمية موجودة فى السوق ، وكتاب واحد منها دليل على الكل ، وهو يكفى .

وجد موضوعا بخط يدى عن ( التخطيط فى ظل الاشتراكية ) . مسودة بحث أعده . قلت له ، ان أخفت هذا المخطوط ، فلا بد وأن تأخذ معه بعض الاوراق الأخرى . وكانت تلك الاوراق تشتمل على رسالة من الدكتور حلمى عبد الرحمن ، وكيل وزارة التخطيط ، يرجونى فيها ان استعجل كتابة المحاضرة التى لقيتها عن التخطيط فى ظل النظام الاشتراكى . كانت محاضرة قلتها بناء على طلب وكيل وزارة التخطيط ، وليست منشورا .

بعد ذلك اخذونى الى القلعة » (٢) .

الحملة الواسعة كانت موجهة الى كل الشيوعيين المنظمين المنتمين الى الحزب الشيوعى المصرى والحزب الشيوعى المصرى ( حدتو ) ومما الحزبان الكبيران آنذاك ، والى الطليعة الشيوعية ( ط . ش ) ووحدة الشيوعيين ( و . ش ) وهما منظمتان ظلنا خارج دائرة الحزب الواحد الذى تكون فى ٨ يناير ١٩٥٩ . كذلك كانت موجهة الى كل القوى الوطنية الديمقراطية غير المنتمية الى تنظيم سياسى ، سواء كانت هذه القوى من

---

(١) نفس اللقاء الشخصى السابق .

(٢) لقاء شخصى معه فى ١٢/٥/١٩٨٠ .



انصار السلام أو النقبائين أو الليبراليين أو اساتذة الجامعات والصحفيين  
والمتقنين ، وكان هذا الاتساع في الحملة أكبر بكثير من قدرات أجهزة  
المباحث العامة ، ومن هنا استعانت بقوى من ضباط الشرطة العاديين ،  
ومن هنا تفاوتت صور زوار الخنجر .

يقول خيرى عزيز ، « يوم ٢٨ مارس أيقظتنى والدتى الساعة  
الواحدة والنصف بعد منتصف الليل ، وجئت ضابطا ( يوزباشى ) وأربعة  
مخبرين يتفون فوق رأبى . كان الضابط متوترا للغاية ، أصابعه  
ترتجس . كان يحمل مسحسا وضعه فوق المكتب . دهشت للغاية من  
تصرفه . كان فى وسعى أن اخذ المسحس وأوجهه إليه . استنتجت أنه  
حديث فى هذه العملية وعديم الدراية . عثروا ، أثناء التفتيش ، على خنجر  
جميل كان فى دولابى ، وهو فى الأصل ملك لوالدى . آثار أحد المخبرين  
مسألة ان هذا الخنجر بدون ترخيص ويلزم تحريزه . قلت هذا خنجرى  
وكنت استعمله أيام المدرسة فى فرقة الكشافة . لم يجد اليوزباشى حماسا  
للاخذ برأى المخبر ، فترك الخنجر . لم يجدوا شيئا غير كتب ومجلات .  
كتب ادبية لمكسيم جوركى ومجلات سوفيتية . وكلها كانت تباع فى  
السوق . كانت هناك حجرتان ينام فيهما اخوتى الصغار فقلت لليوزباشى :  
أوقظهم حتى تفتش ؟ قال لا داعى . كان منظرا غريبسا يدعو للتأمل  
والدهشة . انا فى طريقى إلى المجهول واخوتى ينامون نوما عميقا صافيا .  
تأثرت من موقف الضابط كثيرا ، لم يلجأ الى الاساليب الجهنمية التى  
كان يلجأ إليها الآخرون .

أخذونى الى مبنى المباحث العامة . هنالك اخذ البكباشى رئيس  
المباحث العامة بالمنيا يبلغ بالتليفون عن المضبوطات . كان يقول ، عثرنا  
على كتب جواركى ، مما يدل على قدر طيب من الجهالة . فى المباحث العامة  
وجدت الرفيق عبيد عياد مرجان - وهو فلاح من الارياف وكان البكباشى  
قد اعتدى عليه بالضرب . ناقشه فلم تعجبه المناقشة ، فلطمه على وجهه  
مرتين . لم يعجبه ان يكون الفلاح اكثر منه فهما وثقافة . سسافرنا  
بالليل الى القاهرة . كان فى المحطة مكتب تشهيلات خاص بمسائل  
الاعتقال (١) .

ويقول محمد سعدة ، « يوم ٢٨ مارس الساعة الرابعة والنصف  
فجرا ، دق الباب ، قمت لافتحه وقد ادركت الوضع . كان هنالك اثنان  
من الضباط ومعهم مقدم من الاسكندرية . دخل وقال ، هل يمكن ان نقوم

(١) لقاء شخصى معه

بالتفتيش ؟ قلت :، فتشس كيفها شئت ، الا ان هنالك وضعاً خاصاً  
أرجو مراعاته ، ان والدتي ترقد في الفراش نتيجة عملية انفصال شبكى .  
لقد مضى عليها ستة ايام وهي ممنوعة من الحركة . اصدر أوامره لمن معه  
بتفتيش باقى المنزل . توجه هو الى غرفة والدتي . سألنى ان كانت  
مستيقظة . قلت ، بالطبع على صوت الطرقات . دخل وقال ، مساء الخير  
ياحاجة . قالت ، مساء النور . من ؟ قال ، أبدا لا شيء ، فقط بعض الجيران  
اشتكوا ان ابنك يعاكس بناتهم ، نحن نبحث عن خطايات أو صور .  
قالت له ، بنات مين يا ابنى ؟ قلت له ، انها تعرف فخفف عنها الامر .  
لم يكن لدى غير كتب ماركسية ودوسيه قضيتى القديمة . بعد التفتيش  
سألها ، من معك هنا ؟ قالت ، الشغالة . قال ، هل تودين ان اترك معك  
مخبراً ، سوف نأخذ محمد فى كلمتين ثم يعود لك . قالت له ، لا داعى ،  
شكراً . كان اسمه المقدم حسين . كان المفروض ان العربية المرافقة لهم  
سوف تذهب الى الماكن اخرى ، الا انها تأخرت . سألنى ، أين قسم  
باب الشعرية ؟ قلت ، قريب من هنا . قال ، هيا نتمشى سوياً . وطوال  
الطريق كان يسألنى عن عملية والدتي ويقص لى عن أحد أقاربه والذى  
عمل عملية مماثلة وشفى محاولاً طمانتى وتخفيف الامر على ، (١) .

ويقول ابراهيم قرسى ، « هاجمت الشرطة منزلى فجر ٢٨  
مارس . كنت قبل ذلك باسبوع وبناء على تعليمات الحزب باحتمال  
ضربة قريبة ، هارباً أنا ومحمود العطار ويحي لطفى . فتشوا المنزل  
وعثروا على خطابات منى لمؤتمر السلام باعتبارى مندوباً عن العمال فى  
المؤتمر . حاول المخبرون استفزازى اثناء التفتيش ، بان قلبوا المرتبة  
وعليها ابنتى نائمة ، الا ان الضابط منعهم من الاستمرار فى ذلك .

اخذونى الى قسم الازبكية ، كان معى فى نفس البوكس انور العطار  
رئيس نقابة التأمين . بعد نصف ساعة انصرفوا الزميل عبد الله النوبى .  
قال لنا انهم عندما دخلوا منزله ، كلم زوجته بالنوبية ، قال لها اصرخى .  
فأخذت فى الصراخ وهي تقول للصوص اقتحموا منزلنا ، للصوص  
ياخذون زوجى .

ادخلنا الحجز . وجدت هناك الزملاء رزق عبد المسيح وسامى  
عبد المسيح وسلامة عبد الواحد . استدعانى الضابط . سألنى ان كانت  
الخطابات المضبوطة تخصنى . قلت نعم ، وأنا مع السلام ولست ضده .  
قال ، ومجلة الصاروخ الروسى تلك ؟ قلت ، أنا رجل فنى واطلع على

---

(١) لقاء شخصى معه .

كل المجالات الفنية . سأل عبد الله النوبى عن الكتب النقابية ، قال له ، انه نقابى . سألته كيف يوجد لديك مصحف وانجيل . قال له ، انه يحب الاطلاع على كل شىء .

بقينا حتى الرابعة صباحا . تم نقلنا الى معتقل القلعة مباشرة «(١)» .

ويقول محمود شندى ، « كان اليوم ١٩ رمضان ، كنت اقضى السهرة فى قهوة ، اتوقع الامساك بى فى أى وقت . اذ منذ ضربة يناير وهذا الاحتمال قائم . كان هنالك كلام عن ضرورة الهرب والتأمين الا أن هذه المسألة كان من الضرورى نوافرها جماهيريا ومن خلال امكانيات الزملاء الا ان الامكانيات لم تكن وافرة ، وكان هذا الوضع محيرا .

كنت حينذاك اسكن مع جماعة من السودانيين ، امام قسم عابدين مباشرة . احسست قبل ذلك بهراقات شديدة . فوجئت بعد عودتى الى المنزل وانا فى حجرتى بضربات وخطبات شديدة على الباب . كان الوقت حوالى الثالثة صباحا . كان رجال المباحث منزعين للغاية ، لقد ذهبوا الى منزلى فلم يجدونى ، فهددوا اخى فاختبرهم بمكانى ، فجاءوا مسرعين ، شاهرى السلاح ، فى حملة كبيرة وكانهم سيقبضون على عدد ضخم من الناس . كانت سلام المنزل مليئة بالجند المسلحين . سألوا ، هل هنا شخص اسمه شندى ؟ قيل لهم ، نعم ، انقضوا على حجرتى بطريقة ارهابية فظيعة ، حتى انه كانت توجد امرأة سودانية من سكان هذه الشقة حامل فاجهضت من الذعر . كما كان هنالك طالب سودانى تبول على نفسه من المنظر الذى رآه . وابتدأ بعضهم يبكى . وجدونى داخل الحجرة سألونى ، انت شندى ؟ قلت نعم ، كان معهم صول سبنى سببا مقذما ، قلت ، لا تسب . قال ، انت تهرب من بيتك . قلت ، انا اسكن هنا . واذا كنت تريد اعتقالى ، فاعتقلنى دون سبب أو شتيمة . قال ، انت وسخ وابن كلب ، قلت ، ان سببت سأسبك أيضا . فسبنى مرة أخرى ، فسببته وبعنف ، فقال له الضابط . اسكت . قال ، قم ، انزل . قلت آخذ شنطتى ومنامتى وملابسى . قال ، كلا . انت مطلوب خمس دقائق فقط وسوف تعود . قلت ، انا اعلام جيدا . لن اعود ولو بعد خمس سنين . استمر فى الاستفزاز ، ورفضوا أن آخذ شيئا .

ذهبنا الى القسم . هنالك فى التخشيبية التقيت بواحد نظيف ومعه شنطة . سألته ، ما حكايتك ؟ قال ، لا اعرف . بدأ آخرون فى المجيء ،

---

(١) لقاء شخصى معه .



دكتور لويس عوض ودكتور فايق فريد ، وشلة من عابدين وأخرى من شبرا . كان لويس عوض متوترا يحخن في شراهة بينما كان فايق فريد يضحك ويهزر . انتظرنا حتى السادسة مساء ورحلنا الى القلعة ، (١) .

ويقول محمد فكرى قبورة ، « قبض عليه يوم ٢٨ مارس . كان يوم خميس على ما انكر . كنت هاربا قبل ذلك . كانت تلك هى الليلة الوحيدة التى توجهت فيها الى منزلى فى الريف . امسكوا بى فى الفجر . كان الضابط الذى قبض على يدعى مصطفى جنىدى ، ضابط مباحث عامة من المنصورة ، وكان قد قبض على من قبل عام ١٩٥٣ . سألته والدى ونحن نغادر المنزل ، ما المصير ؟ قال ، لا تنتظر ان يعود اليك مرة أخرى . استعوض الله فيه . فى مركز الشرطة جلس جنىدى يسألنى عن مجموعة من الناس . قلت له ، انت تعرف ، اننى لو اعرف مكان أى احد فلن اخبرك به . أخذ فى سبى ، يا اولاد للكلاب يا خونة . قلت له ، نحن الخونة ام انتم ! انقض على الضباط وهرسونى علكة رهيبة فى حجرة المأمور ، حتى انى فقدت الوعى . فى تلك الاثناء احضروا معتقلا آخر يدعى أحمد شوقى . كان متين البنيان . وعندما رانى ، أخذ يصرخ فيهم ، دعوه بنا اولاد للكلاب .. »

نقلنا الى سجن المنصورة . كان امام المركز كمية هائلة من الناس ، اخذت تسب المباحث وتلقى بالحجارة على السيارات . وهنالك فى السجن ورد علينا زملاء آخرون ، من شربين والمنصورة ، مدوح الجندى ومختار السيد ومحمود ندا وغيرهم . ومن هنالك نقلنا الى القلعة ، حيث ظلمت شهرا لا استطيع ضبط حركة فكى بسبب الاعتداء على فى مركز المنصورة . كنت ( اظلم ) الطعام مباشرة ، اذ كنت عاجزا عن المضغ .

كان عبد السلام الخشان قد هرب بعد ضربة مارس . كان معروفا بالاسم ، الا ان اجدا لم يكن يعرف شكله . هرب من الدقهلية الى الشرقية . وكان قد جند احد الشبان ، امسكت به المباحث العامة وهددته كى يسلمه ، فاخذ منه موعدا فى المقابر ، حيث فوجئ الخشان بعربة رثى فى المقابر وعمال بلدية ترش المقابر . دهش لهذا الوضع الا انهم انقضوا عليه وامسكوا به قبل ان يتصرف . كان مفتش مباحث الشرقية هو رؤوف حمدى اخو الممثل عماد حمدى ، اخذوه الى المباحث وضربوه على رجليه حتى صارت مثل خف الجمل . ظلوا يضربونه ست ساعات ، ورؤوف حمدى هذا يقول له ، الا تكفيك الدقهلية ، تود ان تصبح مديرا للشرقية

(١) لقاء شخصى معه .

ايضا ! يقول عبد السلام الخشان ، ان ما كان يغيظ رؤوف حمدي ، ليس انى ضد السلطة ، وليس انى شيوعى أو أى شىء آخر . ان ما كان يغيظه هو انى اريد ان اكون مدير مديرية الشرقية الى جوار كونى مديرا لمديرية الدقهلية .

ويقول نبيل زكى ، « تركت منزلى بعد ضربة يناير . كان اليوم ٢٨ مارس حينما فكرت فى زيارة سريعة ومفاجئة لمنزل والدتى فى شبرا . كان الموقت قبل الظهر . كنت اتبع على الدوام طريقة معينة قبل دخولى . كانت هنالك حارة صغيرة تقع فى مواجهة باب البيت مباشرة . وكانت تلك الحارة توفر لى رؤية مباشرة للبيت . وأنا فى أول الحارة رأيت والدتى ومعها رجل غريب على باب المنزل . كان وجه والدتى نحوى وكذلك ظهر الرجل . عندما رأتنى والدتى اشارت بيدها ان ابتعد ، ففهمت على الفور واسرعت بالهرب . نظر الرجل صوب اشارتها فرأى هاربا فاناطلق خلفى ، الا انه لم يستطع للحاق بى ، اذ دخلت شارع التربة البولاقية ومنه الى شارع شبرا .

علمت فيما بعد أنهم هاجموا البيت فجر ٢٨ مارس ، الساعة الثانية والنصف صباحا . مزقوا كتبى والقوا بها على الأرض . قلبوا السرير والمراتب . بهدوا البيت . الا أن انقطع ما حدث هو الامساك بسباق شقيقى وهو نائم باعتباره انا رغم أن والدتى اخبرتهم أنه أخى ، فاستيقظ فزعا ، وهو ما يزال حتى اليوم يهب من نومه فزعا ان سمع صوتا وهو نائم . هددوا بأخذه رهينة ، فصرخت أمى تستنجد بالجيران الذين تكاثروا فتركوه .

كان للبواب قد أخطأ فذكر لهم انى احضر الى المنزل فى بعض الاحيان . كان رجلا طاعنا فى السن ، فضربوه ضربا مبرحا ليعترف لهم بمواعيد حضورى ، وهل انا مقيم ام هارب مختفى . قرروا ابقاء أحد المخبرين داخل الشقة ، فان طرق الباب اى امرى ادخل وأسر داخل الشقة . امضى هذا المخبر بقية الليل واليوم التالى . احتاج الى سجائر ، وكان يهم ساعة وصولى بترك المنزل لشرائها . عاد بعد ملاحقتى الفاشلة منكسرا . قال انه سيضطر الى اخفاء الحقيقة عن رؤسائه حتى لا يعاقب . لقد كنت فى تناول يده وافلتت . استمر هذا الوضع عدة ساعات أخرى ثم غادر البيت وقد ترك خلفه عددا من الاهل والمعارف الذين احتجزهم ، وتساءت الصدفة التعسفة ان يزورونا فى هذا اليوم .

اتجهت الى صديق لى يعمل فى احدى الوكالات الصحفية ، فعلمت منه بالحيلة وانه قد قبض على المئات (١) .

---

(١) نفس اللقاء الشخصى .

## استشهاد الرفيق محمد محمود عثمان :

حملة مارس اتسمت بالغليظ والحقق والبربرية • ان هؤلاء الذين خيل اليهم انهم قد قضوا على الحزب في حملة يناير ، قد اصبحوا فوجحوا انفسهم يواجهونه في كل مكان • فقدوا صوابهم وحاولوا مداراة فشلهم بالاجرام • ان بعض رجال الأمن لم يكن مكانهم الطبيعي غير الليمانات كالبشع القتل والسفاحين ، بل ان البعض منهم كان مكانه الطبيعي مستشفى الأمراض العقلية •

كان الجنون قد افلت عقاله ، ينطلق يعربد يرتدى حثلا وازياء رسمية • ويملك سلطة التصرف في العقل والرشاد • وفي طنطا قتلت مجموعة من هؤلاء المناضل البطل الشهيد محمد محمود عثمان • اول روح ازهقت ومزقت وقدمت قربانا لاسادة وللعلم الرث الدامي ، علم مكافحة الشيوعية ، في قسم اول طنطا ، حيث يحكم البكباشي انور منصور ، رئيس المباحث العسامة ، الخلق وكانما هو الخالق سبحانه • انهال الضرب الوحشي البربري على محمد محمود عثمان وأحمد عيد وسعيد النحاس • وكانت تعليمات مكتب مكافحة الشيوعية المركزي بالقاهرة لرجالهم بطنطا ، هي الحصول على اعتراف من الشهيد بخريطة التنظيم في الغربية واماكن الهاربين بأى ثمن • هنالك في هذه الغرفة المظلمة انهال عليه زبانية أنور منصور ضربا بالعصى الغليظة • وكعوب البنادق والاحذية • وكلما سقط مغشيا عليه ، ألقوا على وجهه الماء ليفيق • ليسأله ضابط المباحث ان كان سيعترف ، فيجيب بالرفض ، فيأمر رجاله باستئناف الضرب •

واستمرت هذه العملية الاجرامية حتى الرابعة صباحا ، الى ان فقد محمد عثمان النطق • فلقوا به في مؤخرة إحدى السيارات البوليسية ، ووضعوا الاثنين الآخرين في سيارة أخرى وانطلقوا بهم الى القاهرة • وأمام ادارة المباحث العامة في شارع خيرت ، توقفت للسيارتان ، وانزلوا الرفيق الشهيد محاولين استناده ، لكنه سقط منهم ، فجره الحراس من قدميه على الأرض حتى وصلوا به الى حجرة في قعر اسفل المباحث العسامة •

وفي تلك الحجرة حاول رجال المباحث العامة ان يعيدوا الى الرفيق وعيه حتى يعاودوا استجوابه • لكنه كان قد لفظ آخر انفاسه • وفي الظلام نقلت الجثة الى مكان مجهول (١) •

---

(١) الاقدام للعارية - طاهر عبد الحكيم •



وبقول سعيد النحاس ، « اقامتى فى محلة مرحوم مركز طنطا .  
فى اول ابريل ١٩٥٩ ، اخذونى من سهرة رمضان فى بيت العدة ، حضرت  
المباحث العامة بقيادة أحمد شوقي عبد الرحمن معاون المباحث ومعه  
خمسة أشخاص منهم مخبر اسمه عطيه وألقوا القبض على ثم اتجهوا  
الى بيت شخص آخر اسمه أحمد حسين عيد وألقوا القبض عليه أيضا .  
فتشوا بيوتنا ثم نقلونا الى مبنى المباحث العامة . عندما دخلنا اننا  
والمعتقل الآخر كانت الساعة حوالى الواحدة والنصف أو الثانية الا ربعا  
بعد منتصف الليل . كان النور خافتا ، ووضعونا فى صالة المبنى حيث  
تفتح عليها بعض الحجرات . فى ذلك الوقت خرج علينا بعض المخبرين  
واشترك معهم الضابط أحمد شوقي عبد الرحمن فى ضربنا بالأيدي والعصى  
ووضعوا كلبشات الحديد فى قدمي . ضربوني على اني فسقطت على  
الأرض وفقدت الوعي ، اما زميلي أحمد عيد فقد قيدوا يديه وقدميه ووضعوا  
خشبة فى رجليه وضربوه بالعصى عليها حتى اغشى عليه ، وعندما افاق  
اجلسوه الى جوارى .

بعد ضربنا قال الضابط أحمد شوقي عبد الرحمن للمخبرين ، هاتوا  
لهم محمد محمود عثمان حتى يروا ماذا فعلنا ليعترفوا . رأيناهم يجرون  
شخصا لا أدري من يديه أم قدميه . كانوا قادمين من ممر يفتح على  
الصالة ، وكان فاقد الوعي ، وظل أمامنا هكذا ساعتين . كان يئن  
خلالهما . فى تلك الفترة سمعت المقتش أنور منصور ، الذى كان فى  
مكتبه ، يقول ، احضروا له كورامين من الصيدلية الليلية حتى يفيق . ولما  
احضروا الكورامين لم يتقبله ولفظه . كان فاقد الوعي . بعد الساعتين  
أخذوني أنا وأحمد عيد ووضعونا فى أحد دورات المياه فى نفس الشقة .

فى الصباح كان المجنى عليه ملقى كما هو ساعة نقلنا الى دورة  
المياه . انزلونا الى فناء واسع وجدنا به سيارة بوكس وسيارة ملاكى ،  
وشاهدت المخبرين هابطين من أعلى يحملون محمد عثمان من تحت ابطيه  
ومحيطين به من كل جانب . كانوا يقصدون من ذلك ايهامنا بأنه ماشى  
على قدميه ، الا انه كان فاقد الوعي وارتسحوه على الكرسي الخلفى من  
السيارة الملاكى وجلس مخبر امامه حتى يسندده فى مكانه ، وركب أحمد  
شوقي عبد الرحمن الى جانب السائق .

اركبوني أنا وأحمد عيد فى البوكس ، وتحركنا . كانت السيارة الملاكى  
تسير خلفنا حتى وصلنا الى مبنى وزارة الداخلية . ووقفت السيارة

البوكس في حوش الداخلية ، بينما دخلت السيارة الملاكى الى الخور الأرض من المبنى . مكثت انا وزميلي داخل البوكس يحرسنا المخبرون من اول الصباح حتى آخر النهار . وعندما حل الظلام نقلتنا نفس السيارة الى قسم الموسكى دون محمد محمود عثمان . انتظرنا يومين في قسم الموسكى ، ثم اخذنا أحمد شوقي عبد الرحمن ومعه بعض المخبرين الى وزارة الداخلية مرة أخرى لتحقيق معنا النيابة . كان أحمد شوقي معاون المباحث حاضرا معنا اثناء التحقيق . كان الانهام الموجه الى هو انتمائى الى تنظيم شيوعى ، وكانوا يدعون انهم وجدوا مع محمد محمود عثمان أوراقا وكتبا كثيرة . فى التحقيق لم يسألونى عن محمد محمود عثمان ، الا انهم سألوا زميلى أحمد عيد عن صلته به . قدمنا بعد ذلك للمحاكمة أمام محكمة أمن الدولة العليا بطنطا . محمد محمود عثمان متهم أول وأما المتهم الثانى وأحمد عيد الثالث . فى المحكمة رويننا كل ما حدث الا انهم حكموا علينا بالبراءة وعلى محمد محمود عثمان بخمس سنوات باعتباره هاربا ، (١) .

قتل القتلة محمد محمود عثمان باسم القانون وحماية الأمن العام والنظام ، وأخفوا جثته فى مكان غير معلوم . وتتصاعد المأساة لتبلغ ذروتها فى محاكمة هزيلة هزلية ، يعلن فيها المتهمون عن جريمة القتل التى وقعت ، الا ان المحكمة لا تصفى اليهم ولا تحقق فى وقائعها ، بل تدين الشهيد ولا تدين القتلة وتحكم عليه بالسجن خمس سنوات . وتبدو المسألة كمؤامرة محبوكة تشارك فيها اطراف عديدة . اذ عندما يقف الرفيق عبد المنعم شتلة عضو اللجنة المركزية بالحزب امام المحكمة العسكرية العليا فى الاسكندرية التى انعقدت لمحاكمة قادة الحزب عام ١٩٥٩ ، متحدثا عن الحملة المعادية للشيوعية وعن تصعيدهما ، مستشهدا بواقعة اغتيال الرفيق محمد محمود عثمان فى مدينة طنطا ، مسجلا تفاصيل تعذيبه الوحشى الذى أدى الى موته ، متسائلا عن هو الجدير اذن بالوقوف موقف الاتهام ، الجانى أم المجنى عليه ؟ العناصر الوطنية الشريفة التى تقدم حياتها رخيصة من أجل الوطن أم تلك العناصر التى لا هم لها سوى الدس والتآمر والتى يشهد تاريخها بالصلوات المريبة مع المستعمرين وعملائهم . فينبرى له رئيس المحكمة يقاطعه ، يأمره بالتوقف عن الكلام ، الا أنه يستمر متحديا : « اننى اتهم المباحث العامة بارتكابها جريمة قتل أحمد رفاقنا ، الشهيد محمد عثمان ، واطالب بالتحقيق فى هذه الدعوى ، كما اتقدم للنيابة الموجودة هنا ، بطلب استدعائى والتحقيق معى فيما نسبته للمباحث العامة » .

---

(١) أمام النيابة بعد عام ١٩٧٠ .

وعاد رئيس المجلس يقول : « اسكت والا امرت باخراجك » .

الا ان عبد المنعم شتلة لم يتوقف . وقال ، « طبقا للنظام المطبق في المجالس العسكرية يحق لى ان اتقدم بدفاعى بالطريقة التى اراها مناسبة لابرار وجهة نظرى ، كما انى مستعد لكى يحقق معنى فى أية عبارة اقولها وتعتبر ماسة بأى شخص من الأشخاص » .

ويعود رئيس المجلس ليقول : « اجلس و لا تتكلم ، والا طبقت عليك المواد الخاصة بالاخلال بنظام الجلسة » .

الا ان عبد المنعم شتلة لا يلزم الصمت ويعن ، « انى احتج بشدة الاحتجاج على هذا الاسلوب ونطلب تسجيل احتجاجى فى المحضر الرسمى للجلسة » (١) .

المؤامرة تقتضى الصمت ، والاطراف عديدة .

يقول فوزى حبشى « حين دخلت معتقل القلعة كان معنى بالصدفة فى نفس الزنزانة سعيد النحاس . كان قد قبض عليه مع الشهيد محمد محمود عثمان . كانوا قد ضربوا معا فى قسم طنطا . فذكر لى وقائع محددة عن ذلك ، وكيف انه رأى محمد عثمان وهم يحملونه يكاد يكون جثة هامدة ، وكيف القوا به فى خلفية السيارة ونقلوها الى القاهرة حيث ام يعرف مصيره بعد ذلك » .

وعندما استذعيت للتحقيق فى اليوم التالى ، رفضت الاجابة ، واصريت على ابلاغ النائب العام بواقعة قتل محمد عثمان ، وذكرت اسم الشاهد الذى قال لى كل تلك الاحداث ، وانه معتقل فى يد الحكومة وعليكم بسؤاله حتى تستدلوا على القتلة .

كان المحقق الذى يحقق معنى هو احمد موسى ، وقد رفض تسجيل ذلك الطلب فى المحضر ، فلما اضريت على موقفى ، اعطانى ورقة كى اكتب بلاغى الى النائب العام . وبالفعل كتبت البلاغ وسلمته للمحقق واثبت ذلك فى محضر التحقيق الخاص بى ، وذكر أن البلاغ قد سلم له بواسطتى كطلب للتحقيق فى واقعة قتل الشهيد محمد محمود عثمان .

---

(١) الاقدام العارية - طاهر عبد الحكيم



ودارت الايام وكان النائب العام وقتها على نور الدين . وقابلته في المحكمة أمام المصعد . وكان أحمد موسى موجودا ، فمسال على أذنه وقال له في هدوء ، انه هو الذي اعطى أمرا باعطائي الورقة لكتابة البلاغ . لاني رفضت الادلاء بباية اقوال الا بعد كتابة البلاغ ، وانه قد سمح لي بكتابة البلاغ ازاء اصراري على ذلك . الا ان على نور الدين مزق ورقة البلاغ في وجهي وقال : « شوف مين هيحقق لك في الكلام الفارغ الى انت كاتبه دا » . وقد دعاني ذلك الى تخصيص النائب العام اثناء نظر قضيتي وبالفعل رفعت عليه قضية تخصيص ، فرفعت الجلسة لدفع رسوم التخصيم . وبالفعل دفعت الرسوم وقدرها مائة وخمسين جنيها ، باعتباراه انه هو الذي وضع نفسه موضع الخصم لي . واصبحت قضية قائمة بذاتها على أساس انه أخذ ورقة من ملف قضيتي ومزقها والتقى بها في وجهي . وبالفعل عقدت جلسة خاصة بهذا الموضوع . ولما كانت قضايا التخصيم لا بد وأن تكون علنية ، ولأنني كنت حالة خاصة فقد سحبوني الى مكتبه بدار القضاء العالي الساعة الرابعة بعد الظهر ، وبدون وجود أي موظف أو أي شخص ، فتحوا الابواب على لا شيء . وقالوا ، نحكم علنا على فوزي حبشي بغرامة قدرها مائة جنييه على أساس أنه قام بازعاج السلطات والتقدم ببلاغ كاذب . كانت مهزلة . النائب العام يمزق وثيقة هامة من أوراق قضيتي ، وبذا يكون قد عمد الى اخضباء معالم جريمة شهودها في قبضة الحكومة والجناة من الحكومة . وجثة الشهيد مخبأة بأيديهم في مكان غير معلوم ، (١) .

الابلاغ عن مقتل محمد محمود عثمان ، بيد رجال المباحث العامة ، أمر يستثير المحكمة العسكرية العليا ويستفز النائب العام ويصبح بلاغا كاذبا يعاقب من يبلغ عنه بالغرامة . وكان ذلك أمرا طبيعيا اذ قبلت النيابة ايامها أن تجري تحقيقاتها مع المعتقلين أو المتهمين السياسيين في مبنى المباحث العامة وتحت اشرافهم بوجود ضباط منهم اثناء التحقيق . كيف يكون الأمر مشاركة الى هذا الحد وبين رجال النيابة حينذاك هؤلاء الذين يشرفون عليهم ويراقبونهم اثناء تأدية عملهم ؟ لقد غدا الكل واحدا . تداخلت نيابة أمن الدولة والمباحث العامة تداخل يصعب الفصل فيه .

الا ان مؤامرة محاولة فرض الصمت على مقتل محمد محمود عثمان لم تقف عند هذا الحد ، حدد القتل واخفاء الجثة وتجريم من يبلغ عن هذه الجريمة البشعة ، والزعم بهروبه ومحاكمته شهيدا ، وادانته والحكم عليه بخمس سنوات . ان المؤامرة تتواصل ليصبح بيت الشهيد مداسا لزوار الفجر

---

(١) حديث شخصي معه في ٧/٢٢ ، ١٩٨٠/٨/٥ .

يقتحمونه وقت يشاعون حيث انه هارب محكوم عليه ، ويلزم الامساك به لتنفيذ حكم « العدالة » .

تقول السيدة ستوتة أحمد الشرقاوي والددة البطل الشهيد :

« آخر مرة رأيته فيها ، كان يعد ملابسه . سألته ، الى أين ؟ قال مسافر الى طنطا . قلت ، عند من ؟ قال ، بعض الاصدقاء وأعود . قلت ، هل اعرف هؤلاء الاصدقاء ؟ قال ، لا ، ولا داعي لأن تعرفينهم . قلت ، طيب يا ابني تروح وتيجى بالسلامة . ومن يومها لم أراه مرة ثانية . »

بعد ما يقرب من شهر ، وجدت خطابا أسفل الباب . كان الخطاب يقول ، اتهم قبضوا على محمد وعذبوه وبهدلوه وأهانوه وقتلوه . قال الخطاب ، انه مرسل من زملاء له رأوه بأعينهم عندما وضع في السيارة فاقدوا الوعي والدماء تنزف من فيه .

فقدت صوابي ، حملت الخطاب الى وزارة الداخلية . قلت ، اين ابني ؟ قالوا ، لا نعرفه . قلت لهم ، اذا ماذا يعنى هذا الخطاب ؟ قالوا ، من الذى احضره لك ؟ قلت ، لا أحد ، عندما فتحت الباب وجدته اسفله . لم يسلمه لى أحد فى يدى . قالوا ، طيب ، اذا جاك اى شخص آخر بأى خطاب ، احضره لنا ومعه الخطاب . قلت ، انا لم اتسلمه من أحد . الخطاب كان تحت الباب ، وأنا جيت ليكم . انتم بتقولوا انكم وطنيين وبلد وطنية ، لا بتموتوا الناس ولا حاجة ، وانتم الضبط والربط . دلونى على مكان ابني ، قالوا ، اذهبى انت الآن . هدى السر ، واذا احضر لك أحد خطابا ، فأحضريه لنا .

قال لى بعض الناس ، اذهبى الى مباحث طنطا . السر معهم . سوف يخبرونك بما حدث . سافرت الى طنطا ، ووصلت هناك متأخرة ، لم اكن اعرف أحدا هناك . نمت فى الجامع . وسبألت عن المباحث فى الصباح حتى وصلت اليها . دخلت حجرة بها ثلاث ضباط . قلت ، فين محمد عثمان ؟ قالوا ، ومن تكونين له ؟ قلت ، أمه . قالوا ، ولمساذا تبجحين عنه ؟ قلت ، ابني ، كبيرى وابن عمى . قالوا ، لو كان يخاف عليك ما كان يضعك فى المهانة . قلت ، ابني فين ؟ محمد فين ؟ قالوا ، لا نعرفه . قلت ، انتم الذين قبضتم عليه . ومعى جواب يثبت ذلك . قالوا ، اين الخطاب ؟ قلت ، فى المباحث العامة . قالوا ، من الذى كتب هذا الخطاب لك ؟ قلت ، فليكتبه من يكتبه أنا باسأل ابني فين ؟ قالوا ، ابنيك هرب عند خروشوف . قلت ، أنا لا اعرف خروشوف . أنتم الذين اذا احتجتم تذهبون الى خروشوف بارجلكم . قالوا ، هل تعرفين ماذا كان يفعل

ابنك ؟ قلت ، ابني طيب وابن حلال ، يقطع قميصه لحبيبه ، ويعطى ما فى جيبه لصديقه . يحب الناس ، ووطئى حر . انا ابني فيه ايه ؟ قالوا ، دا بيكسر مبادئ الرسول ، وينشر مبادئ خروشوف . قلت ، انتم ذكرتم الرسول ، الرسول ايضا لما كان بيكافح ، كانوا بيقلولوا عنه سحر وكذاب . وهو كان بيدافع عن الدين . بس انا عاوزة طريق ابني . ان كان مات قولوا لى ، وان كان حى قولوا لى . انا مش هاعمل حاجة . انا طيرة ضعيفة قدامكم . قالوا ، هو هرب عند خروشوف ، وتانى مرة حد يجيب لك جواب ، هانيه علشان نعرف ، هو عرف الحاجات دى الزانى .

بعد المباحث ما اخذت منى الجواب ، انا كتبت فاكركه المكتوب فيه ، مخليت واحد يكتبه تانى لى ، وعملت كذا جواب . اخذت واحد ورحت لحقوق الانسان . لقيت عسكري واقف على المبنى ، سألته عن حقوق الانسان . قال ، لا اعرف . سألت راجل ماشى . قال لى ، ماهية دى اللى واقف تحتها العسكري . زعقت فيه وقلت له ، انت ما انتش عارف بتحرس ايه ، علشان كده حقوقنا ضايعة . دخلت حقوق الانسان وانا باصرخ ، قابلتنى واحدة ست اجنبية . قالت لى ، مالك ، قلت ، خدى شوف الجواب دا ، انا عاوزة اشوف هتبا مين الخير ولا الوزير . تعبدتنى فى اوضة ، وقالت لى ، طيب هاتى الجواب . اخذت منى الجواب ودخلت ، ثم خرجت . طبطبت على وقالت ، انتى تروحي ، مهدية السر ، واحنا هنعمل كل حاجة . قلت ، انا عاوزة بس تخبرونى ابني فين ؟ وبعد كده سمعت انهم بيسألوا على محمد من بره . والراڊيو جاب اسمه . وبدأوا بره يسألوا عن الاسماء الغائبة . كمان رحت الهلال الأحمر . قالوا لى المدير مش فوق . قلت لهم ، انا مجنونة ، وماحدث يقدر يقف قصاڊى ، وانا عاوزة اوصل يعنى هاوصل . السكرتيرة بتاعته قالت ، مش جوه . هو ضرب الجرس ، فدخلت وقالت له ، فيه واحدة عاوزة تقابلك ومش عاوزة تقول ليه . قال لها ، خليها تخش . كان الجواب صسورة اخرى ، بس فيها كلام عن الظلم والحكومة خاينة . فالراجل بعد ما قرأ الجواب ، قال لى ، انت بست مظلومة ، بس اللى كتب ليكى الجواب ماكانش فيه داعى يشتم ، ويغلط . انت تروحي وتترتاحى واحنا هنبحث الموضوع ونرد عليكى . ولا حد رد ، ولا حد سأل . رحت القضاء العسالى برضه . دخلت وحكيت الحكاية . وكان النائب العام وحوليه ناس ، وأخذ الكلام وعمل محضر . وقال لى ، طيب يابنتى ، انت تروحي واحنا هنبحث الموضوع ده ونرد عليكى . ولاحد سأل ، ولاحد رد .

كان هناك ضابط يسكن الى جوارنا . وقد حضر الى واخبرنى ان محمد مات . وانهم بعد ما احضروه من طنطا الى الداخلية ، ارسلوه للقلعة



ومات هناك ، فأعادوه للداخلية ثم طنطا ، وقتها تأكدت أنه مات • هو قال كده لأنه رآنى فى حالة فظيعة • كل ما حد يقول لى على مكان أسبافر ليه ، أو أحد المنجمين اذهب اليه • وسمعت انهم دفنوه فى طنطا وانهم دفنوه فى مصر •

لما كان الموسم بيجى ، كنت اروح القراغة • اقعد هناك بالاربعة ايام • احط قطن فى ودانى علشان ما اسمعش مدافع العريد • وساعات الف فى الشوارع ، اقعد على الرصيف دا شوية ، وعلى الرصيف دا شوية ، مش عارفه لابنى دليل •

كنت احياناً احط الامل فى نفسى واقول ، يمكن يفتح على الباب ومعه مراته وولاده ، ويقول ، يا أمى انا كنت صحيح هربان وادينى رجعت تانى • كنت هاتجفن • اصابنى السسكر والضغط والروماتيزم وعينى الشمال باظت ، وحياناً احس ان النار بتشتعل فى جسمى كله •

بعد سفر عبد الناصر ليوغوسلافيا ، ومحاولته ابعاد شبهة قتل شهيدى وفريد حداد عنه ، خبط الباب الساعة ثلاثة الفجر • قلت ، مين ؟ قالوا ، تلغراف • انزعجت وفتحت الباب ، لقيت خمستاشر واحد واقفين على الباب • قعدت على الكنبه ، بصيت لقيتهم ملوا البيت ، قلت ، اللهم صلى على النبى • انتو لسه فاكرينى ؟ انتو جايين محمد ؟ يبقى يا مرحبا اذا كان معاكم • قالوا ، هوه فين محمد ؟ انتى مخبيه محمد ليه ؟ أمسكت بالضابط • قلت له ، يبقى انت اللي تعرف محمد فين ، فين محمد ؟ قال ، هذى نفسك عقبال مانفتش • قلت ، تفتش على محمد عندى انا ! قال ، آه • فتح الحجرة • كان أبو محمد نايم • قام فزع • قال ، انا لاشفت ابنى ولا اعرف طريقه فين • ومن يومها الراجل اصيب بالمرض • دخلوا على ابنى سيد • قالوا له ، اخوك فين ؟ قال ، ما اعرفش • كان عندنا ضيفة نايمة صحوها وسألوها ، محمد فين ؟ قالت ، انا ضيفة وما اعرفش حاجة • قوم انا ربك والحق ، رحت ماسكة الضابط ، وقلت له ، ليلتك اسود من النيله • هات لى محمد • انت اللي عارف سكة محمد • هات لى محمد ، ولا تكونوا قتلوا حسن كمان ( ابنها الثانى وكان معتقلا ايضاً ) • انا اجيب لكم محمد من فين يا سفاحين يا قتالين يا ظلمة ، يا بلد كلها ظلم • طبطب على وقال ، هنجيب لك محمد والله • محمد حى وموجود • قلت له ، امال بتفتش عليه ليه • قال لى ، بس هو هرب من مطرح ما هو محطوط • واحنا قلنا دا راح عند امه • هرب مش عارفين راح فين • قلت له ، هو حد بيهرب متكم • انا مش هاسيبيكم • انت اللي تعرف مكانه • ميت

اعرف . حتى اعرف . يا حكومة خائنة يا سفاحين . قال لي ، انت ام  
ومعنورة . واحنا هنجيب ليكي محمد . واخذوا عربيتهم ومشوا .

رحت لحسن في معتقل القصر العيني . حكيت له الحكاية . قال لي ،  
يا امي دي محاولة ابعاد شبهة . الله يصبرك يا امي . برضه ماتسكتيش  
لكن عليه العوض .

ابو محمد بعد ثلاث ايام مرض وخرج للعمل راكب دراجته . كان  
دايخ . حاولت امنعه ، زفرض . كان هو عائلنا . الترمای خبط العجلة  
عند الاسعاف . اخذوه للهلل . قعد عشر ايام كان سخن باستمرار .  
الدكتور قال ، احنا مش عارفين ننزل السخونة وهنبعتة الحيات . قلت ،  
لا . دا راجل اكال عيش وابنه راح منه . انا اخده في بيته ، اكرمه  
احسن . جه الدكتور عمر مكاوي واستلمه من المستشفى للبيت . واحضرت  
له احسن دكاترة ، لكنه مات بعد يومين . يعنى مافتش جمعيتين على حركة  
التفتيش .

بعد انور السادات ماجه ، قالوا فتحو باب التظلمات . انا عملت  
توكيل لنبيل الهلالي . وطلبني اروح دار القضاء العالي . طلبوا مننا  
شهود . جه فوزي حبشي وجه النحاس . ثالث مرة اروح قابلقه . قال  
لي ، احنا اللي شفننا كل حاجة بعيننا . بس معلش ، استحملي الكلام  
اللي احنا هنقوله . فوزي قال انه كان صديقي وكيان عريان نصيف ، لكن  
النحاس هو اللي كان معاه وقت ما حصل اللي حصل . دخلت وياه عند  
النائب ونبيل الهلالي . قال اللي شافه واللي حصل ، وازاي قتالوا لهم  
علشان يبقى عبرة . انا مابقتش دريانه واعمى على . كل اللي كنت  
باسمعه قبل كده كلام واشاعات ، لكن دلوقت باسمع اللي حصل من  
واحد شافه . حسيت ان محمد بيتعذب قدامي . قلت ، انا عاوزه ابني ،  
انا مش هنتقل من هنا غير لما تجيبوا لي ابني . انتو تعرفوا كل حاجة .  
وكيل النيابة قال لي ، اهدى . قلت ، اهدى ازاى . قال ، هنوصل  
لنكل حاجة . كوني صبورة . قلت له ، وبعد كده يبقى فيه صبر . يا عالم  
انا ام . بعد كده حولوا القضية للططا . وخلصت على كده .

انا ابني راح مني وعليه العوض . وليه رب يخلص لي ذنبي . انا  
مش رفعت التظلم علشان فلوس ، انا رفعتة علشان يعرفوا ان الواحد مهما  
يكون له الف سنة ، ليه اهل تدور عليه . ملا يكلوهش كده . اى حد يحصل  
له حاجة يسلموه لاهله . الأهل تشوف ابنها بعنيها (١) .

(١) لقاء شخصي معها في ١٧/١٠/١٩٨٠ .

مؤامرة الصمت تواجه بالفضح في كل مكان . في كل تحقيق ، في كل محاكمة ، في كل اضراب عن الطعام افتتح له محضر نيابة ، سجلت واقعة مقتل الشهيد محمد محمود عثمان ، في بيانات الحزب وفي الاذاعات الخارجية .

اغتالوا محمد محمود عثمان ، واغتالوا ابيه ايضا . وظلت الأم تنتظر طرقات ابنها ، يعود اليها . املت ان يتحول اللوهم الى حقيقة .

ان محمد عثمان لم يذهب حتى يعود . انه ما زال هناك ، لم يترك مكانه على رأس طابور شهداء الحملة البربرية . انه ما يزال كما كان على الدوام ، شامخا ابيا يحمل العلم وقد اصطبغ بجمرة دمه اللقائية .

بدأ محمد محمود عثمان عمله السياسي في النصف الأول من الأربعينيات ، مناضلا وطنيا ديمقراطيا شيوعيا في منظمة الشرارة ( اسكرا ) ، يناضل في مواجهة الاستعمار والاقطاع . يعيش الهم جيله ويرفضها ويقاقل من أجل تغيير حقيقى لذلك الواقع المر . يشترك في حملة مقاومة الكوليرا تحت راية رابطة الطلبة المصريين ونشكل معا (١) لجنة مقاومة الكوليرا في منطقة جزيرة بدران وروض الفرج . لجنة تبدأ بنا نحن الاثنين فقط لتتسع لشباب الحى ، تصل الى حوالى السبعين عضوا . يقومون بتطهير المنازل ونقل المرضى وتحصين المواطنين . كان لا يهاب الموت دفاعا عن الآخرين . كما شارك ايضا في تأسيس النادي المصرى السودانى في شبرا ، ناد رياضى ثقافى لشباب الحى ، افتتحه اسماعيل الأزهرى الذى صار رئيسا للسودان فيما بعد ، واغلقه اسماعيل صدقى في حملته البربرية عام ١٩٤٦ . شارك في كل الاعمال النضالية من مظاهرات وحشود وصدامات مع قوات الاحتلال والسلطة القديمة . واصبح عضوا في الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ( حدتو ) بعد ان اتحدت منظمة الشرارة التى كان عضوا بها مع منظمة الحركة المصرية للتحرر الوطنى ( حمتو ) . وعندما تفجرت حدتو بالانقسامات ، كان ممن خرجوا عنها . وشارك في أواخر الأربعينيات في تأسيس منظمة طليعة الشيوعيين المصريين ، وكان عضو اللجنة المركزية بها . ولعب دورا بارزا في دعم الوجود التنظيمى والجماهيرى في منطقة شبرا وشبرا الخيمة مشاركا العمال معاركهم من أجل حقوقهم ومطالبهم .

وفي اواخر مايو ١٩٥٤ قبض عليه ، ووقف امام المحكمة يدافع في وضوح وصلابة عن فكره الماركسى وتطبيقه على الواقع المصرى ، مطالبا

---

(١) محمد عثمان وفخرى لبيب .



بأنهاء الحكم الديكتاتوري العسكرى على شعب مصر من أجل حكم وطنى  
ديمقراطى حقيقى . وحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات . وذاخل السجن  
كان محمد محمود عثمان مثالا للمناضل البسيط الثابت الجنان ، القادر  
على المواجهة والصمود الثورى . كذلك لعب دورا هاما فى معركة الوحدة من  
أجل توحيد كل الشبوعيين المصريين فى حزب واحد . وعندما عاد مرة أخرى  
الى الشارع ، عاد اشد صلابة مما كان ، وأكثر ايمانا بقضية شعبه ووطنه  
وقضية الاشتراكية فى مصر . عاد جنديا فى صفوف الحزب المتحد ثم الحزب  
الواحد الذى طالما ناضل من أجل تحقيقه . وأصبح محترفا سياسيا ،  
متفرغا للعمل النضالى بمنح كل وقته وجهده وفكره وحياته للحزب وقضية  
الطبقة العاملة .

وبعد ضربة يناير عام ١٩٥٩ ، كلفه الحزب - فى إطار خطته لإعادة  
التماسك التنظيمى وتوزيع الكادر الرئيسى فى المناطق الحزبية - بالتوجه  
الى منطقة الغربية حيث قبضت عليه مباحث طنطا فيما بعد . ونال القتل  
جسده فاغتالوه ، أما محمد محمود عثمان المناضل فقد صمد فى وجه تعذيبهم  
لا يقر ولا يعترف ولا يخون المسئولية ، شيمة المناضلين الاباة . وعجزت  
كل عصيهم الغليظة وكل ركائزهم ودنائاتهم واجرامهم وخستهم من أن تنال  
من ارادته . لقد ضحى محمد محمود عثمان بجسده فى مقابل ارادته .  
اختار عقيدته وأمانة المسئولية فى مقابل حياته . ان محمد محمود عثمان  
سوف يظل ابد الدهر رمز لمقاومة الحزب البطولية فى تلك الحقبة ، وصورة  
حية لنا كان يمتلكه كادره من انكار الذات والتضحية والصلابة والعناد  
دفاعا عن قضايا الشعب وتمسكا بحريته فى اختياره الارادى للطريق الذى  
يسوغ مستقبله .

وفى كل معتقل وسجن ، فى كل اجتماع حزبى على أرض مصر ، وقف  
رفاق محمد محمود عثمان يقسمون بدمه الذكى الطاهر ، ان يسيروا على  
دربه ، درب المقاومة الصلبة العنيدة ، وأن يحموا راية حزبهم من كل  
الاعاصير التى تحيط بها . وأن يحققوا لشعبهم ما نذروا انفسهم من أجله ،  
خلاصا وحرية ، ديمقراطية وحقوقا طالما اهدرت ، ومستقبلا غير الحاضر  
والفضل منه .



### لماذا نجحت الحملة :

الحملة المجنونة مستمرة . ومن افلت من قبضتها غدا مطاردا مطلوبا  
فى كل مكان . علقت الصور فى محطات السكك الحديدية وبعض المحلات  
العامة ، ومع الجوابين ، وانتشر رجال المباحث كالذباب يطلعون فى  
الشوارع والنواصى وعلى محطات الترام والمترو وسيارات الأتوبيس .

والحزب يللم صفوفه ، يتلقى اللطمة اثر اللطمة ، لكنه لا يخضع ولا يستسلم . يجدد اساليبه ، ويعمل على أن يتكيف مع الظروف التي استجدت عليه . كان الحزب حتى اواخر عام ١٩٥٨ ما يزال يعهل بطريقة شبه علنية شبه سرية . وبذا كانت كثير من عناصره معروفة من خلال دورها الجماهيري . كما كانت ايضا كثير من عناصره القيادية معروفة من سابقة اعتقالها وسجنها مرات ومرات من قبل ، منذ العهد الملكي حتى تلك الفترة من الزمان .

كانت العناصر التي تنتمى في أصولها التاريخية الى الحزب الشيوعى المصرى الموحد ، وكذلك الحزب الشيوعى المصرى ( الراية ) معروفة ومكتشوفة بصورة أكثر بكثير من تلك التي تنتمى تاريخيا الى الحزب الشيوعى للعمال والفلاحين ( ع . ف ) . الا ان الحركة الشيوعية وقعت خلال عامى ٥٧ ، ١٩٥٨ في اخطاء ادت الى انكشاف الغالبية من عناصر الحركة عامة .

نفى خلال المعركة الانتخابية التي جرت عام ١٩٥٧ ، اصدرت القيادات تعليمات الى كوادرها وقواعدها بضرورة التوسع في تجنيد العضوية الجديدة لاجزابها حينذاك . وهذا امر طبيعى لا غبار عليه ، فواجب كسب عضوية جديدة امر حيوى لى حزب سياسى يعمل بين الجماهير ويسعى بجدية الى توسيع ارتباطاته وتوثيق تلك الارتباطات . الا ان هذا التوجيه تزامن في تلك الفترة مع معركة الوحدة التي كانت تدور بين الاحزاب الشيوعية الكبرى الثلاث ( الموحد - الراية - ع . ف ) . وكان من المعروف خلال مفاوضات الوحدة تلك ، ان اللجنة المركزية الجديدة للحزب الواحد والتي سوف تتشكل من تلك الاحزاب الثلاث ، سوف يتم تمثيل كل حزب فيها ، طبقا لقواته واعداد عضويته ، أى ان الحزب الاكثر عضوية سوف يكون اعلى تمثيلا ، وذلك ما عرف وقتها بالتمثيل النسبى . ومن هنا ارتبط تنفيذ ذلك التوجيه بالتوسع في العضوية بمفهوم الزيادة العددية ، أى زيادة الكم دون مراعاة الكيف أو النوع كما يقضى الواجب الحزبى . وبذا انفتحت ابواب تلك الاحزاب لكسب عناصر دون التدقيق في شروط العضوية ، مما اتاح الفرصة لتسريب عناصر بوليسية أو ضعيفة يسهل سقوطها عند وقوعها في يد الاجهزة الامنية .

يقول فريد رمزى ، « في عام ١٩٥٧ صدرت لنا التعليمات بتجنيد اكبر عدد ممكن خلال المعركة الانتخابية . واعتقد ان نفس الامر قد حدث في كل التنظيمات الموجودة حينذاك ، حيث كانت فكرة التمثيل النسبى في

اللجنة المركزية مطروحة في ذلك الوقت . وانضم عدد كبير في ظل ظروف مفتوحة ، حيث كان ذلك وسيلة لانتشار العناصر البولييسية في القاعدة ، (١) .

كانت فكرة تشكيل اللجنة المركزية للحزب الواحد بالتمثيل النسبي ، فكرة من أخطر وأسوأ الأفكار التنظيمية التي قامت عليها وحدة الشيوعيين المصريين في حزب واحد ، إذ كانت ، بالإضافة الى الممارسات الخطيرة الاضرار السابقة ، تقتضى - عند الوحدة - ان يتقدم كل حزب بما يسمى كشوف قواته أو قوائم قواته وموقعها التنظيمي ، وربما استلزم التحقق من صحة هذه القوات ان يجرى التفتيش عليها . وكان معنى ذلك فتح باب الحركة واسعا امام أى عناصر بولييسية أو عناصر مدسوسة لتحويل كل قوى الحزب الجديد الى كتاب مفتوح ، يضرب سرية أو بقايا سرية كل حزب من تلك الأحزاب . كما كانت هذه الفكرة أيضا ، تطرح وتغرس الشك بين القوى التي سوف تتوحد بدلا من دعم الثقة ، التي هى أمر ضروري وواجب عند الاقدام على مثل تلك الخطوة الهامة والتاريخية في حياة الشيوعيين المصريين .

ثم جاءت أزمة الحزب بعد الوحدة وسيادة المناهج الانقسامية فيه مرة أخرى ، مما جعل الأطراف المتصارعة داخلية - وخلال معركة سيطرت فيها الاساليب اللامبدئية والعدائية - تكشف أى أسرار أو أسماء للطرف الآخر ، مما أهدر سرية كل القوى واتاح للعدو المتربص فرصة ما كان يحلم بها لاستكمال كشوفه هو عن الحزب واوضاعه وخريطته .

كل ذلك كان يشكل عبئا ثقيلا على قيادة الحزب بعد ضربة يناير ١٩٥٩ واحتمالات ضربات أخرى متوقعة ، وقد وقعت بالفعل بعد ذلك : وطرحت حينذاك فكرة سحب العناصر الجديدة وغير المعروفة أو المكشوفة والعمل بها على اساس خطة طويلة المدى تشكل تواما آخر للحزب يتم تربيته واعداده مع اتخاذ اشد صور السرية والحيطه ، حتى اذا تعرض الجزء المكشوف والمعروف من الحزب الى عملية الابداء التي كانت تتضح أكثر فأكثر من خلال الحملة ، يظل هذا الجزء الآخر بعيدا عن يد الدولة وقبضتها ليكمل المعركة باساليب جديدة في العمل الجماهيرى والدعائى والاثارى . وبدأت القيادة بالفعل في تنفيذ تلك الخطة الا ان الضربات المتلاحقة وازدياد ضعف الامكانيات والفترة الزمنية اللازمة وقدرات الكادر ايضا قد حالت دون تحقيق هذا الهدف . والذي كان يتوجب الاخذ به عندما بدأت نذر الازمة مع النظام تتوالى منذ منتصف عام ١٩٥٨ .

---

(١) نفس اللقاء الشخصى .



ولقد اضيف الى تلك الازواض التنظيمية شعور التحدى المصحوب بالاندفاع عند الكادر واعضاء الحزب بعد ضربة يناير ١٩٥٩ . ان التحدى فى أى معركة سياسية أو نفسانية أمر مطلوب ، ان كان يعنى الصمود الثورى والتفكير الصحيح لابتكار اساليب تساعد على استمرار الحزب فى معركته . الا ان التحدى المصحوب بالاندفاع سوف يقود الى افعال شجاعة حقاً ، لكنها فى مثل تلك الازواض سوف تكون افعالاً متهورة تؤدى الى السقوط فى الاقنخاخ والشراك المنصوبة ، مما يحقق غرض العدو أكثر مما يحقق اغراض الاستمرار والديمومة . ولقد كان الاكثار من اصدار البيانات عن اللجان الحزبية المختلفة واحداً من الاخطاء التى وقع فيها كادر الحزب . حقيقة كان ذلك بسبب حماسه وتفانيه واستعداده اللاتهاى للتضحية من أجل القضية ، الا انه فى ذات الوقت اعطى للنظام صورة غير حقيقية عن قوة الحزب ، صورة مغالية للغاية عن قوته ، مما جعل ردود الفعل فى مواجهة هذا التقدير شراسة متزايدة وحملات متلاحقة .

ان الانطلاقة الجماهيرية للواسعة فى اعوام ٥٦ ، ١٩٥٧ ، ومواقف الشيوعيين ابان معارك التحرير وبرامجهم التقدمية خلال هذه الانطلاقة ، قد جذبت اعداد كبيرة الى صفوف الشيوعية . غير ان الكوادر المدربة كانت قليلة واستغرقت جل نشاطها فى المعارك الجماهيرية أو الصراعات الداخلية ، فسارت عملية تربية صفوف احتياطية للكوادر ببطء ، فضلاً عن عملية تنظيمها وترتيب دورها وتحديد مسئوليتها .

كان يجب ادراك ان المعركة تحتاج الى نفس طويل . وأن القوى المعادية للشعب قد وجدت الراية التى تتجمع حولها خلف عبد الناصر . ولذا فإن المعركة سوف تكون شرسة متعددة الاسلحة .

لم يكن الحزب بوضعه وانكشاف اعضائه مؤهلاً لمعركة طويلة المدى . كان عليه ان يتراجع الى الخلف ليعيد نفسه الاعداد الذى لم يكن قد تم اتجازه ، دون ان يظهر نفسه بأكثر من قوته .

لقد كان الحزب بعد ضربة يناير قادراً على الحركة الجماهيرية ، لكنه لم يكن بقادر على تنمية هذه الحركة وحمايتها . كان فى مقدوره التأثير فى قطاعات معقولة بل وتحريكها ، الا انه لم يكن بمقدوره مداومة هذا الاتصال والتأثير والتحريك . أى انه لم يكن بمقدوره حينذاك استيعاب واحتواء رد الفعل المضاد . هذا ما كان يتوجب عليه أن يعد له (١) .

ويقول نسيم يوسف ، « جاءت ضربة اخرى فى ١٦ أو ١٧ ابريل . وبدأ لدينا احساس قوى بان الكماشية تطبق علينا وتضيق

---

(١) من شهادة نبيل صبحى .

خناقتها . في هذه الضربة سقط عدد هام من الطلبة الذين كان لهم نشاط فعال .

بداننا نعيد تشكيل منطقة القاهرة من جديد . واصبحت أنا مسئول المنطقة . كان مسدد من الزملاء الذين على اتصال باللجنة المركزية والسكرتارية المركزية في هذه الفترة قد قبض عليهم . وبذا انقطع الاتصال بهذه الهيئات . وبدأت مناقشات داخل لجنة المنطقة حول الاستفادة من خبرة الحزب الشيوعي العراقي على أساس عدم الاندفاع في أعمال اثارية . وعلينا تجميع الاقسام والخلايا والسير خطوة خطوة في مواجهة الظروف الارهابية الفظيعة التي كانت موجودة حينذاك . كان هنالك اقتراح من عدد من الزملاء باصدار منشور وتوزيعه في ميدان عابدين بمناسبة ٢٣ يوليو ، وليحدث منا يحدث . الا انني وعدد من رفاق المنطقة رفضنا هذه الفكرة وقتلنا ان هذا العمل عمل انتحاري ولا يمكن القيام بمثله ، حيث ان اضراره تفوق فوائده ، وأن القضية ليست مجرد ظهور الحزب أو الاعلان عن وجوده ولكنها قضية وجود عمل مستمر ومنظم (١) .

ان عمق ضربة مارس وما تلاها من ضربات يرجع في الواقع الى تمكن الاجهزة الامنية من معرفة قوات الحزب ، لا لقدراتها الفائقة أو امكانياتها التي لا تقاوم ولكن للاخطاء التي وقع فيها الشيوعيون انفسهم ، خطأ تشكيل القيادة بالتمثيل النسبي بين الاحزاب التي سوف تتحد معا وما تترتب على هذا الخطأ قبل الوحدة وبعدها ، كذلك الى ازمة الحزب وانقسامه وتفشي اسراره . ثم يأتي عامل الحماس المندهج بعد ضربة يناير ليغالى في قوة الحزب الشيوعي ويعجل بالضربات التي كانت كشوفها معدة بالفعل .

### خطة مايو :

ويحاول الحزب بعد هذه الضربات مراجعة حساباته التنظيمية واساليب عمله الدعائية بغية الاستفادة من تلك التجربة التي لم تمر الحركة الشيوعية المصرية بمثلها من قبل . وتحاول القيادة في ذات الوقت اعادة صياغة افكار الحزب وتطويرها ، فتصدر في مايو ١٩٥٩ خطة سياسية تكتيكية ، عرفت باسم خطة مايو ، توضح موقفه السياسي وبرنامجه ازاء هذه المرحلة .

---

(١) لقاء شخصي معه في ٤ ، ٨/٩/١٩٨٠

ولقد ركزت خطة مايو على التمثيل الطبقي ، وتناولته من جوانب ثلاث ، الاقتصادية والسياسية والايديولوجية (١) .

### الجانب الاقتصادي :

قدمت الخطة الأرقام الخاصة بأرباح الشركات الاحتكارية الكبرى وركزت على مجموعة بنك مصر ومجموعة عبود ومجموعة بنك القاهرة ، كما ناقشت منافسة سريعة ، المؤسسة الاقتصادية ، من زاوية الهدف منها ، وأن الإجراءات المخوفة ضد رأس المال الإنجليزي والفرنسي والصهيوني بعد عدوان ١٩٥٦ قد نتج عنها أن الجزء الأكبر كان في المؤسسة وجزء تم تمصيره ، بيع للقطاع الخاص \* واستشهد بكلام حسن إبراهيم رئيس المؤسسة الاقتصادية في ذلك الحين ، والذي قال أن مهمة المؤسسة الاقتصادية أعداد المشاريع وتنميتها ثم تسليمها للقطاع الخاص \* وأن مهمة المؤسسة في الوقت الراهن هي خدمة الاقتصاد عن طريق تنمية الاستثمارات الخاصة . ( وتم - فيما بعد - تأكيد هذا الكلام في ملاحق ، اتحاد الشعب ، جريدة الحزب ، ومقالاتها دعماً لصحة الخط السياسي ، والاستشهاد بما جاء في خطاب عبد الناصر تمهيداً لاحتفالات يوليو ١٩٥٩ والتي زار فيها شركات بنك مصر ، وهناك قال ، أن الثورة هي بنك مصر ، وأن بنك مصر هو الثورة ) \*

### الجانب الايديولوجي

سياسة معاداة الشيوعية والشوفينية والعرقية والتبشير بانتهاء المعركة مع الاستعمار وبدايتها مع اليسار ، وتناولت الخطة النقطة الخاصة بالعداء للشيوعية بالتحليل منتهية إلى القول بأنه : كما أن الموقف من الديمقراطية حاسم وفاصل في الموقف من الشعب ، فإن الموقف من الاتحاد السوفيتي حاسم وفاصل في الموقف من الاستعمار \*

### الجانب السياسي :

يتمثل في الديكتاتورية الفردية . حكم الحزب الواحد الذي هو الاتحاد القومي ، وحرمان الطبقة العاملة من استقلاليتها النقابية ، وتفتيتها في النقابات المصنعية . ثم المادة ٨ وهي ضرورة أن يكون عضو مجلس إدارة النقابة عضواً في الاتحاد القومي ، وذلك لاختصاص النقابات لسلطان الحكومة \*

---

(١) عن فخرى لبيب ونبيل صبحي .



وقالت الخطة بالنسبة للتمثيل الطبقي للنظام انه يمثل الاحتكار وشبه الاحتكار .

ولم يرفع الحزب في هذه الخطة شعار الاسقاط ، بل رفع شعار التحذير من مغبة هذه السياسة على الحركة الوطنية ، والتحذير ايضا من شعار انتهاء المعركة مع الاستعمار وبدايتها مع اليسار . كما طرح ايضا ضرورة الديمقراطية حتى يمكن تكوين تحالف وطني معاد للاستعمار ، مؤكدا ان الاستعمار هو العدو الرئيسى وان مؤامراته مستمرة . وقد استخدم في ذلك الحين تعبير البورجوازية القومية وحرصها على السوق المصرى لمصلحتها هي دون الشعب المصرى كله .

وقد انتهت الخطة بوضع برنامج يطالب بتأميم شركات عبود وبذلك مصر وأبو رجيلة ( وكان قد رفع شعار تأميم أبو رجيلة عام ١٩٥٨ ارتباطا بمعركة عمال النقل واعتصامهم بمقر الاتحاد العام ) . وكذلك بالنسبة لعبود . وكان الحزب يعد في الصعيد اضرابا لعمال تفتيش كوم امبو وكان رئيس النقابة حينذاك المناضل الحاج سيد العطار . وكانت تلك المعركة خاصة بالأجور وساعات العمل ولوائح الجزاءات والفصل التعسفى . وربما كانت هنالك مطالب ايضا خاصة بتأميم المحلات الصناعية وسباهى .

كما رفعت الخطة شعار حرية الاحزاب الوطنية بما فيها الحزب الشيوعى المصرى ، وحق الطبقات الوطنية في تشكيل احزابها المستقلة ، وائتلاف هذه الاحزاب في جبهة وطنية ، رافضة فكرة تحويل الاتحاد القومى الى جبهة .

كانت الخطة تكتيكية ولم تكن استراتيجية . الا ان بعض المختلفين معها من زملاء ( الراية ) سابقا ، قالوا بانها خليط من التكتيك والاستراتيجية ، ودمغوها باليمينية وهم في الخارج ، ثم اتهموها باليسارية في الداخل بعد اعتقالهم .

والحقيقة انها كانت في حدود خطة تكتيكية لمواجهة الظروف التى كانت تمر بها مصر حينذاك ، بها قصور بعض الشئ نتيجة الظروف التى كان يعيشها الحزب . الا ان هذا القصور في بعض دراساتها لم يكن يمس منهجها الطبقي فى الأساس . والذى وضع الحزب على الطريق الصحيح في مواجهة ما كان يجرى وقتذاك .

والنقد الذى يمكن أن يوجه الى هذه الخطة هو تحديدها الطبيعة الطبقيّة بانها احتكاريّة ، حيث ان ذلك يعنى انقلابا فى السلطة وتغيير اساسى فيها ، ولم يكن شئ كهذا قد حدث . لم يكن هذا التحديد دقيقا أو صحيحا . وكان التعبير اللاحق هو ما جاء فى بيان ٩ يناير ١٩٥٩ ، وهو ان الاحتكارات المصرية ورأس المال المشارك للجانبى يجرى فى ظل مثل هذه السياسة ارباحا طائلة . كما انها تحقق نفوذا هائلا ايضا . حيث انه فى ظل شعار انتهاء المعركة مع الاستعمار وبدايتها مع اليسار ، وفى ظل الحملة المسعورة المعادية للشىوعية. وكل القوى الديمقراطية ، وموقف النظام من حركة الجماهير ، يتزايد نفوذ وتأثير الاقسام اليمينية من البورجوازية المصرية وخاصة الاحتكارية وشبه الاحتكارية ، فهى ما تزال الاقوى اقتصاديا وصاحبة المصلحة الحقيقية فى مثل هذه السياسة المعادية اصلا لمجرى الثورة المصرية وتطورها . أى ان النظام حينذاك كان كما كان يمثل البورجوازية الوطنية المصرية والتي خضعت حينذاك لتأثير ونفوذ تلك الاقسام المعادية ، بل خضعت ايضا للنفوذ الاستعماري ومنهجه الاصيل المعادى للشىوعية ووحدة القوى الوطنية وتقدم الثورة فى مواجهته باعتبار انه كان وما يزال العدو الاساسى لاستمرار الثورة واتصالها ، أى ان النظام خضع لنفوذ الجبهة المعادية رغم انه لم يكن جزءا منها .

وقد قابل اعضاء الحزب الذين يعيشون المعركة هذه الخطة بحماس شديد . اذ كانت بمثابة دفعة قوية للعمل الحزبى .

\*\*\*

### العنف حتى القتل :

رغم كل الضربات ما زال الحزب يعمل ، وما زالت كوادره قادرة على التجميع واعادة التنظيم ، ومحاولة الارتباط الاوثق بالجماهير ، عن طريق الدراسات الميدانية لواقع الاقسام ، فالجماهير هى الدرع الواقى والحامى الحقيقى للحزب واعدائه .

وفقدت اجهزة الأمن اعصابها . وكان اغتيال الشهيد محمد محمود عثمان ومداواة كل الاجهزة على مقتله واخفاء جثته ، يعنى ان خطأ جديدا هو جزء من سياسة الدولة ، قد اضيف الى الاعتقال والسجن وحرمان المواطن من حقوقه وحياته ودفعه الى ما وراء القضبان . هذا الخط هو استخدام العنف حتى القتل مع المخالفين . لم يعد الاحتجاز وحده يكفى ، انما اضيف السب والضرب والاعتداء والتعذيب والقتل الى مقومات الحملة . اضيف الارهاب النهوى . واصبحت الاجهزة الأمنية والتي تنكر

رسميا قيامها بأى عمل من أعمال التعذيب بل وتفكر على لسان رئيس الجمهورية نفسه وجود معتقلات في مصر ، هي نفسها التى تقوم بتسريب أعمال التعذيب كساعات بهدف ان تحقق غرضها في غرس الفزع والذعر بين الناس .

وفي السجون والمعتقلات ، بدأت الدولة بكل ثقلها تمسارس على اسراها من المعتقلين المنزوعى السلاح والمحتجزين خلف الاسوار والاسلاك وقضبان الزنازين ، كل صفوف البربرية والهمجية التى اعادت للقرون الوسطى « امجادها » المظلمة . وبدأت صفحة سوداء قاتمة تسجل في قاريخ مصر . صفحة خضبتها دماء اخلص ابنائها على يد نفر من ابنائها ايضا .

الا ان شيئاً واحداً لم يدركه النظام . وما كان في وسعه ان يدركه . وهو أنه يواجه بشرا ، وان كانوا مقيدى المعاصم والاقدام ، مكبى الافواه ، الا نهم يملكون ارادة الانسان . تلك الارادة التى نبتت من اختيارهم الخر للطريق الذى اختطوه دفاعا عن وطنهم ومن أجل مستقبل أفضل له . لم يدرك النظام ان الانسان العارى من كل شيء الا ارادته واختياره يملك اثنى الاسلحة وأقواها وأمضاها .

وغدت المعتقلات والسجون ساحات قتال بين الانسان واعداء الانسان . بين ذوى الارادة وهؤلاء الذين وضعوا امام اعينهم هدف اغتيال هذه الارادة « كهدف اسمى » .

وهناك في معتقلات قنا والقلة وعزب الفيوم والسجن الحربى وأمام المحاكم العسكرية ، خلال الفترة من سبتمبر ١٩٥٨ حتى اكتوبر ١٩٥٩ انتفض السجناء في وجه سجنائهم يحمون ارادتهم ، يحمون الانسان في اعماقهم وفي اعماق كل مصر . فقد كان راسخا في وجدانهم وايمانهم وقناعاتهم وعقيدتهم ان الانسان اختيار وارادة .





## الفصل الثاني

مقتل قنبا

اسماعيل عبد الحكم

شفيق اسماعيل

في اوائل سبتمبر ١٩٥٨ بدأ الاتحاد القومي سلسلة من المؤتمرات في الاحياء . كانت هذه المؤتمرات تستهدف توفير شعبية وتأييد للاتحاد القومي بين الجماهير ، حيث قام على اساس علوى وبقرار من السلطة . كان مقدرا ان يعقد ثمان مؤتمرات يتحدث فيها الوزراء والنواب تحت اشراف عبد القادر حاتم وزير الارشاد القومي حينذاك ، في محاولة لغلاق الطريق امام الحزب الشيوعى المصرى وكجزء متمم للحملة التى كان النظام يشنها عليه .

بدأت المؤتمرات بمصر الجديدة ثم الوايلى ثم شبرا ثم عابدين . وبعدها توقفت ، اذ لم يعد فى الامكان استمرارها . كان من المفروض ان يكون المؤتمر التالى فى حلوان .

كان يحتل منصة المؤتمرات ، كبار رجال الدولة والاتحاد القومى . بعاونهم اعضاء من جماعة « حقتو » التى انقسمت على الحزب الشيوعى المصرى ، فى محاولة دؤوبة لفرض اتجاهاتهم على تلك المؤتمرات ، وتأكيذا لشعارهم فى التمايز عن الحزب الشيوعى ، وعدم التمايز عن النظام الحاكم والوقوف بلا حدود ولا شروط خلفه

وهناك فى الحشد بين الناس ، كان اعضاء الحزب من الشباب يرفعون شعاراته التى سرعان ما تسود المؤتمر ، وينقلب الغرض الرسمى للمؤتمر من انعقاده فى مواجهة الحزب الى سيادة شعارات الحزب فيه .

كان مؤتمر عابدين هو قمة تلك المؤتمرات . فالدائرة دائرة عبد القادر حاتم . انعقد المؤتمر فى سوق الحنفى . وكان الحشد هائلا . كان هناك انصار عبد القادر حاتم ورجال المباحث العامة . كما كان هناك ايضا اعضاء من الحزب الشيوعى المصرى وانصاره ، وجماهير الحى . بدأ عبد القادر حاتم خطابه ، وبدأ الرفاق الهتاف . كانت الشعارات تدعو الى « حرية تكوين الاحزاب » ، « جبهة وطنية ديمقراطية » ، « زى قاسم يا جمال » ، « زى سوكرنو يا جمال » ، « الافراج عن المسجونين الشيوعيين » . كان عبد القادر حاتم فى وضع لا يحسد عليه ، فهو فى دائرته الانتخابية ، ولا يستطيع مواجهة شعارات الحزب ولا الاستجابة العامة لها بين الناس . هجم رجال المباحث العامة على الرفاق ، لدفعهم خارج السرايق ، فصاحوا يسألون حاتم ، ان كان يسمح لرجال الأمن باخراجهم من السرايق وهم فى دائرته حتى لا يعبرون عن آرائهم ؟ فطلب من رجال الأمن ان يتركوهم ، كما طلب من الرفاق التزام الصمت . احاط رجال الأمن بالرفاق . يقول اسماعيل عبد الحكيم ، « جلس رجال الأمن



عن يمينى ويسارى • لم نكف عن الهتاف • كنا ننتظر الكلمة الختامية لنفلت من تحت السرايق ، حتى لا يتمكن رجال الأهن منا بعد انتهائه • كان من المحتم ان توقف تلك المؤتمرات بعد ذلك • فهى فى الحقيقة قد حققت عكس ما استهدفت • وعجز رجال الاتحاد القومى عن الدفاع عنه ، بدلا من ترسيخه وتعميقه بين الناس ، (١) •

ثم جاءت حملة سبتمبر تأكيدا لهذا العجز ، واستخداما للوسيلة الوحيدة التى يجيدها النظام ، بعد أن فشل فى مواجهة الحجة بالحجة • الا وهى سلطة الدولة القاهرة •

### الحملة

بدأت الحملة فجر الثانى والعشرين من سبتمبر عام الف وتسعمائة ثمان وخمسين •

فى الرابعة صباحا علا رنين الاجراس ، ودقت القبضات ابواب منازل خمس من الشباب اعضاء الحزب واقتحم عبد الكريم نجيب ، ضابط المباحث العامة ، قسم مكافحة الشيوعية ، منزل اسماعيل عبد الحكم • كانت والدته هى التى فتحت الباب ، وتلقت الصدمة الأولى • اندفع الضابط الى حجرته • كان ما يزال نائما هو وأخيه ، فاستيقظ ليجدهم وقد ملأوا المكان • طلبوا تفتيش المنزل • سألوا عن مكتبه • اعترض والده ، وطلب امر النيابة • حدث نوع من الشد والجذب • قال الضابط انهم لا يستخدمون مثل تلك الاشياء الخاصة بالنيابة • حاول الايهام بانهم من رجال المخابرات وليسوا من رجال المباحث العامة • حملوا كل ما فوق المكتب - وهو مشترك بينه وبين أخيه - لى اية كتب ، حتى الكتب الدراسية ، على أساس ان يجرى الفرز فيما بعد • كانوا متعجلين •

اخذوه الى المباحث العامة • ادخلوه احدى الحجرات • توالى حضور المعتقلين الآخرين • لم يكن فى وسعه ان يرى الجميع • رأى ابن خالته حسن ابراهيم الطالب فى الثانوية العامة والذى كان قد خرج لتوه من السجن فى شهر فبراير من قضية صدر فيها ضده حكما بالسجن عام مع ايقاف التنفيذ • ثم سمير كامل زميله بالجامعة •

فى قرية المراح الواقعة خلف سجن بنى سبويه ، كان شفيق اسماعيل يطل من نافذة المصنع الذى يتكون من مصنع ثلج ومطحن دقيق •

---

(١) لقاء شخصى معه •

فوجيء بالمكان يحاصره الجند المسلحين بالبنائق والتومى جن ، وهم في وضع استعداد للهجوم . كانوا يعلمون أن له سابقة هرب أثناء نظير قضية براء منها . ادرك أن هنالك عملية قبض . دخل ثلاثة يرتدون الملابس الملكية ، انان من القاهرة وثالثهم رئيس المباحث العامة ببنى سويف ، لكنه استقبلهم على أنهم بعض زبائنه . تسأل أحدهم ، « الاستاذ شفيق ؟ » اجاب بالاجاب . اصطحبوه الى منزله . كان محاصرا ايضا بل والقرية كلها كذلك . لم يكن التفتيش دقيقا . اهم شيء - على ما يبدو - كان اعتقاله . غادر المكان معهم بناء على طلبهم « دقيقة واحدة » الى القاهرة . الى وزارة الداخلية مباشرة .

اجرت المباحث العامة تحقيقا سياسيا . كانت تستدعيهم واحدا بعد الآخر . ما اسمك ؟ مهنتك ؟ ما هو رأيك السياسى ؟ وما رأيك في الاتحاد القومى ؟ ما رأيك في عبد الكريم قاسم ؟ تحقيق دون تهمة أو محضر ، اعلن الرفاق موقف الحزب : جبهة من السلطة باعتبارها سلطة وطنية . جبهة مثل تلك التي في العراق . سألوهم ، ما الفرق بين الوضع في مصر والعراق ؟ قالوا بان السلطة هنا فردية ، غير ديمقراطية ، وانهم يطالبون بجبهة توحد كل القوى الوطنية في مصر ، من أجل حماية مصالح الشعب المصرى ودعم اقتصاده الوطنى . لم تكتب المباحث كل ما قيل . كتبوا موجزا في صفحة أو أقل فقط ، ثم لك الشكر وتفضل .

كانت تلك الحملة رغم محدوديتها العددية انذارا محددا ومباشرا للحزب ، بان النظام جاد فيما يعنيه بعدم السماح له بالحركة أو التواجد كمنبر مستقل . وكان القبض على هذه المجموعة من شبابيه بمثابة اختبار لرد فعل الحزب ، والتعرف عن كثب على عضويته ومدى صلابتها ودرجة ارتباطها . وذلك بطرحها للمؤثرات المختلفة . كانت تلك الحملة واحدا من المجسات التي اقدمت عليها الدولة تمهيدا لمخططها الأساسى الذى يهدف الى تصفية الحزب بكل الاساليب المتاحة لها ، والتي تشمل فيما تشمل ثقل جهاز الدولة وبطشه .

### الترحيلة

كان الوقت ظهرا عندما اقتيدت تلك المجموعة الى مختلف اقسام الشرطة : اسماعيل عبد الحكم الطالب الجامعى وفتحي رفاعى عامل النسيج النقابى الى قسم السيدة . سمير كامل الطالب الجامعى وشفيق اسماعيل المشرف على مطحن الدقيق الى قسم الازبكية . ابراهيم حسن طالب الثانوى وغنيم مصطفى عامل بالسكك الحديدية والنقابى الى قسم قصر

النيل . كانت التعليمات مشددة بضرورة عزل المعتقلين عن باقي المحتجزين في الاقسام . الا ان بعض الضباط ، لم يدرك بالضبط ، ماذا يجرى ، فوضعوا المعتقلين مع المحتجزين العاديين في تخشيبية واحدة .

وقد حدث في قسم السيدة ان مر تفتيش في منتصف الليل . وتصرف اسماعيل وقتحي على سجيتهما ، فسابلا الضباط المفتش والسجائر مستعلة في ايديهما . صرخ الرجل في ضابط القسم ، يسأل عن هذه الفوضى ، فالسجائر ممنوعة . الا ان اسماعيل اعلن ، انهما شيوعيان . واصاب الذعر المفتش فأخذ يصرخ طمعا ، كمن اصابه مس . وانطلق ضباط القسم وجنوده يضربون المحتجزين العاديين حتى ساقوهم كومة واحدة الى حجرة اخرى . واغلق باب التخشيبية عليهما .

ظل الجميع اربعة ايام في الاقسام . لم يكن أحد من الناحية الرسمية يدري اين هم . الا انهم نجحوا منذ اليوم الاول في الانصال بأسرهم . فأحضروا لهم الطعام والبطاطين .

الساعة الثامنة مساء اليوم الرابع ، نقل الجميع الى ترحيلات المحكمة المختلطة . وهناك وضعوا في سيارة لوري واحدة . قيل لهم انهم ذاهبون الى معتقل قنا ، فارتفعت هتافاتهم ، « عاش الحزب الشيوعي » ، « لا اعتقال للشيوعيين » ، « لا سجن للاحرار » . كان كل منهم مقيدا الى جدى من جنود الحراسة ، وهناك ضابط الترحيلة والحرس المسلح . في المحطة تجمع الاهالى . كانوا قد عرفوا بالترحيلة من الرفيق حسن ابراهيم . وتعالى الصراخ المتحدى ، « الى اين بابنائنا ، يا ابناء الكلاب » . يقول اسماعيل عبد الحكم ، « بصق اخي في وجه ضابط الترحيلة » . قال له : يا خائن ، يا عميل امريكا ، « ارتفعت هتافاتنا ، فتجمع الناس ، مثلما فعلوا على صفى الطريق من المحكمة المختلطة حتى محطة مصر . كانت المسألة تلقائية ، وفي ذات الوقت مفاجأة لضباط السفرية الذين لم يكن لديهم خبرة بمثل ما يجرى الآن » .

كان واضحاً ان المباحث العامة تفسسها لم تكن تتوقع حدوث ما حدث . لم يكونوا غير ست أفراء من وجهة النظر الادارية ، الا ان هؤلاء الشبان كانوا قوة سياسية له يحسب حسابها على هذا النحو . أسرعوا فوضعوهم في القطار ، ثم أمروا القطار فأسرع يغادر المحطة . اعتذر الرفاق لقائد الترحيلة الذى بصق في وجهه . قال الضابط ، « لو كنت مكانهم لفعلت فعلتهم » . وضعوا كل ثلاثة في ديوان من دواوين الدرجة الاولى . اغلقوا الابواب . وبعثت طراوة المقاعد في نفوسهم شعوراً بالراحة .



مضت اربعة ايام في التخشيبية وهم يغالبون البق والبراغيث . وغلبيهم النوم فلم يستيقظ البعض منهم الا في قنا . وكان الصباح ، صباح ١٩٥٨/٩/٢٧ ، حيث حملتهم سيارة البوكس من المحطة الى المعتقل .

### المعتقل

يقع المعتقل بعيدا في الصحراء في منطقة اسمها العزب . كان في الأصل معسكرا للجيش الانجليزى ثم تحول الى معتقل للخطرين على الأمن . وهؤلاء هم الذين تخشى الحكومة نشاطهم الاجرامى الا لانها عاجزة عن الامساك بهم ، متلبسين بما تتهمهم به .

المعتقل مكون من اربعة عنابر ، تحيط بها الاسلاك الشائكة التى تفصلها ايضا عن مباني الادارة منطقة حرام . ولا فاصل بين العنابر التى يوجد امامها فناء المعتقل . ثم هنالك حجرة الكانتين والتى توجد زنزانية التأديب الى يسارها والادارة الى يمينها ، وحول المعتقل سور خارجي . كما كانت هنالك ثلاث فباب تعلو المعتقل ، واحدة فوق الادارة ، والثانية فوق المخزن ، والثالثة فوق الكانتين ، وهى فباب تهوية مبنية على النظام المصرى القديم المنتشر في الصعيد . والمعتقل تابع للاشراف المباشر لضابط المباحث العامة بقنا .

الشخصية البارزة في المعتقل هى معاون المعتقل ، الرائد صدقى ، وهو على علاقة خاصة بالمباحث العامة في قنا . اما قائد المعتقل فهو صورة لا اصل لها ، ولا تشغل حيزا اداريا فاعلا . كان يجلس في الصباح في مكان ظليل ، يضع امامه منضدة ، وعلى كل معتقل في طريقه الى « المسعف » ، أى تومرجى الاسعاف ، أن يلقي عليه تحية الصباح ، ويضع سجائرا على المنضدة التى امامه . كان المعتقلون يشتركون سجاائر الجولد فلاك أو السجاائر الأجنبية خصيصا لفحبة القائد .

سقف عنابر المعتقل جمالون ، محمول من الداخل على اعمدة . المسافات بينها تشكل ما يمكن تسميته بالبواكى . يوضع في كل باكية منها عدد يتراوح من ستة الى ثمانية معتقلين . ويحتوى العنبر في المتوسط على ستين معتقلا ، تزداد أو تقل حسب حركة الوارد أو الصادر من المعتقلين .

يتكون المعتقلون من عتاة الثشالين ورجال المخدرات والقوادين ولصوص الخزائن ومحترفى القتل والخطف والسرقة والذين شاركوا في

عراك مثل الهوارة والفلاحين أو قتال خاص بالنار سواء من الوجه البحرى أو القبلى ، والعنابر مقسمة على أساس اقلبى ، اذ نجح الادارة العصبية مع بعضها البعض . والعصبية محافظات . الذين من اسبيوط ممبا ، والذين من سوهاج معا وهكذا . كان معاون المعتقل يمسك فى يده بالاوزاع داخل العنابر وهو فى سبيل ذلك ، وحتى يشغلهم باسورهم ، كان يضع الذين بينهم ثارات فى باكتين متقابلتين داخل العنبر الواحد ، وفى كل باكية جاسوس ينقل اليه اخبار كل ما يحدث داخل العنبر . يقول شفيق اسماعيل ، « كانت علاقات المعتقلين ببعضهم البعض علاقات سيئة . علاقات متعقبة ، الكثيرون منهم انهارت اخلاقياته . الشذوذ الجنسى طبيعى ومنتشر فيما بينهم . ويمكن ان مارس احد الشواذ ، من عصبية ما ، علاقة جنسية بآخر ، من عصبية اخرى ، ان تنشأ الممارك . والادارة تشجع ذلك . هم يتصرفون بوحشية ، حتى ان واحدا منهم شق - فى احد الايام - خصيته ووقف يتحدى الجميع بما فعل » (١) .

والمعتقلون انفسهم يستخدمون بعضهم البعض فى التحدى على الادارة . يقول اسماعيل عبد الحكم « كان هنالك احد المعتقلين ويدعى اسماعيل . انه ليس بلص أو سارق ، لكن مهمته فى الخارج كانت حماية النشالين اثناء تأدية اعمالهم . هو فى الاصل كان جنديا بالبحرية . متين البنيان ، لا تصله اية طرود أو نقود . كان يمكن استئجاره لضرب احد ضباط المعتقل بخمسين قرشا . ولقد حاول ذلك مرة اثناء وجودنا فى المعتقل ، وافلت منه الضابط باعجوبة . كان يخافه بالفعل . وعندما أصبحت علاقتنا طيبة بهذا الضابط فيما بعد ، قال ، لما ان هذا المجرم فى وسعه حقا ان ينالنى ( ببشلة ) ويضيعنى ماذا ستفعل لى الحكومة . »

والحقيقة ان ادارة المعتقل كانت هى التى تغذى فى كل هؤلاء كوامن الخبث والوحشية . كان معاون المعتقل يعد لكل ضيف جديد وارد على المعتقل حفل استقبال مشهود . يصل الواحد من عتاة المجرمين نافع الصدر ، نافش الشارب ، فيمسك به ويلقيه فى الفلكة ويضرب بالكرباج ضربا مبرحا حتى يعلن انه امرأة ، ويتخذ لنفسه اسما نسائيا ، عائشة ، زينب ، فتحية ... الخ فيخلق له شارب وشعره ، ويدهن وجهه بالميكروكروم ليكمل على طريقتهم الخاصة . ويمزق واحد من جلابيه ليعد كطرحة زفاف توضع فوق رأسه ، ويستولى الجنود على ما بقى منها ، ثم يأتى عدد من المعتقلين ليزفوه بالطبل الى عتبه مطاطا الرأس مكسورا ، ليظل هنالك فى مكانه لا يدري من امر نفسه شيئا ، خجلا ذليلا لا يعرف ماذا يقول أو ماذا يفعل .

(١) لقاء شخصى معه .

الى هذا المكان الموحش الوحشى . اقتادت المباحث العامة سبعة من اشرف الوطنيين المصريين ومن اجسر ابناء الحزب الشيوعى المصرى . كانت جريمتهم انهم احبوا وطنهم وشعبهم ودافعوا عن حقهم فى الانتماء الى التنظيم المستقل بعيدا عن حزب الدولة الواحد الاحد .

كانوا جميعا شهابا تتراوح اعمبارهم ما بين السابعة عشر والعشرين ، لا يبدو من مظهرهم الخارجى ما ينبىء عن قدراتهم النضالية . جميعهم ، باستثناء احدهم ، تحافا . وحتى الوحيد منهم ، الذى كان يطلق شاربه على عواهنه ، كان شاربه لا يرهب احدا .

جاء الجميع معا ، ماعدا سعيد عارف الذى لحق بهم بعد اسبوع من وصولهم الى قنا .

بدأت معهم خطة المباحث العامة بشقين . الشق الأول أن معاملتهم تختلف عن المعاملة التى يسير عليها المعتقل مع نزلائه . والشق الثانى أن تجرى معهم حوارات سياسية . ومن أجل ذلك بدأوا بعزلهم فى الزنزانة ، بعيدا عن باقى المعتقلين . استدعوهم واحدا بعد الآخر أكثر من مرة لمناقشتهم والتعرف على مدى صلابتهم وتمسكهم بقناعاتهم . شاركت المباحث فى ذلك ، وكذا ادارة المعتقل . كانوا فى البداية « فرجة » المعتقل . عند كل نوبطشية من نوبطشيات المعتقل الثلاث ، يفتح عليهم الضابط النوبطشى الباب ليلقى نظرة على هؤلاء الذين خافت منهم الدولة فالقت بهم الى غياهب الصعيد . وما أن يراهم حتى تأخذه الدهشة فيقول : انتم الذين .. لكنه لا يكمل . ويبدأ الجميع فى الاحتجاج : « اننا نحتج على اعتقالنا » . فينظر اليهم ، ويسأل كلا منهم عما يعمل . وعندما يتعرف على « التوليفة » الغريبة ينصرف للحال متعجبا . واثارت المناقشات السياسية دهشتهم . كان أحد الزملاء يناقشهم فى الاقتصاد والسياسة والفلسفة وموقف الحزب . كانوا يعتقدون انه استاذ جامعى ، فوجئوا انه عامل نسيج قال لهم : « كل الشيوعيين هكذا . ان أى مشغل بالسياسة لابد وان يكون على معرفة بكل تلك المعلومات والقضايا » .

ظلوا فى هذه الزنزانة عشرة ايام . كان المعتقلون الجنائيون يضربون امام زنزانتهم . كان ذلك بمثابة تهديد وانذار لهم . الا ان شبرا من ذلك لم يغل من عزيمتهم . اكتشفت الادارة والمباحث العامة الا جحوى من استئناسهم بالترغيب أو التهديد ، بالنقاش أو الوعيد . كانوا متمسكين ومتمسكين بآرائهم . يقول شفيق اسماعيل « كنا نزداد تماسكا واصرارا لا تنازل على الاطلاق . كان رأينا اننا موضع اختبار للضغط على الحزب



وان هذا الضغط يمكن ان يصل الى حد اعدامنا . فقررنا ان نأخذ مواقف ثابتة وشريفة ، ترفع رأس الحزب ورايته ، . وعندما لم تعد هنالك فائدة امام ذلك الاصرار وتلك الارادة ، غيرت المباحث العامة من خطتها ، أصبحت ذات شق واحد ، هو الاجهاز عليهم بدلا من ترويضهم . وهكذا تقرر تفريقهم بهدف تمزيق وحدتهم . واللقاء بهم فرادى وسط عتاة المجرمين ، بغرض اذابتهم لافسادهم وتحطيمهم نفسيا وخلقيا ، اى لانهائهم ، ليس فقط كسياسيين ، بل كادميين ايضا . ان يوضع في كل عنبر اثنان منهم ، يسكن واحد منهما في طرف العنبر ، والثاني في طرفه الآخر . يقول اسماعيل عبد الحكم ، « رفضنا . قلنا ، لم يسبق للشيوخيين ان وزعوا في عنابر على هذا النحو . اننا نريد عنبرا مستقلا . طالبنا بتسجيل احتجاجنا على الاعتقال وحرماننا من الجرائد والاذاعة . طالبنا برفع احتجاجنا ووجهة نظرنا الى المسئولين . لم يكن لمعاون المعتقل سابق التعامل مع امثالنا . أصبحت مهمته لم الموضوع باسرع ما يمكن . فوجيء هذا العاتي بمجموعة ( عيال ) بالنسبة لما اعتاده ، تحتج وترفض . كان لأول مرة يسمع كلاما غريبا على اذنيه . أصبحت كل مهمته الا يسمع الآخرون ما نقول . انتهت المساومة في النهاية الى ان نتواجد معا في عنبر واحد ، في باكية واحدة ، بينها وبين باقى المعتقلين مسافة ، . ويقول شفيق اسماعيل ، « كان هدف التوزيع تعريضنا لاعتداء المجرمين علينا بتحريض من الادارة . ان نتحول الى الفكر الاجرامى بدلا من الفكر السياسى . اتفقنا على ضرورة وجودنا معا ، ابلاغناهم اننا لن ننفذ هذا التوزيع . وان هذه المؤامرة التى تسعى لتحويلنا الى مجرمين لن تنجح . اننا سياسيون ، وسنظل كذلك حتى لو بقينا في المعتقل عشرين عاما . وكانت نتيجة ذلك اننا وضعنا معا في عنبر اربعة ، »

### شيوعيون في المعتقل

منذ اجتمع الرفاق معا في معتقل قنا ، بدأوا في تنظيم انفسهم سياسيا ومعيشيا . اختاروا شفيق اسماعيل مسئولا لهم . وعندما وصل سعيد عارف ، اعدوا الاختيار ، واصبح غنيم مصطفى غنيم هو المسئول عنهم . حيث اعدت لشفيق عدة قضايا تموينية كان يستدعى الى بنى سويف بسببها ، واختير فتحى رفاعى للادارة والحياة العامة .

بالنسبة للظروف المعيشية كان الفتح طوال اليوم ، منذ السابعة صباحا حتى الغروب والنوم على ابراش وبطاطين . كان مسموحا لهم بارسال خطابات واستلام خطابات ، وامانات ، واستقبال طرود اكبل وملابس . الزيارة الرسمية مرة واحدة كل شهر ، ويمكن ان تكون يومية

« مدفوعة الذم » • التغذية عن طريق متعهد ردىء • الافطار قطعة جبن حلوم وترغيف عيش ، والغداء عدس اصفر أو بجبة أو فول ، والعشاء لحم وخضار وارز • الا ان كل الأنواع سيئة والكميات ضئيلة • غالبية المعتقلين العاديين قادرة من التناحية المادية ، وغير القادرين يخدمون القادرين بالثمن • أى ان هنالك حالة رواج عامة فيما بينهم • كان القادر منهم يشتري عشرين رغيفا ، ويتركهم في الشمس عدة ساعات ، ثم يستخدمهم بعد ذلك كوقود للطبخ • كل ما يريده المعتقل الجنائي يمكن شراؤه •

نظم الرفاق حياتهم المعيشية • المصادرة ١٠٠٪ • وهناك كميونات سجناء للمدخنين منهم • تنظيف المكان وغسيل القروان نوبطشيات متبادلة ، أى هنالك مساواة كاملة في الحقوق والواجبات فيما بينهم • كان سلوكهم هذا تجربة جديدة على المعتقلين الجنائيين لفتت الانتباه اليهم • ارسل اليهم نائب قنا الدكتور اسماعيل معتوق طردين ، سلمهما الى أحد الضباط الذي هربهما الى المعتقل ، حيث كان من اللازم مرور الطرود على المباحث العامة قبل ارسالها •

كانت الظروف المعيشية اقرب ما تكون للظروف العادية • الا ان الرفاق كانوا يتوجسون من حدوث مؤامرة في اية لحظة • كانت الادارة قد خصصت لهم ثلاثة من عملائها للتجسس عليهم داخل العنبر • واحد الى جوارهم وواحد عند اقدامهم والثالث قرب باب العنبر • كان عليهم ان يدبروا اتصالا بالحزب في الخارج حتى يبلغوه عن وضعهم اولا بأول • وكان عليهم في ذات الوقت خلق علاقات بالمعتقلين الآخرين ، علاقات انسانية وثقافية وسياسية قدر المستطاع • كان لابد من تحويل الخطر المحتمل فيما بينهم والذي يمكن ان يوجه ضدهم ، الى الادارة ذاتها وفي مواجهتها •

بدأوا في تنظيم انفسهم وتحديد مهامهم • وقرروا ان يجروا مع المعتقلين الآخرين لقاءات بهدف التعارف ، وندوات بهدف التعريف بانفسهم ومبادئهم • وزعوا انفسهم ، كل على « بلدياته » مبتدئين بالوضع السائد ، صعودا الى اشكال ارقى من العلاقات • بدأوا بمحاولة تعليم الراغبين منهم القراءة والكتابة • كما كانوا يقومون بكتابة خطابات هؤلاء المعتقلين الى ذويهم • ومن خلال ذلك ، بدأوا هم انفسهم يهربون خطاباتهم الخاصة • وبعد التمام ، عندما تغلق العنابر ، ويسود بعض الهدوء ، كانوا يقومون بتقديم محاضرات سياسية وحواديت واغانى سيد درويش •

كانت مهمة جواسيس الادارة أن يبلغوها بكل مهمة تخرج من  
أفواههم . الا انهم ، وهم يدركون ذلك جيدا ، لم يأبهوا بهؤلاء الجواسيس  
أو مهمتهم . كان عليهم أن يكسروا الخوف عند المعتقلين . كان أن دخل  
ضابط العنبر وقف الجميع ماعداهم . وكانت تلك المواقف تثير حيرة  
المعتقلين العائدين ، الا انهم رأوا فيها جيذا . « استبشروا بها خيرا  
واعتبروها مواقف تستحق الاحترام ، (١) .

كان الحديث مع المعتقلين في مشاكلهم الخاصة والمحاضرات السياسية  
والاجتماعية ، قد خلقت حولهم جوا من الحماية . وغدت مهمة العملاء  
عسيرة ، إذ لو تعرض واحد منهم لاحد من رفاق الحزب ، فإن ذلك كان  
كهيلا بتفجير الوضع في العنبر . لقد غدوا قبيلة سياسة ، قبيلة هتميزة ذات  
شكل ونوع خاص . قبيلة لها كيائها الفكرى والنضالى . ولقد بسبب  
ذلك الذعر عند الادارة ، إذ بدلا من تحطيمهم وإخضاعهم وإذلالهم ،  
اصبحوا هم قيادة لهؤلاء العتاة .

لم تكن المسألة مجرد نقاش أو حديث . ففي هذا العالم يصبح  
الموقف الصلب والشجاع حاسما في تحديد شكل التعامل . يقول شفيق  
اسماعيل ، « لم تكن هنالك رعاية صحية . كان ضرعى يؤلنى وطلبت  
عرضى على الطبيب ، لم يكن قائد المعتقل يرفض صراحة ، لكنه كان  
يماطل . كان يقول غبدا ، فاذا جاء الغبد قال باكر وهكذا .  
ثالث يوم كان الالم شديدا . قال احسد عتاة المجرمين .  
« لماذا تطلب طبيبا ونحن موجودون ، . كنت اعرف طريقتهم  
في الخلع . لكن لم يعد امامى من سبيل آخر . لا استطيع الرفض  
والا قيل انى ( خرع ) ، أو أى كلام من هذا النوع . احضروا كرسيًا ،  
جلست عليه . امسكت به . فتحت فمى . اخرج الرجل قطعة حديد  
صدئة طويلة مدببة الطرف . ادخلها فى فمى . اخذ فى تقطيع اللثة حول  
الضرس . لم اكن فى ذلك الوقت اهتمل أى شىء قرب ضرعى ، فماذا يكون  
حالى وهو يسلك اللحم من الضرس ، وأنا عاجز عن الشكوى ، والا قيل  
انى لست ( رجلا ) . احضر زردية صدئة ايضا وامسك للضرس بها ،  
ثم اخذ يشد ويشد ، احس بالضرس يخرج كالمسمار من الخشب ، اخذ  
( يزيق ) حتى خلعه . احس آلاما رهيبة . رفع الضرس لزملائه والذين  
التفوا حولنا ، اخذ يصيح فيهم ، « انظروا لم يتأوه ، أنا الذى يخرج  
الضرس بلا ألم ، . نظرت إليه وأنا اتمزق وجعا . كان فمى مملوءا بالدم

---

(١) اسماعيل عبد الحكم .



فبصقته في وجهه وأنا العنه . أصبت بالاغماء فحملني الزملاء ، وبقيت هكذا طوال نصف ساعة .

مثل هذه المواقف جعلت عتاة المعتقلين ، لا ينظرون اليهم فقط باعتبار أنهم مجرد شباب يعمل بالسياسة ، ولكنهم بالإضافة أيضا رجالا شدادا أندادا لهم .

### المسركة

كان الضرب للمعتقلين الجنائيين ارهابا ومهانة . كان الرفاق عند ضرب أي من المعتقلين العاديين يقفون عند السلك الفاصل ما بين مباني الادارة ومباني المعتقل ويحتجون . كان الضابط صدقي معاون المعتقل يحاول فصلهم عن الباقيين ، « مالكم وهؤلاء المجرمين ، انتم لكم معاملة خاصة » . وكان الرفاق يردون ، « نحن نعيش معا ، وما يجرى عليهم اليوم ، يمكن ان يجرى علينا غدا » كانوا يحتجون ايضا على الضرب كوسيلة للتعامل . بدأ المعتقلون العاديون في الاقتراب من السلك الحاجز ومتابعة ما يجرى . كما بدأ جواسيس الادارة ينقلون ما يدور بين الرفاق وبين الضباط من نقاش حول هذه المسألة ، واشتهر عنهم في المعتقل قولهم ، « اننا لا نرضى بذلك » . وكانت الجملة نغنى الكثير عند المعتقلين ، اذ ان معاون المعتقل كان يفرض بطشه على اعنى العتاة . ولو حدث ان تكلم احدهم عنه او تذر داخل العنبر ، فيما بينه وبين زملائه ، فانه يسحب الى الفلكة ، ليأخذ نصيبا وافرا من « الاصلاح والتهذيب » . كان الضرب بالنسبة للمعتقلين ، « سحقا لكرامتهم » ولذا بما ان بدأ الرفاق في الاحتجاج على الضرب وتصعيد هذه الاحتجاجات ، حتى بدأت تتخذ النظرة اليهم مستوى أعلى من مجرد « الصلابة والجدعنة » . بدأ المعتقلون ينظرون اليهم كمثقف لهم مما هم فيه .

وقرر للرفاق ، وكان قد مضى على وجودهم بالمعتقل نحو خمسة اسابيع ، ضرورة دخول معركة لتجميع المعتقلين وتحسين احوالهم . بدأوا الاتصال بمشايخ القبائل والعصبيات طارحين قضايا ثلاث : وقف الضرب اذ انه غير جائز قانونا ، كما أنه اسلوب غير انساني وغير متحضر . ان تكون الزيارة اسبوعية بدلا من شهرية ، وان تفتح الابواب ليلا . وابدى المعتقلون الجنائيون ترحيبا حارا واستجابة شديدة لهذه المعركة . كان الضرب بالنسبة لهم مسألة حساسة للغاية ، وبالغة الاذلال ايضا . اخذ الرفاق بعد هذا التمهيد في التحضير والتخطيط الحقيقي ، بحيث لم يصل شيئا مما يعدون الى اسماع الادارة . بل ان جواسيسها وقد

احسوا ان اتجاه الريح قد تغير اخذوا هم انفسهم في نقل اخبار الادارة اليهم .

ارسلوا خطابا الى الحزب يشرحون له فيه الاوضاع التي يعيشونها ، وعزمهم على ضرورة خوض سلسلة من المعارك الفضائية لتحسين تلك الاوضاع ، وانهم بصدد التحضير لاضراب عن الطعام يشارك فيه المعتقلون العاديون الذين هم على استعداد لاتخاذ هذا الموقف ، ويطالبون بمساندة الحزب لهم وضرورة نشر هذه الاخبار في جريدته . كان الرفيق سعيد عارف هو الذي كتب هذا الخطاب وارسله الى زميل له رسام في جريدة الشعب ، وانتظروا . الا ان انتظارهم لم يطل . كانت المباحث العامة تراقب الخطابات الواردة الى الجريدة . وهكذا سقط الخطاب في يدهم وبه خطة الاضراب كاملة . استدعت المباحث العامة رجلها في قنا واعطته « حقه » في التائب و « التهزي » .

استدعى سعيد عارف الى الادارة . كان الاستدعاء امرا عاديا . ربما كان له طرد أو خطاب . الا انه تأخر في العودة . وساد التوتر المعتقل . بدا كان المعتقلين العاديين يودون قول شيء ، الا انهم يخشون في ذات الوقت قوله . الا ان احدهم للم شجاعته وهمس لاحد الرفاق ، بأن هنالك من يضرب في الادارة . جمع الزملاء انفسهم على الفور ، وعلنوا الاضراب عن الطعام . اسرعوا الى سور الاسلاك الشائكة الفاصل بين الادارة والمعتقل يحملون الخبز والطعام ويهتفون . اعلنوا قائد المعتقل ومعاونيه باضرابهم . كان المعاون عصبيا للغاية . سألهم ان كانوا يعرفون حقيقة ما حدث . قال ان سعيد عارف هو الذي بدأ بضربه . قالوا انهم يعرفون ذلك ، وانهم يخطئون زميلهم لأنه لم يضربه اكثر . اعلنوا احتجاجهم على الاعتداء على زميلهم ، وطالبوا بحضور النيابة في التو واللحظة . .

عندما عاد المعاون بعد اجتماعه بضابط مباحث قنا ، كان يحس المهانة . لقد وضعه هؤلاء ( الصغار ) في مأزق . كان لابد له من اثبات قدرته على احكام قبضته على المعتقل . استدعى سعيد عارف . سألته : « لقد أرسلت خطابا الى الخارج ، كيف حدث ذلك ؟ » رفض سعيد الاجابة قال له . « ليس من حقك أن تسألنا مثل تلك الاسئلة . ان ارسل خطاب منا الى حزبنا ، امر طبيعي للغاية » . قال له المعاون . « في استطاعتى ان اضربك » . قال له سعيد عارف في تحد ، « لن تستطيع » . قال الضابط « استطيع » ، قال سعيد « لا تستطيع » . بدأ الضابط في

الوقوف ، غاظه سعيد عارف بكلمة في وجهه . تكاثرت عليه الجسد . أمسكوا به ، علقوه في الفلكه ، ضربوه بالكرباج ، لطموه بالأيدي ، ركلوه بالاقدام . حاولوا معه مثلما كانوا يفعلون مع المعتقلين العسادين ، أن يتخذ لنفسه اسم امرأة . كان سعيد عارف شجاعا وباسلا . كان يردد ، « أنا سعيد عارف . عضو الحزب الشيوعي المصري » .

يقول شفيق اسماعيل ، « كان وقوفنا عند الاسلاك الفاصلة ، نحتج ونهتف هائجين ، بمثابة اعلان عن موقف جماعي ، لا تراجع فيه ، واننا على استعداد لمواجهة أى احتمال . كان هذا الموقف امام القائد والسجانة والمعتقلين يؤكد اننا خامه جديدة ، لم يعتادوا رؤيتها من قبل ، حتى ان المعتقلين العاديين صفقوا لنا فيما بعد » .

اصر الرفاق على الاضراب ، فطلب منهم معاون المعتقل أن يعودوا الى العنبر . كانت الادارة قد ارسلت بسعيد عارف الى القاييب . فلم يغادر الرفاق مكانهم الا بعد الاطمئنان عليه . ذهب اليه فتحي رفاعي باعتباره مسئول الادارة . احضروا له ( سلنا ) وطحنوها ووضعوها على قدميه اللتان مزقتهما الكراييج . دخلوا عنبرهم وساد اللغظ المعتقل . الكل يترقب ، وماذا بعد ؟ ماذا سيفعل هؤلاء ( الصغار ) ؟ وماذا ستفعل بهم الادارة ؟ عندما جاء الضابط نوبحاشي الليل لاغلاق العنبر عليهم ، احتجوا على الاعتداء على زميلهم ، واكدوا استمرارهم في الاضراب حتى حضور النيابة . واستمر الاضراب ليومه الثاني .

عقدت المباحث العامة مع ادارة السجن اجتماعا . كان الخطباء امامهم وفيه الخطة بالتفصيل . لقد انكشفت كل استعدادات الرفاق . وكان قرارها ضرورة عزلهم فورا عن باقى المعتقلين . لقد تحطمت خطة المباحث في الاجهاز عليهم كمناضلين وادمين . وما هي تراهم امامها اليوم اشد صلابه واغوى نفوذا داخل المعتقل . وبدلا من ان تجرفهم اوضاع المعتقل المتدهورة انسانييا ، اصبحت قبضتهم هي العليا عليه . كان لهم في انتمائهم وقتاعاتهم زادا دعم صلابتهم وقوى من ارادتهم . لم تكن المسألة تكما رأتها لجهزة الأمن مجرد شسبان يمكن اضعافهم بحرمانهم من مباحج الحياة ، او دفعهم في قلب جحيم رذائلها . كانوا اعضاء في الحزب الشيوعي المصري . لا تزيدهم مثل تلك الاساليب الا اصرارا وعنادا . فالعقيدة والقناعة تصورها التجربة مهما كانت مريرة .

في اليوم الثانى للاضراب جرى نقاش بين الرفاق وبين معاون المعتقل . حاول الملاحظة . قال لهم انهم ضيوف عليهم ، وأنه سيدبر لهم



مكانا مستقلا • ناقش الرفاق الامر فيما بينهم • كانت هنالك معارضة محدودة لهذا الحل • الا انهم اجمعوا على أن الانتقال الى مكان مستقل او غرضمانا لهم • ان احتمال أى عمل غادر أو ارعن أو أية حماقة من ادارة المعتقل أو أجهزة الأمن ، أمر وارد • فبين المعتقلين الجنائيين ، من هو على استعداد لشراء حريته بأى ثمن • طالبوا بان يغادر سعيد عارف التأديب فورا ، وان يلحق بهم فوافقت الادارة • ووضعهم تحت واحدة من قباب المعتقل الثلاثة .

كان الرفاق قد اطلقوا على قباب المعتقل الثلاث ، قباب الامام احمد ، ملك اليمن . وكانت الحجرة التى نقلوا اليها مخزنا لا تتجاوز مساحته خمسة عشر مترا مربعا • كان الجزء للقريب من بابها معرضا لهواء قاتل لا ينقطع ، فخصصوه لجرادل البول ومياه الشرب • وبذا اصبح الجزء المتروك لنومهم محدودا للغاية • كانوا ينامون فى وضع تبادلى ، قدمى الواحد منهم فى بطن الآخر • كانت منافذ الحجرة الزنرانة ، بابها وطاقة فى السقف ، وأخرى فى أحد جوانبه • كانت هنالك ثلاث نقاط حراسة عند المنافذ الثلاث • واطلق الرفاق على مقرهم الجديد ، « قلعه الامام » .

كانت دورة المياه فتحة فى الأرض ، امامها عدد من قوالب الطوب • كانوا يخرجون الى هذه الحفرة فى الصباح والعصر من كل يوم ، واحدا بعد الآخر ، وخلف الذاهب منهم جندى يحمل مدفعا رشاشا مصوبا اليه اثناء قضاء حاجته • كان الاغلاق ليل نهار • وكان عليهم أن يعيدوا حراسة خطتهم من جديد •

طوال تلك المدة لم تصلهم اية رسائل من الحزب • ثم جاءت رسالة - دون قصد - عن طريق الدولة ذاتها • كان شفيق اسماعيل قد قدم لقضية اتهم فيها بزيادة نسبة الرماد فى الدقيق ، باعتباره مسئولا عن مطحن دقيق • كانت القضية فى بنى سويف • وكان عليه أن يتزل من قنا الى بنى سويف حتى يمثل أمام المحكمة هنالك • نقلوه تحت حراسة مشددة • المحطة محاصرة بالجنود والخيالة • المنظر يدفع الاهالى للتجمع فى الميدان وشرفات المنازل • الرفاق هنالك ، فى بنى سويف ، كانوا يعرفون • كان يراهم هنا وهناك بين الناس • وعلى الحوائط كانت هنالك شعارات الحزب ، « افرجوا عن ابطال قنا » ، « عاش الحزب الشيوعى المصرى » • ودخل الرفيق قاعة المحكمة • كانت خالية تماما ، والحال أخذ فى القاء خطبة عن الحزب الشيوعى وسياسته • صرخ القاضى • « براءة ، براءة » • واعيد الى المعتقل يحمل الى رفاته الرسالة •

الحزب في الشارع وقضية الرفاق مطروحة بين الناس • كانت تلك هي الرسالة ، وهي ليست برسالة خفية على ورق يجرى تهريبه اليهم • انها رسالة معلنة فوق جدران الميادين •

### في قلعة الامام

كان على الرفاق أن يكسروا سور العزل المضروب حولهم في قلعة الامام تلك التي وضعوا فيها • ان علاقتهم تكباد تكون مقطوعة تماما بالحزب في الخارج • ومن هنا كان عليهم أن يستفيدوا من كل ثغرة توفر لهم منفذا خارج هذا الحصار •

ذات ليلة كان الرفيق غنيم مصطفى يغني « انا اللي بدعت الصبر » ، فرد عليه أحد جنود الحراسة الموال • وكانت تلك بداية حديث وتعارف • كان الجندي يسكن في جوار اسماعيل عبد الحكم • وانتقل الحديث الى عرض لخدماته • وكانت الخدمة خطابا وجريدة • وتكتشف الجندي عن انسان لم يلتقوا بمثيله • رفض البتة الاستفادة من حالهم أو استغلاله • كان يحضر لهم الجريدة بثمنها فقط ، متحملا المغامرة والمخاطرة في ادخالها الى المعتقل ثم توصيلها اليهم • ثم تطور الامر فغدا للضابط النوبطشي من اصدقائهم • يتف الى جوار الباب ويجري معهم الاحاديث والمناقشات • وبذا نشأت علاقة انسانية ، حتى انه فاجأهم في احد الايام ودعاهم الى مكتبه كي يستمعوا الى ام كلثوم ويشربون الشاي • ثم اصبح يعطيهم مذياعه الخاص ليستمعوا اليه في الزنزانة • ثم بدأ في اعداد قصاصات من الجرائد اليومية ، بها اهم الاخبار العالمية والمحلية ليلقى بها اليهم • ثم تطور الأمر فأصبح هو الذي يحضر لهم الجرائد اليومية •

ويبدو انه بسبب تلك العلاقات الانسانية والمناقشات السياسية المتبادلة أن اخذ الضابط النوبطشي في مناقشة ضرورة وجود علاقات طيبة بين الرفاق وادارة المعتقل • وكان معاون المعتقل ، بعد حادثة سعيد عارف ، قد غدا حريصا للغاية في تعامله معهم • كان الرائد صدقي ضابط سجون قديم ، جاب البلاد من الاسكندرية الى الصعيد • وبدأت الاحوال تتغير • اصبح فتح باب الزنزانة من الصباح حتى المساء • واستمر هذا التحسن في اضطراد ، حتى ان وقع ما يدفع الى الصدام ، كان يتم البحث عن حل مشترك •

كان سعيد عارف قد احضر من خارج المعتقل بطريقة رسمية عدة رسم : ألوان الزيت والجواش ، والفروش والشساشيه • وجاء حكماء قنا يزور المعتقل ؟ فمر على الرفاق • أخذ يسألهم عن يكونون ؟ وماذا يفعلون ؟ كان من الواضح أنه قد سمع بوجودهم • رأى رسوم

سعيد فاعجبته • كانت هنالك بعض « بورتريهات » ضباط السجن ولوحات عامة • وفي المساء جلس الرجل في نادى الضباط يروى ما رأى ، ويبدى اعجابه بهؤلاء الشبان وما يرسمون • كان من الحاضرين بعض ضباط المباحث العامة ، ورغم علمهم رسميا بأدوات الرسم ، الا انهم بسداوا يتجسسون على الرفاق بصورة مدققة • واكتشفوا وجود سلك كهربى ، كان الرفاق قد اوصلوه من الادارة الى الزنزانة لانارتها • فاعلنوا انهم قد اكتشفوا اتصالا لاسلكيا بين الداخل والحزب في خارج المعتقل • وان عدة الرسم لم تكن غير سستار يخفى هذا الاتصال اللاسلكى ، وعليه يجب رفع السلك وسحب عدة الرسم • واصبحت امامهم مشكلة • من الذى يطلق الجرس في رقبة القط ؟ واعتذر الرائد صدقى معاون الادارة ورجلهم في ذات الوقت • فهو قد اصطدم بالرفاق حول مشاكل عدة ، واقترح ضابط آخر ، كان في تقديره اقرب اليهم واقدر على التفاهم معهم • روى الضابط لهم القصة كلها في وضوح وبساطة • وتم الاتفاق على تسليم البعض وتهريب البعض الآخر • وفي صباح اليوم التالى صودر الجزء المتفق عليه وكذلك السلك الكهربائى • وسجل الرفاق احتجاجهم • واستمر سعيد يرسم بما تبقى ، ثم لجأ الى استخدام الفحم فيما بعد •

وبدا وصول معتقلين آخرين • جاءهم الرائد صدقى في أحد الايام • قال ، « ان هنالك معتقلا مثقفا في الادارة ، انه محام ، ويقال عنه انه من قيادات الاخوان المسلمين • اننا لا نرغب في أن نضعه مع الآخرين ، ونود ان يكون معكم ، فما رأيكم ؟ » طلب الرفاق فرصة للتفاهم فيما بينهم • اثرت قضية احتمال ان يكون جاسوسا يسعون لحسه فيما بينهم • يقول اسماعيل عبد الحكم ، « الا اننا انتهينا الى انه في وسعنا ، ان كان كذلك ، ان نفضحه فيصبح وجوده بغير جدوى • واعلنا موافقتنا • وكان الرجل في الحقيقة أكثر من ممتاز • كان من أهم المحامين في الاقصر • كان رجلا متفتحا مرحا ظريفا للغاية • يهزج ويضحك وينكت ويناقش بالعقل والمنطق • كان يقف معنا في كل موقف نتخذه ، ونحن ايضا وقفنا معه في كل مشكلة تعرض لها • كان كل منا يحترم حق الآخر في الطريقة التى يفكر بها ، وان القضية المشتركة هي اننا نزلاء معتقل واحد ، نعيش ظروفنا واحدة » •

وفي ٢٥ ديسمبر ساد المعتقل جو ما من التوتر • كان قد وصل اليه معتقلان جديدان • كانا عاملين فاعتدت الادارة عليهما وارسلت بهما الى عنابر الجنائيين • يقول اسماعيل عبد الحكم ، « اخبرنا المعتقلون في العنابر ان معتقلين قد اضيفا اليهما ، وانهما مثلنا • كانا من الاسكندرية ، فلم يستطع احد التعرف عليهما • الا اننا توجهنا الى الادارة واعلنا احتجاجنا على ما حدث لزملاء لنا ، فاحضروهما معنا • كانا بالفعل زميلين



من العمال ، قبض عليهما وهما يوزعان المنشورات • وكان ذلك في الحقيقة انذارا مباشرا بأن الحملة الكبيرة قد أوشكت على البداية • كان ذلك يعنى أن كل من تسول له نفسه فعل أى شئ ، فإن المعتقل سوف يتلقفه • وحضر الزميلان معنا احتفالنا برأس العام الجديد • ثم توالى النذر • الملح لنا أحد الضباط بأن الخير كل الخير في وجودنا هنا • أن في القاهرة أحداثا خطيرة • قال لنا ما يفهم منه أن حملة اعتقالات واسعة قد تمت • لكننا أخذنا كلامه في حينه على أنه نوع من الضغوط التي تبثها المباحث العامة بهدف الاحباط • إلا أنه ثبت لنا فيما بعد ، أن ضربة يناير كانت قد وقعت في ذلك الوقت •

### الترحيل الى الواحات :

في ٢١ مارس ١٩٥٩ فوجيء الرفاق بنبا ترحيلهم • عقدوا على الفور اجتمعا قرروا فيه ان هنالك احتمال مرحلة جديدة • ربما تكون السجن الحربى ، وربما تكون أى مكان آخر • لابد مهما حدث الاستمرار على نفس الموقف وبنفس الصلابة • كانت صلتهم بالحزب في الخارج ما زالت مقطوعة • وليس لديهم من المعلومات اليقينية ما يجعلهم يقطعون بشئ • كان زادهم الاساسى هو عمق انتمائهم وثقتهم في نواتهم والتي ازدادت تأكيدا من خلال التجربة الى مروا بها • يقول اسماعيل عبد الحكم • « جاءنا الرائد صدقى ، كان التاثير باديا عليه ، قال سوف ترحلون اليوم الى الواحات ، لا أحد يعرف ماذا يجرى هناك • ليس بينى وبينكم أى ضغينة • ارجو رجاء خاصا ان تنسوا اية اسساءة ، وان تتذكروا الايام الطيبة • ولسوف تعرفون ان المعاملة هنا ، مهما كانت ، فهي افضل من غيرها • غادرنا المعتقل • كان هنالك تعاطف شديد ودموع في عيون الضباط والجنود • »

وهكذا اغلق معتقل قنا كمعتقل سياسى • ربما لتبدأ جولة جديدة او مرحلة جديدة ، او تتخذ اساليب جديدة للتصفية • إلا أنه في يوم ٢١ مارس ١٩٥٩ • كانت تلك المجموعة من شباب الحزب قد هزمت واحدة من اشكال التصفية • سحقته تلك المجموعة الغضنة الصلبة بارادة الثوار ذلك الاسلوب الاجرامى المعادى لكل القيم والقوانين ، والذي تجسد في محاولة المباحث العامة استخدام الجنائيين في تصفية المناضلين نفسيا أو سياسيا أو جسديا أو خلقيا • خرجت تلك المجموعة أكثر قوة وأكثر صلابه وأكثر حفكة ، لتنضم الى قوى أخرى من رفاقها وانخوض معارك أخرى ، متنوعة ومتجددة فيما بعد •

## الفصل الثالث

### معتقل القلعة

ابراهيم مرسى

اكرام محارب

حلمى ياسين

خيرى عزيز

سعد رضى

شكرى عازر

صلاح خطاب

عبد الرازق حسن

فاروق ثابت

فخرى ابيب

لطفي الخولى

محمود شندى

نبيل مسبحى

## القلعة

القلعة بنىء سُييده صلاح الدين الأيوبي . وغدت منذ ذلك التاريخ مقر حكم الأيوبيين ثم المماليك ، ثم العثمانيين ، ثم محمد علي الى حكم اسماعيل الذى انتقل الى عابدين عام ١٨٧٥ .

وقد كان للفرنسيين بها - اثناء احتلالهم لمصر - حامية كبيرة . كما استخدمت أيامهم فى ضرب الأزهر بالمدافع اثناء ثورة القاهرة الأولى عام ١٧٩٩ . كما كانوا أول من استخدمها معتقلا للوطنيين . كما استخدمها محمد علي ككمين ذبح فيه المماليك وأجهز عليهم .

ولقد بنى صلاح الدين القلعة على طراز القلاع الصليبية ، وخاصة قلعة الكرك ببيت المقدس . بناها كمدينة على شكل قلعة حتى يتحصن داخلها من بقايا الأسرة الفاطمية وأنصارها فى مصر ، والصليبيين فى فلسطين .

ثم قام محمد علي ببناء توسعات واضافات للجناح الشمالى الشرقى ،، والذى يتم الدخول اليه من شارع الحجر المعروف بالدخل الشمالى للقلعة .

وعندما احتلت القوات البريطانية مصر ، كان لها فيها حامية كبيرة للسيطرة على القاهرة ، كما استخدموها سجنا حربيا لجنودهم .

ثم جاء عبد الناصر واستخدمها معتقلا سياسيا لكل مخالفيه فى الراى .

وأصبح ذلك الاثر التاريخى القابع فوق جبل المقطم والمطل على القاهرة ،، والذى يتوافد السياح لرؤيته والاستمتاع الى ماضيه ، أصبح ذلك الاثر فى جزء منه ،، حاضرا لكريها وكثيبا ، معتقلا للمناضلين المصريين ، وتخشبية خاصة للمباحث العامة .

وفى أول عام ١٩٥٩ فتح ابوابه الخفية المستقرة كالعورة ،، بقلقى باكورة الحملة القترية التى جرت ضد الشبوعية على ارض مصر .

ان لهذا القطاع من القلعة بوابة ضخمة ، ما ان يدخلها المرء حتى يجد نفسه فى فناء صغير يؤدى الى باب فيه حجرة الضباط المنساوبين ،



والذى يجرى فيها تفتيش المعتقلين تفتيشا دقيقا ، ثم تسجل اسمائهم وأماناتهم فى سجلات المعتقل . ولهذه الغرفة باب آخر يقود الى دهليز طوين تمتد على جانبيه الزنازين الضيقة المرتفعة ذات الجدران المصمتة الا من باب مزدوج ، جزء منه من القضبان الحديدية والجزء الآخر من خشب سميك ، به ما يشبه الثقب بحجم العين . وفى السقف كوة هى المنفذ الوحيد الى السماء والهواء . ومن تلك الكوات يتلصص الحراس على نزلاء الزنازين بحصون عليهم انفاسهم وما يفعلون .

المعاملة فى القلعة ، بسبب خضوعها خضوعا مباشرا للمباحث العامة ، تبدو ذات مظهر غير عدوانى بصورة مفضوحة . فان لزم الأمر تعذيرا أو تنكيلا ، فالأيدي القذرة والوجوه الشائهة تختفى وراء اقنعة واسماء وهمية زائفة .

وخلال تلك الحملة ، بدأت المعاملة عابية ثم تدرجت وتنوعت .

### حملة يناير :

مع بداية العام الجديد ، عام ١٩٥٩ ، بدأت صفحة جديدة فى تاريخ مصر . صفحة خطت وبعثت مصر هذا الوطن . ان النظرة المحدودة الضيقة للقيادة السياسية فى مصر ، لم تر فى الاختلاف فى رأى ، حول بعض القضايا ، الا الخصومة والعداء . وحتى تريح نفسها من تلك الاصوات ، سلكت السبيل الايسر لها ، سبيل الزج بمن تختلف معه الى خلف القضبان والجدران . ان كل حملتها المسعورة المضللة لم تنجح فى ارباب كل ذى معتقد يؤمن بصحته خدمة لوطنه . ومن هنا اعلنت الحرب من طرف واحد ، وأخذ هذا الطرف فى جمع اسراء العزل من كل سلاح الا سلاح الايمان والاصرار ، وفتحت قلعة صلاح الدين ابوابها معتقلا للشيوخ . واستقبلت أول ما استقبلت دفعة من القيادات ، من الكادر الحزبى . لم يكن بها أى من المعتقلين . كان ممن قبض عليهم د. فؤاد مرسى ، د. اسماعيل صبرى ، سعد زهران ، حلمى ياسين ، لويس اسحق ، حسن صدقى ، فؤاد شحتو ، سعد رحى ومحمود أمين العالم ، من قادة الحزب . وكان بها ايضا عدد هام من قيادات المناطق الحزبية : شبل اسماعيل ، نبيل الهالى ، محمد سيد أحمد ، محمود المستكاوى ، عادل سيف النصر ، د. عبد العظيم انيس ونور غنيم وغيرهم من الزملاء .

كان الذين قبض عليهم فى الاسكندرية هم أول ايراد يصل الى القلعة وكان محمد الليثى هو أول معتقل ولج بابها . ثم توالى الدفعات . كان التسكين فى البداية انفراديا ، كل واحد فى زنزانة ، ثم بعد يوم أو اثنين ، أصبح كل ثلاثة فى زنزانة .

## وبدا مشوار الأحرار خلف الأسوار .

في البداية كانت أبواب الزنارين مغلقة على البعض منهم بسبب التحقيق معهم . الا ان الادارة تركت العنابر مفتوحة فيما بعد . كان الفتح طوال النهار . لم تكن بالزنارين جرائل بول أو مياه . وكان الاكل من المتعهد ، فول وفطير وشاي في الافطار ، ارز ولحم وخضار في الغذاء ، وجبن وحلاوة وزيتون وزبادى في العشاء . ان كل تلك الأصناف لا تأتي دفعة واحدة ، ولكن يقدم منها في الوجبات المختلفة .

لم يكن مسموحا لهم بالخطابات أو الكتب أو الصحف أو الاذاعة . الا انهم كانوا يهربون الصحف . كان مسموحا لهم بطرود الاذوية والسجائر ، وأمانات تتراوح من سبعة الى عشرة جنيهات .

اقيمت فيما بينهم حياة عامة . وقد ظهر ، بين الزملاء ، اتجاهان حول هذه المسألة . الغالبية تطالب بان تكون المصادرة مائة في المائة ، حيث ان هنالك عددا كبيرا من الزملاء بلا امكانيات . واقلية ترفض ذلك وتراه خطأ يضر ولا يفيد . بدأت الحياة العامة بستين في المائة مصادرة لصالح الجميع ، وتترك اربعون في المائة لصاحب الامانات - وقد ظل هذا الهامش الفردى يضيق حتى أصبح عشرة في المائة ، ثم انتهى بعد ذلك ايضا . كانت الحياة العامة قاصرة على أعضاء الحزب فقط . اقيمت مسابقات لنظافة الزنارين ، وكانت زنارين العمال هي الانظف على الدوام .

كان هنالك تنظيم حزبي داخل المعتقل . ولقد قام هذا التنظيم طبقا للتسكيل الحزبي في الخارج وقياداته . كانوا يعرفون اخبار الحزب من الرفاق الذين يخرجون للتحقيق أو يذهبون الى القصر العيني للعلاج . وقد وصلت اليهم نسخة اصلية من بيان ٩ يناير في اواخر فبراير أو اول مارس . واطيقت بهذه المناسبة احتفالات عاصفة في المعتقل . كان الرفاق يجتمعون في مجموعات ليتلى البيان عليهم من الأصل نفسه ( وقد أخذوه معهم فيما بعد الى الواحات ) . ثم يبدأ النشيد والتهافت . وارتفعت معنويات الرفاق الى أقصى درجة . لقد اثار البيان موجة من الحماس فوق ما يتصور العقل . الحزب موجود ، والضربة لم تقضى عليه . كان البيان مطبوعا بالمطبعة . ولم يظهر حييذاك خلاف واضح حوله . كما احتفل الرفاق ايضا بعيد الحزب في الثامن من يناير .

كان بعض الرفاق يكتبون الاشعار ويؤلفون اغان جديدة على نمط الاغانى القديمة . وفي ذلك الوقت كتب محمود المستكاوى نشيد الحزب .

ظفرو فى القلعة ثمانين يوما • وفى ٢١ مارس رحلوا الى اللواحات •  
مقيدين بالحجالات • وكان ذلك تغريفا لمعتقل القلعة واعداده لحملة  
مارس •

الامضاع الحزبية داخل المعتقل لم تكن كما ينبغي فى ظل ضربة  
تستهدف الاجهاز على الحزب • السلوك الحلقى كان ما يزال قائما ، وهو  
سلوك انقساسى فى جوهره ، يساعد على التفتيت والتصفية • يقول حلى  
ياسين ، « من الامور السلبية التى حدثت فى معتقل القلعة محاولة احاد  
الزملاء ( س • ز ) خلق جو من الاثارة داخل الحزب من منطلق حلقى ،  
ضد زملاء مركزين او قياديين بالمناطق ، مما نتج عنه تشتيت الزملاء ،  
فى الوقت الذى يلزم فيه التوحيد • كما ضبطت فى ذلك الوقت رسالة  
خارجة من المعتقل عن غير الطريق التنظيمى • كان وراءها ا • س •  
س • ز • وقد اعتبرت تلك الرسالة رسالة صادرة من خلف ظهر  
الحزب • وقد ترتب عليها سجن الجندى حاملها ثلاث سنوات • اما الزميلة  
التي كانت الرسالة موجهة اليها ، فقد تم تفتيش منزلها ، واعتقالها فى حملة  
مارس • »

ويقول سعد رضى « كان التفكير اليمى سائدا ، ونظرة سحابه  
صيف سوف تنقشع مسيطره • كنت ارى ان الاعتقال على هذا النحو ،  
ليس مجرد عملية وقتية ، خاصة وان مهاجمة الشيوعيين والاتحاد السوفيتى  
كانت عالية للنبرة • ولقد ظهر منذ اول لحظة عدم تماسك الحزب ووجود  
فريقين هما « ع • ف • و » « الراية » اساسا • ولقد قال احد قادة الراية  
السابقين ، انه لو عاد كل فريق الى اصله لكان ذلك افضل • كان يقصد  
من ذلك حرية الحركة والتصرف • وفى تقديرى ان الذى جعل الشكل  
الحزبى متماسكا ، هو وجود خصم مباشر له هو ( حنتو ) ، (١) •

معتقل القلعة ، معتقل التجميع والتوزيع • اخلى المعتقل من الدفعة  
الاولى • وكان ذلك ايدانا بقرب موعد الحملة التالية ، حملة مارس •

### حملة مارس :

بدأت الحملة فجر ٢٨ مارس ١٩٥٩ • واخذت الامواج تتوالى على  
القلعة • كانت الضربة فى تلك المرة عميقة • غاصت فى جسد الحزب حتى  
وحداته القاعدية ، من اسوان والنوبة حتى الاسكندرية • كانت تسمى  
الى سحق الحزب والاجهاز عليه تماما • لقد ثبت ان نزع القيادة او جزء  
اساسى منها ، لا يكفى لشل الحزب او دفعه الى السكون • فقد ازدادت

---

(١) لقاء شخصى معه •



حركته وتعاضم وجوده . وكان موقفه في التنازع بعد ضربة يناير ، ردا حاسما على تلك الضربة . وعالج النظام هذا الوضع بأسلوبه المفضل ، لسلوب معالجة الحجة بالحجة والرأى والفكر بقضبان القلعة .

كان الايراد يصل في الليل عادة ، ما بين الثامنة مساء والثالثة أو الرابعة صباحا . الاعداد تتوالى من القاهرة والاقاليم . والرفيق سامى عبد المسيح يراقب من زنزانته باب الادارة ويعلم مقدم الدفعات المختلفة : المنصورة وصلت ، المنيا شرفت ، اسيوط هلت ، الاسكندرية صيقت .

وكان استقبال هؤلاء « الضيوف الثقل » الذين اتخذوا موقف التحدى ثقيل ايضا . عندها وصلت دفعة المنيا اجلسوهم القرفصاء على باب المعتقل . احاط بهم كوردون من الجند المسلحين بالمداغ الرشاشة . كان الوقت مساء والرهبة توحى بها غبسة المساء والجو المحيط . الا أن احدا منهم لم يبد الخوف من هذا الجو الارهابى . فتشوا حاجياتهم بنظافة ثم ادخلوهم الزنازين .

ولم يقتصر التنوع على كون المعتقلين من محافظات مختلفة ، من الاسكندرية الى اسوان والنوبة ، بل لقد تبدى هذا التنوع ايضا في المعتقلين انفسهم : فلاحون وعمال وطلبة ، كتاب وفنانون وصحفيون والساتذة جامعات ، مهندسون ومدرسون ومحامون وضباط سابقون . كل مصر كانت هناك .

يقول لطفي الخولى ، « الظاهرة الملفتة للنظر ، هي هذا التنوع الشديد للقوى التقدمية والديمقراطية في مصر في ذلك الوقت ، بحيث لو كان يراد اقامة او انشاء جبهة تقدمية ، لكانت القلعة هي اصلح مكان لاعلانها . كان من الاشياء المتعة اكتشافك ان مصر حبلى ومعطاءة . فهذا الوارد ، رغم مساوية اعتقاله ، كان يعنى اتصال الاستثمار . لم تكن هنالك حالات ضعف او انهيار الا ان معتقلين من الشخصيات التي كانت بارزة في مجال العمل السياسى يوما ما ( ا . ر . ص ، ع . ر . ) كانا في حالة يؤسف لها . وقد افرج عنهما بعد اعتقالهما باربعة وعشرين ساعة . »

كان الكثير من المعتقلين يسقطون في الشباك الأول مرة . وبدأ البعض منهم يبحث منقيا عن الأسباب التي قادت الى ما آل اليه حاله . يقول

نطفي الخولى ، « اخذت الحملة بعد اسبوع من بدايتها تخف بعض الشيء . كنا في العنبر ، وكان معنا لويس عوض ومحمد الخفيف وسعيد خيال . في الساعة الثانية عشر بعد منتصف الليل ، هز لويس عوض رأسه وقال : « لقد توصلت الى استنتاج هام ، قلنا له ، « وما هو ؟ » . « قتال » للبلد بالفعل لا توجد بها حريات . وكان لويس عوض يتهم ميشيل عفلق بانه هو السبب الرئيسى فى القبض عليه . اذ ان ميشيل عفلق ، كان يدعو - بعد الوحدة - الى عدد من الاجتماعات . وكان أحد هذه الاجتماعات فى منزلى ، كذا كان أحدها فى منزل لويس عوض . وحضر كثيرون هذه الاجتماعات ، منهم خالد محى الدين وعبد العظيم انيس واحمد بهاء الدين وكلودفيس مقصود . وكان هنالك جدل ونقاش . كنا كلنا تقريبا نحمل افكارا متعارضة مع ميشيل عفلق ، رغم انه كان هنالك اتفاق بان الوحدة تمثل امكانية ، الا انه يجب ان تكون ذات طابع ديمقراطى ومضمون تقدمى لصالح الشعوب ، وأنه يلزم وجود ضمانات لذلك . وأن قضية التسليم لفرد ما مهما كان - وكان عبد الناصر فى ذلك الوقت ، يعد عام ١٩٥٦ ، بطلا وطنيا قوميا - ليس بضمان وحده . الا ان ميشيل عفلق كان يرى ان الوحدة فى حد ذاتها - مهما كانت ، ومهما كانت صعوبتها - تعد خطوة ضخمة الى الامام ، وعلينا ان نؤيدها . وكان لويس عوض يختلف مع غالبية الموجودين ، لأنه كان يعارض قضية الوحدة ، وقضية ان تصبح مصر جزءا من كيان ، معارضة جزرية ، وكان يعتبر ان هذا هو سبب القبض عليه . »

الا ان العناصر التى سبق لها وخاضت مثل هذه التجربة المريرة ، كانت هنالك ايضا .

يقول خيرى عزيز ، « فى تلك الايام ظهرت قيمة الزملاء القدامى ، الذين مروا بمثل هذه التجارب . كانوا بالنسبة لنا ، نحن الجدد ، شيئا باهرا . كانوا على مستوى عال من الشجاعة والقدرة على التنظيم . كما كان من الأمور الممتازة حقا ، ان القادة كانوا يقدمون القدوة ، لقد وجدنا فى القلعة من يهتم بأمرنا من الزملاء ، مما منحنا الثقة . كان معنا فى العنبر محمود شنفدى الشاعر ، والذى كان يسخر من هذه الحملات والاعتقالات ، ولا يكف ليل نهار عن قول الاشعار الناقدة ، مما كان يملؤنا قوة وترابطا ، وبرفع معنوياتنا الى درجات عالية . كان معنا ايضا رئيس نقابة النقش والزخرفة . كان شخصية طريفة تخلق حولها جوا من المرح ، وكذلك مدرس من دكرنس ، كان يسخر بطريقة شعبية من كل صنوف القمع . »

وفد لعب دورا كبيرا في اجتذاب الجنود عندما ذهبنا الى معتقل الفيوم .  
وكان لطفى الخولى يأتى الى لوييس عوض وتجرى مناقشات سياسية .

وهنا نظهر ضرورة التنظيم في الوقت الذى لا يعرف فيه غالبية الأعضاء بعضهم البعض بشكل حاسم ومحدد . يقول صلاح خطاب : « كان بالعنبر الذى دخلت فيه خمسون معتقلا . واتفقنا نحن الذين نعرف بعضنا البعض على ضرورة تشكيل قيادة حزبية . كان هنالك حوالى اربعمائة نزيل بالمعتقل ، لا اعرف منهم اكثر من عشرين زميلا . كان هنالك اديب ديمترى ممن اعرفهم . شكلنا لجنة قيادية مؤقتة راعيا فيها الاوضاع للحزبية ، حتى تتكشف لنا صورة ما نحن فيه . كان معنا زميل قديم كبير فى السن ، له ماض رائع ، وقد حبذ هذه المسألة بشدة عندما عرضتها عليه ، وعندما ناقشته فى أن يكون هو مسئول اللجنة القيادية ، فوجئت به يعتذر فى صدق وامانة ، ويقول لى : هذا شرف لا استحقه ، فقد توقفت عن العمل السياسى منذ ثلاث سنوات . »

لم يكن الأعضاء المنظمين المعتقلين من الحزب الشيوعى وحده . كانت هنالك « حدثو » ايضا ، والطليعة الشيوعية ( ط . ش ) ووحدة الشيوعيين ( و . ش ) . كذلك كان هنالك المستقلون غير المرتبطين بأى تنظيم حزبى . ولم يكن كل هؤلاء المرتبطين بتنظيمات حزبية على اتفاق سياسى ، بل يمكن القول ان « حدثو » ، كانت تقف بمفردها سياسيا فى الوقت الذى كانت فيه باقى القوى وأساسا الحزب الشيوعى المصرى ، تقف فى الجانب الآخر .

يقول خيرى عزيز ، « كان الاتجاه الحزبى قويا وكاسحا . أما الاتجاه الثانى « حدثو » فقد كان مؤيدا لكل مواقف الحكومة واتجاهاتها ، مبررا لكل أعمالها . كان المفروض على الأقل ان يكون هنالك موقف من القمع فى حد ذاته . الا ان الاتجاه اليميني بافتقاده هذه النظرة ، افتقد موقف النضال حتى من أجل مجرد الكرامة الانسانية المهذرة . وخطر ما ن الامر ، بل والمأساة ، هى عملية التنظير لما يجرى من احداث ، حتى انه عندما تمت أول ترخيلة الى الفيوم ، قالوا : هؤلاء وحدهم هم الذين سيعتقلون ، أما الباقون فسيفرج عنهم . الا ان موقف الحزب كان واضحا فى هذا الصدد ، وهو ان ذلك ليس مقدمة لافراج ما ، اذ ليس هنالك دليل على ذلك ، خاصة وان التصريحات الرسمية كانت تقسم بالعنف الشديد ، وان الترخيلة يمكن أن تكون مقدمة عملية توزيع للمعتقلين . »



يقول فاروق ثابت ، « كنت الرابع أو الخامس غيبن وصلوا الى المعتقل . جاء من بعدى يوسف حلمى فرحبت به بشدة . ثم جاء حسن فؤاد ، فهالت به . سألتنى فى غضب أن كنت فرحا باعتقالى ، قلت له ، « لقد امسك بنا وانتهى الأمر ، فلماذا الفرح أو الزعل ، . كانت المعنويات مرتفعة . وبدأنا منذ أول يوم نعد مسرحية صغيرة ولجنة نقافيه ولجنة للحياة العامة . كانت المسألة فى رأى ازمة سياسية وعلينا تحملها . »

ان التسلل التنظيمى لكل فريق فى المعتقل ، هو أمر خاص بهذا الفريق أو ذاك ، وواحد من أسرارهم ، أما للرأى السياسى فهو معطن ، وهو قد يجمع البعض وقد يفرق البعض الآخر . إلا ان مواجهة ظروف الاعتقال ومواجهة طريقة معاملة الادارة للمعتقلين ، والاموضاع المعيشية لهم ، فتحتم ايجاد شكل واحد يضم الجميع ، هو ما يسمى بالحياة العامة . وهى تبدأ محدودة إلا انها تتسع لتشمل كل الدخل المادى والعينى ليعساد توزيعه بالتساوى على الجميع ، بغض النظر عن القدر الذى ساهم به كل معتقل ، أو حتى عدم المساهمة على الاطلاق نتيجة ظروفه الصعبة أو العسيرة .

وكانت فترة القلعة محدودة ، وكثرة من المعتقلين لا يعرفون بعضهم البعض ، إلا ان صورة ما من صور الحياة العامة قد مورست على الفور . كان الطعام يأتى للجميع عن طريق أحد المتعهدين . وفى ذات الوقت كانت تاتى بعض المأكولات للمعتقلين من أسرهم . بدء بتنظيم توزيع السجائر واعداد الشاى بطريقة سرية .

ويبدأ سحب المعتقلين الى التحقيق . وهنا يكتشف الزملاء الجدد على الاعتقال ان الحزب لم يعدم لمثل هذا الموقف . إلا ان الزملاء القدامى والمحامين يلعبون دورا هاما فى تبصيرهم بما يتوجب عليهم فعله .

يقول خير عزيز ، « الأمر الذى اكتشفناه فى القلعة والذى يشكل نقدا للحزب ، هو انه لم يكن هنالك اعداد للزملاء لمواجهة مثل تلك الظروف . اذ بدأنا فى داخل المعتقل نعرف ما الفرق بين الدفاع القانونى والدفاع السياسى . كما ان تصرفات بعض الزملاء ، غير الحذرة ، قد أدت الى كشف عناصر كان من الممكن ألا تنكشف . »

وقد صاحب التحقيق تشديد على المعتقلين كنوع من الضغط عليهم ومحاولة ارهابهم .

يقول لطفي الخولى ، « بعد فترة من الاعتقال ، ووجهنا بعمليات بشعة في القلعة . بدأ الحبس الانفرادى في الزنازين الكهفية ذات الجدران العالية الرطبة القذرة ، حتى انه يخيل اليك انك داخل الى جب لا قرار له . ثم هنالك عمليات التفتيش وحجب المتعلقات ، ثم عمليات التجويع بعدم تقديم الوجبات في مواعيد منتظمة او الامتناع عن تقديم بعضها باية حجة . حدث هذا لمدة ما . ثم بدأوا بعد ذلك في التحقيق مع الجميع »

في تلك الاثناء كان يتردد ضباط المباحث العامة على المعتقل ويحاولون اخذ معلومات . كما كانوا يلجأون الى التهديد . الا ان موقف غالبية الزملاء كان الصمود ورفض التحدث معهم ، كذا رفض التعاون معهم بشكل مطلق .

ظللت في زنزانة انفرادية عشرة ايام . ثم جاء معى الدكتور محمد الخفيف .

بدأت النيابة التحقيق في مبنى المباحث العامة . جاء استدعائى مع الدكتور لويس عوض . وكان تقييدنا بالكباشات غريباً . « مانا مقيد الى اليد اليمنى لاحد الجنود ، ولويس مقيد الى يده اليسرى ، وهو في وسطنا مقيد اليدين . وخلفنا جنديان مسلحان للحراسة . ويبدو ان الجندي المقيد بيننا لم يكن قد نام منذ فترة طويلة ، فقد كان النوم يغلبه ونحن في ردة الانتظار في المباحث العامة ، وكانت مشكلتنا ان نوقفه باستمرار حتى لا يعاقب أو يضار »

الذى حقق معى ولويس ، كان رئيس نيابة أمن الدولة «او» وكيل أول نيابة أمن الدولة ، وهو في ذلك الوقت أحمد موسى وزير العدل والمدعى الاشتراكي حالياً . وكان موضع دهشتنا انه كان رجلاً أميناً ومهذباً يقدم لنا السجائر والقهوة ، ويقول ، « انا اعلم انكم لا ترونها في السجن » . وقد اخفنا هذا السلوك منه في البداية ، على انه موقف شعبانى ، الا انه تبين لنا اثناء التحقيق انه رجل غاية في الاستقامة . كان مفاجأة غير متوقعة ، خاصة بالنسبة لآخرين مثل نصار . كان أحمد موسى يوجه للسؤال اليك ، هل انت عضو في الحزب الشيوعى ؟ ، ثم ينبهك الى انه من حقك الا ترد على السؤال ، كذا من حقك الرد على السؤال بالاجاب أو النفى . ثم يسألك ما رأيك في القومية العربية ؟ . ورأيك في الوحدة مع

سوريا ؟ وينبئك الى أنه من حقه ان تمتنع عن الاجابة ، ثم يستكتبك كلمتين ، وينبئك في ذات الوقت الى انه من حقه القانوني ان تمتنع عن الاستكتاب . كان رجلا غريبا للغاية بالنسبة لما كنا فيه . وقد دخل ضابط المباحث العامة اثناء التحقيق فقال له ( ليس هنا مكانك ، نفضل الى الخارج ) .

كان البعض يستدعى من معتقل الفيوم الى معتقل القلعة للتحقيق معه . وكان الدكتور عبد الرازق حسن واحدا من هؤلاء . وهناك في القلعة التقى بمعتقل آخر ، لم يكن من اليسار بل كان من رجال النظام . ويبدو اعتقاله في تلك الظروف امرا غريبا وطريفا ايضا ، يبين بعض جوانب نهج الاعتقال وكيف كان .

يقول الدكتور عبد الرازق حسن ، « كان هناك ايضا معتقلون لهم وضع خاص . وكان اعتقالهم في ظروفنا يبدو من الطرائف .

كان قائد المعتقل ، على ما يبدو ، يعرف بعض اقاربي . وقد خلق هذا نوعا من التفاهم بيننا . كنت استطيع مقابله والحديث معه بحرية . وفي أحد الايام جاء معتقل جيد اسمه اسماعيل صادق . اظنه كان وقتها اميرالاي او قائمقام . وضعوه في حجرة بمفرده . وكانت توجد بها ستائر ، ويقدم له طعام خاص . ونشأت بيني وبين هذا المعتقل علاقة ، اذ كنت اتحدث معه لا كرجل سياسة ولكن كرجل علم . وفي أحد الايام استدعاني قائد المعتقل وقال ، « انظر ماذا يفعل صديقك اسماعيل صادق . » قلت ، « خيرا » ، قال « انه مضرب عن الطعام » . سألته ، « لماذا انت مضرب عن الطعام يا أخ اسماعيل ؟ » قال ، « حتى اعرف لماذا انا معتقل » . قلت هذا للقائد فسأله ، « ان عرفت سبب اعتقالك . تنهى اضرابك ؟ » . قال ، « نعم » . بعد يوم اتصل بالداخلية واخبرته بالسبب . فوجئت بقائد المعتقل يستدعيني مرة أخرى ويقول ، « صديقك اسماعيل ، ما زال مضربا رغم اني اخبرته بالسبب » . ذهبت الى اسماعيل وسألته ، لماذا يصر على الاضراب وقد عرف السبب . قال منفعلا ، « الاجابة التي قدموها غير معقولة ، انهم يقولون اني معتقل بناء على طلبى . ان قائد المعتقل يقول انه لا يعرف ماذا يقصدون بذلك ، والمفروض اننى اعرف المعنى الذى يقصدونه » . قلت له ، « ما حكاية بناء على طلبك هذه ؟ » قال ، « الحكاية يا سيدى اننى كنت الملحق العسكرى المصرى في ليبيا . وانا الذى انشأت مطارا سرىا هناك لنقل



القوات من ليبيا الى الجزائر . وانا الذى فجرت اثناء العدوان أحد مخازن الاسلحة الانجليزية . وعندما انتهت العملية وحدث تفاهم مع السنوسى اعادونى الى مصر . ووجدت نفسى احصل على راتبى وكل بدلاتى دون ان اقوم بأى عمل فى مصر . فقلت لهم ، ان بقائى بلا عمل هكذا أمر غير معقول ، فعينونى فى وظيفة مدنية فى قناة السويس . فقلت لهم ، ان تلك ليست وظيفتى ، كما انتى لست على استعداد للعمل فى مثل هذا المكان ، وان لم يعجبهم كلامى هذا فليحيلونى الى المعاش . فأصدروا قرارا باحالتى الى المعاش . الا انى تضررت من هذا القرار وكتبت الى عبد الحكيم عامر خطابا قلت فيه ، ( ان لم يكن عملى الذى كنت اقوم به يعجبكم ، فاريحونى واعتقلونى ) .

قلت له « اذن فاعتقالك بالفعل كان بناء على طلبك ، أى نقطة عجيبة تلك » .

كان زجلا رجعيا للغاية ، لكنه كان وطنيا للغاية ايضا . كان له فهمه الخاص للوضع السياسى والاجتماعى .

جاءوا فى أحد الايام وقالوا له ، افراج . فقال ، « لن اخرج » . حضر القائد لى وقال ، « انظر صاحبك ، يأتيه أمر بالافراج فيرفض الخروج » . سألته ، « لماذا يا أخ اسماعيل لا تود الخروج ؟ » قال ، « انا لا اخرج فى مثل هذا الوقت . نحن الآن فى الليل . ولن اترك هذا المعتقل الا فى وضوح النهار ، على ان تحضر سيارة من منزلى لتأخذنى ساعة خروجى . انا اعرف جيدا ماذا سيحدث لى ، لو خرجت اثناء الليل » .

كانت تلك أول مرة ادرك فيها ما يسمى بالعالم الخلفى . لم اكن اتصور ان يأتى الافراج لمحبوس فى النهار أو الليل ولا يسرع بالخروج . فهمت من الاسرار ما لم اكن اعرفه حتى تلك الوقت .

وتتصل الحملة فى محاولة محومة لاستئصال الحزب . وتمتلى زنانزين للقلعة لتفرغ محتوياتها على طريق العزب - فيوم .

يونيو - يوليو ١٩٥٩ .

فتحت القلعة ابوابها لتضم عددا جديدا من الكادر القيادى والعديد من الجدد . الحبس انفرادى وليس هنالك من اذاعة أو جرائد أو كتب .

ويسود المعتقل تضيق في الفتح والاعلاق . التغذية جيدة ، وصاحب المعتقل أو قائده فخور بسجنه ، يطلق عليه اسم الهيلتون ، ويمر بنفسه على الزنازين يوزع البطيخ .

صرير ابواب الزنازين يبحو كآلاف الشهقات والانات المختزنة . بعض الزنازين يخافها للحراس ويزعمون ان بها عفاريقا تحاول الثأر والانتقام . خلف جدران تلك الزنازين قتل يوم ما أحد المعتقلين وهم يعرفون . جدران الزنازين مليئة بالرسومات والحكايات والاشعار والرسائل والوصايا واسماء واسماء عشرات ومئات الذين اقتيدوا الى هنا ، ولا أحد يعلم الى أى مصير ذهبوا . لكن التاريخ مكتوب هنا ، مسجل بيد أصحابه ، « وداعا زوجتى » ، « لكم الله ابناعى » ، « الشعب لابد منتصر » ، « عاش كفاح الطبقة العاملة » .

يقول نبيل زكى ، « كنت يوم ٢٠ يونيو على موعد مع الفريد نسيم . اتفقا ان نلتقى في شارع احمد سعيد . انا أبداً من عند شارع العباسية وهو يبدأ عند لقائه بشارع رمسيس بعد ان التقينا احسست اننا مراقبون . قلت له ، اسرع بالهرب ، ربما اقلت واحد منا . غير انى ما انتهيت من هذا الكلام حتى وجدت من يمسك بذراعى من الخلف وكذا امسك به . كانت هناك سيارة على الناصية بابهما مفتوح ، وموتورها يعمل والسائق جالس الى عجلة القيادة ، كان الوقت غروب وما زال المارة في الشارع . قاومنا ، حاولنا انتزاع اذرعنا من ايديهم . فى نفس تلك اللحظة احسست بفوهة مسدس فى جنبى . لم اهتم . كنت ادرك انه من الصعب اطلاق النار والمارة فى الطريق . وللحال ظهر رجال اضافيون من المباحث وحملونا حملا الى السيارة . بعد دقائق كنا فى مكتب عشوب . ادخلونا اليه فورا . كان معى ورقة بها بعض المواعيد وللحال اخرجتها وبلغتها دون ان يرانى أحد . قال عشوب ، « فتشوه » . اخرجوا من جيبى مجموعة من المفاتيح . قال ، « ما هذه المفاتيح » . قلت ، « مفاتيح حجرى بالمدرسة وكذا المكتبة » ، فأتنا مدرس . قال ، « انتم ، ماذا تريدون بالضبط ؟ » قلت له ، « انت تعلم ، نحن وطنيون » . قال ، « ونحن ايضا » . قلت ، « تلك مسألة خلافية » . استفز واحتد قائلنا ، « خذوه » . اخذونى الى القلعة . وفى اعتقادى ان سبب وقوعنا يرجع الى أن الفريد نسيم كان يلتقى بخطيبته ، فراقبوه من خلال مراقبتها ، وهكذا امسك بنا » .

ويقول نبيل صبحي ، « قبض على في ٢٩ يوليو . الا ان المباحث العامة كانت قد هاجمت منزلي في حملة أول يناير . توجهت قوة منها على رأسها ضابط من تلامذة حسن المصيلحي معروف بشراسته ، هو الضابط البهي . اقنحوا المنزل وعندما لم يجدوني بداخله قلبوه رأسا على عقب ، واستولوا على جميع صوري التي وقعت في ايديهم . لم يجدوا أي شيء مخالف للقانون فاستولوا على مكتبتى بالكامل .

المفاجأة وبشاعة الاساليب الوحشية والخوف على الابن المطارد ، كل ذلك أدى الى اصابة والدي بإزمة قلبية . شقيقى طبيب موجود بالحجرة المجاورة لحجرة ابي ، الا ان الضابط المهاجم ( المغوار ) رفض ان ينتقل اخي الى حجرة ابي لانقاذه ما لم يذله أهل البيت الى مكانى . كان يقول لهم ، « سوف انركه هكذا حتى يموت امامكم » .

شقيقى الاصغر كان حينذاك مصابا بحمى روماتيزمية ، ممنوع من الحركة . الا ان الضابط المهاجم ( الشجاع ) انقض عليه ، شده بعنف من على سريريه ، واجبره على الوقوف ، للضغط على الاسرة والتكيل بها .

غير ان احدا من اسرتى لم يكن يعرف بالفعل مكانى . وامام اتضاح هذه الحقيقة مع بعض الصلابه من والدى والملاينة من شقيقى الطبيب ، وافقوا على ان ينتقل الاخ الى حجرة والدى لانقاذه . الا انهم ظلوا يحتلون المنزل ومداخل العمارة وما خلفها حتى ظهر الأول من يناير .

وعند رحيلهم ، لم يفتهم أن يصيبوا أهل المنزل بالذعر والهلع ، فاعز الضابط الى أحد المخبرين أن ينزل أولا ، ويصرخ على السلم ، « ها هو قد وصل » . واندفع الضابط والمخبرون الآخرون خارج الشقة وفي أثرهم اندفع أبى المريض وأمى المسنة وأخوتى حفاة يهرولون على السلم حتى الشارع ، عليهم يلقون نظرة اخيرة على الابن قبل هذا المصير المجهول . لكنهم رأوا الحملة تتركب السيارات وتغادر دون ان يكون هو في ايديهم . وكان في هذا عزاء لهم عن كل ما كابحوه .

في ٢٩ يوليو ١٩٥٩ قبض على . كان الأمر شبه مصادفة . كنت متوجها الى منزل أحد الزملاء ، عندما اقتربت منه في ساعة متأخرة من الليل . وكان امام المنزل حقيقة رايت فيها عددا من الرجال والشبان غريبى الاشكال في مثل هذا الوقت المتأخر على ارتياد حدائق عامة . شككت في الأمر فتخطيت البيت . الا انه اثناء عبورى امامه ، كان رجال المباحث العامة المهاجمين يغادرونه فلمحنى أحد الضباط فنادى واحد منهم



« السرع يا صادق ، هذا نبيل صبحى بديع » . عندما سمعت ذلك انطلقت جريا . الا ان الشارع لسوء الحظ كان ممتدا بلا شوارع جانبية لمسافة طويلة ، فأمسكوا بى . حاولت المقاومة فتمزقت ملابسى . أمسكونى بطريقة المصارعة الحرة ، يدى خلف ظهرى مع خنق الرقبة . جاء الضابط واخذ فى لطى ، وهو يصرخ ، « اتجرى يا جبان » . زعقت فيه « لست جباناً » . اوقف الضرب بعد زعيقى ، ودفعوا بى الى سيارة وهو ينبه على من بها ، ان يأخذوا حذرهم منى فأنا كالخط هارب منذ خمس سنوات . كتفونى داخل السيارة . كان الضابط الذى اعتدى على يدعى المنيماوى . يبدو أنه اخير عشوب ، الذى غادر المنزل محل الهجوم متأخرا ، بما جرى ، فجاء عشوب يلوح بمسدسه فى وجهى وهو يقول ، « حذار ان تفعلها ثانية » . ثم ركب الى جوار السائق . قال ، « اتعرف اين انور الآن ؟ » ، قلت ، « ومن أنور هذا ؟ » قال ، « فخرى لبيب » . قلت ، « اعرفه جيدا ، فهو ابن عمى » . قال ، « من الاسرة اذن » . اتعرف اين هو الآن ؟ » قلت له ، « البركة فيك » . قال ، « انت هارب منذ خمس سنوات . وما نحن قد أمسكناك » . قلت له ، « انت تعرف ان الشيوعية ليست مسألة أفراد ، فلا الامسك بى او بفخرى او بغيرنا سوف يوقفها » . قال ، « سوف ترى » . سارت للسيارة حتى وصلت نهاية شارع دمتق فى مصر الجديدة . توقفت امام عمارة امامها احد المخبرين . استدعوا البواب . نظر فى وجهى ثم قال ، « لا يا بيه ، ليس هو » . قال لى عشوب ، « حسنا » . اركب . قلت ، « اود ان اقضى حاجة واشرب ماء ، واشترى سجائر » . سمح لى بالتبول وهو يلوح بمسدسه ويقول « حذار » . كانت الساعة قد بلغت للثانية بعد منتصف الليل .

التحقيق معى كان قصيرا جدا . كان امام صلاح نصار . قال لى ، « انت متهم بانك عضو فى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى ، تتسمى باسم بديع ، مسئول عن قطاع الصعيد ، ومحرر فى جريدة ( اتحاد الشعب ) السرية المحظورة » . قلت ، « من الذى قال ذلك ، ما الدليل ؟ » قال ، « حسنا ، ما رأيك فى تحريات المباحث العامة التى تقول كذا وكذا ؟ » قلت ، « المباحث العامة لم تكن صادقة فى أى يوم من الايام . عليها ان تثبت ما تدعى وتواجهنى بالادلة . وليس اكل على اجرامها من القبض على الشارع . كانت عملية اختطاف ، واعتدوا على ومزقوا ملابسى » . قال ، « دعنا من المباحث العامة . ما هى آراؤك ؟ هل تعمل بالسياسة ؟ » . هل لك عقيدة سياسية ؟ » . قلت : « بالطبع » . قال ، « ماذا ؟ » قلت ، « أنا ماركسى » . قال ، « ما رأيك فى الماركسية ؟ » . قلت ، « انها ارقى ما وصل اليه الفكر البشرى فيما

ينطلق بقوانين الحركة والتطور وتفسيرها من الناحية الطبيعية ، وقيادتها في اتجاه هذه الحركة من الناحية الاجتماعية . قال ، « حسنا » هذه المبادئ التي هي أرقى ما وصل اليه الفكر البشرى ( قال ذلك وهو يحرك ذراعيه الى أعلى » ، ألم تستدعي منك أن تكلم الناس فيها وتقوم بشرحها لهم ؟ » قلت ، « مروج يعنى ؟ » قال ، « نعم » قلت ، « عليك أن تثبت ذلك . المفروض الا تسألنى هكذا ، لأنى لن أقول لك شيئا . عليك بمواجهتى بالدلة » . قال ، « حسنا ، هل روجت أم لم تروج ؟ » قلت ، « ممنوع عن الرد » . قال ، « عضو في الحزب أم لا ؟ » قلت ، « ممنوع عن الرد » . قال ، « هل لديك أقوال أخرى ؟ » قلت ، « بصفتك نيابة وهيئة قضائية ، فانا ابلغك ان محمد محمود عثمان المناضل المصرى ، قد اغتيل بمعرفة مباحث طنطا واخفيت جثته . وانا اطلب منك التحقيق في هذه الواقعة ، وأن المناضلين الديمقراطيين الوطنيين المصريين والنقابيين وانصار السلام والتشيوعيين تساء معاملتهم ، مخالفة للدستور ، في معتقلات وسجون مصر . وانا احمك مسئولية التحقيق في التعذيب واساءة المعاملة » . قال ، « خذ ورقة واكتب ما تشاء » ، قلت ، « كلا ، فانا اجيب على سؤال في التحقيق تقول فيه ان كانت لدى أقوال أخرى ، وبهذا يلزم أن تكتب اجابتي في محضر التحقيق . لكن ان تحاول استكتابى بحجة اجابتي على سؤال انت الذى وجهته الى ، فان هذا امر مرفوض » . قال ، « حسنا ، هل ستكتب أم لا ؟ » قلت ، « لا » . قال ، « وانا لن اسجل لك ما قلت » . قلت ، « وأنا لن أوقع على المحضر » . قال ، « حسنا ، مع السلامة » . ثم سأل أحد الضباط ، ان كانوا قد فتشوا منزلى . فاجابه بانهم قد فتشوا العنوان الموجود في البطاقة الشخصية ولم يجدوا شيئا . سألنى ، « هل هذا هو منزلك ؟ » قلت له ، « نعم » . قال ، « وتقيم فيه منذ ينساير ١٩٥٩ ؟ » قلت ، « نعم » . فاصدر امره بإعادة التفتيش . وكان هذا المنزل ، فنزل بعض اقاربنى . وكان هذا التفتيش مفيدا . اذ ان الضابط الذى نفذ الأمر اخذنى الى المنزل وسار بى مسافة في الشارع وأنا مقيد اليدين ، فرأى الكثيرون ممن يعرفوننى وأصبح من الضرورى وصول الخبر الى اهلى . لم يسفر التفتيش عن شيء ، وعدت الى معتقل القلعة .

« قبض على يوم ١١/٧/١٩٥٩ . (١) كنت هاربا على مدى عامين تقريبا . وكان ذلك يعطينى شعورا بالافلات من الامساك بى ، حيث انى كنت اجيد التكر الى حد أنى عندما التقيت صدفة في الطريق ببعض اقرب الاقرباء ولم يتعرفوا على ، فعبرتهم دون ان احبهم . وجاءتنا معلومات

(١) فخرى لبيب .

ان اجهزة الأمن قد بدأت تركز على حى مصر الجديدة ، وأن قوة اضافية من رجالها تقدر بثلاثمائة مخبر قد ارسلت الى تلك المنطقة مزودة بالصور والبيانات الخاصة بنا . فاصدر الحزب تعليماته بعدم المرور فى الميادين والشوارع الرئيسية حيث كان يمكن بوضوح تبين المخبرين وقد وقف واحد منهم على كل محطة من محطات المترو أو الاتوبيس . كما صدر قرار حزبي آخر بضرورة ترك هذه المنطقة .

فى هذا اليوم كان على ان التقى بالزميلة وداد مبرى لانتهاء بعض الترتيبات التنظيمية اللازمة . حيث كان على ان اغادر القاهرة كلها . الا انى اخطأت اثناء سيرنا فاقتربت من ميدان روكسى . وهنا على ناصية تقاطع الميدان بالشارع الرئيسى انقض البعوض علينا . وبطريقة محمومة حاولوا دفعنا قسرا داخل سيارات كانت تقف عند تلك الناصية . قاومت فتكاثرت الناس واشتبكوا مع رجال الأمن ، متصورين ان تلك عملية اختطاف . قال رجال المباحث انهم يقبضون على لانى كنت اضايق الأنسة . وكانت الزميلة تصيح ان شيئا من ذلك لم يحدث . دفعونا داخل السيارات وانطلقت مجنونة الى المباحث العامة . كنت قد ادركت منذ أول لحظة انى قد وقعت . حاولت تنبيه الزميلة الى انكارها لمعرفتى . سألت الضابط ، « الى أين ؟ » . قال ، « أنت تعرف » . قلت ، « لا اعرف . انتم تزعمون انى كنت اضايق الأنسة ، فى حين انها تنكر ذلك . كما انى لا أعرفها البتة » . ادرك الضابط ما قصصت فلم يسترسل معى فى الكلام . لكن فى نفس الوقت ، كنت قد ابلغتها ما اردت .

فى أحد ممرات المباحث العامة سألنى أحدهم ، « ما اسمك ؟ » . قلت ، « الا تعرفون من أنا ؟ اذن كيف تقبضون على ؟ » . خرج عشوب من حجرته وقال ، « تعالى هنا يا فخرى » . قلت ، « اذن لماذا هذه الحركات ؟ » قال ، « اجراءات » . دخلت حجرته ، قال . « هل معك شيء ؟ » قلت ، « لا شيء » . أشار الى جيوبى فبافرغتها . قال ، « أين تسكن ؟ » . قلت فى اصرار « ليس لى مكان سكنى » . نظر الى مليا ثم قال . « حسنا » . استدعى أحد الضباط وقال ، « خذه » .

فى السيارة سألت الضابط ، « الى أين ؟ » قال ، « لا ادري » . الا اننى عرفت اننا سائرون الى القلعة عندما تبينت الطريق الذى نسلكه . وهنالك فى القلعة التقيت بعدد من الزملاء كنا نعتقد اننا قد فقدنا الاتصال بهم ، فاذا هم قد سقطوا فى قبضة الحملة . استدعيت للتحقيق . بعد الديباجة المعروفة عن الاسم والسكن والوظيفة ، سألنى وكيل النيابة ، « هل لك افكار سياسية ؟ » قلت ، « بالتأكيد » . ارتاح فى جاسته ، سأل « ما هى ؟ » . قلت وأنا ابدى الدهشة ، « هذا أمر لا يخصك » .



اعتدل في جلسته . عاوده التجهم . قال ، « كيف ؟ » . قلت « أولا لا يحق لك بحكم الدستور ، أى دستور ، أن تسألنى عن رأى ، فهذا أمر خاص بى وحدى ولا تستطيع قوة على الارض ان تعيننى لأن لى رأيا . ثانيا ، ان هذا المكان ، وسيادتك ايضا ، ليسا من وسائل التعرف على آراء المواطنين ، والا فاننا امام حدث جديد عن ديمقراطية الدولة واهتمامها بآراء رعاياها ، فتأمر بالقبض عليهم للتعرف بنفسها على آرائهم واحدا واحدا . ان وسائل ابداء الرأى معروفة ، مقالة في جريدة وهذا يقتضى حرية الصحافة . دراسة في كتيب أو كتاب وهذا يقتضى حرية النشر . كلمة في اجتماع عام أو ندوة عامة وهذا يقتضى حرية الاجتماع . مطالب من نقابة وهذا يقتضى حرية العمل النقابى . التصويت على برنامج انتخابى ، وهذا يقتضى حرية الانتخابات وعدم تزويرها . تلك هى وسائل ابداء الرأى بشكل عام ، وأنت لست واحدا منها » . قال بطريقة رسمية ، « لقد قبض عليك من قبل في قضية ، وسجنت ثلاثة سنوات مع الاشغال الشاقة ، فماذا كانت التهمة ؟ » قلت ، « طالما تعرف القضية والحكم ، فلماذا أنك تعرف التهمة » . هز رأسه وقال ، « الشيوعية ؟ » . قلت ، « حسنا ، وماذا بعد ؟ » . قال ، « اذن فانت شيوعى ؟ » . قلت ، « عشنا تحاول الالف والدوران للوصول الى اجابة عن سؤالك الأول » . بدا عليه الضيق . قال ، « لكن تلك هى وظيفتى » . قلت ، « وظيفتك ان تنبش ضمائر الناس لتزج بهم الى غياهب السجون !! » . احتد قائلا ، « تلك مهمتى » . قلت ، « وأنا مهمتى الا امكنك من رقبتي » . رفع حاجبيه الى أعلى . عاد الى سمته الرسمى . قال ، « هل لديك أقوال أخرى ؟ » . كان ذلك ايزانا بانتهاء التحقيق . قلت ، « هل لسيادتك اتهام ضدى ؟ » . هز رأسه نفيا . قلت ، « اذن اصبر أمرك بالافراج عنى » . ضحك ضحكة كالحقبة . قال ، « انا افرج عنك ! انت الآن على نمة المباحث العامة » . قلت وأنا اتصنع الدهشة ، « اذن لماذا كان كل هذا الجهد الذى بذلته ؟ » . نظر الى كاتب التحقيق . أمره ان ينهيه عند هذا الحد . طلب منى التوقيع . وقعت . تأوه وقال ، « قلت لك ، تلك وظيفتى » . قلت وأنا أبدي الرثاء حقا لحاله ، « وظيفتك ان ترسلنى الى المعتقل بايدى المباحث العامة ، ولا ترسلنى الى الخارج ، ان كنت بريئا » . قال ، « لبس الأمر بيدى . وعموما صاحبك السلامة » .

كانت غالبية الزملاء ممن يدخلون المعتقل اول مرة . وبدأت تلك الغالبية تثير نقاشا حادا حول ضرورة دخول معركة مع ادارة السجن حول ما فيه من اوضاع مقيدة .

كان الحزب يصدر نشرة عما يجرى في للسجون والمعتقلات ، وبالتالي كنت عارفا بشكل ما بالالوضاع في كل سجن ومعتقل . وكنت اعرف ايضا ان سجن القلعة هو افضلها نسبيا . انه سجن انتقالى ، ما ان يجمع فيه من محصول الاعتقال قدر كاف ، حتى يرسل المعتقلون الى معتقل الحزب - فيوم . قلت لهم كل ذلك . كما قلت ايضا ان من الافضل لهم - واغلبهم كان هاربا مطاردا - ان يستجموا هنسا فترة وجودهم بالقلعة ، لأننا سندخل الجحيم بعد ذلك . كانت القلعة هي بوابة هذا الجحيم ، وعليهم ان يترثوا عندها ، لا يرهقون انفسهم اكثر مما يجب حتى يدخروا طاقات هائلة مطلوبة ونحن نجتاز تلك التجربة . الا ان حماس الرفاق وقلة خبرتهم بمثل ما نحن فيه جرقتهم ، واصرروا على ان اقابل القائد باسمهم ، وان احتج على سوء المعاملة والمطالبة بتحسينها .

توجهت الى قائد المعتقل ، واصلته باحتجاجنا على الطريقة التي نعامل بها ، واننا نطالب بالجرائد والمجلات والاذاعة وفتح الزنازين علينا . واشتد الجدل بيننا ، فأمر بحبسى في زنزانة انفرادية مدة ثمان واربعين ساعة تأديبا ، أى لا يقدم لى خلالها غير الخبز والماء والملح . كما لا يفتح باب الزنزانة لغير دورة المياه .

عندما بلغ النبا الزملاء اعلنوا الامتناع عن استلام الطعام ، مضيفين الى مطلبهم مطلب اخراجى من التأديب . وعندما علمت بنبا امتناعهم اتخذت نفس الموقف ، واصلت الادارة به . واشتد التوتر داخل السجن . كنا حوالى اربعين معتقلا . وكان بهم عدد لا علاقة له بالسياسة ، ولا احد يعرفهم ، ولا هم يعرفون لماذا جرى بهم الى هذا المكان . ورغم ذلك شاركوا في الامتناع واتخذوا نفس الموقف .

حاول قائد المعتقل اثناء المعتقلين ، لكنه فشل . وتوقفت مهمته المحببة في توزيع البطيخ على الزنازين . وفي اليوم الثانى فتحوا الزنازين وواعدوا بالجرائد بعد ترتيب الامانات باعتبارنا دفعة جديدة . كان هنالك جو عام من الاستجابة للمطالب . لكن لم تمضى اربع وعشرين ساعة حتى رحلنا الى الفيوم .

ان المباحث العامة عندما علمت بالامتناع ، سعت الى فضه على طريقتها الخاصة ، فعجلت بترحيل المعتقلين الى الحزب . صدرت التعليمات من الادارة بان يعد كل معتقل حاجياته ، وكان اكثرهم بلا حاجيات ، اختطف من الطريق او منزله دون ان يمكن من أخذ أى رداء . الآن فتحت البوابة الى الجحيم .

اتخذنا قرارا حاسما بان كل من يعتدى عليه - عند الاستقبال - في عزب الفيوم ، عليه ان يرد الالهانة مباشرة لمن اعتدى عليه سواء كان ضابطا أم جنديا . وكل من لا يرد الالهانة سوف يتعرض للعقاب الحزبى . ابلغ القرار الى الجميع فاستقبلوه بحماس فائق . كنت أرى أن هذا القرار لأبد سوف يؤدي الى الصدام مع ادارة المعتقل ، وكنت مقتنعا بضرورة هذا الصدام . فمعتقل الفيوم معتقل دائم ، ولا يجب القبول باوضاعه وجعلها صيغة طبيعية للتعامل بيننا وبين ادارة المعتقل أو من يديرونه من ورائها ، منخذين منها ساترا ومخلبا .

سبتمبر ١٩٥٩

وتستمر الحملة . ويستمر الايراد الوارد على معتقل القلعة . وتتشدد الادارة في اجراءاتها . فالغالبية ممن يقبض عليهم الآن تعدهم الدولة متهمين في قضايا . انها وقد تجاوزت مرحلة التجميع السريع ، تعد لمن تبقى على ارض المعركة والاستمرار ، عمرا مديدا ، خطف قضبان السجون . وتتحول فترة البقاء في القلعة ، من فترة تجميع قدر كاف من محصول المعتقلين ، الى فترة تجميع اطراف قضية مفتعلة ، وتحقيقات ملفقة . ويصبح النزلاء متهمين تحت التحقيق .

يقول اكرام محارب ، « اخذت بمفردى في سيارة جيب برفقة ضابط من حجز قسم قصر النيل الى معتقل القلعة . كان الوقت - كما قدرت من حالة شوارع القاهرة - بعد العاشرة مساء . دخلنا من بوابة حجرية الى حجرة صغيرة حيث سلمنى الضابط الى آخر . ثم لصحبنى جندى الى زنزانة ترتفع درجة واحدة عن مستوى الأرض . كانت الزنزانة خالية تماما الا من سرير مكون من حمالتين ( حمارين ) من الحديد عليهما عدد من الألواح الخشبية الطولية تعلوها مرتبة .

كان لزنازين معتقل القلعة نسب عالية الكبريت . انها ضيقة حوالى ٢٥ × ٢٥ مترا والسقف مرتفع للغاية بالنسبة لهذه المساحة . عند مركز مربع السقف فتحتان مستطيلتان متجاورتان تعلوهما تعريشة خشبية . كانت هذه الفتحات هي الفتحات الوحيدة في الزنزانة ، فيما عدا النضارة وفتحة ضيقة في أحد اركان الحجرة ، مخصصة لادخال طعام السجنى - والذي يسمى بالتعيين - بدون الحاجة الى فتح باب الزنزانة الذى يفتح على طرقة عريضة جدا ومبلطة ببلاطات حجرية .



على أحد الجانبين الطولين لهذه الطريقة يقع صف الزنازين ، التى اقيم فى واحدة منها ، يقابله الجانب الطولى لعنبرين يقع احدهما فوق الآخر . ويغطس العنبر السفلى تحت الارض بحيث يصبح مستوى ارض الطريقة فى مستوى شبابيك هذا العنبر السفلى . وكانت هذه الزنازين المواجهة لصفنا خالية ايام وجودى فى القلعة . تلتف هذه الطريقة قليلا عند أحد الجانبين لتؤدى الى الادارة ودورات المياه . ولا افكر شيئا عن الضلع الرابع والاخير . ولا افكر اننا قد تجاوزنا - اثناء تجولنا فى اوقات الفتح - المساحة الواقعة امام الزنازين .

فى الايام الاولى لوجودى بالقلعة ، كان الحبس انفراديا طوال اليوم ، وللمخرج صباحا انفراديا وبالتعاقب الى دورة المياه بصحبة أحد الجنود . وكان كل منا يشغل زنزانا تفصله عن الزنازين المجاورة المشغولة ، زنزانا خالية على كل جانب ، حتى لا يمكن تبادل الرسائل بالتخبيط على الحوائط الفاصلة بين كل زنزانتين .

حركة الحراس فوق السقف ومرتعة اسلحتهم وصيحاتهم ( واحد تمام ) ، ( اثنان تمام ) ، هى ازعاج متصل طوال الليل . كما قيل أن شعابين قد اسقطت على النزلاء من فتحات السقف .

قرب انتصاف الليل ، كنت اسمع احيانا ومن بعد كبير صوت ( ثومة ) من اجهزة راديو المقاهى الساهرة وصرير عجلات الترام عند المنحنيات .

كنت اتسلى اثناء قفل الابواب بملاعبة نفسى الششطرنج على رقعة وهمية ، واحيانا مرسومة على ارضية الزانزنة . واحيانا ، عندما خففوا قبضتهم علينا - بعد التحقيق معنا - كنت الالعاب جارى السيجة ، على المثلث المشترك بين الركنين المتقابلين بين زنازيننا . ولم يكن يستطيع الواحد منا رؤية أكثر من زاوية بسيطة من وجه الآخر . وفى طوابير المساء كنا نتبادل الاستماع الى قصص القبض علينا ، ونستمع بأشعار مهران السيد الذى كان يقول فى احداها :

اين المهرب

يا عسرب

يا لصا أجرب .

امتدت فترة التضييق علينا حوالى ستة عشر يوما . لم نتلقى خلالها أى طرود ملابس . كنا لا نزال نرتدى نفس الملابس التى خرجنا

بها من بيوتنا . لم يحصل أحد منا على حمام أو حلاقة ففن . الطعام جيد والمعاملة رسمية . كنت أكنس أرض الزنزانة بقطعة كهنة لا أتذكر كيف حصلت عليها . وكان الطريق الوحيد لطلب شيء من الإدارة هو النداء على الشاويش بالتخبيط على باب الزنزانة .

أخذ التحقيق معي في النيابة صورة روتينية . صحبتني شرطى وضابط من القلعة الى مبنى المباحث العامة ، وحضر التحقيق الرائد الذى قام بالقبض على . استكتبونى في النيابة وانزلت للتصوير في حجرة بالدور الأرضى مجهزة تجهيزا خرافيا . ثم أعدت الى القلعة . كان معي سامى عجيب وصابر زايد ووليم زكى قلدس ، ومصطفى عبد العزيز وصبرى عبد العال ، ونبيه زكى قلدس ومهران السيد وسليمان سيداروس وآخرين . كان سامى عجيب قد اغتدى عليه بالضرب الشديد ، والطريف في الأمر ان الشرطى الذى صحبتني الى التحقيق كان يرتعد خوفا ويتصبب عرقا وهو يهمهم ، « دول بيضربوكم » . كان وجه نبيه زكى يحمل حروقا بسبب تعذيبه في المباحث العامة وتعريضه للحرارة الشديدة للكشافات الكهربائية . ولم اكن اعرف أحدا من هؤلاء الزملاء أو التقيت به خارج المعتقل .

وفي أحد الليالى شعرنا بحركة غير عادية . أصوات فتح وقفل لوريات تتحرك في الخارج . سحبا ملاءات الأسيرة والوسائد من الزنازين . تمموا علينا خارج الأبواب . قيدونا في الحجلات ، ثم رحلونا الى عزب - الفيوم ، (١) .

وربما كانت تلك الدفعة هي آخر دفعة تذهب الى معتقل العزب . كان هذا الجحيم قد تفجر وتمزق أمام هجمات المعتقلين ونضالاتهم . وبدأت المرحلة الثانية ، عندما فتح أوردى أبو زعبل شقيقه وكثير عن انيسابه .

---

(١) لقاء شخصى معه في ١٠/٧/١٩٨٠ .

## الفصل الرابع

السجن الحربي

عبد القادر ياسين

فوزي عطية



الحملة المسعورة ضد الشيوعية ، لابد وان تثبت وجودها ايضا في صفوف الجيش . ان كل الذين يعتادون الديمقراطية وابسط الحريات للشعب ، قد تجمعوا خلف هذه اللامعة . ان كل الذين اعتادوا سسير الأمور طبقا لقاعدة الأمر والنهي والطاعة الصماء ، يرون في هؤلاء الذين يحافظون على ذواتهم وكياناتهم المستقلة ، ولهم ارادة وفكر ، كائنات شاذة وغريبة ، تشكل خطرا حقيقيا على الذين اعتادوا السمع والتفويض . ان هؤلاء الذين يؤمنون انهم بالجيش وحده قد اطاحوا بالملك والنظام القديم ، قد عدوا يخافون الجيش ، حيث يمكن لآخرين بنفس طريقتهم ان يطيحوا بهم وينظلمهم . ان خوفهم على ضياع ما آلوا اليه ، وخشيتهم مما يمكن ان يصيروا اليه يحكم حركتهم ، جعلهم يرون في كل اختلاف او معارضة نزاعا مباشرا على السلطة ، ومن هنا تكون حركتهم حركة باطشة وسريعة . انهم عندما يجرون تحقيقا ، لا يستهدفون من ورائه وصولا الى الحقيقة ، لكنهم يسعون الى أن تكون الفريسة التي سقطت في ايديهم عظة وعبرة لفرائس أخرى لا يعرفون مكانها ، الا انهم يستشعرون خطرهما . انهم لا يودون معرفة رأى هذا أو ذاك من اسراهم ، انهم يودون معلومات واعترافات تغطي قصور تحرياتهم وضعف قدراتهم . انهم يودون ممن وقعوا في ايديهم ان يستكملوا قصورهم ، بالزور والبهتان ، والاقرار بأمور لم يفعلوها ، والاعتراف على اسماء لم يعرفوها ، اثباتا ليقظة الأجهزة وقدرتها وفعاليتها في حماية النظام . انهم يودون ان يداروا خوفهم يجعل الخوف منهم هو القاعدة العامة . وما ابشع الخائف المسلح بكل رذائل التعذيب ، عندما يواجه غير الخائف المتحدى الأعزل في كل سلاح الا سلاح الايمان بها اعتقد .

ولهؤلاء السادة أركانهم التي أعدت جيدا ، خصيصا لمثل تلك المناسبات غير السعيدة .

يقول فوزى عطية « التحقت بالجيش في أواخر أكتوبر ١٩٥٨ ارسلت في أول الأمر الى مركز لتدريب فيه على أساسيات المشاة . كنا مؤهلات ، وكنا نعامل معاملة سيئة للغاية ؛ قمت بعمل مجلة حائط ليس بها ما يمكن ان يلام المرء عليه من التاجبة القانونية . انها تحمل جوا ثقافيا عاما في جو الظلمة والقتامة التي كنا نعيشها . كان لابد من رفع معنويات زملائي المجندين والمحافظة على وجودنا الانساني في تلك الكآبة البسائدة .

انتقلنا بعد ذلك الى مركز تدريب الأخصائيين في الهايكستيب . واستمر اصداري للمجلة . هناك تعرفت ببعض الزملاء في خلالها .

لا يمكن القول أننا كنا نشكل تياراً سياسياً ، لكن ما كنت أقوم به كان يشكل عاملاً مساعداً للفاس حتى يستطيعوا تحمل أوضاعهم ومواجهتها . أن يكون لديهم أمل مهما كانت صعوبة الظروف ، وضرورة أن يحافظ كل امرئ منا على كيانه ووجوده . كانت مجلة ديمقراطية ثقافية ، حيث كان معظم الذين يعملون معنا يحملون مؤهلات ، لكنهم بلا ثقافة . كان العمل السياسي عن بعد ، في خلفية العمل الثقافي . كنا نعمل حواراً مع أحد الضباط مثلاً ، فنسأله ، لماذا تعاملوننا هكذا ونحن زملائكم ؟ أن الأمر يبدو وكأنكم طبقة ، ونحن طبقة ، لماذا هذه المعاملة العدائية ؟ ، (١) .

### القبض والترحيل :

ويكمل فوزى عطية ، « عدت الى معسكر الهاكستيب من اجازة نسيم النسيم . وصلت المعسكر في العاشرة مساءً . ابلغوني ان هناك من يطلبني ، وأنه يمكن لي ان انتظر حتى الصباح لتنفيذ هذا الاستدعاء .

رحلوني في الصباح الى المخابرات الحربية . كان ذهابي الى هناك عادياً ، في حراسة اثنين من زملائي ، لم اكن اعرف سبب الاستدعاء . وكان حارسي متأثرين للغاية ، يتساءلان ، ماذا في الأمر ؟ عندما وصلنا جلست على أحد المقاعد في مكان الانتظار . جاء أحدهم ، طلب من حارسي الانصراف بعد ان سبهما لانهما سمحا لي بالجلوس . ثم توجه الى بالكلام ، « قم ، قف يا ولدي ابن الكلب » . كان ذلك اول مؤشر للطريق الذي سأقتاد اليه . ثم بدأت الاوامر ، « اجري ، اجري ، يا ابن ... » سريعاً مارش ، « وانتهالت على الصفعات والركلات . ادخلوني الى ضابط لا اذكر اسمه ، كان مجدور الوجه أحمره ، أصفر الشعر أكرته . وقفت امامه وقفة انتباه ، ثم بدأ معي تحقيقاً مسجلاً . « اسمك ؟ ، سنك ؟ ، هل تعرف ضابطاً يدعى محمد حلمي ؟ ، قلت ، « لا أعرفه » . قال ، « تدعى الغفلة يا ابن الكلب . انت تعرف ماذا سيحل بك ، سوف نرسلك الى السجن الحربي . حيث تهربك الكلاب ، وينتهكك الحراس » . قلت ، « لا أعرفه » . قال مرة أخرى ، « محمد حلمي الجنجيهي » . عرفت الاسم . كان أخ صديق لي . كان ناصرياً متعصباً ، ضابطاً في سلاح المدرعات ، ويهددنا على الدوام بانهم سوف يسحقوننا بالدبابات .

---

(١) لقاء شخصي معي في ١٥ ، ٢٢ / ٨ / ١٩٨٠ .

قلت ، « أعرفه » . سألتني « لماذا انكرت ؟ » . قلت ، « انى اعرفه باسم حلمى الجنجيهى » . قال ، « هل هو شيوخى ؟ » . قلت « لا » ، غير شيوخى » . قال ، « كيف عرفت ذلك ؟ » قلت ، « انا مثقف واستطيع ان افهم اتجاه من يتحدث معى » . هذا الرجل لا يتحدث طوال عمره الا عن السيدات وعظمة سواربه ، والدبابير التى يعلقها على كتفيه . لم يتكلم فى حياته عن شىء غير ذلك » . قال ، « انت تخفى عنى الحقيقة يا ابن الكلب » . قلت ، « ولماذا اخفى اى شىء » . هل اقول انه شيوخى حتى اكون صادقا ؟ انه غير شيوخى ، غير شيوخى » . قال ، « وقع على المحضر » : ف وقعت على محضر التحقيق .

ويمكن القول ان هذا الضابط ، رغم ما نالنى من سبابه ، وزغم بعض الركلات واللطمات التى ( تكرموا ) بها على اثناء التحقيق وبعده ، هو الوحيد الذى أجرى معى تحقيقا اصوليا .

مكثت فى المخابرات الحربية بضع ساعات فقط . ثم تم ترحيلى الى السجن الحربى فى نفس اليوم ٥ مايو ١٩٥٩ .

### السجن الحربى :

هو مبنى ضخيم اصم تبجو منه طاقات كالثقوب . يقف متوحدا فى منطقة صحراوية ، تشعر الداخل اليها ، انه قد عزل عن العالم اجمع . ثم تزداد العزلة ، عندما يفتح باب السجن ويغلق على من ولجه ، ثم تتعمق العزلة عندما يدخل « الزائر » ، رغم انه ، الى مبنى معزول داخل جدران السجن ، ثم الى زنزانة انفرادية داخل هذا المبنى المعزول . ان محاولة اجتثاث الانسان عن كل ماله به علاقة ، من مكان او زمان ، تتجسد فى هذا الكيان البشع المخيف .

ان الامر لا يقتصر على الدخول المتتابع الى عزل متصل حتى يصبح الاسير مجرد رقم ثلاثى كل كيانه عبر كل تلك العتبات المتلاحقة . ان الاسير يوضع منذ اللحظة الاولى ، امام عالم ، اعطى لنفسه سلطات سماوية . هنا فريق من زبانية ، اقامت لنفسها جحيا خاصا ، هى التى تجاسب وهى التى تعاقب . هنا أعد كل شىء بحيث يحس المصرى انه قد سقط تحت كلل الدولة بكل ثقلها ، ولا مفر . هنا قد وقع تحت نعلها الحديدى ، فى قبضة اعنى اجهزتها ولا نجاة . هنا عليه ان يفقد الاختيار ، ويخضع للاجبار ، ولكل ذلك مراسيم .



يقول فوزى عظية ، « كنت بمفردى ، عندما وصلت السجن الحربى بعد الظهر . كان ذلك حوالى العصر تقريبا ، وهو وقت لا تتبدى فيه الابهة العسكرية هنا بكل مظاهرها . ما ان دخلت من البوابة حتى لقيت واحدا اشبه بالغول . كان راقدًا شبه عار ، الى جوار نصب فى المدخل . عرفت فيما بعد ان اسمه الباشاويش ياسين ، المشهور بوحش السجن . كان الدخول جريا وانهاى الضرب سريعا متلاحقا . مررت على باشاويش آخر اسمه امين . قال ، عندما رآنى ، « خمسون كريباج » . هذا ما يسمى ( بحكم المدخل ) ، أو ( الاكرامية الاولى ) . هنا هم لا يسيئون الى أحد ، انهم يكرمونه ، المشكلة فقط ، فى طريقة الاكرامية . كان يندفع خلفى ثلاثة جنود : عسكرى عادى محمد الجوهرى ، وكيل امباشى بكر ، والامباشى سيد . الصمت مطبق ، ولا شئ غير نباح الكلاب ، الذى يبدو كالصليل . كنت قد رايتها وانا اتجه جريا نحو العنبر . كانت فى حالة من التوتر والهياج ، تدور حول نفسها . تعوى فتبعث فى الجو رعشة . دخلت المعتقل رقم اربعة . ثم واحدة من زنازينه . عندما استدرت ، كان امامى محمد الجوهرى ومعه كريباج من اسلاك مجدولة ، بها عقد ملفوفة من قماش ، وحوله كلاب ثلاثة . كان ( لكى ) اكبرها واضخمها واقصاها لم أر فى حياتى كلبا مثله . وكانت هنالك ( توسكا ) متوسطة الحجم ، لكنها شرسة للغاية . وثالثهم ( ركس ) . كلها كلاب من نوع ( اللوولف ) . وهى كلاب كما ادركت فيما بعد ، مدربة تخريبا جيدا . انها تعض فقط الشخص الواقع عليه الضرب . أى ان هنالك ارتباط شرطى بين الضرب والعص . كان العسكرى محمد الجوهرى يصرخ ، يطلب منى ان اخلع كل ملابسى ، « اقلع هدمك يا ابن الكلب . اقلع كل شئ » . وقفت فى ركن من الزنزانة ( بالفانلة والكلسون ) ، والكريباج ينهال على وجهى وخسدى ، والكلاب الثلاثة تنقض على تنهش فى . كنت اربى كلاب فيما قبل ، واعرف بعضا من خصائصها . ان الكلب يزداد شراسة عند مقاومته . فان لم يجد مقاومة فقد اهتمامه بضحيته . ان مقاومته جزء يدخل فى اعداده وتدريبه ، فيكون له رد فعل ، لكل فعل مقاوم . ولذا تركت احدى يدي ( لتوسكا ) والاخرى ( للكى ) ، لا اشدها ولا اجذبها ، اما ( ركس ) فقد أخذ يعصعصنى فى افخاذى ، وسيل الكريباج لا ينقطع عنى . ورغم ذلك بهدلتنى الكلاب . الا انى كنت احسن حالا من زملائى الذين رايتهم فيما بعد . هؤلاء الذين حاولوا الدفاع عن انفسهم بشد ايديهم أو جذبها من أفواه الكلاب ، حيث كانت تنهشهم وتخرج باللحم بين انيابها .

لم يكن كل ذلك محسوبا من الكرابيج الخصمين ، التى امر بهسا الباشاويش . ان كل ذلك الذى جرى ليس الا ( جرمة الكلاب ) فقط ، اما ( الاكرامية الاولى ) ، فما زالت واجب ضيافة لابد ان يقدموه ، عليك

ان تتناولوه . ولنظام الكرامية للكرياج مراسيم خاصة ، عليك انت ان تشارك فيها ، والا كان ذلك جحودا بكرمهم ، فيضاعفوه . عليك ان ترقد على ظهرك ، وأن ترفع قدميك الى المستوى المناسب الذى يريح السيد المضيف ، وهو يقوم بواجب الضيافة . فان انت انزلت قدميك اثناء قيامه بما يجب ، عد ذلك اهانة ، فيبدأ العد من البداية حتى ينتهى الاستقبال .

وتغلق الزنزانة على جسد تمزق وتحطم ، لانسان لا يدري ما للحكاية ؟ . ولا فى أى جب سقط ؟ . ويطبق الصمت عليه من جديد ، فلا يسمع غير جراحة ، ولا يرى غير دماؤه واشسالاته . وتحرك تلك البقايا لجسد آدمى وارادة مناضل ، انها ليست وحدها فى هذا المكان . الحواس هنا ترهف حتى الشفافية . المعرفة بالجوار تأتى من همسة خافتة او نقرة فوق جدار .

هذا المكان الاصم الصامت ، يحتزن فى اعماقه كل صراخ العالم . خلف جدرانه دوى مكتوم لآلام تفوق طاقة البشر .

السجن ليس سجنا واحدا . انه جدار يضم عدة سجون . مبنى اسمه السجن الكبير ، يضم فى جنباته السجناء من الجنود ، لحساب أى قضايا غير القضايا السياسية . ان هؤلاء الجنود يعاملون معاملة بربرية ايضا . انهم يستقبلون بالضرب والتعذيب ، ولا يترك الواحد منهم حتى يتخذ لنفسه اسم امرأة ينادى به عليه طوال مدة سجنه . ويصل العيب بهؤلاء الى حد التعدى على رجولتهم بهدف اذلالهم ، حتى ان البعض منهم يقدم على الانتحار . ثم هنالك مبنى كبار العسكريين من الضباط السجناء ايضا . ويطلق على هذا المبنى اسم « الاسير » . وهو معتقل ارسقراطى الى حد ما ، يشبه الفيلا فى بنائه ، كان فيه ساعة تلك الاحداث ، لواء كان يوما ملء العين والبصر ، ثم اتهم بتدبير انقلاب ، فعذب حتى كسر عاموده للفقرى ، ثم وضع فى « الاسير » ليقضى فى الاسر ايامه . ثم هنالك المعتقل رقم واحد ، الى جوار مبنى الادارة . والمعتقل رقم ثلاثة وهو معتقل التكدير الخفيف . ثم المعتقل رقم اربعة ، وهو يماثل فى البنيان المعتقل رقم ثلاثة الا انه اسوأ المعتقلات جميعا ، ففيه التعذيب الذى يستهدف التكريح . وللمعتقل باب حديدى ضخمة ، يفتح على فناء غير مسقف ، تنوسطه دورة مياه حولها فراغ ، يحيط به دائريا طابقان اثنان من صفوف الزنازين .

عندما يتجول حمزة البسيونى رب هذا المكان ، وقائد السجن ، بشواربه الضخمة ، وجثته الهائلة ومشيته المتألهة ، يصمت الصمت . وتحس الكلاب بمقدمه ، فتتخذ من دورة المياه نصبا تدور حوله . وعندما

تدوى في المكان « انتباه » طويلة مطوطة ، تبدأ الكلاب في النباح بصورة غريبة . ثم يسمع القابعون في الزنازين صوتا آخر ، يصعب تمييزه عن صوت الكلاب . ويهرع ، ( لكى ، وتوسكا وركسى ) اليه . وشئ فشى ، يتكشف صوت القائد يدلل الكلاب . والكلاب تهرحوله . ثم يبدأ في تعنيف الجندي المسئول عنهم وسبه . انه يأمر بالحسنى في معاملتهم ورعايتهم والجودة عند أطعامهم . وتتجسد صورة النازى العفن مرة أخرى على أرض مصر ، في سرايب الحربى . صورة الشخصية غير النسوية المليئة بالمتناقضات ، والتي تتخذ من الحيوان بدل الانسان صديقا تطمئن اليه وتتبادل معه الود والالفة التي تفتقدها . ان رب هذا المكان ان تعطف والقى على النزلاء نظرة ، فليس من حقهم ان يبادلوه هذا الشرف العظيم . عليهم ان يقفوا مطامطأى الرؤوس ، لا ترتفع نظراتهم عن وطى قدميه .

يقول عبد القادر ياسين ، « هذه الكلاب ميراث عن الاستعمار الانجليزى منذ كان في مصر . وكان عميدها هو الكلب ( ركسى ) ، ذو الثمانية عشر ربيعا . كما كان هنسالك ( مشمش ) ايضها ، وهو دلوعة قائد المعتقل ، وله من ضمن حقوقه ، حق لهط كل ما يحلو له من حساء ولحم من الغذاء المخصص للمعتقلين من كائتين المطبخ مباشرة ، وما يتبقى يوزع علينا . كانت هذه الكلاب مرفهة الى درجة تدعو الى الحسد . ولقد حدث ان زميلنا محمود عويضة ، هجم على واحد منها ليخنقه ، بعد ما لحق به من عض ونهش ، فانهال عليه الشاويش قائلا ، « ان ظفر هذا الكلب ، يا ابن الكلب ، برقبتك » .

اما عن قائد السجن وسجنه ، فأننى اذكر احد المعتقلين الذين جيء بهم الى السجن الحربى ، فاستقبل بالضرب الشديد لاستجار الله ، وعندها قال له حمزة البسيونى ، ان الله شخصا لو دخل الحربى فلابد من استقباله بالضرب . ويؤكد هذا الفهم القانون الذى لا يرد في السجن الحربى ، اذ لابد لكل من يدخله ان يضرب ويكدر حتى تأخذ هيبة الحربى موقعها في نفسه . وناورا ما كان التعذيب مرتبطا بالتحقيق . اننى اذكر ايضا بعض مشايخ الاوقاف الذين كانوا يعملون مع الباقسورى والذين اعتقلوا زمن تحديد اقامته في منزله ، وقد ضربوا ، ضربا مبرحا لمجرد دخولهم السجن الحربى ، (١) .

واذا كان حمزة البسيونى قائد المعتقل هو رب الارباب ، فان الحارس النوبطشى لكل منبر هو ربه المحلى والسلطة المطلقة فيه . وفي عنبر ثلاثة

---

(١) لقاء شخصى معه في يوليو ١٩٨٤ .



أو معتقل رقم ثلاثة كان الثلاثة سيد وبكر والجوهري يتناوبون الحراسة .  
يسير الواحد منهم وكرباجه في يده وحوله جوقة من الكلاب . مفتاح العنبر  
في جيبه وقد أغلقه من الداخل . إلا أن هذه الالهة درجات ، تتعامل فيما  
بينها بقسوة أيضا . الجندي هنا يعظم وكييل الامباشي . ووكيل  
الامباشي يعظم الامباشي ، والامباشي يعظم الشاويش ، والتعظيم العسكري  
حق للضباط على الجنود فقط . أن المجند محمد الجوهري هو الوحيد  
الملزم بأن يحى للجميع . إنه هنالك في أدنى السلم ، لا يوجد أسفله غير  
المعتقلين الذين يجد فيهم فرصة العمر التي تعوضه عن كل ما يلقاه من مهانة .  
إنه أن أخطأ ضربه شاويشه بالكرباج ، بل ومن سلطته أيضا أن يطلق  
عليه الكلاب .

أن محمد الجوهري فلاح من السنبلاتين ، أحمر الوجه ، حسن  
التقاطيع ، يراه زملاؤه في السجن طريسا . فيدفعه ذلك إلى كسل  
سلوك قاس ووحشي مع المعتقلين اتباعتا لخشونته .

الزنازين مغلقة طوال اليوم . خالية من جرادل البول أو المساء .  
الفتح في الصباح دقائق ، حيث يبدأ طابور الجري والنظافة . يقوم  
النزلاء بتنظيف حورة المياه والمكان وغسل القروان . والقروانة من الكاوتش  
الاسود ، أقرب إلى ( قصيرية ) الأطفال . وعلى النزيل أن يستخدمها أيضا  
في عمليات الرش .

يقول فوزي عطية ، « في الصباح الباكر عند فتح الزنازين رأيت  
آخرين من المجموعة التي حولي . كان للجوهري طريقته الخاصة في الرش  
باستخدام القروانة . ضربنا ضربا بشعا حتى نجد طريقته في الإمساك  
بها . لم يعد لأحد منا اسم . الجميع غدا اسمهم واحد « ولد يا ابن  
الكلاب » . كان هنالك معتقل عرفت فيما بعد أنه عاطف بسيوني . لم  
يستطع هذا المعتقل أن يتقن الطريقة ( الجوهري ) في الإمساك  
( بالقصرية ) . وقد ناله من جزاء ذلك كثيرا من الضرب . كان أحمر الوجه  
مما كان يسنفز محمد الجوهري ، فيلطمه على وجهه عشر ، عشرين  
قلما ، وهو يسبه ويلعنه على أساس أنه يبدو ( كضابط ابن كلب ) .  
الكرباج واللطم والركل والسباب وتعرية الظهر والضرب عليه في الوسط  
بكف اليد المفتوح بطريقة معينة مما يدفع بكل ما في معدة المعتقل إلى  
فمه ، كل ذلك يصيبك وانت تجرى وعيناك إلى الأرض ، »

الطعام « يمك » الجيش . عدس عادي ، عدس بجبة ، فولية .  
فول في الصباح ، وفول « بجمعة » في الغداء .

يقول فوزى عطية ، « الفتح وقت الاكل ، سواء في الغذاء أو العشاء ، دقائق أيضا • وقضاء حاجتك يتوقف على شطارتك خلال هذه الدقائق • لم تكن هنالك تعليمات خاصة بنا ، حيث لم يكن هنالك تحقيق حتى الآن • ولذا فقد كان امرنا معلقا بحارسنا يفعل بنا ما يشاء •

نظام الاكل ، تفتح الزنزانة ، ثم يلقي الحارس بقروانة الاكل امامك • احيانا كانت توجد قطعة من اللحم ، هي في الحقيقة اقرب الى الجلد منها الى اللحم • الكلاب حول الحارس تتشمم الاكل فان اعجبها اللحم وراق لها تناولته ، وعلينا ان نتركها تفعل ما تشاء راضين •

في تلك الزنازين المغلقة في عنبر ثلاثة ، كان هنالك تسعة واربعين مجندا ، منهم محمد طه ، عاطف بسيوني ، فوزى عطيه ، احسنى مشرقى ، محمد التهامى ، على جابونجى ، شكرى عبد الوهاب ، طه محمد الحسينى ، محمد الحسينى ، محمد فوزى عبد الحى ، عبد الخالق خضير ، حلمى العطار ، صفوت العباسى •

لم يكن هذا العنبر يخفى في جنباته المصريين وحدهم ، كان هنالك الفلسطينيون ايضا ، ابناء غزة • هؤلاء الذين كتب عليهم ان يعانون من الغزو الاسرائيلى يوما ومن الاساليب الديكتاتورية المصرية يوما آخر • كانوا هنالك منذ ابريل ، وقد عانوا مثلما عانى اشقاؤهم المصريين ومروا بنفس المراحل والملمات •

يقول فوزى عطية ، « كنا من ناحية ، وكانوا هم في الناحية الأخرى • كنا نرى بعضنا البعض من نظارة باب الزنزانة • كان معهم معين بسيسو • وكان فيهم عجوز يدعى نمر هنية : كان رجلا شجاعا • ما ان يرانا حتى يقول شعارات حماسية ، « والله يا ابنائى سأروى هذا لابنائى » • « سأقول لهم انكم قد منجتم » • « ان هذا الاجرام كنه » ، لن يغفره التاريخ » • كانت ظروفهم حينذاك افضل من ظروفنا • ولذا لم نكن نستطيع ان نبادلهم نفس اللهجة ، التى كانت تبدو غريبة على الاذن في هذا المكان • في الدور الأرضى ، كانت توجد طائفة أخرى من الفلسطينيين المتهمين بتجارة المخدرات • انهم ليسوا جميعا تجار مخدرات بالضرورة ، فقد كان الحاكم المصرى لغزة والجهاز الادارى المصرى هناك يفرضان على البعض اتاوات ، ومن لا يدفع ، يقاد الى السجن الحربى بهذه التهمة • الا انه كان منهم بالفعل تجار مخدرات يقضون الحبسة في ( بحبوحه

من العيش ) . وهم يدفعون للحراس رشساوى نقدية أو غذائية حتى لا يضربوا مواطيتهم السياسيين ، أو حتى يخففوا قبضة التعذيب عنهم . كانوا يدفعون ايضا لحمزة البسيونى ، فكان عند مروره على العنبر ، يقف معهم ، يستمع الى رغباتهم ، ويستجيب لها » .

ان الاساليب الديكتاتورية فى مصر ، قد خصت ابناء غزة عموما باكرامية خاصة . فالمنطقة خاضعة للحكم العسكرى . وكل من يقبض عليه هناك وتعجز السلطات المحلية من اجباره على الاعتراف ، ايا كانت تهمته ، يحول الى السجن الحربى هنا . فى أحد الايام وصلت اثسارة الى السجن الحربى تقول ، « يصلكم قاتل رفض الاعتراف ، عليكم الحصول على اعترافه » .

يقول عبد القادر ياسين ، « كان ذلك يوم ١٠ اغسطس ١٩٥٩ ، وكان اسم الرجل مطاوع الداية . وهو قاتل مأجور عريق فى الاجرام . كان قد افرج عنه منذ وقت قريب ، الا انه قام بعد الافراج عنه ، باغتيال محام مشهور فى غزة ، لحساب عائلة كبيرة . ولم تنجح اساليب التعذيب المحلية المحدودة فى ارغامه على الاعتراف ، فصدر الى السجن الحربى . وقد تم تعذيبه هناك تحت بصر المعتقلين السياسيين ، من ابناء غزة ، فى عز الظهيرة . قام بالتعذيب الباشاوايش أمين ومجموعة من الموقع تعززها قوة من الكلاب ، مدربة على النهش مكان لسعة الكرياج ، ذى الشعب السبع ، والمصنوع فى انجلترا خصيصا لاستخدامه فى المستعمرات . ثم علق الرجل الى الفلكة أكثر من مرة ، ثم قام الباشاوايش أمين بضربه بصورة متلاحقة فوق أم رأسه ، ثم بدأ فى نزع الشعر منها ، فاصابه الاغماء . فأمر أركان حرب السجن بالقائه فى بركة ماء فى فناء السجن ، باعتبار أن هذا الاغماء تمثيل فى تمثيل . كان يطلب الى مطاوع بعد كل فلكة يعلق عليها أن يجرى فى ساحة السجن . كان الاعياء باديا عليه وغدا عاجزا عن الجرى بتقديمه المتورمتين . وحانت منى للتفافة الى وجهه . كان للرجل قد شاب على الاقل ربع قرن . تهدل شاربه الذى كان الصقر يقف عليه ، وتحدث حاجباه . الا انه ، رغم كل هذا التعذيب ، لم يعترف . قال رئيس الاركان للضابط الذى احضره من غزة « لا عليك ، دعه الآن ، لأنه لابد معترف الليلة » . وبالفعل اعترف دون ان يمساوا شعرة أخرى واحدة من جسده . فقط قاموا بتمثيل تعذيب أحد جيرانه فى الزنازين المجاورة . عندها صرخ وطلب الاعتراف .

لم يكن المعتقل من نصيب الشيوعيين فقط من ابناء قطاع غزة . بل كان هنالك اربعة آخرين ايضا مودعين داخل السجن ، بناء على طلب



مكافحة المخدرات ، لابتزاز آلاف الجنيهاً منهم . واذكر ان الحساج محمد أبو دقة ، وهو من كبار اثرياء القطاع ، رفض الاستجابة لمثل هذا الابتزاز اربع سنوات ، ولا ادرى ان كان الاقراج عنه قد تحقق فيما بعد ، بعد استجابته أم بدونها .

لم يكن الاعتقال وقفا على المصريين والفلسطينيين ، من امثالنا ، والذي اوقعهم حظهم العاثر تحت الادارة المصرية في قطاع غزة ، بل تعداه الى بعض العرب . واذكر ، في هذا الصدد ، ايداع احد اعضاء الحكومة الجزائرية في المنفى ، في عنبر رقم واحد ، بناء على طلب عباس فرحات رئيس الحكومة المذكورة . وكنا كثيرا ما نسخر من تلك التوليفة العجيبة .

كان المصريون اكثر من اربعين واحدا . اغلبهم لم يكن شيوعيا . بعضهم كان له اقرباء شيوعيين في الحياة المدنية . احدهم كانت تهمة انه سافر بالقطار مع ابن عمته المتهم بالشيوعية . كان ساذجا وبسيطا ، لم يقرأ في حياته شيئا حتى الجريدة اليومية . وكان مندهشا اننا نعيش في فلسطين دون ان يكون لدينا نهر النيل . وظل يسألني حتى افترقنا عن مصدر المياه التي نشربها . وكان هنالك ايضا ملاكم فارغ الطول مفتول العضلات وواحد من ابطال التجديف . وقد عذب حتى كتب اعترافا قال فيه ان اسمه الحركي خباية ، ظنا منه ان الحركية تعنى السلاح الميكانيكي . والجدير بالملاحظة انه غش اعترافه من زميل له ، لعدم قناعة المحققين باعترافاته الملفقة . والاجدر بالملاحظة ان اباه عندما زاره فيها بعسد وعرف باعترافه ، بصق في وجهه ، وقال ، « حتى المومسات لا يعترفن تحت اقصى درجات التعذيب » . وكانت وظيفة والده هذا مخابرا في وزارة الداخلية .

وكان هنالك رجلان من صولات الطيران في الخمسين من عمرهما . وكانت التهمة الموجهة اليهما ، انهما يعرفان يوسف صديق - والذي لم يكن معتقلا . وقد مورست ضدهما ابشع اساليب التعذيب حتى فقد احدهما عقله .

كانت التهمة التي قبل للحراس اننا اعتقلنا بسببها اننا جواسيس للعراق . وكان هنالك احد الحراس ويدعى الشاويش سيد ، وكان شرسا غاية الشراسة طوال مدة تعذيبنا والتي استمرت سبعة وعشرين يوما ، وقد حدث بعد ان انتهت هذه الفترة ، وادخل التلفزيون لنا في مقابل هدية مماثلة لرئيس الاركمان ، ان بدأنا نعلم الشاويش سيد القراءة حتى نمحو اميته ، الا ان الرجل انتفض بعد عشرة دروس وقال ، « كفى ، اذ

انى لو بدأت اقرأ فلابد انى سوف افهم ، وان فهمت سأتى هنا مكانكم ،  
ومن يومها كف عن التعلم ، .

وهناك فى المعتقل رقم واحد سجنى المناضلة الفلسطينية صهباء  
البربرى ، زوجة المناضل الفلسطينى معين بسيسو ، لتستكمل الصورة  
بتشاعتها . ولتمض ايامها بين جدران معزولة ، تستمع دوما الى معزوفة  
التعذيب الشيطانية ، وهى اشد هولا ونكالا من التعذيب ذاته .

ولا يقف الامر عند هذا الحد من الجرائم . بل كانت الغارات على  
المناضلين فى غزة تستخدم لتغطية جرائم رجال الأمن ، المعادية لمصر حقا ،  
المخرجة لاقتصادها ، المنافية - فى أبسط صورها - لقرارات النظام الحاكم  
ذاته .

يقول عبد القادر ياسين (١) ، « وجهت الادارة المصرية ضربتها  
فى ٢٣/٤/١٩٥٩ ، لثمانية عشر من الشيوعيين والوطنيين الديمقراطيين  
من القطاع ، هم : صهباء البربرى ، معين بسيسو ، فخرى مكى ، سمير  
البرقونى ، عبد الرحمن عوض الله ، محمد الشامى ، أحمد خليل الحاج ،  
عوض حجازى ، عبد الله زقوت ، محمد أبو حمدة ، خليل عويضة ، فريد  
أبو وردة ، محمد ابراهيم البرش ، جبرا الترزى ، نمر هنية ... وفى  
العاشر من اغسطس ١٩٥٩ شنت سلطات الأمن المصرية حملة اعتقالات  
جديدة فى القطاع ، شملت : عمر عوض الله ، محمد عيسى جابر ، محمود  
صالحه ، منصور الحداد ، عبد القادر ياسين ، فليب الهريبطى ، محمود  
نصر ، عبد المجيد كحيل ، موسى سابا ، عمر السوطرى ، محمد أبو زريبة ،  
درويش الوحيدى ، عطية مقداد .

والعاشر من اغسطس ، تاريخ لم يكتسب اهميته من السياسة  
بحسب ، بل له موقعه الهام فى تاريخ التهريب بالقطاع . فهذا التاريخ  
كان آخر موعد حددته الحكومة المصرية لاستبدال العملة المصرية فئة  
الخمسين والمئة جنيه مصرى ، فى محاولة منها لضرب المهربين ، الذين نجحوا  
فى اخراج كميات كبيرة من هاتين الفئتين من مصر ، بهدف ضرب الجنيه  
المصرى خاصة والاقتصاد المصرى عموما .

وحدث ان اتفق سعيد حامد يحى ، نائب مدير المخابرات العسكرية  
بالقطاع ، وكمال المهدي حميده ، مدير الداخلية والأمن العام ، مع بعض

---

(١) كتاب « حزب شيوعى ظهره الى الحائط » ، لعبد القادر ياسين .

كبار تجار غزة على اىصال الكميات المتوفرة لديهم ، والتي استحضروا اغلبها من بنوك لبنان ، الى مصر .

وتفتت عقول رجال المخابرات والداخلية عن حيلة بارعة ، لها بريق وطنى قرمى يخطف الابصار . فسيارات المعتقلين الشيوعيين « الخطرين على الوطن والأمة » ، لا يجرى تفتيشها على الحدود ، وبها يمكن نقل كميات وافرة من الجنيهاات المصرية ، تستبدل فى البنوك المصرية بمجرد وصول « نقلة » المعتقلين الذين « يعرقلون مسيرة التحرير الى فلسطين » ، الى القاهرة ...

فى البداية تم تجميع موجتى المعتقلين فى السجن الحربى بالعباسية ، فى ضواحي القاهرة ، وهو السجن الذى يحمل سمعة فاشية مرعبة . وكانت المرة الأولى التى يستقبل فيها هذا السجن فتاة ، حين دخلته المناضلة الشيوعية الفلسطينية صهباء البربرى . فى الرابع والعشرين من ابريل ١٩٥٩ ، بعد أن تصدت لموجات الفاشيست وعلاء أجهزة الأمن فى مدرسة الزهراء الثانوية للبنات بغزة ، فى بسالة عز نظيرها ...

فى يوليو ١٩٦٠ تم الافراج عن اربعة من المعتقلين الواحد والثلاثين .

وفى ٢٩ اغسطس من السنة ذاتها تم نقل بقية المعتقلين الى سجن المحاريق بالواحات الخارجة .

### تحقيقات المخابرات :

ان عنبر رقم ثلاثة بالسجن الحربى ، هو عنبر اعداد المعتقلين وترويضهم لرحلة تالية . هم هناك لا يطلبون منهم شيئا ، فقط يسبغون عليهم فيضا من نفحاتهم وبركاتهم الجهنمية ، ثم يأتى الاستدعاء للمخابرات .

يقول فوزى عطية ، « استمرت الاوضاع هكذا حتى الثامن من مايو ، فى التاسع منه طلبتنى المخابرات مرة أخرى للتحقيق ، كان هنالك عاطف بسيونى ايضا ، لقد عرفته ذلك اليوم . كانت هنالك مجموعة منا ، الا ان التحقيق كان فرديا . ويبدأ التحقيق بضرب المستدعى علكة طيبة . اربعة من الجنود المسلحين بفروع الشجر ذات العقد وسلوك الكهرياء المبرومة ، وايدى المقشطات . انهم يركزون الضرب على فرد بعينه . الجميع يضربه فى ذات اللحظة . علكة تجهيز يمكن ان تستمر نصف



ساعة . ادخلت بعد ذلك على رائد يدعى حسن طاهر . كان هو المسئول عن اجراء التحقيق مع مجموعتنا العسكرية . كان ناعم المظهر للغاية . يرتدى بذة ملكية ، قصير القامة ، ابيض للوجه ، يتكلم في رقة باردة . يشعر كانه في وسعه ان يدخلك النعيم او الجحيم . لا يتخذ في اجراءاته اى مظهر رسمى . لا يسأل ، ما اسمك او سنك . كان واضحا انه لم يكن لديه اية معلومات . فقط ما يسمى بورقة الاستطلاع . ولقد لاحظتها بالصدفة ، وكان فيها انفى شوهدت ومعى مجلات عراقية « فهمت فيما بعد ان المقصود بها مجلة « المثقف » الادبية » . كما جاء فيها ايضا انفى شوهدت وانا اوزع المنشورات . لم يكن لديه معلومات ، وهو يريد ان يحصل على تلك المعلومات منك . فان لم يكن لديك معلومات ، فهو لابد يحاول الوصول الى اعتراف بمعلومات ملفقة .

- انت شيوعى ؟

- كلا .

- ماذا كنت تفعل في الجيش ؟

- لا شئ .

- راوك توزع المنشورات ، يا ابن الكلب .

- ولماذا لم يمسك بى من رآنى اوزع المنشورات ؟ .

قال ، « خذوه » . واخذونى . زاد زمن الضرب الى ثلاثة ارباع الساعة . طوروا عملية الضرب . المكان الذى اخذونى اليه هذه المرة ، كان في الاصل جمنيزيوم ، توجد به منضدة بنج بونج . كان على ان انام بنصفى الاعلى فوقها ووجهى الى اسفل ، على ان احتضنها كالعروسة . كتف اثنان منهم ذراعى بينما اخذ الآخران في الضرب . كان الضرب احيانا يصيب هذين المسكين بى ، ففكروا في شئ آخر . كان هنالك مقعد . ارقدونى على ظهري ، وضعوا الكرسي بحيث يكون ظهره ناحيتى ، حشروا رجلي من فتحات ظهر المقعد ، ثم ربطوها بحبل من ليف . كانت اقل حركة اثناء الضرب تجعل الليف يحز في الجلد . بعد جرعة الضرب ، فكروا رباطى حتى اجرى . لاحظت انهم اكثر دربة ودراية بوسائل التعذيب من هؤلاء الذين في السجن الحربى . قال واحد منهم : لماذا لا تتكلم يا ابن الكلب ؟ نحن نود خدمتك ، وانت تسبب الضرر لنفسك .

قلت : ماذا افعل ؟

قال : خذ واكتب .

اعطوني ورقة وقلمًا ، كتبت موضوع انشاء . « انا شيوخى .  
مهمتى فى الجيش ان اكون قدوة ، حسن التصرفات والعلاقات مع الجنود .  
لا يمكن ان ادبر انقلابا ، اذ لم يمض على التحاقى بالجيش غير ستة  
اشهر ، اخذونى وما كتبت . قال بعد ان قرأ الورقة .

— يا ابن الكلب . لم تأت بجديد . خذوه .

واخذونى . وبدأ الضرب من جديد . فى تلك المرة ابتكروا اسلوبا  
آخرا . استخدموا سقف الجمينزيوم . فى السقف اخشاب ممتدة . شقوا  
الى واحدة منها حبلا من سلك . ربطوا قدمى فى نهايته . جذبوا السلك  
الى اعلى فأصبحت رأسى الى أسفل . صعدوا فوق منصدة البنج بونج  
واخذوا فى ضربى .

فى هذا اليوم ضربت ثمانية عشر ساعة من الاربع وعشرين ساعة .  
فترات الراحة كانت رغما عنهم ، اذ كان لديهم عمل مع آخرين يستدعون  
للتحقيق . المحقق عديم الخبرة بالقضايا الشيوعية ، او تكييفها القانونى  
او أى فهم بالايديولوجية . هو لا يريد معلومات خارج اطار الجيش . وفى  
اطار المعلومات هو يريد بالتخصيص اسماء ، اسماء ضباط وجنود ومخطط  
لانقلاب عسكرى شيوخى . اذكر انه كان هنالك شخص لا علاقة له البتة  
بأى شىء . سأل الشاويش الذى جرى التعذيب .

— يا ابن الكلب . من معك فى الخلية ؟

— يعنى ايه خلية يا افندم ؟

— للناس الذين تجتمع معهم .

— يعنى ايه يا افندم ؟

— الذين معك يا ابن الكلب .

فعدد الجندى المعتقل عشرة اسماء من وحدته . ولم يمض وقت طويل  
حتى كانت تلك الاسماء ، اسرى يجرى عليها كل ما يجرى علينا .

التعذيب والكتابة ثمانية عشر ساعة . فى البداية نفيت كل شىء ،  
ثم كتبت اعترافا على نفسى ، انا شيوخى . لم اقم بعمل اجتماعات فى  
الجيش . الشيوعيون بعيدون عن مسائل الجيش . ليس لديهم أى مخطط  
لعمل انقلابات فى الجيش . لم يكن لدى أى تكليف ، لكنى كنت اصدر  
مجلة من باب الهواية . ثم ، انا عضو فى الحزب الشيوعى ، حاولت تجنيد  
بعض الناس ، الا ان الوقت كان ضيقا فلم اجند احدا . احسست انى

ضعت نجاهدت ان احصر الضياع في نفسي . ان ادور في نفس الاطار  
بمجموعة من الصياغات المختلفة . ان اتناول المسائل باعتبار انها  
افتراضات وليست حقائق تم وقوعها . بمعنى اننى لو كنت جندت احدا ،  
لكنت اعددت كذا وكذا من الأمور ، الا اننى لم اجند احدا . وفي كل مرة ،  
كان للضابط المحقق يرفض ما اكتب ويستمر الضرب . لم يحصل منى على  
اسم واحد ، وكان ذلك لب الموضوع . لقد ذكر امامى اسم الضابط حطى  
الجنجيهى كى اعترف عليه ، الا اننى انكرت معرفته ، برغم ان هذا الضابط  
كان يهدد - قبل الاعتقال - بانه سيسحق الشيوخ بالديابات . التعذيب  
مستمر . ومحاولات جنود المخابرات لا تتوقف : « لماذا لا تقل اى شيء  
وتنجو بجلدك ؟ » ربما كان البعض يود الايقاع بى ، وربما كان البعض  
الآخر مشفقا بحق . وانا امسك بوعبى ، ادور في حلقسة تلف حولى  
ولا تبعد عنى . اخذونى فيما بين فترات التعذيب الى تومرجى المخابرات .  
كنت عاجزا من الجلوس على مؤخرتى . كانت هنالك مرآة ، نظرت فيها ،  
فهللتى منظرى ، كان ظهري كتلة سوداء دامية ، فزع الرجل من مرأى ،  
لكنه اعتذر بعجزه عن فعل اى شيء . كانت قدمائى قد تورمتا من اثر رباط  
الليف ، وقد غرقت في الدم . كان الحز فيها قد بلغ العظام (١) . فكرت في  
الانتحار . في ان اضح اصبعى في الكهرباء . في ان افعل اى شيء ينسف  
هذا الذى انا فيه . زهق منى المحقق . لم تكن المسألة بالنسبة اليه ان  
اعترف على نفسه ، ايا كان قدر هذا الاعتراف . القضية بالنسبة اليه  
هى اسماء ، واسماء فقط . وعندما لم يظفر بشيء بعد كل هذا الجهد ، وبدا  
على اننى اوشك على الفناء ، أمر باعادتى الى السجن الحربى .

### السجن الحربى - عنبر رقم اربعة

#### عنبر التحقيق والتعذيب بهدف التركيع

عاد المعتقلون من المخابرات الى السجن الحربى مرة أخرى . الجرى  
بالخطوة السريعة والضرب ، الا ان محمد الجوهرى لم يمنحهم هذه المرة  
« اكرامية المدخل » . فقد سبق لهم الدخول ، ولم يعودوا اغرابا على دار  
الشقاء تلك . فزع الجوهرى فزعا شديدا عندما رأى ما حل بفوزى  
عطيه . قال له :

— من ذا الذى فعل بك ذلك ، يا ولد يا ابن الكلب .

(١) كشف عن ساقيه قرب القدم . كان الحز باديا فيها بعد أكثر  
من عشرين عاما . ( فخرى لبيب ) .



قال فوزى :

— المخابرات •

قال الجوهرى مذهبولا :

— هل هنالك من هم أكثر منا أجراما • يا ولدي ابن الكلب !!

يقول فوزى عطيه ، « امسكت المخابرات أكثر من مائتى شخص :  
الا ان الامر انتهى الى تسع واربعين • كان الدود قد بدأ يتكاثر فى جروح  
قدمى المتقيحة • استخدم زميلى محمد طه كل ملكاته ولباقته وخبرته  
السابقة فى السجن للتأثير على الامباشى سيد كى يحضر لنا قطعة قطن  
عليها نقطتين من الميكروكروم • واعتبرنا ذلك مكسبا سياسيا كبيرا •  
اصبحنا كل اثنين فى زنزانة • استمر الوضع هكذا حتى ٢٥ مايو ، •

نقل التحقيق الى السجن الحربى استكمالا لاجراءاته • نقل  
المعتقلون الى عنبر اربعة • عذب التعذيب المكثف والتحقيق مع التشديد •  
عاد الحبس الانفرادى ، والنوم على الأرض ، والطعام الردى ، محدود  
الكميات للغاية • وانهضت لجنة التحقيق ليلا امام مبنى الادارة • كان  
يرأس اللجنة عشوب ، ضابط المباحث العامة — مكافحة الشيوعية •  
وبدأت مجزرة جديدة من الضرب بكل صنوفه والكلاب الناهشة ، وتغطيس  
وجوه المعتقلين فى مياه البركة القائمة فى فناء السجن والتهديد باغراقهم •

يقول فوزى عطيه ، « سلمت المخابرات الامر الى المباحث العامة •  
ثم التركيز على هؤلاء الذين لم تركز عليهم المخابرات • فى هذا المكان عذب  
الزملاء تعذيبا وحشيا بشعا • كان هنالك صول طيران يبلغ من السن  
نيفا وخمسين عاما ، ضربه جنذى عادى ضربا شديدا على رأسه • كساد  
يجن من الضرب العنيف والمهانة الاعنف •

عندما استدعيت كانت حالتى الصحية سيئة للغاية • سألونى عن  
موضوع ما لم تذكره المخابرات ، اذ عندما تم استدعائى وانا فى  
الجيش ، واحسست ان هنالك اعتقال ، طالبت من شخص كان معى يدعى  
حسن محمد أمين — وكان قبل تجنيده يعمل مدرسا ابتدائيا فى المنيا —  
ان يتصل تلفونيا بصديق لى اسمه نبيل رياض ، كى يخبره بضرورة  
الاتصال بابا كى يقوم بتنظيف مسكنى • كان هذا الشخص قد نهم من  
حديثى أننى ماركسى ، فعقد معى صداقة ، وكان يزورنى فى منزلى ، فرأى  
الضابط الجنجيهى وانا اصافحه على محطة الاتوبيس • ويبدو ان هذا

الشخص كان جاسوساً . وانا اعتقد ان هنالك احتمالين ، الأول ان هذه المعلومة وصلت الى المخابرات متأخرة ، والثانى ان المخابرات لم تهتم بها باعتبار انها مسألة خارج الجيش ، وعلى هذا قامت بتسليمها الى المباحث العامة لاستيفائها . سألتنى المخابرات عن على الجثجيهى ، وسألتنى عبد الرحمن عشوب عن هذا الذى طلبت الاتصال به . وماذا كان فى المنزل لينظفنه اخى ؟ . قلت الأول صديق يعرف اخى ليخبره بالقبض على ، اما بالنسبة لتنظيف المسكن ، فلقد قلت انى شيوعى وبالتالي لابد ان تكون فى منزلى أوراق ، .

انتقلت معهم الى عنبر اربعة نفس مجموعة الحراسة الخاصة بعنبر ثلاثة . سيد وبكر والجوهري . وفى قلب هذا الاعصار ، بدأ الجندى العادى محمد الجوهري يكشف عن جوهره . لم يكن قد سمع عن الشيوعية من قبل . كانت المسألة التى تحيره ، هى هذه المجموعة الصغيرة من العسكريين ، وكل ذلك الحساب والعقاب الذى اوقعته الدولة بهم . كان يتساءل فى دهشة : « انتم يا اولاد الكلاب تخيفون الدولة ! الدولة كلها تخافكم ! » . كان اقصى ما وصل اليه من فهم ، ان هؤلاء المعتقلين كانوا يحاولون اخذ شيء ما من الدولة . ولذا فان الدولة قد صبت عليهم كل هذا لاضطهاد . الا انه كان يدرك بوضوح انه اضطهاد الخائف . كل الدولة تخاف « اولاد الكلاب هؤلاء » . وبالتصرف للقلقى للمصرى العادى فى مواجهة الدولة ، بدأ الجوهري يأخذ جانبهم دون ان يدري . كان يهمس لهم ، « انت يا واد انت وهوه » اوعى حد منكم يقر بحاجة ، اوعى حد منكم يلبس نفس قضية . كل واحد يستحمل قلمين ، كرجاجين ، ينتحر ، لكن ما يقرش بشيء وما يلبسشى نفسه قضية ، .

وعلى جدران الزنازين سجل كل من سبقهم ما عناه . حفر الاخوان المسلمون صوراً ورسوماً باظافرهم . صورة الكرجاج وهو ينهال على جسد بشرى . صورة امرأة محجبة ، ربما كانت زوجة أو أخت أو خطيبة . صورة عدد من الاطفال وقد ارتسم الضياع على ملامحهم . آيات قرآنية عن الصبر . كل ما حدث ، وكل الاحلام الانسانية البسيطة مسجلة حفرية غائرة فى حوائط معتقل التعذيب المكثف .

انتهى تحقيق المباحث العامة ، واعيد الزملاء الى عنبر ثلاثة مرة أخرى . كانت الظروف افضل ، مع استمرار الاسلوب التقليدى اليومى ، طابور الصباح والضرب والكلاب على استعداد للتدخل ان خيل للشاويش ان هنالك مخالفة ما .

## استشهاد مناضل

### مصطفى شوقي البهنساوى

استدعى فوزى عطية للمخابرات مرة أخرى . وجد هنالك معتقل آخر من نفس فصيلته ، كان يرتدى بيرييه المشاة ، من نفس السلاح . يقول فوزى عطية ، « لهم اكن اعرفه » سألته عن اسمه . ولم اتذكر انى قد سمعت بهذا الاسم من قبل . سألنى عن اسمى ، فلما عرفه قال ، « اذن هو انت ؟ » لقد امسكوا بى من اجلك » قلت ، « كيف ؟ » . قال ، « سألونى عنك . هل اخبرتهم انت بشىء عفى ؟ » قلت ، « وهل انا اعرفك حتى احديثهم عنك ؟ انها بعض الاعييبهم للايقاع بك » . اخفونا الى الجمنيزيوم ، وهنالك لقيت مصطفى شوقي البهنساوى . تذكرت انى قد رأيته من قبل . كان قد اتى مدة يومين فى السجن الحربى . كان قصير القامة ، اسمر الوجه ، يرتدى بيرييه اسود . يبدو انه كان فى المفعية . كان الآن بين الحياة والموت .

قال جندى المشاة المعتقل لفوزى عطية ، « يبدو انهم قد اخذوه بدلا منى . لقد جاءوا الى هنا وامسكوا به » . واخذوا فى ضربه ضربا شديدا باعتبار انه ينكر معرفته بك . كنت انا المقصود بهذا الضرب . قال لهم شوقى انه لا يعرفك . لما شئت الضرب عليه حتى اصابه الاعماء . احضروا جردل ماء وصبره عليه حتى يفيق كان الجو حارا وخائفا ، واستمر الضرب بعد افاقته .

يقول فوزى عطية ، « يبدو ان جهاز التعذيب كان مكلفا بضرورة تحقيق اعتراف على . وكان زميلى فى المشاة ، والذى لا يعرفنى ولا اعرفه ، هو المقصود بهذا التعذيب وصولا الى الاعتراف المطلوب . الا انهم بدلا من تعذيب هذا الشخص ، وقعوا بكل تعذيبهم على شوقى البهنساوى . وقد استدعيت بعد الظهر للتحقيق . سألنى الضابط عن زميلى فى المشاة ، فقلت ، « لا اعرفه » . قال ، « لكنه يعرفك » . قلت ، « لقد قلت بكل شىء عن نفسى . وليس هنالك اكثر على الانسان من نفسه . هذا الرجل لا اعرفه . وان شئتم واجهونى به . استدعوه هو ايضا من بعدى ، فاناكر معرفته بى . الا انهم لم يواجهوننا ببعضنا البعض » .

كان البطل شوقى البهنساوى بعد افاقته مثنى وثلاث ، ليعاودوا تعذيبه ، قد دخل فى اغماء طويلة ، وبدأت ترتفع حشرجات الموت .



يقول فوزى عطية ، « عندما رأيته في هذه المرة ، كان بين الحياة والموت . كان في اغماء النهاية وساد الارتباك الشديد بين الضباط والجنود . كان مهزوزين للغاية . وكنا نحن متعبين للغاية ايضا . نمنا في الجمنيزيوم حيث كان يجرى تعذيبنا . كان هنالك صوت شخير . حشرات الموت تتوالى . فجأة انقطع الشخير فاستيقظت . كانت انفاس شوقى الأخيرة قد تلاشت . عندما ينام المرء وفي اذنيه صوت ، فانه يتنبه عند انقطاع هذا الصوت . كانوا هنالك حوله . حاولوا انقذاه دون جدوى . كان شوقى قد مات . جاءوا الينا . احسوا اننا يقظان ، واننا قد رأينا ما جرى . قالوا ، « سوف ننقله الى المستشفى حتى ينال رعاية افضل » . عادوا بعد قليل . فقد احدهم حنره فقال ، « حذار ان يقول احدكم انه قد مات » . افلتت منه دون ان يدري . اكمل ما قال ، « سوف نفرج عنكما . فقط لا أحد منكما ينطق بشيء مما رأى أو سمع » . كان حسن طاهر - المسئول عما جرى في هذا اليوم وما سبقه - في أسوأ حال . لم يكن يدري هو ومن معه ماذا يفعلون . قالوا لنا بعد ذلك ، « لقد ارسلناه للعلاج . سمعنا اشاعة صادرة عنكما تقول انه مات . انه لم يميت . وان نطق أحد منكما بغير ذلك فسنقضى عليه . وعموما لم يحدث أى شيء ، وسوف نفرج عنكما » . »

الخوف الجبان طمخ امام جثمان الشهيد البطل . الكلمة الوحيدة الصادقة فيما قالوه ، انه لم يميت . « كان هذا المناضل ، مثله مثل آلاف ابناء الصعيد قد هاجر من قريته في مديرية جرجا هربا من الفقر . انتهى به المطاف الى واحد من مصانع النسيج في القاهرة ، حيث تلقى اول دروسه في الصراع الطبقي . رأى الآلة تعترض دمه ودماء الآلاف ذهبا تصبه في جيوب الرأسماليين . ورأى الدولة تقف الى جانبهم ضد العمال . . . وشاهد الدبابات تحاصر المصانع . حينما يضرب العمال من أجل مطالبهم . ومن خلال كل ذلك أدرك أهمية التنظيم السياسي للبروليتاريا ، فانضم الى إحدى المنظمات الشيوعية ، التي تكون من مجموعها الحزب الشيوعى المصرى فيما بعد . وظل يناضل بين العمال لربط حركتهم بالحركة الاشتراكية . الى أن طلب لاداء الخدمة العسكرية ، وذات ليلة ، وبعد ان عاد الى وحدته بالاسكندرية من زيارة زوجته الحامل ، القى القبض عليه ، وجيء به الى ادارة المخابرات في القاهرة في ٢ يوليو ١٩٥٩ » (١) .

واستمر التعذيب حتى اليوم التالى . لم ينالوا من البطل كلمة . واكد صمته الابدى كل مخاوفهم الدنيئة . لابد أن هنالك ما هو اثنى من

(١) كتاب الاقدام العارية لطاهر عبد الحكيم .

الحياة ، ذلك الذى احتفظ به الشهيد فى اعماقه ، وحمله معه الى الابدية ،  
سرا لا تطاله ايديهم ابدا .

### الهزيمة :

عندما جاء ٢٣ يوليو ، صرح للمعتقلين بالزيارات . كان وضع هذه  
المجموعة من العسكريين غريبا ، هم من الناحية الرسمية ما زالوا بالجيش ،  
الا انه ليس فى الجيش ما يسمى اعتقالا . وهؤلاء المقبوض عليهم لم  
يرتكبوا المخالفات المنصوص عليها قانونا . فذلك المخالفات لها اجراءات  
وروتين خاص . وتلك الاجراءات وذلك الروتين لم يطبقا عليهم . ومن  
هنا اسموهم بالمتحفظ عليهم ، وسمحوا لهم بالزيارات .

طلبوا منهم ان يخاطبوا اهلهم حتى يأتون لزيارتهم . وبدأت  
الزيارات ، وبينهم وبين الاهل اسلاك . هم فى ناحية ، والاهل فى الناحية  
الأخرى ، وبينهما منطقة عازلة يتجول فيها جندى . ثم تطورت الزيارة  
ليجلسوا معا فى مكان واحد . ومع الزيارة يأتى الطعام من الخارج  
والسجائر والنقود ايضا . وحيث انه لم تعد هناك اوامر مباشرة خاصة  
بطريقة التعامل معهم ، فان كثيرا من القيود التى حولهم يمكن ان تتهاوى .

يقول فوزى عطية ، « كانت جروحي خطرة ، طلبت من اهلى احضار  
بنسلين . وبدأت اعطى تومرجى السجن نقودا كي يعالجنى . فبدأ عمل  
غيارات للجروح . وركب لى فتائل لا يقل طول الواحد منها عن ربع  
متر . كان يدخلها فى كل جرح ويتركها اربع وعشرين ساعة ، ثم يعود الى  
رفعها وتركيب غيرها . وهكذا ، »

فشلت خطة تلفيق قضية عسكرية ، قضية مؤامرة شيوعية داخل  
الجيش تستهدف القيام بانقلاب عسكري شيوعى . وبدأت محاولات  
للممة الموضوع وتحويله الى قضية جنائية ، اوكل امرها الى المباحث  
العامة . ثم احيلت الى نيابة امن الدولة . كان المحقق هو صلاح نصار .  
يقول فوزى عطية ، « كان من الواضح ان صلاح نصار غير مقتنع بما  
امامه من تحقيقات ، كما كان من الواضح ايضا ان المباحث العامة غير  
راضية عن تدخل أجهزة اخرى فى اختصاصها . كان صلاح نصار يسأل  
كل منا :

— هل قلت هذا الكلام ؟

فان كان الكلام خطيرا ، كان الواحد منا يقول :

— نعم قلته تحت التعذيب .

فيعود يسأله :

- هل عذبوك ؟

فيجيب :

- نعم . عذبت عذابا شديدا .

فيطلب منه رؤية ما وقع عليه من تعذيب . ويسأله عن قام بهذا التعذيب . الا انه لم يكن يسجل اسماء الضباط . كان يسجل فقط اسماء الجنود الذين نفثوا أوامر التعذيب .

وفي السجن الحربى بدأت محاولة خبيثة . استدعونا في احسد الايام . قالوا لنا : « ليس لدينا ضدكم تهمة ما . اننا سوف نفرج عنكم . الا اننا قبل خروجكم ، سوف نجرى كشفا طبيا عليكم ، المصاب منكم سيرسل الى المستشفى لعلاجه ، اما غير المصاب فسيخرج الى منزله فوراً . كان هذا الكلام يعنى انه من الافضل لنا الا نذكر شيئا عما اصابنا ، اى ما وقع علينا من تعذيب ، ومن يفعل ذلك سوف يفرج عنه على الفور . كانت اللعبة سانجة . وكنا نحن منتبهين اليها تماما . فبدانا مناقشة المعتقلين جميعا . وقد لعب الزميل محمد طه دورا هاما في هذا الموضوع بما له من خبرة سابقة . لم يكن بين التسعة والاربعةين معتقلا غير عشرين لهم علاقة فعلية بالسياسة ، اما الآخرون فلم يكونوا كذلك . وكان لديهم استعداد للقبول بهذا العرض » .

وجاء الطبيب الشرعى ببناء على طلب نيابة أمن الدولة . وقابلته ادارة السجن الحربى مقابلة مشحونة للغاية بالتوتر والتحفز . اوقفوا المعتقلين امام مبنى الادارة في طابور . كان الطبيب واقفا والكلاب تدور حوله وحول المعتقلين في استعراض مخيف رهيب . لم يقدموا له مقعدا حتى يجلس عليه اثناء الكشف على المعتقلين ، فأخذ هو ينتقل من واحد لآخر في الطابور . يسأل كل منهم ان كان قد تعرض للتعذيب . وكل من رد بالايجاب أجرى الكشف عليه ، واثبت كل ما في جسده من آثار وجراح .

يقول فوزى ، « فشلت محاولة القضية العسكرية ، وكذا القضية الجنائية . ولم تعد هنالك ضرورة للابقاء علينا في السجن الحربى . رحلنا الى معتقل المحاريق بالواحات . لم نمر على المباحث العامة . يبدو اننا قد سلمنا اليها على الورق . كنت في أول دفعة رحلت الى الواحات . كان عددنا احدى عشر معتقلا . ثم جاءت الدفعة الثانية بعدنا ، وعددها تسعة زملاء . كان ذلك في النصف الثانى من شهر نوفمبر عام ١٩٥٩ .



في نفس يوم ترحيلنا فصلنا من الجيش . جاء في خطاب الرفد من الخدمة العسكرية ، انه قد تم بناء على قرار نائب القائد الاعلى للقوات المسلحة ( المشير عبد الحكيم عامر ) ووزير الحربية ، خطاب رقم بتاريخ      تقرر رفده من الخدمة العسكرية ... مدة الاحتياط - لا توجد .  
النماذج سليمة ، حيث لا توجد اى تهمة بمخالفات عسكرية . درجة الاخلاق : قدوة حسنة . وصرف مكافأة نصف جنيه عن كل شهر في خدمة الجيش . كان الرفد بناء على خطاب نائب القائد الاعلى لعدم رغبته في ابقائهم ( المعتقلين ) بالقوات المسلحة .

انتهت المؤامرة البشعة الى هزيمة حقيقية . عجزت المخابرات عن تنفيذ قضية عسكرية . وانتهى قرار الفصل الى انهم رفقوا من الجيش لانهم كانوا قدوة حسنة ، تحمل على كل جزء من جسدها اوسمة الجلاء لمن اراد ان يكون قدوة حسنة . وتؤكد الكلام الذى بدأ به فوزى عطية اجابته منذ التحقيق معه ، « انا عضو بالحزب الشيوعى المصرى ، ومهمتى فى الجيش ان اكون قدوة حسنة » .

ان هؤلاء الرجال العشرين ، القدوة الحسنة حقا ، قد خرجوا من محنة السجن الحربى وامتحانه اشد مضاء وصلابة . انهم بدمائهم التى تركوها على كرابينج السفاحين وهرأواتهم ، وباجسادهم التى نهشتها الكلاب العاوية او الزاعقة ، قد هزموا كل تلك الآلة الجهنمية . ان شوقى البهنساوى البطل الشهيد ، كان راية حمراء طاهرة فى قلب هذا الجحيم ، لقد امسك براية حزبه فى مواجهة جنون جلاديه ، فاحال ما تخيلوه نصرا مبينا الى هزيمة مطلقة .

ان اختيار المناضلين طريق الصمود والتضحية حتى الموت ، هو الذى امثل المخطط المدبر ، وازضاف الى تاريخ الشعب المصرى صفحة مضيئة فى مواجهة تلك الايام الحالكة .



## الفصل الخامس

معتقل العزب — فيوم

ابراهيم مرسى

عبد الرازق حسن

عبدلى جرجس

فخرى ابيب

فوزى حبشى

لطفى الخولى

لمى يوسف

محمود عبد الخالق

مهاطفى هجرسى

منجد توفيق

نبيل زكى

نبيل صبحى



## الترحيلة

الظلام سائر يحتوى خلفه هؤلاء الذين يخشون افتضاح امرهم .  
هؤلاء الذين يتخذون من الحلقة رداء يستتر عوراتهم . هم أنشط الخلق .  
عندما يكون الناس عامة في عمق ساعات النوم . اللصوص المحترفون  
يعرفون جيدا ان الساعات الأولى من الصباح هي انسب ساعات  
العمل . انهم ينقضون على فرائسهم وهم في اضعف لحظاتهم . انهم  
يستمدون من ضعف الآخرين قوة .

المعتقلون نيام في معتقل القلعة . فاليوم كالامس ، والليلة  
كسابقتهما . الا ان هذه الفرائس المحتجزة خلف جدران القلعة السميكة ،  
وابواب زنازينها المزدوجة ليسوا ككل الفرائس . انهم يعرفون كيف  
يمتصون المفاجأة ويواجهون تأثيرها . كيف يزيحون الغلظة الشجاعة  
الزائفة والابهة المفتعلة ، ليظهر لصوص الفجر على حقيقتهم . . مجرد  
جبنا يتلفعون باردية من الوهم الباطل .

والقصة واحدة . ينزاح الصمت الثقيل المخيم على معتقل القلعة ،  
تفتح الزنازين بعد منتصف الليل في غير موعدها . يبدأ المعتقلون في  
الاستيقاظ على غير المعتاد . ما زال الليل البهيم يصبغ السماء . ويبدأ  
التساؤل ما بين اليقظة والنم ، ثم تنداح تلك اللحظات الناعسة ، وتحل  
محلها اليقظة الكاملة ، وتنشط ارادة التحدى والمجابهة . هنالك جديد ،  
والجديد في الظلام يعنى أمرا جلا جرى تدبيره بليل ، ولا ينفذ الا في  
غلاية من سواد . انها الترحيلة ، ولكن الى اين ؟ . كان هذا السؤال  
مجهلا بالنسبة للدفعات الأولى ، الا انه أصبح معروفا لمن جاء من  
بعدهم . وغدت القلعة هي البوابة التي تفتح على عالم آخر ، هو عالم  
الوصية والعار ، الذى يكلل جبين كل الذين صنعوه . تتمزق الغلاية  
الرقيقة من الدبلوماسية المصطنعة في القلعة ، ليتقهقر الزمن الى أشد  
العصور همجية وبربرية .

يبدأ صليل الحجلات ، يفرض نذره على المكان . والحجة سلسلة  
طويلة ، تخرج منها على ابعاد محدودة متساوية قيود الايادى  
( كلبشات ) . انها اقرب الى تلك السلاسل التي قيد بها الامارقة وهم  
يشحنون عبيدا الى أمريكا ، انتهت مراسيم الخروج . تم استسلام  
الامانات . بدأت تلاوة الاسماء . ربطت المعاصم الى الحجلات . شحن  
المعتقلون كل اربعين في سيارة . الجلوس فيهيأ دائرى والحراسية  
مشددة ، تكاد تكون جنديا لكل معتقل . اصطف الطابور واستعد ،

سيارتان مسلحتان من سيارات الشرطة في المقدمة ، وثلاث مثلها في المؤخرة . هذا غير سيارات النجدة والاسعاف والمطافئ . موكب مهول يسير الى المجهول . والضابط المسئول يزعم بالاوامر والتعليمات ، واحذية الجنود الثقيلة تجرى هنا وهناك ، ربما تنفيذا للاوامر والتعليمات ، وربما كجزء ضروري لاستكمال الصورة والانطباع اللازمين لرقعة عنترية ، يعطن فيها هذا الضابط ، انه لن يسمح بأى هتاف ، وأن أى خروج على اوامره سيوقف يردع على الفور . وعلى جنود الحراسة ان يلزموا المعتقلين الصمت ، ايا كان الثمن . ثم يسود الترقب وتبدأ المسيرة .

الا ان هذا للصمت سرعان ما يتمزق . يبدأ صوت فى الانشداد ثم يعلو ويسرى ، وتدوى للسيارات :

بلادى بلادى بلادى      لك حبى وفؤادى  
مصر يا أم البلاد      أنت غايتى والمراد

ويشتد الحماس ويتلاشى كل النعاس ويعطن الموكب عن هويته .

الحزب الشيوعى المصرى

نبنيه بعزيمتنبنا

وفدك الأساس خرسانة

من وحدة ارادتنا

الدوى الثائر يمزق الصمت الداكن . وتهرع سيارات الاختطاف بحملها الثمين ، تسرع خطاها نحو الصحراء .

اليوم هو السادس من ابريل عام الف تسعمائة تسع وخمسين يوم افتتاح عزب - الفيوم . ومنذ ذلك التاريخ بدأت تترى الدفعات عليه وتتوالى

الفيوم نقرة فى الصحراء . بها بحيرة قارون التى ينخفض سطحها عن سطح البحر حوالى خمسة واربعين مترا ، أى تنخفض عن القاهرة بأكثر من سبعين مترا . الموكب ترك القاهرة باضوائها الكابية ، تظفها غلالة رقيقة من الضباب . رأت الاهرامات انبل ابهاء مصر يقادون الى

حيث اقتيد يوسف لأنه كان أميناً عفيفاً . احتوت الرمال والصحارى المنبسطة والظلام الساجى موكب الشجان الذين اختاروا طريق حب الوطن حتى الموت . السيارات تندفع تقطع الطريق الاسفلتى الملتوى المنحدر عامة الى اسفل . قد تصعد مكانا هنا أو هناك ، لكنه صعود في اطار الهبوط .

مع ومضات الفجر الأولى ، وفي ضوء سيارات القافلة ، يبدو في الافق خط أخضر في هذا الموات الأصفر هو واحة الفيوم . بلد التين والاعناب والزيتون والتمر وكل فاكهة شهية . بلد النواعير وبحر يوسف وبحيرة قارون والارض السخية .

مدينة الفيوم العاصمة ، كالصرة من الفيوم المحافظة ، وهناك على بعد ثلاثة عشر كيلو مترا الى الجنوب منها توجد العزب ، حيث دير الانبا ابرام وخلفه مقابر المسيحيين ، وعلى مسافة خمسمائة مترا أو أكثر توجد مقابر المسلمين ، وفيما بين الاثنين ، في قلب هذا العالم الصامت صمت الابحية ابنية غريبة تحيطها الاسلاك الشائكة ، هي معتقل العزب ، والهدف الذي تسعى اليه تلك القافلة .

### الاستقبال

اشعاعات الشمس المبكرة تطل على المكان كما اعتادت يوما بعد يوم . الا ان هذا الفجر كات غير فجر الامس . نسبات الصباح الطرية ولسعات البرد المحتملة ، تدميها وجوه كالحية تقف اليوم امام بوابة المعتقل في انتظار القافلة . صفوف من جنود تراصت على جانبي المدخل . القافلة تصل الى منتهى رحلتها . وحرمة المكان يدنسها هذا الاستقبال المعد . القائد وجوقته وزبانيته ، « حراس القيم والاخلاق » ، يلوثون طهر الصباح بفاحش القول وبذي اللفظ . ان الذي يسمعهم ولا يراهم يخيل اليه انه قد سقط - في افضل الاحوال - في قلب ماخور من احط المواخير واقلها سعرا وقيمة . ان قائد المعتقل الذي ائتمنه النظام على مصيره ، والذي يتمتع بقدر من الجهالة يندى له الجبين ، يقف منفوخا كبالون يعلن في أبهة كاذبة ، ان عبد الناصر قد اختاره شخصا لادارة هذا المعتقل وللتعامل مع المعتقلين الكفرة الملاحدة . قدم نفسه باعتباره رجلا شديدا لا يعرف اللين ، وطنى والقادمون خونة ، سعيد الحظ منهم من يخرج حيا من هذا المكان بعد عمر طويل ، ان بقى منهم من له عمر طويل . السسيئة تعم والحسنة تخص . وكل مخالف للنظام سوف يعود اثمه على الجميع .



بعد ذلك الافتتاح والاستهلال الرائع ، ، بدأت حفلة  
الاستقبال ، لكمة هنا وصفعة هناك ، كل حسب موقعه وطريقة مشينه .  
لم يكن الضرب منظما ، كان نوعا من الارهاب . كانوا يسألون كل واحد  
من المعتقلين ساعة دخوله المعتقل عن وظيفته . سألوا للرسام زهدى :

- ما وظيفتك ؟

قال :

- رسام .

نظر اليه القائد في دهشة . قال :

- تقصد شاعر ؟

قال زهدى :

- كلا ، رسام .

احتد القائد ، قال :

- اقول تقصد شاعر .

اصر زهدى :

- كلا يا افندم ، الرسام شيء والشاعر شيء آخر .

غضب القائد وصاح :

- تجادلنى يا ابن الكلب .

وانهالوا عليه ضربا .

كان يقف وراءه الرسالم حسن فؤاد ، ورأى ما جرى ، عندما

سألوه ما وظيفتك ؟ قال : شاعر يا افندم .

وشاويش المعتقل لا يقلد علما ومعرفة ، عن قائده . عندما دخل

الدكتور لويس عوض المعتقل سألته :

- ما وظيفتك ؟

قال له :

- دكتور .

قال الشاويش :

- دكتور فى ماذا ؟

• دكتور في الادب •

قال الشاويش :

• ما معنى الادب ؟

قال :

• في القصص •

قال الشاويش :

• تعنى دكتور في الحوادث يا ابن الكلب •

وأوسعوه ضربا •

وتترامى سمعة عزب - الفيوم الى خارجه • انه معتقل التعذيب •  
ويحتل مقدمة اخبار النشرة التي كان يصدرها الحزب لفضح ما يجرى في  
المعتقلات •

« كنا قد قررنا ونحن في معتقل القلعة ، ساعة ان عرفنا اننا في  
طريقنا الى معتقل العزب ، الا يعمد الرفاق الى الاستفزاز أو يستجيبوا  
للاستفزازات اللفظية المعتادة • علينا ان نحتج ، الا انه في حالة الاعتداء  
بالضرب فلابد وأن يرد على الضرب بمثله •

وصلنا المعتقل • ادركنا ذلك ساعة ان توقفت السيارات وسمعنا  
اصواتا حولنا • ثم تبينا ان تلك الاصوات ، هي اصوات بشر يرحبون  
بمقدمنا على طريقتهم الخاصة ، « وصل الكلاب ابناء الكلاب • جاء  
ابناء الزنا والحرام • شرف الكفرة الملاحدة • والتشريفه جاهزة في  
استقبالهم • • كانت كاصوات ضواري تزمجر وتدمدم تحوم حول  
فرائسها • ثم ارتفعت اوامر حادة باترة : انزل ، انزل •

الادارة ازدادات خبرة بهراسيم الاستقبال • غدت اكثر دربة  
ودراية بمهامها • الاوامر المختلفة فيها خشونة وبوادر عنف واضحة •  
عساكر الدرجة الثانية يحيطون بالسيارات • فك حراس الترحيلة  
معاصمنا من الحجلات • شعاعات ضوء خافتة باهتة تلقى على المكان  
رهبة • اطياف الظلام ممتدة كالاشباح الراقدة في تحفز • كشافات  
قوية تنفث ضوءها على الجدران والبشر • صقان من جنود الدرجة  
الثانية على جانبي البوابة وعصى الشوم في ايديهم ، يبدون كشحنة  
عداء نوشك ان تنفجر • صرخات الضباط والصولات والسجانة وزعيقهم ،

موسيقى بشعة همجية تدوى في هذا الصمت القاتل ، ونحن نسير ندخل عبر بوابة المعتقل في صفوف • ونداء وحشى يصدر عن حيوان يرتدى الزى الكاكي : « أقعد على قرافيصك • بوزك في الأرض » . لا همسة ولا تأمة • فتست حاجيات من معه حاجيات • كنا حوالي اربعين معتقلا • تمت اجراءات حفظ الامانات • وزعنا كل اربعة منا أو ستة على عنبر من العنابر • وقفنا امام باب أحد العنابر • الضجة الحادثة توقظ اعرق الناس نوما • الا ان السكون داخل العنبر كان اشد هولا من سكوت الموتى •

اصطف الجنود خلفنا • صرخ احدهم : « انظر امامك » • هوت فرقة • لظمة على قفا أول من كان في الصف • نظرت يساري فاذا بالتالي ، قبلى مباشرة ، يضع يده على وجهه • كان يستعد لتلقى اللظمة • هوت كف الجندي على قفاه ، فكاد ان ينكس على وجهه • لا احد منهما احتج ولا رد اللظمة • كنا من المعتقلين غير المنتمين • وغدا الجندي خلفي تماما • استدرت اواجهه ، كانت يده مشرعة الى اعلاها حتى تكون الصفعة في كامل قوتها • صرخت بكل النيران المشتعلة في اعماقي : « حذار يا جبان » • لكت الآن وآياه وجها لوجه • بدأ الذعر في قسماته وهو يواجه ما لم يكن يتوقع ، جمدت يده في الهواء • جاء الضابط على صرختي ، صاح ، « ما الأمر ؟ » • قلت : « دع جنديك يلزم حدوده • لم نفعل شيئا حتى يعتدي علينا » • تمالك نفسه • قال بطريقة لا مبالية ، « انتهى الأمر » ، لا شيء هناك • ثم وهو يضع المفتاح في العنبر ، « اتجه للعنبر » • قلت ، « افتح الباب وسادخل كما أنا • وجهي لجنديك » • قال الجندي يتوعدني : « سوف يصبح الصباح ، ونرى ان كنت زهيمًا » • دخلت العنبر بظهري • لقد حاول الضابط ان يللم الأمر سريعا • يبدو انه لم يكن على استعداد لمواجهة رد الفعل الذي حدث • خشي مجابهة اربعين معتقلا خارج العنابر في تلك الساعة المبكرة من الصباح ، (١) •

### المعتقل والادارة :

المعتقل أشبه بالمعتقلات النازية • سسور من عروق الخشب الطويلة ، التي تملأ الاسلاك الشائكة فيما بينها ، ثم يليه سور آخر من الاسلاك الشائكة ايضا ، والمنطقة بينهما مقطعة حرام ، تجوبها حراسة مسلحة ، تزعم ما بين الحين والحين : واحد تمام ، اثنين تمام ،

(١) فخرى لبيب •

ويستمر النداء حتى آخر الحراس ، ليبدأ أولهم من جديد . على تلك العروق مصابيح كهربية تلقى باضواء شبحية تزيد من رهبة المكان . وفي الأركان وما بينها أبراج حراسة من عروق الخشب أيضا مزودة بالكشافات الدائرية المبهرة ، التي تجوس - طوال الليل - الأرض المحيطة بالمعتقل وحول الأسوار والعنابر وفيما بينها . وإلى جوار كل كشاف مدفع رشاش جاهز ومعد للانطلاق . بوابة المعتقل من الأسلاك الشائكة أيضا . الداخل منها يجد إلى يمينه مباني الإدارة ، وحجرة السلاح ليك ، وزنازين التأديب . أمام تلك المباني والبوابة شيء أشبه بالفناء ، وعلى مسافة منه خارج المعتقل محطة حراسة أمامية تتحكم في الطريق المؤدى إليه . وتبدأ على مسافة من البوابة إلى الداخل صفوف العنابر ، عنبر أربعة ، عنبر ثلاثة ، عنبر اثنين وعنبر واحد ، ثم عنبر ثمانية ( وهو مقسم إلى نصفين هما عنبر ثمانية وعنبر تسعة ) . فعنبر سبعة وعنبر ستة وأخيرا عنبر خمسة . العنابر الأربعة الأولى والعنابر الأربعة الثانية تشكل كلا منها في مجموعها بلوكا مستقلا عن الآخر . وتفصل الأسلاك الشائكة بين البلوكين بمنطقة حرام تجوبها الدوريات المسلحة ، وكأن المعتقل معتقلين منفصلين محاطين بسور خارجي مشترك ، وإمام كل من عنبر واحد وعنبر خمسة ، وهما العنبران اللذان يشكل كل منهما أول كل بلوك ، توجد دورة المياه المكونة من ثمان فتحات . يبلغ طول العنبر حوالي ستين مترا ، جدرانه مبنية من الطوب الذي تغطيه الأملاح من الرطوبة والنفث ، توجد بجدرانه على مسافات متساوية قدرها حوالي خمسة أمتار ثوافذ مسورة يشبكات من أسياخ الحديد مفتوحة ليل نهار ، شتاء صيف ، حتى يمكن مراقبة المعتقلين منها طوال الوقت . سقف العنبر جمالون ودورات المياه بلا أبواب .

كان هذا البناء في الأصل معتقلا للأسرى الإيطاليين إبان الحرب العالمية الثانية . ثم تحول إلى معتقل لتجار الحشيش . وهو يفتح اليوم أشدائه الشائكة لاستقبال الشيوعيين والديمقراطيين والنقابيين وأنصار السلام ، وبعض من لا علاقة لهم بأي عمل سياسي أيا كان نوعه أو مستواه .

السور مرصوفة ، داخل العنبر ، متلاصقة في صفين متقابلين على امتداد الحوائط الطولية للعنبر . أنها مصنوعة من « الحمير » الحديد ، التي تعلو كل منها ثلاث عوارض خشبية طولية ، تكسوها مرتبة من قش الارز الذي التصق ببعضه البعض وتماسكت أجزاء منه حتى صارت كالحجارة . وإلى جوار باب العنبر الذي يتوسط حائطه المعاكس لاتجاه الإدارة ، توجد جرادل مياه الشرب والتبول . وقد حشر في كل عنبر ما يزيد عن ستين معتقلا ، يخلق الباب عليهم قرابة ثلاث وعشرين ساعة



فتنفذ ميساه الشرب ، وتطفيح جرادل البول ، وتصبح رائحة العنبر بشعة لا تحتمل ولا تطاق .

وإدارة هذا المعتقل السياسى هى نفسها إدارة المعتقل يوم ان كان معتقلا لتجار الحشيش . وهى قد اعتادت خلال تلك الفترة على أمور يستحيل لها تحقيقا خلال الفترة الثانية .

يقول لطفي الخولى ، « كان المعتقل مصدر رزق محترم لإدارته . كانت تذبح فيه كل يوم ، كما سمعنا ، ثلاثة أو أربعة خراف . كل أنواع التسلية فيه متوفرة : الخمر والحشيش والثلاجات والنقود . كان الضابط يحقق دخلا يوميا يتراوح من عشرين الى ثلاثين جنيها ، بينما يصل دخل الجندي العادى الى ثلاثة جنيهات فى اليوم الواحد ايضا . واستمر نفس الطاقم عند مجيئنا ، فكنا بالنسبة لهم كارثة قطعت ارزاقهم السخية تلك ، بالأضافة الى المسئولية التى القيت على كواهلهم . كان الجنود قد تعودوا على الاخذ باستمرار ، حتى أن الواحد منهم كان يطلب منا أى قدر من المال ولو خمسة قروش » .

ويقول طاهر عبد الحكيم (١) ، « كان تجار المخدرات يلقون من الإدارة كل التسهيلات اللازمة للإشراف على تجارتهم من داخل المعتقل . فكان القائد والضباط يأتون لهم بمعاونيهم الى داخل المعسكر ليناقشوا معهم أمور تجارتهم . كان الواحد من هؤلاء التجار يخرج مع القائد أو الضابط فى سيارة المعتقل ، بعد تمام المساء ، ويذهب الى بيته ان كان من سكان المنطقة ، أو الى أحد بيوت الدعارة فى اليوم حيث يقضى وقتا طيبا ثم يعودون عند الفجر ، وفى مقابل ذلك كانت هناك هدايا تقدر بمئات الجنيهات للقائد وضباطه . وكانت لهم رواتب شهرية من تجار المخدرات ، كما كان هؤلاء يتخلون للقائد وضباطه عن المبلغ الذى رصده وزارة الداخلية لأطعمتهم معتمدين فى غذائهم اليومى على أموالهم الخاصة ، ولا شك ان اخلاء المعسكر من هؤلاء الذين يضعون البيض الذهب كل يوم للإدارة وضياع تلك الثروة ، كان دافعا لحقد أسود على أولئك السياسيين القادحين من القلعة ، والذين يضمون بين صفوفهم مئات العمال والمثقفين وصغار الموظفين والفلاحين الذين لا يملكون شروى نقير ، ولا يبشرون بأى فائدة مادية . يمكن ان تعود على إدارة المعتقل » .

ان إدارة المعتقل والتى اتخذت من معتقل تجار المخدرات بضاعة

---

(١) كتاب الاقدام العارية- لطاهر عبد الحكيم .

تتاجر هي فيها ، هؤلاء الذين كانوا يلعبون دور الوسيطاء والقوادين  
لهؤلاء التجار ، والذين يديرون المعتقل لحسابهم الخاص كسوق سوداء  
يهربون اليها المنوعات ويبيعونها بالسعر الذى يحدون ، هم انفسهم  
الذين ارتدوا مسوح حماة الوطنية والدين . وأخذوا يعبأون الحراس ضد  
المعتقلين السياسيين ، على أساس انهم خونة وكفرة وملاحدة . لقد  
كانت لهم ايضا معركتهم الخاصة مع هؤلاء المعتقلين الجدد ، هؤلاء الذين  
يتحدثون عن حقوقهم ، فى الوقت الذى ضيعوا فيه « حقوق » الادارة  
المادية .

فان اضيفت الى احقادهم الخاصة ، تعليمات المباحث العامة بسوء  
المعاملة ، فقد توفرت لهم مظلة واقية . فسيجها سلطنة الدولة ، للعبث  
باقدار هؤلاء الرجال الذين سقطوا فى شباك اسلاكهم الشائكة . وتتفنن  
الادارة فى الاساليب التى تعود عليها بالكسب المادى ، وتلك ترفع  
اسهمها ايضا فى عيون سادة لاطوغل . اتهم يبتزون المعتقلين . كل من  
يلبس ساعة او خاتما او دبلة زواج ذهبية ، عليه ان يقدمها « راضيا »  
هدية لهم والا فهناك الفلكة . كل معتقل عليه ان يوقع باستلام طرده  
سليما معافى ، حتى وان لم يحصل على غير بعض مما فيه ، والا فله  
الفلكة . على جميع المعتقلين ان يلزموا الصمت بينما قائد المعتقل وجوقته  
يقتسمون مع المتعهد تلك الملايم المقررة لغذائهم ، فلا ياكلون غير ماء  
ساخن تسبح فيه اجسام غريبة ، والا فللمندوبين الفلكة .

ادارة المعتقل عصابة لا تعرف فى السياسة اكثر مما « يتيسر » فى  
الصحافة من شتائم وسخائم وما تتلقى من المباحث العامة من تعليمات ،  
تستغلها - وبمعرفة المباحث العامة ايضا - لتحول المعتقل الى شركة  
خاصة ، لها قانونها الخاص ، وهى مجلس ادارتها . رأسها سلطة  
غاشمة باطشة ، وقيم معدومة ، وسهارة فى اللطش يحسددهم عليها  
أعنى اللصوص ، والعائد لبن وشهد ، والجهد أوامر وتعليمات ،  
والاسلوب ابتزاز وضرب وجلد وتنكيل وتعذيب .

قائد المعتقل رائد يدعى احمد منير غالى ، مرقى من تحت السلاح ،  
يتجاوز الخمسين من العمر ، يحاول جاهدا ان يعوض ماضيه بابهة  
المظهر والمبالغة فى الخيلاء والتفالى ، لا يحرى ما الفرق بين  
الشاعر والرسام . يستولى على اقلام المعتقلين من الامانات . يحاول  
الحصول منهم على أى شئ ، حتى الوصفات التى تمنحه طاقة جنسية ،  
والتي يجربها فلا تفيد ، ويسخر منه الاهل فيعود ساخطا يطلب بديلا .  
يتوهم ان المعتقلين رغم الحراسة المشددة عليهم ، وعزلهم التام عن

بعضهم البعض ، يجرون اتصالات فيما بينهم ، فيحرث الأرض فيما بين العنابر بحثا عن اسلاك موصلة نفينة .

اليوزباشي عبد المنعم التونسي ، وكيل المعتقل . جزء من الادارة وموقفها العام ، الا انه لا يتميز بموقف خاص أو طريقة تعامل خاصة . كان يرى ان هؤلاء المعتقلين قد اتعبوا الحكومة ذاتها ، فما قدرة ادارة المعتقل في مواجهتهم !

الضابط حمدي نصار . بدين ، شديد الصلف والغرور . لا ينحرك في المعتقل الا وهو يحمل كرباجا . يعشق التعذيب . هو السفاح الأول في المعتقل . يقدم نفسه الى السلطات باعتباره الاجدر بالمركز الأول في هذا المعتقل السياسي ، فالقائد من تحت السلاح ، والوكيل غير مؤهل لهذا الدور .

ملازم حلمي العيسوي . طويل . اقرب الى البلاء بوى . لا يسير الا ومسحسه معلق في خصره يتدلى على ردفه . ابن عمدة احد مراكز المحافظة . في حالة تمثيل واستعراض دائمين . عندما يشرف على تعذيب أحد المعتقلين ، يصر على أن يقول المعتقل « انا امرأة » ، والا فان التعذيب يستمر حتى يفقد الوعي . يتصرف وكأنه ما زال في حوار أبيه ، او كأنما يحس رجولته عند اذلال رجولة الآخرين .

ملازم فتحي . ربما كان هذا الاسم اسمه ، وربما لم يكن كذلك ، هو ضابط المباحث العامة داخل المعتقل ، وعينها على كل ما يجري فيه ، والطريقة التي تنفذ بها اوامرها . استفزازي من الطراز الأول . مهمته الاحتكاك بالمعتقلين ، وامتعال المبررات للاعتداء عليهم .

الصول سليم ، « كان يبدو رجلا طيبا للغاية ، كظاهرة شاذة واستثناء من قاعدة عامة . كان يداري على اخطاء الناس . ويغض عينيه عن أي شيء مخالف . كان يظهر عليه الألم لما يقاسيه المعتقلون . يحدث تأخير في دورة المياه ، وكان هذا التأخير اثما كبيرا . جاء يستعجل من في الدورة ، قال للادارة انه هو الذي سمح بهذا التأخير تغطية للمعتقلين . قالوا له : كم انت انسان وطيب ايها العم سليم . قال : اسمعوا واعبوا . حذار ان تقولوا مرة أخرى ما قلتم . أنا لست بالرجل الطيب . أنا وحش وقاسي . وانقلب بالفعل الى وحش كسائر يزعم ويصرخ ، (١) »

(١) لطفى الخولي .

ليس أمرا ناديا ان يتصرف للسجان كإنسان في هذا المكان . فهو  
أما ان ينتلب خشية على مستقبله وحاضره ، وأما ان يبعد حتى لا يكون  
ثغرة في جدار خطة التصفية . « جاء ضابط جديد . كان ذلك في بداية  
المعتقل . قال له المعتقلون ان الخبز قذر وبه صراصير . استدعى المتعهد  
وهدهده . هذا خبز لا يأكله اناس مثقفون ، هذا خبز تأكله البهائم .  
لا بد في صباح الغد ان يكون الخبز جيدا ونظيفا . في صباح الغد جاء  
الخبز كما كان . أما الضابط فقد نقل على الفور » (١) .

الامباشى غطاس - ضابط الصف المسئول الفعلى عن مخيمات  
الأمسور بالمعتقل . قاتل بالسليقة ومبتز محترف ، طابور  
مسمياته لا ينتهى . هو رجل الادارة الأول بين السجانة وكلبها للعقور .  
تكاد تكون ملكة المعتقل ملكية خاصة له يستخدمها في تحقيق اغراض  
الابتزاز والسطو على ما بقى في حوزة المعتقلين ، بل هو يتجاوز ذلك الى  
انتقاء العناصر المستقلة ميسورة الحال بعض الشيء ، ليضغط عليها ،  
حتى تشتري امنها من ملكته بخطابات الى أهلها في الخارج ، يقوم هو  
بقوصيلها ليحصل على اتاوات نقدية .

الشاويش وديع . شاويش مجند من الدرجة الثانية ، يمكن التعرف  
على هذا الكائن بالتعرف على دوره في المعتقل كمروض لهذا النوع من  
الجنود ومدربهم على كل الاساليب الوحشية . تتحدد مهمته في تحويل  
هؤلاء الفلاحين البسطاء للنساء ، الذين عانى اجدادهم ويعانى أبائهم  
عسف الدولة واضطهادها الى ادوات باطشة لهذه الدولة ، الى أن يكونوا  
سوط عذاب ضد هؤلاء الذين يدافعون عنهم . ان مثل هذه المهمة القذرة  
تحتاج الى شخصيات ذات تركيبة نفسية خاصة . شخصيات مريضة  
حقا ، شخصيات على استعداد لتحويل ابيائهم واخوتهم بل وامهاتهم  
الى درجات يصعدون عليها ، حتى لو كان هذا الصعود مجرد شريط  
يضاف الى الاشرطة التي يحملها على ذراعه ، متزيد مقامه الثقافي رفعة .

ان جنود الدرجة الثانية والذين يشكلون فرق الحراسة التى تجوب  
المناطق الحرام التى تحيط بالمعتقل أو تخترقه ، ويحتلون الابراج يحملون  
الرشاشات ويديرون الكشافات ، والذين تتكون منهم فرق الاستقبال  
البذيئة وفرق الضرب والتعذيب وحراس ما بين المعتابر ، والذي يعمل  
البعض منهم كبضامين يراقبون ما يجرى داخل العنابر ، ومجموعات  
الاستماع ، والتصنت ، هؤلاء الجنود يعيشون تحت سوط لا يكف عن

---

(١) لقاء شخصى مع محمود عبد الخالق .



الدوى فى آذانهم ، يلهب خوفهم وذعرهم ، من أن يتحولوا هم انفسهم الى ضحايا للتعذيب الذى يمارسونه ، بايدى زملائهم . ان الجندى الذى لا يقوم بدوره كما يجب فى البذاءة والشتائم والسخائم ، ولا يبذرى حماسا فائقا اثناء الضرب والتعذيب ، ولا يبلغ عما يسمع أو يرى ، معرض هو نفسه لأن يعلق على الفور فى الفلكة ، وينهال عليه زملاؤه ضربا وتعذيبا تحت اشراف الادارة وممثليها . اللهم ! الشاويش وديع . لقد حول هؤلاء الجنود الى قطع مذعور يدفع الخوف عن نفسه ويدافع عن ذاته بان يتصرف دون حس أو ادراك ، والا يكون أكثر من صدى مدوى لصوت السيد مهما كان هزيلا ، وأن يكون أداة الفعل والتنفيذ الصماء لارادة زمرة الادارة المنفذة لخطة النصفية . انهم يحولون الحراس الى مجرد حيوانات ضارية تدافع عن نفسها بايقاع الاذى والنكيل بالمعتقلين . مباراة فى الوحشية ، تستخرج كل ما فى النفس البشرية من دناءات وبشاعات تنميها وتطورها ، فهى مؤهلات الحارس الناجح . وأكثر من ذلك وأهم ، انها طوق نجاتهم هم من هذا الجحيم .

وحتى يمكن تحقيق ذلك ، غسلت امخاخهم ، أو بصورة أدق نفيت مداركهم واستبدلت قدراتهم على التفكير المستقل ، مهما كانت محدودة ، بارادات النظام وترهات دعائه ومنظريه . انهم يقومون بمهمة مقدسة ، هى تخليص الوطن من ابناء الشياطين الكفرة الملاحدة ، . لقد اتخذوا من بساطة ابناء الفلاحين ، وعمق الايمان فى الوجدان المصرى ، أداة لغير ما تستهدف الدين والايمان . اتخذوا من ذلك مدخلا لشحن وحشد وتعبئة كل مشاعر العدااء الطبقي لحسابهم ، على أساس من الاكاذيب والاباطيل . والنتيجة ان هؤلاء الجنود كانوا يعيشون ايضا فى حالة من الذعر والخوف من المعتقلين انفسهم . انهم يواجهون ابناء الشياطين ، وللشيطان فى الريف مهابة ، فهو القادر على خوارق يعجز بنى البشر عن مواجهتها والتصدى لها .

ومن هنا ذاعت وانتشرت عن المعتقلين ، أعمال تفوق الخيال . انهم يكتبون على الهواء ويتبادلون الحديث بالنظرات ويتخاطبون باشارات غير مرئية . وهم رغم الحراس والجدران وفرض الصمت بالقمع ، يتفقون ويتخذون موقفا واحدا فى يوم واحد فى لحظة واحدة ، ويتولون نفس الكلام ويطلبون بنفس المطالب ويقدمون نفس الاحتجاجات . ان احدا لا يستطيع اختراق كل تحصينات الادارة غير الجن ذاته ، أو على الاقل من يقف الشيطان الى جواره . وتتضخم الاكاذيب والاباطيل ليصدقها مصدروها من كثرة ترويجها ، وعجزهم عن

تنفيذ مخططهم ، وعدم القدرة أو افتقاد الشجاعة للاعتراف بالعجز امام هؤلاء المقيدون في العنابر .

ويصل الامر بالجنود الى انخفاض احوالهم من دورة المياه في لينة حالكة ، اثر حركة فأر أو صرصار ، عار يتخبط سرواله في أقسامه ، يجأر بالصراخ في قلب المعتقل : « اغيثوني ، عفريت شيعوى يطاردنى . » . وآخر من فريق البصاصين والمتصفين يستمع الى زميلين من المعتقلين يلعبان الشطرنج ، وواحد من الزملاء الذين يتفرجون على المباراة داخل العنبر يقترح أن يأكل أحد اللاعبين عسكرى اللاعب الآخر ، فيقول الآخر أنه يخطط لاكل العساكر كلها . فيندفع الجندى يصرخ الى الادارة يستغيث بها : « ان الشيعويين يخططون لاكل العساكر جميعا . » .

ثم تانى فرقة « الكاترابانت » أو عساكر الهجانة . أو الجنود السود . ويجرى اعداد هؤلاء بطريقة خاصة تجعلهم اداة تنفيذ باطشنة في يد الدولة . وكم استخدمتهم الحكومة المصرية لاشاعة الرعب والفرع في القرى المصرية التى تثور بها اية نزاعات قبلية أو هبات ثأرية معادية للاقطاعيين . انهم فرسان الهجين وابرع من يجيد استخدام الكرباج في مصر كلها . انهم لا يعرفون غير تنفيذ التعليمات بدقة متناهية وطاعة عمياء . الا ان هذا المعنى سرعان ما ينقشع ان رأى هؤلاء الحراس السود ، معتقلين سودا ايضا . ان الامر يجذو لهم غريبا ، ويكون هو الخيط الذى يشدهم الى محاولة معرفة حقيقة ما يجرى ، فتنداح الصرامة المرسومة بها تقاطيعهم ، وتتكشف اعماقهم التى تعانى وتتعاطف مثلها يعساى ملايين المضطهدين ، ويتعاطفون بالقلب ان مجزت اليد أو اللسان . وأكثر ما يثير ضيق هؤلاء الجنود ، ان يروا آخرين من الجنود المصريين يستخدمون الكرباج بجهالة فلا يحسنون احترام استخدامهم . ان الكرامة الحرفية هنا ، تثور للنساء البالغة التى تمس تلك الاداة عندها تقع في ايدى غير العارفين بامكانياتها وقدراتها وكيفية التعامل معها .

ثم ياتى الطبيب . والمفروض فيه ان يكون امينا لمهنته . مجرد طبيب محايد يعالج المرضى دون ان يتعاطف معهم أو مع الادارة سياسيا ، الا ان طبيب المعتقل كان جزءا لا يتجزأ من الادارة . هو يتفرج على المرضى وهم يجلدون . وهو يدارى كل سوءات الادارة : الطعام الرديء القليل ، وتدهور صحة المعتقلين ، والعنابر المغلقة العفنة . وان اجبر امام اوضاع لا مفر فيها من علاج بعض الزملاء فهو يتبع اكثر الصور وحشية . « عرض عليه زميلان معتقلان بالم شديد فى الاسنان ، وافق على الخلع على ان يكون دون مخدر . قبل الزميلان المعتقلان ، فانتزع اسنانهما دون ان

يتأوه واحد منهما» (١) . وهو ان ووجه بشيء فشعاره ليس في الامكان افضل مما هو كائن . « طالب المعتقلون بالخروج أكثر من ساعة حتى يمكنهم وضع الفرش في الشمنس بسبب الحشرات التي كانت تمرح في العنبر . رفض الطبيب مقرا انه لا توجد حشرات . طالب المعتقلون بلجنة تحكم على أقوال الطبيب . وافقت الادارة بعد ان تمسك المعتقلون بهذا المطلب . كان الطبيب عضوا في هذه اللجنة . كان ما يزال مصرا على رأيه ، يزعم ان ما يقال عن الحشرات أمر لا أساس له من الصحة . مد أحد المعتقلين يده الى ياقة قميصه وامسك بقملة عرضها على السادة أعضاء اللجنة ، فلزم الطبيب الصمت ، وصرح لهم باخراج الفراش» (٢) . طبيب فقد ضميره وشرف مهنته وامانة المسئولية ، وغدا واحدا من الجلادين .

« السيد » المنعقد كان في الاصل مخبرا . يدعى حسين ، قصير ، بدين ، ربعة القوام ، فاتح اللون احمر الوجه ، يرتدى معظما أصفر اللون . يعامل المعتقلين كأسرى حرب تخصه . كان ان تصادف « تشريفه » المعتقل ساعة ضرب أحد المعتقلين ، يشارك بحماس في هذا العمل « الوطنى » . هو ضمن العصابة ، وان كان واحدا من أهم ركانزها . يقتسم مع الادارة ملائيم الوجبات المقررة للمعتقلين ، ثم لا يقدم لهم شيئا يمكن ان يسمى طعاما . وويل لمن تظلم أو اشتكى ، فله سوء العقبى . فالادارة في مقابل ما تحصل عليه من حصه ، تؤدي دور الجلاد ، تأدب كل من تسول له نفسه فتح فيه « حماية للمصالح المشتركة » .

وخلف كل هؤلاء يقبض ، سيدهم المطاع ، عبد العزيز شاكر ضابط المباحث العامة وحلقة الوصل بين لاطوغلى القاهرة وعزب الفيوم . هو الأمر الناهى في ذلك المكان . السلطة التي لا تعلوها سلطة في ذاك الزمان . هو يعرف كل سلوكيات الادارة ، ويتخبط منها اداة فعالة لتطويع الادارة ذاتها لمشيئته . هو يدخل في روعها انها مكلفة من عبد الناصر شخصا للقيام بهذه المهمة « الجليلة » . وحسن الاداء ودقة التنفيذ تفتح ابواب الترقية والصعود بلا حدود . هو استاذ من اساتذة دعم كل النقائص ، وضربولا لاغراض الخطة المنوط به تنفيذها من خلال تلك الادارة ، السائر الذى يخفى وراءه ، والتي يشكل افرادها طاقم الدمى التي يحركها ، والتي عليه ان يتعرف على اعماقها ، حتى لا تخرج باى حال من الاحوال ، بالوعد والوعيد ، بالاغراء والتهديد ، عن الدور

---

(١) لقاء شخصى مع مصطفى هجرسى .

(٢) ابراهيم مرسى .



المرسوم لها • ان الهامش الوحيد المتروك لها حرية الحركة في اطواره ،  
هو هامش « اللطش » والابتزاز ، بما يزيد من الضغط النفسى والجسمى على  
المعتقلين ، وبذا يكون الهامش متسقاً تماماً مع الخطة العامة ومكملاً لها •

ان صورة المعتقل والادارة لا تكتمل الا بغرض ادوات التعذيب  
والاساليب المختلفة للتنكيل بالمعتقلين ؛ فهناك الفلكة والعروسة والساقية  
والتعرية • ويمارس الضرب بالفلكة باجلاس المعتقل القرفصاء ثم لف  
يداه حول ركبتيه وتقييد المعصمين بقيد حديدى أمريكى يضيق بصورة  
آلية مع أى حركة مهما كانت محدودة فيمزق الجلد واللحم ، ثم توضع  
عصا عند ثنية الساق مع الفخذ أسفل الركبتين فتشل حركة المعتقل  
تماماً • ثم يقلب فتصبح قدماء الى أعلى ورأسه الى أسفل • ثم يبدأ  
الضرب فوق بطن الاقدام بالكرايبج أو الشوم التى تدق العظام ويدوى  
صداها في رأس المضروب • أما عدد الضربات فبلا حساب • وعندما  
تنتهى الطريحة الواجبة ، على المعتقل ، المعتدى عليه ، وقد أصبحت قدماء  
في حجم خف الجمل ان يجرى بالخطوة السريعة حتى لا تتجمد الدماء التى  
سالت تحت الجلد وصبغت قدماء باللون القرمزى الغامق ، وهو حين  
يفعل ذلك ، تطارده العصي والشوم بضربات متلاحقة في أى مكان من  
جسده •

والعروسة تكوين خشبى ينتصب قائماً له ما يضارع الاذرع والسيقان ،  
وفي اعلاه فتحة تدخل منها الرأس • وهى يشد اليها المعتقل كالمصطوب  
مفتوح الذراعين والساقين وقد تعرى نصفه الأعلى ثم يقيد اليها بالحبال ،  
ويصبع العريس الذى يحتضن العروس ، ويبدأ الجلد على الظهر العارى  
بالكرباج ذى العقد ، فيتمزق الجلد ويدمى الجسد • وعند نزول العريس  
من فوق عروسه يكون المحتفلون به قد أعدوا جردل ماء مشبع بالملح  
ليلقى على ظهره فيكتوى بنار كالجحيم •

والساقية ، وفيها يقف جنود الدرجة الثانية في شكل دائرة ، ومع  
كل منهم ما تيسر ، قنايش ، شومة ، جريدة نخل ، قحف نخل ، خيزانة ،  
سلك مجدول أو خرطوم من الكاوتشوك ، كل وشطارتته • وترسم في داخل  
هذه الدائرة ، على مسافة خطوة أو خطوة ونصف منها دائرة أخرى مرسومة  
على الأرض • وعلى المعتقل ان يلف ويدور جرياً في تلك الحلقة الداخلية ووراءه  
من يستحثه ويحكم حركته فلا يخرج عن الدائرة أو يبتعد عن مرمى ضربات  
السادة الجنود الواقفين في الدائرة الخارجية ، لأنه بذلك يكون قد خرج  
على « الطريق السوى » وحرّم هؤلاء السادة من أداء واجبهم المقدس ، مما  
يستوجب مضاعفة جرعة الجرى والضرب تكفيراً عن تلك الخطيئة ولخروج



المعتقل بذلك على قواعد للعبة كما يجب ان تكون . ويظل الأمر كذلك حتى تنقطع انفاس المعتقل ويتمزق جسده ويسقط من الضرب والاعياء .

الا ان الطريقة الأكثر شيوعا واستخداما هي طريقة التعرية ، وفيها يخلع المعتقل ملابسه فيصبح كحمار ولحمه أمه ، ثم يضرب بالكرابيج حتى تتمزق الكرابيج ، وحيث يكون جسده كتلة دامية ثلاثت معالمها وحلت محلها خطوط طولية وعرضية ومتقاطعة محفورة في اللحم بعد أن هتكت الجلد ومزقته اربا اربا .

وهناك غير تلك الادوات الخشبية او الجلدية ، الادوات البشرية . اذ من تمزق كرابجه من كثرة ما ضرب ، أو تكسرت عصاه من كثرة ما دقت العظام والجماجم ، يستخدم قدميه وقبضتيه ركلا ولكما ولطما . ومن تعبت يداه أو كلفت قدماه ، فهناك لسانه الذي يفيض يبذئ السب ومقزع الشتم .

### المعتقلون :

الغالبية العظمى من المعتقلين شيوعيين . البعض منهم سبق أن سجن واعتقل زمان الملكية وایام عبد الناصر . كانت لهؤلاء تجاربهم مع الادارات المختلفة ، ولهم مواقفهم امام النيابة والمحاكم . تمارسوا في التصال وخاضوا معارك شتى في الشوارع والمصانع والحقول والجامعات أو خلف القضبان . الا ان الكثرة كانت شبابا حديث عهد بالحركة الشيوعية . انضم الى الاحزاب الشيوعية المصرية قبل ان تتوحد أو بعد ان توحدت في الحزب الشيوعي المصري الواحد ، خلال معارك الانتخابات عام ١٩٥٧ أو فيما بعد عام ١٩٥٨ خلال المعارك الديمقراطية والاجتماعية . وهم في هذا يواجهون التجربة المرة لأول مرة . يواجهون قمة عنف الدولة دفعة واحدة .

وهؤلاء المعتقلون الشيوعيون ليسوا فريقا واحدا . انما هم اربع فرق : الحزب الشيوعي المصري وتمثل قوائمه تصف المعتقلين . وهو حزب له مواقفه الخلاقية مع النظام ، وهي تدور أساسا حول الديمقراطية وبعض القضايا الاقتصادية والاجتماعية والقومية ، الا ان خطه العام كان مؤيدا للنظام . يرى ضرورة الجبهة معه ، جبهة تقوم على الوحدة والصراع . الوحدة في النقاط الغالبة وهي نقاط اتفاق ، وخاصة القضية الوطنية وبعض القضايا الاقتصادية ، والصراع الديمقراطي حول نقاط الخلاف ، بمنهج لا يغلب الخلاف على الاتفاق . وداخل هذا الحزب هنالك اقليات من اعضائه على يمين هذا الخط أو على يساره ، والفريق الثاني هو الحزب الشيوعي المصري ( حنتو ) وهو انقسام خرج على الحزب الواحد في منتصف عام ١٩٥٨ . ويقف هذا الحزب ( حنتو ) الى يمين الحزب الشيوعي

المصرى . اذ انه يتخذ خط الوحدة المطلق مع النظام . يؤيد بشكل عام كل خطاه . ويرى في أى موقف معارض شكلا من اشكال استفزاز الحليف الوطنى . ثم تأتى بعد ذلك منظمتان صغيرتان لم تدخلا معركة الوحدة الشاملة لكل الشيوعيين المصريين ، وبذا كانتا قبل تكوين الحزب الواحد عام ١٩٥٨ وظلتا كذلك بعد تكوينه ككيانات مستقلة . هاتان المنظمتان هما الطليعة الشيوعية ( ط . ش ) ووحدة الشيوعيين ( و . ش ) وهما تقفان - من الناحية السياسية - الى يسار الحزب الشيوعى المصرى ، وتأخذان موقفا أكثر تشددا فى قضية الجبهة . وعدد كل منهما فى المعتقل محدود الى حد كبير .

اما المستقلون أو غير المرتبطين بأى تنظيم شيوعى ، فيمكن ايضا تقسيمهم الى عدة مجموعات وافراد ، الا ان تقسيمين أساسيين يمكن أن يندرج كل المستقلين تحتهما : المستقلون المنتمون فكريا وسياسيا ، والمستقلون الذين لا انتماء فكري أو سياسى لهم .

المستقلون المنتمون سياسيا ، هم رموز لقوى وطنية ديمقراطية تقدمية ، من الصحفيين والكتاب وأصحاب دور النشر ، الذين اثروا الفكر المصرى ورفعوا رايات الوطنية والحريات السياسية ، هؤلاء الابناء البررة لاسلاف لهم وقفوا فى مواجهة الظلم والبطغيان ، وحافظوا على شرف الكلمة ونقاء القلم . وأنصار السلام الذين وقفوا يزودون عن مصر والبشرية ويلات الحروب النووية والاحلاف العسكرية والعدوانات الاستعمارية . والنقابيين الشرفاء الذين ناضلوا من أجل استقلالية الحركة النقابية ووحدة الطبقة العاملة والدفاع عن حقوقها ، واساتذة الجامعة الامناء على مصر الجيل . هؤلاء الذين رفضوا تزيف الحقائق وخطط الاوراق والمساس بارادات الشعب وابناء الشعب الذين وضعوا امانة فى اعناقهم ، هؤلاء جميعا الذين رفضوا ان يكونوا دعاة أو ادوات لغير ما يعتقدون ويؤمنون . وبعض الليبراليين الذين كانوا يؤمنون بحق الغير فى التعبير والتفكير وان اختلفوا معهم الى حد العداء .

والمستقلون الذين ليس لهم أى انتماء سياسى ، هم من المواطنين العاديين أو ربما دون العاديين سقطوا فى هذا العالم الغريب ، فكانوا أقرب الى المذمولين ، الذين لا يدرون سببا حقيقيا يبرر وجودهم فى هذا المنحدر الذى لا يعرفون له قاعا . انماط شديدة التباين توضع فى الجحيم دون حساب . كأن يوم الحشر قد حل . وسيادة الأرض قد استباحوا لأنفسهم ان يخرقوا قواعد العدالة السماوية ، الحساب والعقاب . « كانت هنالك مجموعة من أبو قرقاص ، لهم مطالب عادية تتعاق بمدرسة بها جمعية

دينية مسيحية . اتهمهم البعض بانهم شيوعيون يتخفون وراء سستار هذه الجمعية الدينية ، فاتوا بهم الى المعتقل « (١) » . مجموعة أبو قرقاص كانت جمعية من جمعيات مدارس الاحسد ، دخلوا في بعض الصراعات المطية ، ففعل بهم مثلما كان يفعل في مثل هذه الحالات . بلاغ كيدى يتهمهم بالشيوعية . كانوا سذجا لا يعرفون شيئا ، حتى ان واحدا منهم اجاب على وكيل النيابة عندما قال له ان المباحث العامة تتهمه بانه عضو في اللجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى ، بان « هذا شرف كبير يا سيدى . وكل ما تقوله انا مقر به » . واعتبرت المباحث العامة ان هذا اعتراف بالتهمة وصحة التحريات التى تقول انهم يشكلون خلية شيوعية ويقومون بتوزيع المنشورات . وقد ظل هؤلاء في معتقل الفيوم فترة بعد ان نقل منه كل المعتقلين الى أبو زعبل . ثم اخذوا الى معتقل القلعة لتمريرهم بعمليات غسيل المخ التى كان يشرف عليها دكتور محجوب وطعيمه للجرف « (٢) » . « كان هنالك ايضا معتقل من دمياط . كان من الاخوان المسلمين واتهمه جاره بالشيوعية فأخذ في الحملة . اما المعتقل الغريب حقا ، فهو ذلك الذى كان له أخ شيوعى هارب . وكان هذا المعتقل يعمل كاتباً في وزارة الحربية . وقد رأى في أحد الأيام أخاه الهارب وقد أمسك به بعض الناس وهو يقاومهم ، فترك الدراجة التى كان يركبها وهرع على الفور كى ينقذ شقيقه . لم يكن بالطبع لديه أية فكرة من السياسة أو ما يجرى في هذا العالم ، وانهار على المخبزين المسكين بشقيقه ، فتكاثروا عليه وحملوه واخاه الى المعتقل . كانت مشكلته ، عند القبض عليه ، انه كان في حوزته قطعة من الحشيش . كيف يخفيها ؟ وكيف يتعاطاها ؟ حتى أخذوه الى النيابة للتحقيق معه . انتهزها فرصة واقتسمها مع حارسه . دخل على وكيل النيابة وقد دخن السيجارة المحشوة . سألته وكيل النيابة :

— أنت عضو في الحزب الشيوعى ؟

قال :

— لست عضواً فى أى شىء . ثم ما هو هذا الحزب الشيوعى ؟

قال وكيل النيابة :

— الحزب الشيوعى هو الحزب الشيوعى . وافضل لك الا تدعى

الغفلة .

قال :

(١) لطفي الخولى :

(٢) نبيل زكى .

- لك ما تراه . انا عضو في الحزب الشيوعي .

قال وكيل النيابة :

- اذن انت لا تتكر ذلك ؟

قال :

- انكر او لا انكر . ماذا يعنى ذلك !

قال وكيل النيابة :

- ما رأيك في القومية العربية ؟

قال :

- انها صنعة لطافة من عبد الناصر ، حتى يأخذ البلاد العربية ويضعها في جيبه .

سأله وكيل النيابة :

- هل توافق عليها أم لا ؟

- وافقت عليها ام لم اوافق ، ماذا سيحدث لها أو يحل بها ! ان المسألة التي تهمنى الآن هو أن جراجتى قد استولى عليها هؤلاء النصابين الذين قبضوا على ، ثم هنالك أخى ، اين هو الآن ؟

واستمر وكيل النيابة يسأله الاسئلة التقليدية . وكان هذا الشخص ضمن آخر من خرجوا من المعتقل ، خرج اخوه للشيوعي حقا قبله . اعتبر خطيرا يجيد الاخفاء والمداواة (١) .

ويقول الدكتور عبد الرازق حسن ، « هنالك في المعتقل وجدت الدكتور لويس عوض ومحمود السعدني وآخرين . كانت المفاجأة انى وجدت اناسا ليسوا بماركسيين . كل ما في الأمر انهم يفكرون بطريقة حرة . كان الدكتور لويس عوض مثلاً ممن اخرجوا من الجامعة فعنا عام ١٩٥٤ ، وهو لم يخرج من الجامعة لفكره ، ولكن لأن واحداً من زملائه هو الدكتور رشاد رشدي دس له حتى يحل محله في الكلية . والحقيقة أن هنالك فارقاً شاسعاً بين الاثنين خصوصاً وانا اعرف رشاد رشدي جيداً عندما كنا معا في انجلترا . واعرف كيف كان يتصرف . الدكتور لويس عوض يمكن ان تختلف معه ، لكنه يفرض احترامه عليك . كان في الوضع الذي نحن فيه

---

(١) لطفي الخولي .



كالمذهول . لم يكن متصورا لما يجرى حوله . كان يقول ، لابد من خروجنا . وعندما سأله ، ولماذا لابد من خروجنا ؟ قال « لأن الهيبس كوريس يقول ، ما دام لا يوجد دليل فلابد من خروج المقبوض عليه » . والهيبس كوريس تعنى « ابرز الجثة » ، أى قدم الدليل المادى على الادانة ، فان لم تكن هنالك جثة ، فليس هنالك دليل ادانة ، فيلزم الافراج . قلت له : « يبدو انك ياكتور لا تعيش معنا » . وقد ازداد اتصالى به خلال تلك الفترة . كان بعض الاخوة يعاملونه على انه رجل متزمت ، لأنه كان متباعدا . واتما كنت متفهما لسيكولوجيته . ووجهة نظرى انه لا يجب افتراض ان يكون الجميع مثلى فى التفكير . قد يكون تفكير البعض ضد افكارى ، ومع ذلك فلهم تفكيرهم الحر ولهم حق التعبير عنه .

وكان معنا محمود السعدنى ايضا . وكان ظريفا للغاية ، يسلينا على الدوام . وعندما رآه أحد المعتقلين الذين كانوا على علاقة طيبة به فى الخارج قال له « نهار اسود يا سعدنى ان تأتى فى قضية سياسية . كان ممكنا ان يقبض عليك فى قضية آداب أو مخدرات . لكن من غير المعقول ان تكون القضية سياسية » . وكانت نكتة ضحكنا منها كثيرا .

عندما ذهبنا الى سجن القلعة للتحقيق معى ، وجدت مجموعة من اخواننا المسيحيين قاضين من أبو قرقاص . قالوا لى : قل لنا يا انندم ، ما الحكاية ؟ قلت : ايه حكاية ؟ قالوا : لماذا اتو بنا الى هنا ؟ قلت لهم : هنا معتقل . ولماذا نعتقل ؟ قلت لهم : من انتم ؟ قالوا : كنا مجموعة مسيحية من مدارس الاحد . نقيم كل يوم أحد جلسات دينية ولا نتحدث فى غير الدين . قلت : حسنا . اذا ما الحكاية ؟ قالوا : حدثت بيننا وبين مأمور المركز خنائة . فامسك بنا وحققوا معنا ، ولما لم يجدوا شيئا ضدنا احضرونا الى هذا المكان .

وقد نقلوا هذه المجموعة فيما بعد الى معتقل الفيوم حيث جاءوا الى العنبر الذى كنت فيه . كانوا يجلسون معا بمفردهم يقرأون الانجيل . الامر الغريب انهم ظلوا حتى آخر مدة . وقد قابلت البعض منهم فيما بعد ، بعد خروجنا من المعتقل ، فوجدت انه قد غدت لديهم افكار سياسية لم تكن لديهم من قبل . ومعنى هذا ان المعتقل قد قاد الى عكس ما قصد أصحابه . لقد حول هؤلاء الذين بلا فكر الى أصحاب فكر .

## المرحلة الأولى من خطة التصفية

### التفرد - الانهيار - التسليم

ان معتقل العزب - فيوم هو التجسيد الحقيقي للمرحلة الأولى من خطة التصفية . ان هدف هذه المرحلة هو العمل على تحويل المعتقلين الى افراد ، كل في ذاته ولذاته فقط . يجب ان يوضع المعتقل في حالة يدرك معها ، ان أمره - وقد وقع - قد انتهى . ليس له أى سند من زملائه أو أهله أو شعبه . لقد غدا فردا منفردا معزولا عن كل شيء . ليس أمامه ، تحت ضغوط القهر والتعذيب والعزلة ، الا ان يرقص على انغام لظوغلَى والعزب ، المخرج الوحيد الذى يترك مفتوحا أمامه . ان حياته لم تعد تساوى شيئا ما لم يقطع كل الخيوط التى تربطه بأية قوة غير الخيوط التى يمسك بها الزبانية ، ليتحول الى دمية تتحرك طوع البنان . يجب ان تخوب ارادته ، وأن تتلاشى ذاته ، وأن يتحول الى شيء ما ، ليس بالكائن أو الكيان .

ان للتفرد يستهدف تفكيك أى رابطة وخاصة الرابطة الحزبية ، وبذا يدمر هذا الكيان التنظيمى ، ويقود ذلك الى تصفيته الفعلية . فان تحقق تحطيم الرابطة التنظيمية الجماعية ، غدا الكل مجرد افراد . هنا يأتى اجتزار الذات والاحباط ، مما يقود الى تحطيم هذه الذات نفسها ، بالانهيار والتسليم ، مما يسهل تصفيتها والاجهاز عليها تماما .

ان معتقل العزب يمثل تجربة طموحة من رجال المباحث العسامة ، تحقيقا لخطة الدولة فى التصفية الجماعية والفردية . انها تقوم على الارهاق النفسى والبدنى ، وصولا الى تطويع المعتقلين ، وتحويلهم من مناضلين دفاعا عن حقوق الشعب ، الى مجرد مخبرين معدومى الضمائر فى خدمة أمن الدولة .

ولتحقيق ذلك ، رسم ذلك السيناريو المتقن ، بدءا بالترحيلة من القلعة الى عزب - الفيوم ، فى جو من الرهبة والغموض . الايقاظ فى منتصف الليل . القيد فى الحجلات . الحشر فى الشاحنات . موكب العربات . سيارات الحراسة والنجدة والاسعاف والمطافئ . زعيق الضباط ودقات اقدام الجنود . الدخول الى الصحراء فى جنى الظلام . الغموض والابهام والسواد الاصفر الممتد بلا نهاية . المعتقل فى الفجر . الاسلاك الشائكة وابراج الكشافات . المفاجأة بالبذاءات والاهانات واللطمات والصفعات والمكومات . الدخول الى عنابر كالحظائر .

كل ذلك كان يستهدف الجرعة الأولى من ذلك المخطط البربرى .  
زرع الخوف والقبول بالمهانة . ان هذه الجرعة هي التمهيد الذى لابد منه  
للخطوة التالية ، عندما يستقر المعتقلون بين جدران المعتقل .

وتبدأ سياسة المحظورات ، « لا تقل نحن • قل انا » • يجب ان  
تنتهى صيغة الجمع وتسود صيغة المفرد • ويعتدى بالضرب المبرح على  
مندوبى العنابر • ليس هنالك من يمثل احدا او ينوب عن احد • ان الاعتداء  
على المندوبين باعتبارهم قيادات للمعتقلين ، يستهدف ايضا اشاعة الذعر  
والفرع ، فان كانت الرؤوس تضرب فما بال الحال مع القواعد • لا تخاطب  
معتقلا مثلك فتناديه يا استاذ او يا دكتور • اما كلمة زميل او رفيق فهي  
محرمة مجرمة • ولا تتحدث مع احد من الادارة عن احد من المعتقلين مسبغا  
عليه ايا من تلك الصفات • عليك ان تقول يا معتقل وفقط • ان التأكيد  
على هذه الصفة يهدف الى قطع كل ما له علاقة بالماضى • لقد نزعنا  
ادارة المعتقل تطبيقا لهذه الخطة ، كل مؤهلات المعتقلين • نفت عنهم  
صفتهم التى كانوا عليها فى الخارج • واسبغت عليهم صفة وحيدة ، بغرض  
غرس شعور بديمومة هذا الوضع الجديد ، وضع الاعتقال • ويتم عن  
عمد اهانة اساتذة الجامعات واصحاب المؤهلات الرفيعة اجتماعيا  
والصحفيين والادباء والفنانين ، بهدف التصغير من شأنهم ، ومن يحتج  
منهم يعتدى عليه بالضرب المبرح ، وذلك بغرض ازالة أى تأثير معنوى  
لهم ، على من ينظر اليهم كنماذج تستحق التقدير والاحترام •

لا اسم للمعتقل • انه هنا يتحول الى رقم • ففوق « نمرة » (١) كل  
معتقل رقم • ان اسم أى شخص هو من أشد الاشياء اللصيقة به • انه  
من أشد خصوصياته • انه كالعلم بالنسبة للدولة • ان انزال علم الدولة  
ليل قاطع على هزيمتها • واسقاط اسم الانسان ، اعلان عن سقوطه •  
ومحاولة لتأكيد فقدانه ذاته وارادته • لقد غدا اسيرا • مجرد رقم فى قطع ،  
وليس شيئا متميزا •

الصمت داخل العنابر • لا أحد يكلم احدا • لا تتحدث وجارك •  
لا تنتقل من فوق « نمرتك » او تغادرها • ولتأبنة ذلك ، تركت نوافذ  
العنبر على الدوام مفتوحة • وفرق البصاين من الجنود تتجسس جهرا  
او سرا من ثقب الابواب ، ترصد ما يجرى داخل العنابر • وتكتب  
ارقاما ، ذلك غادر موضعه ، ذلك تحدث مع جاره • وفى الصباح ، يبدأ  
اليوم بسحب تلك الأرقام الى الفلكة والتأديب •

---

(١) الفراش الذى ينام عليه المعتقل •

ان الانسان يتميز عن غيره من الكائنات الحية بانه يتكلم ، ويتميز عن غيره من الحيوانات الناطقة بانه يختزن الخبرة وينقلها تطويرا لها .  
ان تكميم الافواه بالشوم والكراييج انما يستهدف قتل مكون اساسى من مكونات الانسان ، فما بال تتأثر ذلك على الانسان المفضل . ان تلك المحاولة تسعى الى تمزيق اى روابط تربط المعتقلين ببعضهم البعض .  
انها لا تستهدف العلاقات المنظمة الحزبية فقط ، بل والعلاقات الانسانية ايضا .  
الانسان يقتل صمته بان يحدث نفسه . يجتر ما يحيط به .  
انهم يحددون الاطار الذى يتحرك المعتقل فى داخله ، ثم البيئة التى يكون لها الفعل والتأثير على أفكاره . وبذا فانهم يقودونه فى طريق الانفراد بالذات ، لا يفكر فى غير ما آل اليه حاله . بل وهم ايضا يزرعون فى نفسه بذور التظى عن كل ما من شأنه توطيد او تأكيد دوره ككائن اجتماعى .

ان تفرد المعتقل عن الآخرين يسهل الانفراد به . لا انتهاء للخارج أو الداخل ، للشعب أو للحزب ، منبت الصلة بماضيه وحاضره ، ولا مستقبل خارج بوابة المعتقل الا من خلال ادارة المعتقل .

ان الضرب والسحب الى الفلكة والتأديب لا يقوم على قواعد حقيقية أو معروفة . بل ان كان هنالك ثمة قاعدة فهى قاعدة العشوائية . ان البصاصين لابد وأن يقدموا كل صباح عددا من الارقام ، فطبت شيئا أو لم تفعل ، خالفت تلك القواعد المزعومة عن الكلام مع الجار أو الانتقال من الموضع ، أو لم تخالف . العشوائية هنا مقصودة ، فهى تجعل من صباح كل يوم ، موعدا مع العذاب . انها تغلف الفرد المنفرد بذاته وتحيط به ليجتر خوفه طوال الليل خشية اشراق الشمس ليسحب الى حيث الضرب والمهانة . بل ان شيئا آخر أكثر خطورة وتدميرا ، يسرى فى الانسان دون أن يدري ، ان يسحب جاره فيحس الراحة ان الدور لم يصبه . نجا بجلده على حساب جلد غيره .

ان التعذيب البدنى هنا انما يشكل ركنا أساسيا من أركان الارهاق النفسى والتعذيب المعنوى . انه يسعى كى يصل بالمعتقلين الى مجرد كائنات مذعورة ، تحطمت معنوياتها ، وتلاشت قيمها ومكوناتها الفضالية ، ولم يعد امامها الا ان تبحث عن مخرج فردى ، يصون لها ما بقى من ذاتها المنهارة ، ان كانت ما تزال هناك بقية .

ثم يأتى الطابور . والمفروض فى الطابور ، انه خروج من خلف جدران العنبر الى فناء المعتقل ، ليتنفس المعتقل بعضا من هواء غير ملوث ، ولتعطى النفس بعض الراحة بخروجها من الحيز الضيق الى حيز أوسع ، ليتعرض



الجسد للشمس تعويضا له عما في العنابر من رطوبة • والمفروض أنه خلال الطابور أيضا ، يقضى المعتقل حاجته • يغتسل ويستحم ان شاء • يغسل ملابسه ان كانت قد اتسخت • بل والمفروض ايضا ان يخرج فراشه الى الشمس مرة كل اسبوع على الاقل ، حتى لا تتكاثر فيه الحشرات بأنواعها • كما يتم كنس العنبر ومسحه وتهويته ، حتى يكون « سجنا لائقا بالآدميين » • الا ان خطة التصفية وضعت في اعتبارها موضوع الطابور أيضا ، فالمعتقلون الذين يتركون العنبر نصف ساعة في الصباح ومثلها بعد الظهر ، يخرجون الى الفناء يركضون ، يتسابقون ، فهناك في دورة المياه ، ثمان فتحات لا غير • وهم يزدنون عن الستين معتقلا • كل يود أن يهرع يزيل ضرورات الجسد • وهم اثناء ذلك لا « يستمتعون » بشمس أو هواء • وانما « تشنف » آذانهم طرقعات الكرابيج وبذاعات الجنود وسبابهم • وهم عليهم اثناء هذا الطابور الا يأتون اية حركة ، فاستعمال المنشفة لتجفيف الوجه اشارة ، ووضع اليد فوق الرأس لتسوية الشعر علامة ، والنظر ناحية البلوك الآخر من المعتقل حيث يوجد عنبر آخر عليه دور الطابور في ذات الوقت ، تبادل للحديث واستخدام لشفرة لم تكتشف بعد • وكل ذلك يمكن ان يقود الى الفلكة أو الساقية أو العروسة أو التعرية • وبذا يتحول الطابور من فسحة للنفس والبدن الى كابوس ثقيل تتعرض فيه النفس والبدن لجرعة مكثفة من الضغط والارهاق ، وفرصة للإدارة كي تشيع الخوف والذعر الجماعي فجدران المعتقل ربما نستقر المعتقل من المواجهة المباشرة ، اما الطابور فهو مواجهة مباشرة مع الضرب والمهاتة ، وجند يحكمهم الخوف والذعر ايضا ، وشحنة من العداء تبحث عن متنفس تفرغ فيه نفسها •

وتدخل في حسابات الخطة ايضا مجموعات المعتقلين والاقراد غير المنتقمين • هؤلاء الذين تحكمهم حالة من الذهول للوضع الذي غدوا فيه والعذاب الذي يتعرضون اليه دون ان يكونوا قد فعلوا شيئا ، أي شيء ، يستحقون عليه ما آل اليه أمرهم • ان المعتقل المسيس أو المنتقم فكرا على الاقل يعرف لماذا اقتيد الى هذا المكان • وهو بما يملكه من عقيدة مشبع بروح القتال والمقاومة دفاعا عن معتقده وحقه في التفكير ، أما ذلك الذي لم يشغل باله بكل ما كان يجري حوله من أحداث سياسية ، ثم فجأة يجد نفسه في قبضة عاصرة ، في قلب الاعصار ، فان أقل ما يصيبه هو الدوار • ان هؤلاء الرجال ، سواء جىء بهم عن طريق الخطأ أو العمد ، قد غدوا جزءا من خطة التصفية • ان المباحث العامة تجد في ضعف البعض منهم امكانية سهلة تساعد على تحويلهم الى أدوات لها يتجسسون على المعتقلين ثمنا بوعده بالإفراج • كما انها تتخذ من ضياعهم وفزعهم

ورعبهم مادة اساسية لاضعاف الآخرين . ان المعتقل الذى يصرخ ويستغيث ويستجدى عند الاعتداء عليه بالضرب ، لا يعانى وحده العذاب ، وانما هو بحالته تلك ، اداة تعذيب للآخرين ، وبذر الخوف والخوار فى نفوسهم . كما ان هذا المعتقل الذى لا يربطه بالآخرين رباطا فكريا او تنظيميا ؛ يمثل بالنسبة للمباحث العامة ، اداة جيدة للتوصليل لحسابها فى قلب المعتقلين ، تشيع الفرقة ، وتكسر الوحدة ، وتثير الشائعات والبلبله .

ان الارهاق النفسى والمعنوى لا يقف عند حد البنود السابقة ، اى عزل المعتقل عن زملائه المعتقلين المحيطين به ، انه يمتد لعزله ايضا عن العالم خارج الاسوار . مسموح للمعتقل ان يكتب لاسرته سطورا معدودة تحت سطوة رقابة صارمة ، وذلك حتى تطمئن أسرته عليه ، وبذا تتقى جهات الأمن شر ضجيجها ، الا انه هو كمعتقل غير مسموح له تلقى خطابات من أسرته . عليه ان يضرب اخماسا فى اسداس ، يعيش فى دوايمة ما حل بأسرته : كيف تعيش الآن ، ومن ذا الذى يعولها ؟ من منهم ما زال حيا ومن منهم غادر الدنيا الى الآخرة ؟ ما مصيرهم وهو بين الجدران حبيسا لا يملك من أمره أو أمرهم شيئا ؟ ان هذا المنهج يسعى لدفع المعتقل الى ازمة ضمير ، فهو المسئول عما يمكن ان يصيب أسرته من ضرر . انه يتنظر فى عيون الآخرين ، فى نفس الهواجس تفعل فعلها . ان كل الاوهام التى تعصف بخياله عن زوجته وابنائها تشكل ضاغطا نفسيا يزرع تحت عبئه . ان ذلك - فى عرف المباحث العامة - لابد وان يقوده الى التآكل من الداخل ، الى الضعف والوهن ، الى أن يكون مجرد هيكل اجوف بلا اعماق .

ثم تكتمل حلقة العزل عن الخارج . فلا جرائد ولا مجلات ولا كتب ولا اذاعة ، ولا شئ على الاطلاق فالمفروض ان تقف حياة المعتقل وتجمد ساعة ان سقط فى يد الزبانية .

ويقوم الشق الثانى من الخطة على الانهاك البدنى . التجويع وصولا بالجسد الى حالة من الضعف والهزال تؤثر فى معتويات صاحبه ، كذا تجعله مرتعا طيبا للأمراض . ثم عدم العلاج وترك المرض وآلامه يفعل فعله بالجسد كأداة فعالة ومعاونة لأجهزة الأمن .

يقول ابراهيم مرسى ، « بعد ان وصلنا المعتقل فى أول دفعة ، احضروا لنا بعد قليل كبشة عدس وخمس ارغفة وقطعة من الحلاوة الطحينية . افطرننا وطيننا بالحلاوة . فى الظهر احضروا لنا اداما خفيفا به قطعتين من الكوسة . قلنا هذا هو الغداء وأكلنا . فى المساء لم يحضروا

لنا شيئاً • أثرنا جلبة نطلب العشاء • قيل لنا ، ألم يحضروا لكم الحلوة ؟  
قلنا : نعم • احضروها • تلك القطعة الصغيرة ، اكلناها بعد الامطار  
في الصباح • قالوا : ذلك كان العشاء •

ويقول لطفى الخولى ، « ظللنا عشرة ايام نأكل الخبز الجاف وسوس  
به بعض الفول ، اقترح لطف الله سليمان ان نترك الخبز في الهواء حتى  
يجف • ثم نضع في قلب الرغيف الجاف ، خبزاً أطرى منه • ونأكله بانطباع  
انه محشو بشيء ما • اطلقنا على هذا الرغيف اسم ( سسندوتش  
لطف الله ) •

ويقول نبيل صبحي ، « الامطار فول كثيب مليء بالسوس ،  
اعد بطينه وشوائبه • الكمية قليلة للغاية • للخبز يكاد يكون فاسداً ،  
وهو لا بد من مرتجع الاfran . في الظهر او الغداء ، ماء ساخن به قطعة  
من البطاطس غير الناضجة ، وقطعة من الشغت - ان كان لنا وجبة لحم  
- يلوكلها المرء في محاولة جادة لبلعها ، الا انه غالباً ما يبصقها ، حجمها  
محدود للغاية • العشاء قطعة من الحلوة او قطعة من الجبن ، وهى والعياذ  
بالله ، قطعة ملح عفنة كريهة الرائحة • افضل الطعام كان العبس • وهو  
يقدم يومين في الاسبوع • ربما كانا الاثنين او الجمعة •

كان المبلغ المقرر لكل معتقل من قبل المباحث العامة ، هو ستة  
وخمسين مليماً ، تقسمها الادارة مع المتعهد ، ثم على المتعهد ان يقتسم  
ما تبقى مع المعتقلين ، وبذا لا يبقى من رصيد لاكل المعتقلين غير ما يكفى  
الماء الساخن والخبز الرجوع • ان المباحث العامة وهى ترصد هذا المبلغ  
تعلم علم اليقين انه لا يغطى اقل الضرورات اللازمة لاستمرار الحياة • انها  
ترصد هذا المبلغ التامه كجزء من مخططها في سياسة التجويع والقتل  
البطى • كما ان دخول الادارة طرماً مستفيداً من هذا الرصيد الهزيل ، قد  
حقق سياسة التجويع على اتم وجه • وكان كفيلاً بتحقيق الموت السريع  
اي التصفية الجسدية • فقد أصيب المعتقلون بكل بؤامر هذا الموت ،  
بالشحوب والهزال ، بالحوار والانهاء ، وغداً فريسة سهلة لكل نوع من  
الأمراض •

ثم يأتى تطعيم المعتقلين بالامراض بدلاً من وقايتهم منها • ان غلق  
العنبر عليهم ثلاث وعشرين ساعة في اليوم ، وهذا التكديس في ذلك الحيز  
الذى يضيق بهم ، وطفح جرادل البول وابخرة النوشادر التى تملأ المكان  
برائحة دورات المياه القذرة ، ورطوبة الجدران ، ورائحة عطن الابنية •

والناموس الذى يصل ويجول فى العنابر ، وعدم اخراج الانراش لتهويتها فى الشمس فتصبح مرتعا للبق والبراغيث . وعدم الاستحمام وتتسابع القذارة على الجسد مما يجعله مرتعا للقمل ، يحيل العنبر الى مفرخة هائلة لكل أنواع الأمراض . ويأنى الجنود للتفتيش اليومى ، ليقفوا على السرر باحذيتهم المليئة بالقاذورات وليتركوا كل ما حملت فوق الملاءات والوسائد والمراتب ويلوثون كل شئ .

يقول طاهر عبد الحكيم (١) ، « كل ذلك أدى الى ظهور كثير من الأمراض كالحوزنناريا ، والتهاب القولون ، والسل ، والجيوب الانفية ، واحقان اللوزتين وانتشار البثور على الجسم والانيميا الحادة . والبواسير ، والتهابات اللثة والحلق » . يضاف الى ذلك الأمراض الروماتيزمية والانفلونزا التى لا تنقطع .

الطبيب لا يعالج أحدا . فهو جزء من الادارة والخطئة . المرضى الذين يذهبون اليه ، يتم الاعتداء عليهم بالضرب . ومن تكون حالته خطيرة تهدد بانفضاح أمرهم ، ينقل الى مستشفى الفيوم فى منبر السجناء . حيث يربط فى سريره بالقيد الحديدى طوال فترة « علاجه » . أى يصبح المستشفى اضافة جديدة لابتكارات التعذيب والتفكيك .

ان خطة التصفية فى شقها الخاص بالانهاك البدنى ، قد وضعت فى اعتبارها ان توهن الجسد الى ضعف وتلاشى قدرته على المقاومة . وان تهىء البيئة حوله كي تكون مصدرا جيدا لكل انواع الأمراض ، ويصبح الجسد الذى نزعته منه كل مناعة مرتعا لأى مرض وكل مرض . وبهذا تستثمر المباحث العامة كل ذلك لحسابها ، فالانسان المريض أو الذى يهدده المرض ، أو الذى يرى فى زملائه نماذج تنذر به بتففس المصير ، هو « انسان - فى تقدير جهات الأمن - أسلس قيادا وأضعف عزيمة » .

ومن هنا يلتقى الارهاق النفسى والانهاك البدنى ليحققا لسيادة لاظوغى والقيادة السياسية ، خطة التصفية - الثفرد ثم الانهيار فالتسليم .

ان خطة التعذيب فى معتقل العزب بالفيوم ، قد قامت من الاساس على الارهاق النفسى والانهاك البدنى الجماعى ، والضرب الفردى ، على



ان يكون هذا الضرب محققا لشقى الخطة - الارهاق النفسى والانهاك البدنى معا . فان اضيفت الى خطة الجهات الأمنية والسياسية العليا ، المصالح المباشرة لادارة المعتقل فى « اللطش » والابتزاز مستفيدة بقعليمات المباحث العامة لحسابها الخاص ، تكشف العبىء للباهظ الذين كان المعتقلون السياسيون يزرعون تحت ثقله .

### الخطة المضادة

#### التوحيد والتجميع - المجهود والتحدى - المقاومة والمواجهة

تلك كانت خطة المباحث العامة . وهى خطة على الورق « باهرة » البربرية ، تجمعت وراءها خبرة تلك الاجهزة خلال سنين طويلة ، منذ كانت حصنا يدافع عن الوجود الاستعمارى والملكية والاقطاع . منذ كانت مهمتها الاولى مطاردة الوطنيين ومحاولة سحق كل مقاومة فى وجه هؤلاء السادة . هذه الاجهزة ما زالت كما هى ، رغم تغير السادة والقيادة . ما زالت مهمتها حراسة النظام والبطش بكل مخالفه ، ايا كان مدى هذا الخلاف ، « والابداع » فى وسائل المطاردة والاجهاز على الخصوم . هذا بالاضافة الى ان عداها للشيوخ والديمقراطيين والنقابيين الشرفاء وانصار السلام اصيل . كان فى الماضى وما يزال فى الحاضر .

ولقد طمعت تلك الاجهزة خبرتها بخبرات اشقاء لها يؤدون نفس المهمة « المقدسة » ، فى اماكن اخرى . خبراء فى الاعتقال والتعذيب . اما بالوفود والبعثات الى هناك ، لدراسة احدث ما توصل اليه العقل البشرى المختل فى كيفية النيل من البشر ، واما باستجلاب الخبراء وتبادل الدروس المستفادة .

الا ان هذه الخطة كان ينقصها شىء واحد . كان هذا الشىء موجودا منذ الازل ، وسيظل قائما حتى الابد . هذا الشىء هو الانسان ، الذى تنفذ فيه تلك الخطة والذى تمارس عليه هذه الصنوف من العذابات والخبرات المعادية لكل ما هو انسانى .

لم تضع هذه الخطة فى حساباتها نوع البشر الذين اعدت لهم هذه الخطة . انهم لم يكونوا مجرد ارقام كما ارأيت لهم اجهزة الأمن . لقد كانوا هم ايضا اصحاب خبرات فى مواجهة اجهزة القمع سواء كانت خارج السجون ام داخلها . اصحاب خبرات مصرية موروثة عن الاباء المصريين

الذين سبقوهم على طريق النضال ، وأصحاب خبرات مكتسبة ، مارسوها هم بأنفسهم وأصبحت لهم تراثا يضاف الى تراث الوطنية المصرية . كما انهم على اطلاع ومعرفة بكل الخبرات التي خاضها المناضلون في كل مكان من العالم ، دفاعا عن حقوق شعوبهم في مواجهة الطغيان وأجهزة القمع .

كما أن غالبية هؤلاء كانوا في اتون المعركة في الشارع ، يدافعون عن شعبهم ومبادئهم ، في الوقت الذي كانت فيه الحملة المعادية لهم على أشدها . لم يفروا من المعركة ولم يهربوا من الميدان . كان منهم الصحفي الذي ظل يدافع بقلمه مجاهدا في سبيل الحقيقة ، والعامل النقابي الذي كان يقود الآلاف ويتمتع بثقتهم والتفافهم حوله ، والفلاح الذي رفع الشاس في وجه الطغاة منذ الاقطاع ، والطالب الذي صال وجال في الجامعة ، والمنقف الذي كان ينشر الكتب أو يكتبها ، ليضع الامانة بين ايدي أصحابها ، والفنان رساما وشاعرا وقصاصا وروائيا ، والذي كانت كلماته المرسومة أو المنقوشة أو المكتوبة طلقات من خندق الشعب في وجه من يعادوه ، وعضو مجلس الامة الذي حمله الشعب الى المجلس التشريعي رغم كل الحواجز والقيود . والعضو الحزبي الذي حمل حياته على كفه وانطلق ينافل لا ترهبه قوة على الأرض ، تحاول عرقلة المسيرة التي يؤمن بانها الخير لكل الناس للبسطاء والبشرية جمعاء ، واستاذ الجامعة الذي رفض ان يكون أداة جمل وتضليل .

المعركة الآن بين رجال لاظوا على الذين تضيق نظراتهم فلا يرون غير اساليب السادة من الاسلاف الاقطاعيين والمستعمرين ، الفلكة والكرباج ، وسيلة « للاقناع » والترويض ، وبين مجموعة من خيرة ابناء مصر الذين آمنوا بها واخبوها اعماق الحب ، وهم على استعداد للتضحية بأنفسهم حتى الاستشهاد من أجلها .

واذا كانت للمباحث العامة خطة قائمة على التفرد والانهيصار والتسليم ، فقد وضعت القيادة الحزبية داخل معتقل الفيوم خطة مضادة ، خطة تقوم على التوحيد والتجميع - الصمود التحدي - المقاومة والمواجهة . وكان على هذه الخطة أن تكون ذات شعب متعددة وأن تكون في طابعها السائد تدريجية متتالية من مرحلة الى مرحلة ، وان كان هذا لا ينفي على الاطلاق أن تكون صور من المرحلة الثانية قائمة خلال المرحلة الأولى وان كانت لا تغطي على المرحلة ذاتها .

## التوحيد والتجميع :

بدأ الحزب أولا بنفسه . بالتعرف على اعضائه وتوحيد هؤلاء الأعضاء بتنظيمهم على أساس الوجود المكاني في كل عنبر ، على ان تشكل قيادة محلية لكل عنبر لها مسئولها السياسى ، ويشكل هؤلاء المسئولون قيادة المعتقل الحزبية وذلك بالإضافة الى مسئول المعتقل . ولقد تم انجاز هذا العمل الهام للغاية عن طريق جهاز اتصال بدأ بصورة محدودة ، ثم تتطور مع تطور الاوضاع في المعتقل ليصبح ركيزة أساسية وهامة من ركائز المقاومة في المعتقل كله . والحقيقة ان هذا الجهاز والذي تكون من رفاق غاية في البسالة والشجاعة والاخلاص ، قد ابتدع من الاساليب الجسورة والذكية ، ما مكن المعتقلون من تحطيم العزلة التي كانت تسعى الخطة المباحثية لفرضها عليهم . ولا بد في هذا الصدد من أن يذكر الزميلان المبدعان ابراهيم الحسوقي ( الشهير بابو حديد ) وتوفيق فانوس . كما تشكل أيضا جهاز آخر هام هو جهاز « الناضورية » ، وهم هؤلاء الزملاء الذين يقومون بمراقبة تحركات الادارة نحو العنابر ، ومتابعة حركة البصاصين الذين يتجسسون على العنابر ، واطلاق نداء التحذير الذى ابتكره عبد الملك خليل ، « بلوهم » ، حتى لا تعطى للادارة ، قدر الامكان ، مبررات الاعتداء على المعتقلين .

ولم يقف الحد عند توحيد العضوية تنظيميا ، بل كان من الضروري اجراء مناقشات سياسية لتوفير أكبر قدر من الوحدة الفكرية في الحزب . وذلك بطرح افكار الحزب في الخارج ومواقفه ، من خلال ما يرد من افواج المعتقلين الذين كانوا يصلون من القلعة ما بين الحين والحين في دفعات . كان هؤلاء الرفاق للجدد والذين سقطوا في قبضة الحملة ، يحملون معهم آخر بيانات الحزب وافكاره السياسية . كانوا فور وصولهم الى العنابر في العزب - فيوم يجلسون الى القيادات العنبرية ، يعرضون من الذاكرة كل ما يمكن ان يتذكروه ، وبما ان هؤلاء الزملاء من مختلف انحاء القطر ، فانه يمكن بذلك معرفة ما يدور في الخارج على مدى واسع ، عند تجميع كل تلك المعلومات لدى قيادة المعتقل ، لتعيد عرضها - مستبعدة أى شيء يمكن ان يضر بامان الحزب في الخارج - على كل الرفاق في التنظيم الحزبى في المعتقل . وبذا كان هذا الطريق أيضا أحد الوسائل الهامة لدعم ارتباط الرفاق بحزبهم وشعبهم في الخارج ، مما يؤكد انتماءهم . وانهم جزء من كل ما يزال يقاتل في الشارع . كما قامت القيادات الحزبية أيضا باعداد برنامج للتثقيف النظرى ، فكثير من الرفاق الشباب ، كان حديث عهد بالعمل الحزبى وايديولوجيته ، ومن هنا كان من الضرورى قيسام

الرفاق القدامى والقادرين على اعداد محاضرات نظرية ، من انجاز هذه المهمة . وبذا فان الجيل الاقدم يقدم للجيل اللاحق ما لديه من فكر نظري وتطبيقاته على الواقع المصرى . كل ذلك كان يغنى من العلاقة التنظيمية والسياسية وبالضرورة البناء الحزبى .

ان تنظيم قوات الحزب الشيوعى المصرى ووحدته داخل المعتقل . وهى التى تمثل قرابة نصف عدد المعتقلين ، كانت لابد وان تكون البداية .

كما سعى الحزب فى الداخل الى تدبير اتصال بالخارج . ونجحت قيادة المعتقل فى توفير هذا الاتصال الذى يمكنه على الأقل ان يحمل اخبار الداخل الى الخارج . مما جعل اخبار معتقل الفيوم وما يجرى فيه من تعذيب تحتل الصفحات الاولى فى النشرة التى كان يصدرها الحزب بهذا الخصوص لفصح وتعمية كل الدعاوى الكاذبة عن أنه لا توجد معتقلات فى مصر ولا يمارس أى تعذيب .

وكانت الورقة والقلم هى احدى الضرورات الحاسمة لخلق هذا القرباط ، بسبب التضيق الشديد على الكلام وتبادل الاحاديث . ونجح جهاز الاتصال فى توفير ما امكن من اوراق البفرة والاقلام ، واعدت المخابر فى العنابر . وتحولت الاوراق الى تقارير وتوجيهات ومحاضرات ورسائل تحمل وجهات النظر المختلفة بهدف الوصول الى آراء ومواقف موحدة . كان التنظيم الحزبى يقول ، ان الحزب هناك فى الشارع ، وهنا بين الجدران ايضا .

ولقد تم كل ذلك فى اكبر اطار ممكن من السرية . اذ لابد ان يتوقع المعتقلون وجود عناصر مدسوسة فيما بينهم ، كذلك فان بعض العناصر وخاصة المستقلة غير المنتهية ، والتى لا ناقة لها ولا جمل فى كل ما يجرى ، يمكن ان تفهار أو تساوم على حريتها فى مقابل التجسس على الآخرين .

يقول نبيل صبحى ، « ان الذى ساعد على نجاح المعارك التى خاضها المعتقلون وخاصة الامتناعين الآخرين ، ميزة انفراد بها معتقل الفيوم تفردا تاما عن غيره من المعتقلات التى قلت ذلك . سرية التنظيم كانت نقطة محورية فى الفيوم . ان تصدى القوى الديمقراطية عن اقتناع ، ودور التنظيم فى توحيد الناس كلها ، لم يكن من الممكن تحقيقه بدون السرية الكاملة ، بحيث ان ادارة المعتقل لم تستطع معرفة اين قيادة المعتقل . ورغم ان فخري لبيب كان معروفا على مستوى الحركة الشيوعية بلاتيه قيادى منذ زمن ، الا ان



ساعة دخوله المعتقل وفوره بعد ذلك لم تكتشفه ادارة المعتقل • كانوا اذا فتحوا عنبر ثمانية في الجزء الثانى من المعتقل ، وجدوا اناسا يقولون نفس الكلام الذى سمعوه من عنبر واحد أو عنبر اربعة • كيف تم ذلك ؟ كيف نظم ؟ من حركة ؟ كل هذا غير معروف • هذه السرية ساعدت على حماية وحدة المعتقلين ، ونجاحهم فيما حققوه من مكاسب •

ثم عمل الحزب على ايجاد شكل من اشكال التوحيد مع القوى الشيوعية الأخرى ، والمستقلين المنتمين فكريا للتقدم والديمقراطية • وتحقق ذلك الشكل من خلال لجان التنسيق ، التى تعمل على توفير الحد الأدنى ، على الأقل ، من المواقف الموحدة نضاليا ، وثقافيا وحياتيا : نضاليا حول مواجهة الادارة والظروف الصعبة التى يواجهها المعتقلون ، ثقافيا بتقديم محاضرات أو ندوات ثقافية عامة ، حياتيا من أجل ظروف معيشية متماثلة • ويتم تنفيذ تلك الأخيرة من خلال الحياة العامة •

وتأتى الحياة العامة لتضم كل المعتقلين بغض النظر عن انتمائهم من عدمه ، لتشرف على تغذية المعتقلين وتوفير مزدوبين لاستلام الوجبات ، وتوفير الادوية ما أمكن • وهى تنفذ ذلك على أساس التوزيع المتساوى للمواد الغذائية التى يقدمها المعتقل أو التى ترد فى بعض الطرود • وهى وإن لم تكن شكلا سياسيا من التنظيم ، إلا انها تلعب دورا سياسيا هاما ، حيث أن كل المعتقلين فى العنبر الواحد يعيشون ظروفنا حياتية متماثلة ، الذى تحضر له طرود والذى لا تحضر له طرود ، الكل سواسية من خلال توزيع جماعى عادل للمكانيات الفردية ، ولما كانت ظروف الاتصال بين العنابر رسميا تكاد تكون مستحيلة ، فإن الحياة العامة لم تكن على نطاق المعتقل كله ، ولكنها كانت على نطاق كل عنبر على حده • وحيث أن بعض العنابر كان بها بعض الزملاء القادرين والبعض الآخر كانت غالبية من العمال أو الطلاب فإن ظروف المعيشة قد تباينت من عنبر الى آخر • وكانت تلك احدى النقاط الهامة التى يجب ازالتها ومساواة الظروف الحياتية على نطاق المعتقل كله بتحطيم قبضة العزل داخل المعتقل نفسه بين العنابر المختلفة •

كما كانت الحياة العامة تشرف فى كل عنبر على نظافته ، وتنظيم عمليات استخدام المياه المحدودة الموجودة فيه •

يقول لطفي الخولى ، « عنبر واحد كان نصفه عمالا ونصفه الآخر مثقفين ولذا كان عنبرا متوازنا • كانت توجد عنابر فيها اثنين فقط من المثقفين أو ثلاثة ، والباقي من العمال • وقد اثارت هذه المسألة قضية ضرورة شمول الحياة العامة لكل العنابر معا ، والا تكون فى كل عنبر على

حدة • لكن المشكلة كانت ، كيف سيسمح بنقل الامكانيات من عنبر الى عنبر • كانت هنالك عنابر مظلومة تماما نتيجة للاسكان السجنى •

كنا فى عنبر ( ١ ) حوالى اربعة وستين معتقلا • كان معنا لطف الله سليمان ويوسف حلمى ومحمد الخفيف ومصطفى كمال ونشأت اسكندر وسعيد خيال والدكتور عبد الرازق حسن • وكان لمعى يوسف هو مسئول الحياة العامة وكان منظما من الطراز الأول • لم يعد لدى الزملاء العمال معنا فى العنبر أى ملابس • فطلب سعيد خيال من زوجته ان تغلف الطرود التى ترسلها فى كثير من الدمور • وتظوع احد الزملاء العمال للترزية باعداد هذا القماش • ونفنت زوجة سعيد فى ارسال القماش والابر والخيط • واطلقنا على هذه الملابس « يونيفورم سعيد خيال » • وحدث ان عرف سعيد ان بعض الزملاء للعمال لم يذوقوا الشيكولاته فى حياتهم ، فقرر ان يحضرها باى ثمن • وارسلت له زوجته ما طلب • وكان الدكتور عبد الرازق حسن يقوم بمهمة وزير التموين والتخزين فقرر هو ولمعى يوسف ، ان الكمية غير كافية ويلزم تخزينها لحين حضور كمية أخرى • الا انه كان من المستحيل وجود الشيكولاتة فى العنبر ، وانتظارنا لقدم المزيد • قمنا بعملية ضغط شديدة فوزعت الشيكولاتة بعدالة تامة ، ونال كل منا « فقوتة شيكولاتة » • كذلك قام عبد الرزق حسن بتعين مسئول للمياه داخل العنبر للتحكم فى زير المياه وعدم اضاعة اية قطرة ماء •

ان هذه الاشكال من التنظيم الحزبى والتنسيقى والحياتى ، كانت للركائز الاساسية لاية مواجهة مع الادارة • ان التوحيد والتجميع مع الالتزام فى مواجهة محاولات فرض العزلة والتفرد على المعتقلين كانت هى الضمانة والاداة التى لا بد منها لهزيمة المخطط المدبر لهم • انه بدون تحقيق هذه الخطى ما كان من الميسور خلق للشعور بالارادة الحزبية والارادة الجماعية ، كذا تحقيق القوة الذاتية والفردية ايضا • ان شعور الفرد انه جزء من كل ، يمنحه طاقة بلا حدود وشجاعة مذهلة تبدو أمام العدو أمرا محسرا • ان الفرد فى هذه الحالة لا يمثل نفسه ، انه يمثل المجموع كما انه • وهذا هو الاهم - لا يحس بالاضطهاد الموجه اليه باعتباره انه اضطهاد شخصى ، وانما هو يواجه اضطهادا عاما ، اذن فهو فى موقفه لا يمثل ذاته فقط ، لكنه يمثل المجموع ، وهو لا يدافع عن ذاته فقط ، لكنه يدافع عن قضية • كما انه فى كل موقف يقفه ، لا يمثل من فى المعتقل فحسب ، انه يمثل شعبه ايضا ، ويدافع عن قضية هذا الشعب • ان الشعور بالانتماء والالتزام ، وكون الفرد جزءا من جموع المناضلين دفاعا عن قضية ، يمنح الانسان ارادة بلا حدود ، تملأ المناضل شعورا بالاستهانة بكل معاناة ، يمكن ان تصل الى حد الاستشهاد ، الذى يغدو أمرا واردا ،

لكنه لا يخيف • بل يصبح شرفا يكلل هامة الشهيد • ان حد رباط الدم والاستشهاد ، هو فيصل الاختيار بين من عزم على المقاومة والاستمرار ، فيزداد اصرارا ، وبين من انهزم ونكص يبحث عن مخرج فردى • انه الاتون الذى يصهر ، فلا تبقى سوى الخامات الجيدة الصلبة ذات المعدن الاصيل ، وتتحول الشوائب والعناصر الهزيلة والغريبة الى هباء منثور •

ولقد استهدفت عملية التوحيد والتجميع ايضا ، تحويل المعتقلين المستقلين غير المنتمين ، من احتياطي لخطّة التصفية الى احتياطي للخطّة المضادة في مواجهة الادارة والتصفية ، وذلك بالنقاش والاقناع وابرار نقطة التقاء واحدة واساسية ، هي المعاناة المشتركة التى يقع المعتقلون جميعا فى قبضتها •

هذه الخطوة لتحقيق التوحيد والتجميع فى الاشكال الحزبية والتنسيقية والعمامة ضرورية الى اقصى حد ، اذ بدونها لا يمكن ان يتم اقدام حقيقى على مراجعة المخطط المرسوم والدروس للتصفية • ان الانضباط الحديدى والالتزام للصارم امران ضروريان لمواجهة مثل هذا الواقع • فان تصرفات الفردية وغير المدروسة ، والتى هى اقرب للتفعال منها الى الفعل ، يمكن ان تؤدى الى اخطار فادحة • كما أنها تمنح العناصر المدسوسة - والتى لابد من توقع وجودها - فرصة الاستفزاز المدبر مع الادارة او الأجهزة الأمنية ، لجر المعتقلين الى مواقف لم يتم الاستعداد لها ، بهدف اجهاض عمل تحت الاعداد والحراسة ، او خطة واجبة التنفيذ على مراحل • أن أى موقف فردى أو جماعى ، يجب أن يكون مرتبطا بخطة نضالية وتعليمات واضحة من القيادة ، وتكليفات محددة ، مع متابعة دقيقة لمواقف الادارة ، ونوعية قوى المعركة وقدراتها ، واحتمالات رد الفعل لكل فعل •

### الصمود والتحدى :

بدأ الحزب من خلال التنسيق مع المعتقلين المنظمين فى تنظيمات أخرى والمستقلين المنتمين فكريا ، والنقاش الدؤوب مع العناصر المستقلة غير المنتمية ، فى وضع خطة تحطم مخطط الأجهزة الأمنية فى جزئياته ، وبمواقف جزئية ايضا • هنالك الاجتماعات داخل العنابر تتحدى محاولة فرض التفسخ والتحلل والتفرد • وتبادل السلام أو التحية أو الكلام ما بين عنبر وآخر تتحدى محاولات العزل • ورواية القصص والروايات والفكاهات وعقد ما يشبه الندوات ، والسمر والغناء بتحدى محاولات فرض الصمت • وكتابة الاخبار والتحليلات السياسية وتوزيعها على العنابر من قبل اللجنة القيادية ، وتبادل وجهات النظر والتكليفات الحزبية تأكيدا لوجود الحزب والانتماء والالتزام ، واختيار مندوبين يمثلون كل عنبر تأكيدا لجماعية



الموقف ووحده ، والاحتجاج على سوء المعاملة ورداءة التغذية وانعدام العلاج . وفي ايجاز الاعلان على نجومنا وفي صور مختلفة ومتعددة رفض ما يجرى ، حتى وان كان الثمن سحب غدد من الزملاء صباح كل يوم الى الفلكة وضربهم ضربا مبرحا ثم وضعهم في التاييب بعد ذلك .

ان كل ذلك كان التمهيد الضروري لكسر رهبة الاعتقال وهيبة سلطته ، وشحذ فضائية المعتقلين وتصليب ارادتهم وتدريبهم على المقاومة . كما انه كان تمهيدا لازما لتصعيد الموقف الى التآزم المطلوب لمواجهة الخطة في مجموعها .

يقول لى يوسف ، « عندما وصلنا معتقل الفيوم وضعونا كل مجموعة في عنبر . كان معى لطفي الخولى ومحمد الخفيف ولويس موسى . كانت لدى الادارة تعليمات من المباحث العامة بالا يتصل أحد بأحد ، وان نمنع من اقامة حياة عامة ، فتلك اخطر الكبائر . ثم بدأوا يحضرون الهجانة ويقومون بحركات ارهاب بشعة بغية اخافتنا . كانوا يحضرون الاكل امام الباب ثم يغلقوه . كان المتعهد هو الذى يحضر طعامنا ، وهو طعام يمكن ان تطلق عليه اية تسمية .

جاء السامور يمر فصحت فيه من النسافة . قال صارخا : اقل ، اضرب . قلت له : تعالى ، تعالى هنا . بهت الرجل . لم يكن قد اعتاد ان يحادثه احد بمثل هذه الطريقة . جاء الى جوار النافذة . قلت له : من انت ؟ ماذا ترى في نفسك ؟ هل تظن انك مازلت تتعامل مع الحشاشين ؟ الا تعرف كيف تتعامل مع السياسيين ؟ ان لم تكن تعرف ، اسألنا ونحن نخبرك كيف تتعامل معنا . ان الاسلوب الذى تستعمله لن يجدى معنا .

كان وقتها يشد اى معتقل باى حجة من العنبر لتأديبه . احتد عليه لطفي الخولى ومحمد الخفيف ايضا وبهذا غدونا ثلاثة . تصور كل العنبر اننا لابد مسحوبين لنضرب العلة المعتادة . الا ان الرجل قال : حسنا فلنترككم . قلت له : الكلام هنا لا ينفع . نقابلك في مكتبك ونتكلم . بعد قليل فتح العنبر وقد اصطف العسكر على بابيه . استدعانا نحن الثلاثة . المعتقلون جميعا وقفوا في توافذ العنابر وهم يتصورون اننا ذاهبون الى غير رجعة . وابتدا الجميع يناقش ما العمل ؟ .

عندما دخلنا مكتبه ، بدأ يسألنا ، من أنت ؟ ومن أنت ؟ قال له لطفي الخولى : انا لطفي الخولى صحفى . وعندما جاء دور الخفيف قال :



انا محمد الخفيف ضابط في الجيش وصيدلى • قال المأمور في دهشة •  
 انت ابن الشيخ الخفيف ؟ قال : نعم ، ابن الشيخ الخفيف وشيوعى  
 أيضا • حاول المأمور أن يقلب الامر هزرا ، ثم قال : ماذا تريدون •  
 ان لدى تعليمات بان حياتكم العامة تلك هي اخطر من الخطر • قلت له :  
 ومن الذى قال لك ذلك ؟ قال المباحث العامة ، وتعليماتها الا تتصلوا  
 ببعضكم البعض ، وان يوضع لكم الطعام على باب العنبر • وأن تكون  
 مساحة الطابور محدودة • قلت : ان رجال المباحث العامة يدفعون بك  
 الى مأزق ، فلا تضع نفسك حيث يشاؤون • اننا لسنا لصوصا ولا قتلة ،  
 ولا تجار حشيش • ما نحن فيه سياسة ، مرة لنا ومرة علينا • وهؤلاء  
 الذين تراهم امامك يمكن ان تكون لهم مراكز حيننا ، وان يكونوا بلا  
 مراكز حيننا آخر • فانتبه بعد مناقشة مع لطفى والخفيف حول ما نريد •  
 قلت له : العنابر الآن في حالة هياج نتيجة اسلوبكم في شدد الناس  
 والاعتداء عليهم • انهم يتصورون الآن أشياء كثيرة تحدث لنا • دعنا نمر  
 على العنابر ، نرى طلباتهم ، ونبلغها اليك • هكذا تدار الامور • فكر  
 مليا ثم قال : امرى الى الله • خرجنا من عنده نحن الثلاثة • مررنا على  
 العنابر واتفقنا مع الزملاء على أن يخرج كل عنبر اثنين من سكانه كمندوبين  
 عن العنبر لاحضار الطعام ، وبذا يوزع الطعام بمعرفتنا نحن لا عن طريق  
 العساكر • ويمكن للمعتقلين حينئذ ان يتابعوا حالة الطعام وما يريدونه •  
 دعنا اليه ، وأخبرناه بما اتفقنا عليه • فوافق على ذلك « (١) » .

ويقول ابراهيم مرسى ، « عندما وصلنا المعتقل كنت في عنبر اربعة •  
 تسكنت قيادة لكل عنبر • كان مسئول العنبر هو اديب ديمترى • كذلك  
 كان هنالك اشكال تنظيمية في كل العنابر • وكنت أنا مسئولا عن  
 الحياة العامة اقوم بتوزيع الاكل والسجائر • كنا نعطي كل معتقل  
 سيارة أو سيجارتين في اليوم ، طبقا لحالة اللوارد منها • وكنت انادى  
 ساعة توزيع الاكل « صلى على النبى » ، فيحضر كل زميل ومعه طبقه ،  
 فابدا في توزيع الطعام •

في اوائل المعتقل ، كانوا يصرفون لنا خمسة ارغفة ، والخضار  
 ضئيل للغاية • طالبنا الادارة باستبدال جزء من العيش بخضار • احالتنا  
 الادارة الى المتعهد • فعل ذلك على مضض محتجا بان المبلغ المرصود  
 لغذاء المعتقلين محدود للغاية •

بدانا نغنى ونقيم بعض الحفلات • أخذ للضباط يهاجمون العنابر  
 لمنعنا من ذلك • في عنبرنا كان سلامة عبد الواحد يغنى « ع الزراعية  
 يا رب اقابل حبيبي » ، اقتحم الضابط العنبر شاهرا مسدسه • واجهه

(١) لقاء شخصى معه في ٢٠/٣/١٩٨٠

سلامة ، « لماذا تهددني بالمسدس » ، قال الضابط « لانك كنت تغنى ،  
ع الشيوعية يا رب اقابل حبيبى ، ولو سمعتك مرة أخرى فسوف اسحبك  
الى المكاتب » . الضابط عندما واجهناه حاول تحويل الاغنية حتى يبرر  
اقتحامه العنبر بالمسدس .

اخذنا قرارا بأن يرد الاعتداء او السب بعشرة امثاله ، وأن يقع  
ذلك على الضابط مهما كانت النتائج . فى أحد الايام وصل زميلان بمفردهما  
الى المعتقل . وتم الاعتداء عليهما فى الاستقبال . قلت لهما من الناقذة ،  
وهى فى مواجهة الادارة ، لا تستسلموا لاستفزاز الجند وردوا الالهانة  
بالالهانة . سمعنى واحد من عساكر الدرجة الثانية . قال « اسكت  
يا معتقل يا ابن . . . والا وضعت راسك تحت قدمى » . قلت له ، « انت  
والذى امرك ابن ستين . . . » . قال له عسكري من الدرجة الاولى ،  
« مالك بهم ، دعهم وشأنهم » . قال له ، « هذه أوامر وانت تعرفها » .  
كان ذلك فى الصباح . فى الساعة الثانية والنصف ظهرا فتح العنبر ،  
ودخل عسكري الدرجة الثانية ومعه الضابط حطى العيسوى . اشار  
العسكري الى معتقل يدعى ابو زيد من طقطا . كان صاحب مطبعة وهو  
مريض . قال العسكري ، « هو الذى شتمنى » . تقدمت وقلت ، « هذا  
الرجل لم يتحرك من مكانه او يشتم احدا . انا الذى شتمت » . قال  
الضابط ، « ألزم مكانك » . قلت ، « انا الذى شتمت ، لماذا تأخذ  
غيرى ؟ » تدخل حسن المناويشى ، قال « هذا الرجل مريض والذى شتم هو  
ابراهيم مرسى » . تذكر الجندي فاشار نحوى وقال ، « هو الذى شتم » .  
فاخذونى وحسن المناويشى ايضا .

وضعونى فى زنزانة القاييب . وجدت هنالك لطف الله سليمان .  
اخذوا حسن المناويشى وضرب بالكرابيج ثم اعادوه الى زنزانة انفرادى .  
جاء محمد غطاس لاخذى ، وكان لى سابق تعامل معه . كان يهرب لنا  
بعض ما نريد فى مقابل نقدى شهري . قال « هو انت ، وماذا بعد ؟ » ،  
قلت ، « لا قبل ولا بعد ، افعلوا ما تشاءون » . جمع حطى العيسوى  
فرقة التعذيب . اربعة صفوف فى عشرة . اخرج منهم خمسة باعتبار  
انهم مرضى وتبقى خمسة وثلاثين ، وبدأ الضرب . قال العيسوى ، « لازم  
تقول انا امرأة » . قلت ، « ان كنت تؤد ان اقول انا امرأة ، غانا اقول  
لك ، الذى يتعب منا أولا يكون هو المرأة » . عنف الضرب واشتد . سقطت  
على وجهى فى شبه اغماءة . تقدم منى ولد يدعى الباشجاويش وبيع .  
احضر قالب من الطوب ، واخذ يدق به سلسلة ظهري . والعيسوى  
يصرخ ، « مش علوز تقول انا مرة يا ابن . . . » . واستمر الضرب حوالى  
ثلث ساعة وأنا لا ارد . سسال الدم من عيني واخفى وفمى وانفى . ثم

القونى فى زنزانة انفرادية بعد دهانها بالبراز وملئها بالماء . لم يترك جزء واحد سليم فى بطنى . كان الجنود فى مباراة ، يبدى كل مهارته امام الضابط ، ويثبت انه يؤدى عمله على الوجه الاكمل . ربطت البطانية فى الشباك وجعلتها كالمرجيحة واسندت راسى اليها . كان العسكرى يرق الباب كل ربع ساعة ويقول ، « عد ، حتى يمننى من النوم أو الراحة . » ثار الزملاء فى العنبر ، وأخذوا يصرخون ، اتركوه يا مجرمين ، يا خونة ، يا عملاء الاستعمار ، فأخذوا أحمد البكار من العنبر وحطوه فى الفلكة وعلقوه بين كرسيين ، وأصبحت رأسه الى أسفل ورجلاه الى أعلى . وكان ضابط المباحث العامة عبد العزيز شاكر يضع رأسه بين ركبتيه ، وعند كل شومة تنزل على رجلي أحمد البكار ، يقوم عبد العزيز شاكر بلطفه بكفيه على وجهه . ضربوه حوالى مائة شومة ومائتى لطة . كان كلانا قد تورم وجهه وأصبح أزرق اللون .

كان الدكتور فايق فريد وجلال حمودة قد ضربا قبلنا ، كل واحد حوالى ثلاثين كراباجا على رجليه ، بسبب المواقف التى كنا نتخذها فى مواجهة الادارة .

أول يوم ضربت فيه جاغى احد الجنود الدرجة الثانية . قسم لى ثلاثة سجائر . وقال « لا تزعل منى يا بيه ، دا غصب عنى كنت باضرب فيك . » دى أوامر الضابط حلمى العيسوى . ثم همس ، « والنبي وانت خارج من الزنزانة تبقى تدنى الزكاة . » ولما سألته ، ما هى هذه ( الزكاة ) ؟ أشار الى جاكيتة البيجاما . كان أمرا مضحكا مبكيا ، فهو كالذى يرى احشائك خارج بطوك ، فيطلب منك قطعة منها للقطعة بثلاثة سجائر .

ضربت يوم ٢٤ ابريل . كانت معى فى جيبى صورة اولادى . وبينما كنتلقى نظرة عليها انقطع النور . سمعت خفى صوت حلمى العيسوى يقول « هل هذه صورة اولادك ؟ » كان يقف وراء شباك الزنزانة يطسل على . قلت ، « هذا أمر لا يخصك » . استدعى الشاويش ، أمره أن يتوجه الى المستنول عن الكشف ويطلب منه توجيه النور الى الزنزانة ، حتى أستطيع أن أرى اولادى . وضعت الصورة فى جيبى وقلت اننى لا أرغب فى رؤية الصورة ولا فى ضوء الكشف .

نقلت قبل نهاية الاسبوع الى زنزانة مشتركة مع لطف الله سليمان وحسن مناويشى . كان لطف الله سليمان يطلب الا نجادته فى بعض الاحيان . كان ، يقول « دعونى الآن ، هانا اجالس ابنتى بعض الوقت » .

كان في سرحة عائلية خارج الجدران . استخدمنا معاقه في ثقب الجدار  
الفصل بين زنازين القاديب حتى تستطيع الحديث مع جيراننا من الزملاء .  
عندما عدت الى العنبر اقام الزملاء لي حفل استقبال ، ولكن ليس على  
طريقة الادارة .

في 'أحد المرات كان للزملاء يغنون في العنبر . جاء الضابط حمدي  
ودخل العنبر . قال ، « من الذي كان يغني ؟ » ثم اشار الى أحد الزملاء  
وقال له ، « انت ، تغالي » . تقدمت انا وقلت ، « انا الذي كنت اغني » .  
لم اكن اغني ، لكني رغبت في التحدي . قال ، « يا عم ابراهيم انت حاطط  
نفسك في كل حاجة ؟ » ، قلت في اصرار ، « انا الذي كنت اغني » . قال ،  
« طيب ببا عم ، سلامو عليكم » . ثم غادر العنبر .

ان الموقف النضالي يفرض نفسه حتى على العدو . انه لا يبحث  
عن فريسة صعبة المثال ، يمكن ان تكون مثالا يشد من العزائم ، انه يبحث  
عن صيد سهل ، يكون عبرة وعظة للآخرين .

ويستمر ابراهيم مرسى ، « ظلت في العنبر بعد خروجي من القاديب  
حوالي شهرا . ثم رحلت مع الدفعة الاولى الى الواحات باعتبار اني  
من المشاغبين ( ٢١ يونيو ١٩٥٩ ) .

لقد خضنا خلال هذه الفترة عدة معارك من اجل تحسين الطعام  
وزيادة وقت الفسحة واخراج الفرش الى الشمس . كما ان امتنعنا عن  
استلام الطعام . تأتي الادارة في نفس اليوم وتحاول حل المشكلة . كانت  
تستجيب يومين أو ثلاثة ، ثم تعود الى ما كانت عليه ، وهكذا استمرت  
اعمال المناوشة والاحتكاك متصلة لا تنقطع .

لم يقف للصمود والتحدى عند بعض المواجهات هنا أو هنالك .  
كان الصمود والتحدى يحتاج الى جرعات ضرورية من التوعية والتعبئة .  
كان الزملاء المثقفون يمثلون كنزا ثقافيا دسما . لقد حرمتهم الادارة وخطة  
التصفية من الكتب . الا انها لم تحرك ان البعض منهم انما هو مكتبة  
متنقلة ، يمكن ان يكون مكتبة عامة متنوعة الثقافة والحرايات ، أو مكتبة  
متخصصة في الشعر أو القصة أو الرواية أو المسرحية أو الاقتصاد  
أو الاجتماع أو الفلسفة أو العلوم أو السياسة . وهذه المكتبة لا يمكن  
الخيل منها أو مصادرتها الا بقطع اللسان أو الرقبة . كما أن هنالك الرفاق  
العمال النفايين ، كذلك بعض قادة النقابات المهنية والاتحادات الطلابية ،



وهم جميعا يحملون تجارب فضالية زاخرة وافرة ، لم يعيشوها فقط ، بل كانوا هم أيضا من قائلتها ، ومن العسوا لها ولعبوا دورا هاما في نجاحها . كان مجموع المعتقلين يشكل ثروة فكرية ونضالية عارمة . وبدأت عملية التثقيف وتبادل الخبرات والحكي والروى تلعب دورها من خلال ندوات أو محاضرات ، في تحقيق التوعية والتعبئة اللزمين .

كما كان لبعض الرفاق ملكات خاصة في الغناء أو الفكاهات والنواذر ، فبادروا الى تقديم مراهبهم في لحظات ترفيهية ممتعة .

كل واحد من المعتقلين كان يمتلك شيئا . وهذا الشيء يضاف الى الآخرين فيصبح اشياء ، تزيد من تآلف المعتقلين وتعرفهم على بعضهم البعض وازدياد تماسكهم وتعميق الاواصر التي تربط فيما بينهم . وكان كل ذلك ، يخلق نوعا غريبا من الوحدة والتلاحم في كل عنبر .

يقول لطفي الخولي ، « عندما كدروني بنقلني من عنبر واحد الى عنبر تسعة ، بقيت ثلاثة ايام حتى اتكيف مع هذا للعنبر الصغير . كنت كمن ترك قصرا منيفا الى كوخ صغير ، أو كمن وقعت به طائفة . قانون النسبية داخل السجن رهيب . كان العنبر الصغير واضيق فاحسست فيه بالانقباض . كذلك كان هنالك فراق الاصدقاء . كان معنا محمد الخفيف في عنبر واحد وكان يعطى العنبر روحا وحياة . اصبحت ايامه الآن ذكريات . كان هنالك عنكبوت في عنبر واحد ، فكنت احس بالحنين الى رؤيته ، واتساءل ان كنت ساراه مرة أخرى . الارتباط بالمكان غريب . واسلوب الحياة الذي اعتدته يخلف مجتمعا له ميكانيزمه الخاص وعلاقاته الانسانية الخاصة . عندما عدت الى عنبر واحد زال احساسى بالغربة والعزلة » .

ان ترابط المعتقلين في كل عنبر ، كان جزءا لا يتجزأ من ترابط المعتقلين على نطاق المعتقل كله . لقد كان عنبر واحد يضم اكبر عدد من المعتقلين المستقلين غير المنضمين الى أى من التنظيمات الشيوعية ، الا انهم كانوا ذوي انتماء فكرى وسياسى . ووحدة هذا العنبر تؤكد نجاح سياسة للتوحيد والتجميع وموقف الالتزام الذاتى بموقف الجماعة .

ويقول منجد توفيق ، « كان عنبر واحد هو العنبر الذى تخرج منه أول دفعة مندوبين عند كل امتناع أو مشكلة مع الإدارة ولهذا فان سكان هذا العنبر كانوا هم أول من يتعرض للاعتداء » (١) .

---

(١) لقاء شخصى معه .

ويقول الدكتور عبد الرازق حسن ، « عندما كان اخواننا في المعتقل يضربون عن الطعام ، كان القائد يأتي الينا ويطلب منا ان ندعوهم للكف عن الاضراب . انه يتصور اننا ما همنا بكاترة فلابد وأن نكون الكبار وعلى الصغار ان يسمعوا كلامنا . قلنا له ، نحن لسنا للقيادة ، لم يكن قصدا بالطبع نفى علاقتنا بما يجرى ، لكنه كان مندهشا من ذلك ، » .

وهكذا أصبح لعنبر واحد ضيوف دائمين في زنازين التأنيب ، كذلك كانت توقع على البعض متهم عقوبة النقل أو النفي الى عنبر آخر ، حتى تعيد هذه العقوبة اليهم - ولو بشكل وجداني - بعض صور العزلة والاغتراب . الا ان نقلهم الى عنابر أخرى ، والذي قصدت منه الادارة عزلهم عن بعضهم البعض ، قد عاد على تلك العنابر التي نقلوا اليها بفوائد جمة . اذ كانوا يسهمون خلال تلك الفترات في عمليات التوعية والتثقيف ، وبذا. اصبحوا اضافة ايجابية لم تحسب الادارة حسابها .

للزملاء في كل العنابر يعدون انفسهم وكل المعتقلين للمواجهة . الخلاف السياسي بين الفصائل المختلفة أو بين تلك الفصائل وغير المنتمين تنظيما لا يقف حائلا أمام وحدة الموقف للنضالي .

يقول نبيل زكي ، « بعد ان مكثت ثلاثة ايام في القلعة ، رحلت الى الفبروم يوم ٢٤ يونيو . كان معي للزملاء الذين سبقوني الى المعتقل منذ اسبوع أو اسبوعين ، وكان منهم نشأت اسكندر ، عبد الله كامل وفيليب جلاب . كنا حوالي خمسين معتقلا ، نغنى في العربات طوال الطريق . وكنا مستعدين للاستقبال ، فقد بلغتنا اخبار تقول بأن هنالك اهانات واعتداءات في معتقل الفيوم . الا اننا استقبلنا استقبالا عاديا . وقد عرفنا السر فيما بعد . اذ كان المعتقل قبلنا قد خاض معركة امتناع عن الطعام . وكان اول وجه قابلته في اليوم الثاني هو رشدي خليل . وضعت ، انا ، في عنبر اربعة .

كنا نعاني من مشاكل العلاج وكان معنا عدد من الزملاء المرضى . كما كنا نعاني من ازمة مالية دائمة . وقاد الدكتور الخفيف ، باعتباره صيدليا ، حملة لاقتناع الزملاء بالاستغناء عن معجون الاسنان والاكتفاء بالصابون باعتباره انه لا فرق بينهما .

ولقد بذلنا جهدا توحيدا متصلا ، وسعينا الى ان يكون جميع من في العنبر في حياة عامة واحدة . كنا نطرح ( الحزب ) فكرة التنسيق بين الاطراف المختلفة الموجودة ، الا ان عاطل حسين ( حقتو ) طرح

فكرة الانتخابات الحرة بالاقتراع العام ، على أساس أن مجموعة أبو قرقاص يمكن أن تصوت معه . وافقنا ونجح مرشحو الحزب بما يشبه الاجاع . كانت الحياة العامة واحدة وكاملة . أما بالنسبة للمواقف ، فقد كان هنالك تنسيق في عمليات المواجهة والتصدى والامتناع عن الطعام عند الضرورة .

كنا نعد ندوة اسبوعية في العنبر . وكان المتحدثون فيها عادة يمثلون اتجاهات ثلاث : انا ( الحزب ) وعادل حسين ( حفتو ) ولويس عوض ( مستقل ) . واذكر ان الدكتور لويس عوض كان في واحدة من هذه الندوات ينفي فكرة القومية العربية . وتكلم عنها عادل حسين بشكل ناصري بحت . وركزت من جانبي على المحتوى التقدمي للديمقراطي اللازم للقومية العربية ، وبالتالي تناولت الاخطاء التي صاحبت الوحدة المصرية السورية . وقد طرح لويس عوض في مرة أخرى موضوعا عن الاشتراكية الديمقراطية ورفض الستالينية . وقد اثارت هذه المسألة نقاشا طويلا . وفي هذه القضية كنت وعادل حسين في جانب ، ولويس عوض في جانب آخر .

كانت هنالك مسئولية ثقافية في العنبر . وقد لعب الدكتور محمد الخفيف دورا بارزا في هذا المجال . وقدم ما يمكن تسميته بذكريات في الحركة الوطنية ، حول تاريخ حزب الوفد والصراعات بين التيارات المختلفة داخله . كان يرويها بصورة مشوقة للغاية ، تثير المتعة الفكرية . وكان له بعض القفشات الذكية التي تثير الضحك .

كنا اثناء الندوات نوقف أحد الزملاء على نافذة من نوافذ العنبر ، حتى يعطى انذارا ان اقترب احدهم من العنبر وكان التحذير الشهير ( باوهم ) قد أصبح متداولاً في المعتقل كله . كان هنالك نشاط فني أيضا وكان المسئول عنه حسن عثمان والذي كان يغنى لنا اغاني أم كلثوم .

كنا نكتب أيضا التحليلات السياسية ونتداولها فيما بيننا ، ومع العنابر الأخرى . وكان هذا النشاط عاما في كل عنابر المعتقل .

ويقول فتحي عبد الفتاح ، « من ناحيتنا نجحنا في تكسير جو الارهاب الكئيب المحيط بنا . وامكن تنظيم شبكة اتصال عبر النوافذ بين العنابر كلها . وما جرى في عنبر واحد أصبح يعرفه سكان عنبر

ثمانية في نفس الليلة . وبدانا نتحرك ونفكر بعقل الجماعة . ففرضنا حرية الحركة داخل العنابر كأمر واقع . بل وبدأنا ننظم الجلسات والندوات الثقافية والترفيهية . هذا يحكى بعضا من القصص العالمية لهنجواى وشولوخوف وايليا امينبرج وجيمس جويس وجوركى وطه حسين ونجيب محفوظ وذلك يعرض مسرحيات لتوفيق الحكيم وشكسبير واسبورن وتشيكوف وأونيل وتنسى وليامز وبريخت ونعمان عاشور والريحاني ، وآخر يعرض بعضا من الافلام . ومجموعة تقوم بعرض كتب وأفكار سارتر وهيجل وماركس وفولتير وروسو ومحمد عبده والافغانى ، وآخرون يغنون الحان سيد درويش وبول روبسون وعبد الوهاب وعبد الحامولى وفرانك سيناترا .

ورغم كل الخطر والاوامر تمكنا من استحضار بعض الصحف والمجلات . على أن كل هذا كان يحدث خلال معارك متصلة . فالادارة لم تسكت عنا يوما واحدا ، ولم تسلم لنا بأى حق . كانت تتعامل يوما أو يومين ثم تنزل بكل ثقلها في اليوم الثالث لتجمع مندوبى العنابر مثلا لتقوم بجلدتهم أمام مبنى الادارة ولتحاول ان تشيع جوا من الارهاب . . . . هي توجه لنا لكمة في هذا اليوم ، ونحن بعقولنا وبحبنا للحياة وأصرارنا للدفاع عن القيم الجميلة ، حتى داخل الاسوار ، نوجه لها لكمة في اليوم التالى ، (١) :

وهكذا غدا كل عنبر كتيبة ، وحدة قتالية ، في جيش المعتقل كله .

### المقاومة والمواجهة :

كل ذلك كان أمرا عظيما . الا ان الجو السائد والمسيطر ، كان جو الارهاب البشع المفروض على المعتقل . كانت الادارة هي المسكة بزمام الهجوم والمبادأة . هي التى تثير الاحتكاك وتوقع العقاب . . كانت هنالك أعمال وافعال بطولية ومجيدة ، الا ان الوضع العام كان وضع ردود الفعل لما تسعى خطة الأمن وعصبة الادارة الى تنفيذه . وكان لابد من تحويل المناوشات من جزئيات فى الخطة الى هجوم شامل . أى تحويل المعتقل من موقع الصمود والتحدى الى موقع الهجوم والامساك بالمبادرة .

« وصلت دفعة يوليو الى معتقل العزب ، وكنت واحدا منها (٢) . كنت وأنا فى الخارج اعرف كثيرا من الاوضاع التى يعيشها معتقل العزب

---

(١) كتاب شيوعيون وناصريون لفتحي عبد الفتاح .

(٢) فخرى لبيب .



بالفيوم ، وذلك بحكم وضعى الحزبى حينذاك ، ومن خلال الجريدة التى كان يصدرها الحزب لفضح ما يجرى فى المعتقلات • لذا قررنا ونحن نتجه الى معتقل العزب ، ان نرد على الاعتداء بالاعتداء • وأن العضو الحزبى الذى لا يتخذ مثل هذا الموقف سوف يتعرض للمسائلة التنظيمية ، والنى يمكن ان تصل الى حد المساس بعضويته فى الحزب • كان فى تلك الدفعة عدد من كوادى الحزب الاساسيين ، الذين قام على عاتقهم بناء الحزب بعد ضربات يناير ومارس وغيرهما • وكان اعتقالهم يثير فى نفوسهم غيظا من أنفسهم ، أن سقطوا فى يد العدو فأضافوا الى اعباء الخارج اعباء جديدة ومعقدة • لم يكن الاعتقال يرهبهم بقدر ما كان الوضع يثير حنقهم ان حرموا من الفضال الحقيقى فى قلب الشارع • كانوا يعرفون الكثير مما يحدث فى الفيوم ، وبذا لم يكونوا عرضة للمفاجأة الاولى التى يمكن ان تشل التفكير والتصرف لحظات يستفيد منها للخصم فى محاولة غرس الخوف والرغبة • ومع ذلك يقول نبيل صبحى وهو احد الاعضاء المركزين الاحتياطيين وكوادى الحزب الهامة ، « دخلنا فوجدنا الزملاء يتحدثون معنا بحذر شديد ، وينصحوننا بان ننام فورا ، وان نتحدث فى الصباح • كانوا جلوسا على السرر فى منظر يعكس الارهاب الفظيع الذى يعانونه • كان المنظر كئيبا حتى اننى كنت كالمدهوش ، اتفرج على ما حولى وكانى كومبارس فى فيلم عن معسكر نازى لا علاقة له بالواقع • كان المعتقل بسماقه ومضمونه كمعسكرات النازية • ولاحظ فخرى لبيب على ذلك فسألنى : « مالك » ، انت سايح كده ليه ؟ ماكنت كويس فى القلعة • مش احنا متفقين نحتج وناخد موقف • فبدات افيق على كلامه • »

فى الصباح قال الرفاق أعضاء اللجنة القيادية لعنبر اربعة ، ان كل ما سمعناه عن التعذيب والتنكيل حقيقى ، بل أقل بكثير مما حدث فعلا • كان مسئول المعتقل عبد الله محمود كامل من سكان هذا العنبر أيضا • عرض ما تم انجازه فى هذا المكان من اعداد الزملاء تنظيميا وسياسيا وحياتيا والوضع العام فى المعتقل • كانت الصورة التى تنقل لينا فى الخارج تعكس اوضاع القهر والتعذيب الواقع عليهم ، أما صور المقاومة والاعداد للمواجهة ، فقد كان من الصعب تناولها حفاظا على سرية العمل وحماية له • ان ما تم انجازه كان اعجازا حقيقيا فى ظل الظروف التى كانوا يعيشون فى ظلها •

تشكلت لجنة قيادية مركزية للمعتقلين الحزبيين فى المعتقل كله من المركزين الأصليين والاحتياطيين • وكانت مكونة من فخرى لبيب ( مسئول مركزى أصلى ) وعبد الله كامل ونبيل صبحى ( مركزيان

احتاطيان ) . وكانت لكل عنبر لجنة القيادية العنبرية ، ولكل لجنة من هذه اللجان مسئولا من الداخل .

في نفس هذه الدفعة كان المناضل عدلى جرجس . ادخلوه عنبر ثلاثة . حاول الزملاء في المساء اقامة حفل تحية له ، غنى في هذا الحفل حسن عثمان شقيق المناضل الشهيد محمد محمود عثمان . جاء الشاويش ونهرهم في سوء ادب . ثم تلاه الضابط . أطفأ الرفاق النور فسببهم للضابط سببا بذيئا . تحداهم ان كان فيهم من يملك شجاعة ادبية ليعلن عن اسمه ، تصدى له عدلى جرجس . فهدده الضابط بصباح اليوم التالي .

في صباح اليوم التالي اخرج الضابط العنبر كله . تحداهم مرة أخرى ان يبرز اليه من ادعى الشجاعة بالامس . للحال تقدم عشرة رفاق ، اعلن كل منهم ان اسمه « عدلى جرجس » . رفضهم الضابط جميعا . طلب ان يخرج اليه من اعلن عن نفسه . تقدم اليه عدلى جرجس ، معطفا له اصراره على التحدى ، وان هناك قرارا حزيبا برد الضرب بالضرب سواء كان منه أو من أحد جنوده ، وأنه عازم على تنفيذ هذا القرار . اخذه الضابط الى مأمور السجن الذى أمر بوضعه في زنزانة الخنازير . ومساحة تلك الزنزانة متر X مترين . بها جردل مياه للشرب وآخر للبول . الزنزانة مكتومة لا يدخلها ضياء أو هواء .

في أحد الايام جاء مدير أمن المحافظة لزيارة المعتقل باعتباره مؤسسة عقابية تقع ضمن اختصاصاته وسلطاته . جاء الرجل الى المعتقل وهو لا يدري انه معتقل للسياسيين ، خاضع للمباحث العامة ، وليس معتقلا لتجار الحشيش . ارتفعت الصفافير والزناجير فادرك سجين زنزانة الخنازير ان زائرا كبيرا قد حل بالمعتقل . أخذ يدق على الباب فتسائل الزائر ، « من هناك ؟ » . قيل له ، « مشاغب في الحبس الاتفرادى » . صاح عدلى جرجس من الداخل يسبب الادارة وقائد المعتقل . أمر الزائر بفتح الزنزانة ففتحت . اندفع منها عدلى جرجس وكذا رائحة الزنزانة العفنة النتنة . تراجع مدير الأمن والضباط . صاح الرجل ، « ما هذا ؟ كيف تضعون آدميا في مثل هذا المكان ؟ » قال عدلى ، « يزعم قائد المعتقل اننا مشاغبون . اننا معتقلون سياسيون ، ولسنا تجار حشيش . وهو يعتدى علينا بالضرب مخالفا كل قانون . لا أكل ولا طوابع ولا علاج . انا هنا في هذه المقبرة منذ خمسة عشر يوما » . قال الزائر ، « تغلق هذه الزنزانة غلقا نهائيا » . وأرسل عدلى جرجس الى عنبر واحد ( ١ ) .

( ١ ) من شهادة عدلى جرجس .

وزعت دفعة يوليو على المعتقل كله وبذا، حملت الى كل العنابر ، آخر اخبار الحزب ودوره النضالي . الحزب ما زال المقاتل الحقيقي المدافع عن الديمقراطية : ما زال هو الذى يتحمل عبء سعار الحملة المحمومة في ثبات . يتلقى الضربات ، فيزداد قوة وصلابة ووضوح رؤية . ما زال رفاقهم أبناء الحزب الواحد يناضلون ، يختفون ويبتكرون اساليب جديدة للعمل . ما زال الحزب رغم قسوة الظروف ، التى لم يمر حزب سياسى بمثلها من يرفع راية الحقيقة . وارتفعت معنويات الرفاق ، كانت هذه الدفعة بمثابة دفعة قوية جذبت خيوط الداخل بالخارج ، ليعمق الانتماء ، ولتصبح عضوية الحزب فخارا لحاملها .

وناقشت القيادة المركزية للمعتقل ضرورة الانتقال الى مرحلة المواجهة . ضرورة تحويل كل تلك المواقف الجزئية الى موقف كلى . لابد من بداية هجوم شامل على خطة التصفية .

ان المواجهة يجب ان تكون في صورة موقف عام قدر الامكان . موقف يكون بمثابة اعلان صريح على فشل خطة العزل والتفرد بكل مقوماتها .

ان كل العمل التوحيدي والتجميعي ، وكل المواقف البطولية التى أخذها المعتقلون وهم يتصدون في تحد لخطة التصفية تفرض الآن ان يشد الجميع الى موقف واحد ، يحيلهم الى كتلة واحدة . يجب الانتقال الآن الى مرحلة الهجوم ، الى المقاومة الجماعية المعنوية والمواجهة . ان هذا الهجوم يمكن الا يكون الهجوم الأخير ، انه معركة في المرحلة الأخيرة . معركة تكون مجلس اختبار لقدرة القيادة على تعبئة قواتها والقوى الأخرى داخل المعتقل ، وهى في ذات الوقت مجلس اختبار لرد فعل الادارة امام هذا الموقف الشامل ، على الا تتوقف المرحلة الا بانتهاء الاوضاع القائمة ، او تحطيم قوائمها الأساسية .

كانت الادارة اثر وصول دفعة يوليو قد شحذت من مراقبتها للعنابر ، وأعمال سحب المعتقلين الى الفلحة والتأديب . ان أعمال الضغط تلك كانت تستهدف رسالة الى المعتقلين القدامى بعزب - الفيوم بيان الادارة ما زالت على خطها ، وان دعم المعتقلين بالايراء الجديد سوف تقابله الادارة بالمزيد من التعذيب والتنكيل ، وهى في ذات الوقت رسالة الى الجدد للتعريف بهذا المعتقل ، وأن الحال هنا غير الحال في معتقل القلعة .

اعدت الخطة كتابة لارسالها الى اللجان القيادية العنبرية ، لاجراء حوار حول حدود الموقف والمطالب .

(١) المعركة احتجاج جماعى وبالتالي لابد من توفير أكبر قدر من وحدة المعتقلين .

(٢) التصرف من دون لين أو هوادة .

(٣) تفادى المواقف الفردية غير المدروسة وأعمال الاستفزاز الطفولية .

(٤) الامتناع عن الطعام أربع وعشرين ساعة ، بغرض تحقيق أكبر قدر ممكن من المطالب .

### المطالب :

الامراج والى حين الافراج :

(١) وقف سياسة الضرب والتعذيب .

(٢) طابور شمس صباحا ومثله بعد الظهر ، كل منهما ساعة ، على أن يكون الطابور بعد الفتح الخاص بدورة المياه .

(٣) تحسين التغذية .

(٤) العلاج الطبى .

(٥) استلام الطرود كما هى دون تدخل من الادارة فى محتوياتها ( أى وقف أعمال السرقة ) .

(٦) السماح بالجرائد والمجلات والاذاعة .

(٧) السماح بالورق والاقلام والكتب .

(٨) السماح بزيارة العائلات للمعتقلين .

لقى الاقتراح موافقة شبه اجماعية من الرفاق الحزبيين . رأى البعض أنه أقل مما يجب ، لكنهم قبلوا به كبداية جماعية تتناسب وتنوع قوى المعتقل ، فى حين رأى البعض الآخر الاكتفاء بالاحتجاج عن طريق المندوبين ، الا انهم اقتنعوا بان هذا لاسلوب أصبح الآن دون المستوى المطلوب ، وأن المندوبين قد تعرضوا فيما سبق الى اعتداءات وحشية ، وبالتالي لابد من وجود دعم عام شامل لهم اثناء احتجاجهم ، يعبر بصديق عن وزن القوى التى يمثلونها ، فلا تتعامل الادارة مع هذا الاحتجاج على أنه موقف فردى ، وتعالجه على هذا الأساس طبقا لطريقتها الخاصة .

طرح الاقتراح بعد ذلك على الجماعات الشيوعية الأخرى وعلى



المستقلين ، و تمت الموافقة عليه ، وبذا تحول الاقتراح الى قرار جماعى .  
ترك موعد تنفيذه لانسب الظروف واكثرها ملائمة .

وقامت لجان الحياة العامة فى كل عنبر بالاعداد لهذا الامتناع . عليها  
أن تقوم بتخزين الطعام الذى يكفى ساكنى العنبر يوم الامتناع (١) . ولما  
كان طعام المعتقل قليلا و رديئا ، وما يصلنا من العائلات ينهب أكثره ، فقد  
كان من الضرورى بذل جهد كبير لتوفير الوجبات الثلاث التى تغطى يوما  
بأكمله .

#### • وتحدد يوم الامتناع •

فى تلك الاثناء جاءت زيارة الى المعتقل ، يقول لطفى الخولى ، « كان  
عيد ميلادى . اتصل حسنين هيكى بزوجتى فسألته ان كان ممكنا ارسال  
أى شئ بهذه المناسبة . اخذ اذن من عبد الناصر بالزيارة . كان معها  
الدكتور مجدى وهبه وهو صديق قديم كما انه صديق هيكى ايضا ، فحضر  
فى الزيارة . كنت قبل ذلك قد اصطدمت صداما عنيفا مع الادارة فوضعت  
فى زنزانة انفرادية مدة اسبوع على الخبز الحاف ، ثم نقلونى الى عنبر  
تسعة عقابا لى . فوجدت فى هذا اليوم بانى مطلوب فى الادارة ، وحركة  
غير عادية تجرى ، واهتمام شديد وتصرفات على غير المسالوف . تغيير  
كامل فى التعامل . ذهبت الى مكتب قائد المعتقل . فنادا بى اجد زوجتى  
واختى وصديقى الدكتور مجدى وهبه وضابط مباحث أمن الدولة فى الفيوم .  
منظرى هال زوجتى ، فسألتنى ، « ما الحكاية ؟ » . قلت ، لها « اشياء  
فظيعة ، اشياء من القرون الوسطى » . لاحظت ان ضابط المباحث العامة  
وقائد المعتقل كما لو كانا قد تحولا الى قطط ودیعة بعد ان كانا نمرين  
مفترسين . كان الجميع يحمل الحاجيات ويعاون زوجتى فى التخفيف عما  
تحمل . كان الجميع يقول ، « أى طلبات ، نحن مستعدون لأى خدمة .  
انت فقط كان المعتقلون يدفعون بك فى مواجهتنا » . بعد ان عاشرتنا  
زوجتى ، قال لى قائد المعتقل ، « ما فأت مات ، ولنبدأ صفحة جديدة .  
ما تريده سنفعله » . قلت ، « أريد العودة الى العنبر الذى كنت فيه ، وكل  
زميل يعود الى العنبر الذى يريده . كما أن هنالك عنابر بها عمال لا تأتى  
لهم طرود تموينية مثل باقى العنابر ، وبالتالي يكون من حق العنابر ان تعطى  
فوائضا لبعضها البعض » . قال ، « تحت رقابتنا » ، قلت ، « مستعدون  
بالطبع » . كنا ننظم امتناعا عن الطعام فى ذلك الوقت وكانت زوجتى قد

---

(١) الامتناع عن الطعام غير الاضراب عنه . الامتناع هو رفض  
استلام طعام المعتقل الرسمى مع تناول المخزون المتاح من طعام المعتقلين .  
اما الاضراب فهو رفض الاكل الرسمى والامتناع تماما عن تناول أى طعام .

احضرت لى تورته . فقلت له ، أقوم بتوزيع التورثة على العنابر . كانت فكرتى ان ابلغ العنابر مسائل تخص الامتناع . وطلب منى الزملاء ان اكون فى اللجنة العامة المشرفة على الامتناع ، للاستفادة من وضعى هذا .

فى صباح اليوم التالى ، عندما بدأ الشاويثيه فتح العنابر لاستلام الافطار ، ابغلت العنابر كلها ان المعتقلين جميعا ممتنعين عن استلام الطعام واننا نطلب مقابلة الادارة . كان هالك مندوبان عن كل عنبر . وقد نوقشت معهم المطالب وخطة العمل . كان المنحوبون من العناصر المونوق بها والتي يعتمد على قدرتها وخبرتها فى مواجهة الادارة ، سواء كان ذلك عند عرض المطالب او للتحرك السريع طبقا لما يواجهونه من اوضاع . ثم انهم كانوا من اصلب العناصر لاحتمال تعرضهم لاعمال التأديب والتعذيب . كانوا يمثلون على وجه التقريب كل الجماعات المتواجدة فى المعتقل ، المنتمية الى تنظيمات او غير المرتبطة بناية تنظيمات .

يقول على جرجس ، « ذهبت أنا ومحمد على فخرى مندوبين عن العنبر . كان ذلك يوم جمعة . قلت لمحمد على ونحن فى طريقنا الى الادارة ، ما رأيك لو لطمته على وجهه ، مجرد لطمه واحدة . ان ضابط السجن الذى يهان ، لابد من نقله . حقيقة سوف آخذ ( طريجة ) محترمة . الا ان الامر يستحق المحاولة . الا اننا وجدنا قائدا غير الذى نعرفه . كان اليوم يوم راحته ، وهذا الرجل يقوم بعمله بدلا عنه خلال اجازته الاسبوعية . سالنا ، « ماذا تريدون ؟ » قلت ، « لنا مطالب ، نريد فسحة ، والاكل ردىء . . . » اسرع يقول ، « لماذا تأتون فى يومى وتفعلون ما تفعلون الآن ؟ » فى تلك الاثناء تقدم غطاس . ومعه جندى آخر ، يرفع يده كالمعتاد ويحاول الضرب . أمسكت انا بيده وامسك محمد على بيد الآخر . قلت للقائد المناوب ، « اسمعنى جيدا ، لو ان هذا ضرب احدا منا ، فانى سوف اضربك انت . هو ينفذ أوامر ، أوامرك انت . نحن هنا مقتولين مقتولين ، وقد قتل بعضنا بالفعل ، لقد جئنا اليك بطلب وقف الضرب ، فان كان هذا الرجل سادرا فى اسلوبه ، فاعلم اننا قد قررنا أنه فى حالة اعتداء أى جندى على أى منا ، فنانا سنضرب الضابط الأمر بالاعتداء . » صرخ الرجل ، « يا عسكري . لا تضرب . أنا هنا فقط من أجل يوم راحة القومندان ، وليس فى وسعنى ان أفعل لكم شيئا ، حاولوا ان يمر هذا اليوم بالطول أو العرض ، أنا غير موافق على الضرب ، وهذه السياسة سياستهم ، انها ليست سياستى أنا . انتظروا قدومهم هم وتصرفوا معهم كيف شئتم » . اعتبرنا ما فعلنا خطارا للادارة بالامتناع وعدنا الى العنبر .

استدعيت الادارة الاصلية على عجل . كانت صدمتها هائلة ،  
فالمفاجأة عنصر هام في مثل تلك المواقف ، كما كان للموقف الجماعي وقع  
الصاعقة . انه يكشف فشل كل ما اتخذ من اجراءات . انه يمزق كل  
تلك الهالة الارهابية التي احاطت الادارة بها نفسها ، ويثبت ان هذا  
الانسان المقيد خلف الجدران اقوى بكثير ، وانكى بما لا يقاس ، وارسخ  
من ذلك السجن الحر الطليق ، صاحب السطوة والصولجان . كانت  
القضية التي شغلت الادارة واثارت ثائرتها الى حد الجنون ، هي كيف  
استطاع هؤلاء رغم كل هذا الضبط والربط ، ورغم الفلحة والبصاصة ،  
ان يتصلوا ببعضهم البعض ، بل وان يتفقوا على عمل واحد ، بل وكبيرة  
الكبائر ان يجمع الجميع على هذا الموقف . لقد مر الشاويشية ، على العنابر  
يسألون ان كان ثمة أحد ، يرغب في استلام الطعام ، وكان الرفض  
جماعيا .

وهنا بدأت ادارة المعتقل الاصلية في استقبال المندوبين . وعاد  
المندوبون الى العنابر ، وانتشرت الاخبار في سرعة . لقد لجأ القائد الى  
المساومة ، الى وعود لا قيمة لها ولا تنتهي الى شيء محدد . وعندها  
أصروا على المطالب وضرورة تحقيقها ، اعتدى على البعض منهم . كان  
قائد المعتقل يستهدف من وراء ذلك رسالة الى المعتقلين . الا ان الرسالة  
أتت بعكس ما استهدفت . كان رد الفعل في المعتقل عنيفا . اثار الاصرار  
أكثر مما اثار الخوف . وكتل المعتقلين بدلا من تفريقهم . لم تحقق الرسالة  
ما سعت اليه من اخافة البعض وتراجعه ، فيكون انسحابه محطاً للقاعدة  
الأساسية التي قام عليها الامتناع ، ألا وهي وحدة المعتقلين .

وجاءت وجبة الغداء ، ومر السجناء على العنابر يطلبون استلامها .  
رفض المعتقلون الوجبة مؤكدين اصرارهم على موقفهم ، واضافوا ان  
الاعتداء على المندوبين لن يمر دون حساب . واضفنا اننا نطلب النيابة  
العامه فورا .

ساد المعتقل صمت الترقب . همس الناضورجي ، هنالك حركة  
ناحية الادارة . اخطرت جميع العنابر في سرعة . صدرت التعليمات  
بمواجهة أي محاولة لاقتحام العنابر بالرد المباشر . يجب الا يمر أي  
اعتداء دون رده وعلى الفور ، اما ان كانت مجرد جولة لقائد المعتقل  
فليكن الكلام حاسما ولنطالب بحضور النيابة .

مرت الجوقة من أمام عنبر أربعة ، وصلت الى عنبر واحد . فتح  
باب العنبر . أصوات كالهمس تأتي من بعيد ، أكبر عدد من الزملاء يقفون



بنوا فساد العنبر • نقل عنبر اثنين الى عنبر ثلاثة الى عنبر اربعة  
ما دار في عنبر واحد • الزملاء لا يأبهون بزجر الجند الذين يطالبونهم  
بالابتعاد عن النوافذ والكف عن الحديث مع العنابر الأخرى •

ارتفعت « انتباه » ممددة مطوطة تحمل في طياتها كل الهنجية المظهرية  
وزيفها • غادر الزملاء النوافذ وبدأ الاستعداد لمقابلة قائد المعتقل وجوقته •  
كان على كل الزملاء بناء على تعليمات قيادة العنبر الحزبية وبالانساق مع  
كل القوى الأخرى ، أن يلزموا أماكنهم • يجب أن يلقاه مندوبا للعنبر  
فقط • لا مجال للثرثرة أو فتح ثغرة للإدارة تنفذ منها فتصبح الموقف  
بالميوعة • كان القائد قد عرض في عنبر واحد بعض « التنازلات » من  
الإدارة ، كالفتح وتحسين التغذية • وكنا قد ناقشنا الأمر سريعا ، وقررنا  
مزيلا من الضغط للحصول على أكبر قدر من المطالب وعدم حل الامتناع  
الا بعد التفاوض مع باقى العنابر •

صيرير المفتاح في الباب كالانين • المندوبان يقفان قبالة • قائد  
المعتقل ومن معه يسدون المدخل • يخطو خطوة الى الامام حتى يرى كل  
من في العنبر • يرسم ابتسامة كالحة على شفتيه ، يلقي بالتحية فيرد  
عليه المندوبان فقط وبطريقة روتينية • يسأل ، محاولا اتخاذ مظهر ودي •  
« من المضرب هنا ؟ » يرد الجميع ، « كلنا » • بدا وكأنها قد أخذ • كان  
يتوقع رد المندوبين فقط • قال وهو يحاول أن يجد مدخلا للحديث ، أنه  
ينصحنا كأخ وكأب الا نفعل ما نفعله • ان هذا الأسلوب لا يفيد • قال له  
احد المندوبين ، « نحن لا نمتنع حبا في الامتناع • لكن ذلك أمر فرضته  
علينا إدارة المعتقل • لقد دفعت بالامور الى حالة غير محتملة • ان هذا  
الامتناع هو اعلان عن رفض جماعى لتلك الاوضاع ، وهو في ذات الوقت  
اعلان عن حالة الغليان التى يعيشها المعتقلون وتهدد بأكثر مما يرى  
بكثير » •

قال ، وهو يحس ان كيانه الوظيفي وكل هيئته تتهشم أمام كل  
طاقمه من الضباط والجنود ، « انكم تطالبون بأشياء ليس في وسعنى  
تحقيقها • انها مسائل تتصل بالجهات العليا • احتد الزميل المندوب  
وكان ممن اعتدى عليهم صباح اليوم ، « وهل ضرب المندوبين والاعتداء  
عليهم مسائل تتصل بالسياسة العليا ؟ » • قال القائد وقد لبس مسوح  
الغفران ، « عفا الله عما سلف ، نحن البناء للحظة • ومن ناحيتى ،  
وطبقا لما هو فى سعى ، سأزيد لكم الطابور ، وسأعمل على تحسين  
الطعام وتوفير العلاج ، ثم اننى لا امانع أبدا في أن يحضر كل من له طرد



ساعة فتحه وفحص محتوياته ؛ كما اعدكم بشرفي ، أن اسعى لدى السلطات لعرض باقى المطالب عليها . ، قال له المنسوب : نحن نطالب بحقوق المسجون العادى ، نطالب بالحقوق التى كان ينالها الحشاشون فى هذا المعتقل من قبلنا . . اعتبر المأمور ما قيل مزحة . قهقه ضاحكا محاولا كسر هذا التحدى الذى يلقيه أمام جوقته . قال ملاحظا : « انتم مثقفون وتعرفون جيدا أن المسئولين عن الحشاشين غير المسئولين عنكم . ومن هنا اختلفت التعليمات . لكن ثقوا فى شرف كلمتى . من باكر سأنفذ لكم ما وعدتكم به ، ومن اليوم سأتصل بالقاهرة لانبأهم بمطالبتكم . فقط استلموا الطعام . لأن الدولة كما تعلمون لا تقبل الضغط عليها . وسوف ترون منذ اللحظة اننا ابناء وضع جديد » . قال له أحد المندوبين : « اننا نود مناقشة ما عرضته سياذتكم علينا . وبالتالي نطالب بلقاء مندوبى العنابر . كما اننا فى حالة الوصول لى اتفاق ، نطالب بالنيابة العامة كى تحرر محضرا بذلك » .

تمزقت القشرة الناعمة التى كان القائد يكتسى بها . فانفجر غضبه ، قال ، « ان ما تطلبونه ضد الضبط والربط . لن اسمح باى اتصالات بين العنابر . ثم ما دخل النيابة فيما يجرى بيننا . . خيم الصمت من جديد ، وبدأ التحفز على الجميع . وادرك القائد انه قد تجاوز الصورة التى رسمها لنفسه ، فاستعاد قشرته المهشمة . قال وكأنه يتدبر امرا خطيرا ، « على كل حال انا ما زلت عند تكلامى ووعودى . اما المطالب الجديدة فسأفكر فيها » .

اغلق باب العنبر ، واستمرت جولة القائد الى باقى العنابر . جرت فى تلك الاثناء مناقشة أخرى . كان الهدف منها تقييم الوضع وتحديد موقف منه . كان هنالك اتجاه بالاستمرار والاستفادة من تلك الوحدة العارمة لتحويلها الى اضراب عام عن الطعام وخوض معركة ضخمة . رفضت الفكرة على أساس أن الاتفاق الجماعى قائم على الامتناع عن الطعام مدة يوم واحد فقط . ثم ان قوى الاضراب عن الطعام مختلفة عن هذه القوى فى مجموعها ، كما ان التحضير للاضراب يحتاج الى اجراءات وتحضيرات تتجاوز الامتناع بمراحل عديدة . حصرت المناقشة فى حدود المعركة الدائرة فقط وطل حقت الغرض منها . شكك كثيرون فى وعود القائد وعهوده ، انه يسعى كى ينجو بجلده من مواجهة رؤسائه ، وكى يثبت لهم قدرته على ادارة المعتقل . كما يود الا يدخل النيابة فى الامر لاحتمال فضح كل ما يجرى من سرقات وابتزاز . الا ان الغالبية رأت ان الامتناع قد حقق هدفه السياسى ، وهو ابراز الوحدة المنظمة والجماعية

لكل المعتقلين والموقوف الواحد لهم . وهذه خطوة هامة يجب الامساك بها بثقة . كما ان زيادة الطوابير والخروج للعلاج واستلام الطرود سوف تساعد أكثر فأكثر على تحطيم سياسة العزل . ومن هنا يمكن القول أن الحد الأدنى من المطالب قد تحقق اذا راعينا حدود المعركة وصلاحيات الإدارة .

وصل زميلان من عنبر خمسة . أنه آخر العنابر في البلوك الآخر . قالوا أن القائد قد وافق بشكل منا على خروجهما للمرور على باقي العنابر ومناقشة المعتقلين فيما عرضه من وعود . أوضحوا أن باقي العنابر التي مرا عليها نوافق على وقف الامتناع والاكتفاء بما تحقق كبداية ، وأن هنالك وجهات نظر أخرى قريبة من وجهات النظر التي طرحت في عنبرنا . قالوا أن القائد يتهرب من مسألة النيابة وعمل محضر بما اتفق عليه ، وأنه يود إنهاء المشكلة داخليا . وافقنا على حل الامتناع على أساس بذل محاولة جادة لكتابة محضر داخلي . طلبنا من الزميلين ضرورة المرور علينا بعد انتهاء مرورهم على العنابر الأخرى قبل توجههم للإدارة .

ان القائد ومن معه قد واجهوا نفس الاجابات والمواقف في كل العنابر . ان الثغرة التي سعى للنفوذ منها لم يعثر عليها . انه يحاول الآن البحث عن مخرج ، ربما ، لا لكي يبدأ ، كما قال ، صفحة جديدة من العلاقات الطيبة ، ولكن الأرجح وطبقا للظروف السياسية العامة ، ليستعد لجولة أخرى ، يحاول فيها من جانبه سد الثغرات في ضبطه وربطه لاحكام القبض على المعتقل . لكن أيا كان الوضع ، فليست القضية هي ما يفكر فيه هو ، ولكن - وذلك هو الأساس - ما نستطيع نحن ان نفعله بوجدتنا وتصليب ارادتنا جميعا ، اننا وقد كثر كل منا عن أنيابه ، لابد مقيلين على معارك أخرى .

عاد الزميلان . ابلاغنا ان الكل موافق على ما اتفقنا عليه . قلنا لهما أن عليهما التعامل مع الإدارة باعتبار انهما يمثلان قرابة خمسمائة معتقل . لابد من تأكيد الموقف الجماعي ، وعليهما التصرف بحزم ومرونة طبقا لما يريانه ولما استمعا اليه من وجهات نظر ومواقف .

بعد ربع ساعة من وصول الزميلين الى الإدارة ، فتح باب عنبرنا ووقف في مدخله ضابط وشاويش العنبر . كان الضابط يرسم على وجه ابتسامة عريضة . قال بعد ان أبدى سروره لانتها الامتناع : « الاكل معد للاستلام » . قلنا له اننا في انتظار عودة زميلينا من الإدارة . اختتمت البسمة من وجهه . قال : « أنا لا اكذب عليكم » . قلنا ، ونحن

لا نكذبك ، لكننا ملتزمون بما يتم الاتفاق عليه مع المنحوبين . لابد من مرورهما على كل العنابر لاختبار الزملاء بما تم الاتفاق عليه .

في تلك الاثناء ظهر الزميلان عند النافذة الخلفية للعنبر . قال انه قد تم الاتفاق على فك الامتناع في مقابل ما تعهد به القائد . وأنه قد رفض بشدة كتابة محضر بما جرى . احتج بعض الزملاء ، واصلوا ضرورة الاستمرار . قال الزميلان ، انهما مجرد منحوبين ، وانهما على استعداد تام للعودة وابلاغ أى موقف يقرره الزملاء . الا انهما يريدان ان المحضر ، وان كان هاما ، الا انه في نهاية الامر مجرد ورقة ، تلغى أو تتطور طبقا لتوازن القوى داخل المعتقل . وان الامر كله بيدنا نحن ، هل نعتبر اليوم بداية أم نهاية ؟ ووفق على تصرف الزميلين وطلب منهما الاتصال بباقي العنابر . ما زال الضابط بباب العنبر يناقش الزملاء . تمت الموافقة على حل الامتناع طبقا للتصرف الاخير والفهم الذى تم على أساسه . زاطت العنابر وهى تتسلم الطعام ، وتبادل التحية عبر النوافذ .

مرت بضعة ايام تحسنت فيها الاوضاع بعض الشيء . ثم تلى ذلك فترة شد وجذب . ثم عادت ريمة الى عاداتها القديمة . بدأت الادارة هجمة على المعتقلين . التفتيش والاستفزاز والطعام الرديء واغلاق الأبواب ومحاولة العزل بعنف والسحب الى الفلكة والتأديب . ان ادارة المعتقل تحاول دوما أن تكون محصلة الأوضاع في المعتقل صفرا . انها تتراجع بضع خطوات لتحاول مرة أخرى الاستعادة تراجعها ، ثم الدفع بالأمور الى أسوأ مما كانت عليه . وبذا تأخذ ما حققه المعتقلون وجزءا مما كانوا عليه من قبل ، لتصبح الأوضاع تحت الصفر وبهذا تتذبذب الأوضاع حول هذا الصفر صعودا أو هبوطا .

وان كانت الادارة قد عادت كما كانت ، الا ان المعتقلين لم يعودوا كما كانوا . لقد حطم الامتناع الجماعى الذى نفذ بدقة ونجاح كل أسس الرهبة التى قام عليها المعتقل . لقد كشف عن مدى قوة المعتقلين من خلال وحدتهم . ومدى ضعف الادارة واهتزاز موقفها . لقد تكسر حاجز الخوف وتحطم بصورة عامة . وأصبح المعتقلون يتصرفون طبقا لارادتهم هم لا طبقا لارادة الادارة . كان التحدى قائما قبل الامتناع وكان رفض المخطط قائما قبل الامتناع . وكانت محاولات كسر حاجز الخوف بصورة أو أخرى قائمة قبل الامتناع . أما بعد الامتناع فقد أصبح هذا الموقف في مجموعة موقف الجميع وغدت المقاومة والمواجهة هى الراية التى يرفعها كل المعتقلين . أصبح القضاء على محاولات التطويع والتسليس والاستئناس ، مهما كان



الذين ومهما كانت التضحية ، أمرا يتبناه كل معتقل ، ليس فقط كصاحب رأى أو معتقد ، ولكن أيضا كإحدى يدافع عن كيانه ووجوده .

لقد كان الامتناع بالنسبة للإدارة تجربة مرة • وبالتالي كان لابد - بعد الاتصال بجهات الأمن في القاهرة - من أن تغير حساباتها • وأن تعدّ لموقف جديد • لم يف القائد بما وعد • بل أن القدر المحدود من المكاسب - والمفترض ازدياده واتساعه - تضاعف إلى حدّ الفلاشي • ازدادت الإدارة شراسة ، في محاولة منها لتغطية عريها وهيلائها المفقود • وأصابتها السعار المحموم أمام خطّ التحدى العام • ففاقت التعذيب والتنكيل وأصبح شغلها الشاغل محاولة الوصول إلى قيادة المعتقل والقوى التي تقوم بتوجيه المعتقلين وامتلاء القاذيب بالزملاء •

### المعركة الفاصلة :

وأصبح من الضروري أن تعدّ للقيادة معركة جديدة • أن تلك الهجمة التي تشنها الإدارة لابد وأن تواجه بهجوم مضاد يكون اتصالا لهجمة الامتناع • لابد من جولة نقاش أخرى داخل الحزب ، حتى يمكن الوصول إلى قرار واضح وموحد • ثم اجراء نقاش مع المجموعات الأخرى والمستقلين • كان الموقف يتحدد في أن الإدارة ، ومن ورائها الأمن في لاظوغي ، تحاول جاهدة استعادة مواقعها النفسية والانقضاض على المواقع التنظيمية • وأن مهمتنا الرئيسية تتحدد في عدم تمكينها من ذلك بل والانقضاض عليها • ومن ثم فقد حددنا : «أولا» نفس المطالب السابقة كبرنامج للمعتقل • «ثانيا» طرف ثالث بيننا وبين الإدارة • أن هذا الشعار يعنى رفضنا للتفاوض مع الإدارة بأي صورة من الصور باعتبارها المتهم المباشر عن كل ما يجرى علينا • أنها خصم له مصلحة خاصة ، تتجاوز دور الموظف العمومي ، في مواجهة المعتقلين • ونحن لا نشكو خصمنا إلى نفسه ونجعل منه حكما بيننا وبين سلوكه وتصرفاته معنا •

حددنا الطرف الثالث بمباحث أمن الدولة أو النيابة العامة • كنا نسعى إلى مواجهة المباحث العامة وجها لوجه ، بدلا من اتخاذها إدارة البسجن ساترا تحتمى خلفه • نحن على ثقة من أن المباحث العامة هي والإدارة طرف واحد • ألا أن حدا ما لابد من وجوده بين مخطط لاظوغي والإدارة المحلبة • كما أننا نود أن نحمل المباحث العامة مباشرة ، وبشكل رسمي ، مسئولية كل الجرائم التي ترتكب في المعتقل • أن قائد المعتقل وجوقته معه ، عندما يرون موقف المعتقلين ، بما أعد له من تصليب ودعم ، في مواجهة سادتهم ، سيدركون حقيقة وضعهم والمأزق الذي هم فيه •

دار نقاش جاد داخل الحزب • رأى بعض الرفاق ألا جدوى من



الامتناع يوما آخر . لابد من الاضراب العام . الا ان غالبية الرفاق وافقوا على فكرة الامتناع يوما واحدا ، حيث أننا لسنا وحدنا في المعتقل ، ومن المستحسن المحافظة على الصورة الجماعية للموقف . كما ان الطاقات الموجودة في المعتقل ليست كلها على نفس القدر من قوة الاحتمال السياسى والبدنى . هذا بالاضافة الى صعوبة توصيل الأمر الى العائلات حتى تتخذ موقف المساندة ، وهو الأمر جوهرى في الاضراب للعام . وأن علينا الاستفادة من الاجماع الذى حدث في الامتناع الأول لتأكيد وحدة المعتقل المنظمة والقادرة على الفعل .

بعد انتهاء النقاش داخل الحزب ، وبعد أن أصبح الاقتراح قرارا ملزما . بدأت الاتصالات بالجماعات الأخرى داخل المعتقل . وقد وافقت جماعتنا « ط . ش ، و ، و . ش » على دخول الامتناع . أما جماعة « حدثوا » فقد رفضت بحجة عدم جدوى تلك الأساليب . وأنه لا داعى للقيام بأعمال غير مجدية ، وتستفز الدولة في ذات الوقت ، وهى - بالنسبة لهم - حليف سياسى . أما المستقلون فقد تراوحت مواقفهم بين الموافقة الحماسية والتردد والرفض . ومن هنا اضحى من الضرورى اجراء حوار واسع ، يشكل الموافقون على الامتناع أحد أطرافه ، ويشكل الرافضون والمترددون طرفه الآخر . وقد أثمر النقاش ما استهدفه ، إذ وافق جميع المستقلين على الاشتراك في الامتناع ، وشكل هذا الوضع ضغطا عنيفا على قيادة حدثوا في المعتقل بالاضافة الى الموقف الايجابى لكوادر الجماعة نفسها ، فاعلنت قيادتهم موافقتها على دخول الامتناع لا عن اقتناع ، ولكن كموقف تضامنى . ومن هنا اشترطت ألا تتحمل فيه مسئولية ما . بمعنى ألا يخرج من جماعتها أى مندوبين عن العنابر .

بعد انتهاء للنقاش داخل الحزب ، وبعد أن أصبح الاقتراح قرارا ملزما ، جوهرية . الا أنه كان من المحتم عليذا دخول المعركة ، حتى في حالة رفض بعض الاطراف المشاركة فيها . أن واجب حماية المعتقلين بمواجهة وتحطيم المخطط الذى ينفذ حيالهم كان واجبا نضاليا لا يمكن التخلي عنه أو تعليقه على قبول أو رفض البعض . حقا أن المظهر لن يكون بنفس قوة المرة السابقة ، الا ان الاستمرار على هذا الوضع ، كان يعنى نهاية كل المعتقلين . وكان على الحزب ، والذى يشكل بمفرده نصف المعتقلين على الأقل ، أن يتصدى لتلك المهمة وأن يتحمل مخاطرها ، وما يمكن أن يصيب اعضاؤه بخنيا من جرائها . ومن هنا كان قبول اشتراك بعض القوى على أسس مختلفة ، ولكن حول نفس المطالب ، أمرا واردا ، ولا يخل بمعركة مداها يوم واحد .

وترك يرم الامتناع دون تحديد ، على أساس اختيار الوقت المناسب .

ورفعت الادارة من درجة هجومها ، كانت تبدو وكأنها في سباق مع الزمن . زادت أعمال التفتيش والمراقبة . وعثر على بعض الاوراق مع المعتقل ح . ح . فسحب الى القاديب ، وتعرض لعمليات من التعذيب بربرية بشعة ، كي يعترف على مصدر الاوراق . ثم تطور التعذيب والتحقيق بغية الوصول الى معرفة مسئول العنبر واللجنة القيادية الحزبية للمعتقل كله . فانهار واعترف على الرفيق المهندس فوزى حبشى باعتباره مسئولا عن العنبر .

كان فوزى حبشى يقوم بدور منحرب المعتقلين عن عنبره عند استلام الطعام . وكان محققا في مسئوليته . ان احسن تلاعسا من الادارة او المنعبد اتخذ منه موقفا مما دفعه الى الصدام بالادارة . ثم وقع احتكاك آخر بينه وبينها بسبب رفض الادارة السماح لزميلين متعيين بالتوجه الى دورة المياه لقضاء الحاجة . فقام بالندق على باب العنبر . وقد تزامن هذا الحدث مع اعتراف ح . ح عايه . فتم سحبه بناء على اوامر قائد المعتقل ووضعه في الحبس الانفرادى .

في ظهر اليوم التالي جاءت من القاهرة عربة سوداء صغيرة ، رآها الرفيقان فوزى حبشى ومحمد الخفيف من زنازين القاديب . واءلنت حالة الطوارئ في الادارة . كان النهار الى غروب عندما استدعى فوزى حبشى من زنازنته ليجد فرقة من الجند في انتظاره . وللحال ادرك أن سحبه القاديب لم يكن في حقيقة الأمر بسبب الاحتكاك الذى وقع حول دورة المياه ، وانما اتخذ من هذه الواقعة ذريعة لجرحه بعيدا عن العنبر لغرض آخر . كان العسكر في تشكيل نصف دائرى يتربطه عبد العزيز شاكر ضابط المباحث العامة بالفيوم . وكان هو الذى حضر في تلك العربة السوداء ، كما كان هنالك أحمد منير غالى قائد المعتقل والتونسي وكيله والملازم فتحى . طلبوا منه أن يخلع ملابسه . جرحوه منها تماما ثم أدخلوه وسط حلبة العسكر المسلحين بالكرابيج السودانية ، وانهال الضرب عليه عشوائيا في كل اتجاه ، على جميع أجزاء جسده . ووضع فوزى يده فوق وجهه يحمى عينيه ، فغرقت اصابعه في الدم المنثال من فمه وشفتيه . قال عبد العزيز شاكر ، « عرفنا انك المسئول الحزبى للعنبر ، عرفنا انك تعرض المعتقلين على التمرد ، نحن مصريون على أن تروى لنا كل شيء ،

كل التفاصيل ، . رد عليه فوزى حبشى ، « لن تأخذوا منى شيئا . لن تحصلوا منى على أية معلومات حتى الموت ، . الضرب يزداد كثافة وسرعة . الجنون يشتعل . ودماء المناضل تصبغ المكان بحمرة الالباء والانتماء . احضروا المعتقل الاعترف ح . ح . قال ، « اعترف يا أخى ، لقد عذبوني واعترفت . انصحك أن تختصر الطريق وتعترف ، . وبكل ما بقى فيه من ارادة ، واجه فوزى هذا المنهار متحديا ، ثم اشاح عنه ازدياء . أصابه كرباج فى عينه . أحسن ان ما بقى فيه من نور قد انطلق منها . وأن نارا مظلمة كاوية قد حلت محل الضياء . صرخ فيهم ، « اضعتم عيني يا اولاد الكلاب ، » انطلق نحو نصف الدائرة الجالس فيها السفاحون يتفجرون . لم يكن يدرى ماذا سيفعل بالتحديد . ربما جال بخاطره حينذاك أن يخنق قائد المعتقل او ضابط المباحث العامة . الا أنه لم يحرك أحدا منهما . ضربه أحد الجنود بعمود خيمة على ساقه فانكسرت عظمة الساق . وأصابته فى نفس الوقت ضربة أخرى فوق العين الأخرى . فساد الغروب سواد حالك ، وغامت به الدنيا فسقط على الأرض . أحس الاغماء يسرى فى اوصاله خدرا يسحب ما بقى فيه من حياة . لكنه حاول جامدا ألا يفقد الادراك . سمع عبد العزيز شاكر يقول ، « جروه الى الزنزانة ، . صاح ، « لا ، لا أحد يجرنى ، . خنى السحل وتلوث الجراح . عندما أدركوا أنه ما زال على قدر من اليقظة ، صرخوا فى الجنود ، « اكملوا الضرب . ما زالت به أنفاس ، » وقعت ساعته على الأرض فامسك بها . خلع دبلة زواجه . قدر أنه لا مفر مقتول . اعطاها للضابط التونسى . قال له ، « خذ هذه الأشياء . سلمها لاولادى بعد موتى ، . تأثر الرجل فأخذ الساعة والدبلة وغادر الحلبة . تقدم منه الملازم فتحى . سأل والضرب مازل متصلا ، « ألسنت أنت المهندس الذى أخرجه زملاؤه براءة فى قضية سابقة ؟ ، . هذا الملازم صغير السن ، لم يعاصر أبدا هذه القضية ، ففى أواخر عام ١٩٥٤ قبض على فوزى حبشى فى حادثة العثور على مطبعة لتنظيم « النجم الأحمر » . ووضع فى السجن مدة عام الا ان زملاءه فى هندسة الشبكة الحديدية شهدوا بوجوده معهم فى مقر عمله بالاسكندرية وقت حدوث هذه الواقعة ، مما فصح تلفيق المباحث العامة وسخرية مستشسارى المحكمة من رئيس مكافحة الشيوعية ، حسن المصيلحي ، واتهموه بالتجنس الى حد التلفيق الفاضل . كما أصر فوزى حبشى عند القبض عليه عام ١٩٥٩ على تسجيل استشهاد المناضل محمد محمود عثمان ، مما جعل المباحث العامة ، وهى المسئولة مباشرة عن مقتل الشهيد ، تكن له ضغينة خاصة . وهم اليوم يثأرون منه فى خسة ونذالة ، وقد غدا عاريا من كل شيء الا ارادته .

مقابض الكرابيج انخلعت من عنف الاستخدام وسوئه . توجه أحد الجنود الى خيام معسكر الهجانة يطلب استبدال الكرباج القالف بآخر صالح . ثار الجميع في وجهه . سبوه ولعنوه ، و اخرج يا ابن الكلب . مات الرجل في أيديكم . وانتم ما زلتم تضربونه .

عندما رفض فوزى أن يسجل أرضا ، أمر الملازم فتحي أحد الجنود بالذهاب الى السيارة واحضار ما فيها . عاد الرجل يحمل كيسا من الملح . كانوا مسبقا قد أعدوا كل شيء . اذابوا الملح في جردل ماء ، غمسوا فيه ملابسهم ، ثم وضعوها على جسده الممزق . يقول فوزى ، كنت أقف هناك عريانا انتفض ، وإذا بهذا الماء المالح يشعل النار في جسدى . أحسست كأن هناك مجالا يحيط باشلائى ، يثير الهواء بعيدا عنى . كان المقصود أن يصيبنى الألم بصدمة عصبية لا يحتملها القلب فيتوقف ، وخيئت يكون التشخيص ، ( الوفاة بالسكتة القلبية ) . كان حوالى نصف مسطح جسدى يسيل بالدماء ، وكانت آلام الصدمة البشعة الرهيبة كافية لتحقيق غرضهم . الا ان صحتى وبنيتى اثانتان على احتمال الصدمة . وما قصدوا به شرا ، أفادنى في تجهيف الجروح .

تحرك بصعوبة متكئا على أحد الجنود حتى الزنزانة . كانت خالية من كل شيء ، حتى البرش لم يكن له وجود . سقط على الأرض الاسفلتية فاقد الوعي . حاول المقاومة في البداية ، الا انه استسلم أمام عنف الآلام . لا يدري كم من الوقت وهو على هذا الحال ، دقائق أم ساعات . سمع صوت محمد الخفيف يسأله في الزنزانة المجاورة ، « كيف الحال ؟ » . قال له فوزى ، « ما زلت حيا » . أخذ يروى له في سرعة كل ما حدث . ربما لن تشرق عليه شمس اليوم التالى . ثم استسلم للاغماء من جديد . كان ، ان افاق ، يحاول رفع رأسه فتسقط لعجزه عن حملها . وأحس في لحظات اليقظة انه يدق بعنف بوابة الموت ، وجاء الصباح وهو ما زال عاريا لا يدري متى يصيبه الاغماء أو الاماظة (١) .

في الزنزانة المجاورة ، زنزانة الخنازير ، كان هناك اثنا عشر معتقلا . كان منهم منجد توفيق ومحمد المستجير وعبد الملك خليل ومحمد الخفيف وفؤاد الماوى و ح . ح . لقد حاولوا تصليب ح . ح . حتى يصمد أمام التعذيب دوى جدوى ، ثم جاء فوزى حبشى . ويقول منجد توفيق ، « رفض جنود الكاترا بانك المشاركة في الاعتداء على فوزى

(١) من شهادة فوزى حبشى في ٧/٢٢ ، ١٩٨٠/٨/٥



حبشى . مزق الجنود الآخرون على جسده أكثر من ستة كرابيج غير  
للشوم والعصى . الكلمة الوحيدة التى سمعناها تصدر عنه « عيني  
راحت » . سمعنا صوت فتح الزنزانة المجاورة ، ثم جئة فوزى وقد آلقوا  
بها فيها . كان هنالك فتحة بين الزنزانتين قطرها حوالى بوصة . لم يكن  
يصدر عن فوزى غير أصوات الحشجة . نادينا عليه فلم يجب . عندما  
رد علينا ، تساءل ، « من أنت ؟ » . قلت ، « أنا منجد » . قال ،  
« وصيتك ابنى مدوح » . ثم صمت . يبدو أنه فقد الوعي . فى  
الصباح أخذوا منجد والمستجير الى زنزانة فوزى . كان جئة هامة .  
كتلة من الدم يغطيها الذباب بكميات خرافية ، حتى أن الجسد لم يعبد  
يبين تحتها . أول كلمة قالها عندما أحس بهما ، « الذباب يأكلنى » .  
هالهما ذلك الذى أمامهما . لم يكن هنالك جزء من الجسد أم نصب ،  
الكرابيج المتقاطعة حتى الوجه والعينين .

احضر التومرجى جردل ماء به بعض الميكروكروم . تبادلا العمل ،  
أحدهما يدفع الذباب يطرده ، والآخر يحاول جاهدا غسل الجسد الساجى  
بلا حراك ، الا نبضات الألم . جاء الطبيبان المعتقلان مدوح الجندى  
ومختار السيد . البسوه « كلسونا » وغطوا الجراح باللاقطان . كان  
الامتناع الثانى عن الطعام قد بدأ ، فوضعوه الى جوار التأديب ، حتى يراه  
المندوبون وهم ذاهبون الى الادارة .

« فى تلك الاثناء ، لم نكن نعرف ما حدث بالتفصيل (١) . الا ان  
اخبار التعذيب وامتلاء زنزانة الخبازير بالمعتقلين ، كانت مؤشرات  
باشتداد الحملة وضراوتها . كان قد مضى شهر تقريبا على الامتناع  
السابق . كان لابد من الدخول الفورى للمعركة . صدر القرار بتنفيذ  
الامتناع الثانى . كما صدر قرار بعدم ذهاب أى مندوبين عن العنابر  
الى الادارة ، وعليها ان شاعت التفاوض ان يكون ذلك مع المندوبين فى  
العنابر نفسها ، حيث اننا نرفض أصلا مبدأ التفاوض معها . وان مطلبنا  
المحدد هو طرف ثالث بيننا وبينها . وكان اليوم هو ١١/٩/١٩٥٩ .

فى الصباح عندما فتح شاويشية العنابر أبوابها لتسليم الافطار .  
اخطرهم المندوبون برفض استلامه . اغلقت الابواب مرة أخرى . ساد  
الترقب المعتقل وخيم عليه صمت ثقيل . اعلن الزميل الناضورجى بعد فترة  
من الوقت ، أن أحد الضباط قادم نحونا . فتح باب العنبر ووقف فى مدخله .  
كل ما فعل ، أنه تيقن من الامتناع وعدم استلام الطعام . نصحننا بطريقة

(١) فخري لبيب .

روتينية أن نعدل عن عمل لا جدوى منه . قوبل بإصرار على الامتناع  
فأغلق العنبر ، وبدأ جولة مماثلة حيث تلقى نفس الاجابة . بعد قليل  
فتح-الشاويش العنبر . قال ، ان القائد يطلب مندوبين للتفاهم معهم .  
قيل له ، لن يذهب مندوبون الى الإدارة ، وان شاء أحد منها التفاهم معنا  
فليحضر الى العنبر . وتلقى باقى الشاويشيه اجابات مماثلة من باقى  
العنابر . أعلن الزميل الناصورجى ان قائد المعتقل قادم ومعه بعض  
الضباط والجنود . « انتباه » مدوية بينما يفتح باب العنبر . ووقف القائد  
فى المدخل . سده هو ومن معه . بعد صباح الخيم دخل فى الموضوع .  
لقد لعب دوره فى المرة السابقة بمهارة ونجح ، بحث اللعبة بالنسبة له .  
أهرا ميسورا . مجرد وعود وعهود . أعلنه بقرارانا ، « لا تفاوض مع  
ادارة المعتقل ، نريد طرفا ثالثا بيننا وبينها » حاول الدخول فى تفاصيل ،  
فلم يتلق غير رد واحد ، « طرف ثالث بيننا وبينك . النيابة العامة أو  
المباحث العامة » . عندما فقد الامل فى اتصال التفاوض ، غادرنا الى  
العنبر التالى لنا . الا انه سرعان ما عاد الى مكتبه وحوله جوقته . قال  
الزميل الناصورجى ، ان القائد يسير فى خطى سريعة ، وهو فى أشد  
حالات الغضب والهياج والجنون . انه يسير كمن يهرب من شيء ، أو  
يسرع للحاق بشيء .

لقد اعلنت الحرب علينا أن نتوقع أى إجراء . فتح الشاويش  
غطاس العنبر . قال ان السيد القائد لا يطلب مندوبين كالمعتاد . انه  
يطلب أحدا للوصول معه الى حل . انه على استعداد للتفاهم . خرجت  
وزميل آخر . كنت أعتقد ان الامر قاصر على عتبرنا فقط ، وجدت زميلين  
من كل عنبر فى الطريق الى الادارة . تبادلنا التحيات والسلامات فى  
شوق . حاول الشاويش منعنا من الكلام فزجره أحد الزملاء . كان للبعض  
منهم أعرفه والبعض الآخر أراه لأول مرة . كانوا من المستقلين ومختلف  
الجماعات المنظمة بما فيهم زملاء « حدثو » ، رغم دخولهم الامتناع بشرط  
عدم ارسال مندوبين عنهم . حفز هذا التشكيل الزملاء ورفع من معنوياتهم .  
فى طريقنا الى الادارة ، مررنا بزنزانة التأديب . رأيت شيئا ملقى الى  
جانب الحائط وعليه غطاء دام . قال أحد الزملاء ، انه فوزى حبشى لقد  
مزقوه بالامس . احسست بنار العالم تشتعل فى أعماقى . أدخلونا حجرة  
ضيقة فاكثرت بنا . كانت حجرة السلاح لك . لم يكن بها أى سلاح .  
فجأة اندفع القائد الى وسط الحجرة وحوله جوقته . نظر الينا كالفائز  
فى حرب يتأمل بأكورة أسراه . ساد الصمت الاخرس . أخيرا نطق  
للقائد . قال تهديدا ووعيدا . خلع رداء التمثيل الذى كان يرتديه من حين  
الى حين . بدا عاريا على حقيقته كوحش مخبول . قال : « من انتم ،

ومن تكونون • أننى هنا الأمر الناهى • سأقتلكم جميعا وادفنكم • النصارى  
فى مقابر النصارى والمسلمون فى مقابر المسلمين • كانت المقابر بالفعل  
تحيط بالمعتقل • رفعت يدى اطلب الكلام • صرخ القائد • « ماذا تريد ؟ » •  
قلت • « احتج على هذا الكلام الذى تقوله • وأقول لك • انك لن تستطيع  
قتل احد منا • لا من النصارى ولا من المسلمين » • بدأ فى اول الامر كمن  
فوجئ • أو كمن أصابه الذهول • ثم افاق فصرخ كالوحش الجريح •  
« انت • انت ماذا قلت ؟ » • فاعتجت فى هدوء كل ما قننه • الا ان جنديا  
دخل الحجرة وقال ان سيادته مطلوب على الهاتف • اندفع كالصاروخ  
من الحجرة ومعه جوقته • تبادلنا النظرات • كان الاصرار يلمع فى عيون  
الرفاق • شد بعضهم على يدى • كانت تغمرنا مشاعر هؤلاء للذين يواجهون  
الموت بارادتهم ويصرون على الا يتراجعوا • وهم يحركون بوعى تام  
الا بديل امام هذا الجحيم •

فجأة سحنتنا لصوات من الخارج • أصوات اصطفاى جنود • ثم  
أصوات العد • واحد • اثنين • ستة وعشرين سريعة مبتورة • ثم  
أقدام تهرع وزعيق وضجيج • ثم أصوات اصطفاى أخرى • وأصوات  
عد أخرى • واحد • اثنين • ستة وعشرين سريعة مبتورة • ثم « كتمنا  
سلاح » • صارمة مدوية • وصوت القبضات تدك السلاح • ثم « استرح » •  
وهمس أحد الرفاق • انهم يعدون للهجوم على العنابر • وقال آخر •  
أنها المذبحة • وعلق ثالث • الموت أهون مما نحن فيه • فأضاف رابع •  
وانصرف ايضا • • قلت • فلنكن هادئين • ربما كانت تلك هى النهاية •  
نهايتنا أو نهاية ما نحن فيه • لقد بدأ الاعصار • ومن أمسك زمام  
نفسه • أمسك زمام الموقف كله • فليكن موقفنا موقفا يذكر لناضلين  
لا يبخلون بتضحية مهما عظمت • التضحية حتى الموت • يجب ان نكون  
على مستوى الموقف الذى يواجهنا • شجعان بواسل •

نحن فى جحر الفئران هذا تكاد انفاسنا أن تتقطع • التوتر والاصحاب  
المشحودة والرغبة الجامحة فى أن نقتحم هذا المكان ونعود الى العنابر •  
لنكون معا امام المصير الذى يدبر لنا • فجأة دوت فى الحجرة « انتباه » •  
صارمة زاعقة • لكنها آتية من الخارج • كل شئ يحوى اليوم كالطبل •  
لا يبين الصوت من صده • بدأنا نسمع صوتا • قيل فيما بعد أنه صوت  
حكماء المحافظة • كان يصلنا متقطعا كالنفج حيننا وكأنباح حيننا آخر •  
« الكفرة الملاحدة • الزناقة • أعداء الله • انهم حشرات سلامة • يجب  
القضاء عليها لتطهير المجتمع » • ثم بدأ فى تلاوة بعض الآيات القرآنية



في الحضر على قتال المشركين وأعداء الاسلام . ثم ساد الصمت . قلت للزملاء ، يبدو أن إوان الهجوم قد آن . فلنكن جديرين بشعبنا ومبادئنا ، ولنقاوم حتى الرمق الأخير . لا زعيق ولا صراخ ، وإنما هتاف بحياة مصر والشعب . ولنرد عليهم قدر ما نستطيع ، الصاع بصاعين .

ما زال الصمت يسود المعتقل لم نسمع صوت انصراف الجنود أو الامر بتوجههم الى العنابر . ولا صوت من ناحية العنابر . متى يبدأ الهجوم ؟ متى تبدأ المجزرة ؟ متى ينتهى الهدوء الذى يسبق العاصفة ؟ فتح باب السلاح ليك . سد غطاس المدخل . قال في صوت أجوف ، « القائد يطلبكم في مكتبه » . همس رفيق ، يبدو أنهم سيبدأون بنا . اجابه آخر ، فليكن ما يكون . نحن لها . تقدمنا غطاس الى حجرة القائد . نظرات الجنود العدائية تحيط بنا من كل جانب . أنهم يتكأون حول الممر وقد وضعوا السلاح الابيض في البنادق . دخلنا حجرة القائد . وقف الجنود خلفنا . نوافذ الحجرة مسدودة بحملة الكرابيج والشبوم والعصى والقوايش . اننا الآن في قلب الدوامة . في عين الاعصار . نحن أمام النهاية ، وجلادنا هو قاضينا . لكن كيف يمكن للفكر ان يقتل ، وكيف يمكن للمعتقد ان يباد ؟

ما أعجب الانسان . اننى اشعر الآن ، وأنا أواجه النهاية ، اننى أقوى من كل هؤلاء . اننى احس انى لست جزءا معزولا ، لكنى جزء من كيان يملأ الزنازين والشوارع والحقول والمصانع . انى جزء من كل خالد لا يفنى . وهؤلاء السفاحين ، هذه الكلاب المسعورة المنتمطة للانتقاض ، المشحونة بالبغضاء والاكاذيب والحق ، انما هى طبل أجوف ، فراغ . هى القرحة في جسد مصر الدامى في تلك الايام . اننى وزملائى أقوى منهم بكثير . اننى استهين بهم . بل احتقر هذا القائد الذى يجلس منجصا الى مكتبه وحوله جوقته من ضباط المعتقل ، وكأنا نواجه مجلسا عسكريا سوف يصدر علينا حكم الاعدام . لماذا كل هذا الضجيج الذى أحدثوه منذ لحظات ؟ لماذا هذه البذاءات الحقيرة الكاذبة ؟ لماذا هذا الهيامان الفارغ الزائف ؟ انهم عصابة تواجه جماعة من اشرف واشجع ابناء مصر .

كان القائد صارما يتأملنا في صمت ، واحدا بعد الآخر . وضباطه يجيلون فينا ابصارهم . لابد انهم يفكرون الآن : كيف هؤلاء أن يقاوموا السلطة ؟ كيف يتخيل هؤلاء انهم قادرون على أن يقولوا لا ، لشيء لا يرضون عنه ؟ من هم ؟ من هم ؟ عملاء ؟ مأجورون ؟ خونة ؟ تلك هى الصفات التى اضفتها السلطة عليهم . خرج القائد عن صمته . قال في



استهانة ، « ماذا تريدون بالضبط ؟ » • رد أكثر من صوت ، « نريد النيابة العامة » • هز القائد رأسه ، « ولماذا النيابة العامة ؟ الا تكفيكم ادارة المعتقل ؟ » اجاب أكثر من صوت ، « الادارة خصم • اننا نريد النيابة العامة ، فهي الجهة المختصة بشكوانا » • تلفت القائد الى جوقته وفد رسم على فيه ابتسامة المشماتط • قال ، « أخبروني بطلباتكم وشكواكم • وما تستطيع فعله سوف افعله » • قلت وقد استفزتنى سحنته وطريقته ، « نريد النيابة العامة • مطالبنا لن تحققها انت • وشكوانا بالتحديد ضد الادارة » • نظر الى في دهشة مزوجة بالازدراء • قال ، « ولماذا لا احققها أنا ؟ » • قلت ، « لقد وعدتنا في مرة سابقة ، ولم تلترم بوعده واحد • لقد تعهدت بدراسة باقى مطالبنا ، الا انك لم تبذل أى جهد في هذا الاتجاه • لكن العكس صحيح • لقد اشتد التعذيب وتفاقم التنكيل • وهناك الى جوار التأديب من احوالته غهوك ووعودك الى مزق دامية : انت قتلت فوزى حبشى وأنت المسئول عن ذلك • اننا نريد النيابة العامة • لدينا بلاغات لها عن أعمال سرقة وقتل وابتزاز وتعذيب • ساد صمت ثقيل • اعتدل للرجل في جاسته • تساعل في صوت كالنفير ، « ما اسمك ؟ » • قلت ، « فخرى لبيب » • قال ، « وما « وظيفتك ؟ » قلت ، « مترجم » • ابتسم ابتسامة كالحة • قال ، « من الروسية طبعا ؟ » قلت ، « آسف لأنى لا أعرفها • وينا ليقنى أعرفها وأعرف الامانية والهندية ايضا ، بل وكل لغات العالم • ان ذلك يفتح للانسان آفاق هائلة • اما ان كنت تقصد العمالة ، فانا من اشرف الوطنيين في هذا البلد • لقد سجنيت من أجل مصر قبل الآن ثلاث سنوات شاقة ، وخرجت ، وهانذا أعود مرة أخرى ، لكننى سأخرج ثانية ، فلكل طغيان نهاية » • بدأ الضابط يتمايلون في جلساتهم • قال للقائد ، « نحن لا نتصرف على هوانا • نحن نتلقى الاوامر ، وانتم تعلمون ذلك » • قلت ، « وهل هنالك أوامر بالقتل ؟ » • قال ، « ان كل ما نفعله ليس الا تنفيذًا للأوامر » قلت ، « اتحدى ان يكون هنالك أمر واحد مكتوب • ان السادة في المباحث العامة يعطونك الاوامر هاتفيا • وانت تنفذ • وتضيف الى التنفيذ ما تشاء وما تريد » • قال : « ومن ادراك أن الاوامر هاتفية ؟ » كان لونه قد بهت • بدأ مهزوزا وقد فقد الكثير من عجزته • قلت وانا اشير الى الحائط حيث كانت لائحة المعتقل معلقة ، لائحة لو نفذت ، لغدا معتقل الفيوم فندقا للنقاها • قلت له ، « تلك اللائحة هي الاشياء الوحيد المكتوب » المخطوط على ورق • لأنه عندما يحين حين الحساب ، وهو لا بد آت ، سيهرب كل السادة في القاهرة من المسئولية • سيقولون تلك هي أوامرنا مكتوبة ، لائحة محددة ، أما ما خلا ذلك فهو من عنديات قائد المعتقل ولحسابه » • صاح في فزع ، « لكننا نتلقى

بإفعل أوامرهم . عدت أقول ، « اتحدى ان تكون المباحث العامة قد أرسلت لك ورقة واحدة مكتوبة بما تفعله بنا » . قال احد الضباط وكأنما يحدث نفسه ، « لكننا لسنا مسئولين . انها الاوامر » قلت ، « ومن يثبت ذلك . شاهدك الوحيد هو المباحث العامة . وهي ان برأتك اذانت نفسها ، وان اذانتك برأت نفسها . هل تسمع بما يجرى في العراق من محاكمات ؟ هل تسمع ما يجرى اليوم لضباط السجون والمعتقلات الذين قاموا بأعمال التعذيب ايام نوري السعيد ؟ ان الدائرة لابد وان تحور ، ليغدو السجن سجيناً ، ظالمنا كان ظالماً ومستبدنا ومعذبنا » . قال أحد الضباط ، « من انتم ؟ » نظر القائد اليه في حيرة . بدا وكأن هذا السؤال كان يشغله ايضاً . انه لأول مرة يواجه جمعا من هؤلاء الذين يحكمهم ولا يراهم كبشر . انهم لا يمثلون بالنسبة اليه غير أشياء مخزونة في عنابر ، ولهذا التخزين مواصفات . وهو لا يراها - في اغلب الاحوال - الا معلقة من أرجلها تحت سياط الفلكة . نظرت اليه وأنا امر راسي مستفسرا . اسرع يقول موضحا ، « اقصد لماذا انتم هنا ؟ لماذا اعتقلتم ؟ » بدا اغلب الضباط وكأنيهم في انتظار الاجابة على سؤال زميلهم . قلت ، « الامر بسيط للغاية ، نحن نطالب بالديمقراطية » . قال القائد ، « ماذا تعنى بالديمقراطية ؟ » . قلت « لنبدأ من أبسط القواعد . انت تدفع ضرائب للدولة . أليس كذلك ؟ » قال القائد في حماس ، « نعم ، هذا ما يحدث كل شهر » . قلت ، « وهناك ملايين غيرك يدفعون الضرائب مثلك » . هذه الضرائب تشكل الجزء الاساسي من دخل الدولة . من الذي له حق التصرف في تلك الضرائب ؟ من الذي له الحق في اقرار الميزانية ؟ . كان الجميع يسمعون في انصات عميق . الجند حولنا تخطوا عن وقفاتهم العسكرية ، وغرقوا في ذلك الجدل الدائر امامهم . انه امر لم يعتادوه من قبل على الاطلاق . انهم الآن امام مباراة بعيدة تماما عن خيالهم . القائد والضباط في وضع التلاميذ والمعتقلون في وضع المدرس الذي يشرح ويفسر . هؤلاء المعتقلين هم انفسهم الذين كانوا حتى لحظات ممنوعين من الهمس والاشارة ، مهددين بالقتل . كيف انقلبت الآية ؟ ما الذي يجرى في هذا المكان المجنون ؟ هز القائد راسه كمن لا يعرف الاجابة على سؤالي ، فاستأنفت حديثي ، « انه مجلس الأمة ، فعلى هذا المجلس ان يقر ابواب الميزانية : ايها للتعليم ؟ ايها للصحة ؟ كم للجيش ؟ كم للصناعة ؟ وهكذا . مجلس الأمة ليس هنا مجرد مبنى به اناس ، اي اناس . انه وهذا هو المفروض - مجلس يمثل الأمة بحق ، يمثل الشعب . اي ان الشعب من خلال ممثليه الحقيقيين في هذا المجلس يقر طريقة صرف الضرائب التي دفعها هو » . قال القائد وهو يهز رأسه وينظر الى الضباط حوله ، « هذا حق وهو امر طبيعي ، فما المشكلة ؟ » .

قلت ، « ان هذا المجلس شبه معين . لابد ان يكون هنالك انتخاب حر حقيقى . لابد من ازالة العتبات امام التمثيل الحقيقى للشعب . وهذا يستدعى ان يكون للمرشحين برامج ، اى حرية التعبير ، وان يشكل المقاربون فى البرامج احزابا واضحة المعالم ، اى حرية التنظيم ، وأن يكون لتلك الاحزاب صحافة ، وهذا يعنى حرية الصحافة . وأن يكون لها حق ابداء الراى اتفاقا او اختلافا مع السلطة دون ان يهددها للسجن او المعتقل . تلك هى الديمقراطية . »

هز الضابط الذى طرح السؤال راسه ، وسحب نفسه ، كمن يعود من عالم بعيد . ساد الجميع وجوم شامل . لم يوجه أى احد الى سؤال آخر . قال القائد وكأنه يود ان يسخر كل ما جرى لحسابه ، كان كل هذا النقاش انما هو لعبة مأكرة اديرت لصالحه ، « كل هذا حسن . لقد تفاهمنا الآن وتعارفنا ولم تعد هنالك ضرورة لهذا الاضراب . واننا اكرر وعدى لكم بتحقيق مطالبكم . » قلت فى اصرار ، « ان مطالبنا محددة ، نحن نريد طرعا ثالثا بيننا وبينكم . الدم ليس ماء حتى يمحوه ما تسميه بالتفاهم . اننا نريد النيابة العامة . وقد اوضحنا اسباب ذلك ، كما نريد المباحث العامة لنواجهها امامكم ، ولنحدد مسئولية ما يجرى فى هذا المكان . » قال القائد فى صوت مهزوم ، « افن ستستمرؤن فى اضرابكم ؟ » قلت ، « انه ليس اضرابا عن الطعام ، لكنه امتناع عن استلام طعام المعتقل . ونحن ما زلنا عند موقفنا ، مستمرين فى هذا الامتناع حتى يأتى الطرف الثالث ، » قال القائد ، وكأنه قد احيط به ولا مفر امامه ، « حسنا سارى هذا الطرف الثالث . »

بداننا نخرج من الغرفة . الضباط ينظرون الينا وفى نظرات البعض منه اعجاب يحاول اخفاءه . الجنود يفسحون لنا للطريق وعيونهم تشع منها الدهشة والانبهار . لا ندري كيف عرفت العنابر بما حدث . لابد ان بعض الجنود كانوا يهرعون الى الزملاء بالاتباء اولا بأول . اذ ما أن ظهرنا فى الطريق المؤدى الى العنابر حتى دوت جميعها بالهتاف . الاصوات المنبعثة من العنابر الثمانية مزقت الصمت الثقيل . اطاحت بسياسة العزل والارهاب ، احالتها هباء منثورا . الهتاف بحياة الحزب زئير مجلجل . كل ما كان محبوسا فى الصدور تفجر . الأصوات مجتمعة تشدد كالهدير .

فى ثورة على الطفأة والكادحون حولنا

نبنى دعائم الحياة من عمرنا وكسنا

ما ان وصلنا العنبر ، أنا وزميلى ، حتى ضج بالتصفيق ، وكذا باقى العنابر عندما وصل اليها الزملاء الذين خرجوا للملاقة الادارة . ثم



ساد صمت يوحى بان الزملاء فى كل العنابر يستمعون الى ما دار بيننا وبين الادارة ، ثم عادت الاناشيد وتحية الزملاء لبعضهم البعض عبر نوافذ العنابر . لقد أمسكنا بالثور من قرينه . مزقنا القيود ، أوقفنا الدوامة وهزمنا الاعصار . الوحش يجلس الآن فى مكتبه بلا مخالب أو انياب . الحرب النفسية ارتدت اليه ، تحيط به .

عقدنا اجتماعات سريعة مع الزملاء الحزبيين من مختلف الاتجاهات والمعتقلين لمناقشة الاحتمالات المتوقعة بعد ما حدث . لابد أن قائد المعتقل يتصل بالقاهرة الآن . لن يكون رد فعل المباحث مثل رد فعله . انهم الاعداء الحقيقيون . انهم المخططون والمدبرون لكل ما يدور فى المعتقل . هل يستسلمون لهذا الفشل الذريع ؟ أم لابد من رد على ما حدث فى معتقل العزب ؟ اتفقنا على ضرورة الاستمرار فى المواجهة الحاسمة . لا تردد ولا تراجع . لابد من تصعيد الموقف للجهاز على سياسة العزل والتعذيب النفسى والبدنى . الا انه يلزم عدم تحدى الجنود ، حتى أولئك الذين شاركوا فى التعذيب تنفيذا لأوامر الادارة . لابد من استغلال الفرصة واجراء اوسع حوار معهم . من نحن ؟ ولماذا نحن هنا ؟ لا مواقف فردية دون دراسة وتوجيه من الرفاق المسئولين . يجب عدم اللجوء الى الاستفزاز على الاطلاق . وأولا ، وقبل كل شئ ، يجب تعميق وحدة المعتقلين ، وتأكيد صحة موقفنا وضرورة استمراره .

ابلغت تلك التعليمات الى العنابر المختلفة لمناقشتها . تداول جميع المعتقلين حول ضرورة الالتزام بهذه التعليمات . لم تستغرق المناقشات وقتا . الا ان فكرة الاضراب عادت تطل من جديد . ورفضت ايضا مرة اخرى . لابد من التمسك بما اتفق عليه بين الاطراف المختلفة ساعة دخول المعركة . اضيف اقتراح بحد الامتناع يوما آخر اذا دعت ضرورة المعركة الى ذلك . ووفق على الاقتراح دون تردد . أصبح من الضرورى الحفاظ على ما لدينا من طعام حتى يكفينا مدة يومين . اوكلت تلك المهمة الى لجان الحياة العامة فى كل عبر . بدا وكأن الادارة قد هجرت المعتقل . لا أحد منها يظهر حول العنابر أو يتلصص من النوافذ . حل المساء ولم يجد جديد . لابد ان شيئاً ما يدبر لنا . لا يمكن ان يمر ما حدث على هذا النحو . ان العقول التى لا تتوقف عن ابتكار فنون التنكيل والعداء ، لا يمكن ان تستسلم هكذا . ان الوضع السياسى عموما ما زال فى عنفوان عدائه لنا . وتلك لن تكون النهاية بأى حال . ربما تكون نهاية شئ ما وبداية شئ آخر ، الا ان الاوضاع السابقة لن تعود .

نقرات خفيفة على النافذة ويسرع الزميل الناصورى ليرى ما هنالك . أحد الجنود يهمس فى سرعة . هنالك تعزيزات فى الحراسة



حول المعتقل . لقد جاءت الآن لتوها . انها مدمجة بالسلاح . تم توزيعها حول الاسوار . ان القائد لم يغادر مكتبه منذ الصباح . الهاتف لم يكف عن النداء منه واليه . اتصالات تجرى بالقاهرة والمحافظات والمباحث العامة والأمن المحلى . هنالك أمور تدبر . اختفى الجندي في الظلام . علمت العنابر بكل ما علمنا ، فشددت من استعداداتها . انتهت مراحل المناوشات وجس النبض ، وجاء الهجوم المضاد . علينا أن نستمر فيه . نحن لسنا وحدنا في المعتقل . لابد كسبنا تعاطف بعض الضباط والجنود . لابد أن ما حدث اليوم في المعتقل سوف يتناثر بصورة أو أخرى ليصل الى الناس في الفيوم والقاهرة . لقد كسرنا العزلة وعلينا الاجهاز عليها . تحولت فكرة الامتناع لليوم التالي الى قرار . الحماس يجتاح المعتقل . لاناشيذ تعلو مرة أخرى فتبدد ذلك للسكون الوحشي الذي يحيط بالمكان . لم يعد العزب مقبرة ثالثة وسط مقابر المسلمين والمسيحيين . ابناء معتقل العزب يستنهضون بحماسهم أموات المقابر .

بلادى بلادى بلادى لكى حبى وفؤادى

مصر يا ام البلاد أنت غايتى والمراد

لا رد فعل من قبل الادارة . الجنود الحراس داخل المعتقل وخارجه يمتصون ما يسمعون في شغف . لسنا تجار حشيش أو مخدرات . لسنا خونة أو عملاء . نحن ابناء مصر الحقيقيين . يجب أن يعبأ الجنود بالحقيقة : أن الهجوم المضاد لا يجب أن يقف عند حد مواجهة أساليب التعذيب ، بل وايضا بالضرورة ، أساليب التضليل والخداع والاكاذيب . علينا أن نوضح لهم ، اننا ابناء العمال والفلاحين . نحن هنا من أجل آبائهم واخوتهم وأهلهم . يجب ان يفهم هؤلاء الحراس ، والذين قد تستخدمهم الادارة غدا ضحنا ، اننا لسنا ضدهم هم ، واننا انما نهوت دفاعا عنهم ، انهم جزء من شعب مصر .

بدا اليوم الثانى . شاويش يطلب استلام الطعام . رفضت جميع العنابر . بدا أن الاجراء شكلى وكأئما يتم لغرض ما . مر الوقت ولم تفتح العنابر كالمعتاد للذهاب الى دورة المياه . هنالك شيء ما يجرى بعيدا عند الادارة . نادى بعض مندوبى العنابر على الشاويشية لفتح الابواب للترجى الى دورة المياه . قال الشاويشية ، تبريرا لعدم فتح الابواب ، أن عددا من السيارات الخاصة قد وصلت من القاهرة وبها رجال المباحث العامة منذ الصباح ، هنالك اجتماع بين القائد وضباط الأمن ورجال المباحث العامة .

ماذا يدبر لنا ؟ شاويشية العنابر يقفون امام أبوابها • الحراس والحرس الاضافي حول المعتقل ، شاكي السلاح • العساكر بالخوذات والعصى في فناء المعتقل وعند دورات المياه • الصمت يخيم في الخارج والتوتر والتحفز يسودان العنابر • لكل على استعداد لمواجهة أى احتمال حتى الموت • قال الزميل الناضورجى ، « هنالك حركة عند الادارة • موكب ضخم من الضباط ولايسى الارحية الملكية من رجال المباحث العامة • الموكب يتحرك في اتجاه العنابر » • لا صرخات داوية « بالانتباه » • الموكب يتسلل في صمت وجدية مبالغ فيها • مر الموكب امام عنبر اربعة ثم اجتازه • عبر عنبر ثلاثة ثم عنبر اثنين الى عنبر واحد • يقول نبيل صبحى ، « فى عنبر واحد تصدى لهم لطفى الخولى بموقف شجاع ، كان واثقا من نفسه ومقدرته • ناقشهم بمنطق هادى وحازم ، وانهى الامر بنوع من المفاوضة » •

يقول لطفى الخولى ، « فى اليوم الثانى للامتناع ، عرضوا الأكل على العنابر ، الا ان العنابر كلها رفضت • جاءوا الى عنبر واحد • أخرجونا وطلبوا منا استلام الطعام فرفضنا مرة أخرى • قالوا ، « من يتكلم باسم العنبر ؟ » فخرج المخدوبون وكنت معهم • أوقفونا امام ضرب النار • كان الجنود واقفين بالرشاشات ، حوالى خمسة عشر جنديا • الضباط يتهايمسون معا • وهنالك جواريف معدة على أساس اتهامنا بمحاولة الهرب • ( مبرائسين ) كامل يعطيك انطبعا بانك مقتول مقتول • جاعنى الحكماء ، قال ، « لا داعى لتعريض نفسك لما سيحدث • اترك هذه المسئولية واخرج » • قلت ، « لماذا ؟ » • قال ، « انت تعرف • ويمكن ان تخرج قريبا • كان لديك زيارة لم يسمح بمثلها لاحد من قبل ، انا لى موقف ، وانا هنا جزء لا يتجزأ من زملائى ، ولا يمكن ان اترك مسئوليتى » قال ، « هذا معناه انك تضحي بحياتك » • قلت ، « عندما وضعنا فى المعتقل ، كنا نعرف اننا نضحى بحياتنا • ثم انى قد أخذت نفس الضرب الذى أخذه كل زملائى قبل حضور الزيارة • ثم ماذا تعنى هذه الزيارة ! » • قال ، « لا ، انها تعنى الكثير ، انها من أعلى المستويات ، ومعنى هذا أن موضعك تحت النظر » • قلت ، « موضوعى ينظر أو لا ينظر ، فانا مصرى الآن مع زملائى » • قال ، « اخرج » • قلت ، « لا يمكن » • قال ، « لقد حذرتك » • وحاول أحمد منير غالى ان يثنىنى ايضا فرفضت ، فقتل ، « خذوهم الى صف ضرب النار » • تركونا فى الشمس • وعادوا يتهايمسون بصمت لابد ان نسمعه • كانوا يتبادلون الراى حول ضربنا بالنار فورا أو تأجيل هذه المسألة بعد المرور على باقى العنابر • ثم أمرنا الحنود ان يكونوا فى وضع الاستعداد و ( تكتكت ) البنادق • وبدافع الصراع من أجل الحياة وجدنا انفسنا نندفع نحو العساكر •

كنا حوالي خمسة أو ستة زملاء . خاف الجنود فتراجعوا الى الخلف كثيرا . اننى اتذكر جيدا انهم رفعونى من فوق أحد الجنود وقد امسكت ببندقيته وهو يصرخ تحتى ، « وانا مالى يا بيه ، دا احنا لا هنضرب ولا حاجة » . بعد هذا الهجوم خفت قبضة الادارة . لتصورهم ان الشيوعيين يمكن ان يفعلوا أى شىء . فعلوا ( ميزانسين ) آخر . جاء جندى وقال ان القائد مطلوب على الهاتف . ثم عادوا وأخبرونا ان هذه المكالمة قد انقذتنا ، ثم ادخلونا العنبر . فى تلك الاثناء كانت العنابر كلها قد هاجت هياجا شديدا ، ونحن ، كرد فعل لما حدث معنا ، اخذنا نسبهم ونشتهم . نبدأوا شكلا من اشكال التهدة وادخلونا العنبر ، .

يقول طاهر عبد الحكيم (١) ، « جاء اليوم التالى ، ووفدت على المعتقل عدة سيارات محملة بالجنود لابسى الخوذات الحديدية ، البعض مسلح بالبنادق والبعض مسلح بالقنابل اليدوية ، والبعض الآخر بالقنابل المسيلة للدموع ، وآخرون يحملون عصيا غليظة » .

نزل هؤلاء الجنود واخذوا طريقهم الى منطقة العنابر وامام عنبرنا قاموا بمظاهرات ارهابية وخرج سكان عنبر واحد الى للفناء بين صفوف الجنود الذين وقفوا ببنادقهم وعصيهم وقنابلهم فى وضع استعداد ، وتقدم حكمدار مديرية الفيوم قائلا ، من يريد ان يتسلم طعامه فليتقدم خطوة . ولم يتقدم احد . فعاد يقول ، المتنعون عن الطعام يأخذون خطوة الى الخلف . وخطا الجميع الى الخلف . لم تفلح مناورته الارهابية فى تفكيك وحدة المعتقلين . . وتصدى له واحد من المعتقلين فاضحا سياسة السرقات . . سرقات القائد ، سرقات غطاس . وقال ان الارهاب كله مقصود به التغطية على تلك السرقات والاستمرار فيها .

وبهت حكمدار الفيوم . ووقف بعض رجال المباحث صامتين . لم يستطع احد منهم ان يواجه التهم التى وجهت الى قيادة المعتقل . وادخل سكان العنبر واخرج سكان عنبر اثنين . وغالبية من العمال . . . . . وتقدم الى المناضل محمود عطا الله رئيس نقابة عمال النسيج بكفر الدوار الذى كان فى مقدمة سكان العنبر ، وقال له فى لهجة أمرة ، اطلع استلم الأكل .

ورد عليه المناضل النقابى ، احنا مبتنعين عن الطعام ولينا شكوى . فرفع الحكمدار يده وانهاه بصفعة قوية على وجه المناضل محمود عطا الله

(١) الاقدام العسارية .

فصرخ هذا في وجهه صرخة إذ هلت الحكماء : « اخنا ممتنعين لانتسابنا  
بنحتج على الاعمال الاجرامية دي » .

واحبس الرجل أنه امام طينة أخرى من البشر ، واتسحب الى مكتب  
القائد وسحب جنوده . وطلب مفدوبين عن المعتقلين وشرحت له كل  
الأمور : السرقات في الطعام ، والاتاوة التي يفرضها محمد غطاس على  
المعتقلين ومطالبتنا بالصحف والاذاعة . وفتشت على الفور الخيمة التي  
يقيم فيها محمد غطاس ، فعثر على بعض المقتنيات الخاصة بالمعتقلين ،  
فأمر بالقاء القبض عليه ، وصدر أمر بوقف عقوبة الجلد نهائيا . وبعد  
سرف أي طعام من المطبخ الا بعد وزنه . ووعد بالنظر في باقي المطالب .

يقول فتحي عبد الفتاح (١) ، « ... وكان القرار : . . في اليوم  
التالي رفضنا استلام الاكل . . . . . وحين جاء القائد ليرهب ويرغب قائلنا  
بهجوم شديد ، وقال له زميل عامل : أنت لست أهلا للحديث معنا . اننا  
سياسيون ولسنا تجار مخدرات ، لذلك نحن نريد مسئولين من القاهرة  
للتحدث اليهم . . . . . كان من الواضح أنه قد اسقط في يد القائد الذي حاول  
ولادة يوم كامل أن يحل المشكلة حتى لا يظهر على الأقل امام المسئولين  
أنه عاجز عن قيادة المعتقل . . . . . وازاء اصرار الخمسمائة معتقل استنجد  
القائد في اليوم التالي بوكيل المحافظة الذي جاء الى المعتقل بفرقة كاملة  
أحاطت بالعنابر من كل ناحية . . . . . ولادة ساعة ظلت تمارس علينا  
عمليات ارهاب نفسي محكم ، ضجة وأصوات عالية وأوامر مشددة هنا  
وعساكر تهرول هناك وأصوات البنادق وثكة الدبشك وبعض الطلقات  
المدوية في الهواء .

وبوكيل المحافظة وقائد المعتقل يتعمدان اصدار أوامر تكون مسموعة  
لدينا . اخربوهم بلا رحمة . التي يرفع راسه اضربه في المليان . . .  
دول خونة .

وبدا المساتش .

أخرجوا عنبر واحد الى الحوش وامام كل معتقل وقف جندي شاهرا  
بنذقيته ووضعت أوائى الأكل بين المعتقلين والجنود . وصاح وكيل  
المحافظة الذي جاء ليحرب حظه معنا ، عندي أوامر بضرب النار في المليان .

(١) شيوخيون وناصريون .



وبحركة مسرحية قال ، عسكر استعد . وأخذ العساكر فعلا وضعهم ووضعوا اليد على الزناد . وبحركة مسرحية أخرى قال ، معتقلين ، كل واحد يتقدم خطوة ويأخذ أكله ولم يتقدم أحد . واعداد وكيل المحافظة أمره السابق بصراخ حاد . ولكن أحدا لم يتقدم . وادخلوهم العنبر . وجاء الدور على عنبرنا ( عنبر اثنين ) . . . . .

وتكرر نفس الموقف . وفي ضيق شديد صاح قائد المعتقل ، اضرب عسكرى . ولكن العساكر لم يضربوا وتطلعوا الى وكيل المحافظة . لقد كانوا كلهم من قوة المحافظة وليس من قوة المعتقل . . . . .

وبدا محمود عطا الله رئيس نقابة عمال كهر الدوار يحكى في ثبات عن التعسف الذى نلاقه داخل المعتقل من القائد وضباطه والجد المستمر الذى وصل الى حد جلد المرضى ، وسوء التغذية الذى نتعرض له ، ومنعنا من طوابير الشمس ومن الورقة والقلم والكتاب والصحيفة والراديو .

وتقدم الدكتور فايق فريد وتقدمت معه لنساعد محمود على شرح مشاكلنا . كان وكيل المحافظة من ذلك النوع من الموظفين الذين يخصصون لمهتهم ولا تشغلهم السياسة من قريب أو بعيد ، وبالتالي لم تكن لديه مصلحة في تعقيد الأمور . . . كان موظفا يريد أن يقوم بمهمته بنجاح . وكانت المهمة الملقاة على عاتقه مثلما اوضح هو أن نوقف التمرد ونأخذ الغذاء . . واستطعنا أن نشرح قضيتنا جيدا فنحن نعرف أن وكيل المحافظة ليس مسئولا عن اعتقالنا لكن نطالبه بالافراج عنا ، وركزنا مطالبنا على أن نعامل معاملة انسانية وأن نوقف جميع الساليب التعذيب من ضرب وجلد واهانة . وأن تتاح الفرصة لأن نكتب لذوينا ونسلم خطاباتهم وأن تفتح العنابر فترة أطول ويسمح لنا بقراءة الصحف والاستماع الى الراديو واستخدام المكتبة . .

كما اضاف الدكتور فايق فريد موضوع التغذية وطالب بزيادة مخصصاتنا من الغذاء حيث أن غذاء المعتقل كان يكلف ٥٦ ماïما وهو مبلغ ضئيل لا يمكن أن يفي باحتياجات طفل . كما شكك في امانة ادارة المعتقل والمتعهد . فقطعة من الجبن القريش ومقادير ضئيلة من الفول وثلاثة أرغفة لا يمكن أن تقيم أود انسان الا اذا كان المطلوب قتلنا بالجوع البطيء . .

كان وكيل المحافظة يسمع الى شكوانا ووجهه يهرج بمشاعر كثيرة متضاربة ، فالمطالب التى نضعها أمامه يتمتع بها أى مسجون عادى في السجون سواء كان لصا أو قاتلا أو تاجر مخدرات . وكان بين الحين

والحين ينظر الى قائد المعتقل ومعاونيه يريد من أحدهم أن يكذب الوقائع التي نقدمها . بينما كان قائد المعتقل والضابط حمدي ينفثان الغيظ والشر من عيونهما في صمت ، أما غطاس فقد وقف وهو يتوعدنا بحركات من يديه ووجهه وحينما اثرنا قضية الغداء وتواطؤ المتعهد مع الادارة تسلل غطاس متجها نحو مبنى الادارة .

ونكسبنا المباراة أو على الاقل هكذا بدت الاهور من السطح فنقل للضابط حمدي والجاويش غطاس من المعتقل وأوقف الضرب والجلد ، وجاء متعهد آخر . . . .

يقول لطفى الخولى ، « بدأ التراجع من جانب الادارة . طلبوا اثنين من عنبرنا وكذلك من عنبر اثنين . وذهبنا نحن الاربعة وتناقشنا معهم وكانت المباحث موجودة واثير موضوع الاضراب والامتناع فاوضحنا ان هذا الذى نقوم به امتناع وأخذنا المكاسب ومنها الجرائد . اتفقنا على كل شيء ، وعدنا لابلاغ الزملاء وحل الامتناع . حدث بعد ذلك أن نقلت من عنبر واحد الى عنبر تسعة حتى يظهروا وكأنهم قد عزلوني عن زملائي في عنبر واحد نتيجة لموقفى . كان يطلق على عنبر تسعة في ذلك الوقت عنبر المنفى » .

انتهى الامتناع بانتصار ساحق للزملاء . انتقلت المبادرة والمبادأة الى أيدينا . وفي نفس الوقت انتقل الوهن والتحلل والانهيار النفسى الى ادارة المعتقل ذاتها . ان وحدة المعتقلين جميعا ، ودور الحزب في تحقيق هذه الوحدة وفي التصدي لخطة التصفية كان صحيحا ، وقد حققت خطتنا المضادة تحطيم الاساسيات التي قام عليها المعتقل ، وبذ انتفى دوره ومهمته ، بل انقضت أهميته ايضا . خف التوتر المحيط بالمعتقل وزال الانفعال الاعتقال ، الا ان خبرا بدأ يسرى داخل لمعتقل ، هنالك ترحيلة الى الواحات .

« في المساء نودى على اربعين معتقلا (١) . اخلى أحد العنابر ليقتضوا الليل فيه . بدأ التساؤل ، هل هي الدفعة الأولى التي ستتلوها دنعات حتى ينتهى المعتقل الى التصفية ؟ أم انها دفعة منتقاة على اعتبار ان أفرادها هم من ترى فيهم المباحث العامة وادارة المعتقل ، قيادة للمعتقلين ومصدرا للشغب والاثارة ؟

---

(١) فخرى لبيب .

المعتقل يدوى طوال الليل بالانغاني والاناشيد والتحيات والسلامات  
و ( انتم السابقون ونحن اللاحقون ) . واعدت لنا الحياة العامة المملوءة  
للى تكفيننا طوال الدريق ، كذلك البن والشاي والسجائر والخبز وكل  
ما يلزم الرحلة للترحيلة .

تم الاتفاق مع مختلف الجماعات على التنسيق خلال الطريق .  
الشعارات والهتافات وكيفية التصرف في الظروف المختلفة . لم يبق الا ان  
نغادر المعتقل العذب الى منفى المحاريق ، منذ شمساعات الفجر الاولى  
استيقظ المعتقل كله . الجميع يتبادلون التحية ويرسلون معنا اطيب  
الامنيات الى رفاق الواحات . ادارة المعتقل تعمل في همة ونشاط لتسليمنا  
اماناتنا . وفرقة الحراسة المسافرة معنا ومعها الحجلات في انتظار  
التعليمات .

كان معنا ضمن الترحيلة المعتقل ح . ح . قائد المعتقل يحاول  
ابداء السرور وان كان في أعماقه يئن من هذا المآل الذي صار اليه ، صولجانه  
وهيبته . قلت له ، « لن نأخذ المعتقل ح . ح . انه لم يعد منا » سناخذ  
فوزى حبشى بدلا عنه . « فزع الرجل زائلقه بسببه للزجة المطبوعة  
على شفتيه . قال ، « هذا أمر لا أملك له تبديلا . انها أوامر  
القاهرة » . قلت ، « اتصل بالقاهرة . قل لهم اننا لن نغادر هذا المعتقل  
وأن الترحيلة لن تتحرك ما لم نأخذ فوزى حبشى معنا » . اسرع الرجل  
الى حجرته .

نحن نتحرك في المعتقل في حرية . نتجول لأول مرة هون سباب أو  
شتائم أو ارهاب بالفلكة . الجنود يبدون الكثير من المشاعر الانسانية .  
البعض يتمنى لنا السلامة ، والبعض يعتذر عما قام به ضحنا ، « انها  
الاورامر ، نحن - كما انتم - كانت تطولنا الفلكة » .

عاد قائد المعتقل متهلل الوجه . قال ، « وافقت للقاهرة » . زار  
الرفاق بالهتاف . طار الخبر الى كل العنابر . ارتفعت الاناشيد وزادت  
حرارتها ، حتى بدا المكان وكأنه صرخة واحدة محوية . الزملاء يعدون  
فوزى حبشى للترحيلة . غسلوا جسده الدامي برفق وحنان . كانت  
الدموع تلمع في عيون البعض منهم وفوزى يشجعهم ، كأن هذا الجسد  
الممزق المهشم المكسود ليس جسده . لقد قدم فوزى حبشى في بطولة  
واباء وبارادة الثوار جسده ودمه فداء للمعتقل كله . أخيرا أصبح جاعزا .  
أخفى القطن جسده العاري ، وفوق القطن « روب دى شامير » . وأصبحنا

مستعدين للرحيل • ربطتنا الى الحجلات ما عدا • اتجهنا الى البوابة حيث  
سيارات الترحيلة • دوى الهتاف بحياة مصر ، وكفاح الشعب المصرى  
والطبقة العاملة وكفاح الشيوعيين والحزب الشيوعى • ثم بدأ النشيد :

سيفتونا فى المنافى واملأوا منا للسبجون

سوف تاتيكم لىالى برفقتهمنا حتف الناسون

المعتقل كله ينشد معنا • بعض ضباط المعتقل وحراسه ينظرون  
لينا فى تعاطف • امتلأت عربات الترحيلة وبدأت مسيرتها • صوت  
الرفاق فى المعتقل يخفت كلما ابتعدنا عنه ، لكنه يملؤنا بشحنة من الارادة  
عارمة • وشعور يغمرنا باننا اقوى من القيد وصاحب القيد • اننا بارادتنا  
ووجدتنا واختيارنا طريق التضحية مهما عظمت قد هزمنا ما دبر لنا ،  
وكتبنا شهادة وفاة هذا المعتقل • ان الثمن الذى دفع مهما كان ، لن يكون  
غاليا فى سبيل الا يكون العزب بعد اليوم عذابا •

كانت تلك هى الترحيلة الثانية من العزب الى المحاريق • وكانت  
المباحث العامة وادارة المعتقل تتخيل انه بعد كل ترحيلة من تلك التراحيل ،  
فان الامر بالنسبة اليها يكون أيسر وصولا الى تنفيذ مخططاتها • الخطأ  
الذى وقعت فيه تلك الاجهزة منذ البداية ما زال قائما • قد يكون لبعض  
الافراد دور متميز ، الا ان هذا الدور لا يمكن أن يتحقق الا من خلال  
أداة • وهذه الاداة كانت وما زالت فى المعتقل • انها الحزب وخطته المضادة  
فى مواجهة التصفية • انها وحدة كل المعتقلين للدفاع عن كياناتهم  
السياسية والأدمية • والاداة التى افرزت الدفعة الأولى ثم الدفعة الثانية ،  
هى نفسها ما زالت قائمة تفرز دفعات ودفعات •

يقول نبيل صبحى ، « بعد الترحيلة أصبحت مسئول المعتقل •  
وتشكلت اللجنة القيادية الحزبية لكل المعتقل من الزملاء عدلى جرجس •  
منصور زكى ونبيل زكى • وأصبح الزميل لطفى الخولى - وهو مسئول -  
مسئولا عن التعامل مع الادارة • كان مفوضا تفويضا كاملا فى هذه  
المسألة • وساعد هذا على توحيد المعتقلين •

طلب بعض الزملاء فتح الصراع الايديولوجى داخل الحزب ، الا ان  
هذا الطلب رفض • وركزنا فى تلك الفترة على المناقشات السياسية  
والنحوات الثقافية ووسائل التسلية • كانت علاقاتنا مع بعض الضباط  
جيدة • كان بعضهم يحضر لنا فى نوبطشية الليل الترانزيستور الخاص به  
لنستمع اليه حيث كان راديو المعتقل يقتل فى الساعة التاسعة • بعد



للترحيلة جأنا ضابط ملازم ثان . شاب حديث التخرج وفوجئنا به يسأل عن الدكتور لويس عوض حتى وصل اليه ، فقال له ، « أنا من المعجبين بسيادتك وقارىء لما تنشره من أدب ومسرحيات ، وأحب الادب اليونانى والمصرى القديم » ، لكنه نقل بعد عشرة أيام فقط .

كنا نعمل على اطالة وقت فتح العنابر ، وأن يكون التسكين فيها بمعرفتنا نحن . واعتقد ان الزميل عدلى جرجس كان هو صاحب هذا الاقتراح .

رحلنا الى الاوردي ونحن نفكر فى عمل امتناع ثالث .

يقول لطفى الخولى ، « كان وجودى فى المنفى فى عنبر تسعة ، يشكّل واحدة من اهم فترات المعتقل . فقد استطاع زميل عامل فى هذا العنبر ، وكان فى وسعه أن يفعل أى شئ ، أن يحضر ورق بفرة وقلم كوبيا فى طول عقلة الصبّاع . وهناك كتبت مسرحية ( القضية ) . كانت قصة قصيرة وحولتها الى مسرحية . انا رويتها للزملاء كقصة فى عنبر تسعة وكذلك فى عنبر واحد بعد أن عدت اليه . وقد اناقتنى جدا ملاحظات زملائنا للعمال . ثم كانت المشكلة بعد ذلك كيف نحفظ ( القضية ) . حيث انى كتبت اشياء قبل ذلك بالقلم للرصاص ، لكنها محيت . عمل الزملاء صندوق من لبابة العيش حفظت فيه اوراق المسرحية واستطعت أن أخرج به من المعتقل ، وكان أول شئ سلمته الى زوجتى عندما ذهبت الى القصر العينى . فيها بعد وجدت ان جزء من المكتوب لم يكن واضحا ، لم استطع قراءته ، مشاهد قليلة فاعدت كتابتها . انا كتبت معظم اعمالى او كلها فى السجن . هنالك ايضا بدأت مجموعة قصص اكملتها فى معتقل القصر العينى وصدرت فيما بعد باسم ( ياقوت مطحون ) . فى السجن يمكن أن ترى الاشياء بمنظار آخر . لبس السجن حافزا للاعمال السياسية فقط او التحليلات فقط ، تجربة السجن مفيدة للعمل الأدبى والفنى أكثر من العمل السياسى . العمل السياسى يُحد من أفقك ، لكن الادب فيه التأمل والرؤية . وتصبح شخصياتك شخصيات اقتحامية ، تستطيع أن تضع فيها كل ما تريد حدوثه . كان ابراهيم عامر يكتب ايضا ( الفلاح أو المسألة الزراعية ) .

حدث فى عنبر تسعة اثناء الطابور أن كان الضابط حلمى العيسوى مارا ، وأحد الزملاء العمال جالسا ، فتوجه اليه وطلب منه أن يقف عند مروره . ووقف لازمين العامل الا أن حلمى العيسوى اعتدى عليه . ناقشنا الامر مع عدد من الزملاء واتفقنا على أن نجلس دائما عند مرور حلمى العيسوى ،

وان كان جدعا كما يدعى فعليه ان يفعل بنا ما فعله بالزميل العامل . الا انه عند مروره ورؤيتنا نحن ، حاول الاعتداء مرة أخرى على نفس الزميل العامل ، وللحال قمنا وضربناه ضربا شديدا . فأرسلونا إلى التأديب عشرة أيام ، دون ابراش ، والغذاء عيش حاف وماء فقط . وحاولوا القيام بأعمال ارهابية فظيعة ، مثل اطلاق الرصاص تحت اقدامنا والقاء الماء وادخال شعبان من تحت فتحة باب الزنزانة .

في اليوم الثامن فوجئت بتحسن في المعاملة ، فقد حضر الصول سليم ومعه طعام لي ، كما قام الدكتور بالكشف على ، وسمعت الجنود في الليل يتحدثون مع بعضهم البعض متسائلين عن ذلك التغيير السذ يحدث ، فقد كانت لديهم أوامر بالماء والثعابين ، فما الحكاية ؟ . في اليوم التاسع جاء أحمد منير غالى وقال لي ، « لقد قررت أن أعفك من اليوم العاشر وتفضل إلى عنبرك » . قلت له ، « لا لن أخرج حتى أنهى العشرة أيام . انا اود ان أقول للناس - عندما نخرج - عن هذه الايام العشرة ، ولسوف ترى . فأنت تعرف الآن جيدا أن هؤلاء الرجال هم القوة الاساسية في مصر ، ولسوف ترى عندما تخرج » . فوجئت به يقول ، « يا بيه دا انا العبد المسأور هنا ، وسعادتك خلاص رايح المستشفى ، وارجو أن تنسى ما حدث » .

كانت زوجتي قد اثارت في الخارج مسألة اصابة رجلى بكسر . لم أكن استطيع ان اتيها . وكانت تقف عند ٤ درجة ، وكانت تؤلمني جدا في فترات تغير الفصول . وقدمت شهادة من الدكتور الشرقاوي بهذا الخصوص . فاذا ب خطاب يأتي إلى المعتقل يطلب أن يجري الطبيب الكشف على ، ثم جاء خطاب آخر خاص بكبدني . فقال لي طبيب السجن انك بسوف تنقل إلى المستشفى .

عندما أخبرني أحمد منير غالى بأى ساذج إلى المستشفى ، سألت ، ان كانت المستشفى هي مستشفى الفيوم فتلك مرفوضة . فأخبرني ان الاجراءات سوف تتخذ لنقل إلى القصر العيني . حينئذ فكرت ان أجرى اختبارا لاتيقن من صدق ما اسمع ، فطلبت أن أعود إلى عنبري الأصلي فاجابني إلى طلبى على الفور ، وطلبت ايضا أن ينقل الدكتور لويس عوض إلى هذا العنبر فاستجاب ايضا وعدنا إلى عنبر واحد .

بعد العودة الأخيرة إلى عنبر واحد بدأ ما يمكن تسميته بالعصر الذهبي للعنبر . بقيت به قبل سفرى إلى القصر العيني حوالي عشرين أو خمسة وعشرين يوما . في تلك الفترة قام الفنان زهدى برسم عدد من

البورتريهات ، كذلك قام الفنان حسن فؤاد برسم كتلة الجالس ورأسه بين ذراعيه . كما بدأنا سلسلة من المحاضرات ، محاضرات في الأدب الانجليزي للدكتور لويس عوض ، ومحاضرات في الاقتصاد السياسي للدكتور عبد الرازق حسن . محاضرات في القانون للمستشار سعيد خيال . ومحاضرات في المادية الجدلية وتاريخ الحركة الاشتراكية قدمتها انسا ، ومحاضرات في النظرية الشيوعية قدمها الدكتور محمد الخفيف .

انقلب الوضع في المعتقل . أصبحت الارادة العليا للمعتقلين ، والادارة تحاول جاهدة أن تستعيد ارادتها .

يقول عدلى جرجس ، « بعد أن غادرنا الدفعة الثانية الى الواحات ، كنا نأخذ مساحة نصف ساعة زيدت الى أربعين دقيقة ، ثم خروج عنبر بمفرده ، ثم عنبرين معا لمدة ساعة . بدأ المعتقلون يعدون كرة ( شراب ) ويلعبون بها . وأصبحت تلك المسألة محل صدام مع الادارة . كانت الادارة لا تتخيل المعتقل الا حزينا صامتا واجما متكبرا لا يضحك ولا يتكلم ، وأن المفروض فيه أن يكون في حالة من القرف والانهيار ، الا ان المعتقلين كانوا يلعبون ويضحكون ويمرحون ، ومن هنا بدأت تحاول الاحتكاك بهم بمنع لعب الكرة فتستولى عليها ، فيقوم الزملاء بعمل واحدة أخرى حتى بدأ الامر وكان المسألة قد أصبحت ( حاورينى يا طيطة ) . كان للزملاء قد قرروا في هذا الموضوع أن لعب الكرة انها هو أحد رموز ممارستهم لحريتهم الحبيسة وفرض ارادتهم رغم الاسلاك والعسكر . ورأت الادارة ان قبضتها قد زالت وانها فقدت سيطرتها على المعتقل . ومن هنا ، كما اعتقد ، أصبح من الضروري بالنسبة لهم وجود بداية جديدة في مكان جديد ، اذ لم يعد معتقل الفيوم يفي بالمطلوب ، وكان أبو زعبل ، »





# الفصل السادس

المحكمة

نظم ياسين

مسعد رجب

قواد مرسى

ان المحاكمة الكبرى التى قدمت فيها الدولة اربعة وستين شيوعيا الى المحكمة العسكرية العليا كانت واحدة من أبرز معالم تلك المرحلة . كانت غالبية قيادة الحزب فى مقص الاتهام . والتهمة الموجهة اليهم هى اقامة تنظيم غسير شرعى . وكان على قادة الحزب خلف القضبان ، أن يؤكدوا حق التنظيم باعتباره واحداً من الحقوق الجوهرية التى تجسد حرية الفكر والتعبير والانتماء الارادى . وأن يعلنوا عضويتهم فى الحزب الشيوعى المصرى رداً على موقف النظام . ومن خلف قبضان ذلك القفص ، ارتفع الصوت الحقيقى المعبر عن ارادة الشعب المصرى ، صوت الحزب الشيوعى المصرى .

### التحقيق :

#### بدأت المحاكمة بالتحقيق (١) .

كان القبض اثناء الحملة وكذا التفتيش عاديا روتينيا . أخذ الرفاق بعد القبض عليهم الى مبنى المباحث العامة بالقاهرة ، حيث وضعوا كلا بمفرده ، بينه وبين الآخر مسافة أو حجرة منفصلة . ظلوا كذلك حتى مساء اليوم التالى . ثم اقتيدوا الى سجن القلعة فى منتصف الليل . دام الرضع هكذا يومين . ثم بدأ استدعاؤهم للتحقيق .

كان التحقيق يجرى بواسطة النيابة العامة ، داخل مبنى المباحث العامة . كان يستدعى عدد منهم فى الصباح وآخر فى المساء . تراوح العدد ما بين خمسة عشر وعشرين رفيقاً فى اليوم . للتحقيق يدور حول المضبوطات والمواقع التنظيمية ، وأن كان سياسياً فى الأساس . والأسئلة كلها تدور حول : هل أنت شيوعى ؟ هل تؤمن بالشيوعية ؟ هل أنت عضو فى الحزب الشيوعى ؟

لم يكن الرفاق قد ناقشوا الموقف الواجب أمام النيابة . ومن هنا فإن كلا منهم أخذ موقفه على مسئوليته الخاصة . هنالك من دافع عن مواقف الحزب وأعماله بصورة عامة ، ومن طالب بالديمقراطية ، ومن دافع عن الماركسية ومن لم يدافع عنها . لم يستغرق التحقيق فى جولته الأولى طويلاً ، اذ يقول حلمى ياسين مثلاً : « لم يشغل التحقيق معى أكثر من ربع أو ثلث الساعة ، كنت أنا المتكلم خلالها . قلت أن ما يجرى فى مصر لا علاقة له بالاشتراكية ، فلالاشتراكية قواعد لا نجد أياً منها

---

(١) العرض فى مجمله ، خلال هذا الفصل ، من شهادة حلمى ياسين ، فى لقاءات خاصة معه .

مطبوعا ، كما أن الاشتراكية لا تقوم على اضطهاد الاشتراكيين والديمقراطيين . لقد دافعت عن الماركسية ، أما العضوية فقد قلت أنه يتعين على النيابة اثبات ذلك .

سار التحقيق على هذا النحو ، الى أن ظهرت فيه مفاجأة غير متوقعة ، وكانت تلك المفاجأة هي اعتراف حسنى بخيت بأن الدكتور فؤاد مرسى كان مسئوله الحزبى وأنه كان يناقشه فى قضايا الحزب والوحدة . ولم يقف اعترافه عند الدكتور فؤاد مرسى وحده بل امتد ليشمل الزميلين سعد رحى وعادل الضبع . واستدعى للرفاق الثلاثة لعرض قانونى . كان حسنى بخيت فى حالة ذهول وانهيأ تامين . كان قد تعرض لتعذيب بشع من جانب المباحث العامة ، استخدموا فيه أسوأ الأساليب وأدناها ، ومنها الضغط عليه بزوجه . وفى العرض تعرف حسنى بخيت على عادل الضبع وسعد رحى ، الذى قال له فى مواجهته : « أن أمثاله لن يفلتوا من العقاب » فنكس رأسه الى الأرض . إلا أنه عندما مر بالدكتور فؤاد مرسى ، عبره دون التعرف عليه . وهنا يقول الدكتور فؤاد مرسى « أحسست أن النفس البشرية شيء معتد أكثر مما نتصور . أن الإنسان عندما يخضع للتعذيب ، ويرغم على الكشف على جوانب لم يكن يرغب فى الكشف عنها أريدا ، لا يسير فى هذا الطريق بصورة مطلقة . أنه يقف عند حدود ، حتى التعذيب لا يستطيع أن يدفعه الى تخطيها . لقد أراد برفضه التعرف على أن يتحدى التعذيب الذى وقع عليه . »

وبدأت حيرة أخرى من التحقيقات . كانت غريبة وشكلية أيضا . لقد سئل الرفاق عن : ماهية الاشتراكية العلمية وهل يؤمنون بها ؟ وما الفرق بينها وبين النظام ؟

بعد انتهاء التحقيق رحل الجميع الى سجن الواحات الخارجة . كان ذلك ، فى ذات الوقت ، اخلاء للقلعة ، تمهيدا لحملة مارس ١٩٥٩ .

ظلوا فى الواحات قرابة خمسة عشر يوما . ثم فوجئوا باستدعاء أربعة وستين منهم للترحيل الى القاهرة . وأصبح هؤلاء ، منذ ذلك التاريخ ، على ذمة قضية الشيوعية الكبرى . وكان منهم : فؤاد مرسى ، اسماعيل صبرى ، سعد زهران ، حلمى ياسين ، فؤاد شحتو ، لويس اسحق ، حسن صدقى ، سعد رحى ، عبد المنعم شتلة ومحمود أمين العالم من اللجنة المركزية . عبد العظيم انيس ، محمود المستكاوى ، نبيل الهلالى ، عادل سيف النصر ، الهام سيف النصر ، حسين طلعت ، عوض الباز ، يوسف درويش ، طه سعد ، ريمون دويك ، عادل فهمى ، أحمد

رضا ، سمير توفيق ، ضابر البياع ، محمود العسكري ، كمال فراج  
وحسنى بخيت من القاهرة . شحاته عبد الحليم ، محمد عبد الحليم ،  
عيد صالح ، فؤاد العتال ، متولى السلمانى ، على كبد وسعد السباعى من  
الاسكندرية . فكرى رفاعى وعريان نصيف من محافظة الغربية . شبل  
اسماعيل ، عبده وربى ، سعد التركى وصلاح التركى من بنى سويف .  
أنور ابراهيم من المنيا . خليل الآسى من أسوان .

كان الترحيل الى سجن مصر حيث كان الاستقبال عاديا ، ثم وضع  
كل ثلاثة منهم فى زنزانة .

### الاعداد للقضية :

منذ اوائل ابريل ، حتى اوائل نوفمبر ، أى على مدى سبعة  
شهور ، بدأت مرحلة أخرى جديدة ، مرحلة اتسمت بالصراع السياسى  
داخل الحزب ، حول تشخيص القضية وتشخيص المحاكمة والموقف من  
الاعتراف بعضوية الحزب امام المحكمة . كانت مرحلة غاية فى الصعوبة . يتول  
حلمى ياسين عنها « انها مرحلة تساوى من الناحية الواقعية وليس  
الزمنية ، نصف الحبسة كلها » .

كانت غالبية المقدمين فى القضية ، متهمين بعضوية اللجنة المركزية  
أو لجان المناطق أو انهم عناصر جماهيرية سبق وكانوا اعضاء فى اللجنة  
المركزية وقت اتهام الوحدة ، ثم خرجوا منها بعد قضيتها .

أن تناول هذه المحاكمة ، لا يجب بأى حال من الأحوال ، أن ينفصل  
عن الظرف التاريخى الذى جرت خلاله . كان الحزب فى الشارع يرى أن  
المعركة هى معركة تأكيد حقه فى الوجود المستقل ، حقه فى ممارسة  
سياساته ومسئوليته ، قبل الشعب المصرى . حقه فى الموقف المستقل  
بها فى ذلك نقد سياسات الحكومة الخاطئة ، والتي تمثلت حينذاك فى القول  
بإنهاء المعركة مع الاستعمار ، وانجاز الوحدة بطريقة غير ديمقراطية  
حيث تم نقل تجربة الاتحاد القومى بصورتها التي كانت عليها الى سوريا  
دون مراعاة لظروفها الخاصة أو تجربتها الديمقراطية .

لم تكن المحاكمة أمرا يثير مخاوف الرفاق ، كانت على عكس ذلك  
مناسبة علنية للدفاع عن معتقداتهم وعن سياسات حزبهم . كانت فرصة  
لكشف الأخطاء التى وقعت الحكومة فيها والأخطار الناجمة عما تنهجه من  
سياسات . كانت المحاكمة فى ايجاز أمرا يثير حماس غالبية الرفاق



ويستنفر قدراتهم القتالية . ولذا فانه ما أن وصل قرار الاتهام حتى بدأت ، فيما بينهم ، مناقشة الاجراءات السياسية والتنظيمية الواجبة . طرحت توجيهات الحزب وقرارانه خارج السجن ، وكذا المفهوم السياسي لهذه التوصيات . كما طرح وضع الرفاق في القضية للنقاش ايضا . ولقد انظرت المناقشات منذ أول لحظة اجواء غير طبيعية وغير صحية . ربما كان مرجع ذلك الى ان بعض الرفاق لم يكن يملك التقدير الصحيح للأمدى الذى يمكن ان تصل اليه مثل هذه المحاكمة .

لقد عرف الرفاق بقرار الاتهام لحظة وصولهم الى سجن مصر . كما عرفوا بعد يوم أو يومين بتشكيل مجلس عسكرى للمحاكمة . كانت الزيارات مسموحا بها ، ومع الزيارات توالى الاخبار وكذا الاشاعات . ولعبت هذه الاخبار وتلك الشائعات المقصودة دورا هاما في تشكيل افكار بعض الرفاق . يقول حلمى ياهين ، « تشكل من هذه الاخبار والشائعات تحليل سياسى يقول بان المحكمة العسكرية التى ستقوم بمحاكمتنا ، انما هى محكمة تمثل الجيش ، وأن الجيش من خلال هذه المحكمة سوف يكون حكما بين البورجوازية والشيوعيين . كان الامر طبقا لوجه النظر تلك يتحدد في أن البورجوازية توجه اتهاما للشيوعيين ، وأن الجيش ، الذى لا علاقة له بما يجرى ، سوف يقوم من خلال المحاكمة العسكرية باستكشاف الحقيقة والفصل في هذا الاتهام بعدالة ونزاهة ، وأن المشير عبد الحكيم عامر قد قال لرئيس المحكمة العسكرية العليا وهيئة المحكمة عندما اجتمع بهم « Be Just and Fair » ، أى ( كونوا منصفين عادلين ) ، » .

كانت هذه الاخبار والشائعات تروج بعد زيارات معينة ، لزعماء معينين معروفين بعلاقاتهم البورجوازية . وكانت في حقيقتها تستهدف الاستهانة بالمحاكمة ونزع عدالتها ، ومحاولة ترويج مفهوم سياسى معين مؤداه ان هناك معركة داخل صفوف السلطة حول الموقف من الشيوعيين ، وأن الشيوعيين بذلك هم جزء من هذه المعركة ، موحية بانحياز البعض معهم أو عليهم . وأن مهمة المحاكمة العادلة والنزيهة هى حسم هذا الخلاف لحساب الحقيقة وحدها وعلى ضوءها المجرد وحده .

كان الرفاق يرون ان وضعهم القانونى ، في مجمله ، وضع لا غبار عليه ، رغم تقديم المباحث العامة لهم باسمائهم الحركية واوضاعهم التنظيمية ، فقط اخذت لبسا بين لويس اسحق والدكتور عبد العظيم انيس ، عندما قدمت لويس باسم « سعد » . لم يكن لدى غالبية اعضاء اللجنة المركزية اية مضبوطات ، باستثناء سعد زهران الذى ضبطت لديه أوراقا

خطية لزملاء آخرين . كان الخطر كله ، يكمن من الناحية القانونية ، من اعتراف حسنى بخيت ، مما شكل نقطة الضعف الوحيدة في هذه القضية ، من هذه الزاوية .

وناقش الرفاق مسألة الدفاعات السياسية والاعتراف ، امام المحكمة ، بعضويتهم في الحزب الشيوعى المصرى .

يقول حلمى ياسين ، « ناقشنا قضية الدفاعات السياسية والاعتراف بالعضوية . كانت هنالك غالبية ترى ضرورة الالتزام بقرار القيادة الشرعية للحزب خارج السجن . كنا نرى اننا لسنا القيادة رغم كوننا اعضاء باللجنة المركزية ، لسنا قيادة مركزية بالمفهوم التقليدى ، اننا لجنة تابعة للخارج ، يمكن أن تكون قيادة لهذا المجال داخل السجن ، وعليها الالتزام بقرار هؤلاء الذين يولجھون المعركة في الخارج ، وبالتالي لابد من اعترافنا جميعا ، كأعضاء في اللجنة المركزية ، بالعضوية امام المحكمة . ورفض فريق آخر ذلك . كانوا اقلية ، وكان هذا الفريق يرى ان هذه الفكرة فكرة انتحارية ، وهى عملية اغراق وتوريط للرفاق . وان الواجب يستلزم ترك كل رفيق لمسئوليته الخاصة في تنفيذ القرار . ولقد استخدم بعض الزملاء وضعى القانونى للضغط الشديد على ، باعتبار اننى لا يجب ان اعترف بالعضوية في وقت اخطو فيه الى خارج الجدران ، واننى بالضرورة خارج من هذه القضية ، وان المسألة على هذا النحو لا تخرج عن كونها مسألة انتحارية ، فالكادر في الخارج افضل منه بالداخل . كان الخلاف بالإضافة الى مسألة الالتزام التنظيمى بالقيادة الحزبية في الخارج ، خلافا سياسيا حول مفهوم القضية ودورنا فيها . »

ويقول الدكتور فؤاد مرسى ، « اعلنونا في سجن مصر بقرار الاتهام وبدأنا نعد الدفاع السياسى ، واخذنا قرارا بأن عددا منا يدافع دفاعا سياسيا والبعض الآخر يعترف بالعضوية . »

في سجن مصر بدأت تتبلور بعض المواقف الخلافية داخل صفوف الحزب . الموقف السياسى كان موقفا عاديا وعاما ، وهو نفس الموقف الذى دخلنا به السجن . لكن كان هنالك احساس بأنه توجد رغبة لتغيير الخط السياسى الى خط متشدد ، يصل الى القول بان الوجود في السلطة هو الجورجوازية الاحتكارية .

عندما وصل خط ٩ يناير ، انا شخصا اعتبرت ان ما حدث انقلاب على سياسة الحزب وعلى قيادة الحزب . وان هذا انقلاب لا تملكه القيادة ،

لأن القيادة الشرعية للحزب اجتمعت وهي في الخارج ، وحددت الأساس الذي ستعمل عليه خلال المرحلة المقبلة . وبالتالي كان لابد من احترام هذا . وفي الحقيقة كانت هناك خلافات كامنة ، وكنا نعمل على ألا تكون سائدة فيما بيننا ، ومررنا بمرحلة القلعة والوحدات ونحن لا نتكلم كثيرا في هذا الموضوع ، حتى أن بعض الزملاء الذين كانوا من أصل ع . ف كانوا حريصين مثلنا على عدم إثارة ان الخط قد أصبح خط الاحتكار وشسبه الاحتكار . وأنا في الحقيقة اذكر حلمي ياسين وكان موقفه واضحا وقويا في استبعاد مثل هذا الكلام . كنت انا وقتها مسئول الزملاء والقضية .

ثم وصلنا سجن مصر . هنا في الحقيقة كان هناك فهان للموقف السياسي . فهم يقول بالوحدة والصراع ، وفهم يقول بالصراع فقط . الفهم الأول - فهم الوحدة والصراع - كان يقول بانه لا داعي لأن نكشف كل الزملاء القياديين بأن يعترفوا جميعا بالعضوية . البعض يعترف ، لكن الكل يعد دفاعا سياسيا . الاعتراف بالعضوية تحد كامل . الفهم الآخر - والذي يقول بالصراع - كان ناقدا لامل في امكان علاقة بيننا وبين هذا النظام ، ويرى اعتراف كل القياديين بالعضوية . وعندما اختلفنا ، تركنا المسألة اختيارية ، وأصبح قرارنا من يود الاعتراف يعترف ، ومن لا يود الاعتراف لا يعترف .

وانا ما زلت ارى ان مسألة اعتراف الكل مبدأ غير سليم ، ولابد أن يكون الاعتراف انتقائيا ، انتقاء عناصر تخدم القضية باعترافها . هل كان من اللازم اعترافي أنا بالعضوية ؟ الاجابة ، نعم . هذا ما استطع ان اقله بعد مضي الزمن . ان واحدا مثلي كان يلزم اعترافه بعضوية الحزب ، وأن عدم الاعتراف لم يكن موقفا سليما تماما . خاصة وانى قدمت دفاعا سياسيا قويا ، طرحت فيه الخط السياسي وباسلوب ادبي . كان دفاعا سياسيا به شعور بالمسئولية عن الحزب وقضايا البلد ، ومع ذلك لم اعترف بالعضوية . انا تقيمي انه كان يلزم اعترافي ، أما غيرى فلم يكن هناك داع لاعترافه . كانت فكرتي اننى لا اود الدخول في صراع وفقط مع النظام . كان من الخطأ عدم اعترافي ، لاننى اعترفت ضمنا . ماذا كان ينقص حتى اعترف بالعضوية ؟ لقد كان دفاعي اعترافا كاملا ، ليس فقط بعضوية الحزب ، ولكن بقيادته ايضا . لماذا لم اعترف بالعضوية ؟ يمكن القول انه كان نوعا من العناد ، العناد الداخلى ، لا العناد الخارجى .

ويقول سعد رحى ، « قبل وصول قرار الاعتراف بالعضوية ، كتبت من الناحية الفكرية مقتنعا بأننى سأأخذ هذا الموقف ، وكنت مقتنعا ايضا ، بأن ماعدا هذا دفن للرؤوس في الرمال ، لأن للدولة سوف تعاملنا هكذا .



ان الاعتراف بالعضوية موقف في منتهى الثورية ، وقمة البطولة والتضحية والسمود ، حيث انه في ذروة شعار عبد الناصر ضد الشيوعية ، وجدت كوادر تقف في قفص المحكمة وتعترف بعضوية الحزب الشيوعى .

لكننا ان نظرنا الى الموضوع من هذه الزاوية فقط فذلك تسليح للمسائل ، وعدم اعطاء التاريخ بعدا لصناع الاحداث وما يستهدفونه . ويتحدد رأى في هذه النقطة على ضوء الملابس التالية : اثناء وجودنا في الواحات بعد ترخيتنا اليها من القلعة ، لم يكن موقف زملاء ع . ف . ف موقفا توحيديا بالنسبة لزملاء « الراية » ، فما بالنا بالموقف من « حدثو » . لقد اجبروا اجبارا على دخول حزب يناير ١٩٥٨ بضغوط اممية . والامر المفروغ منه ان ع . ف . ف ، عندما دخلت الحزب ، ظلت محتفظة بمركز قيادى ، كان بعضه خارج اللجنة المركزية ، وكان البعض منه في اللجنة المركزية الموسعة . هذه المجموعة كانت سعيدة جدا بانهم قد حققوا حزبا بدون « حدثو » ، بعد منتصف عام ١٩٥٨ ، والآن يوجد أبو سيف يوسف في الخارج يحمل راية الحزب ويتحدث باسمه ، سكرنير الحزب في الخارج منتم لهم ، وكل قيادة الفريق المناوى بالداخل ، وتلك فرصة لتكوين حزب ع . ف باسم الحزب الشيوعى المصرى . ومن هنا جاء ترحيبهم بقرار الاعتراف بالعضوية . ان تاريخ « حزب العمال والفلاحين » ( ع . ف ) منذ عام ١٩٤٩ يعكس عقلية مغرقة في الامان والتسليم بمنسيات مختلفة غير الشيوعية ، ونظرية المحروقين وابعادهم عن جسم التنظيم . كل ذلك جعلنى اقطع بان موقف الاعتراف بالعضوية رغم روعته ، الا ان القيادة الحقيقية لـ ع . ف كانت تأخذه على أساس التخلص من كل قيادة الفريق المناوى لها . والدليل على عدم الجدية في تنفيذ مجمل القرار كما جاء في الخارج ، ، عدم تنفيذ شقه الثانى والوارد في صلب نصه والخاص بالتخفيض التلقائى لكل من لا ينفذ قرار الاعتراف بالعضوية .

ويكمل حلمى ياسين ، « الاعتراف بالعضوية كان موقفا سياسيا ، التزم به الرفاق الذين اصدروه وهم في الخارج ، عندما اعتقلوا فيما بعد . فقد اعترفوا هم انفسهم بالعضوية ودافعوا عنها ، وكان في مقدمتهم أبو سيف يوسف ومحمد بدر .

واستمرت المناقشات بين اعضاء اللجنة المركزية بالداخل مدة طويلة . استغرقت جلسات وجلسات ، وانتهت الى ان اربعة من الرفاق هم : فؤاد مرسي ، اسماعيل صبرى ، سعد زهران ومحمود امين العالم يرفضون



الالتزام بالقرار والاعتراف بالعضوية امام المحكمة ، على أساس ان الامر الهام ، ليس هو الاعتراف بالعضوية امام المحكمة ، لكنه مضمون الدفاع السياسى . وان على كل رفيق ان يتخذ موقفه من القرار على مسئوليته الخاصة . وحيث ان الرفاق بالداخل لا يعترفون بوضعهم المركزى التقليدى ، فان لكل رفيق ان يأخذ الموقف الذى يراه ، والمقصر فى مسئوليته يصبح مسئولا فيما بعد امام اللجنة المركزية . وكان الدكتور عبد العظيم انيس من ابرز مؤيدى هذا الرأى من غير اعضاء اللجنة المركزية ؛ اما الرفاق الذين وافقوا على الالتزام بالقرار فهم : حلمى ياسين ، سعد رحى ، لويس اسحق ، فؤاد شحتو ، عبد المنعم شتلة وحسن صدقى . وكان ريمون دويك وحسن طلعت من ابرز مؤيديه من خارج اللجنة المركزية . اما فيما يختص بالرفاق الجماهيريين ، فقد قررنا - طبقا لقرار اللجنة المركزية بالخارج - ترك الموضوع اختياريا ، على انه فى حالة موافقة الرفيق على الاعتراف بالعضوية ، يكون ملتزما بهذا الموقف . وتقدم من هؤلاء الرفاق اختياريا : يوسف درويش ، عوض الباز ، عادل فهمى وأحمد رضا ،

وقد انتهت المناقشات بين الرفاق الى :

#### (١) تشكيل لجنة لاختيار المحامين من الخارج .

(٢) توزيع نقاط الدفاع ، بمعنى ان يتكلم أحد الرفاق فى القضية الوطنية وآخر فى القضية الديمقراطية وثالث فى القضية الاجتماعية ، وهكذا بالنسبة للسياسة الخارجية والمسائل الاقتصادية . كما تم تحديد الأشخاص الذين عليهم ان يتكلموا فى هذه الموضوعات . وكان على حلمى ياسين ، مثلا ، ان يتناول قضية الديمقراطية ، وسعد زهران القضية الثقافية ، وفؤاد مرسى واسماعيل صبرى المسائل الاقتصادية وقضية الوحدة ، وفؤاد شحتو قضايا العمال .

وبدأ الرفاق على الفور اعداد الدفاعات السياسية وكتابتها ومراجعة كل دفاع يتم الانتهاء منه . وقد استغرق ذلك وقتا طويلا للغاية ، وكان موعد تقديم الدفاعات يأتى فى مرحلة متأخرة من القضية .

ومن الحقائق الهامة التى يجب تسجيلها فى هذا المجال ، موقف زملاء « حقتو » والذين كانوا ضمن المتهمين فى هذه القضية ، وكان عددهم ستة من الزملاء . فقد التزم هؤلاء الزملاء وتضامنوا مع باقى زملاء القضية . لم تظهر من جانبهم اية اتجاهات لأخذ موقف سياسى متميز

رغم حرص تنظيمهم على اعلان هذا التمايز عن الحزب منذ الأول من يناير .  
يقول حلمى ياسين ، « لو حدث هذا التمايز لحدث ثغرة فى القضية . كان  
موقف عريان نصيف موقفا كبيرا يذكر له . لقد نجحنا تماما فى الاتفاق  
على موقف موحد فى القضية » . كما يقول الدكتور غواد مرسى ، « كان  
موقف عريان نصيف موقفا رائعا رغم انه لم يكن معنا تنظيميا » .

### المحكمة :

تشكلت المحكمة من مجلس عسكرى برئاسة الفريق هلال عبد الله  
هلال قائد المدفعية ومعه اثنين من الضباط ، احدهما العميد فهمى طويلة .  
وكان المدعى العام هو العقيد سامى عبد الحق .

انعقدت المحكمة فى الاسكندرية ، فى منطقة منعزلة منها ، وكان  
اختيار الاسكندرية بسبب قلة زحامها الذى لا يقارن بزحام القاهرة .

كان موقف الرفاق من هيئة المحكمة ، ازاء السؤال التقليدى الذى  
تبدأ به المجالس العسكرية « هل لديك اعتراض على المحكمة ؟ » ، محددا  
للغاية . انهم لا يعترضون على السادة الضباط لاشخاصهم ، الا انهم  
يعترضون على المحاكمة العسكرية ذاتها ، حيث انهم قضية سياسية  
مدنية ، يجب ان تحال الى القضاء العادى .

ولقد التزم الرفاق جميعا بهذا الاتفاق ماعدا الرفيق سعد زهران الذى  
قال ، « اننا لا نعترض على شخص حضراتكم . لكن الحكم فى هذه القضية  
قد صدر قبل النظر فيها . فالأمر بتشكيل المحكمة هو الذى سيصدق على  
احكامها . انتم ضباط بالقوات المسلحة ، وقد حلفتم يمين الولاء للقائد  
الاعلى للقوات المسلحة الذى هو عبد الناصر ، وهو الأمر بالقبض علينا .  
فكيف يمكن ان توفق بين قسمك وبين ان تكون قاضيا » .

ويعلق حلمى ياسين على هذه الاضافة المنفردة بانها قد « اثارت  
دهشة المجامين » ، اذ لم يكن متفق عليها . وهى اجابة - رغم ظاهرها -  
تختلف تماما مع ما كان يقوله ويردده سعد زهران تبريرا لعدم الاعتراف  
بالعضوية ، .

بدأت المحكمة اجراءاتها : الاستماع الى الشهود ثم المتهمين ثم  
المجامين ثم المدعى أو وكيل النيابة .

ولقد لاحظ الرفاق ملحوظتين هامتين اثناء سير المحاكمة :

الأولى ، أن المحاكمات العسكرية تبجو في إجراءاتها وشكلياتها أكثر عدالة من غيرها ، في الوقت الذي يكون فيه الحكم ، في حالة القضاة السياسية ، معدا بالفعل .

كان الضابط الشاهد يتقدم الى المنصة معظمًا هيئة المحكمة ، ومنتفضًا منها ، في ذات الوقت ، أن كان من ضباط الاقاليم . ورئيس المحكمة يسأل محققًا :

— أنت الذى قمت بتفتيش فلان الفلانى ؟

— نعم انا الذى قبضت عليه وفتشته .

— عندما دققت جرس الباب ، من الذى فتح لك ؟

— هو ( أو زوجته مثلاً ) .

— ماذا فعلت بعد دخولك المنزل ؟

— سألته عن غرفته ثم اتجهت اليها . هنالك وجدت منضدة عليها اوراقا ... يقاطعه

— من الذى كان معك من اهل البيت ساعة عثورك على الاوراق ؟

— هو نفسه كان يقف الى جوارى .

— حسنا ، ساعة ان وجدت هذا المظروف ، هل واجهته به وسألته ان كانت الاوراق التى بداخله تخصه أم لا ؟

هكذا يسأل ويسأل ، يحقق ويحقق . من اين جاء الشاهد بمعلوماته ؟ كيف كان يعمل ؟ اسئلة كثيرة تعطى المتهم انطبعا بان هنالك جدية صارمة بحثًا عن الحقيقة وحدها .

الثانية ، أن هيئة المحكمة يمكن ان تقبل أى اتهام موجه الى أى شاهد ، لكنها لا تقبل بذلك ابدا ان كان الاتهام موجهًا الى جهاز برمنه . امها ، مثلاً ، تقبل من أحد المتهمين اثناء دفاعه السياسى ، ان يتهم حسن المصيلحي « المسئول عن مكافحة الشيوعية » بانه عميل ومأجور للاستعمار ، لكنها ترفض تمامًا ، اذا كان الاتهام موجه الى جهاز المباحث العسامة باعتباره جهازًا متعاونًا مع الاستعمار . هنا يثور رئيس المحكمة مكثراً من انيابه ، صارخاً « لا حديث عن الاجهزة » فالاجهزة لا تخطئ . الخطأ فردى . انتقد الفرد كما تشاء ، لكن لا تنتقد جهازًا . هنالك افراد ، يمكن ان يخطئوا ، وهم يحاسبون على هذا الخطأ ، ويحالون لجهة الاختصاص

ان ثبتت ادانتهم . نعم ، الفرد يمكن ان يخطئ ، لكن الجهاز لا يخطئ  
ابداً .

**الشهود :**

**شهود الاثبات :**

كان شهود الاثبات هم مجموعة الضباط الذين شاركوا في الحملة .  
بدأت المحكمة بضباط القاهرة : حسن مصيلحي وعبد الرحمن عشوب .  
ثم جاء بعدهم من هم دونهم رتبة وأهمية . ثم ضباط الاسكندرية :  
سيد فهمي وممدوح سالم . . . وهكذا . كانت شهادة ممدوح سالم شهادة  
رزينة ، بعيدة عن الاسفاف ، تبدو كتقرير مقدم الى رؤساء . اما حسن  
المصيلحي ، فقد كان يستعرض معلوماته عن الشيوعية والشيوعيين .

بدأ حسن المصيلحي شهادته مولياً ظهره لقفص الاتهام ووجهه  
لهيئة المحكمة . قال : فؤاد مرسى - خالد ، حلمي ياسين - اسماعيل . . .  
وهكذا . الاسم الحقيقي ، الاسم الحركي والمسئولية الحزبية . كان  
مسرّحاً في عرضه ، يبدو وكأنه يتلو ما يقول من كتاب مسطور . وكان  
لابد وان تسأله المحكمة ، من أين أتيت بهذه المعلومات ؟ وكيف عرفت  
هذه التفاصيل ؟ وكان رده خطيراً : « نحن لم نبذل جهداً للوصول الى  
هذه المعلومات . اذ بعد حدوث الانقسام في الحزب ، كانت كل اسراره  
متداولة في المقامى . وما كان علينا الا ان نجلس ونستمع . الانقسام مكننا  
من معرفة كل ما لم نكن نعرف » .

ولم يقف حسن المصيلحي في شهادته عند حد العرض التنظيمي ، بل  
تجاوزه الى تناول الفلسفة السياسية للقبض على الشيوعيين : « ان القول  
بأن الشيوعيين كانوا يؤيدون ويساندون الحكومة في مواقفها الحرجة ،  
وبالتالى يعتبر القبض عليهم اعتداء على الحكومة ، أمر مردود عليه .  
اذ لم يحدث في أى وقت من الاوقات ، منذ قامت ثورة ١٩٥٢ وحتى اليوم  
ان خلت السجون من الشيوعيين . طوال الوقت كان هنالك شيوعيون في  
السجون . الا ان المصلحة العليا للدولة كانت تقتضى في وقت من الاوقات  
تحسين علاقاتها ببعض الدول ، هنا كان لابد وأن يبدو شكل العمل الداخلى  
متسقاً مع هذه المصلحة ، أى يبدو وكأنه لا وجود لأى من الشيوعيين في  
السجن ، أو مقبوضاً عليه تحت ذمة التحقيق . وفي اوقات أخرى لا يكون  
هذا التحسن هاما أو مطلوباً ، وهنا تكون الحملة واسعة . ولسوف نقدم  
للمحكمة كشفاً منذ عام ١٩٥٢ حتى الآن ، يؤيد ما قلنا ، ومنه ستكتشفون



ان السجون لم تخلو يوما واحدا من الشيوعيين . ان المباحث العامة تقوم بشكل مستمر باعمال المراقبة وجمع المعلومات . فان قالت الحكومة دعوهم ، نركناهم . وان قالت امسكوا بهم ، قبضنا عليهم . تلك مسألة تقرها السياسة العليا للدولة .

واقدم هذا الكشف بالفعل مثبتا صحة ما قال . قدم الاسماء والتواريخ والسجون التي ادخلوا اليها .

كان بعض الرفاق يعتقد انه منذ عام ١٩٥٧ ، لم يتم القبض على أحد . الا ان عبد الرحمن عشوب ، فند هذا الوهم : « ان هذا غير صحيح . لقد كان يقبض على الشيوعيين ، ولكن باعداد قليلة ولحد محدودة ، طبفا للظروف التي تفرض ذلك ، والعلاقات الدولية التي يجب مراعاتها . »

ولقد ظهر اثناء شهادة الشهود ، مدى الجبن والفرع الذي يصيب الضباط الذين قاموا بتعذيب أو قتل واحد من الرفاق المعتقلين . اذ عندما حل دور رئيس مباحث طنطا للشهادة ، وكان طويل القامة يرتدى بذة من الشارك سكين السمنية اللون ، ظهره لقفص الاتهام ووجهه لهيئة المحكمة ، طلب عبد المنعم شتلة توجيه سؤال اليه ، عن معلوماته الخاصة بالشهيد محمد محمود عثمان ، الذي قام هو بالقبض عليه وتعذيبه داخل قسم الشرطة حتى الموت قتلا . للحال ارتجف السفاح بشكل واضح حتى ان ظهر سترته كان يهتز اهتزازا عنيفا . وأخذ يصرخ في فرع : « انا لا اعرف شيئا عن هذا الموضوع » . واسرع رئيس المحكمة يسأله ، موجهها كلامه الى الرقيق عبد المنعم شتلة : « انه يقول : انه لا يعرف شيئا . » الا ان عبد المنعم شتلة أصر على اتهامه ، وعلى ضرورة تسجيل ذلك في محضر الجلسة .

وتبين المحاكمة ان عدم مقاطعة للشهود ، الا في حالات نادرة وضرورية للغاية أمر هام . الشاهد عندما يتكلم بصورة متصلة ، يكشف من خلال عرضه عن الثغرات التي يمكن النفاذ منها . ان ذلك يمكن المحامين من توجيه اسئلة محددة ، يمكن ان تترتب عليها استخلاصات محددة ، تساعد المتهم من الناحية القانونية . ان الفصح القانوني هام ، من زاوية اثبات تعنت المحكمة في أحكامها ، أو أن هذه الاحكام كانت بالفعل معدة سلفا ، رغم كل مظاهر الدقة والعدالة .

ناقش المحامون عبد الرحمن عشوب كشاهد اثبات مناقشة فنية نقهية استمرت يومين أو ثلاثة :

- انت سرت وراء المتهم . صعد الى احد المنازل . هل صعدت وراءه  
حتى الشقة التي يقطنها ؟  
- كلا .

- اذن كيف عرفت انه قد دخل شقة بذاتها ؟ لقد دخل العمارة رقم  
٦٢ شارع بورسعيد .

ما الذى يدريك انه قد دخل شقة سعد زهران ؟ كم شقة فى هذه  
العمارة ؟

- ستون .

- هل صعد رجلك الذى كان يراقبه خلفه ؟

- بالطبع كلا ، والا فانه يدرك اننا نراقبه .

وتتكشف الثغرة التى يمكن الهجوم عبرها .

وسئل عبد الرحمن عشوب ايضا :

- هل حقيقة ان واحدا من المخبين كتب تقريرا يقول فيه : ان  
« فلانا » شوهد جالسا على المقهى متكررا ، يفكر فى الوضع الراهن ؟

ويرد الشاهد بسؤال :

- من الذى قال مثل هذا القول ؟

- ان هذا الكلام قد جاء فى أوراق القضية ، فى واحد من تقارير  
المراقبة التى كتبها واحد من المخبين .

وهنا تظهر ثغرة اخرى . أحد المواطنين يجلس على المقهى ، ذلك  
أمر رآه المخبر ، وكان هذا الشخص متكررا ، ذلك أمر آخر رآه المخبر  
ايضا . لكن ، كيف عرف ما يدور فى ذهنه ؟ كيف عرف ان كذره يرجع  
الى تفكيره فى الوضع الراهن ؟ .

وهكذا .

شهود النفى :

جاء شهود النفى بعد شهود الاثبات مباشرة . كان منهم كمال  
منعت ، خالد محى الدين ، محسن لطفى ولطفى واكد . تناولت شهاداتهم ،  
فى الأساس ، دخول الشيوعيين بورسعيد اثناء العدوان الثلاثى . قالوا

ان الشيوعيين هم أول من دخل بورسعيد بعد احتلالها ، وانهم كانوا مسئولين عن المقاومة وانهم وطنيون . وهنا قال عبد الله هلال : « لا أحد هنا يشكك في وطنية المتهمين أو وطنية الشيوعيين » . ثم رفع صوته عاليا ، متسائلا : « هل هنالك يا اساتذة من شكك في وطنية الشيوعيين ؟ » . وحدد الشهود أن عبد المنعم شتلة هو أول من دخل بورسعيد .

كما استشهد الدكتور فؤاد مرسى باثنين من اساتذة الجامعة ، منهم الدكتور كيرة فحضرا واديا شهادة مشرفة للغاية .

### المتهمون ودفاعاتهم السياسية :

انتهت مهمة الشهود وبدأت دفاعات المتهمين .

يقول حلمي ياسين ، « في تلك الاثناء كنا قد انتهينا من صياغة دفاعاتنا السياسية . كتب كلا منا دفاعه وحفظه عن ظهر قلب . بعض الدفاعات ، التي خرجت عن غير طريق الحزب ، الى الخارج ، لم تكن مطابقة للدفاعات التي أقيمت في المحكمة . كانت اكثر حرارة . واكثر جسارة .

كان المتهم الأول هو الدكتور فؤاد مرسى . لم يعترف بالعضوية ، الا انه قدم دفاعا جيدا للغاية . دفاعا هو ابرز الدفاعات في المحاكمة . كان قصيرا ، لكنه كان قويا جيد الاعداد ، دار حول الوضع السياسي في البلاد وقضية الديمقراطية ، وأن المعركة مع الاستعمار لم تنته بعد ، كما تناول ايضا مسألة الوحدة . كان عرضا عاما للموقف دون أن يخص الشيوعيين أو يذكرهم في دفاعه . أي يمكن القول ، انه كان دفاعا ديمقراطيا قويا ومتناسكا ، جيد للعرض والترابط ، .

ويقول الدكتور فؤاد مرسى ، « تحدثت في دفاعي السياسي ، باسم الحزب بالكامل . ابتدأت باستعراض الوجوديين في القفص ، قيادات الطبقة العاملة ، قيادات العمال مثلا ، قيادات المثقفين ، قيادات الاساتذة ، قيادات الطلاب ، قيادات في داخل البلد ، بدأت بذكر يوسف المدرك ومحمود العسكري ، عبد العظيم انيس ، محمود العالم واسماعيل صبرى . . وهكذا . وقلت أن هؤلاء هم الذين أراهم في القفص . أنا لا أرى مصطفى أمين ولا فؤاد سراج الدين ولا اعداء ثورة يوليو ولا الخونة ولا الجواسيس . اذا فلماذا يوجد هؤلاء هنا ؟ انهم موجودون بتهمة قلب نظام الحكم المصري . وأنا جاءوا بي الى هنا بصفتي المتهم الأول على كل هؤلاء . أنا في الحقيقة لست هنا متهما ، بل أنا الذي اتهم ، اني اتهم جمال عبد الناصر بأنه قام بانقلاب على السياسة الوطنية التي اقترتها القوى الوطنية طوال ٥٦ ،

٥٧ ، ١٩٥٨ ، وأنه قد بدأ في ضرب هذه القوى الوطنية من داخل مصر وفي خارجها ؛ في العالم العربي ، في سوريا والعراق • وأنه يرى بتأثير من أعداء بلدنا الأمريكيين والاستعماريين في العالم ، أن المعركة الوطنية قد انتهت • ( وهنا قدمت التحليل السياسي للحزب بالكامل . وكان خطه السياسي ، هو الخط الذي قلنا به في الخارج مستبعدين فكرة الاحتكار وشبه الاحتكار • متخذين فكرة البورجوازية الوطنية وخط الوحدة والصراع ) . وبالتالي • فأنني اتهم جمال عبد الناصر بانقلابه على نظام الحكم ، ولست أنا الذي يقوم بالانقلاب ولا هؤلاء الموجودين في القفص • وبالتالي نطالب بالعودة الى الأوضاع السلمية ، الأوضاع التي هي وحدة القوى الوطنية ، والتي فيها الطبقة العاملة والحزب الشيوعي • وطرحنا لماذا الحزب الشيوعي وضرورته وأهميته ودوره . وانتهيت بالدعوة الى تصحيح الخط السياسي للنظام والعودة الى خط الوحدة الوطنية التي ننطوي على الوحدة والصراع » .

ويكمل حلمي ياسين : « لقد قال الدكتور فراد مرسى ، أثناء أعداد الدفاعات ، أن دفاعه فيه اعتراف ضمنى بالعضوية ، إلا أن الزملاء ، أعضاء اللجنة المركزية بالداخل ، لم يقبلوا منه ذلك • وكان رأيهم أن الدفاع واضح في هذه النقطة تمام الوضوح ، وأنه لم يشتمل على الاعتراف بالعضوية لا تلميحاً ولا تصريحاً . »

ثم جاء دفاع الدكتور اسماعيل صبرى • وقد تناول دوره في التخطيط في المؤسسة الاقتصادية مع صدقي سليمان • كان الدفاع في أساسه عرضاً لما قام هو به من أعمال • أما الجانب السياسي في الدفاع فقد كان محدوداً •

ثم جاء دفاع سعد زهران • وكان يشتمل على كلام سياسي عام ، عرض بطريقة تهكمية ساخرة ، لكن دون تحديد واضح •

ثم جاء دورى وكنت المتهم الرابع • كان كل الزملاء يعرفون اننى ساكون أول معترف بالعضوية أمام المحكمة • أما المحامون فلم يكن لديهم أى علم بذلك ، وكذا كانت المحكمة • وقد تعرضت أثناء وجودى في قفص الاتهام لعمليات ضغط وشد • كان البعض يقول : حرام أن تعترف بالعضوية وإمامك فرصة الخروج • انت لم يضبط لديك شيء ، أى شيء • كان البعض ، من خارج اللجنة المركزية ، قد ناقشنى من قبل في ذلك الامر ، باعتبار أن قرار الاعتراف بالعضوية قرار احمق • فالمفروض أن



خرج جميعا من السجن لا أن ندخل فيه . وكان رأيي أن ما نواجهه الآن هو قضية سياسية . وكما كان القبض قرارا سياسيا ، فإن الخروج أيضا سيكون قرارا سياسيا . لس هناك ما يمكن تسميته بخروج البعض وبقاء البعض الآخر . وأنه لخطأ فادح أن نتع في تفكير المقسمين ، والقائل بأن الاعتقال قد تم خطأ ، أو أن الذين أمسكوا بنا لا يفهموننا ، وأن ما نحن فيه مسألة مؤقتة . وكان ممن شاركوا في الضغط أعضاء مركزيين وأعضاء غير مركزيين . كان هذا هو الوضع داخل القفص ، حتى نودى على اسمي .

كانت تلك هي أول جلسة استماع لدفاعات المتهمين . وكنت المتهم الرابع . وكانت آمال الزملاء الموافقين على الاعتراف بالعضوية ، وهم الغالبية الساحقة - معلقة بهوقفي الذي سيكون أول دفاع عن العضوية .

بدأت دفاعي بقولي : أن ما أراه أمامي غريب للغاية . الشيوعيون يحاكمون بعد أن كانوا في التسوارع . أننا نقول بأعلى صوت أننا شيوعيون ، وأننا كنا نؤيد حكومة عبد الناصر ونتعاون معه ، تعاوننا ثم يكن في السر أو الخفاء . لقد كان لنا دورنا في شتى المجالات ، في الانتاج وعلى الجبهة . لقد دافعنا عن عبد الناصر ، وكنا على استعداد لحمايته . أن نقدنا لعبد الناصر لم يكن نقد هدم ، لكنه كان نقدا بناء للحكم ونصديحا للثورة . انصب دفاعي على ماهية الديمقراطية والجانب للبرنامج لها ، البرلمان المنتخب ورئيس الجمهورية المنتخب . . . الخ .

كنت اثناء دفاعي اقاطع كلما ذكرت كلمة شيوعيين . بدأ رئيس المحكمة يسأل ، « ما لك أنت والشيوعيين ؟ » وكنت أجيبه بأنني سأوضح ذلك في كلمتي . فكان يعود الى المقاطعة ، « يا سيدي مالك أنت ومال الشيوعيين ؟ افهمني ان كان لك بالشيوعيين علاقة ؟ هل أنت شيوعي ؟ هل أنت عضو في الحزب الشيوعي ؟ ما علاقتك بالحزب الشيوعي ؟ لماذا تدافع عنه ؟ » . وكنت اقول له انني سأقوم بتوضيح كل ذلك في دفاعي . سأوضح لسيادتك الأسباب التي تجعلني ادافع عن الحزب الشيوعي . سوف اشرح كل شيء لسيادتك . فقط اعطني الفرصة لأكمل دفاعي . الا انه اخذ في مقاطعتي كل جملة أو جملتين « أوقف الكلام . اما ان تحبرني لماذا تدافع عن الحزب ، أو امنعك من الكلام . لقد طلبت مني الانتظار عدة مرات ، وحتى الآن انا لم افهم شيئا . لماذا تقدم أنت هذا الدفاع عن الحزب الشيوعي ؟ » . فقلت له ، المسألة يا أفندم انني اتشرف بكوني عضوا في الحزب الشيوعي المصري .

لحظة ان نطقت هذه الكلمة ، ثبتت صحة موقف الحزب في الخارج .  
ان تقييمي هذا لا يصدر عن موقف متعصب مني ، او لموقفى واعترافى  
بالعضوية . لكننى احدهه طبقا لردود الفعل التى احدثتها هذه الكلمة  
في منصة المحكمة ، في قفص الاتهام بين الزملاء ، في القاعة وبين المحامين ،  
بين رجال المباحث العامة ، وبين كل من تواجد في المحكمة . اذ لو فجرت  
قنبلة في ذلك الوقت ، لما احدثت ذلك الذى حدث في تلك اللحظة ، هنالك  
من بين المحامين من خبط الملفات امامه ، ومن وضع يده فوق جبهته .  
اما هيئة المحكمة فقد ذهلت ، في الوقت الذى تحول فيه الزملاء الى عمالقة .

قال رئيس المحكمة :

- هل يا ابنى يوجد في مصر حزب شيوعى ؟

- نعم ، يوجد في مصر حزب شيوعى . وهذه المحكمة منصوبة لمحاكمة  
هذا الحزب .

- أين هذا الحزب ؟ قل لى ، أين هذا الحزب ، ومن هم اعضاؤه ؟

- الحزب الشيوعى يا انتم موجود في كل مكان يتواجد فيه الناس .  
موجود في الحقول ، في المصانع ، في الجامعات والمدارس وفي اوساط  
المثقفين . في كل مكان من هذه الاماكن سوف تلتقى والحزب الشيوعى  
ممثلا في اعضائه المنتمين لهؤلاء الناس والموجودين في وسطهم .

قال :

- اجلس .

قلت - لكنى لم انه دفاعى بعد .

قال - اجلس .

ثم امر بقتل الميكرفون الذى امامى .

كان الزملاء يحيون بعضهم البعض . اما رئيس المحكمة فلم تعد  
هنالك نقطة دم واحدة في وجهه ، ثم قال ، « المتهم الذى يليه » .

كان المتهم الخامس هو فؤاد عبد المنعم شحتو ( العامل بشبرا الخيمة  
وقتذاك ) . وقف في جدية . وكان قد اعد دفاعا جيدا للغاية يعتبر واجدا  
من احسن الدفاعات المكتوبة على الاطلاق . كان عن الحركة النقابية .  
بدا دهاعه بقوله ، « ان سياسة معاداة الشيوعية سياسة خاطئة وضارة

بمصالح الوطن عامة والطبقة العاملة خاصة ، . وهنا قاطعه رئيس المحكمة ، « وانت ايضا لك علاقة بالحزب الشيوعى المصرى ، يا سيدى ؟ » . وهنا لم يناور فؤاد شحتو محاولا كسب الوقت وعرض دفاعه ، انما قال على الفور : « ايوه طبعا ، واتشرف بكونى عضوا بالحزب الشيوعى المصرى » . فقال رئيس المحكمة غاضبا ، « انتهى دفاعك ، اجلس » . رفعت الجلسة » .

وقام اعضاء المحكمة الثلاث فى فزع ومعهم نائب الأحكام . وسمعنا من ناحية المنصة جملة واضحة تقول : « ايه الغم دا » . وأخذ بعض المخاميين يضرب كفا بكف ، وأخذ البعض الآخر يقول : « هل جننتم ؟ » . « ما هذا الذى فعلتموه ؟ » ، « هل تنون قلب الدولة ؟ » . فقلت لهم ، « لا دخل لاحد بهذه المسألة » . ثم اعدنا الى السجن . اما معنويات الرفاق فقد تعالت حتى الذروة . وكنا قد اتخذنا من قبل قرارا ، الا تثار اية مناقشات حول ما يدور فى المحكمة ، والا يتم أى تقييم الا بعد نهاية المحاكمة ، حيث ان التقييم خلالها قد يترك حزازات لا داعى لها .

كان الرفاق الذين يرفضون الاعتراف بالعضوية ما يزالون على موقفهم . وكانوا يرون ايضا ان دفاع الدكتور فؤاد مرسى افضل من دفاعى . والحقيقة انه لو لم يكن هنالك ضرورة للاعتراف بالعضوية ، لكان دفاعه افضل بالفعل . الا ان القضية كانت تتحدد فى الدفاع عن الحزب وحقه فى الوجود . ومعنى ذلك فى رأى ، اننى لو وقفت اجيب بالنفى أو الصمت على كل الاسئلة الموجهة الى ، حتى اذا ما سبألتنى القاضى ، هل تعرف الحزب الشيوعى ؟ فاجبته بنعم وانى عضو فيه ، لو فعلت ذلك فقط ، لكان هذا الموقف انتصارا عظيما جدا للحزب الشيوعى . حقيقة كان يمكن لدفاعى عن نضال الشيوعيين وعلاقتهم بعبد الناصر ان يكون اقوى ، لو كنت اقل حماسا واقل اندفاعا مما كنت عليه . الا ان الدفاع عن الحزب والاعتراف بالعضوية كانا ابرز نقاط الدفاع ، وكانا نقطة التحول فى القضية كلها .

فى اليوم الثانى للمحاكمة اخذنا قرارا بضرورة اصرار فؤاد شحتو على الكلام . فطلب عند بداية الجلسة ان يتكلم . قال لرئيس المحكمة ،

— سيادتكم منعتنى من الكلام بالامس .

قال رئيس المحكمة :

— لا . لقد دافعت عن نفسك .

- لم يحدث ذلك .

- لقد قلت انك عضو بالحزب الشيوعى المصرى \* ونحن لا نبغى  
اكثر من ذلك \* ما دمت عضوا فى الحزب الشيوعى ، فاننا نعرف ما سوف  
تقول . نعرف مبادئكم \*

وتدخل بعض المحامين يطلبون منه الجلوس . الا أن فؤاد اصر  
على حقه فى الدفاع .

- لابد ان اتكلم \*

وازاء اصراره قال رئيس المحكمة

- عشر دقائق \*

قال فؤاد :

- شكرا ، عشرون دقيقة .

- كلا ، عشر دقائق فقط .

والقى فؤاد شحتو دفاعه منذ البداية .

ثم توالى الرفاق \* محمود امين العالم ، المتهم السادس \* وقد  
تكلم فى قضية الوحدة العربية \* وكذلك عبد العظيم انيس فيما بعد . كان  
دفاع محمود العالم دفاعا قوميا يمكن ان يقوله أى قومى \* كان دفاعا عن  
حق الشعوب العربية فى الوحدة والايمان بالقومية العربية ، وأن تكون  
الوحدة ديمقراطية ، الا انه لم يربط ذلك بموقف الشيوعيين \*

وتناول الرفيقتان سعد رحى وعبد المنعم شتلة دور الشيوعيين فى  
بورسعيد ، ووضحا انهما قاما بهذا الدور نيابة عنهم وبتكليف منهم ،  
كذلك تناولوا دور الشيوعيين فى مجال النضال الوطنى وتشكيل الجبهة  
وضرب الانجليز \* وهو ما أكدته الشهود . وقد اعترف الرفيقتان بعضوية  
الحزب .

كانت المباحث العامة عند ادلائها بشهادتها ، قد ذكرت ان الرفيق  
لويس اسحق ، شيوعى معروف قام على تربية اخواته تربية شيوعية .  
وتناول الرفيق لويس هذه القضية فى دفاعه موضحا ان المباحث العامة  
قد وصلت الى حد من البلاهة جعلها تتخيل انه ما دام المرء شيوعيا ، فلا بد  
وأن يولد ابناؤه شيوعيين ايضا \* وأن هذا خطأ يكشف عن حقيقة وطريقة



نفكيرهم . اذ معنى ذلك ان أى قريب له لابد وأن يكون شيوعيا وأى رائر أو مخالط أو زميل فى العمل لابد وأن يكون شيوعيا . انها طريقة معادية لمصالح الشعب . كما اوضح أن والده قد ترك له بعد وفاته أخوة صغارا قام هو على تربيتهم ، الا ان ذلك لا يعنى انه قد وضع تخطيطا أحمرأ على عقولهم أو دفع بهم فى الطريق الذى اختاره هو ودعاهم الى تعلم الشيوعية . ثم قال انه قد خدم وطنه وآمن بمبادئ ومعتقدات دافع عنها فنكل به . والناس تحترم أخوته وتحبهم لأنهم أخوات رجل يضحى فى سبيل بلده ومبادئه ولا يخشى شيئا فى سبيل هذه المبادئ . وهنا قال له رئيس المحكمة : « وما هى مبادئك إذن ؟ » فقال له لويس اسحق ، « اننى عضو فى الحزب الشيوعى المصرى » .

واعترف بالعضوية أيضا الرفيق يوسف درويش ، والرفيق عادل فهمى الذى أخذ موقفا جيدا للغاية ، متناولا فى دفاعه دور الحركة الطلابية وتاريخها النضالى . كما اعترف أيضا الرفيق عوض الباز ( عامل من شبرا الخيمة ) قائلا ، « اتشرف باننى لست فقط عضوا بالحزب الشيوعى ، ولكننى أيضا عضوا قياديا به » . فهجم عليه ضباط الحراسة وجنودها يقبلونه بعد الجلسة .

ان واحدا من أفضل الدفاعات السياسية ، كان ذلك الدفاع الذى تقدم به نبيل الهالى . كان دفاعا غاية فى القوة والجمال . كان قمة فاستفزاز رئيس المحكمة . لقد دافع نبيل الهالى عن الديمقراطية وحق الشبوعيين فى الوجود . كما دافع عن الاعمال التى قاموا بها ، وتضحياتهم لوطنهم ، وشهادتهم . كان دفاعه يتسق تماما مع دفاع للذين اعترفوا بالعضوية ، الا انه يتميز بكونه دفاع محام متمرس . ولقد قاطعه رئيس المحكمة أكثر من مرة ، « يا اخ نبيل ، لماذا تدافع انت عنهم ؟ هل انت عضو فى الحزب الشيوعى ؟ » . وكان نبيل يرد عليه ، « انا لا أقول انى عضو فى الحزب الشيوعى ، لكننى اشرح لسيادتكم واقعا مصريا . انتم تقولون انه يوجد حزب شيوعى ، وهو حزب ضار يقوم بكذا وكذا من الاعمال ، وانا أقول لسيادتكم أن هذا الكلام خطأ . انها وجهة نظرى أقولها وأتمسك بحقى فى قولها . غانا باعتبارى رجل بعيش فى الحياة السياسية ، يتوجب على أن ادلى بوجهة نظرى فى الحزب الشيوعى المصرى وسياسته » . كان دفاعا عظيما ، وفى اعتقادى أن المحكمة قد اعتبرته - بناء على ما جاء فيه - اعترافا بالعضوية .

عندما اتخذت الدفاعات السياسية هذا النحو ، بدأت حالة من الفرع تسود المحكمة وبذلت محاولات مستميتة لمنع الدفاعات السياسية تماما .

فقد اتصل جاد الحق بعائلة الزميل حسين توفيق طلعت ، والذي كان يدير المؤسسة القومية للنشر والتوزيع حتى يناير ١٩٥٩ ، ليقول لها ، ان وضع حسين في القضية وضع طيب ، وانه لا بد مفرج عنه ، فقط عليه ان يجيب على بعض الاسئلة العادية تماما ، اجابات لا تخرج زملاءه ولا تخرجهم . فلما قالت اسرته بانها لا تستطيع ان تطلب منه مثل هذا الامر ، قال لها ، « اذن عليه ان يلزم الصمت والا يقدم دفاعا سياسيا حيث ان لدينا معلومات تفيد بانه سوف يقدم دفاعا سياسيا حول الديمقراطية وقضية النشر والصحافة » . وافقت الاسرة ان تطلب منه ذلك . وعندما علم والده بهذا الامر قال لأفراد الأسرة ، « ابلغوا حسين بهذا الكلام . وبعد ان تفعلوا ذلك ، قولوا له ايضا ، انك ان قبلت ذلك فان اباك سوف يضربك بالرصاص . انه لو تخلى عن زملائه في هذه المحنة ، وقبل ذلك الذى يطلب منه ، فانه لن يكون ابني ، وسوف اطلق النار بنفسى عليه . فقط قولوا له رسالتكم اولا » . فربما يود أن يأخذ هذا الموقف ، ثم ابلغوه برسالتى . كان والد حسين رجلا كبيرا فى السن وبجوازيا كبيرا ايضا . وقد ارسل زوجته ، والدته حسين قائلا لها ، « انا اعرف انك لن تكذبى ، اخبريه برسالتى بعد ان تعرفى رايه فى الرسالة الأخرى » . وذهبت والدته حسين وزوجته لزيارته فى السجن وابلغاه بما جرى . فقال لهما ، « عيب عليكما ان تفكرا فى قول ما قلتما لى ، فهذا هو موقفى دون رسالة والدى » . وقدم بالفعل دفاعا سياسيا عن قضية النشر والصحافة وأهمية التعاون مع الدول الاشتراكية .

كان الرفيق محمود المستكاوى قد عدد - اثناء التحقيق معه - ما قام به من انجازات يوصفه مهندسا يعمل فى مجال المقاولات والكهرباء . تناول مشروعات الانارة التى قام بتنفيذها ، والقرى المختلفة التى رأت الانارة على يديه . ذكر عدد الكيلو مترات من شبكات الكهرباء ، وكذا عدد العواميد ، تفاصيل دقيقة توضح انه قام بعمل خرافى . وفى دفاعه فى مواجهة المحكمة قال ، « انا الذى انجزت كل تلك الأعمال ، انا اعمل فى هذا المجال منذ اعوام طوال ، فكيف يتفق ذلك مع اتهامى بانى انسان مخرب او حاقد او عديم النفع او كما تقول النيابة ، انه كان اولى بنا ان نخدم بلدا ، والا نرفض يدها المحدودة البناء . كيف تفسر لنا النيابة قيامنا بكل تلك الانجازات واتهامها لنا ، بما هو منسوب اليها من سلوك » .

وتناول الرفيق فكرى رفاعى فى دفاعه ، قطاع التعليم . وكان مدخله الى دفاعه واقعة خطيرة . قال أمام المحكمة ، « لم اكن اتمنى ان اعيش الى اليوم الذى اكتشف فيه أن سلطات الأمن قد اتفقت مع واحد من الطلبة

الذين اقوم على تعليمهم كى يقوم بمراقبتى والتجسس على . لقد تعلمنا فى المدارس ان المدرس له قدسيته . ولذا قاننى عندما اخترت مهنة التدريس ، اخترتها على أساس تقديرى لها انها مهنة شريفة تقوم على تربية الاجيال المتعاقبة ، الا اننى اكتشف اليوم ، ان من قمت على تعليمه وتربيته قد افسدته أجهزة الأمن ليتحول الى شخص يقوم على خيانة مدرسه واستاذه ومربيه . والذى هو فى منزلة الأب منه . ثم تحدث عن قضايا المعلمين ومعاناتهم والمدارس واوضاعها . وكان القاؤه قويا ومتماسكا .

والحقيقة ان جميع أعضاء الحزب دون استثناء قد تكلموا فى مواجهة المحكمة . وقدم الذين لم يعترفوا بالعضوية عرضا لما قاموا به من أعمال تشكل فى مجموعها مواقف الشيوعيين العملية فى كل مجال . وكان ذلك ردا حاسما منا على النيابة فيما ادعته باننا مخربون نعمل فى الجحور .

اما بالنسبة لمجموعة « حثو » ( والتي كنا نسميهم حينذاك بالمتقسمين ) . فقد كان الاتفاق بيننا وبينهم اتفاقا تاما . وقد قدم الرفيق عريان نصيف دفاعا سياسيا ممتازا ، دافع فيه عن الديمقراطية ، كما دافع ايضا عن الشيوعيين ونشاطاتهم . كذلك قدم سعد الساعى دفاعا ديمقراطيا ، وقدم خليل الآسى كلمة قصيرة .

يقول سعد رحى ، « بدأت المحاكمة يوم ١٥ اغسطس ١٩٥٩ . كنا قد وزعنا الدفاعات السياسية . وكانت النقطة التى ساتحدث فيها هى تفسير معنى العنف الثورى ، أى موقف الجماهير فى مواجهة عنف الدولة ، مع ادانتى للارهاب الفردى . واعدت دفاعا جيدا . وكان ذلك بالإضافة الى اعترافى بعضوية الحزب . لم يمارس أحد من اخوتى ضغطا على ، رغم انى اصغرهم سنا . اذ كان موقفى واضحا لديهم منذ عام ١٩٤٨ عندما اخترت طريقى . كذلك لم يمارس أحد من الزملاء ضغوطا داخلية أو خارجية على .

كانت كلمات المتهمين تأتى بعد افتتاحية النيابة وشهادة الشهود وما لى ذلك . وكان الدفاع سوف يبدأ يوم ٣ سبتمبر . وكان يوم السبت فى يوم الخميس السابق عليه حضرت زوجتى ، الا انها لم تحضر يوم السبت . وتصورت ان هنالك ما عطلها ، خاصة وهى مدرسة ، وقد بدأ الاعلم للحراسى . الا اننى لاحظت ان الزملاء يعاملوننى بانسانية زائدة ، اكثر مما يجب . وعندما عدنا الى سجن الحصرة ، كنت أنا وشقيقاته



عبد الحليم وأمين شرف فسكن زنزانة واحدة . وكان من الطبيعى أن يجتمع أعضاء اللجنة المركزية يوميا بعد المحاكمة للمناقشة . الا اننى فوجئت في هذا اليوم بحضور حلمى ياسين وفؤاد مرسى فقط . وقالوا لى ان ابنتك ( عزة ) قد توفيت . تعبنا بعد ذلك صحيا ، ثم اصبنا بالمalaria . ولما كنا تحت اشراف المحكمة العسكرية فقد انتدبت طبيبا ضابطا للكشف على وأخذ عينة من دمي . وبناء على ذلك تم نقلى الى مستشفى حبيسات الاسكندرية ، في حجرة معزولة ومحاطة بالحراسة . وقد رفضت وجود حراس داخل الحجرة . كانت تصلنى اخبار المحاكمة باستمرار . حيث كان للحرس الذى يلازم الزملاء اثناء المحاكمة هو نفسه الحرس الذى كان يقف حول جرتى بالمستشفى . ولقد حاول حسن المصيلحي في أحد المرات دخول جرتى مرتفيا زى طبيب ومعلقا السماعة في رقبته ، الا اننى رغم تعبى الشديد تعرفت عليه . وقلت له ، « كيف حالك يا حسن بيه » ، « ماستدار وانصرف . ويبدو انه كان قد جاء للتحقق من صحة مرضى .

عرفت من الحراس ان فؤاد واسماعيل وسعد وحلمى قد تحدثوا ، وبذا فان دورى في الدفاع قد اقترب . طلبت مدير المستشفى فحصر . سألته الخروج من المستشفى فورا . قال الرجل ، انى متعب وانه لا يتحمل طبيا مسئولية اخراجى من المستشفى الآن وانا في مثل تلك الحالة ، واننى ان كنت اود رؤية زوجتى ، فانه سيسمح لها بزيارتى . الا اننى قلت له ، اننى اود الذهاب الى السجن حتى أكون مع زملائى .

قال لى ، « في مثل تلك الحالة » ، وقع تعهدا بخروجك على مسئوليتك . وخرجت بالفعل . اذ انه قام بالاتصالات الضرورية بالمباحث العامة ، والتي يبدو انها لم تكن ترحب بوجودى في المستشفى ، فوافقت .

غادرت المستشفى وأنا ارتدى مفامنى وروبا وشعشبنا ، الى السجن ، حيث ارتديت ملابسى وتوجهت الى المحكمة . فندما رآنى عبد الله هلال حاول أن يبدو انسانيا فسألنى عن حالتى ، الا اننى لم أجبه ، وجلس . كنت متعبا . حاول الحديث معى مرة أخرى ، فقلت له ، لو سمحت فسألتكم وأنا جالس ، لأنى متعب . سألنى ، « هل عولجت ؟ » ، قلت . لقد جئت الى هنا باختيارى ، واطلب تسجيل حقى في الدفاع ، على أن يكون في اليوم التالى .

غدنا الى السجن وعرفت ما قاله للزملاء في دفاعاتهم امام المحكمة . ووجدت انهم قد عرضوا الكثير . فحدثت حلمى ياسين على أساس اننى



سأطور حديثي بحيث لا أكرر ما قيل . وإن تنصب كلمتي في دفاعي حول الاعتراف بالعضوية .

في اليوم التالي لعودتي قلت في المحكمة ما معناه إن افكارنا ومبادئنا وبرنامجننا قد اتضح للمحكمة . وإن ما أريد اضافته هو كلمة واحدة ، هي أن الشيوعية حقيقة واقعة . كنت امسك حينذاك بقضبان القفص لشعوري بالتعب . إلا اني رغم ذلك طلبت الحديث بدون ميكرفون باعتبار أن صوتي قادر على الوصول الى الجميع . قلت ان الشيوعية حقيقة واقعة سواء فتحتم سجوننا أو معتقلات أو علقتم المشانق . وهنا بدأ هلال عبد الله مستفزا مستثارا يصرخ بغیظ شديد ، « اقعد ، اقعد » . واستمررت في كلامي قائلاً ، أن كل ما سوف تفعلوه هو تعطيلنا ببعض الشيء . فعاد الى الصراخ مرة أخرى . « اود ان اعرف علاقتك بالحزب » . فقلت ، انني اتشرف بعضوية الحزب الشيوعي المصري . فقال ، « اجلس » . فجلست . وكنت آخر المتحدثين .

ويكمل حلمي ياسين ، « من المواقف النبيلة والعظيمة التي حدثت اثناء مرافعة المتهمين ، موقف حسني بخيت . بدأ كلامه بالمعاملة الشاذة التي يلقاها المعتقلون الشيوعيون ، واعمال الاعتداء عليهم في الغيوم والواحات ، دون أن يتعرض لتعذيبه هو . قال ، « ان تلك السياسة خاطئة » ، فهؤلاء الرجال شرفاء . واني بكلامي الذي قلت في تحقيق النيابة قد ارتكبت جريمة لا تغتفر في حق اناس من اشرف ما انجب هذا الوطن . اني اعلم انه سيحكم علي نتيجة موقفى هذا ، وهنا قاطعه عبد الله هلال قائلاً ، « أنت رحت الواحات يا حسنى ، شفت الواحات يا ابنى ولا لآ ؟ » . فرد عليه حسنى بخيت « لا » ، ماشفتهاش ، لكن اعلم انى بعد المحاكمة سوف اذهب الى هناك ، لأنه لابد وأن يحكم على . فقال له ، « آه » . مملوطة تحمل في طياتها كل صنوف التهديد والوعيد . واستمر حسنى بخيت ، « لقد ضغطوا على وهددوني بالاعتداء على زوجتى التي احبها ولا امتلك في هذه الدنيا سواها ، لقد ارغموني ان اقول ما قلت . هذا الكلام الذى وضعوه على لساني . وانا اعتقد الآن ، انى قد ارتكبت بالفعل جريمة . وانه لابد من الحكم على ، لا بناء على اتهامات المباحث العامة ، وقولها بانضمامى الى تنظيم او خلافة ، ولكن جزاء لى على الجريمة التي ارتكبتها في حق اشرف اناس انجبهم هذا الوطن » .

لقد بكى كثير من الزملاء اثناء دفاعه . كان يعرض مأساته بطريقة رهيبة . كان اثناء المحاكمة معزولاً عنا بمفرده في سجن الاجانب ، حتى

لا يخضع لضغط من جانبنا . وهناك كان الضغط عليه شديدا من قبل المباحث العامة . الا انه واجه ذلك بشجاعة ، وأخذ موقفه هذا امام المحكمة ، فضموه بعد ذلك اليها في سجن الحضرة . وقد علق أحد الزملاء على تلك المأساة بقوله ، « اننا امام مأساة شيكسبيرية . مأساة الانسان وتمزقه ، ثم محاولة تصحيح خطئه والخروج من محنته » .

### مرافعة النيابة :

كان على نور الدين هو من قدم مرافعة النيابة . كان حينذاك نائبا عاما يود تقديم نفسه ، متخذا من القضية سبيلا الى موقف يحسب له . كان الرفاق قد قرروا مقاطعته ان اساء لهم أو تناولهم بالسب أو بالغباط لا علاقة لها بالقانون . كان حلمى ياسين ، بعد اعترافه بالعضوية ، قد اصبحت مسئول القضية بصورة عملية . وكان الاتفاق قد تم على عدد من الاسماء ، عليها ان تقوم بصورة متتالية بمقاطعته في مثل تلك الاحوال . وقد تحدد لكل احتمال ما يلزمه من رد ومقاطعة . فان قال مثلا ، « للشيوعيين عملاء » ، وقف الرفيق المكلف بالرد ليقاطعه ، « لسنا نحن العملاء » ، وانما العميل الحقيقي هو من يتهمننا بالعمالة » . وان قال « ان الشيوعيين مخربون » ، تدخل آخر على الفور ، « لسنا نحن من يخرب مصر ، نحن بناتها » ، وانتم المخربون » .

يقول سعد رحى ، « عندما بدأت المحاكمة ، وزعت المسئوليات فيما بيننا . وقد استبعد بعض الزملاء من هذه المسئوليات لعدم ترحيبهم بالموقف الصدامى مع المحكمة . كان هناك مسئول للقفس يسمى عمدة القفس . واتذكر انى كنت عمدة القفس عندما عمد نور الدين النائب العام الى التعريض بوطنيتنا . كان هناك شبه اتفاق بيننا وبين المحكمة بعدم التعرض لوطنيتنا باعتبارها أمرا مفروغا منه ، وليست محل مسائلة . وأن القضية هي قضية الانضمام الى تنظيم غير شرعى . وقد خرق نور الدين هذا الاتفاق ، وهاجم وطنيتنا . فوقفت باعتبارى عمدة القفس وقلت ان هذا لموضوع ليس محل نقاش ، وليس الذى حاكمنا ايام الملك ويحاكمنا ايام الثورة هو الذى يتحدث عن الوطنية . فقال عبد الله هلال « كفى ، فقد فهمنا » . فطلبت حذف هذا الكلام من المضبطة ، وتم حذفه بالفعل » .

بدأ على نور الدين بداية هجومية . لم يلجأ الى المقدمات ثم التصعيد . قال ، « هذه الزمرة الخائفة » ، وللحال تصدى له أحد الرفاق ، فأخرج من الجلسة ، فتقدم آخر فأخرج من الجلسة ايضا ، فثالث ، فراجع ،

فخامس • وكان من هؤلاء الرفاق ، يوسف درويش ، عوض الباز ، وأمين شرف . عند كل نصد واعتراض كان رئيس المحكمة يوقف الجلسة ويأمر باخراج الرفيق • وهنا قال على نور الدين ، « آه ، بقى كده ، انا فاهم الملاعب دى ، طيب أهى » • ثم امسك بورقة فى يده وقال ، « اتحدى الحزب الشيوعى وأعضائه ، من فوق لتحت ، أن يكذبوا. هذه الوثيقة . انها تقول بضرورة الصلح مع اسرائيل واقامة علاقات طيبة معها . ها هي الوثيقة ، واتحدى أن يتكلم أى واحد منكم » • كان ما يزال يمسك الورقة فى يده يتحدى ، عندما نهض الرفاق جميعا يصرخون فى نفس واحد . « يا كذاب ، يا حقير ، يا قذر ، يا ابن الكلب » . وفزعت هيئة المحكمة ورجال المباحث العامة . الرفاق جميعا ثاروا وانهالوا عليه سبا ولعنا . وأخذ عبد الله هلال يضرب امامه بقبضته • فصمت الجميع • كان الاتفاق ان يتناطحوا ثم يصمتوا . قال عبد الله هلال ، « حلمى ، قم انت ، وقل لنا ، ما رأى الحزب الشيوعى فى قضية اسرائيل » • ثم انجess يستمع . وكانت تلك قمة من قمم انتصار الحزب فى قاعة المحكمة . • كانت اعترافا منها بالحزب ومثله فى القضية .

بهت على نور الدين • وكان أحمد موسى رئيس النيابة حاضرا ايضا • ووقف حلمى ياسين يقول : « اشكر للمحكمة سعة صدرها واهتمامها للاستماع لى وجهة نظر الحزب • وقبل ان اعرض وجهة النظر تلك ، اود ان اقول ، لماذا لم يتكرم النائب العام باخبار المحكمة ، من أين جاء بالوثيقة التى يتقدم بها ؟ أين وجدها ؟ ومع من ؟ نحن معنا ملف القضية وقرارات الاتهام ، ولم برد لهذه الوثيقة نكر على الاطلاق فى اوراق القضية . من أين جاء بها ؟ من اسرائيل ؟ أم من أى متهم آخر ، فى قضية أخرى ، لينسبها الينا . نحن مسئولون عن كل الاوراق التى يمكن ان تنسب الى الحزب الشيوعى ، اننا نقول اننا اعضاء فى هذا الحزب ، واى ورقة تحمل اسم الحزب الشيوعى ، وان لم تكن من مضبوطاتى ، فاننا على استعداد للقول بانها ورقتى • لكن أن يحضر ورقة ، لا نعترف مصدرها ، فهذا أمر يرجع فيه بها لى المباحث العامة ، حتى يمكنهما التصرف معا . هذه الوثيقة لا تخص القضية ، ونحن نطلب من المحكمة استبعادها ، هذا من ناحية الشكل . أما من ناحية الموضوع ، فسياسة الحزب فى هذا الامر معلنة ، وليست سياسة سرية ، والحزب فى هذه القضية تقارير ثلاث تقول ان اسرائيل دولة عنصرية ، وترفض للتسليم ، كما توضح كفاح الشيوعيين والكفاح المسلح • انن فالشيوعيين لا يمكن ان يقولوا بانهاء القضية والاتفاق مع اسرائيل ، • ورفع رئيس المحكمة الجلسة •

عاد المحامون يهطلون بعد خمس دقائق من رفع الجلسة • قالوا  
رئيس المحكمة أمر على نور الدين بالسفر إلى القاهرة وعدم اكتمال  
مرافعته ، والتي لم تستغرق غير دقائق معدودة •

عادت المحكمة إلى الاعتقاد ، وجلس أحمد موسى مكان على نور الدين •  
قال رئيس المحكمة « النيابة تتفضل » • كان أحمد موسى رجلا مهذبا  
عف اللسان ، يميل إلى استخدام التعبيرات الوصفية ، « كان يقول » حلمي  
ياسين أول المتكلمين وشيخ المعتزكين • لا حاجة للكلام عنه أمام المحكمة ،  
فهو رجل وقف أمامكم يعلن في زهو وفخار شحيدين عضويته في الحزب  
الشيوعي المصري ، وأنه على استعداد لتحمل كل أوراق الحزب • كما  
أنه قام بشرح سياسة الحزب للمحكمة • أنا لن أتكلم عنه ، فهو قد تكلم  
عن نفسه •

على هذا النحو سارت دفاعات النيابة • كان دفاع أحمد موسى  
خاليا من كل كلمات المهاترة ، كالخونة والعملاء وما شابه • كان دفاعا  
موضوعيا • ما هي المضبوطات ؟ ما هي الأقوال والمواقف أمام النيابة  
والمحكمة ؟ التزم جانب الدفاع القانوني حتى انتهى من عرض دفاعه •

## المحامون :

كان من المحامين الدكتور محمد عبد الله والدكتور محمد عصفور ومختار  
قطب وماهر محمد على وأحمد البديني وعبد العزيز شرف ومجموعة أخرى •  
كبيرة •

كما كان هنالك محامون منتدبون • البعض منهم لم يكن يفقه مما  
يجرى حوله شيئا • كانوا يترافعون وكأنهم يتحدثون عن مشاجرة أو  
قضية مخدرات على أقصى تقدير •

كان محامي لويس اسحق يضرب المنضدة أمامه بجمع يده ويقول ،  
« ان الاتهامات الموجهة إلى هذا الشاب باطلة • أنها توجه لرجل برى » ،  
قام على تربية اخواته • ثم يتهم اليوم بأنه شيوعي ، وعضو في الحزب  
الشيوعي • ومال عضو اليسار على رئيس المحكمة ، « لكن يا أفنعم »  
لويس اسحق معترف بالعضوية ! « وقال له رئيس المحكمة في سخرية ،  
« دعه يتكلم ، دعه يكمل » • ثم توجه ضاحكا إلى المحامي ، « اكمل  
يا استاذ ، اكمل » • كان العرض كوميديا ، ومحامي لويس اسحق يصر على  
طلب البراءة بناء على دفاعه هو ، لا بناء على الحقائق الموضوعية وموقف  
لويس اسحق في القضية أو المحاكمة •



كان عريان نصيف قد قدم دفاعا رائعا امام المحكمة . وعندما حل دور محاميه للدفاع عنه ، بدأ مرافعته بقوله ، « كيف استطيع ان اتول نديذا عن هذا التلميذ ، اذا كان اسناده الذي يلقنه الشيوخيه واستاذته في الشيوخيه يقفون معه جنبا الى جنب في قفص الاتهام » . كان يهاجم الدكتور فؤاد مرسى والدكتور اسماعيل صبرى . فانقصب عريان واقفا وقال ، « ارجو من المحكمة ان تمنع المحامى من التدخل في السياسة . المأوب منه ان يناول الجوانب القانونية فقط » اذا لزم ان يدافع ، . ورد المحامى قائلا ، « دعنى يا بنى اؤدى واجبى » . قم عاد يقول ، « هذه الشيوخيه » . فهب عريان واقفا للمرة الثانية موجهها حديثه لهيئة المحكمة ، « ارجو من المحكمة ان تلفت نظر المحامى الا يتعرض للشيوخيه او ما تؤمن به من مبادئ ، عليه ان يقتصر في دفاعه على الجانب القانونى فقط » . وهنا صاح المحامى ، « يا محكمة لا تلتفتى الى هذا للغر ، انه مضلل » . فقال عريان للمحكمة ، « وانا ارد هذا المحامى وارفض ان يكون محاميا عنى » . قال رئيس المحكمة ، « هذا الأمر لا يصح يا بنى » . فقال عريان فى حسم ، « اننى مصر على موقفى ، حتى ان ظلمت دون محاميا . وعلى المحكمة ان تنتدب آخر غيره » . لقد رفض عريان ان يهاجم محاميه متهمين آخرين او يهاجم الشيوخيه باسم الدفاع عنه وتبرئته .

وكان حسين ابو زيد المحامى ، وهو من كبار المحامين ، موكلا عن نبيل الهلالى ، وكان فى ذات الوقت وكىلا عن الهام سيف النصر . وكان ترتيب الهام فى القضية يسبق ترتيب نبيل الهلالى فى قائمة الاتهام . وكان كلاهما رقيق الجسم . وعندما حل وقت الدفاع عن الهام سيف النصر ، وقف حسين ابو زيد يقول ، « انظروا الى هذا الولد الذى يزن ستة كيلو جرامات . كيف يمكن لهذا ان يقلب نظام الحكم » . كان دفاعه قائما على مثل هذه التبريرات . وقبل ان ينتقل للدفاع عن نبيل الهلالى ، ارسل نبيل اليه يطلب منه عدم المرافعة عنه . ووقف حسين ابو زيد فى حالة شديدة من الأسى والخجل ، ليعطى ذلك أمام المحكمة . لقد رفض نبيل الهلالى ان يهدر هذا المحامى دفاعه السياسى عن نفسه ، بمثل ما قاله عن الهام سيف النصر .

كان هذا نوعا من المحامين ، ونوعا من المواقف النضالية ، مهما كانت نتائجها . اما النوع الآخر ، فقد كان من رجال يحترمون انفسهم ، فلا يقدمون على قول أو عمل يسىء الى مصلحة موكلهم . حدث ان اعدمت حكومة عبد الكريم قاسم العراقية ، الطبىجلى ورفعت الحاج سرى . وسارت المظاهرات المعدة تطوف الشوارع ، تهتف « الموت للشيوخيين » . الشيوخيون اعداء الله ، والطبىجلى حبيب الله . كانوا يحملون المصاحف .

وكان في وسع الرفاق أن يروثهم وأن يسمعونهم وهم يسرون تحت نوافذ المحكمة . كان المفروض الا تنعقد المحكمة ، والا تحدث مرافعات ، وأن يدخل أحد المحامين ليعلن أن نقابة المحامين قد قررت الاضراب في هذا اليوم . الا ان النقابة لم تجد في هيئة الدفاع من يقبل من المحامين القيام عنها بهذه المهمة ، مهمة تسجيل قرارها أمام هيئة المحكمة ، معلنا أن المحامين لن يترافعوا اليوم حداً على اعدام الطبقلي . لقد اتخذوا هذا الموقف دون أن يسألهم ذلك أحد من الرفاق . كانوا يرون أن مثل هذا السلوك ضد ارادة المتهمين ، وربما أساء اليهم وقررت عليه اوضاع تضر بهم .

ظلت هيئة المحكمة في حجرة المداولة حتى الساعة الثانية عشر ، وقد جلس المحامون في القاعة ، والرفاق في مقصص الاتهام . ثم فوجئ الجميع باثنين من الضباط يرتدون الملابس المدنية ومعهم ثالث لا يدري أحد ان كان ضابطاً آخر أم محامياً ، وقد أمسك به الضابطان ، كلا من ناحية ، ودخلا به قاعة المحكمة ، ثم جلسا الى جانبيه في أول الصف . كان الرجل يبدو واجماً ، ذاهلاً ، اصفر اللون ، لا يكلم أحداً ، حتى التحية لم يتبادلها مع أي من محامي هيئة الدفاع . وهنا دخلت المحكمة القاعة . ووقف هذا الرجل الذي اسمه محامياً ، ليعلن انه قد جاء ليبليغ المحكمة ، أن نقابة المحامين قد قررت الاضراب اليوم ، احتجاجاً على المجازر التي تجري في العراق ، وعلى اعدام الطبقلي وزملائه . ووقفت النيابة تشارك هذا الشعور القومي العظيم ، ، وكذا فعلت هيئة المحكمة .

وكان الرفيق سعد رحى مكلفاً باتخاذ موقف باسم الحزب في هذه المسألة . فوقف رافعاً يده ، طالباً الكلمة . ودهش عبد الله هلال . كان يتوقع أن يترك الرفاق الأمر يمر دون تعليق . قال لسعد رحى ، « فيه حاجة ؟ » . اجاب سعد ، « اود الكلام » . قال له ، « تفضل » . كان عبد الله هلال في تلك اللحظة متحفزاً ، يميل بجسده الى الامام . كان تركي السحنة ، له سنتان بارزتان ، تظهرا ان ضحك أو غضب ، فيعلن الخشب الذي في اعماقه عن نفسه . تقدم سعد رحى ليقتب امامه . فنح الميكروفون . وقد ساد القاعة صمت شديد . بدأ كلامه بقوله : « مما لا شك فيه ان للموت جلاله » . وأحدث هذا الاستهلال المؤثر أثره ، فانجعم هلال في كرسية وكذا هيئة المحكمة . وتنفس المحامون الصعداء . كان مدخل سعد للموضوع مدخلاً غير متوقع ، فلما فوجئوا به ، استراحوا اليه . وساد القاعة كلها صمت شديد . كان في القاعة أكثر من مائتي عائلة من عائلات الرفاق ، بالإضافة الى رجال المباحث العامة والحراس .

الكل صامت وكان الطير قد حل فوق رؤوسهم • صمت سعد برهة بعد أن قال جملة • وتخيّل كل من كان خارج القفص ، أن تلك البداية ، لابد وأن يتسرّها تأبين الطبّجلى • الا ان سعد استمر فقال ، « الا اننا نشمئز من الطريقة التي تعالجون بها مشاكل الحياة • نشمئز من استخدام الموت وسيلة لتظاهرات رخيصة مبتذلة • نشمئز من تدخلكم في شئون العراق الداخلية • وكان الاجدر بنقابة المحامين ان تلتفت الى ما يجرى على ارض مصر ويدور فيها من انتهاك للدستور والحريات والقانون والأفراد والأعراض • وبدأ الصراخ يدوى في المحكمة ، « اغلقوا الميكروفون » • وساد الارتباك وأخذ الحراس في جذب سعد ورفع الميكروفون من أمامه • والمحكمة تزعم ، « الجلسة منتهية منذ الثانية عشر » • الا ان سعد استمر مندفعاً يغلى بالحماس ، ينتفض من رأسه الى اخمص قدميه ، « لا تتدخلوا في شئون الغير ، وعلى نقابة المحامين أن تراعى مشاكلها هي ، لا مشاكل الآخرين • ما لكم انتم ان كان شعب العراق قد اختار الشيوعية طريقاً ! » • كان موقف سعد في هذا اليوم موقفاً تاريخياً رائعاً • كان يوماً من الايام التي لا تنسى • فالرفاق في أيدي السلطة ، وفي ظل هذا الجو الارهابي البشع المصنوع ، ومع ذلك يقفون هذا الموقف في المواجهة يهاجمون •

وكان الدكتور محمد عصفور واحداً من المع المحامين في هذه القضية • كان موكلاً عن حسنى بخيت • تناول قانون ٩٨ ، وانتهى الى أن ما جاء في هذا القانون ، « من تغليب طبقة على طبقة » ، أمر لا يمكن تطبيقه • وجه كلامه الى هيئة هيئة المحكمة قائلاً ، « لقد قمتم بثورة وغلبتم طبقة على طبقة • كان هنالك الاقطاع ، وانتم صغيتم هذه الطبقة ، كما ان رئيس الجمهورية كثيراً ما يتحدث عن العمال ودورهم • انه طبقاً لهذا القانون ، يجب تقديمه امامكم للمحاكمة • هل هذا أمر ممكن ؟ بالطبع كلا ، اذن لابد من صدور قانون جديد • قانون ينص صراحة على اداة معتنقى الشيوعية أو الداعين لها » •

في تلك الاثناء كان يمسك بالدستور في يده ، متوجهاً نحو هيئة المحكمة ، يستخرج صفحاته ويقول ، « هذه المادة تقول كذا وكذا » ، وتلك المادة تقول كذا وكذا • تحالف الشعب العامل • عدم سيطرة رأس المال على الحكم • ان محاكمة هؤلاء الرجال ، تحتاج الى قانون جديد • ان تطبيق القوانين الحالية عليهم ، تلزمكم بالاقراج الفوري عنهم •

اما عن حسنى بخيت ، فانا لن اتكلم عنه كثيراً ، فقد عبر لكم عن مشاعره الحقيقية • هو لم يضرب ، لكنه هدد في عرضه • قبضوا على



زوجته وهددوه بالاعتداء عليها . وهو لا يملك في الدنيا سواها ، فعجز عن المقاومة . لكنه أمامكم ، أوضح حقيقة موقفه ومشاعره ، ولماذا قال ما قال . أنا لا أطلب له الرافعة . فأنا لا أدافع عن شهد ضد زملائه . اننى أدافع عن تعرض لضغط نفسى لم يستطع مقاومته . فعلى هذه الزاوية اقمى دفاعى » .

بعد المرافعة اجتاز القاعة الى قفص الاتهام . جاء الى حلمى ياسين ، الذى لم يكن يعرفه أو تحدث اليه من قبل وقال ، « لقد دافعت عنك فى مرافعتى . انت هنا بلا محام ، ومع ذلك اعترفت بعضويتك فى الحزب الشيوعى ودافعت عنهما . انت تفهم لما قلت انا ما قلته . اننى فى الحقيقة ، كنت اترافع عنك انت ، وادافع عنك انت » .

ثم كان الدفاع المشهود للاستاذ أحمد البدينى المحامى . كان هو الذى اثار قضية مقتل الشهيد محمد محمود عثمان بالاتفاق مع الرفيق عبد المنعم شتلة . كان عندما يتكلم عن أى من الرفاق يقول ، « صديقى الأستاذ عبد المنعم شتلة » و « استاذى الأستاذ يوسف درويش » . مما حدا بعبد الله هلال ان يسأله : « استاذ أحمد ، انت دائم القول ، استاذى يوسف درويش ، ففيما كان يوسف درويش استاذك ؟ فى الشيوعية ؟ » فاجابه البدينى ، « استاذى فى لحامة ، فقد عملت فى مكتبه . واستاذى فى الوطنية ، فهو مدرسة فيها تتلمذت على يديه وأنا نخور بذلك » . فقال عبد الله هلال ساخرا ، « يا رجل ، لقد اعتقدت انه استاذك فى الشيوعية » . وكان هذا التهديد الواضح يعنى ان أحمد البدينى المحامى الشجاع ، قد وضع فى قائمة الذين يلزم معاقبتهم والتكيل بهم . ومما جعل هذا الأمر فى حكم اليقين ، ما قاله هو عندما ارسل السوفيت أول صاروخ ينزل فوق سطح القمر اثناء هذه المحاكمة ، اذ وقف البدينى يقول ، « لقد وصل الشيوعيون الى القمر . انهم يضعون هناك اليوم صاروخا يمكنهم ان يتحدثوا معه . ان هذا الامر يقتضى منا ان نفكر بعض الشيء » . انهم يملكون من النظريات والعلماء ما يمكنهم من الوصول الى القمر . ان هذا الانتصار العظيم يعنى أشياء كثيرة . أشياء يلزم ان نتعلمها وأن نستفيد منها . ان الأمور ليست على هذا النحو من التبسيط . وهؤلاء الرجال الذين يقفون امامنا ليسوا أى رجال . انهم ليسوا بالطائشين أو المجانين كما يحلو للبعض تصويرهم » . ثم تحدث فى موضوع الوطنية ، وما قدمه عبد المنعم شتلة من توضيحات فى بورسعيد . كان مدخله قويا وكانت مرافعته أكثر من رائعة . الا أنه اقتيد بعد المحاكمة الى معتقل القلعة حيث أجبروه على مسح بلاطها . ثم نقل الى معتقل المحاريق ، ليوضع فى المنفى وراء القبضان ، مع من سبق ودافع عنهم .



وكان هنالك محام شاب متميز للغاية ، هو الاستاذ عبد العزيز شرف . كان تسجاعا فيا طرحه من نقاش في مواجهة المحكمة . فيما هو خطأ وفيما هو صواب . تساعل ، « عن هذه الضجة حول انتقاد رئيس الجمهورية ، وماذا ان قال المتهمون بأن الديمقراطية منعدمة ، او ان الوحدة العربية تقم على أساس غير ديمقراطى . أى جريمة فى هذا ، نحن شعب تعدادة خمس وعشرين نسمة ، هل يمكن لنا جميعا أن نكون قالبا واحدا ؟ هل نحن من العسكريين ؟ ، كان دفاعا سياسيا ، أهميته الكبرى ومغزاه ، أنه جاء على لسان أحد المحامين .

وانتهت المحاكمة . لم تنشر الصحف المصرية عنها شيئا على الاطلاق . الا ان الصحافة العربية والعالمية ، شنت حملة ضخمة حولها . ونشرت بعض الدفاعات السياسية فى الصحف العربية والعالمية . وتحدثت الاذاعات وخاصة العراقية عن القضية ، وطالبت بوقف المحاكمة والافراج عن الرفاق .

لقد انتهت المحاكمة فى الثالث أو الرابع من نوفمبر عام ١٩٥٩ . يوم اربعاء أو خيس . وصدرت جريدة « أخبار اليوم » فى يوم السبت وعلى صدرها عنوان كبير . « النيابة تضبط وثيقة خطيرة » . وتحت العنوان جاءت التفاصيل تزعم أن النيابة العامة قد ضبطت وثيقة خطيرة للغاية . وثيقة تدور حول اسرائيل والصالح معها . وقد قامت بتقديمها فى قضيه الحزب الشيوعى المصرى المتهم فيها فؤاد مرسى حداد وآخرين . ولم تشر الجريدة الى أى شىء يمس القضية الا اسماء بعض المتهمين . لا كلمه عن مواقفهم أو دفاعاتهم أو ما جرى داخل المحكمة ردا على وثيقة الزور تلك تكذيبا وتفنيدا ، مما أدى الى استبعاد النائب العام ، على نور الدين . لا شىء على الاطلاق ، وكان الواقعة جديدة ، فى حين أن ما حدث ، كان قد حدث منذ قرابة شهر على وجه التقريب .

### تقييم المحاكمة :

يقول الدكتور فؤاد مرسى فى تقييم المحكمة والقضية ، « فى اعتقادى ان المحكمة كانت اقرب الينا منها الى عبد الناصر . كانت واسعة الصدر . استمعت لنا طوال شهور ، شهرين أو ثلاثة ، أخذنا فيها راحتنا وقلنا فيها كل ما نريد . وأنا اسجل هنا للمحكمة موقفين ، رحمت فيهما على المباحث العامة ، على حسن المصالحى بالذات وعلى النيابة العامة ممثلة فى شخص على نور الدين . نقطتان هامتان : النقطة الأولى انها قالت أن وطنية المتهمين ليست محل شك على الاطلاق ، انما تحاكمهم على موضوع محدد هو تشكيلهم لتنظيم سياسى معين لا يسمح به القانون . النقطة

الثانية ، كانت هي قطع المحكمة بأن مصادر تمويل الحزب ليست مصادر محل شك على الاطلاق وانها فوق الشبهات ، ولا شبهة فيها على الاطلاق .

أما عن القضية فقد كانت ممتازة ، صفحة غاية في الشرف للشيوعيين المصريين طول تاريخهم ، لمن اعترف بالعضوية ومن لم يعترف ولمن دافع سياسيا . بكل المواقف التي دارت خلال المحكمة ، بممارستنا أسلوب الوحدة والصراع مع المحكمة ، بفضحنا للجوانب الكاذبة والمزيفة ولمعادية الديمقراطية ، بتأييدنا للجوانب الوطنية . وقد حلت مناسبات صراع بين امريكا والنظام المصري واخذ فيها النظام مواقف وطنية مشرفة ، فوقفنا الى جانبها وأشدنا بها . كانت القضية مهرجانا سياسيا رائعا ادنا فيه قادة النظام في الجوانب السلبية ، وأدناه ، أدانة شديدة .

لقد اعتلى الشيوعيون منبر محكمة أمن الدولة العليا مدة ثلاثة شهور ، طرحوا فيها كافة قضايا البلد واطهروا افتتبات النظام على الشيوعيين المصريين . كانت مهرجانا ، المحامون الذين حضروا ، الاهالي الذين حضروا ، رجال البوليس الذين حضروا ، رجال الجيش الذين حضروا ، كل هذا في نهاية المحاكمة يكاد يقول ما الخطأ في الشيوعيين المصريين ؟ ما الخطأ ولماذا يحاكموا ؟ كان الشيوعيون ندا للحكومة مدة ثلاثة شهور ، ظهرت فيها الحكومة مخطئة لاي انسان عاقل .

كانت الجلسة الاخيرة عبارة عن حفل سياسي فيه طرفين بعد مباراة سياسية رفيعة المستوى بينهما ، الاثنان يسلمان على بعضهما البعض ويقولان كنا سعداء بالمباراة السياسية ، نحن وهم . في آخر جلسة وقف منا من حيا المحكمة على سعة صدرها وحكمتها ووطنيتها ، وعبرنا عن موقفنا من النظام من جديد موقف الوحدة والصراع . التأييد والنقد . ثم قلنا لهم : لا يهمننا الحكم الذي سيصدر ، لأن صدوره نابع من اعتبارات سياسية اخرى غير المحاكمة . ان ما يهمننا اننا خلال مدة ثلاثة شهور تحدثنا في مسائل بلدنا معكم ، وانتم جزء من السلطة . وردوا علينا بكلمة طيبة وانتهت المحاكمة .

يقول سعد رحى ، « لقد قال سعد عصفور المحامي في مرافعته ، أن كانت المحكمة مطبوخة سلفا فما الداعي للمحاكمة . كما كنا نقول نحن من داخل القفص عند الاحتجاج على بعض تصرفات المحكمة ، اخرجوا الاحكام من جيوبكم .

أما بتقييمي للقضية ، فان وقوف الزملاء والاعتراف بالعضوية والدفاعات السياسية المختلفة ، في زمن تلك الحملة للبشعة ، كان يشكل قمة التحدي للتصفية وتأكيد وجود الحزب .

ويقول حلمى ياسين ، « ان الاهمية الكبرى لهذه القضية ، هي انها أول قضية يقف فيها الشيوعيون امام المحكمة ويعطون عضويتهم في حزبهم ويدافعون عنها . كان الموقف العام قبل ذلك هو الدفاع السياسى دون الاعتراف بالعضوية . اعتراف المتهمين بانهم شيوعيون أو ماركسيون دون الاعتراف بالعضوية . الا ان الموقف هنا ، كان الاعتراف الصريح بالعضوية في مواجهة المحكمة ، ولعدد كبير من المتهمين . »

لم نكن نلتمس العفو أو الرحمة . ولكننا كنا كما قالت النيابة ، ندافع عن عضوية الحزب في زهو وفخار واعتزاز ، دون مبالاة بالنتائج القانونية . كانت المعركة بالنسبة لنا ، هي الدفاع عن حق الحزب في الوجود التنظيمى المستقل ، وكان الاعتراف بالعضوية امام المحكمة - بناء على ذلك - ضرورة سياسية وتاريخية .

الا ان هنالك سلبيات كشفت عنها المحاكمة . ويمكن تجميع هذه السلبيات تحت عنوان واحد هو ان الحزب لم يكن موحدًا سياسيًا . كان من الممكن أن تكون القضية أقوى من ذلك بكثير ، لو وقف أعضاء اللجنة المركزية جميعًا موقفًا واحدًا واعترفوا بالعضوية . لقد ذهب كثير من الجهد في الجدل والمناقشات وفي للضغوط على الرفاق حتى لا يعترفوا بالعضوية ولو كان هذا الجهد قد وجه الى مزيد من الاعداد للقضية والدفاعات السياسية لكانت افضل من ذلك بكثير وأقوى .

ولو كان الدكتور فؤاد مرسى أول المتهمين والذي كانت تنظر اليه المحمة باعتباره سكرتير الحزب قد استهل المحاكمة بدفاعه السياسى الجيد مع الاعتراف بالعضوية ، لكان لهذا الموقف وقع آخر ، هام جدا وخطير جدا ، على سير المحاكمة وموقف بعض المتهمين .

ان عدم دفاع المتهمين الأول والثلاث فؤاد مرسى ، اسماعيل صبرى وسعد زهران عن العضوية قد ترك أثرا سيئًا على الرفاق ومدخل القضية . ساعة ان وقفت بعد هؤلاء الزملاء باعتبارى المتهم الرابع ، كان قفص الاتهام في حالة من الاحباط الشديد ، مما جعلنى متوترًا للغاية . كنت اخشى أن يكون خبر اعترافى بالعضوية قد تسرب الى المحكمة ، فامنع بشكل أو آخر من اعلان هذا الموقف . كنت اجلس في القفص طوال دفاعات الرفاق الثلاث صامتا مهموما امام الحمل الملقى على عاتقى ، والذي اخشى الا امكن من القيام به . وعندما وقفت ورواغت رئيس المحكمة حتى التيت دفاعى السياسى ، ثم أخيرا اعترافى بالعضوية ، احسست فجأة كأن نوراً

ساطعا يغمر قاعة المحكمة كلها . وتحول الاحباط الى انفعال عاطفى عام  
اجتاح كل الرفاق باستثناء ثلاثة أو أربعة منهم .

ان كان الدكتور فؤاد مرسى هو البسلاوى بهذا الموقف ،  
بالإضافة الى دفاعه السياسى وقدراته فى التعبير واللقاء كاستاذ جامعى ،  
والهالة المحيطة به باعتبار انه السكرتير العام للحزب « رغم انه لم يكن  
كذلك ، لكان الدفع والاثار اقوى بكثير ولصالح القضية من الناحية  
السياسية .

لقد كانت هذه المسألة نقطة ضعف شديدة ، اذ اصبح واضحا امام  
الجميع ، ان هنالك خلافا داخل الحزب ، وان هذا الخلاف قد اصبح الآن  
معلنا خارجه ، مجموعة تعترف بالعضوية وتتحدى ، ومجموعة تتفادى هذا  
الموقف . بدأ بوضوح ان هنالك اتجاهين داخل الحزب ، وان هنالك  
انقسام داخل الحزب ، وان الموقف فى القضية قد كرس هذا الانقسام  
واعطسه .

بعد المحاكمة رحلنا الى اوردى ليمان ابو زعبل . كان ذلك فى ٧  
نوفمبر ١٩٥٩ . كنا الدفعة الاولى التى افتتحت . ولا يمكن الفصل بحال  
من الأحوال بين موقفنا اثناء المحاكمة وما جرى علينا هنالك فى تنكيل  
وتعذيب . اننا بدلا من محاكمة حزبنا كما كانوا يرغبون حاكمنا الحزب  
الحاكم ، ووضعنا النظام فى قفص الاتهام . ومن هنا كان ابو زعبل محاولة  
اجرامية لتأديب تلك الزمرة من المعاندين ومحاولة تفكيرهم بحقيقة من  
يواجهون .

ويقول الدكتور فؤاد مرسى ، « ابو زعبل كان نتيجة مباشرة للانتصار  
السياسى الذى حققه الحزب فى المحاكمة . بالطبع هنا الجو العام الذى  
كان ، جو الصراع السياسى بين مصر والعراق . لكن لمساذا تقرر تعذيبنا  
وتعذيب الشيوعيين المصريين حتى يندموا ويستذكروا شيوعيتهم ؟ كانت  
هى المحاكمة التى تمت فى الاسكندرية طوال ثلاثة شهور » .

ويكمل حلمى ياسين ، « صدرت الاحكام . وكما كنا نحن بداية  
ابو زعبل ، كنا نهايته . فوجئنا فى احد الايام ، بعد ترحيل كل المعتقلين  
الى الواحات ، باستدعاء الدكتور فؤاد مرسى الى الادارة . لم نكن نعرف  
سبب الاستدعاء . وعندما عاد قال ، « لقد حكم على بعشر سنوات » .  
واخذ الرفاق يهتفون ، « عاش الحزب الشيوعى المصرى » .



استدعوننا جميعا طبقا لترتيب قرار الاتهام . كان نائب الأحكام هو الذى يتلو الحكم على كل منا فى حجرة قائد الاوردي خارج السجن . كان الواحد منا عند استدعائه ، يدخل الحجرة فيجد نائب الأحكام الذى يتلو اسمك والحكم الصادر ضدك . كل ذلك لا يستغرق أكثر من ثانية واحدة . بعد سماع الحكم ، كان كل منا يهتف « عاش الحزب الشيوعى المصرى » .

ويقول سعد رحى ، « بعد أن ذهبنا الى أبو زعبل ، ثم انتهى أبو زعبل ونحن فيه ، صدرت الأحكام . كان يعلنها جاد الحق نائب الأحكام . يقول صيغة الحكم والمدة المحكوم بها على أى منا . بالنسبة لى قال عشر سنوات اشغال شاقة وغرامة قدرها ألف جنيه ومصادرة المضبوطات . بعد أن انتهى التلاوة نظرت اليه من أعلى اسفل ثم قلت ، ولو ، ..

بعد الأحكام بأسبوع أو عشرة ايام رحل الجميع الى الواحات . وانطلق اوردي ليمن أبو زعبل .



# نهایة مرحلة و بدايئة أخرى

## نهاية مرحلة وبداية مرحلة

انتهت المرحلة الأولى من سياسة التصفية ومخططها .

انتهى معتقل منا . ولم يقض على الرفاق السبعة الذين كانوا رمزا  
لسبب الحرب كله . لقد هزموا محاولة ترويضهم ثم افسادهم . وغدا  
. رلاء المناضون الباقون مصدر ذعر وقلق لادارة المعتقل ذانها . فترسل  
الى منفى الواحات نخلصا منهم واعلنا عن فشل ما استهدفت ،  
يشكوا هم واشقاء لهم قبض عليهم فجر العام الجديد ، باكورة المعتقلين  
و، معتقل المحاريق .

وينتهي السجن الحربى ، ذاك المجرى البشرى والسلخانة الجهنمية  
الى هزيمة ، تشهر عجز وفشل كل مسعى لافتعال قضية وهمية عن انقلاب  
سكرى شيوعى لبس له اى وجود فعلى . والصامدون امام السوط  
والمخيل والنايب ، يسحقون باجسادهم الممزقة ، وارادتهم الصلبة  
الصدة ، ارادة الثوار كل الصلف والعنجهية والبربرية التى يتحلى بها  
سادة السجن الحربى ، واقترانهم فى المخابرات العسكرية حينذاك .

ونتهى محاكمة قادة الحزب وقياداته ، امام المحكمة العسكرية  
العليا ، التى محاكمة للنظام واعماله ومواقفه وسياساته . وتدوى  
حنينات قاعة المحكمة ، اعترافات رجالاته بشرف الانتهاء الى الحزب  
وعصويتهم به فى نخار وزهو واعزاز . وتنقلب الآية ، ليصبح قفص  
الاتهام هو منبر الاتهام الى سادة النظام والحكام . وعندما تعلن المحاكمة  
اغلاسها السياسى - وهو واحد من اهم اركانها - وتتحول محاولة التشهير  
بالتسييين الى فضح لاختفاء النظام ، وعرض سجل حافل بنضال الحزب  
للسيرى المصرى ، ترحل القضية - تأديبا وتهذبا - الى معتقل اوردى  
أبو زعبل ، ليكون قادة الحزب وقياداته ، هم باكورة الداخلين من بوابته ،  
المحشورين فى زمرته .

وينهى معتقل الفيوم . يسحق فيه المناضلون الشيوعيون والوطنيون  
والديمقراطيون والنقابيون وانصار السلام ، من له انتماء ومن لم يكن له  
اى انتماء ، سياسة التعذيب النفسى الجماعى والتعذيب الجسمى الفردى ،  
بوحدة صفوفهم وارادتهم واصرارهم على بقاء كياناتهم الادمية  
والسياسية . ينجح الثوار فى تمزيق معتقل العزب ، رمز هذه المرحلة من  
مخطط التصفية وبؤرتها وعين اعصارها . فيدحرون المرحلة فى عقر دارها .  
ويبعثرون كل الاوهام التى كانت تحلم بتفسيخ المعتقلين وتفريدهم وتحويلهم



الى مجرد ارقام لا نملك من أمر نفسها شيئا ، الا ان تقبّع بلا ارادة تحت حذاء الارهاب ونعله الحديدى . انتهى معتقل العزب الى ارتداد سهم البطش الى نحر صاحبه لينحره . وليملك المعتقلون ارادتهم النضالية ، وتفقد الادارة ارادتها الدموية . ويصنف معتقل العزب ، ويحتشد كل من كانوا فيه الى منفى المحاريق أو اوردى ليمان أبو زعبل .

تنتهى المرحلة الأولى من خطة التصفية ، وقد اثبت ابناء الشعب الامناء على قضيتهم ، المدافعين بحق عن حقوقه ومصالحه ، انهم جديرون بانتسابهم اليه وارتباطهم به . ورغم كل ما عاتاه هؤلاء المناضلين ، رغم آلامهم وعذاباتهم ، ظلوا ايضا عند موقفهم المسئول الذى تحكمه الخشية على مصير الوطن . موقف تنبيه النظام وتحذيره من مخاطر السياسة التى ينتهجها ومغبة الحرب الذى يسلكه : مخاطر سياسة العداء للشيوعية والديمقراطية ، ومغبة درب تفتيت القوى الوطنية وتمزيقها ، محليا وعربيا وعالميا . الا ان النظام غلب مصالحه الانانية للخاصة على الصالح الوطنى والقومى العام . وظل على موقفه ، لا يرى فى هؤلاء الذين سقطوا فى اسره وقبضته الا عدوا طبقيًا تمكن منه ، ولا بد له من سحقه . لم ير فى هؤلاء المناضلين مصريين يشكلون ركنا هاما فى الوطنية المصرية ، ووجدان هذا البلد وتاريخه . رأى فقط سلطته ومصالحه فى اضيق الحدود باقصر قدرات البصيرة وملكاتنا . فجرع هزيمة المرحلة الأولى ، ليبدأ المرحلة الثانية على مستو من الشراسة الهمجية اشد وانكى ، وبصورة لم يسبق لها ان حدثت فى مصر ايام احلك عصورها زمن الاستعمار .

بدأت مرحلة اوردى ليمان أبو زعبل ومنفى المحاريق فى الواحات الخارجية .

بدأت المرحلة الثانية من التصفية . مرحلة التعذيب النفسى الجماعى الى أقصى الحدود ، والتعذيب البدنى الجماعى الى أقصى الحدود . مرحلة القتل البطيء والقتل السريع . القتل الفردى والقتل بالجملة . التصفية الجسدية والابادة . مرحلة حياتك أو عقيدتك . مرحلة لا ترى للمعتقل حقا فى أن يحتفظ بحياته وعقيدته معا . انها ترى ذلك كثيرا عليه ، وعبثا بجنب ان تريحه من واحدة منهما . لقد غدا شعار المرحلة الثانية ، لا عقيدة ان اراد الحياة ولا حياة لمن تمسك بعقيدة .

واسترخى الكابوس على صدر مصر ، وارتفعت قبضات الاجهزة الامنية وغدت سطوتها هى العليا ، وما كان المقصود بكل ما يجرى لرجال المحاريق وأبو زعبل ، ان يكون الامر خاصا بهم فى ذاتهم فقط ، لكن

المقصود ايضا كان هو الشعب المصرى بأكمله ، ان تغلق الافواه وتقلش  
الارادات ويسود الوصاء .

بذات الهجمة الحموية الثانية ، ومعها بدأت المواجهة النضالية ،  
والاعداد للهجمة المضادة الثانية . وتساقط الشهداء رافعين الرايات ،  
وتدوّثت صفحات . واسود صبح النهار ، وتلطن وجه التاريخ بالخزى  
والعاز . القتلة مصريون . والقتلى مصريون ، والثكلى والارامل والايام  
مصريات ومصريون . باسم الوطنية ذبح الوطنيون ، باسم الاشتراكية  
ذبح الاشتراكيون ، والاعداء بباب الدار يتربصون . ومصر تتعذب من  
اذناء لها حكموا باسمها ، لينكلوا باشراف من حبلى وأخلص من انجبت .  
وخلف القضبان والاسلاك الشائكة ترتفع اعلام محمد محمود عثمان  
بمصطفى شوقي البهنساوى حمراء خضبتها دماء الشهادة ، وتحتها سسار  
المخاضلون الشرقاء المخلصون يقسمون يمين الوفاء للحياة والمعتقد ،  
فلا حياة بلا معتقد ، ولا معتقد بلا أحياء .

# الباب الثالث

رجال ونساء

في

سجن القناطر





( أ ) سجن القناطر — رجال

اكرام حارب

انور نعمان

جمال الشرقاوى

صابر زايد

عبد المحسن شاشه

فاريق ثابت

شريد رمزي

فوزي حبشي

فؤاد مصطفى

نجاتي عبد المجيد

نسيم يوسف

مبارك عبده فضل

محمد يوسف الجندي



# الفصل الأول

## البداية

القناطر الخيرية بناء شامخ ، أمر والى مصر محمد على الكبير بإقامته على مجرى النيل قبل ان ينشطر الى فرعين : فرع دمياط الى الشرق وفرع رشيد الى الغرب .

القناطر الخيرية نسمع بها منذ صبانا ، كمنطقة حدائق غناء فيحاء ، واسعة ، شاسعة ، كانت ، الى عهد قريب ، وقبل أن تغدو استراحة لرؤساء الجمهورية ، رثة حانية لشعب القاهرة وما حولها ، يلجأ الناس اليها ، شيبا وشبابا ، اسرا كاملة في الاعياد والمناسبات ، فتمنح العامة راحة العصب ، ومتعة العين بالخضرة والازاهير ، فينطلق الجميع في فرح صახب ، تراحم فيه صوصات الصبية والأطفال شقشقة. للعصافير ، وغناء الطيور الشادية .

في هذا المكان الذى أقيم للخير والمتعة ، بنى سبجنان ، سجن للرجال أطلق عليه اسم « اصلاحية الرجال » ، وسجن للنساء ، يقع في مواجهة السجن الأول . ذلك السجن الأول الذى كنت به نزيلا ، فترة من الزمان (١) .

ففى ٢٩ مايو ١٩٥٤ ، القى الصباغ حسن المصيلحى واليوزباشى محمود مراد ، من المباحث العامة ، القبض على ، في مدينة طنطا ، بتهمة الشيوعية . كنت وقتها اعمل مدرسا للطبيعة في أحد المدارس هناك . وحملت في أحد السيارات ، التى تحرسها سيارة أخرى ، الى القاهرة - وفي مبنى المباحث العامة ، وجدت المناضل محمد محمود عثمان ، والنقاسى المناضل صلاح هلال . ومن المباحث العامة ، بعد التحقيقات الاولى معنا نحن الثلاثة ، نقلنا الى خشبية قسم الخليفة ، ومنها الى سجن مصر ، سجن قرة ميدان .

كانت الرهبة تملكنى وانا اخطو عتبة السجن ، اشم آخر انفاس الحرية ، تتقيد أيامى بفيد الفضبان ، الى زمان ، لا ادرى او يدرى أحد ، متى تكون نهايته . ما ان دخلت عنبر « ج » ، حيث كان المسجونون التسويعون ، حتى انقشعت الرهبة . كان خبر وصولنا قد بلغ الرفاق في

---

(١) فخرى لبيب .

العنبر ، فاعدوا لنا استقبالاً حافلاً ، بالاحضان والتهنئة والانشيد . وأطاح  
دفء المناضلين وحماسهم بكل شعور العجز والغربة . وفوجئت بالعنبر يزدان  
بصور ضخمة للينين وماونسي تونج ، واعلام ورايات وزينات وبالونات  
رأيت منعددة الالوان . وخيل الى أنى قد انتقلت الى عالم غير العالم  
الذى كنت فيه . ففى هذا العنبر من السجن ، اقام التسويوعيون مقاطعة  
لهم ، خلف القضبان . ووجدت للرهبنة ، التى انقشعت ، يحل محلها  
التساؤل والفضول عما أرى . كان هنالك من زملائى الذين سبقونى الى  
السجن ، عبد الله كامل ، منصور زكى ، درويش مصطفى وعمر مكاوى .  
وعرفت منهم أن اليوم هو الأول من يونيو - عيد الطفولة ، وأن الرفاق به  
يحتفلون .

جاء المساء ، واغلقت الزنازين . تلك أول ليلة اقضيها فى زنزانة .  
أول ليلة يخلق فيها باب « مخدعى » من الخارج . كنت وحيداً أفكر فى  
امس ، حيرة ، تتلاحق امامى كشرائط متصل ، متقطع ، مترابط ، متناثر  
انا حتى اللحظة ، لم الملم شتات أفكارى . كيف امسك بى ؟ هل فى الامر  
خيانة ؟ كيف يستمر العمل التنظيمى بالخارج ؟ كيف اخبر اسرتى بالنبأ ؟  
ماذا سوف يحل بعملى ووظيفتى ؟ ماذا لدى المباحث العامة من ادلة ؟  
ما الاحتمالات ؟ ما الوضع هنا ، وكيف الحياة فى الاسر ؟ افقت على دقائق  
على حائط الزنزانة . ناديت على الرفاق فى الزنزانة امامى . تساطعت  
من أين تانى تلك الحقائق ؟ وماذا على أن أفعل ؟ قالوا ، هذه الحقائق  
« يا كركى » ( أى حديث العهد بالسجن ) تأتيك من سجن النساء والحائض  
الذى الى يمينك هو الحائط الفاصل بينك وبينهن انه عنبر « د » . اصعد  
الى طاقه الزنزانة تعرف ماذا يردن . . وتلاشت كل خواطرى وهواجسى ،  
ونركزت فى شئ واحد ، هو ذلك الامر العجيب ، سجن للنساء ، فى قلب  
هذا السجن العادى الملىء برجال ، انقطعت اسباب الحياة بينهم وبين  
الخارج . وجاعنى الصوت رقيقاً ناعماً . لا ادري ان كان حقاً كذلك ، ام  
تلك تهويمات الحبس وأوهامه . قالت : اريد اسبرينه ، عدت انسادى  
الرفاق ، أخبرهم بما تريد ، وهو شئ لبس فى حوزتى . ضحكوا فائماً ،  
ليس ما تريد مسكنات أو مهدئات ، انها تريد مكيفات ، تريد سيجارة .  
قلت ، وكيف ارسلها لها وبيننا جدار ؟ قالوا : مد يدك فى قضبان الطاقه ،  
تلقى عليها « بالتليفون » ، قلت وماذا يكون هذا التليفون ؟ قالوا كيس  
قمائش ، مربوط فى نهاية خيط . مد يدك فقط ، وهى تدرى كيف تلقى به  
على ذراعك . وقد كان .

كان عنبر « د » هذا هو سجن النساء . الدور الأرضى فيه لمن هن  
تحت التحقيق والمرضعات ، والدور الثانى ، الذى كان يقابل الدور الذى



أقيم فيه ، هو دور سجينات الآداب ، والدور الثالث للجرائم الخفيفة ، كالسرقة والنشل والاعتداء ، وما سابه . أما الدور الرابع ، والآخر ، فقد كان دور المعلمات ، القننة وتاجرات المخدرات ، وكان في ذلك السجن ، في ذلك الحين ، عدد من الآفسات المتهمات بالشيوعية تحت التحقيق . وكذا السيدة تحية كاريوكا في قضية سياسية .

وفي أكتوبر ١٩٥٤ ، حاول الإخوان المسلمون ، اغتيال عبد الناصر . وكان رد الفعل هجمة ثأرية منه عليهم . وانطلقت أجهزه الامن تجمع . ونقمع ، ونملا مختلف السجون . وافرغ سجن قره ميدان منا ، نحن الشيوعيين . وبدأ ترحيلنا الى سجن - الرجال قناطر . كان اليرضع الذي يعيشه الرفاق في سجن مصر قد تحقق نتيجة فضلات متصلة ، من امتناع الى اضراب عن الطعام ، الى حملات للعائلات والاسر . ان هذا الوضع ، الذي بهرنى ، ساعة خطوت الى عنبر « ج » ، لم يكن دلالة على حسن نية الادارة أو أجهزة الأمن . لكنه كان نتاج تضحيات جسيمة دفعها الرفاق من اعمارهم وابدانهم ، حتى يصلوا الى ما وصلوا اليه . وكان الانتقال الى سجن القناطر يطرح ، من جملة ما يطرح ، احتمال اساسى وجوهري : هو العودة الى الصفر والبداية من جديد . أى وضعنا في ظروف سيئة مليئة بالقيود والحدود ، وعلينا ان نبدا صراعا جديدا ، من أجل توفير « ظروف سجنية » مناسبة للآدميين ، . وفي اعتقادى أن هؤلاء الذين كانوا في سجن مصر ، تحت التحقيق ، ونقلوا الى سجن القناطر - رجال ، كانوا أول دفعة سياسية ، على الاطلاق ، تلج باب هذا السجن . ومعنى ذلك ، أننا سوف نلتقى بادرة لا خبرة لها في التعامل مع السياسيين أو أننا سنوضع في سجن به اوضاع لا حراية لنا بها . وهكذا دخل اسم سجن القناطر « اصلاحية الرجال » قائمة السجون النى كان عليها اسنضامتنا .

قضينا جل اليوم في اجراءات التفتيش والنسكين في الزنبارين . كئنا . على أى حال ، نجحنا في دخول السجن ، ومعنا احمالا من أوراق وتقارير ، هى مؤونتنا ، وعدتنا الفكرية . وجاء المأمور وحوله مجموعة من ضباط السجن وصف ضباطه . كان يقوم بجولة ، ودار معه نقاش حول بعض الاوضاع ، واحتد النقاش ، وفجأة هتف أحد الرفاق الشبان « تسقط الادارة المجرمة » . وأعلن المأمور الا مكان للنقاش ، وإنما سوف نرى ، بحق ، ما هى الادارة المجرمة . وعندما اغلقت الزنازين ، في تمام المساء ، عوت كلاب متوحشة ، تبجو أصواتها هادرة بشبق نهم يشتاقي الى اللحم البشرى . وساد العنبر صمت رهيب . وسمع صوت المفتاح في باب

زئزنة ، ثم ارتفعت أصوات الصراع ، والعواء ، والصراخ ، واختلطت .  
كان من الواضح أن قائد السجن قد دفع بكلابه الوحشية في  
الزئزنة ، حيث انقضت على الرفاق العزل ، من كل سلاح وأى سلاح .  
وانفجر السجن كله بحقات عاصفة تزلزل الأبواب وهتافات تدوى بين  
الجدران . كان ذلك يعنى أن هدنة سجن قرة مبدان قد انتهت . وأن  
الحرب قد اعلنت مرة أخرى .

في الصباح لم تفتح أبواب الزنازين ، أصبحت تغلق ما يقرب من  
ثلاثة وعشرين ساعة في اليوم . لا طواير شمس ، لا جرائد ، لا مجلات  
ولا اذاعة . لا زيارات ، لا امانات ، لا تعامل مع الكائنين ولا علاج .  
الزنازين تفتح واحدة بعد الأخرى ، من أجل الذهاب الى دورة المياه .  
لا تفتح واحدة ، الا وقد اغلقت السابقة . التفتيش يومية ، عند تمام  
الصباح ، وتمام المساء . السحب للتأديب والحبس الانفرادى ، الجلد  
والاعتداء . كان من الواضح أن تلك خطة كانت معدة ، وأن قائد السجن .  
وصولا لها ، عمد الى الاستفزاز ، حتى يبرر مسلكه ومسئوليته . بدأت  
التكديرة ، وعدنا الى ما دون الصفر من جديد .

سكان هذا السجن ، الذى يحمل زورا اسم « اصلاحية الرجال » ،  
خطيط غريب من البشر . يحمل البعض منهم ، فوق اكتافهم ، أحكاما تصل  
الى المائة عام . هم فاقدوا أمل في يوم قريب يجتازون فيه عتبات هذا  
السجن الى العالم خارجه . أى مشاعر تنتابهم ، وأى حياة يحيون ؟ أى  
نوع من الادارة توكل اليها مهمة ان تسوس مثل هؤلاء ؟ قيل أن المسجون  
المكلف بتنظيف حجرة قائد السجن قد سرق بعض نقوده . اقتيد السجين  
الى التأديب ، حيث علق على « العروسة » ، صلبا . وتبادل اثنان من  
السجانة جلده ، مع حرمانه من الماء والطعام . كانت التعليمات ان تستمر  
معه هذه « المحاولة الاصلاحية » حتى يقر بموضع ما سرق . الا انه في  
اليوم الثالث مات . واثمنا نحن السجن ، ولم نقعده . اضربنا عن الطعام  
حتى جاءت النيابة . سجلنا محضرا بكل ما رأينا وسمعنا ، وقال تقرير  
الطبيب الشرعى ، بعد تشريح الجثة ، ان معدة الرجل كانت خالية ، وأنه  
قد أصيب بالعمى ، قبل أن يموت . وأن سلسلته الفقرية قد قصمت من  
الضرب والتعذيب . وجوزى قائد السجن بنقله الى سجن آخر مع نرقيته .  
من المجرم الحقيقى في هذا السجن ؟ السجنان أم المسجون ؟ القائد أم  
مصلحة المسجون ؟ لقد نقلنا الى سجن ، الانسان فيه بلا ثمن . اصلاحه  
قتله ، .وجزاء القاتل رتبة أعلى .

نحاملت علينا ادارة السجن . أكثر فأكثر ، لفضحنا بتساعة أسلوبها في التعامل مع السجناء . فزاد التضييق وارتفع معدل الاحتكاك . وقررنا ان نرد على الادارة بمثل أسلوبها . فأى اعتداء يقع على أحد الرفاق لابد وأن يرد الرفيق هذا الاعتداء ، ويكون الرد موجها الى الضابط المصاحب للسجان المعتدى . وتعمدنا أن نلقى في طرقة العنبر بورقة كتب فيها هذا القرار ، وبالفعل « عثر » سجان الدور على الورقة القرار . ونقلها على الفور الى ادارة السجن . ويجدو أن الادارة رأت ان تتيقن من صحة ما جاء في هذه الورقة ، فظهر ضابط العنبر نحوطه عصبة السجانة ، وفتحت واحدة من الزنازين . وبدأ الاحتكاك ومحاولة الاعتداء على الرفيق محمود العطار . ولسوء حظ الضابط ، كان هذا السجن الشيعوى ، تحت التحقيق ، طالبا في كلية الحقوق ، وواحدا من ابطال الملاكمة بالجامعة . وفي لحظات كان الضابط يتلقى اللكمات المتتالية أمام جنوده المصعوقين . وهكذا ، تحققت الادارة ، بالفعل ، من صحة ما جاء في الفرار ، واقتيد محمود العطار الى التاديب .

كانت اوضاع السجن أسوأ من أن تحتل . فادارة السجن التي اعتادت « اصلاح الرجال » بقتلهم ، ما كان في وسعها الا ان تكون ادارة عاتبة ، لا تراعى حرمة قانون او لائحة ، تفرض قانونها الخاص ولائحتها الخاصة ، تستند الى المباحث العامة ، تدعمها في موقفها منا ، نحن الشيوعيون . ولذا كان لابد من دخول معركة اضراب عن الطعام . وبدأ الاعداد لها ، داخليا ، فيما بيننا ، وخارجيا بين عائلتنا والراى العام المصرى والعربى والعالمى . كان معنا في السجن رفاق سودانيون واردنيون وفلسطينيون من قطاع غزة ، وبذا كانت المعركة للسجنية ذات صبغة « قومية » . وظل الاضراب ثلاثة اسابيع حتى استجيب لغالبية مطالبنا . وكانت تلك المطالب ، في الأساس ، تطبيق لائحة السجن ، بدلا من لائحة ادارة السجن والمباحث العامة . فهؤلاء الذين يزعمون انهم يحمون القوانين القائمة ، ويضعون المخالفين لها في السجن ، تأديبا وتهذيبا واصلاحا ، هم أشد الناس مداوة لهذه القوانين ، وخروجا عليها وخرقا لها ، بل وتمزيقها ايضا ، وهم يستثمرون في السجناء ، كل نوازع القتال ، دفاعا عن بقايا وجودهم الانسانى .

في هذا السجن ايضا ، وقد تحسنت الاحوال بعض الشيء ، بدأت معركة سياسية من أهم المعارك في تاريخ الحركة الشيوعية المصرية ، وكانت تلك المعركة ، هي معركة توحيد الشيوعيين في حزب واحد . كان السجن يضم كثيرا من قيادات التنظيمات الشيوعية المختلفة . كانت هنالك الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى « حدتو » ، طليعة الشيوعيين المصريين



( ط ، ش ، م ) ، النجم الأحمر ، نواة الحزب الشيوعي ، التيار التورى  
( ت ، ث ) ، منظمة الحزب الشيوعي المصرى ( الراية ) ، منظمة  
الديمقراطية الشعبية ( د ، ش ) وبقايا المنظمة الشيوعية المصرية  
( م . ش . م ) . وقد قبلت الخمس منظمات الأولى دخول هذه المعركة ،  
فى حين رفضتها كل القوى الأخرى بحجج انقسامية مختلفة . وقد شارك  
الرفاق الفلسطينيون - وكان على رأسهم ، حينذاك ، معين بسيسو  
وآخرى مكى - فى هذه المعركة ، فى اتجاه تأييد الوحدة ، ومساندتها . كانت  
هناك لجنة مسئلة عن مفاوضات الوحدة ومناقشة وثائقها  
( الاستراتيجية - التكتيك - البرنامج واللائحة ) . كانت كل تلك المناقشات  
الدائرة فى اللجنة ، تعرض على كل الرفاق داخل السجن وخارجه ، فى  
مجلة تعرض هذه القضايا وتطرحها على الجميع ، ثم كانت هناك اجتماعات  
تجرى فيها مناقشات علنية ومفتوحة ، حول كافة نقاط الخلاف والاتفاق .  
واسنمرت هذه المعركة قرابة عام ، وانتهت بتوحيد هذه المنظمات الخمس ،  
فى ٥ فبراير ١٩٥٥ فى « الحزب الشيوعي المصرى الموحد » . وأعلن هذا  
الحزب ، عند تكوينه ، انه ليس حزب كل الشيوعية فى مصر ، لكنه خطوة  
هامية وتاريخية ، على طريق الوحدة الشاملة .

كان سجن القناطر - رجال ، هو سجن المقبوض عليهم ، من  
الشيوعيين ، تحت التحقيق . وبالتالي ، فقد كان من فيه ، فى حركة  
دائبة ، أمام النيابة للتحقيق ، أمام المحكمة للمحاكمة . ثم ترحيل  
المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة ، بعد التصديق على الأحكام ، الى منفى  
« جناح » بالوحدات الخارجة . كانت هذه الحركة فى صالح المسجونين .  
فهم أمام النيابة يسجلون كل اعمال القمع والتضييق التى تتخذها ادارة  
السجن ضدهم ، ويطالبون بتدخل النيابة العامة باعتبارها الجهة المسئولة  
عنهم . كما ان مثولهم أمام المحكمة ، كان يعطيهم الفرصة لفضح كل أساليب  
البطش والارهاب التى تلجأ اليها الادارة ، بتعليمات من المباحث العامة ،  
خروجاً عن كل عرف وقانون ولائحة سجون . كما كان ترحيلهم من سجن  
الى سجن ، أو الى المنفى ، مظهرة صاخبة يعلنون خلالها ، بالهتافات ،  
موقفهم دفاعاً عن الشعب ، ولماذا هم فى أسر الدولة . كانت الحركة  
بين مختلف السجون ، ايضاً ، انطلاقا من سجن القناطر ، بمثابة رسائل  
شفهية أو تحريرية الى كل الرفاق ، فى أى مكان هم فيه مقيدون ، بآخر  
الاخبار عن الداخل والخارج ، ايضاً .

وهكذا نجح سكان القناطر - رجال ، من الشيوعيين ، فى فرض  
تراثهم النضالى داخل السجون من أجل تحقيق ظروف شبه آدمية ، فى  
مثل هذا المكان .



وجاءت حملة يناير ١٩٥٩ ، وما تلاها من حملات ، « ليعمر »  
السجن : من جديد ، بالشيوخيين تحت التحقيق ، أو المقبوض عليهم ،  
على ذمة قضايا شيوعية .

\* \* \*

في عام ١٩٥٤ ، في ذات الفترة الزمنية ، على وجه التقريب ، النى  
مشى فيها عنبر « ج » في سجن قرة ميدان من السيوعيين ، نقلا ، الى  
سجن اصلاحية الرجال بالقناطر ، أخلى عنبر « د » من النساء ، جميعا ،  
نقلا ، الى سجن النساء بالقناطر . وانتقلت ، ايضا ، الى هناك ، الرفيقات  
اللائى كن تحت التحقيق ، نم حكم على البعض منهن مغلون سجينات .  
لم يكن العدد كبيرا . كان محدودا ، حتى جاءت حملة يناير ، وما تلاها ،  
وخاصة حملة مارس ، ليرتفع عدد المقبوض عليهم من النساء الشيوعيات  
تأحاكمة أو الاعتقال ، كما لم يحدث في تاريخ مصر ، حتى ، في ظل  
اسد عهودها اظلاما .

ربناات : رحلة جديدة ، وافتتح سجل جنيد لقتلهم . سجن : بورس  
الشير أو الزهور المانعة والطيور الشادية ، لكنه سجل يوثق بشاعة الذى  
ارتكب بحق المصريين عامة ، والنساء منهن خاصة .



# الفصل الثانى

## الحملة واعداد القضايا

الحملة ، النى بدأت مع دقات العمام الجديد ، ما زالت مسادرة هادرة . القناصة للذين أوقعوا بالقيادات فى الأول من يناير . ووجهوا حملة ، استهدفت الجذور ، فى مارس . ما زالوا يحسبون أن الحزب الشيوعى المصرى لم يستسلم . كان ابغاؤه ما زالوا يعملون ، ببسالة . دفاعا عن خنادقهم الأخيرة . كانت الظروف قد غدت أكثر مواتاة لاجهزة الأمن . الحملة استهدفت غرس الخوف عند عامة الناس ، واخبار التعذيب ، تروجها أجهزة الأمن ، نفسها ، كواحدة من أدواتها فى فرض الارهاب ، تحت شعار « اضرب المربوط ، بخاف السايب » . الا ان الخوف لم يكن هو الذى تسرب الى من بقى من أعضاء الحزب . كانت الامكانيات تزداد ضالة ، وامكانيات الحماية التى يمكن أن يوفرها الأصدقاء والمنعاطفون تزداد انكماشاً . وبذا أصبح من السهل على أجهزة الأمن تحديد مواقع التواجد ، وحصارها . كانت الضربات التى تصيب الرفاق ، تصيب التنظيم الحزبى ، بالضرورة ، وتفرض اتصالات جديدة ، وتشكيلات جديدة . وكان الاتصال مع القيادة المركزية ، ينقطع أحيانا ، ثم يتصل ، ثم ينقطع ، وهكذا . وكانت أجهزة الأمن تترك ، فى بعض الاحيان ، أحد الرفاق الهاربين الذين تم اكتشاف مخبيثهم ، كخيطة لها ، تتابع من خلاله خيطا أخرى . وهكذا يقع رفاق آخرون فى عس العنكبوت .

القاهرة ضربت لجنتها القيادية ، أكثر من مرة ، وانقطع اتصالها باللجنة المركزية ، أكثر من مرة . لكنها كانت تتشكل ، من جديد . القيادة المركزية تقرر التشكيل ، وتضيف اليه رفاقا آخرين من الرفاق القياديين النشطين والمعروفين ، تاريخيا . كما تبعت بتحليلها السياسى ، عن الاوضاع الجارية ، الى لجنة القاهرة . الرفيق نسيم يوسف ، والذى كان قد اختير عضوا احتياطيا باللجنة المركزية ، يقوم بتحديد موعد لقاء بنسبه وبين باقى رفاق لجنة القاهرة : سعد الطويل ، عبد الله الزغبى وأحمد الجبالى ، عند الهرم الثالث . هنالك ، عندما وصلوا ، لاحظوا وجود عدد كبير من العمال قادمين نحوهم ، وعندما أصبح العمال حولهم ، خرج من بينهم اثنان يحملان المسدسات ، آمرين الرفاق بالا يتحركوا . ثم

اقتيدوا الى عربات المباحث العامة التي كانت في الانتظار ، ومنها الى مبنى المباحث العامة ، فسجن القلعة . كان ذلك في ١٩٥٩/١١/٢١ . ومن القلعة الى اوردى أبو زعبل ، ومن هناك ، فيما بعد ، الى سجن القناطر ، على ذمة قضية .

أجهزة الأمن عيون وأذان وقبضات ، مجند في الجيش يهاجم الحكومة فيلقى القبض عليه . يتعرض لضغوط رهيبية ، وسؤال لابد أن يجيب عليه : هل تعرف شيوعيين ؟ ويحاول الضحية ، أن ينجو بجلده ، فتسغه الذكرة ببعض الاسماء ، المهندس فؤاد مصطفى ، محمود أحمد زيان ، عامل بشركة الطويل ومحمود عطيه الساعاتى . الجميع من الاسكندرية . لم يكن لهذا المجند ، ويدعى عبد العزيز ، أى علاقة حزبية . لقد تعرف على هؤلاء الرفاق أثناء انتخابات عام ١٩٥٧ . وإمام الضغط ، اعترف ، كذبا ، بأنه عضو في خلية شيوعية ، وأن مسئولة هو فؤاد مصطفى ، وأنه قد كلفه بتوزيع منشور في الجيش . ويقاد الرفاق الثلاثة ، في ١٩٥٩/٤/٢٦ ، الى سجن الاجانب بالاسكندرية ، ثم الى سجن مصر بالقاهرة ، ثم الى سجن القناطر ، على ذمة قضية .

رفيق عامل ، في التاسعة عشر من عمره ، تتوجه الى منزله ، في قليوب ، في حى شعبي ، حملة مصرية . كان ذلك في ١٩٥٩/٩/٩ . عند مداخل القاهرة ، يضعون على عينيه غطاء ، دافعين برأسه الى أسفل مقعد السيارة . اخذوه الى حيث لا يدري ، اعتدوا عليه بالضرب . كانوا يبحثون عن جمال الشرقاوى ، الذى كان ما يزال هاربا . ربطوا يديه بقيد الى الحائط . هذا النوع من القيد يضيق كلما تحرك ، من هو في القيد . احدث قطعا في يديه ، وتمزق لحمه . تركوه هكذا طوال الليل تشويه لمبات كهربية قوية مبهرة مسلطة على وجهه وعينيه ، بلا طعام أو شراب أو نوم . الحجرة بها مرآة عاكسة ، توفر الرؤية لمن هم خارج الحجرة ، فيتابعون من بداخلها . لم يحصلوا منه على شيء ، فاقهالوا عايه ضربا وركلا وهو موثق بالقيد الى الحائط . فكوه بعد أن أدموه ، ثم ارسلوا به الى النيابة .

كان الرفيق ، حديث خبرة . أحس بفارق في معاملة النيابة ، عن المباحث العامة ، فانطلق يدافع عن الاشتراكية ، ويهاجم الرأسمالية وانعدام الديمقراطية ، ادرك وكيل النيابة ، انه قد أمن اليه ، فأخذ في استدراجه . سأله ، ان كان يريد تغيير نظام الحكم ، فاجاب بالايجاب . سأله كيف ذلك ؟ فاعلان انه سيدعو الناس الى آرائه حتى يقتنعوا بها ، فيختارون



للبرلمان ممثلين يعبرون عن هذه الآراء ، متحقق الأهداف . سألته ، وماذا لو لم تنجح هذه الوسيلة ؟ اجاب في ثقة « بالعنف اذن ، اذا لزم الامر » . كان يعتقد أنه يبدى رأيا ، لا يحق لأحد أن يعاقبه عليه . احالته النيابة ، مسجوناً تحت التحقيق ، الى سجن مصر ثم الى سجن القناطر ، على ذمة قضية .

في سبتمبر ١٩٥٩ ، سقط جمال الشرقاوى ، في كمين اعد له ، عند كوبرى باغوص . كان جمال ، قد اخفى اثر حملة مارس . استقر به المقام في الزاوية الحمراء . كان عمله ، مركزا ، بين عمال شرقى القاهرة ، حيث كان النضال العمالى خصباً للغاية . العمال والرفاق معهم ، يبحثون عن اشكال للعمل السرى نصف العلنى . وتشكلت للمصانع لجان قيادية ، بدأ مندوبوها يناقشون في اجتماعات خاصة ضرورة تنظيم اضراب عن العمل . اعلن جمال الشرقاوى ، في أحد هذه الاجتماعات ، التى حضرها ، « ان العمال ليسوا وحدهم في هذه المعركة . ان حزبهم الحزب الشيوعى المصرى ، الذى اتشرف بتمثيله في هذا الاجتماع معكم » . لم يكن أحد من المجتمعين يعرف هويته السياسية قبل هذا الاعلان ، غير الرفيق الذى رافقه الى الاجتماع . سألته بعد الاجتماع ، كيف جرؤ على اعلان ما اعلن ؟ قال جمال ، « نحن نلتقى بعمال يعدون لاضراب و لا يخافون ، فكيف نخاف نحن ! » (١) .

عند القبض عليه ، لم يجد الضابط ، الذى فتشه ، في جيوبه غير نونة بها محاضرات وخمس مليمات . توجهوا مباشرة ، الى منزله الذى كان مختفيا فيه . عثروا هناك على بعض الأوراق الخطية وخمسة جنيهات . ابدى ضابط الحملة دهشته . كيف يسير في الشاع ، هارباً ، ومعه خمسة مليمات ، بينما في منزله خمسة جنيهات ! . تسأل ان كانت الأخيرة للحزب فلم يمسسها ؟ استمر الضابط ، وهو من المباحث العامة . يسأل ، وكأنه يود ان يصل ، بنفسه ، الى شىء ما . لماذا تخالفون القانون وتعارضوه ؟ قال جمال : ان النظام هو الذى لا يود ان يسمع غيره . لقد أيدناه ، عن اقتناع ، لكنه مصر على استخدام أساليب غير ديمقراطية .

قضى الليل في قسم الخليفة . وفي الصباح ، اقتادوه ، الى مبنى المباحث العامة . تلقاه الضابط محمود مراد ، سألته ان كان شيوعيا . فأجاب :

---

(١) لقاء شخصى معه في ١٧/٧/١٩٨٧ .

نعم أنا شيوعى . لطمه على وجهه ، وهددوه بالويل بعد ان يعود من تحقيق النيابة . أخذه اليها : نفس ضابط المباحث الذى قبض عليه ومعه ضابط آخر للحراسة . كان وكيل النيابة حسن جمعه . ظل معه ضابط الحرس اثناء التحقيق . كان التحقيق سياسيا والرد بيانا برأى الحزب السياسى . قال له المحقق ، « انت متهم بانك عضو فى الحزب الشيوعى المصرى » . فرد عليه ، « انا لست متهما بذلك ، لأننى ، بالفعل ، ولى الشرف ، أن اكون عضوا بالحزب الشيوعى المصرى » .

ضابط الحرس خرج الى ضابط المباحث العامة ، يروى له ما سمع . بعد التحقيق ، قال له ضابط المباحث : « يبدو انك خطير ، هل تؤمن حقا بالشيوعية الى هذا الحد ! وماذا لو اقنعتك بغيرها ؟ هل تقبل بهذا الاقتناع ؟ » . قال له جمال ، « بالطبع ، ان اقنعتنى . وأنت ، هل تقبل الاقتناع بما أؤمن به أنا ، ان اقنعتك ؟ » .

قال الضابط ، « نعم » . قال جمال : « حسنا » .

استمر الضابط .

- نبدأ الحوار .

قال جمال :

- فك الحديد أولا .

امر الضابط الجندى ، فك الحديد من معصمه . قال جمال :

- الغى القضية التى نتجت عن القائك القبض على .

- تلك لا املك فيها سلطة .

- اذن ، لا حوار بيننا ، هذا هولب المسألة . المشكلة بيننا وبين

عبد الناصر ، أنه ليس هنالك حوار . هنالك سجون وقضايا ومعتقلات . الحوار ، هنا ، قضية لا معنى لها .

اعاد الجندى القيد الى يديه .

قال له ضابط المباحث العامة ، انه احتراماً منه لموقفه هذا ، لن يعيده الى المباحث العامة . سوف يأخذه مباشرة الى السجن ، أما النقود التى ضبطت معه ، فلن تصدر ، وسيطلب من وكيل النيابة تحويلها امانات له فى السجن . واقتيد جمال الشرقاوى الى سجن مصر ، ثم سجن القناطر ، على ذمة القضية .

مطبعة الحزب ما زالت تعمل ، رغم كل الصعوبات والضربات .  
كان صابر زايد مسئولاً عن هذه المطبعة منذ ما يزيد عن ثماني سنوات .  
كان يعيش وهذا الجهاز الفنى الهام والخطير ، حياة أسرية عادية لا تثير  
حوله ذرة شبهة . وكان استمرار المطبعة المركزية ، تعمل ، مسألة تثير  
سخط وزير الداخلية على أجهزة الأمن . إذ كان يرى فيها تعبيراً عن عجز  
هذه الأجهزة ، وقدرة الحزب على حماية بعض مقوماته الأساسية . إلا أن  
نساقط أعداد كبيرة من الكادر الأساسى ، والبعض له علاقة بأجهزة  
الاتصال والأجهزة الفنية ، اقتضى ، بالضرورة ، توفير أعداد أخرى من  
الزملاء للقيام بهذه المهام . وهكذا بدأ يقترب ، من هذه الأجهزة الهامة  
والخطيرة ، رفاق لم يكن لهم سابق علاقة بها . وربما كانت لهم فى  
السابق ، أو فى ذات الوقت ، مهام حزبية أخرى ، تعرضهم ، وأمانهم  
للخطر ، مما يعكس خطراً على كل اتصالاتهم . ومن هنا بدأ يهتز أمان  
المطبعة ، الذى ظل لسنوات طويلة محكماً ومحكوماً . وأخيراً سقطت  
المطبعة ومعها صابر زايد ، وكميات من الأوراق والكرتون ولوازم  
الطباعة . وأحيل صابر زايد إلى المحقق سمير ناجى . كان التحقيق يجرى  
فى مبنى المباحث العامة . سأله سمير ناجى ، ان كانت كل تلك المضبوطات  
خاصة به ؟ فأجاب بالإيجاب . سعد وكيل النيابة بالإجابة ، فالاعتراف  
سيد الأدلة . سأله ، كيف تطل وجود كل تلك المضبوطات معك ؟  
أخرج صابر زايد ببطاقته العائلية وقدمها إليه قال ، « أنا رجل اتاجر فى  
الورق والكرتون وجميع لوازم الطباعة » ، وتلك بضاعتى اتاجر فيها .  
تبخرت سعادة وكيل النيابة وقد أحس المهانة . قام من مقعده وامسك  
بصابر زايد وانهال عليه ضرباً . وبدأ المخبرون يتكاثرون عليه ، فتركه  
لهم ، ووقف يتابع الموقف . أخذ صابر زايد يرد للضرب بالضرب . ووكيل  
النيابة يسبه باقذع الالفاظ ، وأحيل صابر زايد إلى سجن القلعة ثم  
أوردى ليमान أبو زعبل فالقناطر على ذمة القضية .

ان سقوط الجهاز الفنى ، والرفيق المسئول عنه ، كان ، دون شك ،  
ضربة قاصمة للحزب . ان تعرض الجهاز ، أو جهاز آخر أقل منه كفاءة أمر  
ممكن إلا ان المشكلة الحقيقية ، كانت فى الكادر الذى يعمل فى مثل تلك  
الأجهزة ، والذى يجب أن تتوفر فيه ، إلى جوار الخبرة والدربة ، أعلى  
درجات الوعى والصلابة واليقظة .

وازداد الخطر على الحزب . كان الرفيق أبو سيف يوسف ، السكرتير  
العام للحزب ، ما زال طليقاً . وكان استمرار وجوده ، بعيداً عن قبضة  
السلطة ، رمزاً لاستمرار الحزب ، ووجود قفزة قيادية ، قادرة على العمل

والتعويض ، في حدود ما تبقى من الحزب ، أو ما استجد عليه من عضوية .  
لم يكن يعرف مكان الرفيق أو كيفية الاتصال به ، الا عددا محدودا للغاية .  
وكان معنى سقوط أحد هؤلاء الرفاق ، أو بعضهم ، أن الأجهزة قد اقتربت  
كثيرا منه ، وفي ذات الوقت ، أن خيوط وخطوط علاقاته بالحزب تتمزق  
أو تنقطع .

وفي ١٩/١١/١٩٥٩ ، سقط أنور نعمان . كان في ميدان العتبة  
في القاهرة ، فالقى القبض عليه ، وحمل على الفور الى مبنى المباحث  
العامة . طلب منه الضابط الموجود هنالك ، وقتها ، أن يجيب على سؤال  
واحد . أين عباس ؟ باعتباره أن عباس هو الاسم الحركي للرفيق  
ابو سيف يوسف . ورد أنور نعمان ، بأنه يجهل أين من يسألون  
عنه . واصر الضابط على أنه يعلم ، واصر أنور على أنه لا يعرف شيئا . وهنا  
انقض للضابط البهى ، عليه ، في عصبية مجنونة ، يلطمه ويركله . ثم  
امر ان تعصب عيناه . اقتادوه الى عربة حيث دفعوا به الى ارضيتها .  
كانوا يقولون له ، أنه لا يستحق الجلوس على مقعد . دارت السيارة  
ثم عادت الى مبنى المباحث ، من حيث بدأت . الا انه لم يكن يدري أين  
هو بالتحديد ؟ . وضعوه منفردا في حجرة ذات جدران عالية ، لا يسمع  
فيها الا صوت السيارات ، القادم من بعيد . توقع أن يعذبوه حتى  
الاعتراف ، . لم اكن اتصور ان تنتهى حياتى بهذا الخزي والعار . لم  
اكن اتوقع سقوطى في ايديهم . اما وقد وقع المحذور ، فقد غدا جل هوى  
الا اكون السبب في أى خسائر أخرى . مصرى ، في حد ذاته ، لم يكن له .  
عندى ، اننى اعتبصار . وفي سرعة خطرت على بالى فكرة التخاص من  
الحياة . وللحال اعملت زجاج نظارتى في رسغى الايمن . وتحقق الدم  
يلطخ ملابسى ، والأرض حولى . يلزم ان تنتهى حياتى ، عند هذه  
النقطة ، وانا ما زالت محتفظا بشرفى . وبذا اكون قد ادبت دورى قدر  
ما اتأحت لى الظروف ، (١) .

كان القبض على انور نعمان يوم الخميس ، وعثر عليه ، عبد الرحمن  
عشوب ، صباح الجمعة غارقا في دماثة . وللحال حملوه الى المستشفى ،  
حيث اتخذ اللازم لانقاذ حياته .

في ذات اليوم ، الذى قبض فيه على انور نعمان ، قبض ، ايضا ،  
على فريد رمزى . كانا يقيمان معا ، عثر عبد الرحمن عشوب على مفتاح

---

(١) لقاء شخصى معه .



الشقة ، المشتركة ، في جيب انور نعمان ، فاستخدمه في مراهمة الشقة وفتح بابها ، والانقضاء على من فيها . عصبوا عيني فريد رمزي ، ايضا ، ووضعوه ، ايضا ، في دواصة السيارة ، حيث ظنوا يضربونه ويركلونه وهو راقد تحت اقدامهم . ودارت السيارة ، ايضا ، دورتها المعهودة ، لتعود الى دهاليز مبنى المباحث العامة . كانت الزنزانة التي ادخل فيها مصمته ، خلا طاقة في اعلاها . كان في وسعه ، وهو في ذاك المكان ، أن يسمع صوت النرام والآذان ، تق على جدار الزنزانة ، فتلقى دقات مماثلة ، على الجانب الآخر . عرف انه انور نعمان . حاول ان يخبره بوجوده ، فزق يطلب شربة ماء فانقض المخبرون عليه . واوسعوه ضربا ولطما ، ثم قيده الى الحائط . احس ان القيد يكاد يبتتر راحتيه ، فركن الى الهدوء ، واقفا . احس بعذاب لا يقل عن عذاب القيد ، وهو يضغط ، متصلا ، على الرسغين .

جاءه عبد الرحمن عشوب ، وبدأ يساومه . كان فريد رمزي في نهائي كلية الطب ، لم يبق امامه غير مادة الجراحة وينهى دراسته ، قال عشوب : « سوف تكمل دراستك في انجلترا ، في لندن . لن يعرف احد انك قلت شيئا . سوف نحبر هربك اثناء نقلك من مكان الى آخر ، وعندئذ سوف يقال انك هربت الى الخارج من اموال ابيك . افنا ، فقط ، نود ان نعرف مكان ابو سيف يوسف » . تسأل فريد رمزي : « ومن يكون ابو سيف يوسف هذا ؟ » واجاب عشوب : الرفيق عباس . فعاد فريد رمزي يتسأل : « ومن هو الرفيق عباس هذا ؟ » وادرك عشوب رد فريد على مساومته ، فأمر باستمرار التعذيب . ملأوا ارضية الزنزانة بمياه قذرة ، بالبول والبراز ، وظلت طوال الليل تعوى ، على باب الزنزانة ، اصوات كلاب شرسة ، وكأنها تهم باقتحام المكان . وضابط يشرف على التعذيب ، يأتيه بين الحين والحين ، ليذكره بمن سبقوه وعلقوا من اقدامهم ، ودفعت الكهرباء في اجسادهم . لا أكل ولا ماء وللقيد الى الحائط يحز وينز بالدما .

في الصباح جاء عشوب . تصنع الدهشة . سأل الضابط المشرف على التعذيب ، كيف يتركة واقفا ، هكذا ، مقيدا ؟ نظر الى الارض وعاد يتصنع الدهشة . في تلك المرة سأل فريد : « كيف تتبرز هكذا فوق الأرض ، لبس هذا عيبا ؟ استمر التعذيب والاغراء ، حتى دوى صنوت سيارة اسعاف وضجيج في الطرقة .

اقتادوه الى التحقيق . كان في نفس مبنى المباحث العامة . هنالك التقى بانور نعمان ، يرتدى منامة غارقة في الحما ، ويده مصابة ومربوطة .

فوجيء بوجود فريد حداد ، ايضا ، « كنت اعلم انهم سيفصلوننا عن بعضنا البعض . اسرعت اقول لفريد حداد ؛ ان بفكر آية علاقة بنا . وسنذكر نحن ايضا أى معرفة لنا به . طلبت منه ان يقف بعيدا عنا تأكيدا لهذا الوضع . عرفت من أنور نعمان أنه حاول الانتحار ، خشية الاعتراف من التعذيب ، فأحضروا له الاسعاف . وتوقف التعذيب ، بعد ذلك ، بالنسبة لنا جميعا » .

الموت واحتمال عذابات تفوق طاقة البشر ، اهون على المناضل من أن يخون اختياره . يخون شعبه وحزبه . تلك كانت هي الرسالة التي حملها فريد رمزي وأنور نعمان في مواجهة اقبية المباحث العامة ورجالها .

وبدا التحقيق ، مع كل منهم على انفراد . سأل المحقق فريد رمزي ، ان كان عضوا في الحزب الشيوعي ؟ فرد عليه ، بانه وطني ديمقراطي ، ضد الأحكام العرفية والاضلاع الاستثنائية . انه مع الحياة الديمقراطية في ظل مجلس نيابي . اشار الى المضبوطات ، وعاد يسأله ، ان كانت قد وجدت في حوزته ؟ نفى فريد تلك ، تدخل صوت كان يجلس في مؤخرة الحجرة مبينا انها قد عثر عليها في حجرة أنور نعمان . تساءل فريد رمزي ، عن ذلك الذى يتدخل في التحقيق . قال وكيل النيابة ، أن هذا الأمر لا يخصه . اصر فريد رمزي على ضرورة اثبات ذلك في محضر التحقيق . قال وكيل النيابة ، أن هذا الشخص هو معاون ، وانه لن يسجل اسمه في المحضر . استمر في استئلته ، عن علاقة محمد بدر به . واجهه ببعض المخطوطات . كانا مقالين بعنوان « المرحلة الحالية من النضال الوطنى » ، و « الاتحاد القومى والانتخابات » . زعم أن الخط المكتوب بهما المقالين يماثل خطه في كراساته الدراسية . انتهى التحقيق . رفض فريد رمزي التوقيع ما لم يثبت اسم هذا المعاون المزعوم . رفض وكيل النيابة ذلك ، فأصر فريد على رفضه التوقيع .

في مساء الجمعة ١١/٢٠ ، نقل الثلاثة الى معتقل القلعة . وضعوا كلا منهم في زنزانة انفرادية . قرأ أنور نعمان على جدران زنزانيته :

جيت يا عيد وانا هنا بعيد عن أهلى وخلانى

يمكن تعود عشر مواعيد وانسا هنسا تانى

« لم اكن ، حينذاك ، اتصور انه يمكن لانسسان أن يعيش ، معزولا عن الناس ، شهرا واحدا ، في مثل هذه الغرفة التي لا تحوى شيئا غير سرير للنوم ، فكيف ، بهذا الشاعر ، يتوقع أن يعيش هنا ، وعلى هذا النحو ، عشر سنوات » .

في ١٩٥٩/١١/٢١ ، وصل ، الى سجن القلعة ، نسيم يوسف وعبد الله الزغبى وسعد الطويل وأحمد الجبالي . وكان هناك ايضا ، من قبيلهم ، أحمد عبد العال وأحمد البدينى المحامى ، الذى كان يترافع في قضية الشيوعية الكبرى ، « قضية الدكتور فؤاد مرسى » ، واعتقل بسبب مرافعته وموقفه الرائع اثناء نظر القضية . وكان الحزب قد اصدر بيانا بخصوص هذه الواقعة ، كما كان هنالك عدد آخر من الرفاق ، يصل مجوعهم جميعا الى حوالى ثلاثين معتقلا .

استدعى نسيم يوسف للتحقيق . كان وكيل النيابة ، سمير ناجى ، كما كان عبد الرحمن عشوب متواجدا اثناء بداية التحقيق . رفض نسيم التحقيق ، ما لم يخرج عشوب . احتد المحقق عليه . هددته بأنه سوف يتكلم رغم انفه ، اصر نسيم على الرفض ، فخرج عشوب متوعدا . بدأ التحقيق بالاسئلة التقليدية ، الاسم وعنوان السكن والعمل . طالب نسيم يوسف بتسجيل قضايا ثلاث قبل أن يجيب على اية اسئلة . بعد حوار وافق المحقق ، اتهم نسيم المباحث العامة باغتيال المناضل الشهيد محمد محمود عثمان ، وطلب التحقيق في مقتله ، اعلن ان سياسة الحكومة في القبض على الشيوعيين والوطنيين والديمقراطيين ، تفتت وحدة الصف الوطنى . اتهم ضابط المباحث الذى التى للقبض عليه بسرقة ، اذ انه استولى ، اثناء التفتيش على قلم حبر حدد مواصفاته . ثار سمير ناجى وهاج ، الا ان نسيم اصر على موقفه ، وعلى ضرورة استمرار التسجيل . سأل المحقق بعد ذلك ، ان كان عضوا في الحزب الشيوعى المصرى . رد نسيم يوسف ، بأنه يشرفه كونه عضوا بالحزب الشيوعى المصرى ، « لقد حوكت من قبل عام ١٩٥٥ في قضية ، اعلنت فيها اننى شيوعى . وانا اليوم اعلن شرف انتمائى للحزب الشيوعى وعضويتى به » ، واجهه ببعض الأوراق التى كانت أمامه ، فانكر معرفته بها . انطلق التحقيق واعيد الى سجن القلعة ، حيث استدعاه قائد المعتقل ، في المساء ، ليخبره ان وكيل النيابة قد ارسل له قلما يخصه ، وانه قد وضع له في الامانات . كان نفس القلم الذى اختلسه ضابط المباحث اثناء القبض عليه وتفتيشه .

في ١٩٥٩/١١/٢٨ ، رحل الجميع ، ماعدا فريد رمزي ، من معتقل القلعة . واقتيد ، الى اوردى أبو زعبل ، سبعة من الرفاق ، نسيم يوسف ، فريد حداد ، عبد الله الزغبى ، أحمد الجبالي « أنور نعمان ، سعد الطويل وأحمد عبد العال . وهناك على عتبات الاوردى وفي فنائه ، اغنيل المناضل البطل الشهيد فريد حداد ساعة دخوله المعتقل .

\*\*\*

كان فريد رمزي قد رفض التوقيع على محضر التحقيق ، فاعتبر التحقيق معه غير مستوف لاركانه ، فابقوه . عندما احس ان الجميع راحلين ما عداه ، طلب من أحمد عبد العال ، الذى كان فى الزنزانة التى تجاوره ، ان يبلغ الزملاء ، حيثما يذهب ، انه محتجز فى سجن السلعة ، بمفرده ، وانه لا يتوقع خيرا ، حيث انه لا يعرف ، بالتحديد ، سبب احتجازه .

اغلقت عليه ، زنزانة انفرادية ، ليل نهار . مر يومان ثم فوجئ بباب الزنزانة ، وقد فتح فى منتصف الليل ، والحارس يستحثه ان يسرع بالخروج ، فالضابط المشرف على المعتقل ، مصاب بازمة قلبية . توجس ، فريد ، شرا فرفض مغادرة الزنزانة . الا ان الحارس عاد يلح ، عارضا عليه الادوية التى يتعاطاها الضابط . شرح له ، فريد ، كيفية استخدامها . الا ان الحارس اوضح ان أحدا لا يعرف كيف يعالجه . قال له فريد ، انه قد اخبر الزملاء فى كل مكان ، بانه محتجز هنا ، فى القلعة ، بمفرده . طمأنه الحارس ، الا يخشى شيئا مما قد يدور فى ذهنه . صحبه الى غرفة الضابط . كان شابا برتبة ملازم أول ، وكان يمر ، بالفعل ، بازمة قلبية . ظل الى جواره حتى افاق فى الخامسة صباحا . غاب الضابط يومين ثم عاد فى اليوم الثالث ليشكره وليقدم له نفسه . كان ابن اخت حسين الشافعى ، احد قادة ثورة ٢٣ يوليو ، والتى القت به ، اليوم ، فى هذه المقاهة المهلكة . نشأت بينه وبين الضابط علاقة انسانية . قدم له خدمات لا تنكر من الاتصال بأسرته ، بل كان يحضر له الجرائد ، خفية .

استدعى للتحقيق مرة أخرى . كان وكيل النيابة فى تلك المرة صلاح نصار . وكان فريد رمزي يعرفه شخصيا منذ ان كانا معا فى حزب الوفد . بدأ صلاح نصار مهاجما ، متسائلا ، ان كان فريد هو الذى يحقق مع وكيل النيابة ، ام ان وكيل النيابة هو الذى يحقق معه ؟ كان يشير بذلك الى التحقيق الذى لم يكتمل . كان ثائرا ، متحميا ، فسأله فريد بحوره ، ان كانوا قد اختاروه هو خصيصا ، للتحقيق معه ، باعتباره رجل سياسة ؟ استفزته التساؤل فانطلق صارخا ، طالبا من فريد رمزي ، ان يلزم



حدوده . كان التحقيق ، في جوهره ، سياسيا ، بالفعل . ما رأيك في التصنيع ؟ ما رأيك في موقف عبد الناصر من الاستعمار ؟ لماذا لا يتمشى خططهم السياسى مع الحكومة ، رغم وطنيتها ؟ قال فريد رمزي : « ان عبد الناصر قوة وطنية ، الا ان سياسته التصنيع تسير في اتجاه خاطيء . انها يجب ان تكون في اتجاه خدمة احتياجات الشعب ، لا لتصنيع السيارات الخاصة . ان لعبد الناصر موقفا من القضية الفلسطينية ، الا ان موقفه من حركة التحرير العربية ، يقسم الدول العربية : موقفه من سوريا ، موقفه من العراق ، رغم كونه قوة وطنية معادية للاستعمار . ان سياسته لتفرقه وبذر الخلافات بين القوى الوطنية ، سياسة تدعم الوجود الاستعماري ، » . سألته المحقق : « ان كان عضوا بالحزب الشيوعى المصرى ؟ » اجاب ، بأنه من القوى الوطنية القريبة من الشيوعيين . اتخذ صلاح نصار قائلا ، « لا يا رفيق فتحى ، انت عضو منطقة ، بل المسئول التنظيمى لهذه المنطقة ، » . تدخل رجل كان يجلس في غرفة التحقيق . قال ، ان فريد رمزي كان في الأصل عضوا في الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ، ثم خرج منها في « الفكك الثورى » الذى خرج به شهادى عطية من « حدثو » . ثم انضم بعد ذلك الى حزب العمال والفلاحين للشيوعى المصرى ( ع . ف ) . تساءل فريد رمزي ، عن صفة ذاك الذى يدعى بخت هذه البيانات ، من دخلا في التحقيق معه . قال له صلاح نصار ، ان هذا الامر لا يخصه . اصر فريد على ضرورة معرفة هويته ، وضرورة تسجيل نواجد ضابط من ضباط المباحث العامة اثناء التحقيق معه . ثار صلاح نصار ، واخذ يضرب المكتب امامه بجمع يده . حاول العودة الى الاسئلة مرة اخرى ، الا ان فريد رمزي قال له في هدوء ، « لا اجابة » صرخ صلاح نصار متحديا ، « بل سوف تجيب » . واجه فريد رمزي التحدى بالمثل ، « حسنا ، حاول اخراج الاجابة من فمى بالطريقة التى تراها : بالعصا ، بالشوكة ، بالكرباج . لكن لا رد عندى حتى تثبت وجود هذا الضابط اثناء التحقيق » . انسحب ضابط المباحث العامة من الغرفة ، وعاد المحقق حول مضبوطات محمد بدر ، انتهى التحقيق ، ووقع عليه فريد رمزي . اعيد الى سجن القلعة ومنه الى اوردى ليمان ابو زعبل ، وفيما بعد ، الى سجن القناطر ، على ذمة القضية .

لم يكن الحزب الشيوعى المصرى ، وحده ، هو الذى يتعرض لضربات التصفية تلك ، كان تنظيم « الطليعة الشيوعية » ، وهو واحد من تنظيمين لم يدخل الوحدة الشاملة في عام ١٩٥٨ ، يواجه ايضا نفس الملاحقات .

وسقط حسنى تمام في قبضة الاسر . وبسقوطه ارتبكت علاقة التنظيم بجهازه الفنى . كان هذا الجهاز في حوزة شخص تحوم الشبهات

حوله . وحاول نجاتي عبد المجيد ان يصل الى هذا الجهاز ، الا انه وجد المنطقة محاصرة . وسرعان ما التقى اثنان من المخبزين القبض عليه ، بينما كان يحاول الفكاك والهرب . سألاه ان كان هو نجاتي ، الا انه انكر ذلك . اخذاه الى قسم الشرطة ، حيث حاول الهرب من القسم فامسك به مرة ثانية . وانهال المخبرون عليه ضربا . قاوم الضرب بانضرب فاختذاه الى مبنى المباحث العامة . تلقاه عبد الرحمن عشوب سائلا ، اين كان ؟ ومن اين اتى ؟ واين كان مقيما ؟ اجابه نجاتي عبد المجيد ، انه ليس له بيت أو غيط . كان يعمل في مصنع ، ويبيت فيه . سأله عشوب ، واين هذا المصنع ؟ قال نجاتي ، « لا تحاول معي . لقد اردتني ، وما انا مقبوض على » . امسك بيديه ، فاحس خسونتتهما . قال له ، « بالفعل كنت تعمل ، لكني مازلت اود ان اعرف ، اين بيتك ؟ » قال نجاتي ، « لا بيت لي » . حاول المناورة ، « واين زوجتك ؟ » . قال نجاتي في حسم ، « لا اعرف ، ولن تصل معي الى شيء » (١) .

اقتيد الى سجن القلعة . وكان ذلك في ١٩٥٩/٧/٢٦ . ومنها الى معتقل العزب بالفيوم ، ثم اوردى ابو زعبل ، وفيما بعد ، الى سجن القناطر ، على ذمة قضية .

كانت الملاحقة تطارد ، ايضا ، اعضاء الحزب الشيوعي المصري ( حدثو ) . كان محمد الجندى مطلوباً مع الدفعة الاولى في اول يناير ١٩٥٩ ، الا انه كان هاربا ، حيث كان هنالك حكم صادر ضده منذ عام ١٩٤٩ ، اي فيما قبل الثورة . قبض عليه ، ومعه الشاعر محسن الخياط ، بينما كانا يسيران في طريق كورنيش النيل . اخذوهما الى سجن القلعة . وكان ذلك في ١٩٥٩/٥/١٢ . استدعي للتحقيق ، حيث حقق معه صلاح نصار ، زميله اثناء الدراسة . كان سيئا معه ، يحاول دفعه دفعا الى القبول « بأنهم سيستخدمون القوة لتحقيق افكارهم » ، في الوقت الذي كانت « حدثو » تتخذ فيه موقف التأييد المطلق للنظام . رحل بعد ايام سبع من القلعة الى سجن مصر ، ومنها الى سجن القناطر ، على ذمة القضية التي عرفت باسم « قضية شهدى عطية » .

\* \* \*

الضربات المتتالية التي وجهت الى الحزب ، اصابته اصابات جسيمة ، خاصة بعد وقوع الرفيق السكرتير العام في ٢٣ ديسمبر ١٩٦٠ ، والمجموعة القيادية التي كانت معه . اذ تحولت القوى الحزبية المتبقية ، وكانت غالبتها ، قوى جديدة ، الى جزر متناثرة . ووقع استمرار الحزب ورفع راياته ، على عاتق شباب ، فرضت عليه المعركة ان يكشف عن

---

(١) في لقاء شخصي معه .

تدورات نضالية حقيقية . كان عليه ان يدبر اجهزته الفنية ، ويقدم الكلمة السياسية ، والرأى والموقف فى القضايا والمشاكل التى كانت تواجهه . كما كان عليه ايضا ان يوفر ، على نحو ما ، اتصالا باى من القيادات الحزبية للسجينة .

وفى قرية زنارة ،، إحدى قرى محافظة المنوفية ، بدأ يتبلور نشاط شيوعى ، بعد حملة ١٩٥٩ . بدأ ذلك النشاط فى التعبير عن نفسه ، رغم كل الظروف التى كانت سائدة حينذاك ، فى انتخابات الاتحاد القومى . كان ذلك فى سبتمبر ١٩٥٩ على وجه التقريب ، حيث خاضت المعركة مجموعة من اصدقاء الحزب وعضائه ، فاز تسعة منهم ، فى حين لم ينجح للآخرين غير مضمو واحد فقط .

قاد الرفاق نشاطا جماهيريا ، حول مطالب الفلاحين فى الجمعية الزراعية ، حول انتظام دورة الري ومقاومة دودة القطن . كان عام ١٩٦٠ عام الكارثة ، حيث انخفض المحصول ، بسبب الدودة ، الى حد دفع ببعض الفلاحين الى عدم جمع المحصول ، حيث تجاوزت تكاليف جمعه ، قيمته الحقيقية . كان لابد من كشف الاجهزة التى تقوم بعملية المقاومة ، وفضحها .

يقول عبد المحسن ناشسه ، « اخذنا ، فى أحد الايام ، ثمانية من فلاحى القرية ، حفاة الاقدام ، ومعنا شيكارة ، مليئة بالديدان ، وزن حوالى خمسين كيلو جراما . توجهنا الى مكتب المحافظ ، فرفضوا ادخالنا . دارت بيننا وبين الموظفين معركة ، فاستعانوا علينا بالشرطة . صمنا على الدخول ، وجلسنا على سلم المحافظة حتى انقضى النهار . كان كل فلاح يمر علينا ، آتيا الى المحافظة لقضاء شئ ما ، يسألنا عما نفعل ؛ فنقول له « احنا بتوع دودة القطن » ، فيجلس الى جوارنا . ارتفع عددنا الى سبعين فلاح تقريبا . صمنا على مقابلة المحافظ ، ومعنا شيكارة الديدان . كان المحافظ حينذاك ، محمد متولى ، الاستاذ السابق فى كلية الزراعة . اخيرا وافق على مقابلتنا ، كان الفلاح الذى يحمل الشيكارة ، يدعى دسوقى . وكنت قد اتفقت معه على أن يقلب الشيكار لحظة اناديه باسمه . ونفذنا بالفعل ما اتفقنا عليه ، فانطلقت الديدان فى مكتب المحافظ ، فانطلق هو جاريا واغلق الباب خلفه . طردونا من المحافظة . وكل ما حدث بعد ذلك ، ان المحافظ كلف كلية الزراعة بمعينة زراعات القطن ، والقيام بحملة مركزة لمقاومة الديدان . الا ان اهم ما حدث فى هذه القضية ، ان المحافظ اعلن ، فى اليوم التالى ، فى تصريح له بجريدة الجمهورية ، ان التوكسافين المستورد من المانيا الغربية ، كان من اسباب تكاثر الدودة واتلاف المحصول الزراعى فى مصر « (١) » .

(١) لقاء شخصى معه فى ٢٢/٢/١٩٨١ .

كما قام الرفاق بجمع توقيعات ، بلغت خمسة آلاف توقيعاً على عرائض خاصة بعدم انتظام دورة الرى .

استطاع الرفاق ان يحققوا اتصالاً بالحزب . كما قاموا بإعداد آلة طباعة خشبية بدائية ، استخدموها في طبع البيانات والمنشورات ، النى كانت تصل اليهم من سجن القناطر ومنفى المحاريق ، كذا تفاصيل ما جرى في داخل السجون والمعتقلات لاستخدامها في الدعاية الحزبية التحريضية . كان ذلك في النصف الثانى من عام ١٩٦١ ، حيث أصدرنا بياناً خاصاً باستشهاد الرفيق فريد حداد غنوانه ، « الى الشعب المصرى والضمير العالمى » ، حيث كانت هنالك حملة حول هذه القضية . كما طبعوا بياناً آخر ، صادر عن القيادة المركزية ، بعنوان ، « الديمقراطية هى الطريق الوحيد » . وكانت هذه المجموعة من رفاق « زنارة » يقومون ، ايضاً ، بتأمين هروب ، بعض الرفاق ، الذين يرسل الحزب بهم اليهم .

وفي ١٩٦٢/٤/٢١ ، انقضض ضباط الشرطة والمباحث العامة على قرية « زنارة » . حاصروا منزل عبد المحسن شاشه والقوا القبض عليه . وفي ملحق مجاور لمنزله عذروا على اكدياس من المطبوعات المعدة للتوزيع والحبر والرونيو الخشبى . كانت تلك أول مرة ترى فيها القرية مثل هذا الهجوم المكثف ، وان كانت لها سابقة خبرة ، عندما قبض على بعض ابنائها مثل فايز علام وعبد الغفار سلام ، وان كان اعتقالهم قد تم بعيداً عن القرية ذاتها .

يقول عبد المحسن شاشه ، « تم القبض على ، بعد ان تسلمت نسخة من خط الاحتكار وشبه الاحتكار ، وفي اعتقادى ان سبب القبض على يرجع الى خلل في جهاز الاتصال . حيث ان من كان يقوم بالاتصال بنا ، قبض عليه ايضاً . اخذت الى القاهرة دون ان يسمح لى بارتداء ملابسى . فنزلت بالجلباب ، وفوقه بلوفر من الصوف . بعد حوالى شهرين ، تم القبض على ثلاثة عشر شخصاً آخرين .

في القاهرة ، في مبنى المباحث العامة ، كان المكان مزدحماً بالناس للغاية ، تصورت لأول وهلة ان كل هؤلاء ، انما هم رفاق تم القبض عليهم . كانت تلك أول مرة اذهب فيها الى وزارة الداخلية . كان المخبرون يرتدون الجلابيب والمعاطف ، فاعتقدت انهم ضمن الرفاق المقبوض عليهم . كانت هنالك ايفون حبشى وأم نسيم يوسف وأم محمود العطار . لم اكن اعرف أى واحدة منهم . وكانت الأخيرة تنتفض من البرد . فخلعت



البلوفز وقدمته اليها . اخذنى المخبرون ، بسبب هذا العمل الانساني الى احدى الحجرات ، وضربونى علقة سساختة . لم اكن اعرف اننا ممنوعون من الحديث مع بعضنا البعض ، اثناء فترة التحقيق .

كان وكيل النيابة سمير ناجى ، وكان - كالمهد به ، وللتحقيق يجرى فى مبنى المباحث العامة - يدفع بمن يحتق معهم الى ايدى المخبرين يعتدون عليهم بالضرب واللكم والركل والسب وجز شعر الرأس وكل اشكال القسر والقهر ، حتى يصل الى « الحقيقة » .

كان التحقيق يدور مع : عبد المحسن شائشه ، حسن بيومى ، على بدوى ، ابراهيم فتح الله ، سعيد محمود ، حسين عبد الستار وايفون حبشى . وقد اتفق الرفاق الاوائل الثلاثة ، ان يتحملوا القضية ، اخلاء لمسئولية باقى الرفاق ، لم يكن لدى أى منهم خبرة بكيفية مواجهة المحققين ، أو ماهية الموقف أمام النيابة . قرب نهاية التحقيق ، اكتشف الرفاق أن على بدوى قد اعترف على الرفيق محمود علام ، والذي كان حينذاك نزيلا فى معتقل الفيوم . بل اكتشف الرفاق ، ايضا ، أن على بدوى هذا ، سبق القبض عليه واطلاق سراحه ، حيث توجه الى عبد المحسن شائشه ، ثم تم القبض على الجميع .

يقول عبد المحسن شائشه ، « ظل التحقيق معنا خمسة ايام . كنا ننام فى طرقات مبنى المباحث العامة ، ونستدعى للتحقيق فى أى وقت اثناء النهار أو الليل ، كان يحضر معنا ، اثناء التحقيق ، ثلاثة ضباط من المباحث العامة . وقد لفت نظرى واثار دهشتى ، ان مجموعة ، من ضباط المباحث العامة ، كانت تستعد للسفر الى الولايات المتحدة الأمريكية لتلقى دراسات فى تخصصاتهم ، فى الوقت الذى كانت تعلن فيه الدولة ، موقفا معاديا للاستعمار ، وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية . لقد كشف سمير ناجى ، المحقق ، هذا الامر ، دون قصد منه . كان يتحدث مع الضباط حول هذه المسألة ، مشيدا بعظمة أمريكا والدراسات التى سيوفدونها هناك ، وكل بتمنى لمن لم يصبه الدور ، أن يكون له فى هذا « الخير » نصيب .

اثناء التحقيق معى ، ووجهت بمنشور عن الديمقراطية . قلت ان هذا المنشور لم يكن معى ، الا اننى أرى ان نظام عبد الناصر نظام ديكتاتورى . غضب منى ، المحقق وثار . سألنى ، ان كنت حقا حاصلا على ليسانس الحقوق ، فأجبتة بالايجاب . فطردنى ، عنقذ ، خارج الحجرة ، وحين تلقفنى المخبرون بالركل والصفع واللكم ، ثم طقوا ، لى ، شعر رأبى . انتهى التحقيق ورحل الجميع الى سجن القناطر مباشرة ، على ذمة قضية .



## الفصل الثالث

### سجن القناطر

كان سجن القناطر - رجال ، هو المحطة التي ينهى اليها ، كل من حقق معهم ، وانتهى التحقيق الى توجيه اتهام ، ما ، اليهم . الا ان البعض منهم ، كان ، قبل ان يصل محط النهاية ، يمر باوردي ليمان ابو زعبل ، تقديرا ، من المباحث العامة ، لخطورتهم . فهم الذين واجهوا اعصار الحملة في عنفوانها ، وهم الذين ظلوا حاملين راية الحزب ، بعد ان احاطت به ظلمة ، غشيت كل البلاد . كان مرورهم من اوردى ابو زعبل ، حيث يغرس الوحش فيهم أنيابها ، يستهدف اذلالهم ، وبث الخوف في نفوسهم ، و « تبصيرهم » ، عليا ، بطبيعة النظام الذي يتعامل معهم .

الا أن التجميع الاساسى لكثير من القضايا ، بدأ في سجن مصر . سجن قرة ميدان ، واستمر الحال كذلك ، حتى آخر عام ١٩٥٩ على وجه التقريب ، حينما فتحت للزنائين ذات يوم ، وطلب من الرفاق ان يستعدوا للترحيل . اعيدت لهم اماناتهم ، ثم شحنوا في سيارات اشبه بالزنائين المتحركة ، ولا احد منهم يدري الى أين المصير . الا انهم اثناء الترحيلة ، تعرفوا على الطريق الذى تقطعه للقافلة ، فادركوا انهم في طريقهم الى سجن القناطر .

كان ذلك في الصباح الباكر ، والجو مشبع بالبرد والرطوبة . والاحساس بالمجهول الذى يدفعون اليه ، يرفع درجات الاحاسيس المتوترة ، والتوقعات والاحتمالات ، في استقبال تزعرد فيه العصي والشوم . في فناء السجن استقبلهم المسامور ، طلب منهم ، بطريقة استفزازية ، أن يجلسوا للقرصاء ، اربعاعات اربعاعات . اعلن انه لا وقوف ولا حركة . جاء الحلاق وجز شعر رؤسهم حتى منابتها . احتج بعض الرفاق ، فكان ضابط السجن يأتى الى المحتج ، يخطبه بالعصا فوق كتفه ، بأمره « ان ينفذ التعليمات ، صامتا » . بدأوا ينادون اسمائهم ،

اربعة ، اربعة ، ايضا ، حيث يجرى تفتيش هذه المجموعة ثم تلك ، حيث تقاد بعدئذ الى الزنزانة الخاصة بها . وهناك على بابها كانت الاسماء مكتوبة . كانت المباحث العامة هي التي اعدت للتسكين سلفا . استمرت تلك العملية سبع أو ثمان ساعات ، ظل الرفاق ، اثناءها ، على هذا الحال ، من القرفصاء ، ولا حركة ، حتى كادت ان تشل أطرافهم . وضع الجميع في دور واحد ، هو الدور الثانى من عنبر اثنين . وكان عدد الرفاق الذين شكوا هذه الدفعة الأولى ، يكاد يصل الى المائة وخمسين رفيقا .



يتميز سجن القناطر بدرجة عالية من الرطوبة . فجدرانه تقطر ماء ، وكأنها تمتص ما في الجو لتمطر به هؤلاء القابعين خلفها . الاغلاق طوال النهار والليل . والنوم على ابراش مهترئة . وحتى الحشايا التي كانت تمنح للمرضى ، في مثل تلك الاحوال ، منعت منعاً باتاً . الابراش والبطاطين يجرى تطبيقها كل صباح ، لتوضع امام الزنزانة ، ولا يترك في داخلها الا برشا واحدا ، يجلس ، أو يقف عليه ، الرفاق السجناء تحت التحقيق . الخروج الى دورة المياه ، صباحا وعصرا ، في دفعات منفصلة . كل دفعة ثلث أو نصف ساعة فقط ، ثم يعاد حبس الدفعة لتخرج أخرى ، وهكذا . طائرات الزنازين بلا حواجز ، ينهمر منها الهواء شديد البرودة على الراقدين فوق الابراش ، يلتحفون ببطاطين ، اقرب الى الخيش منها الى أى شيء آخر .

الاكل من خارج السجن ممنوع . المسموح به ، فقط ، « يمك » ، للسجن . وهو في غالب الاحوال من نبات « الوجلة » ، بعيدانها وبذورهما ، رقيقة الطهى ، تعافها النفس . واللحم ، ان قدم ، من عجوز شمطاء ، خالية مما يؤكل ، كلها جلد و « شنغت » ، فعزف الجميع عن تناولها .

دام الحال على هذا النوال ، قرابة شهر . ثم سمح لهم بطابور شمس ، نصف ساعة ، في الصباح . الا ان المعاملة ، في عمومها ، اتسمت بالخشونة والغلظة .

كانت الغالبية من رفاق هذه الدفعة الأولى ، شبابا ، جودا ، لا يمتلكون خبرة المواجهة أو كيفية التعامل مع الادارة . الا أنه بتوالي الدفعات و « الايراد » ، من الخارج أو اوردى أبو زعبل أو الواحات ، بدأت نصل الى سجن القناطر ، اعداد من الكادر الحزبى أو الكادر المجرب ، ذو الخبرة السابقة .



كان الدور الذى يشغله المسجونون الشيوعيون ، تحت التحقيق ، مقسما الى نصفين ، نصف يسكنه اعضاء الحزب الشيوعى المصرى ، والنصف الآخر ، يقطنه اعضاء الحزب الشيوعى المصرى ( حذرو ) . وكان يحل الأول ، رجال من الشرطة أو عسكري من الجيش ، مقبوض عليهم ، تحت التحقيق ، على ذمة قضايا مختلفة . كان كل دور من العنبر به نوعية ما من السجناء وعندما كان يفرج عن أحد السجناء العاديين ، ويقيم له زملاء زفافه حفلا ، ابتهاجا بهذا الحدث ، تعلو فيه التحية من سجناء هذه الزنزانة ، الى باقى السجناء ، كانوا يتشرون الى الرفاق باعتبارهم « زهرة الحركة الوطنية » .

كان السجناء العاديين ، فى سجن القناطر - اصلاحية الرجال ، يأتون افعالا ، نبدو للرفاق الجدد ، غاية فى الوحشية . كان البعض منهم فى سبيل ان يذهب الى احدى المستشفيات ، يلجأ الى كسر ذراعه ، أو حقن جسده بالجاز ، أو وضع صبغة اليود أو البوتاس فى عينيه . كان هنالك خبراء من السجناء فى هذه العمليات . وكان على السجين ، غير الخير ، والراغب فى الذهاب الى المستشفى ، ان يجرى اتفاقا مع الخير المختص ، عن طريق سمسرة متخصصين ، يملكون القدرة على الحركة بين جدران السجن ، اذ ربما كان طرفى الصفقة فى وضع لا يمكنهما من الاتصال المباشر . ثم تأتى الخطوة التالية للاتفاق ، وهى التنفيذ . وتتم تلك الخطوة بان يفتعل طرفا الاتفاق ، كل فى موضعه ، مخالفة ما للاتجة السجن ، فيقاد الى التأديب ، وهناك يلتقيان ويقوم الخير بتنفيذ اللازم ، وتتحقق رغبة السجين فى الانتقال الى المستشفى الخارجى . القضية هنا ، ليست مجرد للرغبة فى تغيير المكان أو « النزهة » . انها فى الحقيقة عمل « جناد » . اذ تكون الفرصة فى المستشفى ارحب للاتفاق على صفقات ، غالبا ما تكون ، ذات علاقة بتجارة المخدرات ، حيث يعود السجين بعد علاجه ، محملا « بالبضاعة » ، يخفيها فى أماكن حساسة من جسده ، يدفع منها أجر الخير ، ويدير لنفسه موردا يغنيه فى الداخل ، ويعين أسرته فى الخارج . فتجارة المخدرات فى السجن ، تفوق تجارتها خارج السجن . وللعائد منها ، يغرى بأى فعل ، مهما كانت بشاعته .

كما كان يلجأ بعض السجناء العاديين ، الى اساليب أخرى ، لا تقل وحشية ، فى سبيل ان تستجيب الادارة لمطالب خاصة بأى واحد منهم . كان السجين يعلن منفردا الاضراب عن الطعام والشراب والكلام . فيخطط شفثيه ، ويظل على هذه الحال ، حتى تحقق الادارة مطالبه . وهى فى اغلب الاحوال لا تخرج عن تنفيذ لائحة السجن . وكان البعض منهم ، أيضا ، يلجأ الى أسلوب اشد عنقا وافزاعا ، فيمزق بعضا من أطرافه . ثم يعلق نفسه ، فى سقف العنبر ، مذليا بجسده ، الذى يقطر دما ، فى

الفراغ الذي يصل ارتفاعه الى اربعة ادوار ، مهددا بالقاء نفسه ، ان لم تستجيب الادارة لمطالبه . وتدور مباحثات غاية في الغرابة ، بين الادارة ، مجتمعة ، في حوش العنبر ، والسجين المطلق كالذبيحة في أعلاه . وتظل المفارقات دائرة على هذا النحو ، بين نهديد وترغيب ، من كلا الطرفين ، حتى تستجيب الادارة لمطالب السجين ، فيغادر السقف الى طرقات العنبر ، حيث يكون السجاة في انتظاره ، لاقتياده الى التأديب ، عقابا له على تقديمه مطالبه « بطريقة مخالفة للائحة السجون » .

ان سياسة « الاصلاح والتهديب » التي تعالج بها : ادارة السجن ، هؤلاء الرجال ، قد قتلت الانسان في اعماقهم ، ودفعتهم الى أن يأتوا افعالا ، تصيبهم بها لا يخطر على بال ، أو يمكن تصوره .

### المعمل الحزبي :

في البداية كانت غالبية الزملاء شبابا ، وكان جمال الشرقاوي اقدم الرفاق ، وله سابقة تجربة بالسجن ، فاعتبره الرفاق مسئولا عنهم . كان الاغلاق طوال الوقت ، وفرصة اللقاء لا تتوفر الا اثناء طابور الصباح . اعد الرفيق كورسا تثقيفيا ، كان يعرضه على الرفاق اثناء الطابور . كان يسير ، فيه ، وثلاثة منهم ، حتى ينتهي حديثه التثقيفي ، فينتقل الى ثلاثة آخرين وهكذا . يقول جمال الشرقاوي ، « لقد نجحنا ، في ذلك الوقت ، في خلق وحدة فكرية حول خط الحزب . كما تشكلت لجنة قيادية ، مني ، ومن محمود العطار واحمد عبد الله » .

ثم توالى الدفعات ، واعيد تشكيل اللجنة القيادية ، او لجنة منطقة السجن ، من الرفاق : سامي عجيب ، احمد الجبالي ، نسيم يوسف ، عبد الله الزغبى وسعد الطويل ، بمسؤولية الرفيق سامي عجيب . كانوا جميعا ، قبل القبض عليهم ، اعضاء احتياطيين باللجنة المركزية . وكان هذا هو الاساس الذي تم عليه التشكيل الجديد .

كان التشكيل التنظيمي في صورة مجموعات ثلاثية او رباعية . ومن خلال هذا التشكيل كان يتم تبليغ الاخبار الداخلية والخارجية ، والحوار الحزبي والاعمال التثقيفية .

حددت لجنة المنطقة ، لنفسها ، مهامها ، طبقا للظروف الخاصة بهذا السجن ونوعيته . ان سجن القناطر ، في الاساس ، سجن مؤقت ، فتواجد الرفاق فيه ، وهم جميعا مسجونون تحت التحقيق ، تواجد مرهون بنظر قضائهم امام المحاكم ، وصحور الاحكام فيها ، والتصديق عليها .

ثم يتم توزيعهم بعد ذلك ، الى الواحات ، لن غذا سجيناً صدرت بحقه احكام ما ، والى الواحات ، ايضا ، والقيوم والقلعة كمعتقلين لن برانهم المحكمة ، واعادت المباحث العامة اعتقالهم . ومن هنا كانت المهمة الأساسية للمنطقة ، هي دراسة ظروف كل قضية ، من الناحيتين القانونية والسياسية ، وتحديد وضع كل رفيق متهم ، فيها . وكانت المهمة الثانية التى تواجه لجنة المنطقة ، هي ضرورة العمل على رفع معنويات الرفاق ، وخاصة الذين صدرت بشأنهم احكام الافراج ، حيث كانوا يرسلون الى الواحات ، للتخزين ، الى اجل غير مسمى ، او الى معتقل الحزب بالقيوم او القلعة ، لوضعهم فى « محرقة الضمير » ، والعمل على ارغامهم ، ان بالترهيب او الترغيب ، كى يستنكروا مبادئهم وكل ما آمنوا به . وكانت المهمة الثالثة ، هي دراسة كافة التحليلات السياسية المرسلة من منفى المحاريق بالواحات ، وتقديمها الى الرفاق . كذلك اعداد تحليلات سياسية ، على مسئولية المنطقة ، فى ضوء خط الحزب ، ان لم تتوافر التحليلات القادمة من منفى الواحات . كما كان من مسئوليات لجنة المنطقة ، هذه ، ايضا ، الاشراف العام على سجن النساء ، واطمادته بكافة التحليلات التى ترد اليهم ، او يقومون باعدادها ، كذا محاولة المعاونة فى حل المشاكل التى يمكن ان تبرز هناك .

ان سجن القناطر - رجال ، بوضعه هذا ، كان سجيناً دائب الحركة : من مختلف السجون واليهما : من الشارع الى المحكمة . ومثل هذه الاوضاع تقتضى اقصى درجات التركيز على وحدة الحزب ، ووحدة الموقف امام المحاكم . ان أى خلاف سياسى ، داخل الحزب ، انعكس امام المحكمة ، لابد وان يضعف القضية سياسياً . كانت الأحكام من الناحية القانونية شبه معدة ، ومن هنا تكون الزاوية السياسية ، أساسية ، فى مثل هذه القضايا .

الا ان قضية الوحدة السياسية للحزب ، كانت من اعقد القضايا فى تلك المنطقة . فقد ارتبط ، الموقف السياسى ، عند كثير من الرفاق ، وفى كثير من الاحيان ، بالوضع الحلقى ، أو الانتماء التاريخى . وهذا الامر امر متوقع طبيعى ، لحدائثة تكوين الحزب . اذ ان الثقة فى الحزب كفكرة مطلقة ، أو كيان مجرد ، لم تكن هى السائدة . كانت الثقة ما زالت تستمد وجودها من الرموز التاريخية ، أو العلاقات الحلقية السابقة على توحيد الشيوعيين فى حزب واحد . ومن هنا اصبح الانتماء السياسى ، فى كثير من الاحيان ، هو المؤشر الحقيقى للانتماء التاريخى . وهذا يعنى بالتحديد ، ان الفكر الانقسامى ، كان ما يزال قويا . فان اضعفت الى تلك الاوضاع ،



حالة من العزلة عن الشارع ، والجماهير الطبيعية ، غدت المشكلة أكثر تعقيدا . فان اضيفت ايضا ، المواجهة المباشرة ، مع الدولة ، في محاكمها ، تعقدت المشكلة أكثر فأكثر . حيث يرى كل فريق أن وجهة نظرة ، هي الوجهة الوحيدة الصحيحة ، والتي بدونها لن تعلن كلمة الحزب ، أو « تنجز الثورة » ، وأن وجهة النظر الأخرى ، مدمرة ، تضيع الحزب والثورة معا . ومن هنا احتدم الصراع الداخلي في تلك المنطقة الى اقصى مداه وابعده حدوده .

ان لجنة المنطقة في السجن ، أى سجن ، أو في الخارج ، في أى موقع للحزب ، لا تملك تغيير خط الحزب . انها ملزمة به وبتنفيذه . فالحزب ، أمام الجماهير ، أو في مواجهة الدولة ، برنامج وموقف سياسى . فان تعددت البرامج والمواقف السياسية ، أمام تلك الجهات ، فقد انتفتت وحدة الحزب ، وبالتالي انتفى وجوده . ومن هنا كان موقف لجنة المنطقة في هذا السجن ، موقفا دقيقا للغاية . يقتضى حكمة بالغة في السلوك والتصرف قبل الأعضاء تنظيميا ، والالتزام الموضوعى بخط الحزب سياسيا ، وعدم التمييز بين الرفاق جميعا ، بغض النظر عن آرائهم السياسية أو انتهائهم التاريخية . الا ان لجنة المنطقة لا يمكن ان تنجز هذا العمل بمفردها ، انه يقتضى من باقى الأعضاء ، ايضا ، وخاصة الكوادر منهم ، نفس القدر من المسؤولية . ومع ذلك تظل المسؤولية الأولى هي مسئولية اللجنة التى تصدت لقيادة المنطقة .

كان الرفاق الذين يختلفون مع خط الحزب السياسى ، يرون ان لجنة المنطقة تمثل تيارا تاريخيا بذاته ، هو حزب العمال والفلاحين الشيوعى ( ع . ف . ) . ولم يكن ذلك صحيحا . حقيقة ان الاغلبية ، تاريخيا ، كانت من هذا التيار ، الا انه كان هنالك ، ايضا ، رفيقين آخرين ، واحد من ( الراية ) والآخر من ( الموحد ) تاريخيا . ان تشكيل المنطقة قائم على أساس قاعدة تنظيمية ، بان الرفاق الذين كانوا في المستوى التنظيمى الأعلى بالخارج ، هم الذين يشكلون المستوى التنظيمى الأعلى بالداخل . وهنا يمكن للصحة ، ان تشكل المنطقة باغلبية تاريخية ، من هنا أو من هناك ، لكن الشيء الذى لا يمكن ان يترك للصحة أبدا ، هو الالتزام بخط الحزب السياسى .

يقول عبد المحسن بشاشه ، « علاقتى وتجنيدى كان يرجع الى ( ع . ف . ) ، الا اننى ، في السجن ، وعيت اشياء كثيرة . اتضح امامى ان خط الاحتكار وشبه الاحتكار ، خط ضلل ، لا يصلح لتحليل طبقى ،



صحيح للواقع المصرى . بل وادركت : أكثر من ذلك ، انه تحليل غير ماركسى . ان الاحتكار هو الاستعمار ، ولم يكن منصورا ان تبدأ من حلقة في سلسلة استعمارية ، في عصر انهيار النظام الاستعماري . لقد استطعت سياسيا ان احدد موقفى ، ولكننى تنظيميا ، موجود داخل الحزب ، .

القضية ، هنا ، ليست ان يختلف العضو أو يتفق مع رأى الحزب . فكلاهما أمر طبيعى . لكن القضية الهامة ان يدور هذا الخلاف داخل الحزب ، وفي اطره التنظيمية ، وطبقا لقانونه الأساسى ، الا وهو اللائحة . وحينئذ يكون الاتفاق أو الاختلاف فى الرأى ، طريقا الى دعم أو تصويب أو تغيير وجهة نظر الحزب ، مع تطويره وارساء تقاليد نضالية صحيحة فى مواجهة الخلاف داخله . ليست للقضية ان تختلف ، لكنها دائما وأبدا ، هى كيفية معالجة هذا الخلاف ، بما يدعم الوحدة ، وليس بما يؤدى الى الانقسام والتمزق .

ان الفكر الانقسامى ، ليس بالضرورة صادر عن رفاق انهزاميين ، اى يدبرون ، عمدا ، هزيمة الحزب ، لكنه بالتأكيد فكر بخيل على حزب الطبقة العاملة . فخط الطبقة العاملة هو الوحدة ، حيث ان وضعها الطبقي والاجتماعى ، يجعل وحدتها هى سلاحها الأساسى لتحقيق مطالبها . أما الفكر لانقسامى ، فهو فكر البورجوزية الصغيرة . فكر أصحاب الدكاكين . فالصبي الذى يعمل فى دكان ، أو فى ورشة ، لن يصبح مرموقا يحقق ذاته ، الا أن غدا هو نفسه صاحب دكان جديد أو ورشة جديدة .

وقد يرفع الفكر الانقسامى شعارات براقية ، كضرورة ممارسة الديمقراطية ، وانتخاب لجنة المنطقة ، حتى تعكس هذه اللجنة ، الغالبية القاعدية بأصولها التاريخية والسياسية . والحقيقة أن اجراء أية انتخابات داخل السجن على هذا الأساس ، مغاف لكل ديمقراطية حزبية . ان الاغلبية القاعدية ، المخالفة لرأى الحزب ، ان صبح ذلك بالفعل ، ليست نتاج موقع نضالى أو انعكاس لارادة الجماهير وتفاعلها مع خط الحزب السياسى من عدمه . انها اغلبية ، ان صحت ، مرة أخرى ، ناتجة على تشكيل قضايا ، وبالتالي هى اغلبية مفتعلة ، عرضة لأن تتحول الى أقلية ، فى أية لحظة ، ان حدثت محاكمات ، ثم ترحيل للمحكوم عليهم من الرفاق .

واذا افترضنا الاخذ بهذا الطرح ، وتحقق بالفعل ما استهدفه المطالبون به ، أى أصبحت اللجنة القيادية مخالفة لرأى الحزب الرسمى ،

فهل كان لهذه الاغلبية ، ان تفرض ، في هذا المكان ، رأيها الخاص ، وتلغى رأى الحزب ؟ ام انها كانت ستدافع عن خط الحزب ؟ الاحتمال الأرجح انه لو تم ذلك ، لحاولت تلك الاغلبية الجديدة ، المخالفة لخط الحزب ، فرض مفهومها المخالف . وهنا تكون قد كشفت عن عدم ايمانها الفعلى بالديمقراطية الحزبية التى تتجسد في المركزية الديمقراطية ، مهددة أحد بنودها الأساسية ، الا وهو خضوع المستوى الأدنى للمستوى الأعلى . ان هذا الاحتمال ، بالخروج على خط الحزب ، او الانشقاق عليه ، أمر تؤكد مجرياته ، الاحداث داخل هذا السجن . يقول صابر زايد ، « من الناحية السياسية ، كانت هنالك صراعات حول مواضيع مختلفة . كان التناقض أساسا بين « الراية » و « ع . ف » ، صراعات حول القيادة . من ينفذ ومن لا ينفذ خط الحزب . كانت الاوضاع سيئة ، حتى ان مجموعة خرجت ، واسميت نفسها « الافق » ، امتدادا « لافق » الواحات ، بعد أن سمعوا بها - وكان محمد المستجير وماهر سبعان وأمام رفاعى ضمن هذه المجموعة ، »

ان هذا التناول من زاوية ، ما كان يجب ان تكون الامور عليه ، او من الزاوية البحثية ، لا يعنى ان لجنة المنطقة لم تقع في الخطأ . ان المنهج التنظيمى الذى تتبعه اية قيادة او سياستها التنظيمية تلعب دورا هاما وجوهريا في الحفاظ على الحزب ووحدته ، او تعميق الخلافات واذكاء روح الحلقية فيه . يقول صابر زايد ، « كنت مضطهدا على أساس اننى انتمى تاريخيا الى « حدثو » ، وان هذا الانتماء يعنى انه لا اطمئنان الى ، واننى لابد عائد الى جماعتى التاريخية . كان الوضع الحزبى مفككا ، وهنالك صدامات شخصية . فاضطرت للقاءة مع زملاء من « حدثو » ، مثل فاروق ثابت وعبد السلام الخشان ، على أساس التواءم للشخصى فقط . كانت لديهم نظرية المجموعة الاشتراكية ، وكنت انا ضد هذه النظرية . كنت ارفضها واعتبرها هجسا لا أساس له . وبقيت معهم ، على هذا الأساس ، حتى قدمت للمحاكمة ، »

ويقول عبد المحسن شاشه ، « كانت هنالك تصرفات لا مبدئية من الزملاء ، الذين يمثلون خط الحزب الرسمى ، في مواجهة المعارضة داخل الحزب . لقد حاول بعض هؤلاء الزملاء الاعتداء على الزميل مصطفى عبد العزيز ، وكان ضعيفا ، مريضا بالقلب ، يقيم بمفرده ، وان كان سليطا في السياسة . فمنعناهم من ذلك وضربناهم . واتخذت لجنة المنطقة قرارا بوقف ثمانية زملاء كنت انا منهم ، ومنصور الاكشر ، ومحمد يوسف ، ومصطفى عبد العزيز ومحمود العطار . ورأى البعض ، نتيجة ذلك ، ان نستقل في حياة عامة ، غير تلك التى للحزب ، الا اننا رفضنا

ذلك . كنا نرى أن هذه الأخطاء لن تدوم ، وأن هذه الأشكال اللامبدئية لا تعبر عن الحزب . فسجن القناطر ليس الحزب . أن كتلته الرئيسية في الواحات . كان أملنا الوحيد أن ننتقل إلى الواحات . كنا نستعجل المحاكمة حتى ننال هذا الحق . وعند التأجيل ، كنا نصاب بالضيق إلى أقصى حد ، لرعبتنا في ترك القناطر . كنا نودع الذين يرحلون إلى الواحات بالحنن والبكاء لأننا محرومون من الذهاب إلى هناك .

ويقول جمال الشرقاوى ، « وقت أن كنت مسئولاً عن المنطقة ، كان نهجنا توحيدياً . كنا من الخارجين على أصولنا التاريخية ، تحكمنا روح الحزب الواحد . لم تكن هناك أية مشاكل تكتلية أو شللية أو حلقية . بل لقد نجحنا ، في ذلك الوقت ، في خلق وحدة فكرية حول خط الحزب . ولقد أثر ذلك على الرفاق تأثيراً إيجابياً ، حتى أن أحدهم ، وكان من « الراية » ، تاريخياً ، صرح بأن لديه ما يقلقه . ذلك أن « المصرى » أو « الراية » ، كان له في داخل الحزب تنظيم مواز للحزب ومستقلاً عنه . وأن ما رآه من روح توحيدية ، يثقل ضميره ، لارتباطه السابق ، بمنزل هذا التنظيم الموازى . ( وعندما ذهب هذا الرفيق إلى الواحات وعمل من زملائه الذين يماثلونه في الأصل التاريخي معاملة سيئة ) . أما المنطقة تحت مسئولية سامى عجيب ، فقد تميزت غالبيتها بالتحجر . لم يكن الزملاء من أصل ( ع . ف ) يراعون أى قدر من المرونة في التعامل . كانوا يشكلون ، معاً ، جبهة واحدة مما كان يشعرنا بالمرارة والأذى . لم يكن مختلفاً مع لجنة المنطقة ، من ناحية الخط السياسى ، لكننى اختلفت معها بشكل أساسى فى أسلوب عملها ، سواء فى ادارتها للصراع السياسى داخل المنطقة أو أسلوبها القيادى .

هناك رفاق اتخذوا مواقف داخل المنطقة مثل المهندس فوزى حبشى والدكتور مختار السيد ، وفى تقديرى أن مسلكهم ، بشكل عام ، كان مسلكاً ليبرالياً . كان لديهم جرأة بالغة على تحطيم القرارات وعبحم الاكثريات بالتنظيم . أما بالنسبة للزميل محمود العطار ، فكان خلافه سياسياً فى الأساس . وكان أكثر احكاماً لحركته التنظيمية . جمود زملاء « ع . ف » وليبرالية بعض الزملاء ، كانا سبب المشاكل فى المنطقة . ولو كانت اللجنة القيادية أكثر حكمة وخبرة ، لما وصلت الأمور إلى ما وصلت إليه . كانت القيادة غير مؤهلة ، مفروضة تنظيمياً وسياسياً .

أن غالبية هؤلاء الرفاق الذين اتخذوا موقف العزلة ، بسبب الاحساس بالغربة داخل الاطار التنظيمى الحزبى ، بسجن القناطر ، أو هؤلاء الذين اتخذت منهم اجراءات عقابية تنظيمية ، ورغم ذلك تمسكوا



بعضويتهم في الحزب ، انما هم ينتمون ، تاريخيا ، الى الحزب الشيوعي  
المصري الموحد . وهم جميعا قد رفضوا الموقف الانقسامى الذى اتخذه  
قيادة « حكتو » ، في منتصف عام ١٩٥٨ . وهم قد ناضلوا باخلاص  
واستماتة للحفاظ على وحدة الحزب ، والقتال تحت رايته . وهم بعد  
الضربات التى اصاب الحزب ، من جراء حملة ١٩٥٩ ، ظلوا قوة  
توحيدية ، مقاتلة ، تؤكد وجود الحزب في الشارع ، وتناضل دفاعا عن  
مصالح الجماهير ، باعتبارها جزءا لا يتجزأ من نسيج الحزب .

كما ان بعضا من هؤلاء الرفاق ، الذين اتخذت منهم مواقف عقابية ؛  
ينتمون ، تاريخيا ، الى حزب العمال والفلاحين الشيوعى « ع . ف . » .  
اى انهم حقا ينتمون الى اقلية اللجنة القيادية . الا انهم يختلفون معها  
ومع خط الحزب الرسمى . الا ان ذلك لا يعنى موقفا ضد الحزب ذاته ،  
انه موقف ضد خطه السياسى .

ان الوضع على هذا النحو يكشف عن خلل في المنهج التنظيمى الذى  
عالجت به غالبية اللجنة القيادية الخلافات المثارة داخل الحزب . ان  
الاعلانية في المستوى القيادى الحزبى ، قد تقع في خطأ الاعتقاد بانها وحدها  
المسؤولة عن الحزب ، والامينة عليه . وهى ، حينئذ ، لا تضع في  
اعتبارها ، ان الاقلية جزء اصيل من الحزب ، يحس بنفس المسئولية ،  
وثقل الامانة . وان تلك الاقلية ، عند ممارسة المركزية الديمقراطية  
بصورتها الصحيحة ، يمكن ان تتحول الى اقلية ، وبالتالي يسود رأيها  
الحزب . ان التعامل مع الاقلية داخل الحزب ، وفي اطاره التنظيمى ( ونحن  
هناك نتحدث عن الذين يحلون الخلاف بالانشقاق على الحزب ، فهؤلاء  
قد اسقطوا بايديهم حقهم في العضوية ، وبالتالي كل حقوقهم الحزبية  
واللائحية ) يجب ان يكون تعاملًا رفاقيا . تعامل مع وجهة نظر ، وليس  
تعاملًا مع عملاء في داخل الحزب . والا فائنا نكون بذلك قد نهجنا نهج  
البورجوازية ذاتها ، والتى تتعامل مع المخالفين لها باعتبار انهم خارجين  
على الوطن والوطنية . ان تعامل الاقلية في الحزب ، مع الاقلية ، بعقلية  
الوصاية على الحزب ، وعقلية ان الاقلية هى وحدها « صاحبة » الحزب ،  
وان من يختلف معها ، فقد اختلف مع الحزب ، وربما مع الماركسية  
اللينينية ذاتها ، انما يعكس بالكامل الفهم البورجوازى لكيفية معالجة  
الخلاف في الراى او الموقف ، ويناقض جذريا ، واحدا من أهم مقومات  
المركزية الديمقراطية ، الا وهو احترام الاقلية لراى الاقلية واعطائها  
كل الفرص ، طبقا لللائحة الحزب ، في التعبير عن هذا الخلاف .

ان هذه النظرة ، دون شك ، تعكس عقلية حلقية ، من بقايا الفكر  
الانقسامى ، وهى ان كل منظمة على حدة ، تمثل التيار الثورى الماركسى



الصحيح ، وأن الآخرين إنما هم مجرد انتهازيين ومتمركسين . ومن هنا يصبح معيار الانتماء التاريخي ، هو معيار الاخلاص للحزب . وبذا ينفي المعيار الحقيقي ، معيار الجهد والتضحية في سبيل بناء الحزب والدفاع عنه في مواجهة التصفية ، كمعيار موضوعي للحكم على الأعضاء .

ومن الأسباب ، أيضا ، التي فاقمت من أزمة الحزب ، في هذه المنطقة ، ضعف الوضوح السياسي . فقد قام صراع ايديولوجي ، بعيدا عن الواقع ، الذي هو محك اختبار لصحة الخط السياسي للحزب من خطئه . وبالتالي فقد خندق كل فريق في مواجهة الطرف الآخر ، وغدا الدفاع عن الفكر ، في ذاته ، برغم كل ما يحبطه من عوامل القصور وكأنه دفاع عن الذات بكل عزلتها وبعدها عن الواقع العملي .

يقول عبد المحسن شاشه ، « لم يكن الصراع الايديولوجي متبلورا بين وجهتي النظر الموجودتين ، لأن كلا الاتجاهين السياسيين كان عاجزا عن أحداث تغيير في القوى العنصرية للطرف الآخر ، بمعنى ان المسألة غدت حلقة مصمتة ، لا يمكن للتأثير فيها ، .

ان عوامل موضوعية وتاريخية وذاتية قد تداخلت معا ، لتجعل الصراع داخل الحزب في هذه المنطقة ، صراعا عدائيا . صراعا يحصل السمات الانقسامية التي كانت سائدة قبل الوحدة ، لا تلك السمات الواجبة لأعضاء في حزب واحد . لقد غذى هذا الاتجاه ، دون شك ، وجود نقل ، حقيقي ، عددي وسياسي « لحدنو » في نفس المكان . في داخل ذات القوقعة . كانت هنالك قضية « حدنو » الكبرى ، والتي عرفت باسم « قضية شهدى نهاية » . وكانت تشتمل على عدد لا يستهان به من كادر « حدنو » التاريخي والقيادي . وهو كادر يمثل الاصحاب السياسيين لفكرة « المجموعة الاشتراكية » ، والمتنظرين لها . كما كان يملك علاقات تاريخية بالعديد من رفاق الحزب ، والذين كانوا ينتمون في الأصل الى « حدنو » أو الى الحزب الشيوعي المصري الموحد . كما كانوا يمتلكون باعا طويلا في مرونة التعامل مع الآخرين وكيفية الاستفادة من المناقضات داخل الحزب ودفعها الى أقصى مداها .

يقول عبد المحسن شاشه ، « لم يكن التنظيم الحزبي تنظيما حديديا . ومن هنا فان كثيرا من خلافاتنا داخل الحزب كانت مطروحة في طرقات السجن . وقد مكن ذلك « حدنو » من تحديد المختلفين بسهولة والتركيز عليهم . لقد بذلوا معنى محاولات ، غير معقولة ، للذهاب معهم . وكان أسلوبهم ، بالطبع ، أسلوبا غير مبدئي . كان من الممكن ان يبدأ بدعوة الى الطعام أو أشياء من هذا القبيل . »

كانت « حدثو » تشكل مركزا ضاغطا يغذى الفكر اليميني داخل الحزب، كما يغذى ، وبالحاح ، الفكر الانقسامى ، ايضا ، وخطر ذلك انه لا يصدر عن قوة سلطوية ، تضرب الفكر بالسوط والعصا ، ولكنه يصدر عن مجموعة تحمل اسم « الحزب الشيوعى المصرى - حدثو » ، أى تتكلم باسم الشيوعية ، وتضفى على افكارها رداء من نصوص مجتزئة منزوعة من واقعها ، وتحاول فرضها قسرا على الواقع المصرى . أى تحاول ان تناقش الفكرة بالفكر ، مع خلفية توحى بان استمرار الحزب على افكاره « اليسارية المدمرة » ، انها هو السبب الرئيسى لاستمرار السجون والمعتقلات . أى انها تغسازل كواامن الضعف ، التى يمكن تواجدها انسانيا ، طارحة فكرها وتنظيمها باعتباره الطريق الى خارج الاسوار .

كل ذلك ، بالتأكيد لعب دورا هاما وخطيرا فى صعوبة الاوضاع الحزبية ونعقيدها وتعثرها فى منطقة سجن القناطر - رجال .

ومع ذلك ، يقول جمال الشرقاوى ، « كنا متحمسين ومقتنعين بخط الحزب ، رغم انه ، حسب تقديرنا الآن ، كان خطأ يساريا فى بعض جوانبه ، الا انه ، حينذاك ، كان يمثل موقف التشدد امام الضربات التى كانت تكيلها الحكومة للحزب . وكان يعطينا تفسيرا وتبريرا ، اكثر منطقية ، لما نعلمه السلطة . وكان يجعل مواقفنا ، نحن ايضا ، اكثر منطقية . كنا قادرين على شد الناس . نخوض معاركنا بحافز وقوة ، مما اكسبنا مكانة وسمعة طيبة امام النيابة والادارة والسجانة . كان كلام « حدثو » متهاقنا ، اما نحن فقد كان فى وسعنا ان نجادل ونقاوم ، فى الوقت الذى كان فيه تفكيرهم ، هم ، يضعهم فى موقف الضعف » .

### الحياة العامة :

الحياة العامة ، هى اطار حياتى مشترك ، مسئول عن عدالة توزيع الامكانيات المتاحة ، والعمل على زيادتها ، وتنميتها ، حفاظا على الحد الأدنى - على الاقل - للمستوى المعيشى والثقافى ، للحياة داخل السجن .

كانت بسجن القناطر - رجال حياتان عامتان منفصلتان . واحدة تضم اعضاء الحزب ، والاخرى تضم اعضاء « حدثو » . وكان الانقسام فى الحياة العامة ، أمرا مقصودا ، من قبل جماعة « حدثو » ، حيث كانوا يسعون للتمايز عن الحزب ، واشهار اعلان هذا التمايز ، فى كل صورة سكنة ، وفى كل مناسبة متاحة .

كانت الحياة العامة تقوم فى داخل الحزب على أساس المصادرة بنسبة ١٠٠٪ . كانت كل الامكانيات التى ترد الى اعضاء الحزب تصادر

لحساب مجموع العضوية ، وتوزع عليهم بالتساوى . وكانت الحياة العامة الحزبية تتأثر ، أحيانا ، باشتداد الصراع الداخلى فى الحزب ، حتى أن بعض الرفاق الذين وقعت عليهم عقوبات تنظيمية ، فكروا فى إقامة حياة عامة ثالثة ، إلا أنه من بين الرفاق المعارضين أنفسهم ، من كان يتصدى لهذه الفكرة ويرفضها رفضا باتا . وقد أدى هذا الموقف الصحيح ، الى بقاء كل الرفاق الذين أضيروا تنظيميا أو تركوا الحزب ، فى الحياة العامة الحزبية . وكان الرفيقتان سامى عجيب وأحمد الجبالي هما المسئولان عن الحياة العامة الحزبية .

وكانت الحياة العامة التابعة « لحدثو » ، تصل أيضا الى هذه النسبة . يقول الرفيق فاروق ثابت ، وكان حينئذ ، مسئولاً عن الحياة العامة « حدثو » ، « كل الناس كانوا يعيشون معيشة واحدة . ذلك هام فى الحبسات الطويلة . أما فى الحبسات القصيرة ، فيصعب تخليص الناس ، وخطعهم من بيئتهم الخارجية ، دفعة واحدة . وهنا ، يمكن أن تكون الحياة العامة خمسين فى المائة مصادرة ، والباقى لصاحب الطرد ، أو الأمانة . فى تلك الحبسة عشنا على الفول والعجس ، حتى اهترأت بطوننا . ولم تكن هنالك فرصة لأن يتميز البعض داخل الحياة العامة ، »

بعد ، بداية اوردى أبو زعبل ، والمجازر التى جرت فيه ، وبعد بداية التعذيب والتفكيك فى منفى المحاريق ، انتقلت بعض القسمات التى فى كليهما الى سجن القناطر - رجال . جاء أحد لواءات مصلحة السجون لزيارة السجن . جمع كل المسجونين الشيوعيين . حاولوا أن يثيروا معه الأوضاع السيئة التى يعيشون فيها ، إلا أنه بإدراهم بأوضاع أشد سوءا : « منذ اليوم ، لا أحذية ، لا ملابس داخلية ، لا زيارات ، لا شئ على الإطلاق ، » وانصرف .

وجاء طبيب جديد الى السجن . كان ذلك فى أواخر عام ١٩٦٠ واولائل عام ١٩٦١ . لم يكن طبيب سجون ، اذ كانت الادارة الطبية ، بوزارة الشئون الاجتماعية ، هى المشرفة على الادارة الطبية للسجون . كان طبيبا انسانا ، افزعته ان يرى الحال الذى كان عليه ، الرفاق المسجونون ، تحت التحقيق . كانوا يرتدون ملابس السجن فوق اللحم مباشرة ، يسيرون حفاة ، وينامون مرضى واصحاء ، فوق الابراش . كان المسجون ، تحت التحقيق ، الدكتور جميل حقى هو ممثل الحياة العامة الحزبية ، وكان الدكتور مهناح الجندى ، هو ممثل الحياة العامة « حدثو » . واتفق معهما طبيب السجن على خطة ، يرتدى ، على اساسها ، الرفاق ، الشباشب والملابس الداخلية . وتقوم هذه الخطة على « الروشتة »

الطنية ، اى ان يقول الطبيب ، ان هذا المسجون سىء الصحة ، بسبب  
تأثير الرطوبة والحفاء ، ولذا يسمح له بحذاء أو شبتشب وملابس داخلية .  
وفى خلال شهر واحد ، كان الجميع يرتدون الملابس الداخلية ، وشيئا  
ما فى افدامهم . ثم بدأ فى صرف المراتب للمرضى ، كما صرف لهم وبعض  
الرفاق ايضا ، غذاء لبن وبيض وعيش فينو وخضار وحجاج . ولـ ذاك  
الاشهر ، كانت تدخل الحياة العامة ، مع صرف الغذاء اللازم للمرضى  
بالفعل . لم يطلب الرفاق فى كلتا الحياتين العامتين ، أو يلحون فى طالب  
تغيير ملابس السجن . فقد كان ذلك يعنى شراء منامات وجلاليب للرفاق  
جميعا ، ولم تكن امكاناتهم تسمح بذلك . اذ كان الامر فوق طاقتهم  
المادية .

كل ذلك لم يكن استرداداً لحقوقهم كسجناء - تحت التحقيق - طبقاً  
للائحة السجن - ولكنه كان موقفاً انسانياً ، من طبيب شجاع ، عرف  
كيف يلتف حول تعلمات المباحث العامة . ومعنى ذلك ان كل هذا الوضع  
كان وضعاً موقوتاً بوجود هذا الطبيب ، وانه فى حالة تغييره بطبيب آخر ،  
لا يكون على هذا القدر من الانسانية والشجاعة ، أو ذا علاقة مشبوهة  
بالأجهزة الأمنية ان تعود الاوضاع الى ما كانت عليه ، طبقاً للتعاليمات  
الاساسية الواردة من المباحث العامة .

كانت الحياة العامة ، ايضا ، مسئولة عن تنظيم توزيع السجائر  
على الرفاق المدخنين ، وكان نصيب الفرد الواحد ، فى اليوم الواحد ،  
سيجارة واحدة .

ولقد حاول الرفاق مواجهة الاوضاع الصعبة التى يعيشونها ، وذلك  
باصدار مجلة سياسية ، واعداد معرض فنى ، كذلك عقد بدوات فكرية  
وسياسية مفتوحة للجميع .

### الجلسة :

اصدرت لجنة منطقة القناطر مجلة سياسية ، اربع أو خمس  
مرات ، تحت اشراف مسئولها سامى عجيب . كانت المجلة فى حجم كف  
اليد وكان الرفاق يعمدون ، ليلة اصدارها ، الى تدبير التسكين ، بحيث يتواجد  
كل العامتين فيها ، فى غرفة واحدة . كانوا يستخدمون الفتيال العائى  
للانارة قبل دخول الكهرباء الى السجن . قطعة قطن فى زيت اليمك ، وحتى  
لا يرى السجناء ، نوبطشية الليل ، هذه الاضاءة الباهتة ، كانوا يسدون  
شبابيك الزنزانة ، وشباك بابها ، وفتحة النظارة بالباب واسفله



بالبطاطين • فلا يبين من الخارج شيئا • كانت تكتب فيها المقالات ،  
والشعر ، والنكات ، ورسوم الكاريكاتير ، والموتيفات ، والغلاف الملون •  
كانت سيئا أقرب الى مجلة روز اليوسف • مجلة كاملة تعد طوال الليل ،  
وفي الصباح تبدأ عملية تداولها بين الرفاق •

### الأعمال الفنية :

يقول اكرام محارب وهو رفيق تحت التحقيق ، فنان نحاس :  
« في سجن القناطر ، كان لدينا وقت بلا حدود • كنا نجلس هكذا دون  
عمل ، سواء كانت الزنازين مفتوحة علينا ام مغلقة • رأيت المساجين  
العاديين يصنعون الشطرنج من لبابة الخبز • كانوا يضعون فيها ملحاً  
فتكتسب بعض المرونة ، ثم يستخدمون الهباب حتى يكون اللون اسودا » •

ان الشيء الذي لم يكن يعرفه الرفيق اكرام محارب حينذاك ، ان  
هذا الذي يفعله المسجونون العاديون ، انما قد تعطوه منا نحن في حبسات  
سابقة ، وهم قد استمروا فيه لياخذ زبلاؤنا عنهم في تلك الحبسة •

بدأ اكرام محارب في اجراء تجاربه الخاصة ، وجد أن لبابة الخبز  
خامة معقولة • كان ، بداءة ، يقوم بتنظيفها من « الردة » ، حتى تكون أكثر  
مرونة ، ثم يحتفظ بها يوما أو يومين أو أكثر فتزداد لحونتها • ثم أخذ  
في اعداد الألوان من صيدلية السجن • بدأ بالميكروكروم وصبغة اليود •  
اكتشف ان الأخيرة يتلاشى لونها بعد يوم أو يومين • فطلب في إحدى  
الزيارات ، أن يرسلوا له من الخارج بلورات صفراء ، وريفلانين ومبثلين  
بلو • وهكذا أصبح لديه اللون الاصفر والاحمر والاسود • وكانت  
اللبابة ، بطبيعتها ، ذات لون اسمر • فان شاء ان تكون بيضاء ، اضاف  
لها معجون الاسنان ، فتصبح ناصعة • غدت العجينة المصنوعة من لبابة  
الخبز مادته ، يشكلها كيف شاء ، يخففها بالماء أو الغراء أو ايسة مادة  
لاصقة ، اذا خففت أكثر ، أصبحت نشاء ، يشبع به الشاش الطبي ،  
فيصبح شاشا ملونا منشيا ، يقصقصه ، يصنع منه اشكال مختلفة •  
استخدم الصابون « السانلايت » ، ايضا ، كان يقطعه الى قطع مناسبة ،  
ثم يقوم بتلميعه واستخدامه كقواعد تبدو وكأنها من الرخام •

يقول اكرام محارب ، « كان الصبر أمرا هاما جدا في مثل تلك  
الأعمال • كما يلزم الدأب لتحقيق نقش ادق من اطراف النمل • الشيء  
الواحد يصنع على مراحل • الوردية ، مثلا ، تنفذ في يوم ، ثم تترك حتى

تجف ، ثم يأتى العنق فى يوم آخر ، ثم اوراق الفرع فى يوم ثالث ، والقاعدة ، أخيرا ، فى يوم رابع . كنا قد اعددنا مخابئنا نضع فيها الانتاج ، حتى نتمكن من تهويبه ، فيما بعد ، الى خارج السجن . ثم بدأت فى عمل اشياء مجسدة . رأس حصان أو رأس حمار . كنت اقوم بعملها من عشرات القطع ، ابدأ بصف الاسنان ثم للزقه فى الفك ، ثم صف اسنان ثان والزقه فى الفك الثانى ، ثم لسان ملون بين الفكين ، ثم لحام الفكين ، ثم الاذنين ، فاللجام والعرف والشراشيب ، وكل الاجزاء الأخرى . هذا العمل كله لا يتجاوز سنتيمترات معدودة . صنعت ايضا حمامة السلام وطيور أخرى مختلفة .

كانت الادوات المستخدمة فى هذه الأعمال الفنية هى : نصف شفرة حلقة ، ابرة ، قطعة زجاج ، وعدد من زجاجات البنسلين بها الالوان . كنت اصنع كميات من العجين ، والوانها ، واخزنها ، واسحب منها حسبما اشاء .

كان من أهم القطع التى صنعتها ، بابا نويل . كانت قطعة كبيرة ، ذات قاعدة مكونة من قطعتين من الصابون ، الى جوار بعضهما البعض . والقطعة عبارة عن حصان يجر عربة كارو ، ويسوق بابا نويل الحصان . كان فوق العربة شجرتى عيد الميلاد . وكان الحصان كاملا : ذيله وشعره واذناه ، وما يوضع عليه من لباس وزواق ، حتى حوافره ، صنعت بكل تفاصيلها . ثم العربة ، العريش ، العجلات ، الاكسائ والمحاور . ولم يكن ظهر العربة قطعة واحدة ، كان قطعا لصقت متجاورة ببعضها البعض ، كذا الطوق الحديدى حول العجلات ، وقد استخدمت فيه الورق الفضى لعلب السجائر ، والفسانوس معلق ، يتحرك فى مؤخرة العربة ، بكل اجزائه والوانه ، بحيث يبدو وكأنه مضاء ، وذلك باستخدام الالوان المتدرجة . كان حجم هذا الفسانوس ، بكل ما فيه ، لا يزيد عن حجم رأس عود الكبريت ، الا قليلا . وبابا نويل ، بذقنه وشفتيه وحاجبيه وعينيه ويديه الصغيرتين للغاية ، واظافره التى كان بها طلاء الاظافر ، « اكلادور » . كنت لم استطع عمل بعض التفاصيل ، فاستعصت عنها بمؤثرات لونية ، تعطى الانطباع المطلوب . وكان بابا نويل يمسك ، بيده الصغيرة تلك ، لجام الحصان .

كان الرفاق يتابعون تلك الأعمال ويجرون حولها دراسات فنية ، وربما كانت سياسية ايضا .

وقام اكرام محارب برسم لوحة ، لفتاة تطل من نافذة ، ذات ضلعة مفتوحة . الشيش واضح ، وكذا الخروم فى الخشب ، وستارة ووردة .

يوم ان انتهى من هذه القطعة الرقيقة ؛ كانت تذاع لأول مرة ، اغنية « ساكن قصادي » ، فاطلق عليها نفس الاسم . الا ان الرفاق انتقدوه ، قائلين ان هذه اللوحة ، تعكس مزاجه الوردى ، فهو نائم مسترخ في السجن ، يرسم « خواجهية » ذات « ببيونات » في شعرها ، وسقارة ايضا . اشياء كلها « بورجوازية » . فقام اكرام بتكرار القطعة ، صانعا غلاحة تلبس عندا من الكهرمان ، والى جوارها مصباح جاز ، وبذا اصبح العمل الفني « ثوريا » ، ورضى عنه الرفاق « النقاد » ، صنع اكرام العشرات من هذه النماثيل .

وبدا عدد من الرفاق يجنون رغبتهم في المشاركة أو القيام بمثل تلك الاعمال الفنية . فشكل منهم اكرام مجموعة فنية ، برز فيها الرفيق صابر زايد الذى كان يبرم العجينة الى ما يتسبه الحبال الرفيعة ، للغاية ، ثم يصنع منها سلالا . واستخدم بعض الزملاء الصابون في نحت تماثيل الوجوه ، كما بدأ البعض الآخر أعمالا تقوم على الرسم . وبذا تجمع ، لدى الرفاق ، عدد كبير من القطع واللوحات ، تمكنهم من اعداد معرض فنى . واقیم المعرض بالفعل في احد الزنازين ، حيث قدمت فيه أعمال ثلاثة أو أربعة من الرفاق . وكانت كل المعروضات من المنضات وقطع الصابون المنحوتة .

بدأت ادارة السجن ، بعد هذا المعرض ، تبدى اهتماما خاصا بالاعمال التى يقوم بها الرفاق . كان مأمور السجن يعلق في سيارته ، راقصة بالية ، من صنع اكرام . وقد حل ، هذا الاهتمام ، لاکرام كثيرا من المشاكل التى كان يمكن ان يتعرض لها . اذ كانت تعتبر كل الادوات التى يستخدمها ، ممنوعات ، تعاقب عليها لائحة السجن . وغدا تفتيش زنزانه ، تفتيشا شكليا . بل ان احد الجنود ، عثر ، في فترة من فترات الشد مع الادارة ، على تمثال بابا نويل ، فقام باخفائه ، واعادته اليه مرة اخرى ، بعد ذلك .

طلبت ادارة السجن من الرفاق تجميل حجرة الزيارة بالسجن . كانت حجرة قديمة ، بشعة المنظر ، حجرية المقاعد . ضمت ادارة السجن حجرة اخرى اليها . وبدأ الرفاق العمل . ازيل الحائط المشترك وكذا المقاعد الحجرية . رسم اكرام محارب لوحة كبيرة للغابة تشبه تمثاله « ساكن قصادي » . فتاة ذات صفائر ، تقف في نافذة ، نصفها مفتوح ، وقفة ، الانتظار . ثم تم تغيير دهانات الحوائط من الجير الى الزيت ، وغدا لكل حائط لون مختلف ، عن باقى الحوائط . كما وضعت ستائر ملونة ، بطول

الحوائط ، تم اعدادها من اقمشة السجن بعد تلوينها . ثم بدأت اعمال الديكور ، وكانت كلها من اسلاك « مجفنة » ، ثم تشكيلها ، باستخدام كاوية ولحام وموقد وحامض واقراص خشبية ثلاثة مختلفة الاحجام ، وكذا بنسبة او كمائة . كان التقطع والتشكيل يتم في زنزانة داخل العنبر ، ثم يثبت على الحوائط : وجه سجين يرتدى كاب السجن . أحد السجناء في استقبال زوجته ، وآخر يمسك بخطاب يفتحه . الاشكال كلها من راقع السجن ، وحياته اليومية . كما تم صنع قاعدة تمثال ، يمكن ان تستخدم فيما بعد ، واعداد مكان مناسب لضابط الزيارة . وجاء دور الاثاث فكان بسيطا ، جميلا ، موزعا بطريقة منسقة .

ما ان انتهى الرفاق من اعداد حجرة الزيارة ، حتى طلب المسامور من الرفيق اكرام الاشراف على اعداد استراحة الضباط ، خارج مباني السجن . ومنذ ذلك الوقت اصبح للرفاق ، في العنبر ، زنزانة خاصة بالأعمال الفنية ، زنزانة تكاد ان تكون « اتيليه » . وطلب اكرام طينا اسوانليا ومنضدة وجردل وخيش لصناعة التماثيل ، فاحضرتها الادارة ، ثم طلب فرش ألوان ، وألوان ، وزيت ولوحة وحامل ، فاحضرتها الادارة ايضا .

ولم يقف الامر عند هذا الحد . كان الرفيق فوزى حبشى ، ضمن المسجونين احتياطيا ، تحت التحقيق . فعرض عليه مدير المنطقة ان يصمم له فيلا من ثلاثة ادوار . كان المطلب شخيصا ، الا ان الرفاق وجدوا فيه منفذا للحركة ومخرجا لقضاء الكثير من حاجياتهم . يقول فوزى حبشى ، « ابدت موافقتى واستعدادى ، الا ان مثل هذا العمل يحتاج الى زنزانة انفرادية خاصة ، تدخلها الكهرباء ، كذا لابد من توافر امكنيات مثل الورق والقلم والمحاة وادوات الرسم ومنضدة . وبالفعل اعدت زنزانة ، احضرت فيها كل تلك الاشياء ، وهى المنوعة عتيقا وعنا منعسا باتا . بدأت باعداد رسومات الفيلا . وكان لابد من عمل « ماركيت » لها ، وهو جهد يحتاج الى معاونة رفاق آخرين . وبالفعل اشترك فيه اكرام محارب وصفوت عباس وصابر زايد ، الذى كانت يده جيدة فى صناعة الماكينات ، والذى حدد اربعة عشر رفيقا للعمل معه . اسنمر العمل فى هذه العملية قرابة عام . كنا نتحرك فيه انا وستة او ثمانية رفاق ، داخل السجن فى حرية تامة . اذ كان يلزم ان تذهب الى الورش لتنفيذ بعض المطلوبات . واخيرا انتهى « الماركيت » من الخشب الابلكاش . وكان



منزوعاً من الداخل ، حيث قام أحد مهندسي مصلحة السجون بنزع  
الكهرباء اليه لاضاعته . فوضع في معرض مصلحة السجون لهذا العام .  
وكانت المصلحة فخورة به للغاية .

### الأعمال الثقافية :

في الشهور الأولى لعام ١٩٦٣ ، تلاحت الأحداث ، كان ذلك بعد  
معركة الاضراب عن الطعام والنزوح خاضها رفاق الحزب ، داخل السجن ،  
في اواخر عام ١٩٦٢ . وقع انقلاب عبد السلام عارف ، ضد عبد الكريم  
قاسم ، ثم انقلاب ٨ مارس في سوريا . كانت المجلات المصرية والاجنبية  
وجريدة الموند مترجمة تصل الى الرفاق ، كما وصلتهم رسائل زرجة  
سلام عادل ، سكرتير الحزب الشيوعي العراقي ، وأخبار مؤتمرات السخيلة  
في الاتحاد السوفيتي ، ومؤتمر الاتحاد النسائي الدولي . واستغرقت  
الأحداث الرفاق ، فعدوا ندوة دائمة مفتوحة لكل المسجونين السياسيين  
لمتابعة الأحداث في العراق وكذا أحداث أمريكا اللاتينية . كذلك كانت  
هنالك مجموعة محاضرات في الاقتصاد السياسي والقضايا العامة . يتول  
عبد المحسن شاشه ، « في ذات هذا الوقت » كانت « حدثو » تعقد ندوة  
اسبوعية ، اسمها « سوقيات » . كان الاسم ، بالطبع ، مشوقاً ،  
لكن مضمون ما كان يجري فيها ، كان تحليلاً لاجراءات عبد الناصر ، بدءاً  
بالاصلاح الزراعي حتى السد العالي . الخ ، كان كلامنا نحن أكثر  
جزرية ، وأكثر مهماً للقضايا . وكان المشاهد لهم ولنا ، يستطيع ان  
يحدد ، من هم الشيوعيين في هذا المكان ، .

كان في وسع الرفاق في ذلك الوقت ، ادخال كتب الى السجن .  
وهكذا أصبحت لديهم مكتبة خاصة بهم . كان مسئولها الرفيق عبد المحسن  
شاشه . واندعتت حركة ثقافية ، تعرض هذه الكتب وتناقشها . وغدت  
فترة ، ما بعد الاضراب ، فترة غناء فكري وثراء ثقافي .



# الفصل الرابع

## الاضراب عن الطعام

الاضراب عن الطعام في سجن القناطر - رجال ، اوضاع سنيئة للغاية . جميع يرتدون ملابس السجناء تحت التحقيق ، والغالبية منهم ، دون غبارات داخلية . معظم الرفاق حفاة . التغذية رديئة نوعا ، وقليلة كما . اليك هو الطعام الاساسي ، من الاعشاب خضراء ، لا يستطيع المرء التعرف على نوعها ، للحم دهون وجلود ، تعاقبها النفس . الناس تاكل مجبرة ، حفاظا على حياتها . لا يسمح باذخال الطعام من الخارج او مع الزيارة . الرفاق يعانون مجاعة حقيقية . لا تعامل مع كائنات السجن ، وان سمح بذلك ، احيانا ، نفى حدود جنبيين فقط ، كل شهر ، للمسجون الواحد . غالبية الرفاق ، بلا قدرات مالية . ظروفهم وظروف أسرهم عسيرة للغاية . المدخن يحصل ، ان حصل ، على سيجارة واحدة في اليوم ، يقطعها الى خمسة اجزاء ، لمدخن خمس مرات ، تكاد تكون المرة ، شهقة واحدة . لا علاج البتة . كل ما يصرف للجميع هو الاسبرين . هنالك حالات مرضية مزمنة ، بلا سر أو مراتب أو غذاء طبي . كان اثنان فقط لديهم سرا ، وقد تحقق لهما ذلك بقتال مرير ، كالامتناع عن الطعام ، والصدام مع الادارة . الجميع ينامون على الأرض ، على الابراش المشبعة بالرطوبة ، والجوائظ تنفث ماء . الزنازين تدمر فيها الحشرات وبخاصة البق ، والادارة لا تستخدم المبيدات الحشرية ، وعلى الرفاق أن يجهزوا عليها بقتلها . نوافذ الزنازين ، أو الاصبع ، تلك الفتحات المتواجدة فيها بلا مغاليق ، مفتوحة صيفا وشتاء ، تصب عليهم صقيعا ، يفبرى الاجساد . الحبس في الزنازين طوال اليوم ، والخروج منها ساعة في الصباح واخرى في المساء ، من أجل قضاء الحاجة في دورة المياه وغسلي الاطباق وتفريغ جرادل البول والفضلات وملئ جرادل المياه . في الاحوال العادية كانت الزنازين تفتح معا ، على الا يتواجد أحد خارجها . اما في احوال الشد مع الادارة ، وتلك هي الاحوال الغالبة ، كانت الزنازين تفتح واحدة اثر الأخرى ، أو ربيع الدور معا ، أو نصفه ، طبقا لدرجة الشد والجذب . وادارة السجن تتخذ من هذه العملية مجال احتكاك لا يتوقف بينها وبين الرفاق ، انها دائما تحاول العودة بالاضراب الى درجة الصفر ، أي العودة الى الاغلاق طوال اليوم . الحمام مرة واحدة في الاسبوع . الرفاق يحشرون فيه بطريقة لا انسانية . الجميع معا ، عرايا ، تحت مياه تتراوح ما بين المسخونة الى حد الغليان ، ثم البرودة الى درجة شديدة

الانخفاض . لا طابور شمس أو رياضة ، لا تعامل مع مكتبة السجن :  
لا اذاعة ، لا كتب ، لا جرائد ، لا أوراق ، لا اقسلام ، الزيارات  
الاسبوعية ، أى زيارة السلك ممنوعة ، المسوح بها فقط ، زيارة خاصة ،  
وهى زيارة شهرية ، لابد ان يتم التصريح بها عن طريق النيابة . والزيارة  
الخاصة مجال شد وجذب بين العائلات الزائرة والادارة . انها تسمح  
للزائرين ، احيانا ، ان يدخلوا وما معهم من غذاء ، على ان ياتكاه الرفيق  
اتناء الزيارة ، ولا يأخذ منه شيئا ، معه ، الى العنبر . وحيانا يمنعون  
شيئا ويسمحون بآخر . وحيانا يحاولون منع الزائرت من الدخول  
بحقائقهن الخاصة ، وتغزو الزيارة تسجار واحتجاج وغم وعذاب . يقول  
حسام ابن الرفيق فوزى حبشى « كنت اكره يوم الزيارة كراهية الموت ،  
لم اكن احب هذا اليوم ابدا . كان يوما منيرا للمضييق والقرف . اذ كان  
علينا ، وكنا حينذاك صبية صفارا ، ان ننتظر في الخارج مع زيارات تجار  
الحشيش وغيرهم . وكان علينا ان نستمع طوال الوقت ، الى بذاءاتهم .  
كانت جدتى هى التى تأخذنا الى الزيارة . وكانت السيدة مسنة ، تضيق  
انفاسها من كل هذا الذى تراه . كنا نذهب لزيارة والدى ، عادة ، يوم  
الاحد . وكان الواحد منا يحمل هم هذا اليوم ، ابتداء من اليوم السابق  
عنه . . . وتضيف نجوى فوزى حبشى ، « الا اننا رغم كل ذلك ، كنا ننام  
ونسهر ، نحلم بهذا اليوم ، ونفكر فيه » .

الادارة فى حالة هجوم متصل . تحاول دوما ان تنفى عن الرفاق أى  
حق من حقوق السجناء الجنائيين العاديين . بل وهى قد وضعت لهم لائحة  
خاصة ، موصى بها من المباحث العامة . ويعتبر الخروج على هذه اللائحة ،  
والتى هى فى حد ذاتها خروج على القانون ، أمرا يستوجب العقاب وارسال  
للرفاق الى القديب . وغدت الاوضاع السجنية فوق طاقة البشر ، ولم  
يعد هنالك امام الرفاق الا الاضراب العام عن الطعام . ويبدأ ، بالفعل ،  
الاجتداد للمعركة .

فى اغسطس ١٩٦٢ ناقشت لجنة المنطقة ضرورة الاضراب عن  
الطعام . طرح الامر على رفاق الحزب ، ونال موافقة اجماعية من  
الأعضاء . لجنة المنطقة هى التى تقرر من ، من الرفاق سيحطل الاضراب .  
كان الاختيار سياسيا ، أى أن يكون المضرب قادرا على احتمال الاضراب  
حتى نهايته ، يتميز بالانضالية والصلابة ، بغض النظر عن اتفاقه أو  
اختلافه مع خط الحزب السياسى الرسمى ، وكان على الدكتور جميل حقى  
أن يحدد مدى القدرة الجسدية على احتمال الاضراب ، ايضا . وبذا لابد



أن يتوفر ، فيمن سيدخل الاضراب ؛ تحت راية الحزب ، القدرة القتالية والقدرة الجسدية معا . فواحدة منهما لا تكفى ولا تعطى ، منفردة ، لصاحبها حق دخول المعركة .

تحددت مطالب الاضراب ، في الامراج الفوري عن الرفاق والرفيقات في سجن النساء . والى أن ينم ذلك ، يجب للسماح للرفاق - تحت التحقيق - بارتداء الملابس الملكية أو الخاصة ، التعامل مع كائنين السجن ؛ وجعل الامانات بلا حسد اقصى ، تخصيص طعام السجن والسماح بدخول الطعام من الخارج ، السماح بالزيارة الاسبوعية من السلك ، والزيارة الخاصة دون تعقيد ، بمعنى ادخال كل ما يحمله الزائرون من اغذية أو ملابس أو ادوية ، العلاج والرعاية الصحية ، الجرائد والمجلات والاذاعة ، السماح بالكتب ، طابور الشمس وفتح الزنازين طوال النهار .

وتحددت دفعات الاضراب في دفعات ثلاث ، بين كل دفعة والأخرى يومين . الدفعة الأولى مكونة من عشرة رفاق ، والثانية مثلها ، والثالثة من خمسة رفاق .

بدأ الاعداد للاضراب بحملة تعبئة بين عائلات الرفاق وأسرهم ، كذا ارسال رسائل الى كل النقابات العمالية والمهنية والشخصيات العامة ، وكل المنظمات الحولية الديمقراطية .

اعدت الشرب اللازمة لتناولها قبل دخول الاضراب مباشرة ، تنظيفا للبطون وتفريغها من اية فضلات . بدأت الدفعة الأولى الاستعدادات اللازمة . وكان ذلك في شهر سبتمبر ١٩٦٢ .

في اليوم المحدد للاضراب ، توجه الرفاق مسئولو الحياة العامة الى ادارة السجن طالبين مقابلة مأمور السجن . ابلغوه بالمطالب ، فرد عليهم بانه سيقوم بتوصيلها الى الجهات المختصة . طالبوا بحضور النيابة العامة فرفض . اعلنوه بالاضراب ، فارسل بهم الى القاديب . وللحال اعلنت الدفعة الأولى دخولها للمعركة .

بدأ الاضراب ، ونصادف ، مع بدايته ، انعقاد « مؤتمر ستورة » ، بلبنان . اعلنت جماعة « حدتو » انها ترفض الاضراب وتدعونه . اعتبروا وقوعه في تلك الظروف ، احراجا للنظام . توجه مندوبون عنهم الى ادارة السجن ليبلغوها ادانتهم للاضراب . وأن القصد منه « احراج النظام

والحكومة الوطنية ، ، وأن البعض في « مؤتمر شتورة » سوف يستند الى هذا الاضراب ليدينوا « حكومة مصر الوطنية ، بالديكتاتورية » . وانهم يرون في الاضراب خطا جسيما طبقا لتقديراتهم السياسية . كان هذا الموقف من جماعة « حدثو » طعنة ، لا شك فيها ، في ظهر المضربين الذين يخوضون معركة ، سوف تعود عليهم هم انفسهم بتحسين اوضاعهم المعيشية السجنية . كان يعنى بالتحديد تمايزا وانقساما ، في قضية مشتركة . والنتيجة التي لا بد واقعة ، ان يطول امد الاضراب ، ويزيد العبء الواقع على الرفاق المضربين ، ويتكثف الى اضعاف مضاعفة .

كان السجناء العاديون ينظرون الى الرفاق المضربين ، على انهم يقومون بعمل لا جدوى منه ، وأن تصور امكانية تغيير الكون السجني خرافة ، عائدتها المهاتة ، ولا جديد .

كان في الدفعة الاولى : سعد الطويل ، جمال الشرقاوى ، سيد سالم ونسامى عجيب وكان هو مسئول الاضراب . اقتيد المضربون الى التايب ، حيث وضعوا كل اربعة منهم في زنزانة . هددهم ادارة السجن بانها سوف تفض اضرابهم بالقوة ، الا انهم لم يبالوا بتهديدها . كان الوضع الذى تسلكه ادارة السجن ، مع السجناء العاديين ، ان اضرب احدهم ، ان يمسك به اربعة من الجنود ويفطروه قسرا باعطائه حقن الجلوكوز .

دخلت الدفعة الثانية . فالثالثة . استمر العزل في التايب سبعة ايام ، منذ بدأ الاضراب . ثم جاءت قوات حرس السجون وحملت الرفاق المضربين الى مستشفى السجن . كانت الادارة تملؤ دلويا باللبن الحليب وتتركه في العنبر طوال الليل . وفي الصباح كان الضباط يحضرون لمعرفه ان كان احد قد شرب منه شيئا ، ام لا . كان الرفاق يسخرون من هذه الالعاب الصببانية . كانت الادارة ، ايضا ، تلقى ، بصورة تبدو عفوية ، ليمونة هنا ، وليمونة هناك ، كان الرفاق ، في هذا الاضراب ، قد متعوا ، حتى استخدام الليمون كمظهر . لم يكونوا يتناولون غير الماء القراح .

صدر الرفاق الذين لم يدخلوا الاضراب مجلة ناطقة على الهواء . كان ممن شاركوا فيها : أحمد عبد العال ، صبرى عبد العال ومصطفى عبد العزيز . كانت مجلة دعائية ، تدور حول مطالب الاضراب ، وتركز هجومها على جماعة ، « حدثو » باعتبارها القوى المباشرة التى تواجه الاضراب ، والتى يفترض فيها أن تتخذ موقفا ، عكس ما اتخفت .

فشط العائلات في الخارج ، عارم لا يهدأ ولا يتوقف . تلغرافات الى كل المسئولين ، وقود تتحرك ما بين الصحافة والنقابات والجهات

الوزارية • المباحث العامة تطاردهم ، تهددهم ، تضغط عليهم ، ولكن بلا طائل أو جدوى • .

في بداية الاضراب ، كان الرفاق المضربون ينشدون الاناشيد ، يلقون الخطب والكلمات السياسية • .

جاء مدير الشئون الطبية بمصلحة السجون « ومعه اثنين من المرضى وجند من حراس السجن • كان يفوى اعادة الكرة ، محاولا ارغام الرفاق على الافطار • كان أقرب السرير الى باب العنبر في مستشفى السجن ، السرير الذى يرقد عليه رفيق شاب عامل ، هو عمر عبد الرسرل • كان دائم التصدى لكل محاولات الادارة للضغط عليهم ، في هذا اليوم كانوا يقصدونه هو بالذات ، لبدأوا به عملية الافطار القسرى • انتظر حتى غدا مدير الادارة الطبية في مرمى قدمه ، ثم قام بركلة بعنف في صدره • سقط الرجل على ظهره ، ثم اسرع ومن معه ، فارين من العنبر ، يسبون المضربين والمعتقلين جميعا • وكانت تلك هي آخر محاولة لفض الاضراب بالقوة • .

كان طبيب السجن ، في ذاك الوقت ، يدعى حسين كاظم ، كان رجلا متقدما في السن ، تقليديا ، امينا مع نفسه • يأتى كل يوم ويقوم بالكشف الظاهري ، يعاين النبض والوزن ودرجة الحرارة • ويلقى عليهم محاضرة او موعظة ، تدور حول شبابهم والمستقبل الذى ما زال امامهم ، واهلهم الذين احوج ما يكون اليهم • ثم يسجل في تقريره ، الذى كان يتسم بالصدق ، « ونصحناهم أن يعزلوا عن الاضراب فلم ينتصخوا » • ومع تقدم الاضراب ، بدأ يضيف الى تقاريره « وتفوح رائحة الاسيتون من افواه البعض منهم » • وكان معنى ذلك ، أن الجسد يتحلل ، وتلك الرائحة هي الاذكار الذى يرسله ويعطنه • .

الاطباء يناقشونهم في عدم جدوى ما يفعلون • كان الطبيب يضع يده على بطن الواحد منهم ، فتغوص بكاملها • انخفضت اوزانهم بصورة ملحوظة • علق مأمور السجن ، في واحدة من جولاته ، ان وزن البعض منهم قد غدا مثل : « وزن حيازة او ديك او عنزة على أكثر تقدير » • قال الاطباء لهم ، ان كثافة الدم بعد اليوم العشرين من الاضراب سوف تتغير ، وان وظائف الكلى لابد ان تتأثر ، وربما تحث اشياء اخرى غير متوقعة • .

الرفاق صامدون • بعد اليوم الثانى عشر بدا البعض غير قادر على النهوض من مرقدته • كان الرفاق القادرون يعاونونهم لقضاء حاجتهم • مع

تقدم الاضراب ، بدأت تظهر حالات من الانغماء المتقطع ، وامتلاً عنبر  
المستشفى برائحة الاسيتون . كان الرفيق عبد العزيز رشوان مصاباً  
بالسكر ، مما كان يعرضه لحالة من الانغماء الطويل .

كانت هنالك بعض حالات ، محدودة ، من الضعف المعنوي . يقول  
عبد المحسن شاشه : « كان الرفيق جمال الشرقاوى دوراً هاماً للغاية في  
هذه المرحلة . كان ينتقل من رفيق الى رفيق يمر بمرحلة الضعف تلك ،  
ليناقشه ويثبته في المعركة . كان هذا امتداداً لدوره الرائع في عملية  
تنظيم الاضراب ، والتزامه الهائل ومواقفه المبدئية القوية ، حتى اننى  
اكاد اقطع ، انه كان القائد الحقيقى للاضراب » .

ظهرت النيابة في اليوم السادس من الاضراب . كانت نيابة قليوب  
التي يتبعها السجن ادارياً . جاءت بناء على التفرغات التي ارسلتها اليها  
عائلات المضربين ، باعتبار انها بلاغات يلزم التحقيق فيها . كان الرفاق  
ما زالوا في التأديب ، لم ينقلوا بعد الى مستشفى السجن . كان  
عبد المحسن شاشه هو أول من حققت النيابة معه . جلس على عتبة  
زنزانة التأديب ، يجيب . بعد البيانات الاولى عن الاسم والسن  
وما شابه ، سألته وكيل النيابة ، لماذا هو مضرب ؟ بدأ اجابته بالحديث  
عن الأسباب السياسية العامة ، عن الاوضاع المنافسة للديمقراطية  
واضطهاد الطبقات الشعبية وممثليها من الشيوعيين والديمقراطيين  
والنقابيين السرفاء وأنصار السلام ، ثم انتقل الى الاوضاع في داخل  
السجن ، وانتهى الى المطالبة بالامراج عن المعتقلين والمسجونين  
السياسيين ، واطلاق الحريات السياسية العامة . شغل التحقيق معه  
حوالى ست صفحات ، فقد اصر عند بدايته ، ان تسجل كل كلمة يقولها .  
كان الرفيق سامى عجيب حاضراً أثناء التحقيق . ثم والت النيابة بعد  
ذلك حضورها مستمعة الى اقوال ست رفاق آخرين .

كان الرفاق سامى عجيب وسعد الطويل واحمد الجبالى هم الذين  
يقومون باجراء المفاوضات حول مطالب المضربين . لم تسفر تحقيقات  
النيابة عن شيء ذى بال . تركزت المفاوضات مع ادارة السجن . كان  
الرفاق يذهبون لمقابلة المسأور ، الا أن الاخير كان كثيراً ما يحضر هو  
اليهم مع تقدم ايام الاضراب . كان اسمه عبد العزيز وكانت سنوكياته  
مع الرفاق تنقسم بالطيبة والتهذيب .

في صبيحة اليوم العشرين ، بدأت حالات الانغماء التي تصيب بعض  
الرفاق تمتد الى ساعتين وثلاث وخمس ساعات . الكل غدا في حالة .



أرب ما تكون الى حالة انعدام الوزن . في هذا الصباح وصلت المفاوضات مع الادارة الى نهايتها . طالب مأمور السجن الرفاق بأن يوقفوا الاضراب ، فالحكومة لن تستجيب لهم ، وهى نحت هذا الضغط ، وهو من ناحيته . يعدهم ، بشرفه العسكرى ، ان يحقق لهم كل مطالبهم المعيشية . طرحت اللجنة المستولة عن الاضراب ، على الرفاق المضربين ، قضية ان يحل الاضراب ، عند هذا الوعد ، ام يستمر ؟ تصدى للموقف جمال الشرقاوى وعبد المحسن شاشه ، وسيد سالم ، ومعظم الرفاق المضربين رافضين حل الاضراب ، على مجرد وعد . لا بد قبل الحل من اجابة كل المطالب المعيشية ، وهى الحد الأدنى للاضراب . استمر الاضراب لليوم الواحد والعشرين . جاء مندوب عن الدولة ، على مستوى سياسى عال . وعد بتنفيذ كل المطالب المعيشية ، مع وعد ، ايضا ، بالنظر فى أمر الافراج عن الرفيقات . دار نقاش حول هذا الوعد باعتباره صادرا من جهة سياسية تملك التنفيذ ، وليس من جهة الادارة ، التى لا تملك ، فى الحقيقة ، من أمرها تسئلا . اختلف الرفاق حول هذا التقدير ، الا ان اللجنة القيادية رأت ان هذا الحد من الطول مقبول . وبناء عليه اتخذت قرارها بوقف الاضراب ، وكان ذلك فى مساء اليوم الواحد والعشرين منذ بداية الاضراب .

حدد الاطباء للرفاق ، الذين كانوا مضربين ، نظاما متحرجا فى التغذية . اعطى الكثيرون حقن كورامين وفيتامينات . بدأوا بالشاى وعطيه نقاط من لبن الطيب . اعطى كل رقيق كوبا من مرق اللحم . ثم قدم الفول بعد ذلك . اصيب بعض الرفاق بالبواسير وقرحة المعدة . كان الكثيرون منهم قد تحولوا الى هياكل عظمية .

عندما عادوا بعد الاضراب الى العنبر ، استقبلهم السجناء العاديون بالزغاريد والتهليل والتكبير . عادوا وقد اثبتوا انهم ، بارادة المناضلين ، قد غيروا اوضاع السجن تغيرا حقيقيا .

بدأت مرحلة جديدة ، تمام الجدة ، داخل السجن . استجيب لكل المطالب المعيشية التى تقدم بها الرفاق . علق ضابط السجن ، نصر جرجس بان « الشيوعيين هكذا دائما ، تفاوضهم على شبر ، فيأخذون منك متر ، ادخلت الكهرباء لأول مرة فى الزنازين . بدأ استعمال السخانات الكهربائية . أصبحت زيارة السلك الاسبوعية وكانها زيارة خاصة . اما الزيارة الشهرية الخاصة ، فقد طلب الضابط محمد سعد الدين أن يكون مسئولا عنها . ولم يعد بمنع أى شئ من الدخول الى السجن ، بعد انتهاء الزيارة .

الاضراب كان معركة ناجحة تماما ، من حيث الاعداد والادارة والنتائج . يقول اكرام محارب « لقد اعدت اللجنة القيادية للاضراب اعدادا جيدا ، » ويقول عبد المحسن شاشة ، « كان الاضراب منظما وجيدا . ورغم اى عيوب كانت فى المنطقة الحزبية ، الا انه كان هنالك قدر كبير من الطاعة والانضباط عند اكثرية الزملاء . لقد تمكنا ، بسبب هذا ، من تحقيق اشياء كثيرة للغاية ، منها ، مثلا ، المكاسب المعيشية واحترام الادارة لنا . كان التحضير صحيحا وكان التوقيت ، ايضا ، صحيحا . للنقص الوحيد ، فقط ، كان فى تجهيزات فك الاضراب . كان الاضراب موقفا نضاليا ، عدل من مواقف الزملاء . انتظمت الاجتماعات ، وساد السجن جو نضالى . فشلت كل محاولات « حذتو » فى التقليل من قيمة ما كنا نفعله . اصيبوا بعد نجاح الاضراب بصدمة عنيفة ، كان موقفهم سببا فى اطالة امد الاضراب ، لكنهم فى نفس الوقت ، نالوا كل مكاسبه . »

(\*) (\*) (\*)

تم اضراب آخر عام ١٩٦٣ ، من اجل الافراج عن الرفيقات المسجونات بسجن النساء . كان شعاره الافراج أو الموت . دخله ثمانية من الرفاق كان منهم : محمد السيد ، جمال الشرقاوى ، أحمد الجبالى ، سعد الطويل وعبد المحسن شاشة . اثناء الاضراب جاءهم نبأ الافراج . الفعلى ، عن الرفيقات ، فوقفوا الاضراب .

# الفصل الخامس

## قضائيا ومحاكمات

كل سكان سجن القناطر ، من الرفاق ، مسجونين احتياطيا ، تحت التحقيق . ومن هنا كانت احد المهام الأساسية للجنة المنطقة دراسة القضايا ، المقدم رفاق الحزب اليها ، خاصة بعد صدور قرار الاتهام ، ونحديد وضع كل من المتهمين ، موقفه ودوره . كانت تجتمع بكل رفيف مقدم الى المحاكمة ، ثم بقاء على المناقشة معه وقرار الاتهام للصنادير ضده يتحدد وضعه القانوني والموقف الذي يلزم اتخاذه ، تم تجرى المنطقة الاتصال بالمحامين في الخارج ، لتشكيل هيئة الدفاع عن هذه القضية او تلك .

بعد تحديد الموقف القانوني ، يانى تحديد الموقف السياسى أمام المحكمة . وكان الخط العام ، بالنسبة لهذه النقطة ينقسم الى شفين أساسيين . الشق الأول مرتبط بالرفاق المعروفين جماهيريا ، والمعروف عنهم انهم شيوعيون ، وكان على هؤلاء أن يتقدموا أمام المحكمة بدفاعات سياسية بغض النظر عن وضعهم القانوني . والشق الثانى مرتبط بالرفاق غير المعروفين جماهيريا ، وليس هنالك ما يدينهم قانونيا ، كالمضبوطات مثلا ، وكان على هؤلاء التزام الدفاع القانوني فقط .

كانت للجماهيرية لا تعنى ، فقط ، جماهيرية الرفاق فى مجال عملهم ، ولكنها تعنى ، أيضا المستوى الحزبى القيادى ، أى رفاقا يشكلون رموزا للحزب على النطاق المحلى أو القومى أو العالمى . وتم تقسيم الدفاع السياسى الى مراتب ثلاث : دفاع عن العضوية ، دفاع عن الشيوعية ، دفاع سياسى عام حول الاوضاع الديمقراطية السائدة . وكان الموقف من الالتزام بآية مرتبة من مراتب الدفاع السياسى ، اختياريا . بمعنى أن الرفيق الذى ليس لديه استعداد للدفاع عن العضوية أو الشيوعية أن يقدم دفاعا عاما . كانت لجنة المنطقة تبدى رأيها دون اصدار قرار أو تكليف حزبى ، وعلى الرفيق أن يختار اقرب الاوضاع اليه .

يقول نسيم يوسف ، « من المشاكل التى واجهتنا فى تلك الايام ، موقف المنقسمين «حتو» . كان موقفهم مضاد تماما لموقفنا من الدفاع السياسى أمام المحكمة . وبالتالي كانوا يلعبون على العناصر الضعيفة

لدينا ، والتي يمكن كسرها ، على أساس عدم اتخاذها أى موقف سياسى  
امام المحكمة .

ان القضايا التى سنتناولها هنا ، هى ليست كل القضايا التى  
قدمت باسم الحزب ، لكنها القضايا التى اتيح لنا ان نستمع الى شهودها .

### قضية نسيم يوسف وآخرين (١) :

كان المتهمون فى هذه القضية هم الرفاق : نسيم يوسف ، أحمد  
الجبالى ، سعد الطويل وعبد الله الزغبى ، وكان الرفيق عبد الله الزغبى  
قد انضم لجماعة « حقتو » اثناء نظر القضية . وكانت لجنة المنطقة  
قد اتفقت ، بناء على دراسة القضية ، ان يقدم كلا من نسيم يوسف وأحمد  
الجبالى دفاعا عن عضوية الحزب القيادية ، وأن يقدم سعد الطويل دفاعا  
عن الحريات السياسية العامة ، دون الدخول فى اية تفاصيل . كما  
قررت لجنة المنطقة ، ايضا ، ان يكون الرفيق نسيم يوسف هو مسئول  
القضية امام المحكمة .

ترافع ، فى هذه القضية ، الاستاذ أحمد مجاهد ، عن عبد الله  
الزغبى . والاستاذ محمود عزمى ، القائب السابق ، عن سعد الطويل .  
واثنان من المحامين المنتخبين عن نسيم يوسف وأحمد الجبالى . عندما  
بدأت المحاكمة توجه الاستاذ أحمد مجاهد ، الى نسيم يوسف ، وكان  
يعرفه من قبل ، وقال له ، انه قد درس القضية كلها ، وانه سوف يترافع  
عنه ، ايضا . وكان هذا موقفا منه ، يستحق الشكر والتقدير .

فى بداية اول جلسة ، طلب نسيم يوسف ان يسجل كلمة ، الا ان  
رئيس المحكمة رفض ذلك ، فأصر نسيم يوسف على مطلبه . وقال ،  
ما قاله ، فى النيابة من قبل ، عن الشهيد محمد محمود عثمان والشهيد فريد  
جواد ، وغيرهما من الرفاق . ثم عرض للتعذيب الذى كان يجرى فى أبو زعبل  
الذى ما زالت اثاره واضحة على جسده . طلب احوالته الى الطبيب  
الشرعى . استمع رئيس المحكمة لكل ما قاله ، لكنه لم يسمح بتسجيل  
شيوئا .

امتلات المحكمة بالعائلات . شغلت كل المقاعد واحتلت النوافذ .  
ترافد الناس العاديون المتواجدون فى المحكمة ، حينذاك ، لرؤية ما يجرى ،  
ولم يعد هنالك موطىء لقدم .

(١) على لسان نسيم يوسف ، فى نفس اللقاء الشخصى معه .



طلبت النيابة ، على لسان ممثلها سمير ناجي ، سرية الجُسه ،  
الا ان نسيم يوسف ، وقف ليعلن رفض السرية • تداولت هيئة المحكمة ؛  
ثم ابدى رئيس المحكمة استعدادة للموافقة على استمرار العلنية ، شريطة  
أن يلتزم الرفاق بالمحافظة على النظام ، فوافقوا على ذلك •

بدأت المحاكمة بشهادة الشهود ، وكان اولهم عبد الرحمن عشوب •  
قدم شهادة تقليدية • اتهم الرفاق بانهم من مؤسسى الحزب الشيوعى •  
وانهم اعضاء باللجنة المركزية وانهم محترفون هاربون • ثم قدم عرضا  
عاما عن تاريخ الحزب الشيوعى المصرى والاحزاب الشيوعية • كان كلامه  
عاما ، يكشف افتقاره الى المعلومات الحقيقية الدقيقة • اعلنت النيابة  
انه ليس لديها اسئلة للشاهد ، وكذلك قال المحامون • طلب نسيم  
يوسف أن يوجه اليه بعض الاسئلة ، فسمح له رئيس المحكمة بذلك •

(١) نسيم يوسف : اود ان اعرف ماذا كانت وظيفة الشاهد الأول  
قبل عام ١٩٥٢ ؟

لا رد من الشاهد •

رئيس المحكمة : لما لا ترد ؟ ما هى وظيفتك قبل عام ١٩٥٢ ؟

لا رد من الشاهد •

نسيم يوسف : سارد عنه يا سيادة الرئيس • فقد كان يعمل  
بالقسم المخصوص فى خدمة السراى والاقطاع •

عشوب : كنت ضابطا فى وزارة الداخلية •

رئيس الجلسة : كنت نعمل فى القسم المخصوص ؟

لا اجابة من الشاهد •

(٢) نسيم يوسف : ما رأيه فى اعمال التعذيب فى معتقل أبو زعبل •  
ومستوليته عن مقتل الشهيد محمد محمود عثمان ؟

تلثم الشاهد دون اجابة •

رئيس المحكمة : لسانا لا ترد على السؤال ؟

عشوب : يا افندم انا ضابط فى المباحث العامة ، دورى فى المباحث  
العامة فقط ، وليس لى علاقة بالمعتقلات •

رئيس المحكمة : اليس لكم اشراف على المعتقلات ؟

صمت الشاهد ولم يجب •

(٣) نسيم يوسف : يقول الشاهد انى كنت من المحترفين بالحزب الشيوعى المصرى . وأنا على استعداد لأن اتقدم الى المحكمة بما يثبت عملى بالعلاقات العامة باحدى الشركات ، فما رايه ؟ .

ولم يجب عشوب .

تكرمت النيابة بعد الشهود . استمرت مرافعة سمير ناجى جلستين . تعرض اثناء مرافعته للشيوعية والشيوعيين ، متهما اياهم بالعمالة . اعترض عليه الرفاق ، واحتجوا . قال رئيس المحكمة ، انه سيضطر ، ازاء ذلك ، الى سرية الجلسة ، وأن المتهمين ، سوف يمنحون فرصة الكلام ، وبالتالي ، لا داعى للاخلال بالنظام . رد عليه نسيم يوسف ، بانهم يحافظون على النظام بالفعل الا ان ممثل النيابة هو الذى يوجه الاتهامات لا الاتهامات وعليه أن يوقفها هو ، حفاظا على نظام الجلسة .

انتهت النيابة وبدأ الدفاع ، كانت هنالك مضبوطات خطية ادى الرفيق سعد الطويل ، فعرض نسيم يوسف عليه ان يتحملها عنه خطأ ودية ، اذ انها لن تضر كثيرا وضعه القانونى . رفض الاستاذ محمود عزمى ذلك ، قائلا ، « لا يمكنى من الناحية البحثية الموافقة على ذلك ، بل ولا اسمح به . فالقضاء قضاء » . كان موقفا مهنيا متمكنا وشريفا . تناول في دفاعه مسألة الخطوط ، وقدم فيها بحثا فقهيا عميقا . وانتهى الى الاعتراض على اية تهمة ذات علاقة بالخطوط ، فهي غير قاطعة ، على الاطلاق ، ثم دافع عن شخص سعد الطويل .

اما الاستاذ أحمد مجاهد المخامى ، فانه لم يدافع عن عبد الله الزغبى ، وحده ، أو نسيم يوسف ، كما وعده ، وانما دافع دفاعا شاملا عن الحزب الشيوعى والشيوعية . تكلم عن النظرية الماركسية ، واستخدام القوة من عدمه . تكلم عن التقدم فى الاتحاد السوفيتى والبلدان الاشتراكية . تكلم عن الموقف من الدين ردا على تعريض وكيل النيابة بهذه المسألة . كان يدعم كلامه بالحجج والاسانيد والمراجع . تكلم عن الحريات السياسية وقانون الاحزاب ، الذى كان موجودا أيام النظام الملكى ، وألغته ثورة ١٩٥٢ . قال ان الغاء الاحزاب لا يعبر عن الواقع ، فالحزب الشيوعى موجود بالفعل . ثم تكلم بعد ذلك عن عبد الله الزغبى ونسيم يوسف . استغرقت مرافعته ثلاث أو اربع جلسات . وهى قد جذبت ، بعمقها واعدادها الجيد ، عددا كبيرا من المواطنين العاديين ، ظلوا مواظبين على الحضور ، طوال قائتها . يقول نسيم يوسف ،

« ان علنية الجلسة ، وهذا الحشد الشاهد على ما يجرى فيها ، وموقفنا الصلب في قفص الاتهام . كانت من العوامل التي جعلت الاستاذ احمد مجاهد يجهز على وكيل النيابة ومرافعته . كان الدفاع الذي قدمه ، دفاعا قديرا مقتدرا » .

كان المحامى المنتدب عن نسيم يوسف يدعى نسيم ، ايضا ، وكان من محافظة الفيوم . كان رجلا قد تجاوز الخامسة والستين ، مصابا ببقايا تسلل ما . اتصل به نسيم يوسف في المحكمة ، قبل بداية المحاكمة . اطلعه على ظروفه وموقفه ودفاعه . طلب منه للرجل ان يقرئ . الا ان نسيم اوضح له انه انما يبين له للجوانب المختلفة لجرى الأمور ، حتى لا يتعارض معه ، والا فانه سوف يرفض مرافعته عنه . حدث نفس الشيء من احمد الجبالي لمحامي المنتدب . فوعد كلاهما الا يدخلوا في أى تعارض مع الرفيقيين . كانت مرافعة الاستاذ احمد مجاهد بمثابة دفعة قوية للمحامين المنتدبين ، منحتهم قوة هائلة . وجاء دور الاستاذ نسيم المحامى ، وكان السوفيت في ذلك الوقت ، قد اطلقوا صاروخا به رائدة الفضاء فالنتينا . بدأ الرجل مرافعته بقوله :

انما الالم الأخلاق ما بقيت فان هو ذهبت اخلاقهم ذهبوا

ثم تسائل ، كيف يمكن لدولة بلا اخلاق ، ان تصل الى هذه الدرجة العلمية المتقدمة للغاية ، وان تطلق اليوم صاروخا به فالنتينا . قدم دفاعا رائعا عن الاتحاد السوفيتى . ثم تحدث عن الرفاق المتهمين ، فأنسار نحوهم قائلا ، ان موقع هؤلاء الابطال ، اليوم ، يجب ان يكون في مقدمة الصفوف للدفاع عن ارض الوطن . ان مكائهم ليس للسجن او قفص الاتهام . تكلم في بلاغة وقوة وحماس ، حتى ان الرفاق كان يجرفهم تبار عام بالتصفيق له ، الا ان وجودهم في قفص الاتهام منعهم من ذلك . وان كانت عائلاتهم المحتشدة في قاعة المحكمة اخذت تحييه ، فالتف رجال المباحث العامة حوله ، فصاح فيهم « افعلوا بى ما تشاؤون » .

بعد المحامين جاءت مرافعات الرفاق . عندما سال رئيس المحكمة سعد الطويل ، ان كان عضوا بالحزب الشيوعى ( وكان المفروض الا يعلن عضويته بالحزب ) اتخذ سعد موقفا نضاليا ، فلم يقف عضويته ، لكنه قال بانه سيجيب على هذا السؤال في دفاعه السياسى . أما نسيم يوسف واحمد الجبالي ، فقد اجابا على السؤال ، عندما وجه الى كل منهما على حدة ، « انى اتشرف بكونى عضوا في الحزب الشيوعى المصرى » . وعندما

سالت المحكمة كل منهما ، بعد هذه الاجابة ، ان كان عضوا مركزيا بالحزب ،  
اجابا بانهما سيردان على هذا السؤال في دفاعهما السياسى .

بدأ دفاع المتهمين ، بدفاع عبد الله الزغبى . كان دفاعه السياسى  
شفاهيا متسقا مع خط جماعة « ححتو » ، فى الدفاع عن الحكومة وخط  
الائتلاف معها . ثم تحدث سعد الطويل عن الحريات السياسية العامة .  
جاء دور نسيم يوسف ، وكان دفاعه محددا بتناول طبيعة الحكم ،  
والاوضاع المعيشية وارتباطها بالظروف السياسية . دارت بيته وبين  
رئيس المحكمة مناقشات . المحكمة تحاول تحديد دفاعه فى الجوانب  
القانونية ، وهو يحاول ان يكمل دفاعه السياسى . استمر دفاعه ثلاثة  
ارباع الساعة ، واختتمه بتحيةة فكري الشهيد سلام عادل سكرتير الحزب  
الشيوعى العراقى . ثم جاء دفاع أحمد الجبالى حول الحركة العمالية  
والحريات النقابية وعلاقتها بالحريات السياسية . حاول أحمد  
الجبالى تقديم أكبر جزء من دفاعه السياسى . ثم قدم نسيم يوسف وأحمد  
الجبالى دفاعيهما السياسيين مكتوبين الى هيئة المحكمة .

جاء تعقيب النيابة بعد الدفاعات السياسية . كان قد مضى أكثر من  
عشرة أيام على نظر القضية . وفى جلسة التعقيب تلك ، لم يكن الاستاذ  
أحمد مجاهد قد حضر الى الجلسة بعد . كانت النيابة قد بدأت تعقيبها .  
وفى ذلك التعقيب قال وكيل النيابة عن دفاع المحامين ، « انى أربأ بالاستاذ  
أحمد مجاهد أن يقول ما قاله فى الدفاع . لقد وضع نفسه ، بذلك ، تحت  
طائلة القانون » . « وهنا قاطعه نسيم يوسف ، « ان الدفاع مهدد  
بالاعتقال . اننى كملتهم اذاع عن الدفاع » . فى تلك الاثناء دخل أحمد  
مجاهد القاعة فوقف نسيم يوسف يتبهنه لما جرى صائحا ، « ان  
الدفاع مهدد بالاعتقال . ان الاستاذ أحمد مجاهد مهدد بالاعتقال » .  
توقف أحمد مجاهد فى وسط القاعة ، واتجه ببصره ناحية قنص الاتهام  
فاستمر نسيم يوسف يروى كل ما قاله وكيل النيابة . استمر أحمد  
مجاهد فى سيره ، حتى بلغ موضعه فجلس فيه . رفع رئيس المحكمة  
الجلسة للاستراحة . استدعى النيابة والاستاذ أحمد مجاهد لاجراء  
صلح بين الطرفين ، ثم خرج ليعلن تأجيل الجلسة الى اليوم التالى ، الا  
ان عضو الدمين أصيب بنفخة صدرية ، فتأجلت القضية الى الدورة التالية .

جاء الاستاذ أحمد مجاهد لزيارة الرفاق فى السجن . علموا منه  
ان المباحث العامة قد هددته بالاعتقال ، ان هو استمر فى الدفاع ، وأنه  
مصر على الاستمرار فى الدفاع . شكره الرفاق على دوره ومجهوده ، الا



انهم طلبوا منه عدم الاستمرار في هذه القضية ، فقد أدى ما عليه واكثر ، واستمرار وجوده في الخارج للدفاع في قضايا سياسية أخرى ، أهم بكثير من وجوده داخل المعتقل . اصر فعادوا يلحون حتى قبل ، مرشحا الاستاذ ماهر محمد على ليحل محله في القضية ، ووافقه الرفاق على ذلك .

اعيد النظر في القضية من جديد . وعادت كل الاجراءات من البداية . كانت الجلسات علنية ، الا انها لم تكن بالصورة التي كانت عليها في الدورة الماضية . ثم جاء للنطق بالحكم . وكان مفاجأة للجميع . خمس سنوات اشغال شاقة لكل من نسيم يوسف واحمد الجبالي ، وثلاث سنوات لكل من سعد الطويل وعبد الله الزغبى . كان التوقع ان تصل الاحكام الى عشر سنوات . وللحال هتف الرفاق بحياة الحزب الشيوعى المصرى ، ورددت قاعة المحكمة الهتاف معهم ، واخذت العائلات في اطلاق الزغاريد .

استمر الرفاق في سجن القناطر - رجال ؛ حتى تم التصديق على الحكم ، ثم رحلوا الى سجن الوادى الجديد ، الى منفى المحاريق .

### قضية عبد المحسن شاشة وآخرين (١) :

نوقشت القضية في لجنة المنطقة وتحدد حسين عبد الستار مسئولا عنها ، « باعتباره من المدافعين عن وجهة النظر السياسية الرسمية للحزب » ، كما يرى عبد المحسن شاشه .

ضمت القضية بالاضافة الى الرفيقين عبد المحسن شاشه وحسين عبد الستار ، كلا من الرفاق حسن بيومى ومحمود علام ، كما قدم فيها ايضا على بدوى ، وكان معترفا على زملائه اثناء التحقيق ، بل وكانت تدور حوله بعض الشبهات ايضا .

كان من المحامين الذين ثرافعوا في القضية الاستاذ احمد مجاهد والاستاذ عادل أمين .

وكان رئيس المحكمة المستشار سليمان مراد .

بدأت المحاكمة في الجزء الأخير من عام ١٩٦٣ ، واستمرت خلال النصف الأول من عام ١٩٦٤ . واستغرقت المحاكمة حوالى خمس جلسات .

---

(١) على لسان عبد المحسن شاشه ، في نفس اللقاء الشخصى معه .

كان الرفاق عندما يذهبون الى المحكمة ، يفاجأون بأعداد غفيرة من الاهالى فى انتظارهم . وكانوا ساعية يغادرون عربية الترحيلات ، يهتفون بحياة الحزب الشيوعى المصرى حتى يدخلون القاعة . كان الامل ، ما ان يرونهم ، حتى يطلقوا الزغاريد . وكان والد حسن بيومى ، وهو رجل طويل للغاية ، مهيب المنظر ، يرتدى الجبة والقفطان ، وعمامة التجار ، حيث كان تاجر غلال ، ويحمل نبوتا ضخما للغاية ، ما يكاد يراهم يغادرون السيارة حتى يناديهم ، يشد من ازرقهم ويهتف معهم بحياة الحزب الشيوعى المصرى . فيجتمع الجنود حوله ، فيصرخ فيهم « كلكم اولاد كلب فاعدا جمال عبد الناصر » ، وكان عندما ينشب عراك بين الرفاق والحراس ، يتجه الى السيدات مناديا « صوتوا يا ولاد » . وللحال تصرخ النساء ، ويتجمع كل من فى الشارع ، وتعلو الهتافات على كل الضجيج .

كان الرفاق يهتفون بعد الجلسة ايضا وهم فى طريقهم الى شاحنة الترحيلات ، والعائلات تهتف وراءهم . ثم تتجه السيارة الى السجن والهتاف طوال الطريق . وتتجه العائلات بزعامه والد حسن بيومى الى المجلس التنفيذى « مجلس الوزراء » ليقابلوا اى مسئول هناك . كانوا يحاولون طردهم ، الا انهم كانوا ، فى اغلب الاحوال ، ينجحون فيقابلون على صبرى او صدقى سليمان ، ليعرضوا عليهم ظروف ابنائهم ، مطالبين بالإفراج .

كان الرفاق يهتفون داخل الجلسة ، ايضا ، وهنا كان يقول رئيس المحكمة ، « اما ان تصمتوا او اغادر القاعة » . الا انهم كانوا يستمرون فى الهتاف . فيعود يقول ، « خمس دقائق والا اخرجتكم انتم من الجلسة » . كان ما ان يفتح ملف القضية امامه ، حتى تبدأ التسجيلات . تسجيل عن قضية الوحدة مع سوريا ، تسجيل عن حزب البعث العراقى ، تعليق على المذبحة ضد الشيوعيين العراقيين بعد انقلاب عبد السلام عارف . ادانة الحكومة المصرية لاعتقالها الشيوعيين والديمقراطيين والنقابيين وانصار السلام . وفى احد المرات اخفوهم الى الجلسة وهم مضربون عن الطعام . كان الاضراب قد مضى عليه ثلاثة ايام ، احتجاجا على عدم محاكمتهم ، فانزلوهم للمحاكمة . فى هذه الجلسة ذكر عبد المحسن شائشه المحكمة بما سبق ان قاله امامها ، وتحققت صحته . علق رئيس الدائرة سليمان مراد بأن « احدا لا ينكر بعد نظر الشيوعيين » . بعدها صفق الرفاق وهتفوا .

كان موقف المحامين ممتازا ، وخاصة الاستاذين احمد مجاهد وعادل امين . قامت معظم الدفاعات عن الظروف التى تتغير . كان الوقت اواخر

١٩٦٣ و١٩٦٤ ، والصحافة العالمية تتحدث عن قرب الإفراج عن الشيوعيين المصريين . قدم الاستاذ عادل أمين للمحكمة أوراقا تثبت علاقة على بدوى بالمباحث العامة . اقام دفاعه القانونى كله على هذه النقطة . ضمت المضبوطات التى عثر عليها معه فى أول مرة قبض عليه فيها ، ثم افرج عنه ، الى هذه القضية .

كان والد حسين عبد الستار قد وكل عنه محاميا يدعى حسين اباطة ، من اسرة الاباطية . وطلب الرفاق من حسين عبد الستار أن يرفض هذا المحامى الاقطاعى . الا انه طلب التروى حتى يرون ماذا سيفعل أو يقول . وعندما بدأ حسين اباطة مرافعته ، استهلها بقوله ، « هذه الشيوعية السوداء » . وللحال وقف الرفيق حسين عبد الستار وقال « لا اريد أن يترافع عنى هذا المحامى » . ونظر حسين اباطة ناحية الرفاق مستفسرا ، فصرخوا فى وجهه ، « اخرج ايها الاقطاعى » . فرد عليهم قائلا ، « لعن الله اباكم ، يا أولاد الكلاب . انتم لا تستأهلون الدفاع عنكم » ، فسبوه سبا مهينا ، فغادر المحكمة على الفور .

تكم حسن بيومى فى الجلسات المختلفة مسجلا مواقفه . كما القى عبد المحسن شاشه دفاعا سياسيا . كان محوره الأساسى دفاعا سياسيا ديمقراطيا .

وفى ٧ يوليو ١٩٦٤ اصدرت المحكمة أحكامها . سنتان لعبد المحسن شاشه ، وثلاث لحسن بيومى ، وسنة واحدة لحسين عبد الستار وبراءة محمود علام . كما حكم ، ايضا ، على على بدوى بثلاث سنوات ، وربما يرجع هذا للحكم الى المضبوطات الأولى وعلاقته بالمباحث العامة .

وقد خرج الجميع فى ذات اليوم ، حيث كانوا قد انهوا مدة الحكم عليهم ، سجناء تحت التحقيق . خرجوا جميعا الى الشارع حيث كانت المعتقلات قد اغلقت فى ١٩٦٤/٤/٤ .

### قضية فؤاد مصطفى وآخرين (١) :

كانت القضية مكونة من الرفاق فؤاد مصطفى ومحمد أحمد زيان ومحمود عطيه الساعاتى .

(١) فى لقاء شخصى مع فؤاد مصطفى ١٨/٩/١٩٨٠

بعد حوالي اربعة شهور من القبض عليهم ، تحدد موعد المحاكمة .  
كان رئيسها المستشار محمد كامل البهنساوى . وشاهد الاثبات الأول  
فيها ضابط مباحث بنى سويف الذى حقق مع مجند يدعى عبد العزيز ،  
والذى اعتبر معترفا عليهم . ظهر عبد العزيز ، هذا ، لأول مرة فى المحكمة .

بدأت النيابة مرافعتها بسرد كل ما لديها من أقوال المباحث العامة .  
وكان عبد العزيز ، والمفترض فيه انه شاهد اثبات ، يقطع مرافعة وكيل  
النيابة قائلا ، « هذا الكلام فظا يا بيه ، لقد ضربونى وعذبونى وجعلونى  
اكتب كلاما لا اعرفه ، ولا اعرف له اصلا . ثم اجبرونى ان اوقع عليه ، » .

وكان محمد كامل البهنساوى يزجره ويمنعه كلما تدخل فى المرافعة .  
كما كان يمنع الرفاق من مقاطعة النيابة والرد عليها ، مما اوصلهم الى  
نتيجة ان هذه المحاكمة صورية ، لا أكثر ولا أقل ، وأن الحكم معد من قبل .

كان المعروف عن البهنساوى شجته وصرامته فى مثل هذه  
المحاكمات . الا انه فى هذه المحاكمة تصدى هو شخصا ، للمباحث  
العامة والنيابة العامة .

سأل وكيل النيابة .

— هل هناك مضبوطات ؟

وكان رده .

— لا مضبوطات .

سأله .

— لابد أن تكون هناك مضبوطات للمحاكمة ، والا فما الذى تستند  
اليه فى اتهامك ؟ .

وكان رده .

— تحريات المباحث العامة وأقوالها .

وجه البهنساوى سؤاله الى ضابط المباحث .

— يبدو فى شهادتك كثير من التغير . لماذا قال عبد العزيز كلاما فى  
أول التحقيق ، ثم غيره فى آخره ؟

وكان رده :



- عندما ضيقنا عليه الخناق .

وهنا ضحك البهنساوى وهو يشير الى رقبتة قائلاً

- تعنى عندما خنقتموه \* ماذا فعلتم به ؟

لم تستغرق مراعاة المحامين دقائق ، وانتهت المحكمة فى سرعة .  
وصدر الحكم ببراءة الرفاق جميعاً ، والحكم بسجن عبد العزيز عاماً ،  
حيث نقل بعد ذلك الى السجن الحربى .

أما الرفاق الثلاثة الذين برأتهم المحكمة فقد اقتيدوا الى سجن مصر ،  
ومنه الى سجن المحاريق كمعتقلين ، كى يظلوا هنالك فى اسار المنفى  
حتى نهايته .

#### قضية سامى عجيب وآخرين (١) :

ضمت هذه القضية اثنا عشر رفيقاً منهم سامى عجيب ، جمال  
الشرقاوى ، اكرام محارب ، صابر زايد ، مصطفى عبد العزيز ، محمد  
مهران السيد ، وليم زكى قلندس ، تبيه قلندس وآخرين .

تقرر اعداد دفاعات سياسية مكتوبة ، حتى اذا لم تتح الفرصة  
للقائها ، سلمت الى المحكمة لتصبح جزءاً من أوراق القضية ، كما تقرر  
ان يعترف سامى عجيب وجمال الشرقاوى ( وكان قد اعترف بالفعل  
بالعضوية امام النيابة ) بالاعتراف امام المحكمة . كانت الدفاعات  
السياسية عامة تتناول شعار الاشتراكية الديمقراطية ، المرفوع حينذاك ،  
وتوضح انه شعار ، يفرغ الاشتراكية الحقيقية من مضمونها ، ولا يقدم  
أكثر من ترديد افكار بالية ، ظهرت منذ أكثر من قرن من الزمان .

دخل الرفاق المحكمة يهتفون ، مما استثار هيئة المحكمة .، وخلق  
جواً من التوتر . كان محامى جمال الشرقاوى قد اطلع على محضر النيابة ،  
وفيه وجد اعترافه بالعضوية . كان من رأيه أن يسحب هذا الاعتراف  
الخطير . الا ان جمال رفض ذلك ، وحذره من اللجوء الى هذه اللعبة ،  
والافانه سيضطر الى رفضه امام المحكمة كمحام عنه . تساءل المحامى  
عما يتوجب عليه فعله امام وضع كهذا ، طرح عليه جمال ، أن يتناول  
دفاعاً قضية « قلب نظام الحكم بالقوة » . قال له ، اننا نسعى بالفعل  
الى قلب نظام الحكم . ولكن بغير القوة ، « اننا لن نلجأ للعنف الا ان

---

(١) فى اللقاء الشخصى السابق مع اكرام محارب ، وصابر زايد .

لجأوا هم اليه ، أى اننا لا نقصد استخدام العنف ، لكننا نضطر له أمام  
الضرورة ، \* وبالفعل التزم المحامى بهذا الدفاع .

قدم سامى عجيب دفاعه معترفا بالعضوية وكذا فعل جمال  
الشرقاوى . قدم رفاق آخرون دفاعات سياسية ، تجح البعض منهم في  
ذلك ، ومنع رئيس المحكمة الباقيين .

بعد انتهاء المحاكمة ، في الجلسة النهائية التى اعلنت فيها الاحكام  
وكانت جلسة علنية ، والقاعة مليئة بعائلات الرفاق ، وعائلات المتهمين  
الجنائيين ( في قضايا أخرى في نفس الجلسة ) ، هتف الرفاق بحياة  
الحزب . كانوا داخل قفص الاتهام ، دون قيود في المعاصم ، حاول رجال  
المباحث العامة ، سرعة اخراجهم من القفص الى طريقة سجن الاستئناف ،  
الكائنة خلف المحكمة . بدأوا في الاعتداء عليهم ، فرد الرفاق بالضرب  
بالضرب . انخلوهم احدى حجلات المحكمة وحاولوا وضع القيود في  
أيديهم حتى يتمكنوا منهم ، الا انهم قاوموا ذلك مقاومة شديدة . أدبروا  
على انهم لن يغادروا هذا المكان الا اذا كان معهم وكيل النيابة . نجحوا  
بالفعل في فرض تدخل وكيل النيابة في مواجهة المباحث العامة . اعلن  
ضباط الترحيلة ، انهم ، هم ، المسئولون عنهم ، وعليهم وحدهم تقع  
مسئولية أى شئ يصيب الرفاق . فشلت محاولات المباحث العامة وغادر  
الرفاق المحكمة الى سجن القناطر .

كان ذلك في اوائل عام ١٩٦٣ . ظلوا هناك حتى تم التصديق  
على الاحكام . ثم رحل الجميع الى منفى المحاريق بالوحدات الخارجة .  
وكل منهم يحمل على عاتقه مددا تتراوح من خمس الى سبع سنوات .

### قضية ابو سيف يوسف وآخرين (١) :

ضمت القضية كل من الرفاق : أبو سيف يوسف ( سكرتير عام  
الحزب الشيوعى المصرى ) ، محمد بدر ، أحمد سالم ، فريد رمزى ، أنور  
نعمان ، اسماعيل المهديوى ، شوقى مجاهد ، عبد الحكيم قاسم ،  
عبد السلام زكى مبارك ، رؤوف مسعد ، حسين شعلان ، سامى خشبة ،  
شوقى خميس ، ميلاد عبد السيد ، محمد كريم الدين ونور .

كان فريد رمزى وأنور نعمان ومحمد بدر بأوردي ليمان أبو زعبل ،  
فاقتيدوا من هناك الى سجن القناطر - رجال ، حيث كان هناك بقية

---

(١) على لسان فريد رمزى أساسا ، وأنور نعمان .

الرفاق • كانوا ، في البداية ، في نفس العنبر الذى به باقى رفاق الحزب المسجونين احتياطيا ، على ذمة قضايا اخرى ، الا ان الادارة نقلت القضية برمتها ، الى عنبر آخر ، بغرض عزلهم . كانت الانظار مركزة عليهم •  
النفثيس يومى ، كل صباح ومساء • الزنازين مغلقة ، طوال الرقت ، دون طابور شمس • الخروج ، فقط ، لدورات المياه • الزنازين للخاصة بهم ، موضوعة تحت عملية مراقبة متصلة • ورغم كل ذلك ، نجح الرفاق ، الذين كانت لهم زوجات في سجن القناطر - نساء ، من الاتصال بهن ، عن طريق السجناء للعاديين •

يقول فريد رمزى ، « عندما بدأ التحضير للقضية ثارت بينى وبين الزملاء ، خلاقات ، كان لى موقف من محمد بدر لايمانى بانه قد اهل في امان الحزب ، وتسبب بذلك في الاضرار به ، مما استلزم ان تصدر القيادة الحزبية ، بعد القبض عليه ، قرارا بانزال اقصى عقوبة به •  
ماعدا الفصل • كما اختلفت ايضا مع ابو سيف يوسف واسماعيل المهدي ، لرغبتهما في ان يعترف ، اكبر عدد من الزملاء ، بالعضوية الحزب امام المحكمة • كان هنالك بعض الزملاء من كلية الآداب ، وكانوا قد اعترفوا على بعضهم البعض • ولم يكونوا اصلا جزءا من هذه القضية • وكان الزميلان يريان ان وضع هؤلاء في قضية سكرتير عام الحزب ، انما قصد به التقليل من شأن القضية ، وبالتالي يكون الرد ، هو اعتراف اكبر عدد من أعضاء الحزب بعضويته • وكنت انا ضد هذا للرأى • وكانت وجهة نظرى ان يكون الاعتراف بالعضوية في اضييق الحدود • ولم أقبل اعترافى ، انا ، بالعضوية ، عارضا استعدادى لتقديم دفاع سياسى ، اتناول فيه تاريخى ودورى في المقاومة الشعبية " وتقرر ان يعترف بالعضوية كل من : ابو سيف يوسف ، اسماعيل المهدي ، محمد بدر وشوقي مجاهد • وقد اعترضت على تكليف محمد بدر بالاعتراف بالعضوية ، على أساس ان ذلك تقديم له ، على عكس ما يجب ان يكون عليه ، الموقف المبدئى الصحيح •

« طلب منى الزملاء توكيل محام كبير في القضية ، مثل الدكتور محمد عصفور ، او من فى مستواه ، حيث لا يوجد لدى احد من الزملاء ، امكانيات مادية • توجه والدى الى الدكتور عصفور ، فطلب سبعمائة وخمسين جنيها ، معلقا قبوله النهائي على دراسة القضية ، والتعرف على وضعى القانونى • بعد اطلاعه على القضية ، اعلن ان دفاعه عنى لن يأتى بفائدة تذكر • وأنه لابد محكوم على بحة تتراوح ما بين الست والعشر سنوات • ابلغه والدى انه مقتدر ماليا ، وأنه على استعداد لدفع المبلغ كله ،

مقدما ، سواء كسبت القضية أم خسرت . الا ان الدكتور عصفور اوضح أن المسألة بالنسبة اليه ، وهو الاستاذ الجسامي ، الحريص على سمعته ، ليست مسألة النقود ، لكنها مسألة النتيجة التي سوف يحققها . وأن مثل قضايانا ، قد صدر الحكم فيها ، علينا ، مسبقا . واقنع والدي والاسرة ، أن الحكم الذي سوف يصدر ضدي ، بعد المحاكمة ، معروف ، منذ الآن ، للمباحث العامة والجهات الحكومية المعنية . وبالتالي لا داع لمصاريف ، لا جوى من ورائها . الا اتفقتا ، في القضية ، على أن يحل الاستاذ ماهر محمد على مكانه . فطلب اربعمائة وخمسين جنيها ، دفعها له والدي مرة واحدة ، حتى لا يكون هنالك مجال للاخذ والعطاء .

جاء الاستاذ ماهر محمد على لزيارة الرفيق فريد رمزي في سجن القناطر ، وذلك لمناقشة خطة الدفاع . ابلغه فريد رمزي أنه يجب الاتفاق وقبل كل شيء ، على عدم توجيه اية اهانة للشيعوية ، والا فانه سوف يردّها اليه ويطلب تنحيته . كذلك فان اية اساءة للحزب ، وأي تعريض بزملاء القضية مرفوض تماما ، وان يقتصر دفاعه في جانبه السياسي على وطنية المتهمين . طمأنه الاستاذ ماهر محمد على ، من ناحية موقفه ودفاعه ، الا أنه طلب منه ضرورة التحدث ، في ذلك ايضا ، مع محامى الجدول ، أى المحامى الذى تنتدبه الحكومة للدفاع عنه . وقد طلبه الرفيق فريد رمزي حيث حدد له مرافعته في اطار مسألة التعذيب في اوردى ليتمان أبو زعبل ، وضرورة تسجيل هذه القضية في المحكمة ، كما ابلغه ايضا ان باقى جوانب الدفاع ، سيقوم بها الاستاذ ماهر محمد على .

رحلت القضية الى الاسكندرية تمهيدا للمحاكمة . قيد كل اثنين من الرفاق معا ، ثم وضعوا كل ثمانية في سيارة كبيرة مليئة بضباط وجنود الحراسة . كانت السيارات مكشوفة الظهر ، وقد غادروا السجن قبل ان ينبلع الفجر . كان الوقت عتمة ، والضباط لا يكفون عن التهديد والتحذير ، بان اية حركة أو محاولة للهرب ، سيكون الرد الوحيد عليها ، هو الضرب المباشر بالرصاص .

سارت عربتا اللورى ، التى بداخلهما الرفاق ، وامامهما سيارة نجدة ، وخلفهما سيارة كبيرة محملة بجند الحراسة تساكى السلاح ، وعلى الجانبين ، موتوسيكلات وسيارات من محافظة القاهرة ، تحرس الموكب حتى حدود المحافظة التى تليها . استقبلتهم محافظة القليوبية ، لتسلمهم الى محافظة الغربية ، وهكذا على طول الطريق الزراعى . على حدود كسل محافظة ، كان هناك ضابط لواء على رأس قوات الأمن الخاصة بالمحافظة ،



في انتظارهم ، وهنا تعود سيارات وموتوسيكلات المحافاة التي انتهت ،  
وتبدأ قوات المحافظة الأخرى ، الاحاطة بالوكب ، كحملة خارجية ،  
اضافية ، تدعم قوة حراسة الترحيلة الاساسية . الموتوسيكلات كانت  
تطلق طوال الوقت ساريناتها والحملة مندفعة ، فتبدو المسألة وكأنها زفة  
هائلة ، مما كان يجعل الرفاق يضحكون من كل هذا الذي يجرى حولهم .  
بلغوا أول نقطة لحدود محافظة الاسكندرية . وكان نفس الاستقبال  
جامزا في سجن الحضرة . واتخذ العرض ، هنا ، اشد الارهاب اشكالا .  
انفرغت الشوارع من الناس ، اقيم حول ساحة السجن كردون هائل من  
رجال الشرطة ، ادخلوا السجن ، ورغم أن الساعة كانت حوالي الثامنة  
صباحا ، الا ان الزنازين كلها ، كانت ، ما تزال ، مغلقة . تفرغت لهم  
كل قوة السجن من ضباط وسجناء وحراس . اوقفوهم الى جوار بعضهم  
البعض ، كان هنالك قرار حزبي بمقاومة العنف بالعنف ، ورفض اية اهانة  
توجه اليهم . بدأ استدعاؤهم طبقا لترتيبهم في القضية . استدعى  
أبو سيف يوسف حيث جرى تفتيشه ، ثم اسماعيل المهدي الذي ما أن  
بدأوا تفتيش حقيبته واستخراج ما بها حتى زعق فيهم وصاح ، الا يضعوا  
حاجياته فوق الأرض . بدأ الرفيق اسماعيل المهدي الهجوم . طأبوا  
منهم أن يجلسوا القرفصاء ، حاول الجنود التحرش بهم ، فظهر للرفاق  
استعدادهم للرد عليهم . جاء ضابط من ضباط السجن ، زكى وهبه .  
كان يعرف الرفيقتين فريد رمزي وميلاد الشوان ، حيث كان يسكن الى  
جوارهما في حي شبرا بالقاهرة ، سلم عليهما ، سالهما عن أحوالهما .  
ابدى دهشته لوجردهما في هذا المكان . طلب منهما ان يحاولا لم الأمور .  
قالا له ، أنه لن يحدث لهما ، هنا ، اكثر مما حدث لهما في أماكن اخرى .  
ان أي اهانة سوف تقاوم بالعنف حتى لو أدى ذلك الى القتل . ان  
كل ما تخيل الادارة ، فعله بهم ، هم على اتم الاستعداد لمواجهة  
ومقاومته . وعدهم الا تصل الأمور الى هذا الحد ، وانها سوف تسير  
في طريقها الصحيح . طلبا منه أن يفعل شيئا ان كان ذلك في وسعه ،  
فهم على استعداد لأي احتمال ، اليسر باليسر ، والعسر بالعسر والعنف  
بالعنف ، والمقاومة حتى النفس الأخير . توجه الضابط الى مأمور السجن  
وتحدث اليه مبصرا اياه بالمخاطر الحقيقية التي يمكن حدوثها . جاء المأمور  
الى الجنود ، وسبهم طالبا منهم التفتيش بطريقة مهذبة والا يضعوا  
الملابس التي يجرى تفتيشها فوق الأرض . وبالفعل تم التفتيش كما أمر .

بعد التفتيش ، ادخلوا غبر السجن ، حيث وضعوا في الدور الأول  
منه ، وهو دور من هم تحت التحقيق . وضع كل رفيق في زنزانة انفرادية .  
طلبوا منهم ارتداء ملابس السجن فرفضوا . اعلنوا انهم سجناء تحت

التحقيق ، ومن حقهم ارتداء الملابس العادية ، كما من حقهم دخول الطعام الخاص اليهم .

قالت ادارة السجن ، ان التعليمات الخاصة بهم ، ترد اليها من هيئة المحكمة التي تنظر قضيتهم . اصرروا على موقفهم ، وانتهى الامر الى ارتداء ملابس من هم تحت التحقيق وليس ملابس السجناء .

في اول صباح لهم ، سجناء بهذا السجن ، اخرجوا خارج الزنازين . حاولت الادارة ان تفرض عليهم الجلوس قرفصاء اثناء التفتيش . رفض الرفاق ، فبدأ الحراس للزعيق . رد الرفاق عليهم بالزعيق ايضا . اطل سكان الادوار العليا من العنبر ، وهم من السجناء العاديين . كان امامهم سنة عشر شيوخا ، فقط لا غير ، يواجهون الادارة بكل ارهابها . حاول أحد الجنود دفع أحد الزملاء ، فرد عليه الدفع بالدفع . كاد الرفاق أن يضربوه . توتر الجو وضاط وتأزمت الامور ، فحضر المأمور ومعاونة . قال ، ان النظام هنا أن يجلس الرفاق القرفصاء ساعة التفتيش . رد الرفاق بانهم سياسيون ويرفضون الانصياع لهذا الامر . تدخل الضابط ، زكى وهبه ، مرة اخرى لتهئية الامور . وعاد التفتيش عاديا .

كان الحبس الانفرادي للرفاق وفرض الرقابة عليهم ، عملية مرهقة للادارة . ومن هنا قامت بتسكين كل ثلاثة منهم في زنزانة واحدة ، بها سريرين طوابق ثلاثة . وبذا أصبح الرفاق في ستة زننازين بدلا من ستة عشر زنزانة .

كانت ابواب الزنازين مغلقة طوال اليوم ، ولا تفتح الا للذهاب الى دورة المياه صباحا وبعد الظهر فقط . لا طوابير ، لا كتب ، لا جرائد . لا اذاعة ، لا اوراق أو أقلام . والغذاء هو يمك السجن .

حاول مأمور السجن مناقشة الرفاق في ضرورة الجلوس قرفصاء عند تفتيش الزنازين ، باعتبار أن ذلك هو قانون السجن . رد عليه الرفاق بانه يطالبهم بتنفيذ بند واحد من لائحة السجن ، في حين انه لا ينفذ هو أى بند آخر من تلك اللائحة . وهم كسياسيين يرفضون الخضوع لأى قانون يهين آدميتهم . يقول فريد رمزي « والحقيقة ، كان اسماعيل المهدي ، هو الذي يتصدى لمثل كل تلك القضايا ، وكنا نحن نؤيده » .

### المحكمة :

كانت المحكمة عسكرية برياسة هلال عبد الله هلال .

اعترض الرفاق ، في اول جلسة ، على تقديمهم أمام محكمة عسكرية باعتبار أنهم مدنيون • سأنهم هلال عبد الله هلال ، ان كان لأى منهم

اعتراض على اشخاص المحكمة • ردوا ، أنه لا اعتراض على الاشخاص ، اذ لا خصومة خاصة بين أحد من الرفاق واشخاص المحكمة ، انما ينصب اعتراضهم على المحكمة العسكرية ذاتها •

قرأ قرار الاتهام ، وكان الرفاق قد اطلعوا عليه في سجن القناطر ، ثم نودى عليهم طبقا لترتيبهم في قرار الاتهام : أبو سيف يوسف ، اسماعيل المهدي ، محمد بدر ، شوقي مجاهد ، فريد رمزي وهكذا • ثم السؤال التقليدي ، هل انت مذنب ام غير مذنب ، والاجابة « غير مذنب لاننى وطنى » • الى ان جاء دور الرقيق انور نعمان ، فقال ايضا غير مذنب ، ألا ان رئيس المحكمة على ما يبدو ، سمعها « مذنب » ، فعاد يسأله : « تقول انك مذنب ؟ » ، فقالها انور نعمان ، مرة أخرى ، « غير مذنب » ، باللغة العربية الفصحى ، حتى تكون واضحة ، فضج الجميع بالضحك •

طلب المحامون التأجيل ، حيث ان القضية كبيرة ، والملفات ضخمة • ولم يتم التحضير بعد • تقدم الرفاق الى المحكمة ، يطلبون السماح لهم بالجرائد والاذاعة والمجلات والأوراق والاقلام حتى يكتبوا دفاعاتهم السياسية • كذلك السماح لهم بارتداء ملابسهم الخاصة ، وجلب الغذاء الخاص من خارج السجن •

عاد الرفاق الى سجن الحصرة • مر يوم واثنان ولا جديد • فوروا دخول اضراب عن الطعام • كانت الدفعة الاولى مكونة من الرفاق : أبو سيف يوسف ، اسماعيل المهدي ، محمد بدر ، شوقي مجاهد فريد رمزي ، حسين شعلان ، سامي خشبة ، محمد كريم الدين وميلاد الشوان • والدفعة الثانية من باقى الرفاق وكان بهم بعض المرضى ، مثل انور نعمان وشوقي خميس •

كانت قد نشأت علاقات طيبة بين الرفاق والنزلاء العاديين • كان الآخرون ينظرون الى الرفاق نظرة تقدير واحترام ، يعتبرونهم ابطالا في وسعهم ان يفعلوا ما يعجزوا هم عن فعله • ورات الادارة في ذلك ، وفي وجود هؤلاء الرفاق الستة عشر في العنبر ، ما يهدد باثارة الزوابع والقلق الشديد في العنبر كله • فشرعت في اعداد التاديب مقرا لهم ، ثم نقلتهم

اليه . كان التأديب مكونا من زنازين معزولة تمام العزلة ، تقع في أحد اركان السجن البعيدة . الا انها رغم ذلك كانت تتميز بقربها من المساكن الشعبية المجاورة ، مما مكن للعائلات فرصة رؤية الرفاق والتخاطب معهم ، منها .

جاءت النيابة ، بعد عدة ايام ، استمعت الى اقوال الرفاق وعينت الحالة التي يعيشون فيها . اتصلت بهيئة المحكمة ، فوافقت على السماح لهم بالاكل الخاص والملابس الداخلية فقط ، وارتداء الملابس الخاصة عند التوجه الى المحكمة . كما سمحت ايضا بالاذاعة وطابور الفسحة . الا انها لم توافق على الجرائد أو الورق والاقلام . استمر الاضراب ثمانية ايام ، وانتهى الى هذه المكاسب الجزئية ، الا ان المكسب الهام الذي حققه هو الاثر الذي تركته وحدة الرفاق وصلابتهم على ادارة السجن .

استأنفت المحكمة جلساتها . كان الرفاق اثناء ذهابهم الى المحكمة ، يقيد كل واحد منهم الى واحد من جنود الحراسة ، ثم يأخذون في عربة ، كالعربة ، مغلقة تماما ، لها باب عليه حارس . وعندما يصلون الى المحكمة ، كانوا يمرون من باب العربة حتى باب قاعة الجلسة ، بين صفين من الجنود المتصفي الاتكاف كل بالآخر . كانت العائلات تتجمع ، الا ان منظر هذا الحشد من الجند وكل تلك الاجراءات والاحتياطات ، كان يشد انتباه المواطنين العاديين ، فيأخذون في التجمع ايضا ، فان اضيف الى ذلك عائلات مسجونين عاديين آخرين ، تنظر قضاياهم في نفس المبنى ، فلان الساحة امام المحكمة تكون ملاء بالزحام والبشر ، خاصة بعد ان أصبح معروفا ، في الاسكندرية ، ان الشيوعيين يحاكمون في هذا المكان .

كان يسمح للاهل والاقارب بدخول قاعة المحكمة . كان قفص الاتهام الذي يوضع فيه الرفاق اقرب الى الشرفة ، بلا حديد أو حواجز . كما كان به صفان من الدك الخشبية ، للجلوس عليها . كان الرفاق يدخلون اطفالهم ، معهم ، الى داخل القفص ، الا ان المباحث العامة اخذت تحك بهم بحجة ان هؤلاء الاطفال يستخدمون في الاتصال ، في حمل الرسائل الى الخارج والى الداخل . وبدأت المباحث العامة اجراءات تخيف الاطفال ، فاحتج الرفاق . الا ان رئيس المحكمة قال ، بأن وجود الاطفال في القاعة ، أفضل من وجودهم في القفص . وأن تلك المهمة تخص المباحث وحدها . حيث يمكن بالفعل ، من وجهة نظرة ، ايضا ، استخدام الاطفال كوسيلة للاتصال ، وبالتالي ، فان السماح لهم ، بادخال الاطفال في القفص موهون بتفتيش هؤلاء الاطفال قبل دخولهم القفص أو الخروج منه .



كان الرفاق يهتفون دوماً ، وهم في طريقهم من السجن الى المحكمة ؛ وكذاً في القاعة داخل القفص . كانت هتافاتهم تدور حول الديمقراطية والحريات السياسية . الا ان المحكمة نتيجة ذلك ، ونتيجة بعض الصدامات معها ، اذ كثيراً ما كان يقف اسماعيل المهدوى ، مقاطعاً رئيس المحكمة ؛ اتخذت قراراً بان يمثل امامها فقط ، رفيقان في كل يوم . المنهم الأول والثاني في أول يوم ، ثم الثالث والرابع بعد انتهاء المحكمة من الأول والثاني وهكذا . وكان عند وصول هذين الرفيقين الى مبنى المحكمة يتم احتجاز أحدهما في غرفة خارجية ؛ ويدخل الآخر الى المحاكمة . أى غدت المحاكمة فردية . يحاكم الرفاق الذين في قضية واحدة ، فرادى ، في ذات اليوم ، أو اليوم الذى يليه .

كان أول صدام للرفاق مع المحكمة ، عندما اعلنوا اعتراضهم على المحكمة العسكرية . الا انهم ظلوا معاً ثلاث أو أربع جلسات ، كانوا يشيرون في كل منها ، اعتراضهم هذا . وفي آخر جلسة مشتركة ، قال اسماعيل المهدوى ، أن الحكم معد سلفاً . فاعتبرت المحكمة قوله ، هذا ، اهانة لها وانذرته . ثم اتخذت قراراً بتجزئ القضية ، أو تمزيقها .

بدأت المحاكمة في شهر اغسطس ، ثم جاء الانفصال السوري في ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ ، فتوقفت فترة ، ثم عادت الى الانعقاد . تناولت الدفاعات السياسية ، بالإضافة الى الاعتراف بالعضوية ، الدفاع عن خط الحزب السياسى ، تكلموا في دفاع أبو سيف يوسف . أو دور الحزب في العمل الجماهيرى ؛ كما جاء في دفاع اسماعيل المهدوى . أو دور الحركة النقابية ، كما جاء في دفاع محمد بدر . أو دور الطائفة في الحركة الوطنية كما جاء في دفاع شوقي مجاهد . أو الحركة العمالية كما جاء في دفاع أحمد سالم . قدم سامى خشبة دفاعاً سياسياً حول قضية التعليم في مصر . أما انور نعمان ، فقد روى أمام المحكمة ما حدث في الاوردي من تعذيب . أما الرفاق الذين كانوا قد اعترفوا على بعضهم البعض ، فقد ادانوا هذا الاعتراف امام المحكمة ، انكروه واستفكروه . واصلوا ان هذا الاعتراف انما قد انتزع منهم قسراً وزوراً تحت وطأة التعذيب ، وأنه لا صحة لما جاء فيه .

بعد انتهاء المحاكمة ، ظل الرفاق في سجن الحضرة حتى شهر اكتوبر ١٩٦٢ في انتظار صدور الأحكام . وذات يوم استدعوا واحداً بعد الآخر . الى مبنى الادارة ، حيث تليت عليهم الأحكام الصادرة ضدهم . وهتف

الرفاق في مواجهة الأحكام بحياة الحزب الشيوعي المصري . كان الحكم الصادر ضد أبو سيف يوسف واسماعيل المهدي ومحمد بدر وشوفي مجاهد ، عشر سنوات من الاشغال القسائية ، وغرامة قدرها ألف جنيه مصري . وحكم على أنور نعمان بتسع سنوات وفريد رمزي بثمان سنوات .

وفي إحدى الليالي ، بعد صدور الأحكام ، سمع الرفاق في زنازين الناديب ، على غير المعتاد ، صوت موتور سيارة ، داخل مبنى السجن . وكان ذلك حدثا غريبا . إلا ان الغرابية سرعان ما زالت ، فقد توالى أوامر الترحيل . كانت مع الرفاق وثائق عدة ، فاسرعوا الى تأمينها . سيارة الترحيلة مكشوفة السقف ، المغطى ، فقط ، بشبكة من السلك . كان من الواضح ، ان ذلك ، أمر مقصود ، فالبرد شديد والرفاق لا يملكون غطاء أو بطاطينا ، اخذوهم في العاشرة مساء وعليهم اردية خفيفة . ظلت اجراءات الترحيل متصلة حتى الثانية عشر ، حيث غادروا السجن وقد تكوموا وتكدسوا في مقدمة صندوق السيارة ، خلف كابينة السائق ، في محاولة ، يائسة ، لمواجهة هذا الصقيع . وصنوا الى سجن مصر ، سجن ارة ميدان حوالى الخامسة صباحا . ظلوا في هذا السجن يومين ، داخل زنازين مغلقة طوال الوقت . كانت معاملة الادارة في سجن مصر معاملة دمجية حتى أن أنور نعمان فقد كل ملابسه . ومن سجن قره هيدان تم ترحيلهم الى سجن أسبوط ، ومن هناك مباشرة الى مبنى المحارير بالواحات .

### قضايا الحزب الشيوعي المصري « حدثو » :

ليس فيما يلى ، بالتأكيد ، كل القضايا التى حوكم فيها رفاق « حدثو » . ولكن هنالك أهم قضية نظرت ، وأهم محاكمة تمت لهم ، وهى تلك التى اشتهرت بقضية « شهدى عطية » . وقبلها سنلتعرض لقضية أخرى نظرت امام محكمة مدنية .

### قضية فاروق ثابت وآخرين (١) :

يقول فاروق ثابت ، « كانت محاكمتنا غريبة للغاية . كنا ثلاثة عشر شخصا ، منهم ، اسعد حلیم ، عبد السلام الخشان ، أحمد حجازى وغيرهم ، كانت المحاكمة عام ١٩٦١ . عندما نزلنا الى المحكمة ، كان

---

(١) على لسان فاروق ثابت .

رئيس الدائرة والد الفنان صلاح جامين . وكان كلما رأنا ، أجل للقضية حتى انتهت الدورة . تأجلت محاكمتنا من ١٩٦١ حتى ١٩٦٣ .

« نزلنا بعد ذلك أمام مستشار آخر . كان يسألنا : أنت شيوعي ؟ وكفه نقول ، نعم شيوعي ، أريد السلطة ولا أعارضها ، فلماذا تحبسونا ؟ لمطالبتنا بالتأميم . وما هو التأميم يحدث . على أى شيء تحاكمونا . إن مواد القانون الذى نحاكم به ، لا ينطبق علينا ، ولكنه ينطبق على السلطة . هذه هى وجهة نظرى ومبادئى ، وأنا حر فيها ، الا ان موقفى العملى هو التأييد . »

« كان ذلك هو محور الدفاع السياسى الذى قدمه الثلاثة عشرة متهما . لم يسألنا رئيس المحكمة فى مسألة العضوية . ولم يكن لنا هذا الموقف أصلا . موقف الاعتراف بالعضوية . كان موقفنا ، أنت شيوعي ؟ نعم . أنت عضو فى الحزب الشيوعي ؟ لا . » وعندها سألنى رئيس الدائرة ، أنت شيوعي ؟ واجبت بالاجاب ، وبدأت دفاعى السياسى ، ونحيت على منصور المحامى المترافع عنه لاقول كلمتى ، رفع المستشار القضية . ويبدو انه كان يعرفنى عن طريق أحد اقربى . وعاد ليعلن الأحكام .

« كانت المحكمة مدنية . وهى كلها لم تستغرق أكثر من ثلاث ساعات . »

### قضية شهودى عطية وآخرين (٢) :

عرفت القضية ايضا بقضية الثمانى والاربعين ، حيث انها ضمت ثمان واربعين زميلا من الحزب الشيوعى المصرى « حدثو » . وكان منهم : شهودى عطية ، مبارك عبده فضل ، محمد يوسف الجندى ، ابراهيم عيد الحليم ، أحمد الرفاعى ، كمال الشلودى ، حمدى مرسى ، محمود السكران ، عبد الحميد السحرتى ، صنع الله ابراهيم ، سعد بهجت ، ابراهيم المانسترلى ، نور سليمان ، جمال غالى ، محمد عباس ، عادل حسين ، طاهر البحرى ، أحمد القصير ، محمد على عامر ، سيف صادق ، محمد أحمد الزبير ، سيد عبد الوهاب ندا ، عثمان فهمى عبد اللطيف ، سعد الدين عبد المتعال ، محمد الليثى ، أحمد على خضر ، أحمد سليم ،

---

(٢) على لسان مبارك عبده فضل ( ١٩٨٢/٢ ) ومحمد يوسف الجندى فى لقاءات شخصية معها .

على نجيب ، محمود غريب سليمان ، مصطفى بهيج نصار ، محمد محمود مراد ، صلاح هنداوى ، محمد حجازى ، عطية الصيرفى ، محمد يونس ، محمود أبو شوشة ، رشاد خليل الشلودى .

كان الجميع ، تقريبا ، قد قبض عليهم فى حملة يناير ١٩٥٩ ، حيث اودعوا سجن القلعة ، ومنها الى سجن المحساريق بالواحات ، ثم الى سجن - مصر ، سجن قرة ميدان بالقاهرة ، حيث ظلوا هنالك حوالى عشرة ايام ، انتظارا للترحيل الى الاسكندرية للمحاكمة أمام نفس المحكمة العسكرية ، برئاسة الفريق هلال عبد الله هلال ، والتي كانت مشغولة حينئذ بنظر قضية « فؤاد مرسى وآخرين » ، والتي ما ان انتهت محاكمتها ، حتى رحلت قضية « شهدى عطية » الى سجن الحضرة بالاسكندرية .

### الاعداد للقضية :

اتخذ الاعداد للقضية شقين : الشق القانونى ، والشق السياسى .

يقول مبارك عبده فضل ، « نظمنا ما يسمى بقضية الدفاع . كل واحد يأتى له محاميه ، الامكانيات كانت محدودة . فالتقى على علق كل محام ، مجموعة للدفاع عنها . مثلا ، كان عادل أمين مسئولاً عن مجموعة . وكذا ابراهيم طلعت ، ومحام من الاسكندرية يدعى جوجو . كان الاستثناء ، المحدود ، هو ان يتراقع المحامى عن فرد واحد ، وكان من هؤلاء شهدى عطية باعتباره المتهم الأول ، وكان محاميه الاستاذ محمد عبد الله باعتباره رجلا قديرا فى الجنائى . ولقد قدم بالفعل دفاعا عاما عن القضية كلها . كان دفاعا قانونيا وسياسيا مجيدا للغاية ، وترافع ايضا الاستاذ جمال العطيفى عن محمد الجندى . كان هؤلاء المحامين المشتركين يأخذون مبالغ بسيطة جدا . كان بعضهم منتدبا ، وكنا نعطيهم فى حدود عشرين جنيها . ولقد طلب الاستاذ عادل أمين ، اما زيادة المبالغ واما التبخل عن القضية . وكانت مجموعته مكونة من نور سليمان ومحمد على عامر وزملاء من العمال . وضعهم امام الامر الواقع . اما الدفع واما عدم الترافع . فعرضنا عليه الاختصار ، بمعنى ان المبلغ الذى سيأخذه عن اربعة زملاء ، يأخذه عن اثنين فقط ، وعطينا ان نبحث للآخرين عن محام آخر . كان دفاع الاستاذ عادل أمين ، دفاعا قانونيا . من المحامين الذين اتخذوا موقفا جيدا للغاية ، الاستاذ عبد الله حسن ، وكان موكلا عن حمدي مرسى ، الا انه اخذ معه عددا آخر من الزملاء . ونقد



أخذ أمام المحكمة مواقف جيدة وجريئة ، وكذلك كان الاستاذ ابراهيم طلعت ، والذي كنت انا المتهم الرئيسى في مجموعته . المبالغ التى قدمت للمحامين ، كانت تدبر من الاهالى ، بالاضافة الى تبرعات بعض الاصدقاء والشخصيات التى يمكن ان تتبرع لمثل هذا الموضوع . كان الاهل يحضرون لنا باستمرار . وكانت مشكلة التفاهم معهم ، وخاصة للترتيبات اللازمة للقضية صعبة للغاية ، حيث كانت المحكمة ملأى برجال المباحث العامة ، ولذا استخدمنا اللغة النوبية في التخاطب في أى تبليغ ، حتى لا يفهم أحد من المباحثيين شيئا .

• من الاشياء البارزة والمعروفة ، في هذه القضية ، اعتراف كمال الشلوذى . لقد قفز فجأة من قفص الاتهام وادّلى اعترافه . وهذا الموضوع له قصة وبداية . كنا قد لاحظنا ، ونحن في سجن الحضرة بالاسكندرية ، ان كمال الشلوذى متعب . كان من الواضح أنه ( مخوخ ) ، يعانى من حالة انهيار ما . كان عضوا في اللجنة المركزية ، لكننا لم ندرك ان هذا التعب أو الانهيار ، يمكن ان يؤدي به الى القفز في المحنة والاعتراف . شئ لم يكن متوقعا أو متصورا على الاطلاق . حدث قبل اعترافه بيوم واحد ، ان اعتدى على احمد القصير ، اعتداء مظيعا ، لا يصدر عن ادارة السجن ذاتها . ومن المحتمل أنه قد فعل ذلك ، حتى يستفد ليه في تبرير موقفه . استفزت فعلته كل الناس ، فاجتمع الزملاء المركزيين ووجهوا اليه لوما أو توبيخا ، شئ من هذا القبيل . عقوبة لا يمكن ان تؤدي الى شئ . ولكن يبدو اننا كنا ما نزال شبابا يفتقد الحصافة . لم نكن ندرك ان الامر قد وصل به الى هذا الحد . ابلغ بالقرار ، وخرج معنا ، وجلس في قفص الاتهام معنا ، وفجأة قفز خارجه ، وتحول من متهم الى شاهد ملك . قال فور ان قفز ، « انا عندي اعترافات ، عندي كلام في القضية » . فرفع الرئيس الجلسة عشر دقائق او ربع ساعة ، ثم وضعوه في موضع آخر ، وبدأ اعترافاته . قال كل ما كان يعرفه داخل السجن أو خارجه ، لم يترك شيئا للبتة . واستغرق اعترافه يوما أو يوما ونصف . كان الرفاق قد كلفوني بترتيبات تمويل للقضايا ، وكان شرط قبولى لهذه المسئولية ، الا يسألنى أحد عن تبرع من الاصدقاء كنوع من الامان . وضعت هذا الشرط للاحتياط ، لعدم بعثرة الكلام ، لم يكن في بالى بالطبع موقف كمال الشلوذى . ولو كان قد عرف بهذه المسألة لجرجر اناسا مجرد انهم قد ساهموا أو تبرعوا للدفاع عنا . وضعوه بعد ذلك في سجن الاجانب . كان يأتى اثناء الجلسة ، ويعود الى هنالك في آخر النهار .

وكان الشق الثانى من الاعداد ، هو الاعداد السياسى للقضية .

يقول مبارك عبده فضل ، « لم تكن خطتنا في القضية تقوم على خط الاعتراف بالعضوية ، مثل القضية الأولى ( يقصد قضية الحزب الشيوعي المصري ) . كانت خطتنا أن يقول الزملاء كلاما سياسيا ، وليس كل الزملاء أيضا . كانت الدفاعات السياسية تقوم على أساس خطنا السياسي ومحوره أن عبد الناصر والقوى الموجودة قوى وطنية ، لكنها مخطئة في حق الشيوعيين . وأن هذه الاجراءات ضحنا غير سليمة . لم يكن خطنا خط التخوين « أى اتهام النظام بالخيانة » ، ومن هذا المنطلق كانت دفاعاتنا قائمة على أساس عرض تاريخ الشيوعيين وما قاموا به من أعمال . كان الخط هو خط التأييد . قدم شهادى عطية دفاعا سياسيا عاما ، وتناولت أنا موضوع الجبهة ، وتاريخ الشيوعيين عامة . اعطى رئيس المحكمة فسحة من الوقت ، الى حد ما ، لشهادى عطية ، وربما كان ذلك بسبب محاميه الاستاذ محمد عبد الله ، الا انه بالنسبة للآخرين ، كان كثير المقاطعة ، كثير التصديق . كان يحاول التقليل قدر الامكان . ولم نكن ننظر الى عملية التقبل تلك ، على أنها ، رغبة من هلال عبد الله هلال لتخفيف الأحكام ، أو اعطاء أحكام بالبراءة أو ما شابه ذلك ، وإنما نعتقد ان هذه المقاطعة والتصديق ترجع الى دفاعنا عن تاريخ الشيوعيين ، مما فرض علينا عمليات المراوغة منه ، حتى يمكن للواحد منا أن يقول للجزء الذى يريده من كلامه .

الحدث السياسى الوحيد الذى انكره ، اثناء المحاكمة ، كحدث غير عادى أو مألوف ، هو تأميم بنك مصر . كان ذلك فى فبراير ١٩٦٠ . فوقفنا فى المحكمة وايدنا تأميم بنك مصر ، .

ويقول محمد الجدى ، « عقدنا فى الاسكندرية كونفرنسا ناقشنا فيه تقييمنا للوضع السياسى القائم . وواصلنا مناقشاتنا التى كنا قد بدأناها قبل دخول السجن . كنا قبل دخول السجن نعتبر أن السلطة فى يد البورجوازية الوطنية ، التى هى ليست فئة واحدة ، لكنها تمثل فئات يمينية ، وفئات أكثر تقدما . كنا نعتبر أن عبد الناصر ومجموعة معه ، تمثل القوى المتقدمة فى البورجوازية الوطنية . وكنا نسعى لقيام تحالف مع عبد الناصر ومجموعته فى السلطة . كنا نعتبر أن فى السلطة قوى يمينية نحاول ضرب هذا التحالف ، وتحاول أيضا جر عبد الناصر والحكومة ككل بقيادته الى الاتجاه اليميني .

« فى الكونفرنس ، وكان شهادى موجودا فيه ، قبل الذهاب الى أبو زعبل ، قلنا أن هنالك مجموعة فى السلطة ، هى ليست كل السلطة ، مجموعة اسميناها بالمجموعة الاشتراكية . لها افكار اشتراكية ، لكنها

غير علمية ، غير الماركسية اللينينية • الا انه يجب العمل مع هذه المجموعة لتحقيق وحدة العمل من أجل الاهداف الوطنية والديمقراطية • وقتلنا انه يمكن حدوث تطور فكري لهذه المجموعة ، والمفروض علينا أن نبذل جهدا في اتجاه التقارب من الاشتراكية العلمية •

« في القضية ، كان الدفاع الأساسي الذي قيل هو الدفاع الذي قام به شهدي عطية • كان دفاعا طويلا ، تحدث فيه عن الموقف من الاستعمار ، عن موقفنا من عبد الناصر كرجل وطني ، تحدث فيه ، ودافع ، عن دور الشيوعيين داخل التحالف الوطني ودور الشيوعيين الوطنى الديمقراطى ، بل وحتى دافع عن الشيوعيين والشيوعية • دورها واهدافها • وتكلم ابراهيم عبد الحليم عن الكتب التى اصدرتها دار الفكر • وتكلمت أنا عن موقفنا منذ قبل عام ١٩٥٢ ضد الاستعمار • والقضية التى حكم فيها على بالسجن خمس سنوات • ومن هم الذين كانوا يحاكموننا ، ومن كانت النيابة من أمثال « قاويش » ، وما هى مواقفهم بعد ذلك • وكيف ظهر انهم كانوا متعاونين مع الاستعمار • وكيف ان موقفنا اليوم هو استمرار لهذا الموقف ضد الاستعمار والسراى • لم تطرح فى المحكمة مسألة المجموعة الاشتراكية لانها لم تكن قد اقرت بعد • طرحنا مسألة التحالف ، •

كان الوضع فى سجن الحصرة ، اثناء وجود قضية « حدثو » به ، عاديا الى حد ما • الزيارات مسموح بها • وادخال الطعام مسموح به ، وفتح الزنازين طوال الوقت حتى المساء • كانت الامور جيدة ، باستثناء خيانة وقعت بين حمدي مرسى وعلى نجيب من جهة ، وضابط العنبر من جهة أخرى • واراد هذا الضابط الانتقام فجرد حملة فتحت الزنازين على الرفاق ، واعتسحوا عليهم بالضرب • خلعوا ملابسهم العادية ، والبسوهم ملابس السجن • شجت رأس محمود السكران ، وكان رجلا فوق الستين من عمره ، كذلك اصيب عدد آخر من الزملاء • تمت عملية الضرب اثناء المحاكمة ، وذهب الزملاء الى المحكمة ومحمود السكران ملفوف الرأس • حاولوا تقديم شكوى الى المحكمة ، الا انها لم تلتفت لهذا الموضوع •

انتهت المحاكمة وقد استغرقت وقتا طويلا • استمر من اوائل عام ١٩٦٠ حتى منتصفه ، ثم جاء الترحيل الى أبو زعبل •

يقول مبارك عبده فضيل ، « فوجئنا بعد انتهاء المحكمة بيومين أو ثلاثة ، بالزنازين تفتح علينا ، من الساعة الواحدة بعد منتصف الليل • طلب منسا ان نلبس ملابسنا ، وأن



نجهز انفسنا . كان هنالك استعجال شديد جدا . وبالفعل  
جهزنا حاجياتنا في سرعة " وكالعادة نظرنا مستولا عن الرحلة ، وعليه  
هو أن يحدد المسائل والمواقف . كان ترحيلنا في سيارتين ، فاخترنا شهدي  
عطية لواحدة منهما ورفيق آخر للسيارة الأخرى . عندما خرجنا الى حوش  
السجن ، كان هنالك الحلواني مأمور السجن وكمية ضخمة من البوليس  
والحراس . وعرفنا ان الحلواني سوف يصاحب الترحيلة . وكان هذا  
امرا غريبا ، اذ أن مأمور السجن ، عادة ، لا يصاحب ترحيلة تغادر  
سجنه الى سجن آخر . كان الحلواني استقرازا للغاية اثناء عملية  
الخروج . وكانت قد حدثت مشكلة واحتكاك بينه وبين حمدي مرسى  
سجلناهما في المحكمة . وقد جعلته هذه الواقعة في حالة استقراز ، رغم  
اننا سمعنا ، انه كان يتعامل مع الدفعة التي قبلنا ، معاملة طيبة .  
ركبنا السيارتين وغادرنا السجن ، لا ندرى الى أين ، كانت التخمينات  
التي وردت على اذهاننا اننا في طريقنا الى سجن مصر أو ليمان طره ،  
الا أن موضوع أبو زعبل ، لم يكن وارد في ذهننا ، باعتبار ان أبو زعبل  
مكان للمعتقلين . لم نكن نعرف ان قضية فؤاد مرسى قد ذهبت الى  
أبو زعبل . كما لم نكن نعرف الاوضاع هناك . ان ما راينا في أبو  
زعبل أو سمعنا به فيما بعد ، لم يكن ، في الحقيقة ، واردا في اذهاننا على  
الاطلاق . كنا نتصور نوعا من التضييق ، نوعا من الاهانة البسيطة ،  
اما هذا التعذيب المنظم ، فلم يكن في ذهننا آنذاك .

في لحظة ما ، ادركنا اننا نتجه الى أبو زعبل . ربما كان ذلك بعد  
ان دخلنا طريق أبو زعبل - كنا قد غادرنا الاسكندرية حوالى الثالثة  
والنصف فجرا ، وبلغنا أبو زعبل حوالى السابعة صباحا . أنا لا اعرف  
بالتحديد جغرافية أبو زعبل . لكننى اعرف بالتحديد اننا جلسنا في مكان  
خلوى بعيد عن الاوردي . أول ما نزلنا من السيارات وجدنا ضجيج  
وعساكر وفرسان وعصى وأشياء فظيعة للغاية . اجلسونا كل اربعة في  
صف واحد ، كنا حوالى خمسة وأربعين ، كنا ذهبا ، ما عدا كمال  
الشلودى . كانوا قد عزلوه بعد اعتراه في سجن الاجانب بالاسكندرية .  
ظلنا جالسين هكذا حوالى ثلاث ساعات . بدأ الزملاء يتهاملون . كل  
حركة يأتينا زميل ، كان يضرب بسببها . كنت وقتها سميما للغاية .  
وكانت مثل هذه الجلسة عسيرة على ، لا اتحملها . ولذا تحركت كثيرا ،  
ونلت كمية فظيعة من العصى والشوم على راسي . كان مفروضا ألا تنظر  
حولك أو امامك . بدأوا ياخذوننا صفا صفا . عندما جاء دور الاربعة  
الذين انا معهم ، كنت منهكا للغاية . ربما كان ذلك من الضرب الفظيع  
الذى انصب على راسي . كنا نجري بين صفين من الجند ، وصف من



الفرسان خلفنا • ان توقفت ضربوك • ان تذكر اننى وقعت أكثر من مرة •  
عندما وصلت باب الاوردى ، كنت قد انتهيت تماما • بمعنى انى لم اعد  
قادر على الحركة فاصبت بالاغماء . أكثر من مرة • غمرونى بالماء حتى  
افيق • خلعوا ملابسى ، لا ادرى كيف • كان هنالك جدول مياه وأشجار •  
حلقوا شعرى وخطت • انكر انى كنت اصاب بالاغماء ، وأن هنالك من  
كان يحملنى ، اثنين من اليمين ، واثنين من الرجلين • وكان هنالك من  
يضربنى على ظهرى وبطنى • كانوا يقلبوننى وأنا عريان ، منهك للغاية •  
اصاب بالاغماء ، فاعاد الى وعى كى اضرب من جديد • عندما وصلت  
باب العنبر ، كنت ازحف على رجلي عاجزا عن المشى • دخلته وفقدت  
الادراك بكل ما حولى • اصابتنى حالة من الاغماء المتصل • كنت افيق  
لحظات فاطلب ماء واشرب ، فتزيد حالتى سوءا • احسست انى أموت •  
وأن موضوع الجمر قد غدا دقائق معدودة • احسست بتومرجى السجن  
يغرس فى جسدى حقنة كورامين • وربما تكون تلك الحقنة هى ما انقذ  
الموقف • عرفت بهذا فيما بعد • وحسبما سمعت ، فإنهم عندما مات  
شهدى وعرفوا ان هنالك آخرين متعبين فى العنبر ، فزعوا وجاعوا لاعطاء  
الحقن • بعد أخذ الحقنة وبعد ان افقت قليلا نقلت الى حجرة ، ووجدت  
معى فيها جمال غالى ونور سليمان ومحمد عباس فهبى وعادل حسين •  
كنا ننام فى سرر عالية من ناحية للرأس ومنخفضة من ناحية الاقدام •  
سألنا الطبيب عن حقيقة ما نحن فيه ، فقال اننا مصابون بصدمة عصبية ،  
وكانت اننا أسوأهم حالا ، قال الطبيب ، أنه لابد من عدم الحركة وعدم شرب  
المياه مدة ٢٤ ساعة • كانت تلك هى مرحلة الخطر التى لو اجتزناها ،  
عشنا ، وان عجزنا عن عبورها ، فاننا معرضون للخطر الشديد ، حيث  
أن الصدمة العصبية ، كما قيل لنا ، يمكن ان تقتل الواحد منا فى اية  
لحظة • كانت تعليمات الاطباء وقتها ، منعنا من شرب الماء ، وفى حالة  
الشعور بالظما ، كانوا يحضرون لنا قطعة قطن بها ماء يقطر فى الفم نقطا  
لنبل اللريق •

عرفنا أن شهدى قد مات من أحد الزملاء ، لم نسمع بذلك فى العنبر •  
سمعنا به ونحن فى حجرة المستشفى • أحد الزملاء الذين كانوا يقومون  
بجمع القمامة ، وربما كان شندى ، هو الذى شرح لنا الوضع فى العنابر  
الأخرى • فوجدنا بالتحقيقات التى جرت بعد يوم أو اثنين • بعض الناس  
كانت تتذكر اسماء من ضربهم ، أو تتعرف عليهم من وجوههم • والبعض  
لم يكن يعرف • وأنا شخصا لم اعرف أحدا ، اغلب الضرب وقع على •  
وأنا فى حالة اغماء أو غم وعى بما يجرى حولى • كما أن منظر الزملاء فى  
العنبر ، بعد الاعتداء عليهم ، كان منظرا غائما تماما ولا انكر منه شيئا •

من الأشياء التي سمعتها فيما بعد ، أن أحمد خضر وزملاء آخرين ، كانوا يخطرون أي كلام ، بسبب ما أصابهم من عدوان . كان شهودي عطية ، في الغالب ، في دفعة قبلي ، وإن كنت غير متأكد من ذلك . ومما يرويه الزملاء ، أنهم ظالوا يضربونه حتى مات ، وكان يقول ، « أنا شيعي » . واعتقد أن مجموعتنا كانت أكبر مجموعة تعرضت للتعذيب قبل دخولها الأوردي . كنا نسحل حتى العنبر ، ولا أفكر أنني قد سرت على قدمي . فاما أنهم كانوا يجرونني أرضا ، أو أنني كنت أزحف زحفسا . وفي اعتقادي أن ما حدث لنا ، لابد كان نتيجة توصيات بسبب المحاكمة .

بعد التحقيقات ، والتي استمرت حوالي الأسبوع ، نقلنا إلى سجن القناطر . وهناك أحسستنا بالمأساة التي نحن فيها . كل الناس مشروبة . والملابس ملتصقة بالابدان ، ورفعها عنها مؤلم أشد الألم . عندما وصلنا سجن القناطر ، كانت حالة السجن متوترة ، مضطربة للغاية ، والناس جميعا في زل شديد ، طبيب السجن واسمه صادق ، كان انسانا للغاية . استقبلنا وكشف علينا فور وصولنا . كان يبكي وهو يفعل ذلك . لكنه صرف لنا جميعا غذاء كاملا . لا تحري أن كان ذلك بسبب تعليمات صدرت إليه ، أم بدون تعليمات وعلى مسئوليته ، صرف لنا لبنا وسكرا وليمونا وبطاطينا . هناك في سجن القناطر عرفنا بما فعله أهل شهودي ، والمنازق الذي واجه عبد الناصر في مجلس النواب اليوغسلافي ، ووقوفهم هناك حدادا عليه ، ورسالة عبد الناصر بضرورة التحقيق .

جاءت الأحكام ونحن في سجن القناطر . كنت حينذاك في مستشفى القصر العيني لأجراء عملية . أحسست أن الإدارة في حالة اضطراب ، ثم أخفوني إلى سجن القناطر ، وهناك أعلنوني بالحكم ، عشر سنوات مع الأشغال الشاقة . الأغلبية حكم عليها ما بين ثلاث وعشر سنوات . واحد فقط أخذ سنتين والبعض أخذ براءة مثل عبد الحميد السحرتي .

ويقول محمد يوسف الجندي ، « .. دخلت السيارات طريق أبو زعبل . كانت تأتي لنا أخبار عن هذا المعتقل » . إلا أننا لم نكن نصدقها . كنا نسمع أن هناك تعذيباً دون تفاصيل أو تأكيد . لم نكن نعرف بمقتل فريد حداد . عندما وصلنا كان الضباط في انتظارنا ، وبدأت أشياء ، من قبيل ، « انزل يا ابن الكلب » ، « انزل يا ولد » ، « اقعد على قرايفيك » . كانت هناك خيل وقوات ، جلسنا على قرايفينا .

بدأت أعمال التحرش بنا • كل من يتململ أو يتحرك يضربه الضابط بالشوكة فوق رأسه وهو يصرخ فيه « انت بتتحرك ليه يا ولد » • بدأنا نغادر هذا المكان في اربععات ، قيل لنا ان نجرى حتى المكان الذى سنخلع فيه ملابسنا • وان الذى يجرى اسرع ، لن يناله للضرب • بدأ النداء على الاسماء اربععات ، وبدأ الجرى • بالطبع لم يفلت أحد من الضرب • عند مكان كان يتجمع فيه الضباط ، بدأت مرحلة اخرى من الضرب المبيت ، « اقلع يا ابن الكلب » ، ثم حلقة سريعة ، واسمك والاجراءات الادارية ، واثناء ذلك للضرب القاتل ، فى كل مكان ، على الرقبة ، على الرأس ، دون تمييز • ثم يحضرون لكل منا ، وقد غدا عاريسا وحليقيا ، برشا وبطانية • وعليه ان ينام بظهره على الأرض ، وقد وضع البطانية والبرش على بطنه ، ويمسك أحدهم بإحدى رجلك من ناحية ، ويمسك آخر بالأخرى ، ويبدأ السحل حتى العنبر • كان عبد اللطيف رشدى ، أحد ضباط السجن ، يقف فى مكان ما قبل العنبر • وهنا تبدأ مرحلة اخرى من الضرب المبيت • « انت شيوخى يا ابن الكلب ؟ » ، « قل أنا امرأة » • والسر يشتد لا يتوقف • ابتداء من هذا المكان ، حتى العنبر ، حيث كان على كل واحد منا ، أن يقف رافعا يديه الى الحائط • كان الذى يشرف على هذه العملية ، أحد صولات السجن • وهو يستقبلك فى العنبر بالضرب الشديد ايضا • لقد سحلنا جميعا ما عدا عبد الحميد السحرتى وصنع الله ابراهيم ، وسعد بهجت و ابراهيم المنسترلى • كان عليهم توصيات • جعلوهم يخلعون ملابسهم ، واعطوهم الابرأس والنمر ، واجلسوهم القرفصاء ، ليروا تعذيب كل الآخرين •

الضابط يونس مرعى ، أو أحد الضباط سسأل ، « أين تشهدى عطية ؟ » فقال شهدى « أنا هو » • فاتهموا عليه ضربا بطريقة غير معقولة • كاتوا يغرقتوه فى ترعة الى جوار الطريق الذى نجرى فيه ، ثم يخرجوه ليضربوه ، ثم يعيدون اغراقه فى الترعة ، ثم اخراجه وضربه من جديد وهكذا • ظلوا يضربونه حتى مات • لكنى لا اعرف اين مسات بالضبط • ولكن يبدو ان شهدى قد انفردوا به فى نهاية الترحيلة أو ما قبلها بقليل •

عندما ادخلنا جميعا الى العنبر ، واغلق بابنا ، كان البعض منا يضحك مما آل اليه حالنا • كنا جميعا مصابين ، وكانت هنالك اهرامات فى رأس ابراهيم عبد الحليم ، من ضرب الشوم عليها • الضابط يونس مرعى يقتحم علينا العنبر ، وهو يزعم « قف يا ولد يا ابن الكلب » • جاء القومرجى بالميكروكروم وجاء الطبيب ايضا ، واتصل بالضرب امام الطبيب •

كان هنالك اربعة زملاء في حالة خطرة : مبارك عبده فضل ، نور سليمان ، جمال غالى ومحمد عباس . بعد قليل من الاغلاق ، وعدم ظهور شهودى بدأنا نتساءل أين شهودى ؟ في وقت الغروب سمعنا أصوات غريبة « تش تش » ، كانت كالموسيقى . عرفنا فيما بعد أنها أصوات القوايش على الزملاء ، في العنابر الأخرى ، وهم يلفون للتفتيش . في اليوم التالي فتح العنبر فجأة ، ودخل من يسأل « من فيكم كان مع شهودى في عربة الترحيلة » . كان السائل هو رئيس النيابة . لم استطع تبينه جيدا . كنت قد فقدت نظارتي أثناء الجرى والسحر ، ولم أعد أرى جيدا . كان رئيس النيابة كما عرفت ، فيما بعد ، هو زوج اختي . هو عرفنى ، لكننى لم اتبينه أو اتعرف عليه . قلنا ردا على سؤاله ، « كلنا كنا معه » . في هذه اللحظة تأكدنا ان شهودى قد مات .

بدأ تحقيق النيابة . وكان الضابط يونس مرعى ما يزال يدخل العنبر وينادى « يا ولد » . حاول عندما بدأت النيابة عملية عرض للضباط الذين شاركوا في هذا التعذيب ، أن يدفع الزملاء الذين لم يضربوا الى الشهادة بأقوال مخالفة ، الا انهم قالوا نهس الكلام الذى قلناه . قلنا كل شئ ، وأخرجنا الضباط في عملية العرض القانونية وتعرفنا عليهم ، ظللنا في أبو زعبل اسبوعا ثم نقلنا الى سجن القناطر - رجال » .

ويقول فاروق ثابت ، « عندما ذهبنا الى سجن القناطر ، لم يكن هنالك عدد كبير من زملائنا . كان هنالك زملاء القضية بعد مقتل شهودى في اوردى ليمان أبو زعبل . كان اربعة منهم في حالة خطرة ، لقد وجدوا مبارك عبده فضل على أرضية عنبر المعتقل ، ظهره على الأرض وكذلك بطنه . كان نصفه السفلى مقلوبا . ولا صوت ولا حركة » .

ويكمل محمد يوسف الجندى ، « في سجن القناطر جاعتنا اخبار تقول ان التحقيق الذى يجرى بشأن شهودى عطية قد تم بنسأ على أوامر عبد الناصر . وأن والد شهودى كان قد ارسل اليه ببرقية . بعد التحقيق نقل اللواء همت وضباط الاوردى » .

« فيما يختص بالكونفرانس السياسى ، اكملنا المناقشة في أبو زعبل . لم نلكن نخرج الى الجبل . تركونا في العنبر . كنا بالليل نتكلم مع العنابر الأخرى ، وبذا عرفنا ما الذى حدث .

واصلنا المؤتمر والمناقشات في سجن القناطر . كانت تلك الفترة قبل اجراءات يوليو ١٩٦١ ، وظهر اتجاهاً ، اتجاهاً ، يمثله عادل



حسين ، يقول اننا في مرحلة الثورة الاشتراكية ، باعتبار ان هذه المجموعة الاشتراكية يمكن ان تتطور وتصبح ماركسية . وكان هناك اتجاه برفض فكرة المجموعة الاشتراكية ، مثل محمد عباس ، طاهر البدرى وعبد الحميد السحرتى . الا ان الكل كان يعتبر عبد الناصر رجلا وطنيا . اسسهمر الكونفرنس سبعة اشهر ، ابتداء من الاسكندرية ، قبل المحاكمة مباشرة . بعد ذلك أصدرنا قرار المجموعة الاشتراكية والذى يقول : انه بتأثير الحركة الشيوعية في مصر والمواقف الوطنية لهذه المجموعة « مجموعة عبد الناصر » ، وصدامها مع الرأسمالية الداخلية ، واتجاهها الوطنى والاستقلالى عن الامبريالية العالمية ، وتأثير الافكار الاشتراكية في العالم . كل ذلك قد أدى الى وجود اتجاهات اشتراكية غير علمية ، ثم وصل الى الفكر الماركسى اللينينى . وأن ذلك قد نشأ خلال الاتجاهات التجريبية لهذه المجموعة . وأن موقفنا منها هو وحدة العمل من أجل الاهداف الوطنية الديمقراطية ، وفي الوقت نفسه العمل على دفعها في اتجاه الاشتراكية العلمية ، وكان في تقديرنا أنه توجد ظروف موضوعية تسمح بدفعها في هذا الاتجاه ، اتجاه تبني الماركسية اللينينية . وأن هذه المسألة يمكن ان تحدث أو لا تحدث ، الا ان لنا دورا في اتجاه هذه المحاولة . وكان تقديرنا ان فكر عبد الناصر يتطور الى الامام وليس الى الوراء ، بتطور مقتربا من الماركسية وليس مبتعدا عنها .

كان ذلك هو القرار الذى اتخذ في القناطر - رجال . كنا اثناء المناقشات على اتصال بزملاء الواحات . الا ان فكرة المجموعة الاشتراكية ظهرت في الكونفرنس ، ونحن الذين أرسلناها لهم ، وهم قبلوا بها .

عندما أعلننا هذا الموقف ، حدث بالطبع هجوم شديد علينا بدءا بالخيانة وعملاء السلطة . الخ ودافعنا ، نحن ، بالطبع عن خطنا .

في هذه الفترة وصلت الأحكام . وكانت تصل الى عشر سنين . سقط شهدى من الأحكام . مبارك عبده فضل و ابراهيم عبد الحليم وآخرين عشر سنوات . حكم على أنا ونور سليمان بالبراءة . نقلنا الى أبو زعبل للمرة الثانية ، كمرحلة انتقالية ، حيث حدثت تأميمات يوليو ١٩٦١ . ثم نقلنا الى الواحات . من حكم عليه لتنفيذ الحكم ، ومن برى للاعتقال . كان وضع المسجونين أفضل من وضع المعتقلين . وكان قد حكم على ١١ قضية سابقة بخمس سنوات . فطالبت بتنفيذ الحكم ، الا انهم تجاهلوا الرد ، وظللت في أبو زعبل حتى اغلق ، ثم حولت الى الواحات .

## قضية الطليعة الشيوعية ووحدة الشيوعيين (١) :

ضمت هذه القضية الرفاق الاساسيين لمنظمتين ظلتا خارج اطار وحدة الحركة الشيوعية ، في مجملها ، في ٨ يناير ، وهاتان المذامتان هما الطليعة الشيوعية « ط . ش » ووحدة الشيوعيين « و . ش » .

يقول نجاني عبد المجيد ، « كنت وحسنى تمام ومحمود المانسترلي في اوردى ابرو زعل » . تم ترحيلنا الى سجن القناطر ومنه الى سجن الحضرة بالاسكندرية .

« كان في القضية ، من زملاء الطليعة الشيوعية ، شعبان حافظ ، فوزى جرجس ، محمود المانسترلي ، حسنى تمام ، محسن الخياط ، نجاني عبد المجيد ، مهدي الحسيني ، ماجد عمر ومحمود عزيمى . وكان من زملاء وحدة الشيوعيين ، ابراهيم فتحي ، على الشوباشي ومحام من المنصورة يدعى أحمد » .

« نظرت القضية امام مجلس عسكري ، برياسية الفريق هلال عبد الله هلال ، وكان قد رقى من لواء الى فريق في بداية محاكمتنا ، خلال الفترة يوليو - سبتمبر ١٩٦٠ » .

فيما يختص بالاعداد للقضية ، ناقشنا مسألة الدفاعات السياسية . ولقد طرح تساول ، فيما بيننا : اذا ما كانت هذه المرحلة هي مرحلة الدفاعات السياسية ؟ وكانت هنالك اجابة ، بان هذه الدفاعات امام المحكمة يمكن للقوى السياسية المنظمة ، خارج السجن ، ان تستخدمها ، بنشرها ، بين صفوف الطبقة العاملة . لم يكن هنالك دفاعات سياسية بالمعنى السياسى الواضح . لم يعترف احد على الاطلاق بالعضوية التنظيمية ولقد قام هذا الموقف على اساس دراسة ظروف كل واحد منا على حدة .

« فوزى جرجس لم يكن لديه اية اوراق او مضبوطات ، وكذلك شعبان حافظ باستثناء وضعه التاريخي ودوره في الحزب الشيوعي عام ١٩٢٤ » . وايضا لم يكن لدى محسن الخياط اية اوراق او مضبوطات . كان لدى حسنى تمام بعض المضبوطات فحدد موقفه على اساس دفاع مرتبط بقضية الديمقراطية ، لكنه ليس دفاعا عن العضوية ، او خط التنظيم

---

(١) على لسان نجاني عبد المجيد .

السياسى . اما بالنسبة لماجد عمر ، فقد كانت لديه مضبوطات كثيرة ، وكان من رايه ضرورة تقديم دفاع سياسى ، على أساس اننا نحاكم امام مجلس عسكرى ، والأحكام فى القضية معدة وجاهزة . كان الفريق هلال عبد الله هلال ، من اقرباء ماجد عمر ، وعندما دخلت والدته المحكمة اصيبت بالاغماء . ولقد قيل لماجد عمر ، لا داعى للدفاع السياسى ، لأن ذلك سوف يزيد الطين بلة ، ويضع هلال عبد الله هلال فى وضع حرج ، وربما يمنعه من القدرة على التصرف . اما بالنسبة لى ، فقد اعلنت اننى سأقدم دفاعا سياسيا ، عن قضية الطبقة العاملة ، باعتبار انى واحد من ابنائها . وهذا الدفاع يختص بالقضية النقابية ، ولكن ، لا اعترف بعضوية التنظيم . اعددت دفاعى ، على أساس الحرية النقابية ، وحق تكوين اتحاد العمال . كانت هنالك لجنة تحضيرية لهذا الاتحاد ، ثم ضربت . كان الدفاع فى اطار العمل النقابى . كان ترتيبى الثالث ، فى قرار الاتهام ، بعد فوزى جرجس ومحمود الماسترلى . قبل أن أبدأ دفاعى طلبت ان اسجل كلمة عن حياة المعتقلين الشيوعيين فى اوردى ليمنان أبو زعبل ، خلال اربع وعشرين ساعة . سألنى هلال عبد الله هلال ، ان كنت اواجه الآن أى شىء ؟ قلت : الآن لا ، لكن العبرة أن تلك اشياء قد وقعت ويمكن أن تتكرر . ولقد كان من نتائج هذه السياسة الفاشية ، والتي لا تعتمد على أى أساس ، غير الأساس الفاشى المعادى للإنسانية ، اننا قد ضحينا بخيرة من أبناء الشعب المصرى مثل فريد حداد وشهدى عطية ، والذي كان لكل منهما مجاله وقدراته التى يحتاج الشعب اليها اشد الحاجة . لذا ارجو السماح لى بتسجيل هذا الموضوع . سألنى هلال عبد الله هلال ، ان كنت مصرا على ذلك ؟ قلت : بالطبع انا مصر على ذلك . فلقد كنت واحدا ممن عاشوا هناك ، وعانوا من كل ما جرى . وانا الآن أول من يخرج من اوردى أبو زعبل ، وخلفى ، هناك ، زملاى المعتقلين الذين لم يجرى معهم أى تحقيق ، ولم توجه ضدهم اية تهمة ، ولم يصدر بشأنهم أى قرار . انهم مجردون من الملابس الملكية ، لا تطبق عليهم لائحة السجون التى تطبق على القاتل والسارق ، بينما هم معتقلون سياسيون ، تحكمهم معاهدة حقوق الانسان ، والتي تعطى للمعتقل السياسى حقوقا ، جردنا منها جميعا . لقد كنا نقوم بكسر البازلت دون محاكمة ، ودون ان تصدر ضدنا اية احكام بذلك . ان تلك المسألة لم تمارس الا فى ظل النازية . سألنى : عن الحكمة من هذا التسجيل ؟ قلت ، انه واقع يلزم تسجيله . هؤلاء الرجال يعذبون الآن . اليسوا على أرض مصر ؟ انهم ما زالوا كما تركتهم . ما زالوا يخرجون فى الثامنة صباحا الى بطن الجبل ، ليعمل البعض منهم فى تفجيرهم ، والبعض فى كسر الكتل الكبيرة والبعض فى كسر

البازلت الى قطع صغيرة ، بمقطوعية ثلاثة مقاطف في اليوم واحد . انها الاشغال الشاقة التي تمارس في مصر ، رغم توقيعها على اتفاقية حقوق الانسان عام ١٩٦٠ ، الا انها لا تلتزم بها ولا تطبقها . ولهذا ، كنه . فاندني اصر على تسجيل اربع وعشرين ساعة في حياة المعتقلين الشيوعيين المصريين في اوردى ليمن ابو زعبل . كان من المحامين المترافعين في القضية الاستاذ زهير جرانه وكذلك الاستاذ محمد عزمى ، النائب العام السابق ، ووالد زميلنا ، في القضية ، محمود عزمى . فوقفا وتضامنا معى قائلين ، أن هذا حق طبيعى لى ، وأن صدر سيادة. الفريق سوف يتسع لما اقول حيث ان ذلك واقع حقيقى ، وأن هؤلاء الرجال قد اتمهنت كرامتهم ، ولا بد من تسجيل هذا . وبالفعل بدأت التسجيل . وبدأت بمسألة « لف للتفتيش » ، وقمت بتمثيل طبيعى لاجرائها ، كان هلال ، يوجهه التركى الأحمر ، ينظر مشدوها ، ويسألنى ، هل حدث هذا حقاً يا نجاتى ؟ فقلت له ، ان سيادتك لم تر غير التمثيل ، فما بالنا بالحقيقة . ثم اكملت عرض لما يجرى . فكان يسألنى ، ما هى مشية الاوزة ؟ وما هى حركة ثيادية ؟ فواضحت له أن الأولى تعنى المثنى وأنت جالس القرفصاء ، أما الثانية فتعنى النوم على الظهر وفتح الساقان وضهما الى أعلى . ثم تناولت مقتل فريد حداد وشهدى عطية . وكان الذين فى قاعة المحكمة يبكون حيناً ويضحكون سخرية حيناً آخر .

كانت المضبوطات التى احاكم عليها ثلاث مقالات معدة للنشر فى المجلة النقابية « صوت العامل » . وقد عثروا عليها عند تفتيش المنزل فى بداية الحملة فى ٢٨ مارس ١٩٥٩ . وهى مقالات عنيفة وعليها توقيعى . كذلك كان هنالك تقرير المباحث العامة والذى يقول انى احمل اسمين ، واحد للجنة المركزية ، وآخر لى هو دون اللجنة المركزية . ( كان معنا فى اللجنة المركزية حمدى حمدان ، ولم يقدم للمحاكمة . وقد ثبت ، فيما بعد ، انه عميل ! للاجهزة الامنية ) . كانت المقالة الأولى عن حقيقة الموقف العالمى فى الجمهورية الرابعة لحكم ديوجول ، والفاشية التى تطل برأسها من جديد . والمقالة الثانية عن « قمر السلام » ، بمناسبة اطلاق الاتحاد السوفيتى أول قمر صناعى . وقد لفتت هذه المسألة نظر هلال عبد الله هلال ، حيث كنت العامل الوحيد فى القضية ، فقال ، « انا افهم ، ان تتكلم عن مشاكل الطبقة العاملة ، لكن ما الذى يدعوك للكلام عن الاتحاد السوفيتى ؟ » . قلت ، « ان الطبقة العاملة المصرية ليست بمعزل عن حركة الطبقة العاملة العالمية . وان ما يحدث هناك ، يؤثر فىنا هنا . حيث لا نوجد حواجز تحجب هذا التأثير . سألنى ، « هل تحب الاتحاد السوفيتى ؟ » ، قلت ، « بالطبع » ، اذ لولا النظام السوفيتى ما استطاع



العلماء هنالك من اخضاع الطبيعة للانسان . قال ، « هكذا انن ؟ » ، قلت ، « بالطبع » . قال ، « ومن أجل ذلك ، أنت اشتراكي ؟ » ، قلت ، « بالطبع ، الاشتراكية ، هي الحل الوحيد لى كعامل » . وهنا علق الدكتور زهير جرانه والاستاذ محمود عزمى بقولهما ، « اننا لأول مرة نرى عاملا بسيطا ، غير مؤهل دراسيا ، وله فهمه للذى نحياه عليه ، اذا استطاع ان يقول شيئا ، كان المفروض ان نقوله نحن . اننا نحياه ونضم صوتنا الى صوته » .

« انتهت جلسات الاسكندرية ، وتم ترحيل القضية الى سجن القناطر فى انتظار الأحكام بعد التصديق عليها . انتظرنا هنالك حوالى شهرين . وكان زملاء « حدثو » ، موجودين معنا فى سجن القناطر - رجال .

« فوجئنا فى أحد الايام ، باغلاق الزنازين . وعرفنا ان نائب الأحكام . كان ينادى على كل واحد منا ، على حدة ، فيخرج ويسمع الحكم الصادر ضده ، ثم يعود مرة أخرى الى العنبر ، ويعطى فى زنزانته ، انا فلان الفلاتى ، افراج ، أو خمس سنوات . وكانت الأحكام كالتالى : فوزى جرجس براءة . محمود المانسترلى سبع أو خمس سنوات ، ثم تخفيضها الى ثلاث سنوات ، مع وقف التنفيذ ، اذ تمت اتصالات علوية ، باعتبار أنه من أبناء حركة يوليو ، ومن رجال الصف الثانى ، مثل كمال رفعت . قامت عائلته بهذه الاتصالات ، ويقال ان كمال رفعت وخالد محى الدين لعبا دورا فيها . المهم أنه كان فى حكم المفرج عنه ، ولم يرسل معنا الى الواحات . حكم على بسبع سنوات اشغال شاقة ، وشعبان حافظ ، خمس سنوات ، ولم يكن لديه غير نبذة تاريخية . حصى تمام ، عشر سنوات . محسن الخياط ، افراج . وكان حاصلا على الميدالية الذهبية من المجلس الأعلى للفنون ، وقد ركز محاميه الاستاذ جورجو اثناء الدفاع على هذه النقطة ، كما لم تكن لديه مضبوطات . مهدى الحسينى ، خمس سنوات ، وقد أخذ فى المحكمة موقفا سياسيا ، وتحدث بافضل ممن يكبرونه ، محمود عزمى ، عشر سنوات ، وكان ذلك تأديبا لوالده محمود عزمى النائب السابق ، والذى تصدى لضابط المباحث العامة عندما اقتحم منزله ، وسبه وسب عبد الناصر ، وقال لهؤلاء المقتحمين ، هل فقدت مصر مثقفيا ، حتى يحكمها مجموعة من العسكر . وكان الاستاذ محمود عزمى ، هو الذى لعب دورا هاما فى تفجير قضية الاساحة الفاسدة ايام الملك فاروق . كان رجلا وطنيا ليبراليا ، فارادوا تأديبه فى ابنه . وحكم على ماجد عمر بعشر سنوات . وحكم على كل من ابراهيم فتحى وعلى الشوباشى بعشر سنوات . وأحمد المحامى بالبراءة .

« ثم رحلنا بعد ذلك الى الواحات » .



## منفى المحاكمات والموقف منها :

ان المحاكمات التي اجريت للشيوخيين تحتاج الى دراسة خاصة متكاملة . ان ما تناولناه هنا ، والذي اشتمل على المثات ، لا يخرج عن كونه ، عينات من القضايا التي شكلت ولققت ، وصورية المحاكمات قضية واضحة . فالدولة ذاتها لم تلتزم بأحكامها ، حتى أحكام المجالس العسكرية التي شكلتها هي بمعرفتھا . كان المحكوم عليه بالبراءة يواجه نفس مصير ، المحكوم عليه بسنين عشر . كلاهما ذاهب ، بعد صدور الأحكام ، الى منفى الحاريق بالوحدات . من سقط في قبضة النظام ، فلا مخرج له الا بقرار سياسى من النظام . فان كانت المحاكمات على هذا النحو الصورى ، فلماذا اذن انعقدت ؟ قد يبدو أن سبب انعقادها ، هو أن تبدو الدولة عادلة . الا اننى اعتقد أن قضية العدالة ، لم ترد على ذهنها أصلا ، والا فانها ما كانت تقدم ، على ما اقدمت عليه ، من بشاعات التعذيب ، حتى القتل ، لمن لم تكن تملك ضدهم اية ادانة . العدالة أصلا تقتضى حكما محايدا . تقتضى ما اصطلح على تسميته في كل بلدان العالم المتحضرة بالقاضى العادى او الطبيعى . اما عسكرة القضاء ، أى أن يصبح العسكر قضاة في غير مجالهم العسكرى وخاصة للمدنيين السياسيين ، فليس من العدالة في شيء . ولا ينبىء ، على الاطلاق ، بان فكرة العدالة ، قد هومت ، ولو مرتجلة ، حول مفاهيم الحزب الحاكم وحملته الرهيبة ضد الشيوعية .

اننى اعتقد أن المحاكمات ، كانت جزءا من الحملة الارهابية . كانت بمثابة اعلان للجميع ، بانه لا مكان ، لمن تراهم الدولة عصاة عليها « مؤيدين ومعارضين » الا زنازين السجن والمقعى . كانت المحاكمات بيانا للكافة ، أن يكتفوا عن التفكير ، أن يلغوا ارادتهم ، وأن يتركوا تلك المهام « الثقيلة » ، للقائد ، وحده ، وأن يضعوا على أفواههم ، بأيديهم ، اقفا لا من حديد ، والا ، فالماوى خلف قضبان ، والماوى خلف الشمس الى امد مجهول .

الا ان هذه الرؤية ، عالية ، لم تكن واضحة لكل الشيوعيين بنفس القدر . بل كان البعض منهم ، يرى فيها ، « يسارية بعيدة عن الواقع » ، احادية الجانب ، منطلقها العداء للنظام . ومن هنا افترقت صحة التحليل والاستخلاص . كانت الرؤية عالية ، أقرب الى رؤية غالبية الاعضاء والرؤية الرسمية للحزب الشيوعى المصرى ، والذي كان يرى ، ان النظام القائم نظام وطنى ، يتخذ اجراءات سياسية واقتصادية واجتماعية متقدمة ، الا انه نظام معاد للديمقراطية والشيوعية ، وأن عداءه هذا ، لن

يقود الا الى تقوية القوى اليمينية والرجعية ، مهددا كل المكاسب التي حصل الشعب عليها بنضاله اجيالا سابقة على عام ١٩٥٢ ؛ وان ما يجرى الآن ، انما هو محاولة جادة من النظام لتصفية الحزب الشيوعى المصرى والاجهاز عليه . ومن هنا انعكس فهمه هذا ؛ على موقفه امام المحاكم ، دفاعا عن حق الحزب الشيوعى فى الوجود ، بل حق كل القوى الوطنية فى تشكيل احزابها ، التي تكون فيما بينها الجبهة الوطنية للديمقراطية . ومن هنا حول الحزب ايضا ، محاكمات اعضائه ، الى ساحات اعلان تجهير بوجوده ، وتجسد هذا الوجود ؛ عضوية وتاريخا ومواقفا . كان الحزب فى ذلك الوقت ، هو القوة الوحيدة ، دون منازع ، التي تصدت للنظام ، رغم ناييدها العام له ، للدفاع عن الشعب وحقوقه . وكانت على استعداد لتحمل نتائج هذا التصدى . ومن هنا ايضا ، كانت دفاعات الاعضاء السياسية انما هي بمثابة رسائل موجهة من الحزب الى الشعب .

اما الحزب الشيوعى المصرى « حدثو » او جماعة « حدثو » ، فهي التي كانت ترى يسارية هذا الموقف . كانت ترى فى النظام مجبوءة اشتراكية ، تقترب من الماركسية ، وأن المحاكمات والتعذيب والقتل ، انما هي اخطاء ؛ لابد وأن تصحح ، ونعود المياه الى مجاريها . وأن تصويب هذه الاخطاء ، يقتضى ، اعلان « حدثو » فى كل مكان وخاصة امام المحاكم ، ابراز خط التأييد المطلق للنظام والتحالف معه . كذا ابراز خط التمايز عن الحزب الشيوعى المصرى . وبناء على ذلك كان الموقف امام المحاكم هو عدم الاعتراف بالعضوية . فذلك بالتأكيد « استنفزاز وتحد للضيف لا مبرر له » . حيث يكون ذلك جهرا ، بها لا « يرضى الحليف عنه ، او بقبل به » . ثم عرض لما قام به الشيوعيين « اى جانب حدثو » من اعمال تبرز دورهم فى مجال العمل الوطنى والسياسى والثقافى والاجتماعى ، بما يتبارهم القوة القاهرة على « تمثيل » اليسار ، فى الحلف مع النظام . اى يمكن القول ان دفاعاتهم السياسية فى مجملها ، كانت دفاعات فى اتجاه تأكيد التأييد سديلا للتحالف ، ووسيلة لفض « سوء التفاهم » القائم ، اى انها كانت ، فى الأساس ، رسائل موجهة الى النظام .

اما منظمتى الطليعة الشيوعية ووحدة الشيوعيين ، وقد كانتا سياسيا على يسار الحزب الشيوعى المصرى ، الا اننا عند التعقيب على محاكمتهم كما جاءت على لسان الرفيق نجاتى عبد المجيد ، فاننا نجد انفسنا فى الحقيقة امام عقلية اقرب ما تكون للعقلية للقانونية فى العمل السياسى .



اذ عند الاعداد للقضية يطرح تساؤل ، « هل هذه المرحلة هي مرحلة الدفاعات السياسية ؟ » وهذا التساؤل نفسه يؤثر تساؤلا آخر ، « منذ متى كانت الدفاعات السياسية ، تشكل مرحلة من مراحل النضال ، تقتضى توافر شروط خاصة ؟ » . منذ متى كان الدفاع عن المبدأ ، ونحن الذين نطالب بحرية التعبير ، فى كل زمان وأى مكان ، يقتضى شروطا خاصة ؟ . أمامنا اتجاه واضح للدولة ، لاستئصال الحركة الشيوعية ، والأجهزة على أى بصيص من حريات سياسية عامة ، وبعض قادة هذه القضية يتسألون ؛ ان كانت تلك مرحلة الدفاعات السياسية أم لا . والسؤال الذى ، لابد وأن ينور ، أيضا ، ان لم تكن تلك المرحلة « النضالية » هي الآن ؟ فمتى هي اذن ؟ وتنتهى المناقشات الى استبعاد : الدفاع عن عضوية التنظيم ، استبعاد الدفاع عن الخط السياسى والتنظيم . ومعنى ذلك بالتحديد ، استبعاد أى دفاع يقوم على أساس شيوعى من قريب أو بعيد . « لقد قام هذا الموقف على أساس دراسة ظروف كل منا على حدة » . وهذا يعنى بالتحديد ، دراسة الموقف القانونى ، لكل على حدة . هل معه مضبوطات ؟ وما مدى خطورة هذه المضبوطات من الناحية القانونية ؟ وهنا افتقدت القضية ، فى اطار الاستبعادات السابقة ، وحتتها السياسية ، أى انها لم تعد قضية سياسية . أصبحت قضية مضبوطات ، مخالفة للقانون . فقط ، هذه المضبوطات سياسية النوع . وعلى حامل كل مضبوط أن يتحمل « وزر » ما حمل . ومن هنا ، وفى اطار هذه العقاية القانونية ، يصبح على كل رفيق منهم ، أن يواجه المحكمة ، أى ان تكون رسالته موجهة الى المحكمة بحثا عن عدالتها ، فى اطار القانون ، أو ربما ، اطار القراية أيضا ، وما لها من حق الشفاعة .

ورغم هذا الاتجاه العام ، ظهرت اجابة عن التساؤل الاساسى المطروح تقول بأن ، « هذه الدفاعات امام المحكمة يمكن للقوى السياسية المنظمة خارج السجن أن تستخدمها ، بنشرها بين صفوف الطبقة العاملة » . ومع ذلك ، « لم تكن هنالك دفاعات بالمعنى السياسى الواضح » . والنتيجة هي اختزال أى دفاع سياسى ، الى مجرد دفاع نقابى أو سياسى عام ، أى فى الاطار القانونى أيضا .

ان هذه القضية كانت تخاطب المحكمة فى الأساس . وان كانت قد تخللتها بعض الدفاعات ، التى كان يمكن أن تكون جيدة ، لو كانت فى اطار سياسى عام ، يكمل بعضه بعضا . وهى أن عبرت عن شىء ، فانها كانت تعبر عن محاولات فردية ، املتها علاقات جماهيرية والتزامات طبقية ، لم يكن لأصحابها الا أن يعلنوها ، بصورة ما ، أمام المحكمة ، كموقف نضالى .

\*\*\*



وتأتى أحكام المجالس العسكرية ، بأحكام قصل الى عشر سنين ،  
لن اعترف بالعضوية التنظيمية أم لم يعترف . لن قدم دفاعا سياسيا  
شيوعيا ، أو لم يقدم . لن علاصوته ولن همس . لتؤكد أن المحاكمات ،  
كانت في الأساس ، محاكمات سياسية . تدعى الفكر وتدين الارادة  
المستقلة . هي محاكمات تتم في الأساس ، بناء على تقارير رجال  
الأمن ، وليس على ما تم ضبطه من أوراق . بل هي محاكمات ، تصح  
فيها قوله اسماعيل المهدوى عند نظر قضيته ، « أحكام معدة مسلفا » .  
قبل أن تبدأ المحاكمة .

وتأتى الخطوة التالية للمحاكمات ، لتؤكد صحة هذا للفهم  
السياسى . فالذين برأوا ، كالذين ادعوا ، كلاهما فى قيد من حديد الى  
منفى المحاريق . أى حتى أحكام البراءة ، والتي لا بد من وجود بعضها  
فى كل قضية ، اظهارا « للعدالة » ، نسفت نفسها بعد اعلان الأحكام  
والتصديق عليها . والغريب فى الأمر ، أن الذى يصدق على الأحكام ،  
ومنها أحكام البراءة ، هو نفسه الذى يوقع أمر اعتقال من براه المجلس  
العسكرى ، الأمر هو بتشكيله ، أيضا . أى أنه يشكل هيئة المحاكمة ،  
ثم يصدق على أحكامها ، ثم ينفى هذا التصديق . وكأن لم تكن هنالك  
محاكمة . الا يعنى ذلك ، أنه لم تكن هنالك جدية ، على الاطلاق ، فى  
البحث عن الحقيقة ، حتى فى إطارها للقانونى الضيق . إطار « أنت  
مذنب أم غير مذنب » ، والذي تبدأ به المجالس العسكرية أعمالها ، كمسؤال  
تقليدى !!

المؤيد للنظام بنسبة مائة فى المائة ، والمؤيد بنسبة سبعين فى  
المائة ومعارض بالثلاثين الباقية ، المؤيدون والمعارضون ، انصبت عليهم  
جميعا أحكاما بلغت مئات السنين . وحمل الجميع نفس القطار الذى يخترق  
الصحراء الغربية ، الى نفس المنفى ، فى صحراء الواحات الخارجة . أى  
أن النظام لم يكن يشغله موقف التأييد أو المعارضة ، فى ذاته ، وإنما كان  
يشغله أن هذا الموقف أو ذاك ، يصدر عن تنظيمات قامت على ارادة  
أعضائها . وهى أن ايدت فتلك قناعتها ، وأن عارضت فتلك قناعتها  
أيضا . أى أن كل هؤلاء الذين حوكموا ، كانوا رموزا لقوى ، ارتكبت  
جميعها ، خطيئة الارادة المستقلة ، بعيدا عن ساقية النظام واطره . أنهم  
جميعا قد خرجوا من قانونها « الخاص » ، قانون الفرد المطلق بالارادة ،  
وليس أى قانون آخر .

وهذا يؤكد تماما صحة موقف الحزب الشيوعى المصرى ، ووضوح  
رؤيته لطبيعة الصراع الذى دار فى تلك المرحلة .



وكان سجن المحاريق ، أو منفى الواحات ، هو المثلوى الذى بدأت  
تجمع فيه الدولة كل. للشبوعيين ، مؤيديين ومعارضين ، محكوم عليهم  
بعشرات السنين ، أو برأتهم. المحاكم المدنية والعسكرية . من دخل باب  
القييد فلن يخرج حيا ، أما أن تأكله الرمال أو تأكله محرقة الضمير أو مذبحة  
الارادة . باب المنفى مفتوح ، وتذكرة العبور ورقة . ورقة استنكار  
لازهي ما فى الانسان ، أن يكون له معتقد وايمان . اركع ، اخضع ، ذلك  
كان شعار النظام . وبدأت مرحلة جديدة هي المرحلة الثالثة من خطة  
التصفية ، مرحلة الحصاد . حصاد ما زرعه الشوم والكرابيج فى ابر زعبل  
والمحاريق . وكان رد رجال المنفى المناضلين : حقا مزقت الاجساد ،  
لكن أبدا لن تمزق الارادة .

( ب ) سجن القناطر - نساء

انتصار خطاب

انجي افلاطون

ايفون حبشي

ثريا ادهم

ثريا شاكر

فاطمة زكي

ليلي الشمال





# الفصل الأول

## الحملة

الموقف من المرأة في أى مجتمع ، وفي أى عصر ، إنما هو معيار للمقدّر الحضارى الذى بلغه ذلك المجتمع ، فى ذلك العصر . فالموقف من المرأة هو موقف من نصف المجتمع ، موقف من الأم ، من الاخت ، من الزوجة والابنة . فان حدث موقف هجى من المرأة ، فأنما هو يعكس موقفا هجيا من الصق مكونات الأسرة ، موقفا هجيا من المجتمع كله .

كان للمرأة حرمتها ومكانتها الخاصة ، حتى فى احلك الظروف التى مرت بها مصر ، الى أن جاء الحزب العسكرى الى السلطة ، فأصبح اقتحامه للمنازل فى هجمات الليل والفجر ، كالهجمات العسكرية البربرية ، التى يستباح فيها الغزاة بعضا مما ليس مباحا . استباح اقتحام الخدور وجر النساء الى المجهول فى قلب الليل البهيم . استباح سحب المريضة والحامل والمرضع ، الى حيث لا علاج ولا رعاية . استباح تمزيق الأسرة وتشتيتها . استباح القاء الابناء الاطفال على قارعة الطريق . استباح ما لم يجرؤ الاستعمار على استباحته لنفسه ، زمن أن كان الحكم للعدو الأجنبى ، وليس للوطنى المصرى .

فى فجر ٢٨ مارس ١٩٥٩ ، بدأت الهجمة « المضرية » على المرأة المصرية ، ممثلة فى رموزها المناضلة من أجل حقوقها وحقوق الشعب المصرى فى الديمقراطية والعدالة الاجتماعية . فى ذلك للفجر الذى جلله للسواد ، انقضت جحافل المباحث العامة على « العدو » ، « تأمينا لمسيرة الثورة وحماية لها » .

ولنعد الى الوراء قليلا الى عام ١٩٥٨ ، حيث كانت الحركة النسائية فى مضر تمارس نشاطا توحيدا تاريخيا . كانت الخطى حثيثة من أجل تكوين جمعية اطلق عليها « الاتحاد النسائى القومى » ، تضم كل الجمعيات النسائية فى مصر ، وكل نشاط نسائى له وزنه فى مجال العمال الجماهيرى . لم يكن هذا الاتحاد يضم النساء التقدميات فقط ، بل كان يضم أيضا سيدات ليبراليات ، لهن دورهن المؤثر فى الحركة النسائية .

كان قد تم عقد الجمعية التأسيسية لهذا الاتحاد ، والتى ضمت من الرفيقات ، انجى افلاطون ، فاطمة زكى وعنايات ادهم . وجرى انتخاب مجلس ادارة ، واختيرت السيدة سيزا نبراوى رئيسة لهذا الاتحاد ، كما

انتخبت السيدة انجي افلاطون ، وهي المعروفة بشيوعيتها ، بالاجماع  
عضوا في مجلس الادارة ، الذى انتخبت فيه ايضا ، السيدة نفيسة  
الغراوى ، والسيدة حكمت أبو زيد وعدد من السيدات من الجمعيات  
الأخرى .

وتم تسجيل الاتحاد في وزارة الشؤون الاجتماعية ، الا انه لم  
يمض اسبوعان حتى جاء خطاب من وزارة الداخلية يعلن ان هذه الجمعية  
ممنوعة من مزاوله نشاطها ، لأسباب أمنية .

تقول انجي افلاطون ، « بعد حملة بناير ، كنت اتوقع سياسيا  
حملات أخرى ، فقررت في اوائل مارس ١٩٥٩ ، ان اقوم بعمل معرض  
هنى . كنت احس ان هذا المعرض هو آخر معرض فنى لى ، لفترة  
قادمة . وألقى عبد الناصر ، اثناء المعرض ، خطابا هاجم فيه الشيوعيين  
بصورة عنيفة ، واحسست ان هنالك حملة جديدة قادمة . وانهم في هذه  
المرّة لن يخلّوا عن اعتقال السيدات ، وان ذلك سوف يكون أول اعتقال  
للمرأة في مصر . كان هذا التوقع قائما على اساس نشاط الحركة  
النسائية ، واتجاهها الى توحيد صفوفها في اتحاد نسائي قومي ، ودورنا  
في هذه الحركة ، كذا دورنا في الحركة الشيوعية . وللحال جمعت لوحاتي  
من المعرض . وكانت هنالك مسابقة فنية تجريها وزارة الثقافة والاعلام  
في متحف الفن الحديث ، فاشتركت فيها بلوحتين . واعدت باقى اللوحات  
الى منزلى ، حيث كنت قد قررت الهرب . لم ارد ازعاج والدتى ، فاخبرت  
اختي زوجة الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله ، وكان قد قبض عليه في  
حملة بناير ، بأنه من المستحسن ان اترك المنزل فترة . من الوقت حتى  
تتضح الامور . لم يكن اختفاء كاملا ؛ كنت اتردد على المنزل اثناء النهار ،  
وابيت خارجه في الليل عند بعض الاصدقاء . واتفقت مع اختي على جملة  
معينة تخبرنى بها تليفونيا هي أو امينة رشيد ، وكانت حينئذ ، صغيرة ،  
وتعرف اين انام ، فاكف عن التردد على المنزل واختفى اختفاء كاملا .

في فجر ٢٨ مارس ١٩٥٩ ، هاجموا المنزل . عندما لم يجدونى قاهوا  
بقطع التليفون ، الا ان والدتى اسرعت وخبأت احدى الوصلات الداخلية ،  
ومنعتهم بعنف من تفتيش حجرتها . سألوا عنى فقيل لهم ان احدا لا يعرف  
مكانى ، فانا فنانة ، اذهب الى أماكن كثيرة ومختلفة ، حتى ارسم .  
وبالفعل ذهبوا للبحث عنى في بلدتنا ، في نواحي كفر شكر ، في حين ظلوا  
محاصرين للمنزل في القاهرة ، ثمان واربعين ساعة .

بعد ان انهوا التفتيش وغادروا ، حاولت اختي الاتصال بى ،  
الا ان التليفون عند الاصدقاء الذين كنت ابيت لديهم كان معطلا . اتصلت

اختى بامينة رشيد التى توجهت على الفور الى مخبأى . كنت اوشك على مغادرة المنزل ، حينما جاءت . عندما رأتنى قالت على الفور تلك الجملة التى كان عليها ان تقولها بالتليفون ، فدهشت . كانت للتجربة جديدة عليها . قلت لها تقصدين ان منزلى قد هوجم ، فاجابت بالايجاب . وكان على ان اغادر هذا المنزل فورا وأن اختفى اختفاء كاملا « (١) » .

وتقول انتصار خطاب ، « عندما مساء ٢٧ مارس بعد أن افطرننا رمضان خارج المنزل ، انا وزوجى والاولاد . فى الساعة الثالثة ، فجر ٢٨ مارس ، جاء زوار الفجر . كانت زيارة سيئة للغاية ، قلبوا كل شئ . جمعوا كل الكتب . كان الضابط يقول ، خذوا كل ما فيه « لوف » أى كل كتاب مترجم عن الروسية . قال له زوجى صلاح خطاب ، هذه روايات ادبية ، فكان يجيبه ، حسنا سوف اقرأها انا . حاولوا أخذ البطاطين حتى يلفوا الكتب فيها . سرقوا اشياء كثيرة : لعب الاولاد ، اقلام باركر ، الكاميرا بالحامل والفلأش ، كل ما وصلت اليه ايديهم سرقوه . استمر التفتيش والنهب حتى الخامسة صباحا . حاولت زوجى أن يأخذ كلا منا حقيبة بها ملابسها . رفضوا . قالوا ان المسألة كلها لن تستغرق دقيقتين . ارندى ولدى عمر ( ١٤ سنة ) وهشام ( ١٠ سنوات ) اريدان المدرسة . عندما حاولوا أخذنا تشطى هشام فى رقيبى . أخذ الضابط فى جذبنا . امسك بى عمر ايضا ، والضابط يشدهما بعيدا عنى . قلت للضابط ، ارجوك ، دعنا نأخذ الولدين معنا . نسقطهم أمام منزل جدنهم . انه قريب من هنا ، ثلاثمائة متر او اربعمائة على الأكثر . رفض واصر على الرفض . قال لى عمر ، « أمى لا تخافى علينا ، لدينا فى الثلاثة قطاسا ولحما وبيضاً . وانا قادر على سلق اللحم والبيض . اذهبى وابى ولا تخافى علينا » . قلت لهما « اغلقا الباب وراءنا ، واذهبنا الى منزل جدنكما . ونزلنا أنا وصلاح » ، وكان الوقت ظلاما .

ووقف عمر وهشام يرقبان السيارة وهى تحمل والديهما الى المجهول . امسك عمر الدموع فى عينيه ، وهشام ينتفض ممسكا بأخيه . الى أين أخذ الوالدان ؟ لا احد يدرى ؟

وتكمل انتصار خطاب ، « اخفونى وزوجى فى سيارة مرسيدس ، الى منزل حامد الازهرى . كان واضحا انهم لا يدرون الى أين سيأخذون السيدات . ذهبنا الى المباحث العامة . وجدت هناك واحدا من كتبنا التى استولوا عليها ، وعلى غلافه محضر اجتماع احمد الاجتماعات الحزبية . امسكت به وشطبت ما هو مخطوط عليه ، انزعوا الكتاب

(١) لقاء شخصى معها فى نوفمبر - ديسمبر ١٩٨٧ .

منى • بعد ربع ساعة من وصولي الى مبنى المباحث العامة ، اصابني نزيف رحى • احتار فيه طبيب السجن فيما بعد • كنت اعالج منه باعتباره سرطانا • الا انه اتضح فيما بعد ، انه كان بسبب حالتي النفسية •

عند الظهر تقريبا ، استدعوا صلاح زوجي واخضوه الى معتقل القلعة • وفي الساعة الثالثة او الرابعة ، استدعوني لركب البوكس • رفضت ان اتشعلق فيه من الخلف ، وان كنت قد تأذيت فيما بعد عندما عرفت ان الصحفيين فتحى خليل وعبد الستار طويلة كانا هنالك فى البوكس من الخلف • اخذونا جميعا الى سجن القلعة ، على اساس انى ساسجن هنالك • صرخ قائد المعتقل ، ما تلك البلاوى • اين اضعها ؟ كان يقصدنى بذلك ، جرت اتصالات تليفونية ، ارسلونى بعدها الى قسم الموسيقى • قدموا لى جراية الحجز فلم آكلها • وزعتها على الصبية الاحداث والسيدات الاخريات • فى تلك الاثناء وصلت احدى الزميلات ، كانت شديدة الغضب • صاحت فى وجهى ، انت هنا تضحكين وكأنه ليس لك ابناء • تلك كانت ثريا شاكر • قلت لها ، وانا اضحك ، تعالى ، تعالى ولا تحزنى • سالتنى ان كان هنالك غيرنا • قلت ، حتى الآن ، لا • ونحن جالسات ، استدعوا احد الاولاد الاحداث للاهراج • كان عمره لا يزيد عن تسع سنوات • سألته ، اين يسكن ؟ • قال ، فى شبرا • سألته ، ان كان فى الامكان اعطائه ورقة يوصلها الى منزلنا هناك ؟ اجاب بالايجاب • كتبت الورقة • قلت فيها اننى فى قسم الموسيقى ، واحتاج الى غطاء وطعام ، ان امكن • نحن بخير • صلاح ارسل الى القلعة • حاولت ان اعطى الصبى الحبت نقودا الا انه رفض رفضا باتا • قلت فى نفسى ، انه لن يفعل شيئا • الا انه ذهب بالفعل الى المنزل • دق الجرس • وما ان فتح الباب حتى ألقى بالورقة وجرى ، رافضا ان يأخذ منهم أى شىء (١) •

فرسان الظلام نهبوا كل ما طالت ايديهم • المدجون بكل سلاح وبكل سلطة الدولة القاهرة ، حققوا نصرا مؤزرا على مناضلة وزوجها • دفعوا بهما الى غياهب المجهول ، ولم يكن لهما من سلاح غير نور الحقيقة ، وارادة مصر فى أن تشق الطريق الذى تختار لحساب شعبها ، لا لحساب هؤلاء الذين انفردوا بالسلطات فيها • فرسان الظلام سرقوا ، من ضمن ما سرقوا ، ضياء الفجر ، سرقوا رعاية الأب وحنان الأم • الأب فى القلعة ، والأم تنزف ولا تحرى الى اين • عمر وهشام يمسك كل منهما بالآخر وحيدين ، فى مواجهة مستقبل داكن وايام تنضح بالعقم •

فى السابع والعشرين من مارس ، كانت السيدة ثريا شاكر ، زوجة المناضل فوزى حبشى ، تقيم حفل العيد الثامن لميلاد ابنها الأكبر •

---

(١) لقاء شخصى معها فى ٦/٦/١٩٨٠ •



ممدوح . انتهى الحفل وانصرف الاطفال اصديقاء بنيتها . لم يكن زوجها بالمنزل في تلك الليلة أو ما سبقها من ليال ، منذ بدأت حملة رأس العام الجديد . كان يأتي كل صباح ليطل على شرفة المنزل من بعيد ، فان وجد منشفة وجه معلقة ، اظهن الى أن المنزل لم يهاجم ، فينصرف الى عمله .

في تلك الليلة دق الباب في الواحدة والنصف بعد انصراف الصبية ، وتوجست ثريا شاكر شرا . تقول ، « فتحت الباب لارى امامى شخصا يسأل عن زوجى ، بآتباره صديقا له يحتاجه في أمر هام . قلت ان زوجى على سفر . قام بتسليمى رسالة تزعم ان عبد المنعم شتلة قد قبض عليه ، وهو الآن في قسم الشرطة ، وأن هذه الرسالة منه الى فوزى . عندما دق الباب للمرة الثانية في الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل ، تأكدت ان من جاء في المرة الأولى كان مباحثيا ، وانهم الآن بالباب . اسرعت امزق الورقة التى سلمها لى ، اتخلص منها ، اذ لابد انه اعطاها لى حتى تضبط معى ، كما اسرعت الى الشرفة ، ارفع منشفة الوجه ، فقد وقعت الواقعة ، وهاجم زوار الفجر المنزل .

عندما فتحت الباب ، اندفعوا يملأون المكان . سألنى الضابط ، ما اسمك ؟ قلت ، ثريا . قال ، وأبوك ؟ قلت ، شاكر . كانت معه ورقة مكتوب فيها ثريا فقط . فاضاف اسم ابى اليه . لم يكونوا يعرفون اسمى . بدأ التفتيش . فتحوا كل حقائبى . حاولوا دخول غرفة الاولاد لتفتيشها . كانوا ينامون مجهدين من الحفل . وكانوا بدون غطاء ، فاسرعت الى داخل الحجرة ، انشر الغطاء فوقهم . حاول المخبرون الدخول الا ان الضابط منعهم . كان ذلك موقفا انسانيا منه . قال ، تفضلى معنا . قلت ، لماذا ؟ قال ، نصف ساعة وتعودين ، فقط اسرعى قبل أن يستيقظ الاولاد . كانت ابنتى نجوى ، تبلغ من العمر ، حينذاك ، عاما واحدا . كانت ما تزال رضية .

اخفونى الى مبنى المباحث العامة . وصلت اثناء انتظارى هناك ، فتاة عاملة من شبرا الخيمة . كان اسمها سيدة ( كما عرفت فيما بعد ) . كانوا يعتدون عليها بالضرب والصفع . احضر الضابط أمر اعتقال . كتب فيه اسمى ووقع عليه . قلت له ، « هذا اعتقال ، وأنت أخبرتنى انى سأعود الى منزلى وابنائى بعد نصف ساعة » ، قال ، « معلش » . قلت ، « اعيدونى الى المنزل احضر ابنتى . » قال الضابط ، « انصحك ان تتركها حيث هى » . قلت ، « كيف ذلك » هى رضية وشقيقاها طملان . لابد أن

ارجع وأخذها . قال مرة أخرى ، انصحك ان تتركها . في الصباح مشوا  
مكتبي في الشركة ، وهناك اثاروا زوبعة عاتية . ارسلوني الى قسم  
الموسكى حيث قابلت في تلك الاثناء انتصار خطاب ، والصحفى فتحى  
عبد الفتاح ، (١) .

في الصباح استيقظ مهدوح وحسام ونجوى . جابوا المنزل ركننا  
ركنا بحثا عن امهم دون جدوى . صرخة « ماما » في الدار خرساء ،  
لا تجيب ولا صدى . أكبرهم في الثامنة وصغراهم رضيعة بلا أم  
ولا مرضعة . اين الأم ؟ اين ذهبت ولما اختفت ؟ والأب ايضا لن يعود ،  
فقد رغبت منشقة الشرفة ، وغدا مطلوباً مطاردا .

فرسان الفجر القاتم ، مدججون بأسلحة الاكذوبة والخديعة ،  
وحرمان الأم من أطفالها ، والأطفال من الأم ، « المغاوير » ، « الاشواوس » ،  
نفذوا قرارا بانهاء ارادة الانسان ، وعلو « هامة » السجان .

في فجر أول يناير عام ١٩٥٩ ، قبض على المناضل نبيل الهالى .  
واصبح على زوجته المناضلة فاطمة زكى ، أن تكمل المشوار . تقول  
فاطمة ، « عندما قبض على زوجى كنت مسئولة في منطقة الجيزة . وكنت  
احس ضرورة عمل نشاط حزبي وبناء أجهزة فنية ، فالحزب ما زال  
مستمرا في المعركة . تركت المنزل . بعد ثلاثة شهور احتجت الى بعض  
الملابس ، فوجهت اليه لأخذها . كان ذلك خطأ منى ، فالمنزل بالضرورة  
مراقب . بينما اخطرت عتبه ، رأيت البواب جالسا والى جواره احد  
الاشخاص . انتابنى احساس بانه احد رجال الشرطة . اسرعت الى  
الشقة . كانت معى اشياء يلزم التخلص منها . نجحت في ذلك . اغلقت  
الشقة واسرعت الى أعلى . رآنى البواب فلحق بى هو والشرطى . كان  
لصاحب العمارة شقة يستخدمها مكتبا . حاولت دخولها لاهرب من سلم  
الخدم . امسكا بى وانا افتح باب المطبخ الخفى . سألتها ان كانا يحملان  
أمر قبض أو تفتيش .

كاثت معركة عنيفة على سلم المنزل ، الا اننى لم استطع الهرب .  
اخذت الى قسم عابدين ، حيث جاء معى ضابط دون أمر تفتيش ، وقام  
بتفتيش الشقة . كنا قد تزوجنا منذ ستة شهور فقط . والشقة جميلة  
ونظيفة . اعجبت الضابط ففكر في الاستيلاء عليها . سألنى عن مفتاحها  
ليأخذها . قلت له انى سأسلمه الى اخوتى . عدنا الى قسم عابدين .  
وجدت هناك اجلال السحيمى مع الاولاد الاحداث . كان الحجز قفراً

---

(١) لقاء شخصى معها في ١٩٨٠/٨/٥

والاكلان نشسطا ، ودورة المياه مفتوحة بلا باب ولا حاجز ، والالفاظ  
النابية تتراعى هنا وهناك . حاولت بعض النساء من اللاتى كن فى  
التخشيبية فرش شىء من ملابسهن لنا ، الا اننا جلسنا القرفصاء دون اكل  
أو ماء حتى آخر النهار ، (١) .

وفى منزل ليلى الشال شفوا المراتب ، ومزقوا كل ما طالته ايديهم  
كانوا آية فى الاستقزاز . اخذوها الى قسم مصر القديمة ، حيث كان  
الفنان حسن فؤاد مقبوضا عليه . لم تكن لدى مأمور القسم اى فكرة ، أين  
ترسل المعتقلات ، فرحطوها مع حسن فؤاد الى سجن القلعة ، الا ان قائد  
السجن رفض ادخالها ، باعتبار أنه لا مكان للنساء فى سجنه ، فاعيدت  
الى المباحث العامة (٢) .

وفى أول يناير ايضا قبض على المناضل حلمى ياسين . وجاءت  
زوجته المناضلة ثريا ادهم من الاسكندرية تتقصى اخبار زوجها . تحاول  
ان تعرف ان كان ما يزال بسجن القلعة أم تم ترحيله الى الواحات  
الخارجية . لم تكن هنالك اى اخبار تطمئن الال عما آل اليه مصير من  
قبض عليه فى حملة رأس العام . وفى القاهرة اصببت ثريا ادهم بالتهاب  
رئوى . كانت ترقد مريضة فى منزل حمايتها بباب الخلق ، عندما حل فجر  
الثامن والعشرين من مارس . تقول ثريا ، « فى فجر هذا اليوم ، هاجمت  
المباحث العامة منزل باب الخلق بغرض القبض على صفوت ياسين شقيق  
زوجى . لم يكن صفوت موجودا حينذاك . كان هاربا . قاموا بتفتيش  
المنزل ، وعندما دخلوا الغرفة التى ارقد فيها ، رأنى ضابط المباحث فتعرف  
على . وللحال قال ، « انت هنا ، ونحن نبحث عنك فى منزلك بروض  
الفرج » . وللحال فرض على الحراسة حيث انا ، نظرا لسوء حالتى الصحية .  
اتصل بالمستولين لنقلنى الى المستشفى ، حيث ان حالتى لا تسمح بنقلنى  
الى المعتقل . وبالفعل ، ظلت بالمنزل طوال النهار تحت الحراسة ، معتقلة  
فى المنزل ، ممنوعة من الاتصال بأى احد .

اخبرونى ، قرب مدفع الانطار ، انى سأنقل الى المستشفى ، بعد  
الانطار . اصروا ، عند نقلى ، على ضرورة ترحبلى الى المعتقل ، فورا ،  
رغم ارتفاع درجة حرارتى . وبالفعل ، اخننى ضابط ، ومعه بعض رجال  
المباحث الى مقر المباحث العامة ، (٣) .

---

(١) لقاء شخصى معها فى ١٩٨٠/٩/٧

(٢) من شهادة ليلى الشال فى لقاء شخصى معها فى فبراير ١٩٨٩

(٣) لقاء شخصى معها فى ١٩٨٠/٩/٧

ولم نقف عمليات القبض عند حد المريضة التي تحتاج الى رعاية صحية واجبة ، بل لازم عمليات القبض وسبقها اعمال الضغط والارهاب والتنكيل .

كانت تعمل مدرسة في قرية الدلجمون ، التي تبعد حوالي ثلاثة كيلو مترات عن كفر الزيات . وكان جزءا من عملها الذهاب الى سجن طنطا لتدريس المسجونات اعمال الخياطة والاشغال ومحو الامية . وفي يناير ١٩٥٩ ، وبينما كانت تقوم بعملها قالت لها السجانة ، هنالك مخبران امام السجن يراقبانك . انا اعرف الشيوعيين ، فقد كنت في سجن مصر ، من قبل ، هم اناس طيبون ، الا انهم يعيشون داخل السجن حياة صعبة للغاية . ثم فتحت احدى الزنازين ، وقالت لها ، انظري ، هنا سوف تسجنين . كان المكان شديد الرطوبة ، سميك الجدران ، اشبه بالقبر .

فوجئت في منتصف يناير باستدعاء المباحث العامة في طنطا لها . كان رئيسها ، حينذاك ، انور منصور . قال لها ، ان هنالك اناسا هاربين ، ذكر اسماءهم ، ثم طالبها بالارشاد عن امكانهم . قالت ، انها لا تعرف ، واصر هو على انها تعرف . استدعى احد المخبرين ، وطلب منه احضار الكرباج . احضر المخبر كرباجا سودانيا قصيرا . اخذ الضابط يلوح به في الهواء . اصرت على انها لا تعرف ، فاحضروا مقصا وبدأوا في قص خصلات شعرها . الا ان انور منصور لم يصل منها الى ما يشتهي . فاستدعى والدها . وانهالوا عليه تائيبا وتقريبا ، كان ابنه ، شقيقها ، ضابطا من ضباط الشرطة . هددوا الاب بانهم سيكلفون ابنه بالقبض على هؤلاء الهاربين ، وتكون تلك مسئولية يحاسب عليها . انهال الاب على الابنة سبا وشتما . ظل هذا الوضع المساوي ، على الاب والابنة ، حتى نهاية اليوم . ثم تركوها تذهب الى منزلها .

تقول ايفون حبشى ، « قبل القبض على باسبوع ، توجهت ناظرة المدرسة ، وكانت من الاخوات المسلمات ، ومعها بعض المدرسات ، من ضعيفات النفوس ، الى قسم الشرطة في كفر الزيات . قالت للضابط ، لدينا في المدرسة ، مدرسة شيوعية . كان ذلك بتأثير حملة الصحافة ، وخاصة اخبار اليوم ، ايام عبد الكريم قاسم . قال الضابط لها ، انه ليس ضابطا بالمباحث العامة ، ولذا فان هذا الامر ليس من اختصاصه . ان هذه المدرسة زميلتهن ، وليس هنالك من يفعل فعلتهن على الاطلاق . انها شقيقة احد الضباط زملائه ، وانهم يعرفوننى ، وان كان هنالك ما يؤخذ على ، فلا بد ان تكون المباحث العامة على علم به ، فهم يعرفون ماذا اكل في منزلى . ان هذه المهمة ليست مهمة مربية تعمل ناظرة لمدرسة ، انها مهمة مخبر في المباحث العامة ، وعليها ان تريخ نفسها تماما من هذه المسألة .



« وفي فجر ٢٨ مارس ، الساعة الثالثة والنصف ، صاحجم أنور منصور بنفسه ، ومعه ضابطان وأربعة مخبرين منزلي . انقضوا مباشرة على حجرتي بعد أن سألوا عنى . قاموا بإجراء تفتيش دقيق . تصفحوا كل الكراسات والكتب . الحجرة مشتركة بينى وبين اختى الطالبة فى معهد الخدمة الاجتماعية . انزعجوا من مقررات المعهد . طلبوا منى ارتداء ملابسى على عجل . هددوا بانى ان لم اسرع فسوف يقتحمون الحجرة على . توجهنسا الى مبنى المباحث العامة . كانت الساعة قد بلغت الرابعة والنصف . كان هنالك زملاء فى الحجرة المجاورة . لم ارفعهم ، لكننى سمعت اصوات الضرب والصفع والكرابيج والسباب والشتائم . هنا فى هذا المكان قتلوا الشهيد محمد محمود عثمان . ارسلونى الى قسم طنطا . وهنالك وجدت طابورا طويلا من الرفاق وقد وضع الحديد فى ايديهم . وضعوا الحديد فى يدى . ثم وضعونا فى سيارة مكشوفة ، وقاموا بترحيلنا الى القاهرة . »



لم يكن مدفع الافطار قد انطلق ، عندما بدأت سياره « البوكس » فى جمع حصاد الحملة من اقسام الشرطة المختلفة . كانت الرفيقات اللواتى سبقن الى السيارة يستقبلن كل من تلحق بهن من كل قسم بالزيات والاناتيد . كنت فاطمة زكى واجلال السحيمى لهما سابق خبرة بالسجن . وبذا لم تكن العملية الجارية تنير فيهما خوفا أو رهبة . وقد لعبتا ، وخاصة فاطمة زكى ، دورا هاما فى كسر حدة الوضع وتسجيع كل الرفيقات اللواتى كن يمررن بالتجربة لأول مرة . وجدت سيارة « البوكس » المتجهة الى سجن القناطر - نساء ، وكانها سيارة رحلات ، تموج بالنكات والقنشات والضحكات والهتاف والانايد . وغمرت الدهشة جند الحراسة وضباط الترحيلة . انطلق مدفع الافطار وهن فى الطريق . وصلن السجن وقد حل الظلام .

الحالة ( ج ) ، حالة الطوارئ القصوى معلنة بالسجن . كل الغنابر مغلقة . المأمور فى انتظارهن فى مكتبه . والباشسجانة فى حالة تيبس عسكري فى الاستقبال . كانت ترتدى الملابس البيضاء والطرحة البيضاء ، مثل حاجة بيضاء الوجه مشرب بالحمرة . كانت قبضتها ، رغم هذا المنظر ، فولانية . ان وضعت يدها على واحدة من النزيلات . احست كأن كلابه حديدية قد امسكت بها . السجن فتح بابه الصغير ، كشدق بتلف على التهام القادمات الجديدات . عندما هبطت الرفيقات امامه ، كن مازلن يهتفن وينشحن . « فى ثورة على الطفأة والكادحون حولنا » ، « بلادى بلادى ، لك حبي وفؤادى » ، « اسلمى يا مصر » . كانت الادارة قد اعدت لهن استقبالا استقزازيا ، مشيعة حولهن جوا من

أربب والفرع ، حاولت السجنانة تنقيشهن تنقيشا ذائبا ، الا انهن قاومن ذلك . كانت هنالك احتكاكات وشقائم ، يا كفرة ، يا ملحدين ، . اخفوا منهن كل الاشياء حتى خواتم الزواج .

خصصوا لهن عنبرا ، كان ، كما تقول ليلي الشال ، عنبر الدعارة ، ثم سمى ، فيما بعد ، بعنبر الشسيوعية . هو مبنى يبلغ طوله عشرة أمتار ، وعرضه خمسة أمتار . كان به سبعة سرر في صفين . وكل سرير مكون من ثلاثة طوابق . لا توجد على السرر حشايا ، ولا اية مفروشات أخرى . فقط على كل سرير بطانية واحدة . وبالعنبر جردلين . عندما دخلت للرفيقات العنبر ، لم يكن لدى البعض منهن اية فكرة عن استخدام هذين الجردلين . قالت السجنانة ، واحد للمياه ، والآخر للحاجة . واحد تشربن منه ، والآخر تتبولن فيه . سألتها انتصار خطاب ، وماذا لو اخطأت واحدة منا في استخدامها ؟ قالت السجنانة ، تستظرفين وتدعين خفة الظل . الا يكفيكن انكن كفرة ، مخربين وعملاء ؟ سألتها عن الوسائد . قالت ، تضع كل منكن ذراعها اسفل رأسها . واغلقت عليهن باب العنبر ، فجلسن يتعرفن ببعضهن البعض .

كن من وصلن الى السجن ، حتى الآن ، سبعة عشر رفيقة ، منهن : فاطمة زكي ، انتصار خطاب ، ثريا ساكر ، ثريا ابراهيم ، ليلي الشال ، ليلي شعيب ، ليلي عبد الحكيم ، اجلال السحيمي ، نوال الحملاوى ، محسنة توفيق ، سيدة حسن ، زينب من بنى سويف ، وهي فتاة صغيرة ، ظنت كثيرات من الزميلات انها ابنة واحدة منهن . كانت قصيرة ، صغيرة ، رفيعة الصوت . كل ما فعلته ، انها شاركت في الدعاية الانتخابية للرفيق شبل اسماعيل ( وكان صاحب المدرسة التى هى فيها ) ضد عضو فى الاتحاد القومى . كل اماناتها كانت كتبها المدرسية ، التى احضرتها معها . ثم جاءت ايفون حبشى ، جنيف سيف سیداروس . كانت الرفيقات تهلن كلما ظهرت معتقلة جديدة - بنى سويف وصلت ، طنطا وصلت ، الاسكندرية وصلت . الرفيقات اللواتى جئن من الاقاليم ، جئن مصفدات الايدى بالقيود الحديدية . ثم جاءت اسماء البقلی ، حبلى توشك على الوضع ، سعاد الطویل ، سميرة الصساوى ، عايدة بدر ، زينبات الصباغ واميمة ابو النصر . ثم جاءت انجي افلاطون بعد شهرين ، حيث كانت هاربة ، ثم داود مبرى .

وقت ان وصلت الرفيقات الى سجن القناطر - نساء ، كانت الكثرة منهن بلا ملابس للاقامة . اذ لم تمكنهن المباحث العامة من اخذ أى شيء ، بزعم انهن مطلوبات لخمس دقائق ، فقط ، ثم بعدن من حيث جئن . كانت

الرفيقات اللواتي لهن سسابق خبرة وتجربة بالسجن قد احضرن معهن ما يفيض عن حاجتهن ، فاقتنسمن جميعا هذه الملابس ، معا .

عندما سكن الضجيج والزياط ، غنى الصمت العفبر . لا صوت مدة ساعة . كانت كل منهن تفكر فيمن تركته خلفها ، لا يدري عن مصيرها شيئا ، ولا يدري هي عما آل اليه حاله ، تفكر في الاسرة ، في الزوج ، في الابناء ، في الولد والبنت .

في صباح اليوم التالي للايداع بسجن النساء ، توجهت ثريا شاكر الى مأمور السجن لتخبره انها ام لطفلة رضيعة عمرها عام واحد ، وانها ترغب في احضارها للاقامة معها . الا انه نصحها الا تحضرها ، مبقاؤها في الخارج مع اى احد ، افضل كثيرا من وجودها في جو السجن . تقول ثريا شاكر ، كانت المسألة بالنسبة لى مزعجة وقاسية . تركت اطفالى الثلاثة ، ولا ادري عنهم شيئا .

عندما وصلت ثريا ادهم محمولة لرضها ، كانت هي آخر من وصل في اليوم الاول تقريبا . تقول ثريا ادهم ، وجدت هنالك من اراها لأول مرة . كانت هنالك ايضا من اعرفها منذ مدة طويلة . معتقلات من كل المدن . رأيت نوعيات متعددة ، عاملة ، مثقفة ، مدرسة ، موظفة ، ربة بيت وسيدات غاديات ، كل التهمة الموجهة اليهن ، انهن كن يدافعن عن ازواجهن أو اخوتهن بعد اعتقالهم . كن يقمن بتنظيم الاسر للدفاع عن حقوقهم كمعتقلين سياسيين .



### الفلاحة الهاربة :

هربت انجى افلاطون ، وهى الفنانة المعروفة ، المطلوب القبض عليها . كان عليها ان تختفى اختفاء كاملا حتى تستطيع مواصلة عملها السياسى . كان ذلك يستلزم بالضرورة صورة من صور التكر . واستقر الراى ، مع الزملاء ، على أن يكون تفكرها في صورة فلاحة ، ممن يعشن في المدن : المنديل والطرحة فوق الرأس ، والكردان على الرقبة . كان عليها ان تضع الكحل في عينيها ، وبذا تغير شكلها تماما . استاجر للزملاء لها مكان اقامة في شعبرا . كان ذلك مع عجوزين ظروفهما المالية صعبة ، باعتبار انهما زوجة هاربة من بيت الطاعة ، وانها ستقوم بالاتفاق عليهما بمقابل اقامتها .

كان اختفاء سيذة بمفردها في حى شعبي ، مشكلة في ذاته ، خاصة اذا كلفت هذه للسيدة من اصول تركية ، لها قدر من الجمال وافر ، واكنة

في الحديث مميّزة • كانت ان جلست في شرفة المسكن ، تعرضت لمضايقات  
الشباب • وكان عليها ، الى جوار مهامها السياسية والاجتماعات الحزبية .  
ان تمارس فنّها • ونجحت في احضار ادواتها • وكان عليها ، وهي  
ترسم ، ان تغلق الحجرة عليها ، تماما ، اذ لا يتسق رسم اللوحات الفنية  
مع الفلاحة الهاربة . ورسمت مكونات حجرتها في لوحين ، اطلقت على  
واحدة منهما اسم « حجرتي في الاختفاء » • واستمرت فترة الهرب الجزئي  
السابقة على طلب القبض عليها ، وفترة الهرب الكلي اللاحقة على امر  
اعتقالها ، حوالي ثلاثة اشهر ونصف . تقول انجي افلاطون عن فترة  
الهرب تلك انها ، « كانت فترة بوتير للغاية • فترة اصعب من السجن  
ذاته » •

تم قبض عليها في ١٩/٦/١٩٥٩ . كانت في احد الاجتماعات ،  
وهناك فوجئت باحد الزملاء ، الذين لم يحضروا الاجتماع ، يرسل لها  
تقريراً عن اضرابات عمال الترام ، ملحا على ضرورة ان تحمله معها  
لقراءته للاهمية . تقول انجي افلاطون ، « كانت تلك اول مرة احمل فيها  
تقريراً بمثل تلك الخطورة . اخفيته في « الكورسيه » الذي كنت ارتديه •  
عادرت المنزل ، واستوقفت سيارة تاكسي • ثم اكن استخدم الا سيارة  
في حالة حركة • ما ان وقف التاكسي حتى انقض على رجال الأمن •  
وضعنني في داخل السيارة ، واحاطوا بي من الجانبين ، كان ذلك ،  
بالتأكيد ، كميناً معداً • اصاب السائق رعب عظيم • امروه بالوقوف ،  
حتى جاءت سيارة أخرى مليئة باناس وقد ربطت اليها دراجة • عرفت ،  
فيها بعد ، انها لشقيق أحد الزملاء ، وهو قهوجي لا علاقة له بالسياسة •  
كان قائداً لاحضار نقود لأخيه ، في ذات الوقت الذي قبض عليه فيه .  
فامسكوا به ، ايضاً ، هو ودراجته ، وظل في السجن عاماً كاملاً يصيبه  
الانحاء كلما انتابه الخوف •

« كان معي ، وقت القبض على ، كيس ورقي بداخله حاجياتي وبعض  
النقود ، كذا ورقة مكتوب فيها رموز اسماء بعض الزملاء واشتراكاتهم  
الحزبية • كان في وسعي التخلص منها ، الا انني فكرت في أن تركها في  
موضعها ، سوف يحول الانتظار اليها ، بدلا من التقرير الذي اخفيه •

« في سرعة جنونية توجهت للسيارتان الى وزارة الداخلية • ظل  
الضابط حجازي بمجرد رؤيته لي ، وغدا سعيداً للغاية عندما وجد الورقة  
في الكيس . تساءل عما هو مكتوب فيها ، فقلت اني سارد على ذلك  
امام النيابة . حاول التفتيش الذاتي فرفضت ، بشدة ، فتراجع •



صورونى حوالى مائة صورة لتوفير دليل على هربى وتنكرى . استطعت ،  
فى تلك الاثناء ، ان اتخلص من التقرير .

« فى اليوم التالى جاء وكيل النيابة . كان احمد موسى ، وكان رجلا  
مهذباً للغاية . سألنى ان كنت هاربة ، فاجبته بانى كنت ، بالفعل ،  
هاربة . هنالك امر اعتقال غير قانونى ، وانا لست على استعداد للذهاب  
الى السجن ، كما حدث لزوجى ، والذي توفى بعد خروجه من السجن .  
كان هو ، ايضا ، وكيل النيابة ، ويعرفه احمد موسى . قلت ان من حقى  
الا اسلم نفسى للاعتقال . سألنى ، ان كنت متفكرة . فقلت ، انى فنانة  
احب رسم الفلاحين ، وانفى ، وانا هاربة ، كنت البس هذا الزى واقف  
امام المرأة لارسم نفسى . ضحك احمد موسى ، بشدة ، من اجابنى  
تلك . سألنى عن الرفيق الذى قبض عليه ، وكان اسمه رؤوف ، وكذا  
عن البيت الذى كنت فيه ، فأنكرت كلاهما . سألنى عن المكان الذى كنت  
اختفى فيه . فقلت ، كنت عند اناس عاديين . قال ، معنى ذلك انك  
تعرفين اناسا غير عاديين ؟ قلت ، اقصد اناسا لا علاقة لهم بالسياسة .  
سألنى عن المفاتيح التى معى . فقلت له ، لا تجهد نفسك فانى لن اقول  
شيئا .

« انتهى التحقيق . كان ضابط الحرس المسئول عنى انسانا  
جيذا . حذرنى بالانجليزية بان احسد المقبوض عليهم وسوف ينهار  
ويعترف . سألته ، لماذا ؟ قال ، لأنه شديد الخوف ، كثير الاعماء . كان  
يقصد القهوجى . قبل ان يتركنى ، سألنى ان كنت اريد شيئا ؟ كنت ،  
بالفعل ، اود اخبار اسرتى بأمر القبض على . اخبرته بذلك وبرقم  
التليفون . وبالفعل قام الرجل بهذه المهمة . فاسرعت اخفى الى مكان  
اختفائى ، واخذت كل حاجياتى .

« فى الليل جاء حسن المصيلحى ، وحوله عدد كبير من ضباط الأمن .  
كنت اجلس على كرسى واريح قدمى على كرسى آخر . لم اتحرك عندما  
دخل . كنت متعبة للغاية . قال لى بالفرنسية ، اليس حراما ان تعرض  
سيدة مثلك ، من اسرة كبيرة ، نفسها لكل هذه البهيلة . قلت ، ولم  
اتحرك من موضعى ، هذا امر يخصنى ، ولا يخصك . كست الدهشة وجوه  
من معى .

« ظلت فى الداخلية يومين ونصف . عندما اخبرونى بانى راحلة  
الى السجن ، شعرت بسعادة فائقة ، وصحت الحمد لله . فبدأت هذه  
السعادة غريبة على من سمعنى ، »

وصلت انجي افلاطون سجن النساء وقت طابور الصباح . اثناء تسليمها الامانات ، كانت تنظر الى جوش السجن تشير الى الزميلات ، الا ان واحدة منهن لم تستجب لها . كان جلابها البلدى قد غدا رثا ، كما ساج الكحل الذى فى عينها على وجهها ، فبدى شكلها غريبا ، يصعب التعرف عليها . اثناء وجودها فى وزارة الداخلية ، احضروا لها كل ما طلبت ، من مأكلا او غيره ، ما عدا الصابون . كانوا يبغون الابقاء على تنكرها كما هو حيث كانوا يقومون بتصويرها من وقت لآخر ، وهكذا تفاقم للتكررتحول من فلاحه بالمدينة الى متسولة تقاد الى سجن النساء . كانت هنالك سجانة تسمى « على » ، وما ان تعرفت على اسمها حتى اسرعت الى الرفيقات وهى تعلن ، « اخيرا وصلت انجى الانطوطى » .

فى العنبر رحبت بها الزميلات . تساعن عن هذا الذى هى عليه . اثناء ترحيلها من وزارة الداخلية الى سجن النساء ، كانت تحبس السعادة ان انتهى عبء الهرب ومتاعبه ، الا ان هاجسا كان يجوم حولها : « هل حقاً فى وسعنى ان اتحمل السجن » . سبق وتعرضت لتحقيق المحققين كثيرا ، الا ان تلك هى اول مرة اسجن فيها . انها تجربة جديدة تماما فى حياتى . اللهم دعنى اكون فى مستوى التجربة » . فى العنبر اغتسلت . ارتدت ملابس من تلك التى لباقي الزميلات . سقطت مخاوفها على باب العنبر . وبدأت مشوارها خلف الاسوار .



### فلسطينية فى المنفى :

لم يقف حد القبض على النساء عند حدود مصر . بل تجاوزتها حكومة الحزب العسكرى الى خارج الحدود ، الى غزة - فلسطين . هنالك امسكوا بصهباء البربرى خطيبة المناضل الشاعر الفلسطينى معين بسيسو .

تقول ايفون حبشى ، « عندما جاءت صهباء الى سجن - النساء بالقناطر ، بعد ثلاثة شهور ، لم تكن تعرفها اى واحدة من الزميلات . تحرينا عنها حتى عرفناها . هى خريجة الجامعة المصرية ، كلية الآداب . قسم الاجتماع . كانت زميلة الاخصائية الاجتماعية للسجن . كانت نجيلة ، رقيقة ، رشيقة ، فنانة تملك مهارات يحوية رائعة . قالت لنا انه قبض عليها وعلى خطيبها فى ضربة رأس العام ١٩٥٩ . كما قبضوا ايضا على اخوة معين بسيسو الثلاثة . وعندما بكى امه لهول ما اصنابها فى بنيتها ، قال لها معين :

لك الجماهير أبناء بلا عدد

فلسنت وحدك يا أمي بلا ولد

« عندما وضعوا الحديد في يديها من غزة الى القاهرة ، اصرت ان توضع في قيد واحد هي وخطيبها . قالت لنا ، « كنت اود الا ينتهى الطريق الى القاهرة . فانا الآن الى جوار معين ، ونهاية هذا الطريق ، سوف تكون نهاية هذا الجوار . وفجأة وجئنا انفسنا امام السجن الحربى . »

« وضعوها في زنزانة في الدور الثالث . ووضعوا اسفلها اناسا كانوا يقومون بتعذيبهم طوال اليوم ، كانت تصك اسماعها عذابات المعتقلين . الزعيق والصراخ ونباح الكلاب وآهات الام والعذاب . »

« وضعوا على باب زنزانتها قفلا ، وامامه وقف شساويش بشسع الخلقة . كانت الزنزانة فارغة ، لا سرير ولا مقعد ولا جردل بول أو مياه . لا شيء على الاطلاق . ثم فجأة يقتحمون الباب ويملأون الزنزانة بفاخر الفراش . سرير ، منضدة ، تواليت ، فارة ، اناء ماء وكوب ، ستائر وجرائد . وتصبح الزنزانة وكأنها غرفة نوم في فندق من فنادق الدرجة الأولى . وتمضى نصف ساعة ، ثم ينقضون على الزنزانة ، يحملون منها كل شيء ، ويتركونها فضاء خربا كما كانت . ثم ساعة أخرى ، ويعيدون نرثها باجمل مما كانت عليه . ثم ساعتان ويرفعون كل ما كان . استمر الوضع هكذا ثمان واربعين ساعة ، والحارس الكريه يعرض عليها هذين الخيارين ، الضيق والعذاب ، أو الراحة المقيدة ، والتمن ان تطلب من معين بسيسو أن يعترف . انه هنالك يضربونه حتى الموت ، انه يقطن اسفلها ، وفي وسعها ان تنقذه . »

« كان السجن وضعا لم تعرفه من قبل ، كما كانت عديمة خبرة باساليب التعذيب البدنى والمعنوى . كان يمر امام الزنزانة اناس يهرولون وكانهم في عجلة من أمرهم . البعض يقول ، قطعوا يد معين ، مات معين . هو الآن مطلق في اسلاك ، هو الآن مصلوب على عروسة الجلد والتعذيب . واصبحت كل صرخة عذاب هي صرخة معين ، وكل آهة ألم هي آهة معين . »

« وكان على صهباء أن تعاني وتتعذب وتصمد ، حتى رحل خطيبها الى اللواحات . واحضروها هي الى سجن القناطر . »





# الفصل الثاني

## الحياة في السجن

ان وضع الرفيقات في سجن القناطر - نساء ، يختلف ويتشابه مع وضع الرفاق في سجن القناطر - رجال . يختلف في انهن جميعا في عنبر واحد غير معزولات عن بعضهن البعض ، ليس هنالك تقسيم للاقامة طبقا للاصول الحزبية . وبالتالي فان ظروفنا أكثر موافاة - للتألف ولتدبير حياة عامة واحدة - كانت متوفرة . كانت ظروف سجن النساء ، وجود عدد من الرفيقات اللواتي لهن خبرة وتجربة سابقة بالسجن ، وكذا وجود الحنكة القيادية ، عوامل هامة في تحقيق قدر جيد من وحدة الموقف في مواجهة الادارة ، ووحدة الحياة المعيشية ، فالجميع يعيش في اوضاع متقاربة أو شبه متماثلة ، مما يحافظ على وحدة الرفيقات بشكل عام ، ويوفر أهم قاعدة من قواعد مواجهة الادارة ، بل ومواجهة عملية الانحياز ذاتها . تقول فاطمة زكي : « كان هنالك تيارات سياسية مختلفة . كان هنالك الحزب وحتو ، ومن لا ينتمون لأي تنظيم ، بل وكان هنالك ايضا عناصر معادية سياسيا . الا ان موقفنا جميعا كان واحدا في مواجهة الادارة . نخطف داخل العنبر ، لكننا موقف واحد امام الادارة ، . وتضيف ثريا ادهم ، « الشيء الذي ميز السيدات ، والذي نفخر به على الدوام ، انه رغم انتماء البعض منا الى تنظيمات شيوعية مختلفة ، الا ان العلاقة الشخصية بيننا جميعا ، كانت طيبة للغاية . ان أي واحدة منا كانت تجد الجميع حولها ان مرت بظروف صعبة أو أزمة شخصية أو صحية أو عائلية » . أي ان الظروف الذاتية بين السجنين كانت تختلف .

أما أوجه التشابه ، فقد كانت في الظروف الموضوعية . كان موقف الادارة من الرفيقات المعتقلات مرتبطا تمام الارتباط بالظروف الخارجية السياسية ، فان اشتدت خارج السجن ، شددت الادارة داخله ايضا . الا انه لا يمكن الربط آليا بين ما يمكن ان يتبع في سجن الرجال وسجن النساء ، رغم ان السجنين ، في نهاية الامر ، خاضعان لقيادة منطقة واحدة . اذ ان النضيق على السيدات ، كان في التركيز على تحطيم المتزوجات منهن بحرمانهن من رؤية ابنائهن . كانت هنالك العديدا من المعتقلات اللواتي تركن ابناءهن في اعمار تبدأ من العام الواحد حتى سن المراهقة . والاب ، ايضا ، مسجون أو معتقل . وكثير من هؤلاء الابناء بلا مورد يعيشون منه . كان التعذيب هنا تعذيبا معنويا ، غاية في القسوة والشاعة . كان التعذيب النفسي للامهات ، يصيب الجميع . الفتيات

والزوجات اللواتي لم ينجبن بعد ، بنفس الاثر . نفس الألم ونفس  
الاحاسيس . تقول ثريا ادهم ، « كنا ان جلسنا نسمع المنياع ،  
وعبد الحليم يغنى ، نبدأ الجلسة سعداء . الا ان بعض الامهات يأخذن  
في البكاء ، لأن ابن واحدة منهن أو أكثر كان يغنى هذه الاغنية . والحال  
يتقلب الجو الى غم شديد ، لأن الاحساس بعذاب الامهات ، كان يؤثر  
فيينا جميعا » .

العنبر مغلق طوال اليوم . يفتح فقط للذهاب الى دورة المياه الموجودة  
بمستشفى السجن صباحا وعصرا . وطابور الشمس قاصر على نصف  
ساعة في الصباح ، تنقص الى ربع ساعة عند التشديد . الامانات المسموح بها  
جنيهين اثنين كل شهر . الكتب ممنوعة ، الجرائد ممنوعة ، الورق والاقلام  
ممنوع ، اجهزة الراديو ممنوعة والزيارات ايضا ممنوعة . مسموح باستلام  
الخطابات الواردة من الاهل ، بعد مرورها على رقابة المباحث العامة .  
الخطابات تلغرافية : « نحن بخير » صحتنا جيدة ، كيف حالك ؟ السلام  
عليك » . كما كان مسوحا بكتابة خطاب الى الاهل كل شهر . تكتب  
الخطابات تحت اشراف « مراقبة السجن » . تجلس المعتقلة الى حوارها  
على المنضدة . الورق والقلم من عندها . ويكتب الخطاب امامها لتقرأه .  
ثم يقرأه مأمور السجن ، ثم المباحث العامة للتأشير عليه . فان كان مرسل  
الى الواحات الى زوج أو خطيب أو اخ معتقل أو مسجون . يقرأه مأمور  
سجن الواحات ، ثم الضابط النوبطشي ، ليصل أخيرا الى المرسل اليه .

التغذية رديئة وسيئة . المفروض ان القائم عليها متعهد بقدر يومي  
سبعة عشرة قرشا للمعتقلة الواحدة . ولقد استطاع هذا المتعهد ، خلال  
فترة اعتقال الرفيقات ، والتي دامت لأكثر من أربع سنوات ، بناء عمارة  
من هذه القروش ، مما يوضح حقيقة ما كان يقدمه من مواد غذائية  
والاستغلال البشع الذي تعرضن له . كان الطعام بلا لون محدد ، كرية  
الطعم ، تثير رائحته الغثيان . الخضار يصعب تحييد نوعه ، والارز بما  
احتوى من قش واحجار ، بل وفصلات الفئران ايضا . اما عن اللحم .  
فهو بعيد تماما عن هذا المسمى .

الرعاية الطبية شبه معدومة . الطبية المشرفة ، دكتورة ايذا  
ابراهيم ، ورئيس القسم الطبي وحكيمباشي مستشفى السجن ، دكتور  
بقطر ، كلاهما كان حسن التعامل مع الرفيقات . قدما كل ما في وسعهما  
من تسهيلات وعون . الا ان الاكل السيء لا يتغير ، وعدم وجود الادوية  
لا يعالج ، ومنطقة القناطر نفسها تتميز بالترطوبة الشديدة ، ولا يمكن لمن  
يعيش فيها ، الا ويصاب بالروماتيزم . كان الطبيب يرى ان الطقس في  
هذه المنطقة خطر للغاية ، وانه يلزم أن يكون الغطاء عند النوم كافيا . الا انه

لم تكن هنالك اغطية كافية ابدا . كما ان الاغلاق المستمر : وجردل مياه الشرب الى جانب جردل البول ، وتكس حوالى ثلاث وعشرين معتقلة في عنبر واحد ، كل ذلك شكل عوامل متكاملة متضافرة لظروف صحية سيئة .

ادارة السجن تعتمد الى تغيير النجاسة المشرقة على العنبر بصورة دورية شهرية ، خشية ان تنفثا بينها وبين المعتقلات علاقات انسانية . النجاسات كن معتادات على سوء ادب المسجونات العاديات وبالتالي سوء معاملتهن . كانت هنالك سجانة عجوز سمينة سمراء تدعى ام عفيفى ، كانت هذه السجانة ، خلال نوبطشتيتها ، تغلق الباب عليهن بصورة مستمرة .

الهيبة والرغبة ، من القوائم الاساسية التى تقوم عليها قبضة الادارة على المعتقلين والمعتقلات ، المسجونين والمسجونات . وهى تحاول ان تتخذ من اية مشكلة ، ذريعة لاعلان وجودها وهيلمانها . تقول ثريا شاكرا ، فى اوائل دخولنا السجن طلبنا كتابة خطابات لقوانينا . كما نكتب على باب العنبر . وكان المأمور يمر وقتها ومعه بعض ضيوفه . وقفت السجانة وقفة انتباه . اما نحن فلم نعر الامر التفاتا . المسألة لا تخصنا . السجانة موظفة بالسجن ووضعها يقتضى هذه الوقفة عند مرور الضابط ، أما نحن فمعتقلات ، نكتب خطابات . فوجئنا بالمأمور يستشيط غضبا . كنت انا المتحدث عن المعتقلات ، فارسل فى طلبى . قال فى ثورة عارمة ، لا يعجبني ما فطنت اليوم . لم اكن ادرى أى جرم ارتكبنا . فسألته ، لماذا ؟ وماذا فعلنا ؟ قال ، الا تعرفين انه من المقروض وقوفكن عند مرمى 19 كل من فى هذا السجن يجب ان يقف عند مرمى . انكن جلستن وكانكن فى بيوتكن . قلت ، نحن لا نعرف هذا . نحن لم نسجن من قبل . ومنذ الآن ، وعند مرور سيادتكم ، سوف نقف ونعظم ايضا . قال ، لا داعى للتعظيم . يقمن فقط . قلت ، حاضر ، سوف نفعل ، وان كنت اعتقد ان الامر لا يقتضى كل هذا الغضب . اننا اعتدنا ، كما نعرف ، الا تقف السيدة للرجل ، حتى ان حيته ، فهى تفعل ذلك وهى جلوسة . ولكن ما دمنا مسجونات وسيادتكم المأمور واقف ، فلسوف نقف فى المرة القادمة .

انها المحاولة الثنى لن نتوقف ، بهدف غرس شعور بأن الامر قد تغير بالنسبة لهن . الخارج شىء وداخل الجدران شىء آخر .



تلك المظاهر من الرهبة والهيلمان ، قد لا تؤثر في المناضل أو المناضلة ، كثيرا أو قليلا . الشيء الهام الا تغوص الى الاعماق ، فتفعل فعلها وتأتى ثمارها ، نخرا كالسوس في النفوس . فان كان التنظيم الحزبى ضرورى فى الخارج ، فهو أشد ضرورة فى الداخل . انه السياج الذى يربط ويحمى ، يحصن ويصلب ، يدعم الانتماء ويحقق القبضة الواحدة والارادة الواحدة ، فى مواجهة كل صنوف الترهيب والترغيب . ومنذ اللحظة الاولى كانت الرفيقات على بينة من تلك الحقيقة . ولذا تشكلت للحال زيادة حزبية لسجن - النساء من الرفيقات : ثريا ادهم ، فاطمة زكى وانتصار خطاب . وعندما اعتقلت انجى افلاطون ، انضمت الى القيادة باعتبار انها كانت عضوة باللجنة المركزية عند تأسيس الحزب ، وكذا بعد ضربة يناير . وعندما روى الاكتفاء بثلاث رفيقات قياديات ، تركت فاطمة زكى اللجنة القيادية .

وكان على هذه اللجنة القيادية ان تواجه عددا من المسائل :

- (١) مواجهة ظروف الاعتقال وابعاده ،
- (٢) مواجهة الظروف الحياتية والمعيشية ( الحياة العامة ) ،
- (٣) مناقشة القضايا واعدادها للمحاكمة .

#### ١ - مواجهة ظروف الاعتقال وابعاده :

ان الظروف التى احاطت باللاتى قبض عليهن عام ١٩٥٩ ، كانت ظروفنا مختلفة عن تلك التى واجهتها الرفيقات اللواتى سبق لهن ومررن بتجربة السجن من قبل . كما انها كانت انتقالا رهيبا من الشارع الى خلف القضبان ، بالنسبة للرفيقات اللواتى تحتجز حريتهن لأول مرة . وكانت النوعية الاخيرة هى النوعية الغالبة . فان اضيف الى حدة التجربة ، صغر السن عند البعض ، والامومة عند البعض الآخر ، والبعد عن العمل السياسى الحزبى عند فريق ثالث ، برزت ضخامة المسئولية التى وقعت على عاتق الرفيقات المسئولات والرفيقات اللواتى لديهن خبرة سابقة .

كانت البداية ضرورة كسر هيبة السجن ورهيبته ، حتى لا تتربسح فى نفوس المعتقلات كحقيقة لا مفر من الرصوخ لها . كان على الأكبر سنا وخبرة ووعيا ان يعملن على مساعدة الجدد لتقبل هذه الأوضاع ومواجهة تلك الظروف الصعبة التى لم يعتدن على مثلها . تقول فاطمة زكى : « اتفقت انا وثرى ادهم وسعاد الطويل واجلال السحيمى على ضرورة عمل شيء ما . فى اليوم الثانى ، ساعة طابور الصباح ، صحت فى الجميع



ان يتجمعن لنبدأ معا تمارين رياضية • شكلنا دائرة وبدأت التمارين :  
واحد ، اثنين ، الرأس واليدين ، البطن والرجل • ثم رقص ايقاعي ، خطوة  
لليمين وخطوة لليساار • والمسجونات العاديات يتساعن عن هؤلاء اللواتى  
يرقصن داخل السجن • بعد هذا الطابور الرياضى توجهنا للاغتسال فى  
دورة المياه ، ثم تناولنا الاططار • بدا الامر وكأننا فى معسكر خاص بنا •  
كان الامر الهام هنا هو تحطيم رهبة السجن ، •

وكان من الضرورى ايضا ، اعداد الزميلات نفسيا وصحيا لحبسة  
طويلة الامد • كان ذلك يحتاج الى جهد حقيقى • تقول انجى افلاطون •  
« عندما وصلت فى شهر يونيه ، كانت معنويات الزميلات هائلة • يتصرفن  
وكانهن فى رحلة ، لعب وغناء ، حتى اذا جاء شهر يوليو ، وانتشر جو الافراج  
والعفو فى السجن ، دخلت الزميلات فى هذا الجو ايضا • ولذا ناقشت مع  
اللجنة القيادية خاصة والزميلات عامة ، ضرورة تجهيز انفسنا للحفاظ  
على صحتنا ومعنوياتنا ، لاننا سنظل فى السجن مدة طويلة • كنت  
قاسية ، الا ان هذا كان لازما ، حتى ان بعض الزميلات تضايقن ، وقلن  
بانى متشائمة • الا اننى لم اكن متشائمة • كنت واقعية • اوضحت ان  
الجو العام فى الخارج ، عسير للغاية ، فالارهاب قائم ، والحملة ضد  
الشيوعية قائمة ، والاضاع توحى بعامين فى السجن أو ثلاثة • لم تكن  
قد سمعنا عن التعذيب بعد • كان من اللازم ان نكون مؤهلين لهذه  
الاحتمالات • نحافظ على صحتنا واعصابنا ، ان فى السجن اكثر من ألف  
امراة تزعم وتصرخ وتتكلم ، وبالتالى يلزم ان نكون نحن هادئات ،  
والا اصابنا الانهيار • لابد من تنظيم حياتنا ، ومنها اطفاء الانوار فى الحادية  
عشر • من تساعت ان تنام نامت ، ومن نساء ان تستريح ، تسترح •  
جعلنا ايضا ساعة هوء فيما بعد الظهر •

وكان لابد ايضا من تحديد كيفية التعامل مع الادارة • تم الاتفاق على  
ان يكون الكلام مع مأمور السجن منظما ، بمعنى تحديد الرفيعة التى تتحدث  
اليه ، دون ان يكون اسلوبها فى الحديث استفزازيا • الا ان عدم لجوء الرفيقات  
للاستفزاز ، لم يكن يعنى الصمت امام أى سلوك يمكن ان ينال من  
كرامتهن • ان الرفيقات ، رغم كونهن معتقلات ، فى سجن تحكمه لائحة  
السجون التى تحدد علاقتهن بالادارة ، وأحد قواعد هذه اللائحة ،  
الا يدخل رجل إلى عنبرهن ، الا ان مأمور السجن كان يقوم بالفتيش ،  
الفتيش اليومى • كان يفتح الحثائب ويحقق تحقيقا شديدا • وذات يوم جاء  
مدير مصلحة السجون لزيارة السجن • ومر خلال ذلك على عنبر  
المعتقلات • وطرح السؤال التقليدى ، الذى يلقى به دائما فى مثل تلك الاحوال :  
هل تتردن شيئا ؟ وللحال تصدت له انتصار خطاب : نعم ، نرد • قال ،

ماذا نردن ؟ قالت ، هل تقبل حضرتك بان يطلع رجل غريب على ملابس زوجتك الداخلية ؟ قال ، ماذا تعنين بذلك ؟ قالت ، ان مأمور السجن يقوم بفتح حقائقنا والامساك بملابسنا الداخلية . وهذا أمر مرفوض تماما . اذ ما الداعي ان نوجد سجاننا من السيدات ؟ قال المأمور ، هل انا افعل ذلك يا مدام ؟ وصرخت انتصار خطاب في وجهه ، نعم تفعل ذلك ، تمسك بتلك الملابس ، بل وتقوم بفردتها ايضا . بعد تلك الزيارة ، كان المأمور ان دخل العنبر ، يوليهم ظهره اثناء التفتيش ناظرا من نافذة العنبر . دام هذا الوضع مرتين أو ثلاث ، ثم توقف التفتيش على هذا النحو .

كما حددت الرفيقات موقفا من السجاننا ايضا . وقام هذا الموقف في الاساس ، على أن يكون سلوكهن متسما باحترامهن لانفسهن أولا . لم يكن يقنع في أى خطأ امام السجاننا والمسجوننا العاديات ، كن يلجأن الى المناقشة الموضوعية . فاصبحن محل احترام الجميع ، حتى ان كبار المسجوننا ، من تاجرات الحشيش ، كن ينادين اصغر معتقلة سياسية بكلمة « ابله » ، تعبيرا عن احترامها لها . تقول فاطمة زكى ، « السجانة مهما كانت قاسية ، فهي في نهاية الامر امرأة . ففي لحظات القسوة الشديدة التي كنا نمر بها ، كنا نرى السجانة العنيفة منهن وهى تبكى ، أو تملئ عيناها بالدموع . انهن مهما كن قاسيات ، الا ان نواحي الامومة تؤثر فيهن كثيرا . كن يتعاملن معنا كسيدات . وكان ذلك راجعا الى اسلوب تعاملنا نحن معهن . فلكل فعل رد فعل . كان سلوكنا صحيحا ، ولم ندخل معهن في عراكات صبيانية ، باعتبار انهن مجرد موظفات تؤدين عملهن . لم نخض معهن عراكا الا فيما يستحق . كان نطالب ، في وقت تكديرة ما ، بفتح الباب علينا . مجود فتحة حتى تدخل الشمس . وتلك كانت حينذاك نعمة كبيرة . كالتة رؤيتنا للمسجوننا العاديات ، وهن يمررن امامنا . تعطينا احساسا بالارتباط بيننا نحن اللواتي داخل العنبر ، وهات اللواتي خارجه . وان كنا جميعا داخل السجن ، »

\*\*\*

### حيث الرئيس ومعركة السحل :

لم يكن قد مضى على وجود الرفيقات في المعتقل أقل من شهرين ، عندما أعلن الرئيس جمال عبد الناصر تصريحه المشهور للصحفي الهندي المعروف ، كارينجيا : « انه ليس في مصر معتقلين أو معتقلات » . قرأت الرفيقات هذا النبأ « العظيم » في احدى الصحف التي كن قد نظمن تهريبها الى داخل السجن . بدت المسألة ، أول الامر ، مدعاة للسخرية . اذ لو

ان هذا الكلام صحيح ، فانهم في غير سجن النساء دون أن يدريين ، أو انهم في الحرية دون أن يدركين ذلك . الا ان المناقشة اتخذت سمة الجدية ، على أساس ان التصريح صادر عن رئيس الجمهورية ، لصحفي له شهرته الدولية ، ولا يمكن ان تصدر كلمة عن الرئيس دون ان تكون محسوبة بدقة . واكد احنمال الجدية ، ما رددته ثريا شاكر ، عن حدث مماثل وقع لزوجها فوزى حبشى عام ١٩٤٨ ، عندما كان معتقلا ، واعلن مصطفى النحاس انه لا توجد معتقلات ، وبالفعل خرج الجميع الى الشارع في ظهيرة نفس اليوم ، « فكلام الملوك لا يرد » ، ساد التفاؤل . وبدأت جميعهن في اعداد أمورهن ، فقد حانت لحظة الخروج الى الحرية . اذ ربما صدر قرار الافراج بالفعل ، الا انه لم يصل بعد الى ادارة السجن .

ثم الاتفاق على أن يتوجهن جميعا الى ادارة السجن ، بعد طايبور الصباح . وأن تكون لحظة النحر نحو مبنى الادارة ، هي لحظة ان نعلن السجناء انتهاء الطابور بقولها : « يله يا سقات » . حينئذ يتم التوجه الى بوابة السجن ، بدلا من التوجه الى باب العنبر . استبعدت السيدات الحوامل من هذه المعركة تحسبا لأي احتمال . كما تم الاتفاق على أن تكون ثريا ادهم هي المتحدث باسمهن .

ما ان انتهى الطابور ، وحلت لحظة الصفر ، حتى توجهن نحو مبنى الادارة ، الى مأمور السجن مباشرة . صاحت السجناء نسألن ، الى اين من ذاهبات ، الا انها لم تطلق اية اجابة . رأهن مأمور السجن من نافذة حجرته ، وهن يتقدمن نحوه . خرج مسرعا متسائلا ، ماذا هناك ؟ تصدت ثريا ادهم للمواجهة . « لقد صرح رئيس الجمهورية بانه لا يوجد في مصر معتقلين أو معتقلات . اننا نطالب بحضور مندوب عن الدولة لمناقشة حقيقة الامر معه . اذ كيف يصدر مثل هذا التصريح ، ونحن مازلنا معتقلات . اننا لن ندل العنبر حتى يأتى هذا المسئول ، لاجلاء هذا التعارض بين هذا الاعلان وواقع الحال » .

كان طلب مندوب رسمي عن الدولة ، يستهدف الاحتمال : احنمال تنفيذ الافراج تصديقا لكلام رئيس الجمهورية ، وان لم يكن ذلك صدقا . فمناقشة هذا المسئول في حقيقة أسباب اعتقالهن والمطالبة بتحسين الاوضاع في السجن ، وخاصة ضرورة منح المعتقلات الامهات حق زيارة ابنائهن ، كذا السماح للمعتقلات عامة بالصحف والمجلات والكتب والورق والقلام ، وتحسين نوعية الطعام ، وعدم اغلاق العنبر عليهن ، أى ، بصفة عامة ، تحسين ظروف السجن واوضاع المعتقل .



وحدثت ثريا ادهم ، « تلك مطالبنا ، ونحن مصمات على عدم دخول العنبر الا بعد حضور هذا المسئول ورؤية اوضاعنا على الطبيعة . اذ ربما ان شكوانا لا تصل الى أحد ، »

كان مأمور السجن حينذاك هو الرائد حسن الكردي . وكان بشكل عام رجلا انسانا يحاول ان يخفف عنهن اوضاع الاعتقال ، قدر ما يستطيع . قال المأمور لهن ، « ليس هنالك مثل هذا الكلام الذى تقلن . تعقلن وعدن الى العنبر » . اعلنت الرفيقات ان اعتقالهن على هذا النحو ، وطبقا لتصریح الرئيس . لابد وأن يكون من وراء ظهره . وانهن لهذا السبب يتمسكن بضرورة المنحوب الرسمى . طلب المأمور منهن أن يكتبن احتجاجات أو شكايات ، ووعد من جانبه أن يقوم بتوصيلها الى المسئولين ، الا أن الرفيقات أعلن تمسكن بموقفهن ، أعلن التصميم وعدم التراجع .

وأمام ذلك ، وأمام تطور الاوضاع الى هذا المدى ، اتصل مأمور السجن بمدير المنطقة ، العميد عباس قطب . وبدأ الأخير قيادة المعركة . أعلنت حالة الطوارئ القصوى فى السجن وفى المنطقة . وفرض الحصار فى الخارج بقوة من حرس سجن الرجال . أدخلت المسجونات العاديات الى العنابر ، ووقفت السجانات وبعض مسجونات التأبيدة ، من تاجرات المخدرات والقاتلات ، عمليات الادارة خلفهن . كانت هاته النسوة « فتوات » يجدن الضرب والعذوان . وبدأ واضحا ان الغرض من استخدامهن هو اظهار أن الامر ، أمر هياج فى السجن بين المسجونات وبعضهن البعض .

فتحت برأية السجن الرئيسية على مصراعيها . بدأ الجند المسلحين « بالتومي جن » يتقاطرون منها . أصبحت الرفيقات محاصرات من امام ومن خلف . صدرت الاوامر لهن بضرورة العودة الى العنبر والا فستطلق عليهن النيران . اشتهرت الاسلحة فى وجوههن . لم يتحركن من أماكنهن . ضحك البعض منهن غير مصدق لما يجرى أمامه ، أو ان الادارة يمكن ان تقوم بهذا العمل الجنونى . اغلق باب السجن الرئيسى . انطلق البروجى يعلن بداية المفجعة .

تقول فاطمة زكى ، « اصبحتنا كالسندوتش ، فى معركة غير متكافئة . نحن سياسيات نجيد استخدام اللسان والكلمة . وهاته النسوة بهتلكن خبرة الشجار . كل واحدة منا اصبحت فى مواجهة عشرة منهن ومن السجانات . بدأت المعركة ، نحن نضرب فى الهواء بطريقة عشوائية .



وهن يمسكن الواحدة منا من شعرها ، ثم يقمن بلبيه فتقع على الأرض ، وتنهال اللكمات والركلات . ثم يمض وقت طويل حتى غدت كل المعتقلات على الأرض . انتهى اتذكر منظر ثريا ادهم جيدا . كانت امامى فرأيت كل ما حدث لها . كانت للسجانة تجرها من شعرها ، وهى تنهال على ظهرها ضربا بالعصى . سحطنا على الرمال سحلا رهيبا ، من امام الادارة حتى العنبر .

وتقول ثريا ادهم ، « ظلت أجزاء من رأسى دون شعر شهور عدة . لقد انتزعت تلك الاجزاء وهم يسحاننى ويجرجرننى فوق الأرض . »

ونقول ثريا شاكر ، « كنا بينهن كالعصافير . امسكت كل ثلاثة او اربعة منهن بواحدة منا ، وانهلن عليها ضربا . وانا فى طريفى الى العنبر ، كان الاعتداء ما يزال مستمرا ، فبدات فى الهتاف ، تسقط سياسة الكذب والنفاق . اخفنا نهتف جميعا حتى العنبر . فاطمة زكى نالت ضربا شديدا حتى اننا خفنا ان نكون ضلوعها قد كسرت . »

وتقول انتصار خطاب ، « كان الضرت بالشوم . كانت عايده بحر من أكثر من أصبن . كانت ابنة بلد ، تعرف كيف تتعامل معهن . دخلت المعركة بكل عنفوانها ، ضرب وشد شعر ايضا . كذلك ضربت ثريا ادهم ضربا شديدا ، سحلوها ، وكساد عمودها الفقرى أن ينكسر من كثرة ما ضربت عليه بالعصى والشوم ، كذلك فاطمة زكى . انا لم اضرب . ربها لانى كنت اكبرهن سنا . احتضنتنى احدى السجانات وتظاهرت بضربى . »

وتقول ايفون حبشى ، « نزلت علينا السجانات ، وسجينات المخدرات والقاتلات ، بالاحذية والجلد والخيرزان والخشب . لم ادر بشىء ، الا وانا اطيء فى الهواء . امسكت بى اصابع كالحديد . اصبحت فى حالة غيبوبة كاننى احطم بكابوس . حالة من فقدان التوازن وانعدام الوزن . وجعت نفسى ملقاة فى العنبر وشعرى يغطى وجهى . بسدا توافد الزميلات المضروبات . فاطمة زكى كانت رياضية ، قاومت الا انهم كسروا لها حوضها . ثريا ادهم كانت مريضة ومتعبة . ضربت بالعصى وسحلت . ثريا شاكر كانت تهتف فى وسط الحوش ، تسقط سياسة المعتقلات ، تسقط سياسة الظلم والارهاب ، فانهالت اللكمات عليها . كان باب العنبر يفتح لتلقى السجانات والسجينات بواحدة من الزميلات كالكورة . كقالب الطوب . كانت كل الزميلات فى حالة من البهولة شديدة ، وقد امسكت كل واحدة منهن بشعرها . »

دفعت آخر سجانة بآخر رفيقة الى داخل العنبر . واحست ليلي شعيب بانها لم تأخذ حقها كما يجب . كانت ليلي شعيب صغيرة الجسد ، والسجانة طويلة جدا ، عريضة جدا . رفعت ليلي شعيب نفسها على اطراف اصابعها ، وصفعت السجانة على وجهها وهي تغلق باب العنبر . وللحال اتجهت السجانات وسجينات التأييد الى ضرب الرفيقات بالرمال من نوافذ العنبر . اهترأت ملابسهن وتمزقت ، فعلقت البعض منهن على ضرورة الاحتفاظ بهذه الملابس لوضعها يوما ما في متحف الثورة .

كانت الرفيقات ، رغم ما هن فيه ، تهتفن . واخذت اسماء البقلى تنشد .

علشان بنحب الشعب بيودونا المعتقلات  
من الطور للهالكستيب للقناطر للواحات  
علشان باحبك يا بلادى . بروحى وحمى بافادى  
فى سبيل الشعب مهما نلاقى من صعوبات

بعد خمس دقائق من اغلاق العنبر ، بدأت قبضات تدق على بابه ، والسجانة تنادى ، « فاطمة زكى ، ثريا ادهم ، لمقابلة مأمور السجن » . كانتا فى حالة برئى لها ، عاجزتين تماما عن الحركة ، فاحضرت السجانات بطانية لكل واحدة منهما ، وضعوها عليها ، ثم رفعتها اربع سجينات من اركانها الاربعة . وهكذا حملتا الى حجرة المأمور ، حيث اعلنت ثريا ادهم ، انها لن تتكلم معه فى أى شئ ، وتطالب بحضور النيابة فورا لتسجيل ما وقع عليها من اصابات . لقد اعتدت الادارة عليها وهي مريضة ، وهي تحملهم مسئولية كل ما حدث وما يمكن ان يحدث للمعتقلات . ارسلت الادارة بهما الى التأديب باعتبار انهما هما اللتان اعتدتا على ادارة السجن ، معاقبة اياهما بالحبس الانفرادى ، دون وجبة عشاء ، مدة ثلاثة عشر يوما .

وجاءت طيبة السجن الى التأديب لرؤية الرفيقتين . وراى ضرورة نقل ثريا ادهم الى مستشفى السجن لسوء حالتها الصحية . الا ان ثريا رفضت ذلك واصرت على بقائها فى التأديب ، حتى تتحمل ادارة السجن مسئولية ما قامت به حتى النهاية . وفى العنبر ، تم تكدير العنبر كله طوال الثلاثة عشر يوما . اوقف طابور الصباح ، ومنعت عنهن وجبة العشاء ، كعقاب جماعى .

فى اليوم الأول للوجود فى التأديب ، جاءت الباشسجانة ، التى كانت تقود المعركة ضد الرفيقات ، الى ثريا ادهم . حاولت استرضائها معتذرة ،

« لقد ضربتك ، لا تؤاخذيني ، وسامحيني ، . الا ان ثريا ادهم طلبت منها الخروج من الزنزانة ، « نحن نرفض الحديث معك . ان موقفنا منك وعلاقتنا بك ، سوف تتحدد على اساس الهجوم والاعنداء الذي قمت به ، » .

وبدأت السجينات اللواتى شاركن في المذبحة ، ابداء التعاطف مع الرفيقات الى اقصى حد ، عندما وجدن انهن لم يتخذن منهن موقفا معاديا . كن يحضرن لهن الشاي واشياء أخرى . وبدأت علاقة انسانية تنشأ فيما بينهن .

اثناء التكديرة جاءت بعثة للفتيش على السجن : الا ان الادارة وضعت الرفيقات في حجرات خلف السجن . اغلقوا عليهن النوافذ وبقوا شيشها بالسامير . ظلن يصحن من الداخل الا ان احدا لم يسمعهن . كانت في تلك البعثة سيزا نبراوى ، وقد جاءت لزيارتهن فيما بعد ، وقدمت لهن بعض الاشياء التى احضرتها معها .

كان حديث رئيس الجمهورية للبعيد عن الواقع والحقيقة مفاجئا للرفيقات ، فقرض عليهن معركة مفاجئة ايضا . الا انها كانت تجربة هامة وخطيرة ، حيث وقفن جميعا صفا واحدا يواجهن العدوان الباطش والسحل والقتل المؤكد . وترى ثريا ادهم ان ، « المعركة ، من ناحيتنا ، لم تكن معدة اعددا جيدا . لم تكن قد حددنا بشكل سليم ، ابعادها واحتمالاتها ، » .

وتقول لىلى الشمال ، « فى وقت السحل اشتكرت مع الزميلات ، رغم ان هذا كان يمكن اعتباره مخالفا لخط الحزب « حذتو » . وبالفعل وجه الى نقد حزبى بهذا الخصوص . ان اشتراكى فى هذه المعركة ، يؤكد ان الطابع الانسانى ، كان هو الطابع الغالب على العلاقات فيما بيننا ، » .

\*\*\*

### الأمان :

كانت حماية الورقة والقلم والمخطوطات التى تحمل افكارا أو انداحا من ابداع الرفيقات معركة دائبة لا تتوقف . الادارة لا تكف عن مهاجمة العنبر تبحث عن أوراق ، أى أوراق . الكلمة هى اخطر الممنوعات ، والفكر هو ابشع المحظورات . لا تكف الادارة عن المحاولة للايقاع ، ولا تكف الرفيقات عن الحماية .

كانت انتصار خطاب هى مسئولة الأمان . وكان توفير مخبأ فى عنبر مكشوف ، يتواجد فيه الجميع ، بغض النظر عن عدم وجود اية

شكوك ، في اية واحدة منهم ، مسألة صعبة ومعقدة للغاية . ولقد تعرضت الرغيفات . ، بسبب عملية الأمان والتأمين تلك ، الى مفارقات غريبة . كان المعروف أن التفتيش الروتينى يتم صباحا ، الا انهم قاموا ، ذات مرة ، بالتفتيش ليلا . تقول انتصار خطاب ، « كانت قد وصلتنا الدفاعات السياسية التى قدمها الرفاق في القضية الكبرى . كانت مكتوبة على ورق البيرة . وكنت انا المسئولة عن اخفاء المطبوعات . وضعت الدفاعات كلها في علبة من علب الفيتامينات المصنوعة من الصفيح . وفجأة سمعت كلمة تفتيش ، فخبأتها في صدري . ودخل مأمور السجن ، وكان اسمه الليثى ، ومعه ملاحظة السجن كى تقوم بالتفتيش الذاتى ، أى المرور على الجسد من الخارج . وبينما هى تفعل ذلك معى سقطت العلبة . فاسرعت آخذها . جريت الى باب العنبر ومنته الى حوش السجن . كنت أجرى والسجانة خلفى والمأمور يصيح ، وراءها ، وراءها . فتحت العلبة وانا أجرى . انظت في اكل محتوياتها من دفاعات سياسية . كان البعض سهل البلع والبعض عسيره . العلبة كما رآها المأمور ، والملاحظة ، علبة ادوية . وانا ابلع ما فيها ، فتصورا انى اتناول دواء بغية الانتحار . كانت السجانة وهى تجرى خلفى تقول ، لا تخافى ، لن افعل لك شيئا . وهاصت الزميلات . وعندما وجدت انى قد اكلت اغلب اوراق الدفاعات السياسية ، باستثناء القليل عسير المضغ ، عدت الى العنبر وناولتها لليلى شعيب . وللحال اقلت بها تحت قدمها وهرستها في الرمال . »

وتقول ايون حبشى ، « افرج عنى في ٢٤ يوليو ١٩٦٠ ، ثم اعيد القبض على فى ٢٥ ابريل ١٩٦٢ ، تحت التحقيق ، الى ذمة قضية . وضعت في عنبر آخر غير عنبر المعتقلات . كانت حجرة مارى بابادوبلو ، وهى محكوم عليها بخمس سنوات ، تسبقنى ، وحجرة نوال الحملاوى ، وهى محكوم عليها بعامين ، أمامى . بدأ التفتيش بعد التام . فتشوا حجرة مارى ثم حجرة نوال ، ثم جاءوا الى حجرتى . وما ان بدأوا التفتيش حتى اصببت نوال بالاعماء ، فتركوا حجرتى دون ان يتمروا تفتيشها . بينما ارفع مرتبة السرير وجدت خطابات وصورا ومنشورا ونقودا . افأقت نوال الحملاوى ، فأخذت في سبهم . كنت حائرة بالاشياء التى وجدتتها ، اود ان تكف نوال عن السباب حتى لا يعوقوا مرة أخرى . كنت احس الحياء ترتفع الى قمة رأسى كلما سمعت وقع اقدام تقترب . كنت افكر اين اخفى هذه الاشياء التى وجدتتها . وضعتها في شراعة الشباك الا اننى سرعان ما قدرت انهم عندما يأتون للتفتيش في الصباح ، سيكون الشباك اول ما يقع عليه بصرهم . وضعتها بين الشماعة والحائط ، الا ان نفس



التخوف انتابني . وضعتهم اسفل جردل البول ، الا ان هذا المخبأ شائع معروف . اخيرا، احسست ان اعصابي قد ارهقت وتفتت ، فقررت ان للصق النقود وكانت ثلاثة عشر جنيها بالبلاستر في اسفل قدمي . اما باقى الاشياء ، فقد وضعتها اسفل الوسادة ، وسقطت نائمة . استيقظت فجأة ، وفجأة ايضا تفكرت انه بالامس كانت معي اشياء قيمت باخفائها ، الا انني نسيت تماما اين اخفيتها . اخذت ابحت في انفعال شديد ، في سرعة الشباك ، بين الشماعة والحايط ، تحت جردل البول ، ولكن عبثا ، اذ اني لم اعثر على شيء . رفعت الوسادة فعثرت على ما وضعته تحتها ، أما النقود فقد نسيت مكانها تماما . مضت ساعة وانا ابحت في عصبية قاتلة . اخيرا قررت ان اجلس في هدوء ، وان استرجع شريط الالمس . كنت اتناء للبحث ، والسير في الحجرة هنا وهناك ، احس بشيء ما في باطن قدمي . قلت لنفسي ربما اصببت نون ان ادري ، سوف ارى هذه الاصابة فيما بعد ، بعد عثوري على النقود . عندها جلست استعيد ما حدث ، مددت يدي ، بصورة تلقائية ، الى باطن قدمي . هنالك كانت النقود تحت البلاستر . في الصباح الباكر هربت كل ما معي الى عنبر المعتقلات .

وحدث ان افرج عن دفعة من الرفيقات ، هن انتصار خطاب ، ليلى شعيب ، ليلى الشال ، ليلى عبد الحكيم واسماء البقلى . وقامت انتصار خطاب قبل الافراج عنها بتسليم المخبأ الحزبي الى انجي افلاطون . وهاجمت المباحث العامة العنبر في مساء هذا الافراج . كانت تستهدف اثاره الشك بين هؤلاء اللواتي افرج عنهن . تقول انتصار خطاب ، د كانوا يودون بذلك ان يوقعوا بيننا وبين الزميلات في المعتقل ، وكاننا نحن الذين افشيننا سر الامان . الا انهم لم يعثروا على المخبأ أبدا . فقد كان معدا اعدادا جيدا .

افرج عن هذه الدفعة في سبتمبر عام ١٩٦٢ . وحل ، بالعنبر بعد خروجهن ، مزيج من الفرحة والكآبة . الفرحة بالافراج والكآبة لخروج خمس رفيقات ، فقط ، بعد ثلاث سنوات ونصف من الاعتقال ، وليس هنالك من سبب خاص يجعلهن يخرجن قبل الباقيات . كانت الدفعة الأولى قد خرجت في يوليو ١٩٦٠ ، مما طرح انطبعا باحتمال خروج دفعة كل عامين . قررت الرفيقات اقامة حفل سمر ، احتفالا بالافراج عن هذه الدفعة ، ورفعا لعنويات الباقيات في المعتقل . تم شراء اللوازم من مطبخ السجن ، كما تم تهريب الرفيقات المحكوم عليهن بالسجن ، والمقيمات في مستشفى السجن ، وذلك بالاتفاق مع السجانة النوبطشية لقضاء .

لليلة مع الرفيقات المعتقلات في عنبرهن . كما تم تهريب « واپور جاز »  
- وهو من المنوعات - الى العنبر ، لزوم أعمال الطبخ والاعداد .

كانت الليلة هي الموعد الذى تكتب فيه بعض الرفيقات خطاباتهن الى  
من لهن من اخوة أو ازواج أو نوى قريى من الرجال المعتقلين أو السجناء  
بمنفى المحساريق بالواحات الخارجة . ورأت الرفيقات ان ينتهين من  
الخطابات قبل ان يبدأ الحفل . وهكذا جلسن يكتبن .

في حوالى التاسعة فتح باب العنبر ، وفي ظلمة المدخل ظهر وجه  
السجانة ، يحمل تعبيرات مأساوية . قالت لها بعض الرفيقات ، من باب  
المداعبة ، هل هو افراج آخر ؟ فاشادت بوجهها ، كأنما تقول ، ان العكس  
صحيح . فجأة دفعت بها من الظلام يد مجهولة ، ثم اندفع الى العنبر  
زحام من الرجال ، انقضوا على العنبر في اول حدث من نوعه في تاريخ  
سجن النساء .

كانت المسجونات للعاديات قد لاحظن اعدادا كبيرة من الرجال  
تتسلل داخل السجن ، وهذا أمر ممنوع تماما . خيل اليهن انها « كبسة »  
موجهة ضدهن ، فانشغلت كلى منهن في حرق ما لديها من منوعات : نقود ،  
مخدرات ، ارز ، اكل ، أى نوع من أنواع المنوعات وهي كثيرة . كانت  
خسارتهم جسيمة ، خاصة بعد ان اكتشفن ان الحملة التى اطاحت بكل  
مخدراتهن ، انها هي حملة موجهة ، فقط ، الى عنبر الشيوعيات .

اندفع الى داخل العنبر عشرون ، واحاط به ثلاثون . في ثوان معدودة  
كان العنبر قد امتلأ بهم . في ثوان ، ايضا ، كانوا قد قفزوا على السور ،  
واحتلوها ، يقلبونها ، يفتشونها ، يثرون كل فوضى ممكنة في العنبر كله .  
كانت ثريا ادهم تكتب خطابا للسيدة حكمت أبو زيد ، وزيرة الشئون  
الاجتماعية ، والتي كانت ، عام ١٩٥٨ ، تعمل مع البعض منهن لتكوين  
« الاتحاد النسائى القومى » . فابتلعت ثريا ادهم خطابها . وجدوا  
منوعات عادية ، كالشاي ، والاقلام ، واوراق بيضاء ، وبعض الخطابات ،  
الا انهم لم يعثروا على المخبأ الحزبى . وكان مليئا بالوثائق . تقول انجى  
افلاطون ، « لو كانوا عثروا على المخبأ الحزبى ، لاثار ذلك شكنا ، دون  
شك ، فيمن افرج عنهن » . اثار ضبط الحملة الليلية مسألة ضبطهم  
المنوعات لديهم . فاعلنت الرفيقات انهن سيستخدمن كل ما يسمونه ،  
هم ، بالمنوعات . ثم بدأن هجوما شديدا ضد حرمانهن من الزيارة ،  
والجرائد ، وطرحن كل مطالبهن . كان مع الحملة بعض السيدات . وكان

ذلك يعنى ان هنالك نية لتفتيش الرفيقات ، تفتيشا ذاتيا . فاعلن انهن لن يتقبلن بهذا التفتيش ، وسيلجأن الى مقاومته ، فنراجع المسئولون عن هذه الخطوة .

وفي اليوم التالى ارسلت الرفيقات الى سجن القناطر - رجال وكل السجون التى بها رفاقا معتقلين أو مسجونين ، تفصيل ما حدث . كما قمن بارسال تلغرافات الى المسئولين فى الدولة بان حرمة المعتقل والسيدات المعتقلات قد انتهكت .

تقول انجى افلاطون ، « كان تحليلنا للاسباب الكامنة وراء هذه للكبتة ، ان المباحث العامة تود الايقاع بيننا وبين زميلاننا المخرج عنهن ، كما انها تشك فى ان سجن النساء يشكل حلقة وصل بين مختلف السجون والمعتقلات ، بل انها تشك فى ادارة السجن ذاتها ، فقامت بهذا العمل الذى لم يحدث له مثيل ، من قبل ، » .

\* \* \*

## ٢ - مواجهة الظروف الحياتية والمعيشية « الحياة العامة » :

الحياة العامة ، هى الحياة المشتركة داخل العنبر ، وما تقتضيه هذه الحياة من علاقات بالادارة . ويمكن تقسيم هذا العنوان العام الى مفردات ثلاث رئيسية :

( ١ ) الاوضاع المشتركة فى العنبر ، وتدخل فيها ظروف الإقامة والتغذية ؛

(ب) الجوانب الثقافية ؛

(ج) والنواحي الترفيهية .

### ١ - الاوضاع المشتركة فى العنبر :

كان على الرفيقات المعتقلات ان يواجهن الظروف المفروضة عليهن سون الخضوع لها . فالغذاء الردىء يجب تحسينه . والطعام المحدود يجب توزيعه بعدالة حاسمة . والحرمان من القراءة والكتابة ، يجب الاستعاضة عنه بكل ما لدى الرفيقات من خبرات وقدرات . والحرمان العاطفى ، يجب تعريضه بالأعمال الترفيهية . تقول افتقار خطاب ، « كان علينا ان نخضع الاوضاع القائمة لارادتنا ، ولا ننساق للخضوع لها » .

ونجحت الرفيقات فى لقامة حياة عامة واحدة للجميع بغض النظر عن الاصول الحزبية أو عدها . وهذا النجاح مبسالة يلزم التنويه بها

وبرازها ، حيث نجحت الرفيقات فيما لم ينجح فيه الرفاق في عابية  
السجون والمعتقلات . اثنتان فقط لم تشتركا في الحياة العامة ، هما  
اسماء حلّيم وسميرة الصاوى . تقول انجى افلاطون ، « لم نكن اى من  
اسماء البقلى أو سميرة الصاوى عضوة فى اى تنظيم حزبى . واعتقد ان  
اعتقال الأولى ، كان انتقاما شخصا ، لأنها كانت تقول ، فى الماضى ،  
اننا بعد انتصار الثورة ، سوف نعلق حسن المصيلحى فى ميدان العتبة .  
لم يكن لها منذ فترة طويلة اى نشاط سياسى . أما سميرة الصاوى فقد  
اعتقلت لنشاطها بين العائلات ، حيث كان زوجها أحمد طه ، مسجوناً  
بالواحات » .

تقول فاطمة زكى ، « كان مسموحا لنا نحن المعتقلات المصريات  
بالتعامل مع كائنتين السجن فى حدود اثنتين من الجنيهاً فقط للواحدة منا .  
خلال الشهر الواحد » . فى حين كان مسموحا للجاسوسة الاسرائيلية  
« مارسيل » بالتعامل حتى عشرة جنيهاً . كانت نقود الامانات التى لاي  
واحدة من الزميلات ، تقسم الى قسمين ، نصف للحياة العامة ، اى لكل  
العنبر ، ونصف للحياة الخاصة اى لصاحبة الامانة . ومن لا تأتيها نقود  
من الخارج ، تنال نصيبها بالتساوى فى الحياة العامة ، كما كانت تأخذ  
جزءاً من الحياة الخاصة ، تتصرف فيه بالطريقة التى تراها » .

وتقول ثريا ادهم ، « كانت الحياة الخاصة موجودة للجميع ايضا ،  
لإستخدامها فى الاتصال بالأهل تليفونيا ، وارسال خطابات لهم ، كذلك فى  
شراء حاجيات وهدايا رمزية ترسل للاهل ايضا ، كذلك شراء أى شئ غير  
موجود فى الحياة العامة كالبسكويت ، مثلاً . وهذه واحدة من النقاط الهامة  
التي لم تكن موجودة فى سجن الرجال » .

وتقول انتصار خطاب ، « لم تكن ، للكثيرات منا ، اية نقود كامانات  
على الكائنتين . كانت عائلتى معادية ، تماماً ، للشهوعية . وبذا لم يرسلوا  
لنى شيئاً . وان حدث وجاعنى اثنان من الجنيهاً ، فان ذلك يعنى فرحاً  
عظيماً . كنت انا وعائدة وزينب وسيدة ، لا تسمح ظروفنا المالية  
والعائلية بوصول امانات لنا ، وكذلك بعض الزميلات الاخريات . كانت  
تصل امانات لفاطمة زكى وثرى ادهم وانجى افلاطون وغيرهن . والحقيقة  
ان الزميلات اللواتى كانت تصل اليهن امانات ، قد تحملن باقى الزميلات  
طوال فترة الاعتقال . كانت المصادرة الفعلية تكاد تصل الى ١٠٠٪ من  
الدخل . كانت الظروف المعيشية صعبة للغاية ، كنا نعانى حرماناً شديداً .  
كنا نقسم كل شئ يصل الينا الى واحد وعشرين قطعة ، هى عددنا . وحتى



الموجودات منا في المستشفى ، بعيدا عن العنبر ، يجب عمل حسابهن وأرسال نصيبهن اليهن مهما كان محدودا . وكانت سعاد الطويل ، هي أخصائية التقسيم . تستطيع تقسيم أى شئ الى هذا العدد . كنا واحدة وعشرين في العنبر ، ونوال الحملاوى وزينات الصباغ في المستشفى وكذلك وداد مبرى .

وتقول فاطمة زكى ، « كان ان جاعنا باكو شوكلاته ، مثلا ، نقسمه بالتساوى على جميعنا ومعنا سجانة العنبر ايضا . كانت للقطع صغيرة جدا . وعندما كنت اعطى السجانة نصيبها ، كانت تضحك وتقول ، انا اعرف ذلك ، فتلك قسمة الشيوعيين . أى ان الكل يأخذ بالتساوى مهما كانت الكمية . كانت هذه السجانة مشهورة بقسوتها وشسختها . وكان المقصود من وضعها تلينا ، ارهابنا والتضييق علينا ، الا انها ، نتيجة لسلوكنا معها ، وعشق حبنا لبلدنا ، غدت متفاهمة معنا للغاية ، فقامت الادارة باستبدالها .

لم تحدد للحياة العامة مندوبة ثابتة للرفيقات عند الادارة . كان لديهن من تسمى بمندوبة اليوم . واحدة من الرفيقات يتم تحصيلها بالتناوب . وكانت مسئوليتها تتحدد في استلام الطعام من المتعهد ، واحضار ما يحتجن اليه من كائنين السجن . كما كانت هنالك رفيقة أخرى مسئولة عن نوبطسية نظافة العنبر ، وتلك مهمة كانت تقوم بها المسجونات العاديات ، كذلك ملا جردل المياه وتقريخ جردل البول ، واعداد مياه ساخنة للاستحمام .

كان الطعام الذى يحضره متعهد السجن رديئا وسيئا للغاية . تقول انتصار خطاب ، « كان على ان اقوم بطبخ هذا الطعام من جديد . الارز مثلا كانت به فضلات الفئران . يجب تنقيته وغسله جيدا واعادة طهيه بقطعة من الزبد او قليل من الزيت نشتريه خسه . امتنعنا عن اكل الحلاوة الطحينية ، فقد كنا نستخدمها كوقود ، وذلك قبل ان نستخدم زيت المطبخ فى اشعال « للتوتو » .

وتقول انجى افلاطون ، « لم يكن الاكل الذى يحضره المتعهد سيئا فقط ، بل كان غير كاف ايضا . كان دكاترة سجن النساء يساعدننا ، بان يمنحننا ، كعلاج ، أصنافا من المواد الغذائية . كانت هذه المواد تصرف لنا بالتناوب واحدة بعد الأخرى . وكان اكل المتعهد ومخصصات العلاج ، توزع على الزميلات المعتقلات ، والزميلات المسجونات ، والسجانة النوبطسية ، والسجينة النوبطسية . كنت ارى اننا يجب أن نأكل كل شئ حتى نستطيع

المقاومة . في أحد المرات كنا نأكل سبانخا . اثناء الأكل وجدت دودة ، فاخفيتها . بعد الأكل قلت للزميلات ، ان السبانخ كانت جيدة ، الا اننى وجدت فيها دودة . اصاب القرف بعض الزميلات . سألتنى واحدة منهن ، لماذا اخفيتها ؟ قلت ، حتى نأكل السبانخ . كان والدى عالم حشرات ، ومنه عرفت أن الدودة لا تأكل غير الخضروات ، وبالتالي لا ضرر منها . كان علينا ان نتحمل ، وأن نصمد ، وأن نقاوم .

الحرمان في السجن لا يعرفه ، أبدا ، الا من كابده وعاناه . قد تبدو بعض الحاجيات تافهة جدا للناس من الخارج . لكنها ، لمن يعيش بين الجدران ، مذاقا يشتهى أو ذكرى ترتبط بعادات انقطعت وتقطعت على بوابة السجن . قد تكون رائحة ما ، أو طعاما ما ، أو نوعا ما من المأكولات ، اتصالا لما انقطع . ربما خيط واه سرعان ما يعاود الانقطاع ، الا ان الومضة التى يشعلها في ظلام العزلة تظل زادا ، يمسك المسجون به ، يقاتله ، كذكرى عذبة ، ينبعث الحنين والحنان في جنباته .

تقول ايفون حبشى ، « كانت تلك أول مرة اسجن فيها . لم اكن اعرف كيف تتحول نقود الامانات الى الكانتين . كانت هنالك ضجة في العنبر . الكل تطالب بشراء « التوست » . لم اكن اعرف ما هو « التوست » ، فجلست اتأمل ما يجرى امامى ، المسئولة عن الكانتين تعلن أن « التوست » سوف يصل الى الكانتين ، قريبا . مر اسبوع ، عشرة ايام ، شهر و « التوست » لم يحضر . والكل تتسائلن ، متى يجرى « التوست » . حتى حدث في أحد الايام ان عادت ليلى شعيب ، تعلن في حماس شديد ، « وصل التوست » . وتناولت في همة شنطة قماشية ، واسرعت الى الكانتين . هاص الكل وزاط وكان نبأ الافراج قد جاء . عادت ليلى شعيب تحمل الشنطة القماشية مليئة « بالتوست » . ما ان ذاع الخبر حتى هرعته كل الزميلات ، من أى مكان هن فيه ، الى العنبر . قالت ليلى شعيب ، « التوست » على المنضدة . كنت اود ان اعرف ماهية هذا الشيء ، الذى اثار كل هذا الحماس . اود ان اعرف دون ان اكشف عن جهلى ، حتى لا يضحكن منى . كنت اقول لى نفسى ، أنت لم ترين فى بلدك غير « الجاتوة » ، وهنالك يسمونه « بسطة » . لا بد ان الامر اعظم من ذلك وخطر . اقتربت مثلهن من المنضدة ، فلم ار غير خبز مقعد . وانفجر كل التهيب الذى فى اعماقى . قلت لهن ، شهر بأكمله ، ولا حديث لكن غير هذا العيش المحمص . عليكن اللعنة . فى بلدنا نضع مثل هذا الخبز للدجاج ، بعد نقعه فى الماء . ثم حكبت لهن عن الصراع الذى عانيته طوال هذه الفترة بسبب جهلى بهذا « التوست » ، الذى كنت اتصور انه يضارع ما لم تروه عين أو تسمع به اذن . ومن يومها اسميت ليلى شعيب ، ليلى توست » .



لم تكن الظروف المعيشية تقف ، فقط ، عند حد الطعام ، كانت هنالك الاوضاع داخل العنبر المغلق طوال اليوم ، باستثناء التوجه الى دورة المياه صباحا وعصرا وطابور الصباح . كان الاغلاق يصل الى ثلاثة وعشرين ساعة في اليوم . وكان لابد من تغيير تلك الظروف المفروضة عليهن .

تقول فاطمة زكي ، « كانت خطوتنا الأولى هي ان نحارب حتى نحصل على بطانية اضافية ، نصنع منها ساترا حول جردل البول ، وقد نجدنا في ذلك ، ثم تمكنا بعد ذلك من احضار منضدة نأكل عليها داخل العنبر . ثم دكتين خشبيتين للجلوس عليهما . ثم دولا ب للخزين والملابس معا . ثم احضرنا من المستشفى تسائسا ، وصنعنا منه ستائرا وضعناها فوق النوافذ . وحصلنا على مراتب للمريضات منا . كنا نشترى المرتبة ، من السجينات العاديات ، بوجبة أكل من طعام المتعهد أو علبه سجائر . وكانت السجينات تجمعن زهور « ثفن الباشا » الموجودة في السجن ويحشبنونها في كيس . ليصنعن منه حشية أو وسادة . وبذا أصبح لدينا جميعا حشايا ووسائد . اما الملاءات فقد حصلنا عليها من السجن أو قمنا بتهريبها من منازلنا . ثم احضرنا مرآة . كل ذلك تم على مدة زمنية تكاد تصل الى اربع سنوات . وبذا استطعنا توفير بعض الضروريات .

« القلم قيمة كبيرة ، بالداخل ، لكتابة رأى ، خطاب ، عمل أدبي ، أى شئ . انه جوهري بالنسبة لنا . ولذا كان لابد من الحصول عليه بأي ثمن . اهتمينا الى طريقة نحصل بها على الاقلام من مأمور السجن نفسه . كنا نذهب اليه ، ثلاثة من المعتقلات ، واثناء الحديث معه ، تكون واحدة منا قد استطاعت « تطبيق » القلم من أمامه .

« ثم نجحنا في تهريب راديو ترانسستور الى داخل المعتقل . كنا نسمع عنه ونراه لأول مرة في حياتنا . وكان لتهريب هذا الجهاز الجديد العجيب قصة . لقد تعهدت واحدة منا على أن ترسل تطلبه من اسرتها . واتفقنا على أن تقوم عائلتها بزيارة مسجونة عادية ، حيث يمكن ادخال الجهاز ، عن طريقها ، بوضعه داخل البطة . وعلى باب السجن دخل الاكل مع الزيارة . وكان ابن زميلتنا ، الصبي الصغير ، مع الزائرين . وما أن رأى الباشسجانة حتى قال لها ، « يا تانت ، الراديو الصغير في البطة » . كان ذلك عند البوابة . وكان الطعام وفيه البطة قد وصل اليها في العنبر . اسرعنا نفتح البطة الا اننا لم نجد داخلها شيئا . واسرعت الباشسجانة الى العنبر كي تتأكد مما قاله الطفل . الا اننا عرضنا عليها البطة لقراها ، واقسمنا لها ، محقين ، اغلظ الأيمان ، بان شيئا من ذلك لم يصل اليها . كان من حظنا ان

الاهالى ، وهم قادمين للزيارة ، تراجعوا عن فكرة وضع الراديو فى البطة ، وسلموه لاحد المسجونات النوبطشيات عند البوابة ، وهكذا وصل اليها ، فيما بعد . وكاد هذا الصبى ببراءته ، وتصوره ان كل امرأة هى « خالة » ، وانه لا يمكن لامرأة ان تكون سجانة امه او قيذا عليها ، ان يفضح كل شىء .

« وكانت علاقتنا بالسجانة النوبطشية على غنبرنا ، حسنة . فوصلا معنا الى اتفاق ، ان تحتفظ به لنا معها ، خسية العتور عليه معنا ، مما يعرضها للعقوبة . كنا نسلمه لها اثناء النهار ، وتسلمه هى لنا اثناء الليل . كان راديو السجن يذيع الاغاني والاعبار ثم يخلق فى ساعة مبكرة . واحيانا كانت تمتد الاذاعة ، ان كانت هنالك سهرة ، الا ان ذلك كان يتوقف على الضابط النوبطشى . ولذا كان مزياعنا الخاص ، يحقق لنا قضاء سهرة حوله . كنا حينذاك ، نعد العشاء ، ونطقيء نور العنبر ، حتى نعيش كل منا انفعالاتها براحتها . لم اكن ، قبل الاعتقال ، احب ، على الاطلاق ، سماع ام كلثوم ، الا ان السجن جعلنى اعيش معها كل نغمة ، كل كلمة وكل همسة .

« كانت علاقتنا بالمسجونات العاديات ، عموما طيبة ، واحيانا طيبة للغاية . كن يحضرن لنا ما نشاء من اشياء ، بل وتخفين لنا المنوعات لحين الحاجة اليها . كن يخفين لنا الاشغال اليدوية التى نصنعها ، اذ كانت الادارة تمنع عنا الابر وخيوط الاشغال اليدوية . كن يأخذنها منا فى الصباح . ويعخذنها لنا فى المساء . كما كن يأخذن الكتب من مكتبة السجن باسمائهن ويحضرن هذه للكتب لنا ، لنقرأها خفية . »

تقول انجى افلاطون ، « من الطريف انه كان بالسجن مكتبة ، والمسجونات لا يقران . كنا نسبقأجر منهن الكتاب بنصف علبة من السجائر ، وقد وجدت ان عددا كبيرا من هذه الكتب ، مكتوب عليه محمد محمود ابو العلا ، وهو اسم زوجى الذى كان سجيننا فى سجن القناطر - رجال ، وكنت انا التى تجضر له هذه الكتب حينذاك . »



## ب - الجوانب الثقافية :

الكثرة من المعتقلات شابات . والثقافة فى السجن مسألة حيوية للغاية ، فإمام العزلة المتعمدة ، والمقصود بها تحويل السجينة السياسية الى سجينة عادية ، بتفريغها مع الوقت والزمن ، لابد من برامج ثقافية . وبدأت كل قادرة تعطى ما عندها فى صورة محاضرات : فاطمة زكى فى



العلوم ، أسماء البقلى فى التاريخ ، ثريا ادم فى اللغة ، جنيف سيف سيداروس انجليزى ، انجى افلاطون فرنسى ، كما كانت هنالك دروس تقوية فى اللغة العربية وهكذا . محاضرات الجغرافيا استركت فيها غالبية الرفيقات . بدأت المحاضرات بالقارة الامريكية . كان على كل رفيقة ، على دراية بفرع من المعرفة ، ان تقدم بلدا أو اثنين أو ثلاثة ، طبقا لما تجيده من معلومات . كما استطاعت الرفيقات الحصول على كتاب يحكى عى تاريخ الحزب الشيوعى البلغارى ، كان الكتاب باللغة الانجليزية ، فقامت جنيف سيف سيداروس بعملينى الترجمة والعرض .

ولم تقف الجوانب الثقافية على المحاضرات أو دروس اللغات ، وانما امتدت ايضا الى اعداد مجلة مسبوغة ، على غرار مجلة الهواء . وكانت انجى افلاطون واسماء البقلى هما المسئولتان عن هذه المجلة . كانت مقدمة المجلة تقول ، « انها تسمع ولا تقرا » تستمر الى ما لا نهاية ، حيث اننا لا ندرى متى تتوقف . كانت المجلة تشتمل على برنامج اطلق عليه اسم « بساط الريح » . وكانت كل رفيقة تروى فيه ، صورة من الحياة عاشتها . قدمت فيه اسماء البقلى ، فترة هروب زوجها ، اسعد حليم ، الى باريس ، وكانت هى معه . تطورت المجلة فاصبح لها غلاف . كان على واحدة من الرفيقات ان تقوم بتمثيل صورة للغلاف . وعند تنفيذ اول غلاف ، ضحكت الرفيقات من رفيقتهن التى جسدت الغلاف . وكانت تلك هى المرة الاولى والاخيرة لصفحة الغلاف المجسدة .

ومن ابرز الاعمال الثقافية - الفنية فى سجن القناطر - نساء ، لوحات للفنانة المعتقلة انجى افلاطون . احست ، انجى بعد شهرين أو ثلاثة من اعتقالها ، بانه يلزم لها ان تمارس فنها . كانت على قنائة بان الحبسة طويلة ، وان السجن بالنسبة للفنان ، فرصة عمر ليسجل أو يعبر عن احساسيس يمكن ان تخرج الكثير من اعماقه .

كان مأمور السجن ، حينذاك ، حسن الكردى ، فحاولت اقناعه بان يسمح لها بان ترسم . وكانت ، وهى هاربة ، قد حصلت على الجائزة الاولى فى مسابقة وزارة الثقافة والاعلام ، وكان ذلك تعزيزا لمكانتها . واخبرها حسن الكردى ان الرسم ممنوع طبقا لتعليمات المباحث العامة . فعرضت عليه ان ترسم لصالح السجن . أى تقوم هى برسم اللوحات ، ثم تسلمها للإدارة لتدبرها لحساب السجن . ووافق المأمور على ذلك . الا انه عندما رأى رسومها - فيما بعد - قال ، انها كثييرة للغاية ، وان احدا لن يشتريها . كان ، فى الحقيقة ، خائفا . فباللوحات تصور

السجن ، وهو يريد منها ان ترسم الطبيعة . عرضت عليه انجى ، باسم الزميلات ، ان يقمن هن بشرائهن . وهذا ما حدث بالفعل ، حيث تراوح ثمن اللوحة ما بين جنيهين وثلاثة جنيهاً . في تلك الاثناء ، اتصلت انجى بشقيقتها ، كي تحصل لها على تصريح رسمى بالرسم . وبالفعل قامت الشقيقة بجهد خارق تلغرافي وحركي ، حتى حصلت لها على التصريح اللازم ، سريطة ان تحضر المواد اللازمة للرسم على نهقتها ، عن طريق ادارة السجن . كما ترسل اللوحات الى مصلحة السجون ، فالمباحث العامة ، للتصريح بخروجها خارج السجن .

وفي احد الايام جاء واحد من كبار ضباط مصلحة السجون للمرور على سجن - النساء . ورأى لوحات انجى افلاطون ، فسألها ، لماذا لا ترسم الحياة في السجن ؟ فقالت ، ان السيد المأمور يخشى من مثل هذه الرسومات ، وللحال قال للضابط ذو الرتبة الكبيرة لمأمور السجن ، ان هذه فرصة لا تعوض ، فوجود فنانة مثل انجى افلاطون في سجنه امر لا يتكرر ، وعليه ان يدعها ترسم ما تشاء . وللحال ، ايضا ، سمح لها حسن الكردي بذلك ، فرسمت الطابور، والمغسلة والعنابر . بدأت تحكى خطوطها وتسجل مأساة سجينات سجن القناطر - نساء .

ثم جاء محير المنطقة كلها ، عباس قطب ، لزيارة السجن . واعجب بامال انجى افلاطون ، فسمح لها بأن ترسم في حوش السجن . وادى ذلك الى فتح باب عنبر المعتقلات طوال الوقت منذ الصباح حتى التمام . ولم يقف حد اعجاب عباس قطب بلوحاتها عند السماح لها بالخروج الى حوش السجن ، بل امتد هذا الاعجاب الى أخذ ما يعجبه من لوحاتها . وكان معنى ذلك حرمانها من بعض اهم لوحاتها . فان امتنعت عن اعطائه ما يريد ، ادخلها العنبر واغلق الباب . وهنا كانت تتعرض انجى افلاطون ، لضغط الزميلات ، حتى تتنازل ليعاد فتح باب العنبر . وعباس قطب هو الذى سمح لها ايضا بالرسم في عنبر الغسيل ، وهو اشبه بورشنة عالية يمكن عند الصعود فوقها رؤية المراكب السابحة في النيل خارج السجن . كانت الاجزاء العلوية من الاشرعة وفوقها الرجال يشدونها ، تبعد في لوحة الطبيعة ، وكأنها تختال داخل اسوار السجن . المنظر كله حركة ، والفتانة مقيدة . كانت الطبيعة الساحرة العائرة ، في ريشة الفنانة الخبيسة ، قيمة جمالية وانسانية بلا حدود .

حلت مشكلتي التصريح الرسمى بالرسم وحرية الحركة للفنانة المعتقلة . وطفئت للسطح مشكلة ارسال لوحاتها الى الخارج ، الى منزلها . كانت الدفعة الاولى لوحات ثلاثة ، مرت من مصلحة السجون والمباحث

العمامة ، حتى وصلت الى مستقرها ، في دارها . وكانت الدفعة الثنائية احدى عشرة لوحة ، صادرتها المباحث كلها ، وارسلت الى ادارة السجن خطابا مختصرا ، بان المباحث سوف تحتفظ بهذه اللوحات لاسباب امنية . تقول انجى افلاطون ، « بعد خروجي من المعتقل ، لم احاول استرداد هذه اللوحات ، حتى لا ادخل باب المباحث العامة اسأل عنها . كان بها لوحة هامة ، « بورتريه » ، لواحدة محكوم عليها بالاعدام ، وقد نفذ الحكم فيها ، بالفعل ، فيها بعد . اصابني الرعب بعد ذلك ، وغدا من الضروري أن الجأ الى تهريب اللوحات بعيدا عن طريق المباحث العامة . »

كانت عملية تهريب اللوحات عملية معقدة للغاية ، مصحوبة بكل المخاطر ، فهي ليست خطابا أو جريدة ، أو أى شيء من هذا القبيل . وكان سقوط لوحة لا يعنى ضياعها فقط ، وانما يعنى ايضا حرمانها من حق الرسم . كانت تهرب اللوحات ، واحدة بعد الأخرى ، مع السجانة . وتظل تعاني القلق والرعب حتى يهل الصباح ، وتطمئن الى سلامة وصولها . تقول انجى افلاطون ، « كان الرسم ، بالنسبة لى ، هاما للغاية ، فنيا ومعنويا . كانت هذه الفترة ، من الناحية الفنية ، فترة نضوجى الفنى والانسانى . انا فى حياتى الطبيعية ارسم الشعب والفلاحين . انهم ، فى اعتقادى ، الحياة الحقيقية . وكان السجن بالنسبة لى قرية صغيرة ، مقفولة . يؤرقة بها كل عيوب المجتمع . فى السجن ، حيث الوقت لا ينتهى ، لم يكن لدى وقت . كنت باستمرار مشغولة بهذا العالم امامى . كنت احس وكأننى قد منحت تفرغا للرسم ، عندى الوقت والتركيز . كنت اود ان اعبر ، قدر المستطاع ، عن هذا الوضع وهذه المسألة فى السجن . »

« كنت فى فترة مشتهرة من المسجونات بسبب فظاظة الفاظهن . كانت هذه الفترة ، فترة تمصير لى . فلجأت الى الطبيعة ، من وراء القضبان ، ارسم الشجر . كنت ارسم نفس الشجرة ، الواقفة الى جانب سور السجن ، خلال الفصول الاربعة . رسمت وردة ، بنت ، القنصل ، من وراء الاسلاك ، وغروب الشمس من خلف القضبان ، وهكذا . »

وجاء الى سجن النساء مأمور جديد . كان اسمه عبد القادر فهمى ، كان متشددا للغاية . مر السجن فى زمنه بأسوأ فتراته . كان يأتى ، وانجى ترسم ، ليتفرج . هو لا يأخذ لنفسه شيئا ، لكنه يراقب ، ويراقب بدقة . يطبق نظام السجن بصورة حادة . احست انجى افلاطون بالخوف . فهي ان هربت واحدة من لوحاتها ، فان هذا المحقق الصارم ، لابد وان

يكتشف غياب هذه اللوحة أو تلك . كان دائب السؤال . فماخذت في اعداد نسخة من كل لوحة ترسمها . تهرب الاصل وتحفظ بالنسخة . تقول انجى افلاطون ، « اصبحت اقلد نفسى . وكان ذلك يضايقنى اشد الضيق » .

وجاء عباس قطب لزيارة السجن . ووجدها ترسم صورة صبية ، هى ابنة واحدة من السجنيات ، وقد امسكت برتقالة ، وجاءتها الباشسجانة ، بعد الزيارة ، تطلب الصورة ، فقد ارادها عباس قطب كالعادة . الا ان انجى رفضت . والحت عليها الزميلات ان تقبل . والا تعرضن لغضبه ، وكترهن . واصر عباس قطب على أخذ الصورة .

كانت هذه الطفلة ابنة واحدة من تاجرات المخدرات ، محكوم عليها بربع قرن من الزمان . دخلت الطفلة عنبر الرميقات المعتقلات ، فى الصباح ، فاعطينها برتقالة . واخذت الطفلة فى اكلها . كانت انجى تراقبها ، فتأثرت وانفعلت بهذا المنظر امامها ، وللحال بدأت فى رسمها ، وخرجت اللوحة تنطق بالاحساس المتدفق الذى عانتته وعاشتته . كانت تحس بها جزءا من كيائها .

تقول ثريا ادهم ، « اوقعنا اصرار العهيد عباس قطب ، على أخذ الصورة ، فى مشكلة . حاولنا جميعا الاشتراك فى حلها . ووصلنا الى ضرورة احتفاظ انجى بهذه الصورة العزيزة عليها ، ذات القيمة الانسانية والفنية العالية ، على أن تقوم انجى برسم نسخة منها تعطيها لمدير المنطقة ، حتى لا يتشبث بموقفه ويحرمها من الرسم » .

وتقول انجى افلاطون ، « الفنان دائما لا يصنع نسخا لاعماله ، ولذا كذت مغتاضة من نفسى ، ومن الدنيا كلها . وبالفعل اعددت النسخة ، وسلمتها للباشسجانة عنايات ، وقلت لها ، هذه نسخة من الصورة الاصلية . ذهبت اليه وعادت تطلب الاصل حتى يراه . اعجبته النسخة فماخذها . الا ان السجانة عادت بعد اسبوعين ومعهما النسخة . قالت ، ان عباس بيه يشكرك ولا يريدما ، واستفزنى هذا الامر كثيرا . بعد العذاب ولا يريد ، سيادته ، اللوحة » .

تقول ثريا ادهم ، « أخذ مدير المنطقة اللوحة النسخة ، بعد ان قدر ثمنها بجنيه واحد لا غير . الا أنه اعادها لانها لا تصلح . انها ليست فى مساحة برواز لديه . وطلب منها ان ترسم له لوحة أخرى ، تغطى



مساحتها مساحة بروازه الفارغ . وكانت تلك فرصة سعيدة لى ، فقد أخذت اللوحة المرفوضة ، من سيادته ، ودفعت للجنيه الواحد الذى قدره لنفسه .



## ٤ - الفواحي الترفيحية :

الأعمال الترفيحية بين المعتقلات أمر ضرورى . اذ كيف يمكن كسر تلك الاسوار والقضبان ، وتوقيف لحظات تخرج فيها المعتقلات ، من ملل الايام التى تتكرر ، وقتامة العزلة التى يمكن ان لا يحتويها ان تجهز عليها .

تقول فاطمة زكى ، « كنا ننتهز اية فرصة ، عيد ميلاد ايه معتقلة منا ، عيلا ميلاد ابنها أو زوجها أو خطيبها ، لنعمل حفلة ترفيحية ، نرندى فيها الجيد من ملابسنا ، ونعد انفسنا كأننا فى الخارج تماما . »

ونقول ايمن حبنى ، « كنا نعد برامج ترفيحية متنوعة . من هذه البرامج ، برنامج الارجوز . كنا نضع ستارة فى ركن العنبر ، بعد ان رفعنا جردلى البول والمياه . كنا نستخدم اصابعنا للتعبير عما نشاء . قدمنا ضمن ما قدمنا ارجوز عسكرى المرور . هنالك سيدة تسير على الرصيف ، وتصعد ، من الشارع ، سيارة ندهمها فوق الرصيف . ويانى عسكرى المرور ، فترشوه السيارة . وعندئذ يؤنب للعسكرى السيدة المصابة ، لانها تسير على الرصيف والشارع بالغ الانساع . »

« كنا أيضا نقيم حفلات تفكرية ليلة رأس السنة . وقد تفكرت لى الشال ، ذات مرة ، فى زى غاندى . كان جسدها ، من الناحية الفنية ، يساعدها على ذلك . وتذكرت معها زينب فى صورة عنزة غاندى . »

« كنت أنا متخصصة فى تقليد الزميلات . كان البرنامج لا يتعدى خمس دقائق . الا أن التطبيق عليه كان يستمر نحو الساعة ، كلها ضجيج وضحك واحتجاج وتهديد . حتى جاءت زينات الصباغ فقلقتنى . أضحكت الجميع على ، ونالت الجائزة « ابرة وابور » . كان لاتجى افلاطون قبقابا خشبيا غاية فى الأناقة ، غاية فى العلو ، حتى يمكنها الدخول به الى دورة المياه . وكانت انجى نفسها تطلق عليه اسم « المعية » . وكنت أنا أنتظر تركها له حتى البسه داخل العنبر ، اتمشى به جيئة وذهابا ، فأبدو طويلة للأغاية . والتقطت زينات هذا المنظر واجادت تقليده . »

« كانت القفشة والنكتة والضحك جزءا من أساليب مقاومتنا لما نحن فيه » .

وتقول انتصار خطاب ، « كنت ، وأنا في الخارج ، كثيرا ما اذهب الى المسرح ، وخاصة مسرح الريحاني ، ومن هنا بدأت ، في الداخل ، كتابة هذه المسرحيات ، قدر الامكان ، من الذاكرة » . كنت اقوم بعد ذلك بتوزيع الادوار والاخراج . لم اكن اعرف شيئا عن التمثيل . كانت محسنة توفيق وليلى الشال وليلى عبد الحكيم وفاطمة زكي هن اللواتي يقمن بالتمثيل .

« ولقد قدمت داخل العنبر مسرحيات الدلوعة وقسمتى وعبد السلام افندى . أما على نطاق السجن كله ، فقد قمت بتأليف بعض الاشياء ، وكنت اقوم ايضا باخراجها . كنت اصمم الرقصات ، وكانت في السجن سجينات من فتيات الكباريهات ، يجدن الرقص ، ويحفظن كثيرا من الاغاني ، ويقدمن في هذا المجال مساعدات كثيرة . كانت معنا سجانة ايضا ، صوتها نشاز وبشع للغاية ، لكنها قدمت في احد المرات اغنية جديدة اعجبتنا فاستمعنا اليها بانصات شديد » .

« قبيل الافراج عني ، اعددت حفلة للسجن كله . صرحت الادارة لي بنوثة وقلم حتى اكتب الادوار . اخترت الفتيات ، واخرجت العمل » . وجاء يوم العرض ، وحضره مدير السجن ، الا انني ، بعد كل هذا الاعداد ، منعت من الحضور ، طبقا للوضع الذي كان مفروضا على المعتقلات » .

وتقول ثريا ادهم ، « شكلنا فريقا للتمثيل داخل العنبر » . كانت معنا الفنانة الكبيرة محسنة توفيق . كانت محسنة بالطبع هي للبريهادونا . تتصرف دائما كبطلية ، لا بد لها من وقت طويل للاستعداد قبل ان تخرج للتمثيل . هي اصلا حائزة على الجائزة الاولى للتمثيل في الجامعة . كان تمثيلها رائعا وجميلا للغاية . كانت تلعب الدور الرئيسي والاساسي في كل عمل تقدمه . كانت تمثل امامها ليلى عبد الحكيم وليلى الشال واميمة ابو النصر ، وكانت الاخيرتان تقومان بتمثيل دور الرجال . كانت انتصار خطاب هي التي تتولى عمالية الاخراج . كنا نعد الملابس وكل الاشياء بايدينا . قدمت الفرقة تمثيليات عالمية وكذا تمثيليات محلية ، مثل « الناس اللي تحت » . كان ذلك في عنبرنا ، ولنا وحدنا كنوع من الترفيه عنا .

« لم تكن محسنة توفيق ممثلة فقط ، بل كات مغنية ايضا . كانت كثيرة الدلال . صوتها جميل جدا جدا . كل ليلة نطلب منها الغناء ، الا انها لم تكن تستجيب عند اول طلب لنا . كان لابد من الالاحاح عليها ، خمس او ست مرات ، حتى تعلن قبولها وتأخذ في الغناء . كان دلال محسنة توفيق يثير قلق انجى افلاطون . فانجى تحتاج الى ساعة من الهدوء التام قبل أن تنام . ودلال محسنة توفيق ، يقود الى تأخير نومها . ولذا فانه ما أن تبدأ محسنة دلالها حتى تبدأ انجى في استعطافها . وهنا تقول لها محسنة ، سوف أبدا ، من أجل خاطرك . فانا اعلم انك ، بعد ان ننتهى ، سوف تحتاجين لوقت طويل حتى ننامى . وتبدأ محسنة في الغناء . كانت تغنى لام كلثوم وعبد الحليم حافظ وسيد درويش ، وكذا الاغاني القديمة لعبد الوهاب . كنا نطفئ النور . وتعيش كل منا في عالمها الخاص . كانت تلك من اللحظات العذبة في حياتنا المعذبة ، »

الا ان كل ذلك ، ما كان ليذهب بذلك للحرمان العميق الدفين للامهات المعتقلات المحزومات من رؤية ابنائهن . كانت تلك العاطفة العاصفة التى لا نقارم ، هى التى تعتمد المباحث العامة عليها ، أداة للضغط وفرض الضعف والانهيار .





# الفصل الثالث

## أطفال السجون

• أطفال السجون انواع . أطفال داخل السجن وأطفال خارجه .  
هنالك أطفال المسجونات العاديات ، هؤلاء الذين دخلت بهن أمهاتهن ،  
وهم دون الثانية ، أو هؤلاء الذين ولدوا داخل السجن ، هؤلاء يظأرون  
مع أمهاتهن حتى يبلغوا من العمر عامين ، ثم يتحتم خروجهم الى أمهم ،  
ان قبل الأهل ، أو الى الاصلاحية ان رفضوا . والطفل السجين يتحمل  
مع أمه وعنهما ، نصيبا من الحكم الذى عليها تنفيذه .

وهنالك أطفال المعتقلات ، هؤلاء الذين دخلوا المعتقل فى بطون  
أمهاتهم ، وخرجوا الى الدنيا ليروها ، من خلف القضبان ، سجننا  
وسجاننا . وهنالك أطفال الرفيقات المعتقلات والذين استيقظوا ذات يوم  
فلم يجدوا ايا أو أما . أو هؤلاء الذين رأوا والديهم يخطفون بليل ، ثم  
بختنن فى المجهول . وكان على هؤلاء الاطفال وأمهم ، أن يخوضوا  
كل صنوف المعارك والمراوغة والتحايل حتى ترى الأم وليدها ، أو يرى  
الطفل أمه .

وهنالك أبناء السجانات ، هؤلاء للرضع الذين نحضرهم أمهاتهن  
معهن الى السجن .

وهنالك ايضا أطفال ضباط السجن ، هؤلاء الذى يسكنون فى  
مبناه .

سجن القناطر - نساء ، ليس سجننا للنساء فقط ، لكنه ، ايضا ،  
سجن للاطفال . هذا السجن الذى تخنق فيه العواطف ، تشكل الامومه  
فيه خيطا غير مرئى يربط بين الجميع بصورة لا تتوافر فى أى مكان آخر .  
تقول انتصار خطاب « كان علينا سجانة ، فظة غاية النظاظة .  
وكان باب العنبر ، فى بداية الاعتقال ، مغلقا ، علينا ، ليل نهار . فى  
أحد المرات ، وكان قد مضى علينا ايام ثلاث أو أربع ، كنت اطل من نافذه  
العنبر ، فرأيت السجانة تجلس على العشب أمام العنبر ، ترضع  
ابنتها . تعطيها ثديها ، وتلعب لها فى رأسها . كانت أمامى مجرد أم  
عادية . فذهبت للحال رهبتها . مسحت ، تماما ، وكأنها لم تكن .

وكان عبد القادر فهمى ، مأمور السجن ، يقيم هو وأسرته فى بناء  
السجن . وكان لهذا المأمور طفلة . ولم تكن تلك الطفلة تحب اللعب

مع احد غير الطفل ياسر ابن اسماء البقلى ؛ المعتقلة . كانت الطفلة تطل من أعلى ، حيث يفتح باب سكنها على الطريق العام خارج السجن ، والطفل ياسر معتقلا يعيش أسفل داخل السجن . كانا يقضيان الوقت ينظران الى بعضهما البعض ، والطفلة تبكى ، تطالب اباهما بأن يحضر لها ياسر ليلعبا معا .

والطفل ياسر اسعد حلیم قصة في ذاته . اعتقلت والدته اسماء البقلى وكانت حينذاك حبلى في آخر ايامها ، تعاني مصاعب ومتاعب حقيقية ، حاول طبيب السجن معاونتها حتى تلد في معتقل مستشفى القصر العینى بالمنيل ، حرصا على الطفل ، حتى يقال أنه ولد بالمستشفى ولم يولد بالسجن . ساعة الوضع كان هنالك جندي في حراستها ، يقف على رأسها ، وهي تصرخ وتعالى . عندما حاولت الامساك بشيء ما ، وهي تتألم ، أمسكت بيد الجندي الحارس ، فأخذ في البكاء والسباب . ظلت الام وياسر شهرا بالمستشفى ثم عادا الى السجن . واصبحت دنيا ياسر هي دنيا السجن والمعتقل . تقول ثريا ادهم ، « كان ياسر صبيا لطيفا فأحببناه . كان كالبنسة لنا جميعا . كان يسرى عنا . وكانت كل منا تمارس فيه أمومتها وحنانها المختزن وشسوقها الى اولادها . كان ياسر رمز كل الابناء في الخارج . اشتركنا جميعا في تربيته والعناية به . كان بالنسبة لنا ، شيئا ثميناً ، غالياً ، ظل معنا مدة سنتين » .

وتقول فاطمة زكى ، « كانت صلة ياسر بالعالم الخارجى هي المتعهد فقط . كان يخرج معنا طابور الصباح ، ثم يحضر مقابلة المتعهد ، الذى كنا نطلب منه أن يحضر له شيكولاته ، وأن يستبدل اللبن بكويكر اوتر . كان ينطق اسمى « كاك بكى » . وفي احد المرات كنا نجلس نحدثش معا ، عندما سألتنى ، « كاك بكى ، انت عندك اولاد ؟ » فقلت له ، « لا يا حبيبى » . قال ، « اطلبى من المتعهد أن يحضر لك وادا » . كان يسمى انتصار خطاب « زوس » وسعاد الطويل « بوبس » وثرى ادهم ، « أحتم » .

وتقول لیلی الشال ، « منح ياسر أمه شعورا بالتميز . كانت هي لها طفلها ، ونحن ليس معنا مثيله . كما اننا جميعا كنا نحب مداعبته وملاعبته . كلانت أحيانا تحابينى ، فتمنحني هذا الحق ، كما كان ياسر يعطينا حق توجيهنا ، كأن تقول مثلا ، لا تتكلمى أمام الطفل هكذا يا فاطمة او يا لیلی » .

عندما عادت الأم وياسر من القصر العيني ظلا في حجرة مستقلة . كان الغرض من ذلك الا يؤثر عليه جو السجن ، كما أن الرفيقات ، للشابات المعتقلات ، كن كثيرات الصخب والضجيج ، الا انه مع ذلك لم يكن بعيدا عن العنبر . كانت الرفيقات يحضرنه من حجرتهم ، الى العنبر ، يقضى معهن بعض الوقت ، ثم يعدنه الى الغرفة . وعندما غدا في وسع ياسر ان يسير ، كان يحضر الى العنبر بمقرده . كانت الرفيقات وقد غدا واحدا منهن ، يستخدمه في عمليات الاستكشاف . كانت ادارة السجن تبدل السجانة كل شهر ، وكانت الرفيقات تحاولن معرفة السجانة الجديدة القادمة . كانت هنالك السجانة أم عفيفى القاسية ، والتي كان يعتبر شهرها ، سجنا داخل السجن . وكان ياسر في العنبر يوم التغير الشهري هذا ، فأخرجته الرفيقات من حديد نافذة العنبر ، ليستكشف الأوضاع عند الادارة . وعاد ياسر من حيث خرج ، وسأله الرفيقات عن السجانة القادمة ، وللحال اجاب ، « يا خبر أسود . دى أم عفيفى » . ومن يومها أصبح « يا خبر أسود » هو الاسم الجديد لتلك السجانة . لقد غدا ياسر ، في هذه السن المبكرة للغاية ، مدركا للأوضاع التي يعيشها المعتقل .

وفكرت أسماء البقل ، في ضرورة اخراج ياسر من السجن . كانت الظروف غير مناسبة البتة ، ولأنه بدأ يتعلم اشياء ، من عالم ليس بآى حال هو عالم الطفولة . كان استمراره في السجن أمرا ضارا به وبتكوينه النفسى . الا ان اخراجه من السجن كان مشكلة ايضا . فياسر لا يعرف احدا من أسرته . لا اخوته أو جدته . وكان أبوه في سجن القناطر - رجال ، على بعد خطوات من سجن النساء ، لكن المباحث العامة رفضت رفضا باتا أن يرى الأب وليده .

لم يكن القرار سهلا على الام . كانت مرتبطة به ارتباطا كليا . وكان خروجه يعنى حرمانها من رؤيته مدى لا يعرف أحد حدوده . الا ان مصلحة الطفل ، كما أن الحين كان قد اوشك ان يحين ، من زاوية اللوائح والقوانين ، كانت تحتم ضرورة اخراجه من السجن . وانتهى تفكير المعتقلات ، وكلهن أم لياسر ، الى أهمية مرحلة انتقالية ، تهيئيه ، تقضيها الام وياسر في مستشفى القصر العيني ، حيث يمكنها من هناك ان تحاول تعريفه ، بأخوته خارج المعتقل ، وبأهلها الذين سوف يعيش معهم عند خروجه . وبالفعل نجحت المحاولات في نقلها الى مستشفى القصر العيني ، في ديسمبر عام ١٩٦١ . ومن هناك بدأ الطفل يتعرف على أسرته وأهله ، شيئا فشيئا . كان معتقل المستشفى مكونا من

جزأين . الدور العلوى وبه بعض الرفاق ، والدور السفلى وكانت به  
الأم ، أسماء البقللى . كان بأسر يطلب باستمرار ان يصعد الى الدور العلوى ،  
فهناك يستطيع ان يفتح للنافذة دون ان يرى الحراس وقد سدوا عليه  
كل المنافذ .

ويوم ان جاء اخوته لأخذه ، يوم ان غادر المعتقل ، انطلق يجرى  
ويجرى دون ان يتوقف . لم يستدر للخلف ابدا ولا حتى التفت ورائه .  
لم يبادل أمه كلمة . لم يقبلها قبلة الوداع . انطلق يجرى هاربا من كل  
تلك الاشياء التى شكلت حياته السابقة . ورفض فيما بعد ، ولدة  
طويلة ، ان يزور أمه أو يراها . كان يخشى قضبان الحجرات والحراس .  
ارتبطت أمه فى ذهنه بكل ما عاينه . وعادت أسماء للبقللى من معتقل  
المستشفى ، الى معتقل سجن النساء وحيدة .



كان تعذيب الامهات بحرمانهن من ابنائهن هو واحد من اسود  
الاساليب الهمجية التى لجأت اليها الدولة عند التعامل مع المعتقلات .  
وكانت ثريا شاكر قد تركت ابنائها الثلاثة ، ليلة عيد الميلاد الثامن  
لكبرهم . وكانت صغراهن رضية لم تتجاوز العام الاول من عمرها .  
كان زوجها فوزى حبشى قد القى القبض عليه ايضا . وعاشت ثريا  
شاكر كل تجربة العذاب والمقاومة . كانت رمزا للامومة الدافقة ،  
وكانت ، ايضا ، رمزا للعناد والصلابة ، فى مواجهة محاولات الاحضاع  
والاذلال . بذلت كل ما فى وسعها من حيل ومخاطرات .

صباح يوم زيارة ، وجدت الرفيقات المعتقلات ، الصبى عبد القادر  
احمد طه ، ابن المعتقلة سميرة الصاوى ، واحمد طه المعتقل بمنفى  
المحاريق ، يدخل السجن ويصل حتى عتبر المعتقلات . كان مجرد ظهوره  
فى العتبر ، مصدر تقجير لشاعر المعتقلات الفياضة ، فانهلن عليه نقبيلا .  
رأت ثريا شاكر فى هذا الحدث منفذا يمكن ان ترى من خلاله ابنائها .  
نبأته ان كان فى وسعه الذهاب الى منزلها ورؤية ابنائها ، فاعطى الصبى  
استعداداه . طلبت منه التوجه الى السيدة والددة الشهيد محمد محمود  
عثمان ، وكانت جارة لعبد القادر يعرفها ويعرف الطريق اليها ، وهى لابد  
ستعرف كيف تتصرف . وجاء يوم الزيارة ، وجاء ابناء ثريا شاكر وقد  
لبسهم الاهل لباسا انيقا . ولذا ما ان دخلوا السجن وظهروا فيه  
حتى ذاع نبا وصولهم . كانوا قد دخلوا ، كما فعل عبد القادر ، مع زيارة  
المسجونات العاديات . لم يدخلوا فناء السجن مباشرة مثلما دخل  
عبد القادر ، فامسكت بهم السجانات على الفور . ورأتهم امهم عن بعد ،



فأخرجت رأسها من حديد نافذة العنبر ، فأنحشرت بين القضبان . تقول ثريا حبشى ، « رأيت الثلاثة ، فأخذت أرجو السجانات أن يتركودم ، إلا انهن رفضن رؤيتى لابنائى رفضا باتا . واخذن فى الاحتجاج حول كيفية مجيئهم وكيفية دخولهم الى السجن ومن الذى ادخلهم . وكانت تلك اول محاولة ، »

ايفون حبشى المعتقلة تحولت الى مسجونة ، وبذا اصبح من حقها ان يزورها أهلها . وبدأت ثريا شاكر تفكر فى الاستفادة من تشسابه الاسماء ، كان ابنيهما يحملان اسماء ، ممدوح حبشى وحسام حبشى . اتفقت مع ايفون حبشى أن تتهاوض ، وبذا تنقل الى مستشفى السجن ، حيث يمكن لثريا شاكر ان تذهب الى هناك وترى ابنيهما فى زيارة « قريبتهما » ايفون حبشى . الا انها فوجئت يوم للزيارة باغلاق للسجن واستدعائها . فادعت انها بدورة المياه فى مستشفى السجن . الا ان ضابط المباحث وضباط السجن احتلوا الحجرة التى توجد بها ايفون حبشى ، وجلسوا هناك فى كمين فى انتظار قدوم الطفلين . دخل الصبيان الحجرة ومعهما قريبة لهما كانت ترعى الاطفال الثلاثة وتهتم بهم . اخذ الضباط والسجانات يدقون باب دورة المياه واحدهم ينادى ، « اخرجى لترى ابناك » . قالت ، « وهى ما تزال داخل دورة المياه ، » انهم ليسوا بأولادى ، . كانت تخشى عليهم وعلى قريبتهم . قال الضابط ، « وكيف عرفت انهم ليسوا بأولادك وانت لم تريهم بعد ؟ فخرجت متحدية ، « نعم ، انهم اولادى ، وحذار ان يتعرض لهم أى واحد منكم . لسوف افعل ما لا يخطر لكم على بال » . ثم أخذت تسبهم سبا عنيفا . كانت فى حالة سيئة للغاية ، حتى ان الضابط نفسه تأثر لحالها فقال لها ، افعلى معهما ما تشاين ، جالسيهما ، قبليهما ، افعلى ما تريدين ، . وللحال هجمت عليهما تحتضنهما وتقبلهما . كانت غاية فى التوتر ، وكذا الطفلان . حاولت المباحث العامة بعد هذا اللقاء ، احتجازها وقريبتهمما بتهمة « زيارة بدون اذن » . الا ان مأمور السجن تدخل لمنع هذا الاحتجاز ، كما كانت الزيارة من الناحية الرسمية والشكلية صحيحة ، من حق ايفون حبشى .

مضى اسبوع ، وحضر الى السجن طاقم من كبار الضباط ، قوى الكابات الحمراء . تحلق الجميع حول منضدة . تشكلت هيئة محكمة داخلية ، قضاتها « جنرالات » مصلحة السجون . اسرعت للسجانة ، وهى تنتفض ، رعبا ، تستدعى ثريا شاكر . عندما دخلت ثريا ، الحجرة ، ورات كل هذا « الهيلمان » ، أمامها ، ادركت النية المبيتة لها ، فتملكها

شعور عارم بالتحدى . طلبت ان يسمح لها بالجلوس ، فرغض طلبها . اعلنت انها ، بدورها ، ترفض اى حديث معهم . احضروا لها مقعدا ، فجلست . سألها كبيرهم ، كيف دخل ابناؤها الزيارة ؟ فلم تجب على السؤال كما يلزم ان تكون الاجابة . صرخت فى قضاتها ، كيف تأتى لكل هذه الرتب ان تحضر هذا المكان ، محاكمة أم رأت ابناؤها ؟ كيف يزعمون انهم بشر ، يقولون بالديمقراطية ، ويفعلون هذا الذى يفعلون ؟ « الا تحسون بالخلجل » .

كانت منفعة غاية الاتفعال ، فتحول السادة المحاكمون ، من ثائرين فى وجهها ، الى مهذبين لها . الا انه كان عليهم استيفاء تلك المحاكمة المهزلة . سألوها مرة أخرى ، من الذى انبأ ابناءها بالزيارة ؟ وعادت ثريا الى ثورتها من جديد ، « من يدرينى وأنا المحبوسة قيد المعتقل ، أو ربما تسعون الى محاكمة الصغار ، لانهم حاولوا رؤية أمهم ؟ . اية عقول ، واية عواطف ، واية مشاعر تلك التى حملتكم الى موقفكم هذا ؟ البستم آباء ؟ اليس لكم ابناء ؟ الا يعرف أحدكم معنى الابوة أو الأمومة ؟ الا تحسون بالعار وقد واتتكم الجراة على محاكمة أم ، كل جريمتها انها سعت لرؤية ابنها ؟ الا ترون انكم اوجب بمحاكمة انفسكم لحرمانكم ام من بنينا ؟ » .

وانقلبت المحاكمة . كانت ثريا شاكر تتكلم وهى تحت وقع المفاجأة المذهلة التى كان عليها مواجهتها ، كما كانت تترجح ، ايضا ، تحت هذا العبء الثقيل من الحرمان العنيف لها من امومتها والاطنينان على بنينا . كان هنالك من يكتب كل ما يقال وما يدور . وانتهى الامر الى لا شئ .

مرت الايام وفوجئت ثريا شاكر ، مرة أخرى ، بمأمور السجن يستدعيها : « وجدت هنالك طفلة صغيرة تجلس على مكتبه . كانت جميلة كالقمر . وقفت امامها . اتأملها ، امعن فيها النظر ، واتساءل ان كانت تلك هى ابنتى نجوى . كانت الطفلة تنظر الى ايضا دون ان تعرفنى . لم اكن قد رأيتها منذ عامين . قال مأمور السجن ، الا تعرفين هذه الطفلة ؟ وللحال تحول شكى الى يقين . هذه الجميلة هى ابنتى ، اختطفتها ، انهلت عليها تقبيلًا . قال حسن الكردى ، مأمور السجن ، « لقد جاء بها عنها هذا الصباح ، قال لى « ان الطفلة تريد رؤية أمها . لقد استيقظت اليوم تتساءل عن صورة أمها ، تود ان تراها . اننا لا اينى زيارة الام ، لكن ها هى الطفلة امامك ، انها تريد ان تعرف على أمها ، ومرجع الامر الى

انسانيتك » . وأنا كآب لم استطع ان امنعها من رؤيتك ، رغم مخالفة هذا اللوائح والقوانين » .

« كنت اخضن ابنتي وابكى . وهى الطفلة الذاهلة لما جرى حولها ، أخذت فى البكاء ايضا . قال مأمور السجن ، « هذا يكفى » . ثم اخرج من درج مكتبه علبة ملبن ، ناولها للطفلة قائلاً ، « خذى هذه فهى من ماما » . الطفلة كانت خائفة واجفة ، وأنا اقول لها ، انا امك ، متجيبنى ، « وأنا اريد جدتى » .

« فتح المأمور باب حجرته ليخرج الطفلة الى عمها ، رأيته فحييته شاكرة ، الا ان المأمور طلب منى الا افعل ذلك ، فالامر كله على مسئوليته الشخصية . شكرته اجزل شكر . قلت له ان ما فعله اليوم كان موقفا انسانيا ، لن ننساه له ابد الدهر » .

اقترب أحد الاعياد . وكان مسموحا ، فى مثل هذا اليوم ، ان ياتى ابناء السجينات العاديات لقضاء اليوم مع امهاتهم . سألته الرفيقات الباشسجانة ، ان كان فى وسعهن ، هن ايضا ، ان يرسلن فى طب اطفالهن لقضاء العيد معهن ، فوافقت . وللحال ارسلت كل واحدة الى اسرتها تطلب منها ارسال الابناء للزيارة . وحضر ، فى اليوم الموعود ، ابناء ثريا شاكر وثريا ابراهيم وانتصار خطاب وسهيرة الصاوى . دخل الابناء جميعا ومعهم طعام العيد والزيارة . وضعتهم الباشسجانة فى غرفة ما ، وطلبت من الرفيقات ان يقضين وقتهن مع ابنائهن دون ضجة ، اذ لو عرف المأمور بما فعلت فانه « سيخرب بيتها » . لكن الاحتمال الاكبر ان المأمور كان يعرف . كان هو الانسان حسن الكردى ايضا . الا انه كان من الضرورى ان يبدو وكأنه لا يعرف . وقضت الرفيقات يوما من اسعد ايامهن . لم تكن الزيارة قاصرة على الامهات . شاركت فيها كل الرفيقات . تقول ليلى الشال ، « كانت المشاعر الانسانية ، فيما بين الزميلات ، هى الغالبة » . تكنا يوم حضور بعض ابناء الزميلات للزيارة ، نحضر شيكولاته للاطفال ، ونقوم جميعا بعمليات التسريب والتهرب . كان اليوم ينتضى فى جو طيب ، ثم ينقلب العنبر بعد الزيارة الى محزنة » .

كان مستشفى القصر العينى منفذا هاما للزيارة او لرؤية الامهات ابنائهن ، او المعتقلات لخوايهن . الا انه كان ، ايضا ، مصيدة رهينة للمباحث العامة ، ومجالا من مجالات ارهايقها وتكديرها للرفيقات المريضات .

ذهبت ثريا شاكر الى المستشفى للعلاج . كان والدها يعطم بيوم ذهابها ، فقرر أن يأخذ ابنتها نجوى اليها ، فيرى الأب ابنته المعتقلة ، وترى ابنته المعتقلة ابنتها الطفلة . عندما رأت ثريا شاكر ابيها اسارت له ان يبتعد ، الا ان المخبر المرافق لها ، تنبه الى اشارتها ، فسألها ان كانت تلك الطفلة ابنتها ، فانكرتها . الا انها كابتة وأم ، لم يكن في وسعها الا ان تنظر ناحية ابيها وابنتها ، وتظاهر المخبر بالابتعاد ، فانقضت ثريا شاكر على الطفلة تحتضنها . وللحال ظهر المخبر ، والقي القبض على الأب والحفيدة ، واقتادها الى المباحث العامة . كان الرجل في الخامسة والستين والطفلة في الثالثة من عمرها . وفي المباحث العامة ظلوا يدورون حول قضية واحدة ، في عدد من الاسئلة . كيف عرف الاب بذهاب ابنته الى القصر العيني ؟ وما الذي دعاه للذهاب الى القصر العيني ؟ وحاوهم الرجل وداوهم بدعوى الصدف ، حتى جف ريقه . وفي ساعة متأخرة من الليل اطلق سراح الرجل الكهل والابنة الطفلة .

وحدث نفس الامر لاختيها ايضا . امسك به اثناء محاولته رؤيتها في نفس المستشفى واقتيد الى المباحث العامة . وهناك التقى بأحمد صالح داود ، رئيس مكتب مكافحة الشيوعية .

ومرت الايام ، والتقى الأخ بأحمد صالح داود مرة أخرى . كان ذلك في الجزائر . الاخير كان مرافقا لجمال عبد الناصر ، والاول كان مدعوا باعتباره خبيرا في المعارض . قال له أحمد صالح داود ، « اتذكر اني قد رأيتك من قبل . لكنني لا اتذكر اين » . وقال له الآخر ، « حقا لقد التقينا من قبل ، لكنني اتذكر اين » . وكانت الجزائر فرصة لشقيق نريا كي يدعو أحمد صالح داود الى نزاهات طيبة ، وأن يقدم له بعض الهدايا التذكارية ، وتوطدت العلاقة بينهما فصارحه الأخ بحقيقة لقائهما الاول ، وما تعرض له في المباحث العامة من مهانة . فقال له صالح داود ، بان ما حدث قد حدث له ، لأنه حاول رؤيتها دون أن يراه قبل ذلك . اذ لو جاء اليه ، لسمح له بزيارتها كيف شاء . ولم يكن هذا الكلام صديحا ، بأي حال من الأحوال . الا ان تعارف الجزائر ، هو الذي طرح مثل هذا العرض السخي .

تقول ثريا شاكر ، « كان ذلك في أواخر ايام المعتقل ، وأنا لا ادري عن قصة الجزائر شبيثا . سعت للذهاب الى القصر العيني ، حتى استطيع رؤية الاولاد . كان المستشفى ، رغم كل شيء ، هو المنفذ لرؤية ابنائى واهلى ولو عن بعد . وتمت الموافقة على ذهابي الى القصر



العيني على أن اعود في نفس اليوم . ارسلت الى اسرتي اخبرها بذلك ، ذهب أخى - كما عرفت فيما بعد - الى أحمد صالح داود . قال له انى سأذهب الى المستشفى غدا . سأله ، كيف عرف ذلك ؟ فاجابه ، « عرفت وفقط » . وها قد جئت حسبها قلت لى اطلب زيارتها دون متاعب » . قال له ، « حسنا . سأرسل معك اثنين من المخبرين ، ولسوف تراها . ليس هذا فقط ، بل ولسوف نبقىها فى القصر العيني ، حتى يمكن للاولاد ان يذهبوا لزيارتها » .

عندما وصلت الى مستشفى القصر العيني ، لم اكن ادرى شيئا عن كل ذلك . فوجئت بعربة امن فى مدخل معتقل المستشفى والى جوارها وقف مخبران . كنت انا قادمة بعربة الترحيلة ومعى ضابط وجند للحراسه . عندما رأيت ما رأيت ، قلت لنفسى : « هذا كمين آخر ، فلا تظاهر بانى لا اعرف احدا . كان الاولاد هناك ، وكانوا يعرفون كل شئ » . ومن هنا ، ما أن رأوانى ، حتى انتفخوا يصيحون ، ماما ، ماما . الا انى ادرت وجهى بعيدا . كنت أواجه فى أعماقى صراعا عنيفا ، بين رعبتى فى ان اضم ابنائى الى احضانى ، وبين خشيتى عليهم من بهدلة المباحث العامة . تقدم الى ضابط من المباحث العامة وقال ، « سلمى على ابنائك » . قلت ، هم ليسوا ابنائى ، واحذركم من المساس بهم . قال ، « ما داموا ليسوا ابنائك ، فلماذا تحذيرنا من المساس بهم ؟ » . قلت ، انا لم اتحدث الى اى واحد منهم . عاد يلح فى أن اتقدم واسلم عليهم . قلت ، تودون ان افعل ذلك حتى تمسكوا بهم . اننى مرة اخرى احذركم من فعل ذلك . فى تلك الاثناء رأيت أخى رمزى يتقدم نجوى ، فصحت فيه ان يبتعد ، الا انه ظل يتقدم ، واندفع ابنائى الثلاثة نحوى . قلت لنفسى ، اذن فليحدث ما يحدث . وتلقيت الاولاد فى احضانى ، وحينئذ سمعت مخبر المباحث العامة ، يقول جملة غريبة ، « نحن هنا بالامر يا سيديتى » ولسوف تستريحين منذ الآن ، وتدخلين القصر العيني . قلت ، انا قادمة من أجل علاج اسنانى ، فكيف اقيم بالقصر العيني ؟ قال ، « لا تهتمى بذلك » فقط ، قولى انك مصابة بمغص أو شئ من هذا القبيل ، ودعى الباقي علينا ، سوف نحظك معتقل القصر العيني . وبذا تستطيعين رؤية ابنائك على الدوام » .

لم اكن اعى أو اصدق كل هذا الذى اسمع . دخلنا بالفعل عند احد الاساتذة بالمستشفى . قال له رجل المباحث العامة ، « ارجو محصها . هنالك سلطات تريد بقاءها فى القصر العيني » . صرخ فيه الاستاذ ، « لا أحد هنا يأمرنى ، بما يجب على أن افعل » . قال له المخبر ،

« لا تغضب نفسك هكذا • سوف نرى غيرك » • وبالفعل وجد غيره .  
كنت اسير كالمذهولة • لا اتصور حقيقة ما يجرى امامى • واحتجرت في  
معتقل مستشفى القصر العينى •

\*\*\*

وكانت انتصار خطاب ، ايضا ، تعاني من حرمانها من ابنائها  
وامومتها • ذهبت الى القصر العينى للعلاج ، بسبب وجود استسقاء ان  
تكون مصابة بالسرطان • كان ضابط الحرس الذى رافقها من السجن  
انى المستشفى شابا صغيرا ، رتبته ملازم اول ، قالت له ، « اود الذهاب  
الى بيتنا • مضى على عامان ، ولم ار احدا من ابنائى او اسرتى » • قال  
الضابط الشجاع دون تردد ، « واين تسكنين ؟ » • اخبرته بعنوانها ،  
فامر السائق بتغيير طريق السيارة والتوجه مباشرة الى العنوان • وضع  
السيارة البوكس فى شارع جانبي ، واصطحبها الى منزل والدتها • دخلت  
حجرة اخيها ، وكان قد رزق طفلا حديث الولادة • كان الضابط الشاب  
يلتزمها خطوة بخطوة ، داخل المنزل وهو يعتذر • كانت والدتها تصنع  
نظيرا ، فطلبت منه ان ياكل ، الا انه رفض بأدب • جلست مع ابنائها  
بعض الوقت ، ثم غادرا المنزل • تقول انتصار خطاب ، « كان هذا  
الضابط انسانا بحق وشجاعا بحق ايضا • فقد فعل ما فعل ، فى وقت  
كانت فيه الحملة المعادية على اشدها ، والتعذيب ، فى ابو زعبل والواحات ،  
على اشده ايضا • »

كان معتقل مستشفى القصر العينى خاضعا لمأمر قسم مصر  
القديمة • وكان المأمور ممن يتسمون بالجبن والسوء • كان يصر على  
ضرورة وجود جندى الحراسة ، داخل حجرة المعتقلات ، فوق رأس  
المعتقلة • وكان جنود الحراسة لا يفعلون ذلك ، فيتعرضون لعقابه •

كانت علاقة الرفيقات بالاطباء والمرضات والمريضات بل وجنود  
الحراسة علاقة طيبة • وكان هشام خطاب ، يزور والدته ، انتصار  
خطاب ، يوميا فى هذا المستشفى • فان حدث مرور من قسم الشرطة  
او المباحث العامة ، كانت المريضات والمرضات هن اللواتى يقمن  
باخفائه • كن يضعنه فى اية حجرة ، ويغلن عليه بابها ، فتصبح سوداء  
مظلمة ، يقبع فيها مرعوبا ، كاتما انفاسه ، حتى ينتهى المرور •

وحدث ، ذات مرة ، اثناء المرور ، ان رأى الضابط ، عمر خطاب ،  
وهو يغادر حجرة أمه فى المستشفى ، فاشتبك معه • كان عمر قد بلغ  
السابعة عشرة من عمره • فانهال على الضابط ضربا • امسكوا به ،

فأسرعت انتصار خطاب ، تستجد بالزملاء المعتقلين ، تستغيت بهم ان ينقذوا ابنها ، حتى لا يعتقل بجريرة ما فعل . حضر ضابط حرس المعتقلين وتدخل في الأمر .

يقول هشام خطاب ( الابن الاصغر ) : « كثيرا ما حبست داخل هذه الحجرات المغلقة ، اخفاء لى ، حتى يفتهى المرور . كانت حجرات كئيبة حالكة ، لا يستطيع ان اتحرك فيها أو افتح نافذة أو اطل من شرفة . وحدث ذات مرة ان هربونا ، انا وعمر من نافذة احدى الحجرات . الا ان الضابط رأنا وهو يمر ، فضبطنا . وحدثت خناقة ، فضربه عمر وجرى ، الا انهم لحقوا به وامسكوه واقتادوه الى تكشك الشرطة في القصر العينى ، وهناك انهالوا عليه ضربا مبرحا . عندما رأيت ذلك انطلقت اجرى دون توقف . الا انه حدث بعد عدة اشهر ، ان رأيت نفس الضابط يعاين حادثة ما في شبرا . كنت وقتها خارجا من المدرسة ، ومعى عدد من التلاميذ ، فامسكنا بالاحجار واخذنا في القائها عليه ، ثم فررنا مبتعدين » .

عادت انتصار خطاب الى سجن القناطر - نساء . ومضت اشهر ، الا ان الايام كانت تدخر لها من الاحزان ابشعها . فوجئت بخطاب من ابنها عمر يقول فيه ، « انت وزوجك ( يقصد امه واباه ) ، تتركبان اولادكما ، في حين ان الامر لا يحتاج منكما لاكثر من التوقيع على ورقة ، فنخرجان من السجن . رشاد خميس وقع على هذه الورقة وخرج الى اولاده . هذا الخطاب انذار . اننى متعب للغاية . حيث تسبكما جردتى وتشتكما على الدوام . اذا لستمر موقفك على الرفض ، فهذا آخر خطاب منى اليك ، لانى سوف انتحر » ، سوف احرق نفسى » .

كان ذلك في اوائل عام ١٩٦٢ . وكان لابد من اتخاذ موقف ، في وقت كانت فيه امكانيات الاتصال بخارج السجن غابة في الصعوبة . تقول انتصار خطاب ، « احسست بالفجعة . كان على ان احاول العودة الى القصر العينى ، لمقابلته ، ومناقشته ، وتوضيح الامور له » .

كان لابد ان توضح الام لابنها ، انها غير راضية في السجن ، ولا راضية عنه ، فان احدا في الدنيا لا يقبل القيد بارادته . الا ان الورقة المطلوبة ، اشد هولا من السجن ذاته . ان ، على المرء فيها ، ان يخط بيده استنكارا لكل ما آمن ويؤمن به . انها ليست مجرد ورقة وتوقع عليها ، انها الرصاصة التى يقتل الانسان بها ارايقه وذاته ، ومعنى ذلك

ان تنتهى كانسانة . وهو امر لن يقبل به لاه . تقول ثريا ادهم ، « كان الامر قاسيا عليها للغاية . ام مقيدة ، تسمع من ابنها انه سوف ينحدر . وهو فى سن يمكن للمرء فيه ان يفعل أى شىء . انها سن المراهقة ، »

لقد تعرض ابناء الرقيقات المعتقات الى ضغوط شديدة تتجاوز طفولتهم ، او اعوادهم الخضراء الغضة . الحملة فى الشارع يقودها رئيس الجمهورية ، جمال عبد الناصر ، شخصيا . حملة لا ضابط لها ولا رابط . والاذاعة والصحافة والمسئولين والمثاقين والمعادين ، جوقة لا تمل من ترديد معزوفة العداء للشيوعية ، واهالة كل الموبقات على رأسها . وكان لهذه الحملة ، التى اتسمت بالسعار ، آثارها المدمرة . صارت الشيوعية سبة يعاير بها ابناء الشيوعيين .

يقول هشام خطاب ، « عندما كانت تنشب معركة بيننا وبين الاولاد فى الشارع ، كانوا يعايروننا بأن أمنا وأبينا من الشيوعيين السجناء .

ورغم كل ذلك ، كنا نذهب لزيارة أمى . كنا نكتب الزيارة باسماء مسجونات عاديات وتدخل مع السبجانة الى حيث أمى . كانت تلبس احسن ما لديها من ملابس ، وتستعد لاستقبالنا . وفى أحد المرات ، كتبت فى اوتوجراف كان معى قصيدة لا انساها :

بوسة بوسة وبوسة وبوسة كمان  
بوسة شقاوة وبوسة حنان  
بوسة تخلى الدنيا تزغرد  
وترقص كل الجدران  
بوسة عشبان تكبر وتجيبنى  
بايد ملانة وقلب مسلان  
مهما كبرت ، صغير اولادى  
ولا تكبرش على الاحضبان  
بوستك من بوسة الحرية  
وحبك من حب الاوطان ،



## الفصل الرابع

### معتقل النساء بمستشفى القصر العيني

كان معتقل مستشفى القصر العيني ، الذى يرسل اليه الرفاق والرفيقات المرضى ، كان فى الاصل عنبراً لمرضى السكر ، انه مكون من دلات حجرات : واحدة للمعتقلين الرجال ، وواحدة للمعتقلات ، والحجرة الوسطى للحراس . ينام فيها ضابط الشرطة ومعه اثنين من المخبرين .

العنبر مغلق ، والحراسة على كل منافذه . حارس على كل باب او شباك طوال الاربعة والعشرين ساعة ، كما كانت هنالك دوريات تفتيش من قسم الشرطة التابع له المستشفى . كذلك هنالك « كبسات » المباحث العامة على العنبر ، للتفتيش او لممارسة الضغوط على المعتقلين او المعتقلات المرضى ، بهدف الوصول معهم او معهن الى كتابة استنكارات او تعهدات بعدم الاشتغال بالسياسة . تقول فاطمة زكى ، « جاء حسن المصيلحي بنفسه ، ذات مرة ، وقضى مع الهام سيف النصر قرابة الثلاث ساعات فى حجرة الحكمة وهى ملفقة عليهما . كما كان هنالك ضغط ، ايضا ، على زينات الصباغ المعتقلة معنا ، والموجودة بالمستشفى ، حتى تنفصل عن زوجها ، اسماعيل المهدوى ، والذى كان مسجوناً سياسياً فى ذلك الوقت » .

وجاءت عايذة بدر الى المستشفى المعتقل . لم تكن لعايذة بدر اية علاقة تنظيمية او فكرية بقضية الشيوعية . كانت كل جريمتها ، انها تصدت للمباحث العامة ساعة داهمت منزلهم للقبض على شقيقها احمد بدر . وكان كل ما توصلت اليه وهى فى المعتقل ، ان الشيوعيين اناش طيبين وجيدين . وجاءها حسن المصيلحي وضباط المباحث العامة ، اكثر من ثلاث مرات . كانوا يضغطون عليها ، بهدف الوصول الى استكتابها استنكارا ، الا انها رفضت تماما كتابة أى استنكارا أو تأييد . بل اتخذت مواقف متحدية . سألوها ، ان كانت شيوعية ؟ فاجابت ، « نعم ، انا شيوعية » . سألوا ، ان كانت تحب الشيوعية ؟ فاجابت ؟ « نعم ، احبها » . كان موقفها ، ذاك ، يتسق تماما مع طبيعتها كابنة بلد لا تخون العشرة ، او كما يقال « لا تخون العيش والملح » . وكانت بالاضافة الى ذلك لا تكف عن مساعدة المرضى من المعتقلين ، تقدم لهم الطعام والشراب .

كان الذهاب الى معتقل مستشفى القصر العيني للعلاج معركة . اذ لم يكن يسمح لآى رفيقة معتقلة بالذهاب الى هناك ، الا بعد موافقة

المباحث العامة ، وكانت واحدة من قوائم خطة المباحث العامة للتصفية ، اتخاذ المرض حلينا لها ، يمكن من خلاله ان نحقق ما تهدف اليه . فالمعتقلة المريضة ليست ، فقط ، مصدر ألم لنفسها ، ولكنها ، في ذات الوقت ، مصدر عذاب لكل من يحطن بها . ان المخاطر التي تهدد حياتها ، تصبح نموذجا لما يمكن ان يصيب اية معتقلة أخرى . لقد اتخذت ، المباحث العامة ، من الأمراض ، وخاصة الخطيرة منها ، وسيلة للضغط الفردي والجماعي .

اصيبت ليلى شعيب بالمرض . فبذلت جهود هائلة ، من خارج المعتقل وداخله ، حتى تمت الموافقة على ذهابها للقصر العيني . كشف عليها الاخصائيون ، وقرروا ان لحياها وربما يجب استئصاله . وكان لابد من معركة أخرى ، شارك فيها الاطباء انفسهم ، للحصول على موافقة الأمن لاجراء جراحة لها . الا ان الاطباء ، بعد العملية الجراحية ، لم يستطيعوا تحديد طبيعة الورم ، وقالوا باحتمال عودته اليها ، ومن هنا يلزم حضورها شهريا للمتابعة واجراء الفحوص اللازمة ، واعيدت الى سجن القناطر .

الا ان المباحث العامة رفضت حضورها الشهري للفحص . وبدأت حالتها تسوء مرة أخرى . بدأت تعاني من جديد ، وأخذ وزنها في التناقص بصورة ملحوظة ، وخاضت والدتها خارج المعتقل معركة ، وخاض المعتقلون والمعتقلات معارك ، حتى يتم اعادة فحصها . وطالب الاطباء بضرورة تنفيذ توصيتهم بالمتابعة الشهرية . وأخيرا امام كل هذه الضغوط ، وافقت المباحث العامة على ذهابها الى القصر العيني .

كانت ليلى شعيب تهتم حقا بما تعانيه ، لكنها في ذات الوقت ، كانت تهتم ايضا بما يجري في معتقل المحاريق بالوحدات الخارجية ، حيث حشد الرفاق هنالك تحت التعذيب وعمليات الابادة . كان خطيبها رجاء طنطاوي معتقلا في هذا المنفى ، وكانت تود الاطهنتان عليه . ولذا فقد قررت منذ وصولها الى القصر العيني ، ضرورة الاتصال بالرفاق المعتقلين بالمستشفى ، رغم ان ذلك كان ممنوعا ، وكانت ليلى تحرك مخطاير تلك المحاولة ، واحتمال اعاقتها دون علاج . ولقد نجحت بالفعل في زيارة قسم المسالك البولية ، حيث كان هنالك ثلاثة رفاق من منفى المحاريق . الا انه حدث مرور للمباحث العامة على المستشفى المعتقل في نفس اليوم ، فضبطت واعيدت الى سجن النساء ، في اليوم التالي ، دون فحص أو كشف . كان الكل يودعها حزينا مواسيا ، الا انها كانت سعيدة غير نادمة على ما فعلت ، فقد اطمانت على ما يجري هنالك في تيه الصحراء .

لم يكن تعسف أجهزة الأمن ، يقف عند حد التحكم في علاج المعتقلة المريضة من عدمه . وانما كان يمتد هذا التعسف الى داخل غرفة العمليات ذاتها ، كان لأجهزة الأمن عجائبها وغرائبها ، الا ان اعجب تلك العجائب واغربها ، كان ضرورة ملازمة الحارس للمعتقلة داخل حجرة العمليات ، اثناء اجراء الجراحة لها .

اصاب الألم الشديد ليلى التئال ، واتضح انها الزائدة الدودية . نقلت الى سجن القصر العيني ، لاجراء العملية لها . عندما ادخلت الى حجرة العمليات ، اصر حارسها على الدخول معها . رفض الاطباء على اساس أن الحارس غير معقم . وامام اصرار الجندي الحارس واصرار الطبيب الجراح ، سمح للحارس بأن يظل من الطاقة الزجاجية للغرفة . طوال العملية . وبذلك تابع حراستها ، حتى لا تهرب وقد فتحت بطنها .

والى جانب عسف الأجهزة الأمنية ، كانت هنالك انسانية الاطباء ، تقول انجى افلاطون ، « بعد أكثر من عام من اعتقالى ، ارسلت الى القصر العيني ، بعد جهود مضنية ، وكان الفضل في ذلك للدكتور عبد المنعم المفتى . في عنبر المعتقلات ، وجدت الجو غظيما شديدا التوتر ، حتى اننى فكرت في العودة الى سجن القناطر . في تلك الاثناء قمت يرسم الضباط والعساكر والمعتقلين . وكان ممن رسمتهم ، أحد الزملاء العمال القادمين من معتقل الفيوم ، واسمه سيد . كان مصابا بقرحة متقدمة ، وفجأة ، بعد فترة ، اصيب بازمة حادة ونزيف توفى على اثره . كان ذلك في أواخر عام ١٩٦٠ . لقد بذل الاطباء جهودا خارقة لانه ساذه دون جدوى . وعندما توفى حضر الاطباء اليضا يقدمون لنا العزاء » .





# الفصل الخامس

## الاضراب عن الطعام

ديسمبر ١٩٦٢

الظروف التي وضعت فيها الرفيقات ، ظروف لا تحتل ، سوء الاحوال داخل العنبر والسجن ، والقيود المفروضة عليهن . التغذية رديئة . العلاج تقف دونه المصاعب والمتاعب . الدواء غير متوفر . الحرمان المطلق من رؤية الأزواج الذين كان البعض منهم على بعد امتار في سجن القناطر - رجال . تجريم رؤية الابناء . العزلة عما يجرى ، فلا صحافة ولا ورقة ولا قلم . التفتيش الارهابي والاستفزازي ، واقتحام حرمة المعتقلات .

ولم تقف الرفيقات مكتوفات الايدي امام تلك الاحوال التي وضعن فيها . قاومن ببطولة كل محاولات التمييز الاسرى ، ومحاولات انهاء كياناتهن الانسانية . وحققن اشياء ، الا ان كل ما حققته ، كان ما يزال في اطار المحظورات التي يمكن ان يطيح بها مجرد تغيير شخص مأمور السجن او حتى حارسة العنبر . ومن هنا كان لابد من دخول معركة حاسمة في مواجهة كل تلك الاوضاع ، والعمل على فرض الحد الأدنى الذي تتمتع به القاتلة وتاجرة المخدرات والعامرة ، ذلك الحد الذي يتمثل في تطبيق لائحة السجن عليهن . كان لابد من دخول معركة اضراب عن الطعام ، هي بمثابة اعلان للكافة ، للرأي العام المحلي والعالمي ، بان هؤلاء المعتقلات يرفضن ما هو مفروض عليهن ، ويعطن المقاومة ، حتى وان كانت الحياة هي الثمن .

بدأت معركة الاضرابات ، في سجن النساء ، باضرابات جزئية . كان الرفاق في معتقل الواحات قد دخلوا معركة اضراب عن الطعام في يوليو عام ١٩٦١ ، ودخلت اربعة رفيقات ، اضرابا لمساندة رفاق الواحات . كان فيهم الزوج والاخ والخطيب . كان ذلك بعد اليوم الخامس عشر لاضراب الواحات . وقد شاركت في هذا الاضراب ، انتصار خطاب ، ليلى الشال ، ليلى شعيب وسعاد الطويل - جاءت النيابة بعد اربعة ايام من اضرابهن . وسجل وكيل النيابة محضرا بكل ما قلناه . في تلك الاثناء كان سجن المزه في سوريا على اشده ، وغت سمعته الرديئة الى حد البشاعة ، عالمية . وقالت الرفيقات في محضر النيابة ان عبد الناصر يشبه سالازار ، وتردد كاتب النيابة في ان يكتب ، فأمره وكيل النيابة ان يكتب كل كلمة يقلونها .

ثم جاء اضراب الرفاق في سجن القناطر - رجال \* ودخلت انتصار خطاب ولىلى شعيب اضرابا تضامنيا معهم ، كما أضفن الى الموقف التضامنى ، طلبا بتحسين اوضاعهن في سجن النساء . استمر الاضراب اسبوعا ، ثم جاءت النيابة ؛ وسجلت الرفيقتان محضرا كاملا باهداف الاضراب . ولم تفك الرفيقتان اضرابهما الا عندما فك الرفاق اضرابهم في سجن القناطر - رجال .



كانت اكثر من ثلاث سنوات قد مرت على الرفيقات المعتقلات ، وهن تحت وطأة هذا التعذيب المتصل \* كتبن رسالة الى السيدة زوجة الرئيس جمال عبد الناصر ؛ حملتها عنهن اليها السيدة سيزا نبراوى \* قالت الرفيقات في هذه الرسالة ، انهن يخاطبن السيدة زوجة الرئيس ، كام لايد تعرف معنى الأمومة . وأن النساء المعتقلات يعيشن ظروفًا بالغة السوء ؛ وقد تركن اطفالهن دون عائل أو راع ، بل ان هنالك من تركن رضعا لم يتجاوزن العام الأول من عمرهم \* وفي ذات الوقت الذى ارسلت فيه هذه الرسالة الى زوجة الرئيس ، ارسلت ايضا الى الاتحاد النسائى الديمقراطى .

ناقشت الرفيقات الظروف التى سوف يجرى فيها الاضراب \* كان تقديرهن أن الظروف مهينة ومواتية . فهناك تغييرات سياسية كبرى ، تجرى في الواقع المصرى ، كما أن الحكومة قد بدأت الامراج عن البعض مذن ، وأنه يمكن بضغطهن ، تحقيق مكاسب فعلية \* كان عدد المعتقلات قد غدا محدودا \* ومن هنا ظهرت ضرورة دخول الجميع الاضراب ؛ باستثناء الحالات المرضية الحادة . وكان دخول الجميع يعنى ، دخول الرفيقات المنتميات الى الحزب الشيوعى المصرى ، وكذا « حدتو » ، وايضا اللواتى ليس لهن انتماء حزبى \* كانت وحدة المعتقلات ، كمعتقلات يعانين نفس الظروف ، بغض النظر عن أى انتماء ، مسألة ضرورية وجوهية . تقول لىلى الشال ، « ان تجربة سجن القناطر - نساء ، في نفسى حيرى تجربة انسانية في الأساس ، لقد كانت القضايا التى تثار في سجن الرجال أو الواحات تثير لدينا بعض الاجواء ، الا انها سرعان ما تنتهى \* كان لكل تيار ، مثلا ، اجتماعاته . وكنت انا اقوم بحراسة الزميلات الاخريات اثناء اجتماعهن ، بان اقف على الشباك اراقب أى مرور لادارة السجن ، \* وهكذا تقرر الاضراب بالاجماع .

ناقشت الرفيقات ، ايضا ، مخاطر الاضراب واحتمالاته ، والتجارب السابقة التى خاضها الرفاق \* كانت بينهن رفيقات متعبات صحيا ، ويمكن

لحالهن ان يزداد سوءا ، ان دخلن المعركة . كما كانت هنالك احتمالات رد المباحث العامة على الاضراب بارسالهن الى التأديب . ناقشن طبيب السجن في هذه المسألة . قال الطبيب بان في التأديب مريضات بالجذام ، ولا يمكن وضع المعتقلات معهن فيه . وعلى هذا الاساس ، بدأ الرجل في اعداد المستشفى لهن . نظف العنبر وفرش السرر بالحشاي .

عندما اخطر الرفاق في سجن القناطر - رجال ، باعترام الرفيقات دخول معركة الاضراب ، رفض الرفاق فكرة الاضراب . كان تفكيرهم ان الوقت غير مناسب . دار جدل طويل بين السجنين . انتهى الجدل الى اعلان الرفاق في سجن الرجال ، اصرارهم على عدم الموافقة ؛ مع ترك القرار النهائي في يد الرفيقات وعلى مسئوليتهن . وان حدث ودخلن الاضراب ، فلسوف يقدم الرفاق كل جهد مستطاع .

وعندما اخطرت الرفيقة المعتقلة ، زوجة كانت ام اختا او خطيبة ، زوجها او اخاها او خطيبها ، المعتقل او المسجون ، بقرار الاضراب . كانت الردود تحيى هذا الموقف ، لكنها ، في ذات الوقت ، تطالبهن بتحكيم العقل وعدم الاندفاع وراء العواطف .

اما العائلات ، فقد رفضت غالبيتها فكرة الاضراب . وقلن ان المباحث العامة سوف تترك الرفيقات حتى الموت ، دون ان يجرى بهن احد . ورغم ذلك ، فما أن بدأ الاضراب حتى كانت العائلات تسعلة من الحركة التي لا تهدأ . لم يتوانين لحظة عن ارسال التلغرافات وتشكيل الوفود الى الجهات المختلفة ، ومنها وزارة الداخلية والمباحث العامة .

حددت الرفيقات مطلب الاضراب « بالافراج او الموت » . كان هنالك اصرار على رفع هذا الشعار ، وفي ذات الوقت كانت هنالك المطالب الاحتياطية : تحسين الظروف المعيشية ، حق الرفيقات في طهو طعامهن بانفسهن ، الكتب ، الجرائد ، الخطابات ، الطرود ، التعامل مع الكاتين ، فتح باب العنبر والزيارة . تقول انجي افلاطون ، « كان الاضراب دفاعا عن اوضاعنا نحن ، وليس مجرد اضراب تضامنى مع زملاء معتقلين او مسجونين في أماكن أخرى » .

تم الاتفاق على دخول ثلاثة عشر رفيقة في هذه المعركة : انجي افلاطون ، فاطمة زكى ، ثريا شاكر ، ثريا ابراهيم ، سعاد الطويل ، جنيفيف سيداروس ، عائدة بدر ، زينات الصباغ ، أميمة أبو النصر ، سميرة الصاوى ، زينب ، سيدة ، ايفون حبشى .

اعفيت ثريا ادهم من الاضراب لرضها ، ولم تدخله اسماء البقلى ،  
أما نوال الحملاوى فكانت قد تحولت الى سجينة .

انتصار خطاب ، محسنة توفيق ، ليلى عبد الحكيم ، ليلى الشال ،  
لى شعيب كان قد اخرج عنهن ، وكذا وداد مبرى .

استعدت الرفيقات للاضراب ، فانخذن مسهلا وجقنا شراحية لافراج  
كل ما فى بطونهن من فضلات ، ماعدا جنيهيف سيداروس ، مما سبب  
لها ، فيها بعد ، متاعبا جمة .

بدأ اعلان الاضراب برفض الرفيقات المعتقلات استلام الطعام .  
رفضت الباشيسجانة اخطار الادارة . كانت حزينة ، وكذلك كانت  
الرفيقات وكل المسجونات ، فقد ماتت سجانة عنبر المعتقلات - وكانت  
امراة محبوبة تتسم بالطيبة - وهى تلد فى اليوم السابق على الاضراب .  
قالت الباشيسجانة لهن ، انه عيب عليهن ان يضرين عن الطعام فى يوم  
حزين كهذا اليوم . لم تكن هنالك فرصة للتأجيل بعد كل هذا الاعداد .  
توجه منهن وفد لمقابلة مأمور السجن ، سأل ، من المضربات ؟ قلن ،  
جميعا . تساءل مذهشا ، كذا كن حتى « حدثو » ؟ قلن ، نحن لا نعرف  
عما نتحدث . قال ، حسنا ، لقد نجحتن فيما لم ينجح فيه الرجال .  
نصحن بالعدول ، الا انهن اخبرنه بان الاضراب مستمر حتى الافراج  
او الموت - اخطرت ادارة السجن ، المباحث العامة بالاضراب ، فأمرت  
الآخيرة بوضعهن فى القاديب . رد طبيب السجن بان بالتأديب مريضات  
بالجذام ، وأنه غير مسئول عن ارسال أى واحدة من المضربات الى  
هنالك ، ما لم يصله أمر كتابى بذلك . لم يصل هذا الامر الكتابى أبدا .  
ظلت الرفيقات فى العنبر . كانت المسجونات العاديات ، غير مصدقات  
لحقيقة ما يجرى أمامهن . كان عامود المتعهد يصل الى العنبر ، ليظل فى  
موضعه حتى يحل موعد الوجبة التالية .

تقول ثريا حبشى ، « كنت اتذكر ما كان يقوله زوجى فوزى حبشى  
عن الاضراب ، وكيف ان صعوبته تكون فى الايام الثلاثة الأولى ، الا اننى  
وجدت الامر يزداد صعوبة يوما بعد يوم . ومع ذلك كانت المعنويات  
عالية » .

سار الاضراب . لا شئ غير المساء المضاف اليه بعض الليمون  
كمظهر . كانت نوال الحملاوى تقوم بتقديم هذا الشراب صباحا وظهرا ،  
واطلقت المضربات على ذلك ، من باب « الترفيه » والسخرية ، وجبة  
الافطار والغداء . كانت ايفون حبشى تقوم ايضا على خدمة المضربات ،



وتعمل على تسليتهن واضحاكنهن ، حتى حان موعد دخولها الاضراب ، ملحتت بباقي الرفيقات في اليوم العاشر . كان قد افرج عنها في يوليو ١٩٦٠ ، ثم اعيد القبض عليها في ابريل ١٩٦٢ على ذمة قضية . وبالتالي فقد كان وضعها وضع من هن تحت التحقيق ، وليس وضع المعتقلات ،

سعت ثريا ادهم حتى تم نقلها الى مستشفى القصر العيني . وهناك نظمت حركة الاتصال بين الرفيقات المضربات في سجن النساء وبين العائلات في الخارج ، وكذا الاتصال بسجن القناطر - رجال . تقول ثريا ادهم ، « كان الاتصال بالمضربات ، يكاد يكون يوميا لمتابعة الحالة ، وكذلك الامر بالنسبة للاهالي للتعرف على جهودهم وتحركاتهم . وبذا كان يتم التعرف على جهود الاطراف المختلفة يوميا وبالتفصيل ، »

جاءت النيابة في اليوم الثالث ، بعد ان وضح للادارة اصرار الرفيقات على الاستمرار . جاء وكيل النيابة الى العنبر ، يرافقه شخص آخر . عندها بدا سؤاله عن اسباب الاضراب ، تصدت له فاطمة زكي ، سألته عن هذا الذي يصاحبه ، ومن يكون ؟ اصابته الدهشة فتسأل ، ولماذا ؟ طلبت فاطمة زكي الاطلاع على بطاقته الشخصية . تجهم وكيل النيابة وسألها ، ان كانت ستجيب على اسئلته ام لا ؟ اصرت على معرفة شخصية مرافقه ، والا فلا اجابة . احدث النقاش ، فانسحب رجل المباحث العامة . بدا وكيل النيابة اسئلته التقليدية : الاسم ، العنوان ، السن ثم المطالب . شرحت كل واحدة من الرفيقات احوالها ، ووجودها في هذا للسجن منذ ما يزيد على ثلاث سنوات دون سبب واضح . تكلمت البعض منهن كلاما سياسيا ، وتقدمت البعض بمطالب الاضراب .

نقلت الرفيقات بعد هذا اللقاء الى عنبر في مستشفى السجن ، تحت المراقبة . احسسن بالراحة هناك ، فاول مرة منذ اعتقالهن تنام الواحدة منهن على سرير مستقل ، وليس جزءا من طوابق ثلاث .

كان مأمور السجن حينذاك حسن الكردي . كان الرجل متأثرا غاية التأثير من هذا الاضراب . كان يأتي يوميا ليتابع حالة المضربات ، ويرسل بالتقارير الطبية فورا الى المباحث العامة . تقول ايمن حبشي ، « كانت زوجته ايضا في غاية التأثير ، تسال عنا يوميا ، وتسأل عن الداعي لكل هذا الذي يجري ، »

مضت ثمانية ايام على الاضراب ، وبدأت اول محاولة جادة لتحطيم الاضراب . كانت نقطة الضعف عند أي من المعتقلات الامهيات هي



ويأتى اليوم العاشر ، وتنتشر في عنبر المستشفى رائحة الاسيتون ، ويقول الطبيب ان المواد الغذائية المخزنة في الجسم قد استنفذت ، وبدأت الدهون في الاحتراق ، وبمعدلات سريعة . بدأ كبد ثريا شاكر متعبا ، وبدأت جنييف سيداروس تصاب بالنزيف . حاول الطبيب النوبطشى حقنها ، الا انها رفضت وكذا الرفيقات . اصر الطبيب للنوبطشى على رايه ، فوقع صدام بينه وبين الرفيقات ، فطالبن منه مغادرة العنبر ، وعدم دخوله ، مرة اخرى . ذهب الطبيب الى الضابط للنوبطشى يشسكو له ما حدث . حاول الضابط اثناء الرفيقات الا انه فشل . قال ، ان ما تهدف اليه الادارة ، هو الا تتعرض حياتهن للخطر . طلب منهن الا يغضبن من الطبيب ، فما استهدف الرجل الا انقاذ واحدة من زميلاتهن ، وان عليهن مساعدته في ذلك . قطن له ، انهن مضربات حتى الموت ، وتنفيذ ما يقول يعنى كسر الاضراب ، وهن لن يفعلن ذلك او يسمحن به . كتب الاطباء عن فاطمة زكى ، انها قد اصبحت « Earthy Colour » ، أى بلون التراب ، وهى فى عرقهم حالة الموت . ظلت الرفيقات كذلك ، حتى اليوم السادس عشر . وارتفعت نرة التقارير الطبية تنذر بالخطر الحال . هنالك ثلاث حالات مشرقات على الموت . كانت حالة فاطمة زكى أكثر الحالات خطورة ، تليها جنييف سيداروس ثم ثريا شاكر .

فى اليوم السابع عشر ، جاء رجلان من المباحث العامة ، بهدف انهاء الاضراب . قال احدهما ، « اود ان تحدثنى واحدة منكن فقط » .

قالت الرفيقات معا ، « كلنا سوف يتحدث » .

جلس فى وسط العنبر . امسكت فاطمة زكى بالدفة الأساسية للجديث ، رغم سوء حالتها للصحة .

قال ، « ما هى مطالبكن ؟ » .

قطن ، « الافراج » .

قال ، « لا افراج . لا توجد دولة تحترم نفسها ، وترجع عن موقفها لأن عددا من الرجال أو النساء قد اضرَب عن الطعام . لا افراج ، وبهذا تنتهى من النقطة الأولى » .

كان يتحدث بطريقة استفزازية .

قطن له ، « حسنا ، لا افراج من جانبكم ، ولا كلام من جانبنا . ما الداعى لحضوركما ، إذن ، اذا كان هذا هو الموقف . نحن نريد النيابة » .

قال المباحثى الاستقرازى ، « لا نيابة ايضا . فى وسعنا ان نترككن هكذا حتى تمتن دون ان يشعر بكن أحد » .

حاول ان يتدخل الآخر تخفيفا لحدة المناقشة .

قالت الرفيقات ، « نحن لم نطلب حضوركما . فلماذا جئتما اذن ؟ » .

قال الأول ، « لا افراج . دعونا نتحدث فى المفيد » .

استمر الجدل حول قضية الافراج قرابة الساعتين .

قال للرجل فى النهاية ، « ننهى هذا الموضوع بوعد بالافراج » .

قالت الرفيقات ، « متى ؟ حدد لنا موعدا » .

قال ، « لا ، لا ميعاد . فى اقرب وقت » .

قلن ، « وماذا تعنى باقرب وقت هذا ؟ ربما كان بعد عام ، عامين ، خمسة عشر عاما . من يحرينا ؟ » .

قال ، « انه وعد من رئاسة الجمهورية » .

انتقلت المفاوضات الى المطالب .

قال ، « قراءة الجرائد مسموح بها ، فى حدود جريدة الاهرام فقط » .

طلبت الرفيقات بقراءة كل الجرائد ، فاصر على « الاهرام » وحده .

قال ، « توافق على تحسين الطعام » .

قالت الرفيقات ، « نحن سيدات ، نعرف كيف نعد الطعام . نتسلم اللحم والخضار ، ونطبخ لانفسنا » .

قال فى تعال وضيق ، « تلك مسائل داخلية . تحل مع مأمور السجن » .

قال مأمور السجن ، « حسنا ، حسنا . سوف احل هذه المشكلة » .

رفض الزيارة ، ورفض قراءة الكتب حتى من مكتبه السجن . وافق على خطاب من كل منهن الى اهلها مرة كل خمسة عشر يوما ، بدلا من خطاب كل شهر . طلبت الرفيقات ان يكتبن وقت يشان . رفض واصر على كل خمسة عشر يوما . نجه على المسامور ، مؤكدا هذه النقطة . وافق على زيادة الامانات لكل معتقلة من جنهين الى اربعة .



قال ، بعد ان تم الاتفاق على كل شيء ، « احضروا الطعام حتى اراكن تأكلن قبل ان اغادر » .

اصرت للرفيقات على فك الاضراب بمحضر ، تسجل فيه كل الاتفاقات التي تم للتوصل اليها ، كذا للتنبيه على مأمور السجن بالتنفيذ . نص في المحضر على وعد بالافراج ، تم التوقيع على المحضر .

فكت ايقون حبشى الاضراب في النيابة ، باعتبارها ، تابعة لها ، تحت التحقيق . سألها وكيل النيابة بعد انتهاء الاضراب وتسجيل محضر بذلك ، « لماذا انت ثسيوعية ؟ » . قالت له ، « ولماذا انت وكيل نيابة ؟ » . اغلقت المحضر الا انه اصر على ضرورة البقاء ، حتى يراها تشرب الحساء امامه .

احضر مأمور السجن ، من منزله ، حلة نحاسية ضخمة مليئة بالحساء ، وكمية هائلة من الليمون . بدأ فك الاضراب بتناول الحساء والسوائل . احتفلوا ، في نفس هذا العنبر ، برأس السنة . كتبن على النوافذ بالقطن ، « كل عام وانتم بخير » .

تقول ثريا شاكر ، « عندما بدأ فك الاضراب ، تذكرت ما كان يقوله زوجي ، فوزي ، من ان اخطر ما في الاضراب هو حله . جلست اتفلسف على الزميلات واحذرهن من مخاطر الافطار بعد فك الاضراب . شربنا عصيرا ولم نأكل شيئا . الا ان واحدة من المسجونات العاديات ، اعدت لنا وليمة . كانت من الفول الأخضر ، والملوخية والبلوبيف . ونسيت كل ما كنت انصح به الزميلات . رائحة الملوخية الشهية ، دفعت بكل المحاذير الى الخلف . اكلت كائني لم آكل ، في حياتي ، من قبل . كان وزني قبل الاضراب ٧٣ كيلو جرام ، فعدا ، الآن ، ٥٦ كيلو جرام . كنت مجرد جلد على العظم . الا انه بعد وجبة الملوخية والبلوبيف ، أخذ جسدي كله في الانتفاخ . انتفخ وجهي ، انتفخت رجلي ، انتفخت بطني ، وغدت حالتي خطيرة . اصببت الزميلات بالفرح ، مما اضطرهم الى فتح السجن ليلا . قال الطبيب ، ان الاضراب قد اصابني بنقص شديد في البروتين في الدم ، وأن هذا الطعام الذي أكلته ، عندما وصل الى الدم ، احدث في جسدي صدمة . حاول اعطائي حقنة ضد الحساسية ، الا ان عروقي ، في تلك اللحظة ، اختفت تماما . ظلت هكذا عشرة ايام بعد الاضراب ، حتى شفيت . سخرت مني الزميلات . قلن ، كنت تتفلسفين علينا ولا تلتزمين بكلامك . لم تموتين من الاضراب والجوع ، لكنك كدت ان تموتي من الافطار والطعام » .

بعد الاضراب ، أصبح باب العنبر مفتوحا طوال النهار • سمح لهن بموقد جاز ، بصورة رسمية • كن يشترين له الجاز من الامانات • استأمن الخضار واللحمة ليؤمن بطهيها بانفسهن داخل العنبر • قسمن عملية الطهي فيما بينهن ، وأصبح على كل واحدة منهن ، ان تقوم بهذه العملية يوما • كن يذهبن الى غرفة الموسيقى ويلعبن هناك • كان التلفزيون قد ظهر ، وكان مسموحا لهن برؤيته ، يوما واحدا في الاسبوع ، الا انهن كن يشاهدنه كل يوم • تقول فاطمة زكى ، « كنا نرى برنامج نافذة على العالم • لن انسى منظر المسجونات العاديات ، وهن يرقصن على موسيقى مقدمة البرنامج • هن يرقصن عند سماع اية موسيقى • بعد الساعة الخامسة كنا ندخل العنبر • كنا نرى السينما مرة كل شهر • كانت المسجونات يجلسن على الأرض ، اما نحن فقد كانت تحضر لنا دككا نجلس عليها • كنا نذهب الى السينما ، بعد ان نعد شعورنا ، ونلبس الهستان اليتيم ، والاحذية ذات الكعوب ، ونعد الشاي والسندوتشات • كنا نحاول صناعة جو انساني ، ونفترج على السينما ، بينما نأكل السندوتشات ونشرب الشاي » •

لقد بدأت ، بعد الاضراب وبسببه ، انفراجة سجنية طيبة •

# افصل الساس

## التحقيق والمحاکمات

### التحقيق والنيابة :

كانت المهمة الثالثة للجنة القيادية بسجن القناطر - نساء ، هي مناقشة الرفيقات اللواتي كان يتم استدعاؤهن للنيابة للتحقيق .

في عربة للبوكس خرجت الرفيقات من السجن الى نيابة امن الدولة ، كن ينشدن ويهتفن طوال الطريق . أخذ ضباط الحراسة في سبهن . امروا السائق بعدم السير في الشوارع الرئيسية ، واللجوء الى الشوارع الضيقة والحواري حتى وصلت السيارة الى باب الخلق . هناك ومن يصعدن سلم المبنى ، رأت انتصار خطاب زوجها صلاح خطاب يقوده الحراس الى التحقيق . افلتت من حرسها وانطلقت نحو . قال لها في سرعة ، « قولى كما اتفقنا » كل ما وجد في المنزل يخصنى انا ، . عندما رأت ثريا شاكر ، صلاح خطاب ، اخذت في الصياح تسأل عن زوجها ، فوزى حبشى . طمأنها صلاح خطاب ، بانه قادم لتوه من القلعة ، ولم يصل فوزى اليها بعد . ( عندما عاد صلاح الى سجن القلعة ، وجد فوزى حبشى ، وكان قد قبض عليه في نفس اليوم ) .

استدعيت ثريا شاكر للمثول امام وكيل النيابة . كان احمد على موسى . سألها :

- ما راىك في نظام الحكم ؟

اجابت .

- لا علاقة لى بالسياسة ، فانا ربة بيت .

. اعاد السؤال مرة اخرى ، بصورة اخرى ، اجابت .

- شعمار الدولة يقول بالاشتراكية - الديمقراطية - التعاونية : وأكدت على كلمة ديمقراطية اثناء نطقها لها ) . ولو كانت كلمة ديمقراطية تلك منفذة ، لما رايتنى هنا امامك . وامنيتى حقا : ان تنفذ الدولة شعارها .

قال :

- وتقولين الا علاقة لك بالسياسة ا ماذا تقرئين من كتب ؟

- أقرأ ، أساسا ، كتبنا اجتماعية .
- حسنا ، تقرأين الكتب الاجتماعية ، أساسا ، فماذا تقرأين فرعا ؟
- كلمة « أساسية » تلك لازمة لى فى كلامى . أنا أقرأ الكتب الاجتماعية والادبية .

\* \* \*

ومثلت ، ايضا ، انتصار خطاب أمام وكيل النيابة . كان يجلس الى جواره الكاتب وشخص ثالث . سألت انتصار خطاب ، وكيل النيابة ، عن هوية هذا الثالث . قال ، مباحث عامة . اعلنت انها لن تتكلم حتى يأمر باخراجه . أخذنا يتهايمسان ، ثم نهض ضابط المباحث قائما ، الا انه جلس خلفها . كان من الواضح ان وكيل النيابة عاجز عن اخراجه . سألها وكيل النيابة عن الكتب التى عثروا عليها فى منزلها ، اجابت بان كل ما أخذ من المنزل يخص زوجها . قال .

- حسا ، ربما قلبت فى هذه الكتب ، أو قمت بترتيبها .
- كلا . لم يحدث .
- الا تعرفين عنها شيئا ؟
- كلا . لا شيء البتة .
- فيها تتحدثين انت وزوجك عندما تكونا على انفراد ؟
- تماما ، فى نفس ما تتحدث فيه انت وزوجتك عندما تكونا على انفراد .

- ما موقفك من نظام الحكم ؟
- من حقى أن اعترض على نظام الحكم ، الا اننى لست منضمة الى أى تنظيم سياسى .

- اذا من تكون « الهام » تلك ؟
- لا اعرف .
- هل لديك أقوال أخرى ؟
- نعم ، زوجى صلاح خطات بالخارج هنا . اطلب التصريح لى بمقابلته .

وافق على التصريح ، ومنحها اياه . الا ان المباحث العامة منعتها ، وكان النيابة لا وجود لها .

\* \* \*

ايفون حبشى ، قبض عليها فى حملة مارس ١٩٥٩ ، وانرج عنها فى ٢٤ يوليو ١٩٦٠ . عملت رسامة فى أحد مصانع النسيج بشبرا الخيمة ، واقامت هناك .



في الساعة الواحدة والنصف ، بعد منتصف الليل ، في ٢٥ ابريل ١٩٦٢ هاجم حسن المصيلحي ومعه قوة من المباحث العامة حجرتها . فتشوا كل ركن فيها ، حتى بلاطها كانوا يدقون عليه . اخذوها الى مبنى المباحث العامة ، حيث وضعوها في احدى الطرقات ، وتركوها بلا طعام أو شراب . رات في الطرقة اشباح بعيدة ، اناسا جالسين على الأرض . والمخبرين فوق الكراسي يراقبون . كانوا رفاقا امسك بهم في نفس الحملة .

انزلوها الى حجرة بالطابق الأرضي ، وهناك سمعت في الحجرة المجاورة لها ، صوت سيدتين مسنتين ، كانت احدهما تسب وتلعن ، فهي مريضة ، بلا دواء ولا تستطيع الجلوس . كانت تدعو الله ان يخرّب بيوتهم كما خربوا بيتها واعتقلوا ابناءها .

كان وكيل النيابة المحقق ، هو سمير ناجي . وكان استفزازيا كعهده في كل تحقيق أجراه . سألها ان كانت تعرف الاشخاص المقبوض عليهم ، فنفت معرفتها بأي واحد منهم .

غضب وثار مؤكدا اعتراف الجميع عليها . اكدت نفيها ، فليعترف من يعترف كيف شاء . ان اعتراف الآخرين أمر لا يخصني .

قام بعملية عرض بينها وبين المقبوض عليهم « حسن بيومي ، ابراهيم فتح الله ، عبد المحسن شائش ، علي بدوي وعبد الستار » ، فلم تتعرف عليهم أو يتعرفوا عليها . قام بعملية عرض أخرى مع السيدتين المسنتين ، بالصوت والرؤية المباشرة ، الا انهما لم يتعرفا عليها . فارسل بها الى سجن القناطر - نساء ، تحت التحقيق .



كانت السيدتان اللتان تمت معهما المواجهة هما ام نسيم يوسف السجين بسجن القناطر - رجال ، وأم أحمد ومحمود العطار للسجينين بسجن الحارثيق بالوحدات الخارجية . كانت السيدتان من اصلب المناضلات في قيادة عائلات وأسر المسجونين والمعتقلين الشيوعيين . وكان القبض عليهما ، وتعريضهما لكل صنوف الضيق والمهانة ، يستهدف بث الذعر فيهما وفي باقي العائلات ، حتى يتوقف نضالهن ، والذي كان يسبب للسلطات أشد القلق والازعاج .

أم محمد محمود عثمان ، أم مصطفى عباس ، أم العطارين وأم نسيم ، أسماء محوية في عالم العائلات . سيدات مسنات ، امتهن الارادة

الفولانية والقدرة القيادية التلقائية ، فقدن حركة العائلات في اشد الظروف اظلاما وارهابا . بدأت كل منهن كأم لمعتقل أو أكثر ، لمسجون أو أكثر ، ومع الايام غدون ، حقيقة ، امهات لكل المسجونين وكل المعتقلين .

كانت أم نسيم يوسف ، انسانة بسيطة للغاية ، لا تجيد القراءة او الكتابة . يقول ابنها نسيم يوسف ، « بدأ تحرك أمي ، عندما قبض على في منتصف الخمسينيات . كان تحركا عائليا في الأساس . وعندما انعقد مؤتمر حزب العمال والفلاحين الشيوعي المصري ، منحتها اللجنة المركزية ، عضوية الحزب ، تقديرا لجهودها ونشاطها . ومنذ تلك اللحظة بدأت تتحرك سياسيا وتنظيميا . بعد حملة ١٩٥٩ والقبض على ، أصبحت أنا وكثير ممن تعرفهم من الرفاق ، خلف القضبان . واصبح جميع الزملاء في الخارج وحماية الحزب ، هو الطريق أمامها لحمايتنا في الداخل ، والطريق الى خروجنا ايضا ، .

٢١ مارس ١٩٦٠ ، يوم عيد الأم ، علم الرفاق في اوردى ليمان أبو زعبل ، بأن سيدة قد وصلت اليوم الى باب المعتقل . وأن حسن منير فائد المعتقل قد رآها ، فأمر بقوة حملتها الى خارج المنطقة . كما أمر بتكدير عزبة السجانة ، فقد كانت ، هذه العزبة ، قرب المعتقل ، كما انها الممر الوحيد الذي يؤدي اليه . وكان لتلك الواقعة اصدائها في المنطقة كلها .

لم تكن تلك السيدة ، التي بلغت باب الاوردى ، غير أم نسيم . كانت قد عرفت بوجود الرفاق ، ومعهم ابنها ، في اوردى ليمان أبو زعبل ، فقررت أن تصل الى هناك ، بأية صورة من الصور ، لعلها تسمع عنهم شيئا ، أو تعرف حقيقة ما يجري معهم . ارتدت ملابس بلدية ، وتوجهت الى عزبة السجانة ، باعتبارها دلالة تبيع القماش بالتقسيط . تجمعت حولها نسوة السجانة ، وكل واحدة منهن ، تطلب منها ، ما تحب من أقمشة . كان الوقت ظهرا ، فتناولت غذاءها معهن . سألتهن ، أثناء تناول الطعام ، عن طبيعة هذا المكان ، فبدأت حكايات النسوة عما يجري داخل المعتقل . غادرت على أن تعود الى المجرى . وجاءت يوم ٢١ مارس . كان من عاداتها أن تزور ابنها ورفاقه ، أثناء ان كان سجيناً ، فيما سبق ، في مثل تلك المناسبة . ذهبت الى عزبة السجانة فارغة اليدين ، واعتذرت لنسوة السجانة بانها احضرت القماش المطلوب معها ، الا ان اخريات أخذنه منها في الطريق ، ووعدتهم باحضار كل حاجتهن في

الاسبوع المقبل ، ثم غادرت . الا انها بدلا من ان تغادر في الاتجاه الذى جاءت منه خارج العزبة ، اتجهت من العزبة الى اوردى أبو زعبل حتى بلغت البوابة ، وهناك حدث ما حدث . الا ان مجرد وصولها الى باب الاوردى ، كان بمثابة رسالة الى الرفاق المعتقلين خلف جدرانهم . رسالة تقول لهم : « نحن معكم . اننا نفعل المستحيل من أجلكم » .

وجاءت قضية ٢٥ ابريل ١٩٦٢ . فكانت فرصة للمباحث العامة تى تزج بها في هذه القضية . وفي التحقيق الذى اجراه سمير ناجى بحضور حسن المصيلحى ، اتهمها بانها تقوم بتمويل الحزب الشيوعى المصرى وتعمل على تجميع رفاقه . وردت أم نسيم عليهما ، « كيف بى انا الفقيرة التى لا تستطيع تدبير حياتهما ، ان تمول حزبا سياسيا ! اننى لا اعرف احدا غير ابنى »

لم تجد النيابة امامها الا ان تفرج عنها . وقال لها حسن المصيلحى وهى تغادره ، « لقد خرجت هذه المرة على قدميك . أما فى المرة القادمة ، فلن تخرجى الا على ظهرك » . ابقوها عدة ايام فى اقسام الشرطة ، ارهاقا وتذكيلا ، ثم خرجت الى الشارع مرة أخرى .

\*\*\*

افرج عن ايفون حبشى للمرة الثانية فى ١٣ فبراير ١٩٦٣ ، ثم اعيد القبض عليها فى ٢٥ ديسمبر ١٩٦٣ .

توجهت ، بعد الافراج عنها ، الى المصنع الذى كانت تعمل به . كان لها بقية من أجر . الا انهم اعادوها للعمل لكفالتها السابقة ، وحاجتهم اليها .

نق الهاتف فى جرة عملها . قال السائل ، عندما تحقق من شخصيتها ، أنه من طرف اصدقائه مشتركين ، وأنه يود لقائها الأمر هام . حدد الموعد ، وذهبت بالفعل الى لقائه . اخبرها انه قادم من طرف احد الرفاق ، وهو فى حاجة الى جنيهاً خمس ، كما أنه قد ارسل لها معه خطابات وأوراق ، سوف يحضرها فى الموعد القادم . كان الرفيق الذى يتحدث عنه سجيناً بمنفى الواحات ، فسألت ، هذا الوسيط ، كيف امكنه الاتصال به ؟ فأخبرها أنه الآن فى سجن مصر . انتابها الشك فى أمره ، « كانت هيئته أقرب الى المخبرين منها الى هيئة الرفاق وتصرفاتهم » . حصلت على الجنيهاً الخمس من شقيق الرفيق السجين . حذرهما ، عندما سمع باحداث القصة ، من هذا الرجل . اذ لو كان أخوه

قد جاء من سجن الواحات الى سجن مصر ، لكان بالضرورة قد علم هو بذلك . ذهبت في الموعد المحدد . الشك يساورها بقوة ، الا انها نختى ان يكون شكها في غير موضعه . اخذ الرجل النقود ، وناولها الأوراق ، عادت المكان ، وبينما تهم بركوب الاتوبيس ، انتضت عليها المباحث العامة ، وسقطت في الكمين .

عندما رآها ، أحمد صالح داود ، سبها سباً بذيئاً ، مقزعا . فردت عليه سبابه . أمر بنقلها الى قسم الخليفة ، حيث عولمت اسوأ معاملة . تركوها بلا طعام ، حتى جراءة المحتجزين ، حرموها منها . دقت باب التخشيب ، فأتاها ملازم ثان . سألها زاعقا ، ماذا تريد ؟ طلبت طعاما . سألها مرة أخرى ان كان معها نقودا ، فاعطته كل ما معها . اخذ النقود ولم يعد ، ولم يرسل لها طعاما .

بعد ايام سبع أخذوها للتحقيق ، كان وكيل النيابة طويلا ، عريضا ، يجلس الى مكتب حشر فيه حشرا . جلس حوله ضابط مباحث وآخرون . سألها المحقق ، ما اسمك ؟ قالت ، لن اجيب ، حتى يغادر هؤلاء الذين حولك ، الحجرة فورا . سألها ، لماذا عيناك حمراوتان ؟ قالت ، لن اجيب الا ان خرج هؤلاء . قال ، ليس هذا الكلام في صالحك . سألته ، اى مصلحة تعنى ؟ قال ، مصلحة التحقيق . ولسوف اسجل لك كل ما تشاين . اصررت على موقفها فغادر الضابط ومن معه الحجرة . بدا الارتياح على وكيل النيابة . عاد يسأل مرة أخرى ، ما اسمك ؟ طلبت ، قبل اى شئ ، ان يسجل كل ما حدث لها ، ففعل . اختتمت تسجيلها بقولها ، « وهكذا ترى سيادتك ، لماذا احمرت عيناى » . ثم طلبت ان تأكل من مالها الخاص ، ذلك الذى استولى عليه ضابط قسم الخليفة .

سألها وكيل النيابة ، عن من جاء الخطاب منه ؟ فاجابت بانها خطيبها . كان الخطاب يتحدث عن عيد ميلادها وهديته لها بهذه المناسبة . كان قد مضى على عيد ميلادها قرابة اربعة شهور . وكان معنى ذلك ، ان هذا الخطاب قد وقع في ايديهم منذ فترة طويلة ، وانهم قد احتفظوا به ليخسوه لها الآن ، كدليل اتهم . ظل وكيل النيابة ، يدور باسئلته حول هذه النقطة حتى الثالثة صباحا . كيف كانت ستتسلم هدية عيد ميلادها ؟ ومن من ؟ وهل تعرف هذا الذى سيوصلها اليها أم لا تعرفه ؟ وعندما لم يصل الى نتيجة من وراء كل تلك الاسئلة ، اخرج لها مجموعة أخرى من الخطابات ، كانت قد ضبطت معها في المرة السابقة . فاخبرته بانها قد ووجهت بهذه الخطابات من قبل ، وانتهى التحقيق معها .



حينذاك ، الى لا شيء . انهم يسعون الى تليفق قضية لها ، تدور حول اتصالها بالسجن .

في الخامسة صباحا ، انتهى وكيل النيابة التحقيق ، وارسل بهما الى سجن القناطر - نساء . في سجن النساء ، وضعوها في عنبر تاجرات المخدرات . لم يضعوها في عنبر المسجونات الشيوعيات . كان العنبر خاليا تماما ، لا تشغله غير السرر الثلاثية الادوار ، وكمية هائلة من البق والبراغيث والقمل . طلبت مقابلة مأمور السجن فرفض ، كانت كل ابرفيقات المعتقلات قد افرج عنها فادركت انها الآن بمفردها ، مكسرة ردا على ما حدث منها مع أحمد صالح داود .

لم يكن معها ملابس ، فقد امسك بها من الشارع ، فاحضرت السجناء لها « شول » المسجونات العاديات . قالت لها ، اننا تحت التحقيق ، وهذا رداء المحكوم عليهم . قالت السجناء ، انها الاوامر . سوف ترتدين الشول وكذا طرحه المسجونات . الباب سوف يفتح على الدوام ، والطعام طعام السجن . نظرت من شبك العنبر ، والذي كان يطل على المكان الذي تتخذة السجناء « سوقا » لاعمالهن التجارية ، ففوجئت بملابس تلقى اليها ، قميص نوم شتوي ، وماكولات ، من بسكويت ومعلبات وسجائر . تأثرت للغاية بما فعلت السجناء العاديات ، فطلبت منهن أن يعرف من اللواتي قمن لها تلك الاشياء ، فرفضن الاجابة . وطلبن منها الحذر ، فالوامر ، ضدها ، مشددة .

فوجئت بان سجانة العنبر ، هي نفسها تلك السجناء التي كانت تعرفها في سجن طنطا ، عندما كانت تقوم بزيارة السجن ، كجزء من عملها ، قبل أن يقبض عليها أول مرة . عندما تعرفت للسجانة عليها ، دقت صدرها وشهقت ، قالت ، ارأيت ما وصل اليه حالك ؟

قضت في هذه التكريرة من الحبس الانفرادي ، سبعين يوما . وفي ٣ مارس ١٩٦٤ افرج عنها بين تهليل السجناء العاديات وضجيجهن . وكان ذلك هو الافراج الثالث .

في سراي المحكمة ، بباب الخلق ، التقت ايون صنفه ، بوكيل النيابة الذي حقق معها آخر مرة . حياها الرجل في حماس : قال لها ، انه كان نكاه منها بتفنيدها لمسألة الخطاب ، واثبات انه من مضبوطات

السجن ، وليس من مضبوطاتها هي . لقد كان لهذه النقطة أهميتها ، حيث نبهته الى أن هنالك ما يدبر لها ويحاك ، اعتذر لها عن خشونته . لقد فعل بعض ما فعل خشية أن يذهب هو أيضا وراء الشمس ، وطلب منها ألا تحزن ، فقد كانت شجاعة .



## القضايا والمحاكمات :

### انجى افلاطون وآخران :

بينما كانت انجى افلاطون في معتقل مستشفى القصر العيني ، جاءها فجأة اعلان بقضية . حضرت اليها شقيقتها وكذلك الدكتور محمد عبد الله المحامى . كان بادى الضيق . قال أن جلسة نظر القضية قريبة الموعد ، في حين أن دوسيه القضية ، والذي يلزم الاطلاع عليه ، ضخمة للغاية . ثم اخبرها ، أن ضابط المباحث المتواجد في معتقل المستشفى ، سوف يتواجد معها اثناء مناقشتها القضية . احتجت انجى على ذلك ، الا ان المحامى طلب منها ان تتحمل ذلك ، فالوقت ضيق ، ويلزم له الاتفاق معها على كل شيء .

جلسن الثلاثة في حجرة صغيرة . بدأ المحامى حديثه لانجى بالفرنسية . قال لها أن مركزها في القضية ليس سيئا ، انما السوء هو ما تتمتع به من سمعة كشيوعية . تدخل ضابط المباحث من حديثا بالفرنسية ، ليفهمها بطريقة لبقة ، أن الحديث بالفرنسية ، لن يمنعه من ممارسته لعمله . كانت النقطة التي تهم انجى في حديثها مع المحامى ، هي رغبتها في تقديم دفاع سياسى . كان هذا الموضوع ، من وجهة نظرها ، شديد التعقيد ، تدور حوله الكثير من الخلافات الحزبية . استقر رأيها على تقديم دفاع عن تاريخ الحركة النسائية الديمقراطية ، ودورها ، في الدفاع عن حقوق المرأة . كان من رأى المحامى ، الا تقدم أى دفاع سياسى ، وان فعلت ذلك فليكن دفاعها باللغة الفرنسية أو بعربية مهشمة . اوضح لها أنه أقوى أن يقيم دفاعه القانونى عنها ، باعتبار أنها قد تربت تربية فرنسية ، وانها بالكاد تعرف العربية . وانها لو قدمت دفاعا سياسيا بالعربية الصحيحة ، فانها بذلك تنسف أساس دفاعه كله . تقول انجى افلاطون ، « وجدت اننى لو فعلت ما اشار به على ، فسوف ابدو ، في المحكمة ، كالبهلوان . وامام ذلك أخبرته باننى لن اتكلم . خاصة وان القضية صغيرة العدد للغاية ، ولن يكون هنالك من يعن عن هذا الدفاع . الا اننى اوضحت له ، أن هنالك ضجة عالمية من

أجلى ، يثيرها اتحاد النساء الدولى الديمقراطى ، وانه لو حدث وحصرت المحاكمة ، مراقبة من الاتحاد ، فلابد ان اقدم دفاعا سياسيا عن تاريخ الحركة النسائية وكفاح المرأة المصرية . وكان من رأى المحامى ، ان هذا الدفاع ، لو حدث ، فسيزيد الامور تعقيدا بالنسبة لى ، .

الا ان مندوبة عن الاتحاد النسائى لم تحضر . كانت المحكمة زاخرة بقضايا جنائية عادية أخرى . والقاعة مليئة باهالى المتهمين الصاديين ، وينير الجميع ضجيجا عنيفا . كان ترتيب قضيتها فى نهاية الجلسة . الا ان هيئة المحكمة بدأت بهما . كان المدعى سمير ناجى ، وكان موقفه ، كالعهد به ، سيئا للغاية ، مصابا بحالة تشنج عصبية ، يهاجم وكان الامر ، امر شخصى . تناول فكر الحزب ، وما يفهم من الأوراق المضبوطة ، بان عبد الناصر يمثل الاحتكار ويستعمر سوريا . الا ان الدكتور محمد عبد الله قاطعه متهما اياه ، بانه ، بما يقول ، يهاجم عبد الناصر بكلام خطير فى جلسة علنية ، بما يدين المدعى نفسه ، حيث ، أنه بما يقول ، يسب ذات الرئيس ويشتمه . فتوقف سمير ناجى ، ولم يكمل على النحو الذى بدأه . الا انه لجأ الى الهجوم التقليدى ، الهجوم على الشيوعية وأنها بلا دين أو أسرة .

ثم قدم سمير ناجى مجموعة الصور التى اخذتها المباحث الصامدة لانجى افلاطون بعد القبض عليها ، وهى ما زالت متفكرة ، للتدليل على خطورتها . الا ان رد الفعل ، عند المحكمة ، كان عكسيا .

ثم تقدم المحامى بدفاعه ، طبقا لوجهة نظره .

واصدرت المحكمة حكمها بالسجن سنتين لانجى افلاطون ، وثلاث سنوات لكل من الزميلين الآخرين . واعيدت انجى الى معتقل القصر العينى ومنه الى سجن القناطر - نساء ، حيث وضعت فى مستشفى السجن مع باقى الرقيقات المحكوم عليهن .

انتهت مدة الحكم فى ١٩/٦/١٩٦١ ، فوجب الاقراج عنها ، الا ان الأمر الذى كان متوقعا ، الى حد اليقين ، هو انها سوف يعاد اعتقالها مرة أخرى . جلست انجى فى حوش السجن ، فلا هى الآن مسجونة أو معتقلة . انها مفرج عنها فى انتظار أمر الاعتقال . وجاء الامر بالفعل ، فانتقلت الى عنبر المعتقلات مرة أخرى .

ورأت ادارة السجن ان هذا الامتثال ، اعتقال جديد . وبالتالي فهو يسقط التصريح السابق لها بالرسم وعليها ان تطلب تصريحاً جديداً .

بعد فترة وجيزة ، قضتها انجى فى نحت الصابون ، جاءها التصريح  
الجديد .

\*\*\*

### ثريا ادهم وآخرون :

شكلت القضية من خمس وعشرين متهما ومتهمة ، هى خليط من  
سجن القناطر - نساء ، وسجن القناطر - رجال . كما كانت خليطاً ،  
ايضاً ، من مختلف الانتماءات التنظيمية الشيوعية : الحزب الشيوعى  
المصرى - حدثو - الطليعة الشيوعية - ووحدة الشيوعيين .

كان منها من النساء ثريا ادهم وثرى ابراهيم :

تقول ثريا ادهم ، « قضيتى من اغرب القضايا . تركزت حول  
خطابات متبادلة بينى وبين زوجى حلمى ياسين ، والذي كان قد قبض  
عليه فى حملة يناير ١٩٥٩ - الحزب الأول فيها كان بعنوانه « حبيب  
الكبير » ، والحزب الثانى فيها كان بعنوانه « زوجى الحبيب » . وكلاهما  
مقرات مأخوذة من خطاباتنا الشخصية . فى واحد من هذه الخطابات  
كان مكتوباً ، « ..... اعتقد ان زواجنا ، سوف يكون دافعاً لكل منا ،  
لزيادة من التضحية فى سبيل القضية التى آمنا بها ، الا وهى قضية تحرير  
البشرية » . قيل ان قضية تحرير البشرية تلك ، لا يمكن ان يتحدث فيها  
غير الشيوعيين . وحيث انى قد تزوجت من حلمى ياسين ، وهو من قيادات  
الحزب ، وقد حكم عليه بعشر سنوات ، افن لابد وان تكون الشيوعية  
هى المقصودة بالحديث عن التضحية فى سبيل القضية .

« كان معى ايضاً ثريا ابراهيم ، زوجة الدكتور مختار السيد ، وكان  
هو ايضاً معنا فى القضية . كان لديهما طفلة اسمها « مير » ، أى « السلام » .  
واعتبرت هذه التسمية من قرائن الاتهام ضد ثريا ابراهيم . »

« كانت التهمة الموجهة الى الجميع هى العضوية ، دون تحديد مستوى  
تنظيمى يربط فيها بين المتهمين . وكانوا جميعاً ممن قبض عليهم فى ٢٨  
مارس ١٩٥٩ . »

تقول ثريا ادهم ، « كان اعضاء الحزب الشيوعى المصرى منقسمين  
على انفسهم . البعض منهم موافق على الخط السياسى لقيادة الحزب ،  
والبعض الآخر غير موافق ، مما ترتب عليه انه لم يكن هنالك موقف اتفاقى



واحد بالنسبة لخط الحزب والدفاع عنه أمام المحكمة . كان موقفى القانونى جبدا ، الا ان موقف الزملاء ، وفكرة البعض منهم ، على قصر سماعتهم فى حدود الدفاع القانونى ، وضعنى امام ضرورة ان انبرى انا للدفاع عن وجهة نظر الحزب أمام المحكمة .

وقد ترافع عن ثريا ادهم ، عنها الاستاذ صفوت « باشا » ادهم المحامى . وقد انصبت مرافعته ، على ان المحكمة تحاكمهم طبقا للقانون ٩٨ ، وهو القانون الذى يدين تغيير الحكم باستخدام القوة ، فى حين ان ثورة ١٩٥٢ نفسها قد غيرت الحكم باستخدام القوة . ثم تناول ما يقول به المتهمون ، وهو أكثر مما جاء فى الميثاق بعض الشيء ، الا انه لا يتضمن أى تغيير لأسس نظام الحكم . ومن هنا فان ركن الاتهام غير ذى موضوع .

ودافعت ثريا ادهم على نفسها : اوضحت ان القوانين التى تطبق حاليا ، انما هى قوانين مستمدة من برتغال سسالازار . وأن قضية الديمقراطية هى القضية التى تشكل نقطة الخلاف الأساسية . ووضحت ان النيابة تعتبر أن قضية تحرير البشرية قضية شيوعية ، وهذا تفسير خاص بالنيابة ومن عندياتها ، « أما عنى ، فلى الشرف أن يكون هذا الطريق طريقى ، ولسوف اظل اناضل فيه . تلك هى حياتى وتضحياتى ، افخر بها واسجلها . انكم لا تملكون أساسا لمحاكمتى ، لكنكم نحاكموننى لأرائى السياسية » .

كانت المحكمة تحاول اخراج كل رفيق يأخذ فى الكلام . قاطعت ثريا ادهم وهى تدافع عن نفسها ، ألا ان ثريا قفزت وفق المقعد داخل القفص ، وألقت كل دفاعها السياسى ، وقد عجزت المحكمة عن اخراجها من الجلسه .

### الدفاع السياسى الذى القته

#### ثرىا سعيد ادهم

« ابدأ كلمتى بأن اقدم من وزراء القضاة ، تحياتى الحارة ، وتهانى القلبية الى شعب الجزائر الباسل وزعمائه الثوار ، للنصر المجيد الذى روته دماء مليون شهيد عربى ، سقطوا ، بشرف ، فى ميدان القتال . وبوصنى امرأة عربية اشتركت فى كل معركة خاضها شعبنا البطل ، خلال كفاحه الطويل ضد الاستعمار ، وضد الملكية ، وضد الرجعية ، احنى رأسى ، اجلالا وتقديرا للبطله المجاهدة الجزائرية ، جميلة بوحيرد ، التى رسمت

بتضحياتها البطولية اسطورة شعبية ، تلهب حماس الملايين في شتى انحاء الوطن العربى ، ليهب يخلص بلاده من نير الاستعمار وحكامه الخونة العملاء .

« سيدى الرئيس ، حضرات السادة المستشارين

« انى انظر حولى ، للمجموعة ، الموجودة معى فى قفص الاتهام ، فلاحظ انها تضم عناصر من خيرة ابناء هذا الوطن . تضم عمالا نقابيين ، كرسوا كل حياتهم لخدمة قضية زملائهم ، تضم مثقفين احرارا ، اشتركوا فى كافة مراحل الكفاح الوطنى ضد الاستعمار ، تضم نساء قدامى ، بشجاعة ، اعلى للتضحيات ، لتأكيد دور المرأة المصرية فى الحركة الوطنية والاجتماعية . انها مجموعة مكانها الطبيعى ان تخرج ، فوراً ، الى الشوارع ، تساهم ، بكل قواها ، فى معركة شعبنا الكبرى ، من أجل حياة حرة ديمقراطية ، يرفرف عليها السلام .

« سيدى الرئيس ، حضرات السادة المستشارين

« لقد سبق ان اوضحت ، عند اعتقالى ، منذ ثلاث سنوات ، ان همركتنا مع الاستعمار عدونا للدود وربيبته ، اسرائيل ، لم تنته ، وانسه ما زال قابعا فى تحصيناته العسكرية القائمة فى قلب البلاد العربية . يتربص بكافة شعوب المنطقة ، يضرب المجاهدين العرب فى عمان ، وفى المحيطات ، وفى عدن . يقتل ويذبح المواطنين ، فى بنزرت ، والمغرب ، ووهران ، ويعتدى على حدود سوريا الشقيقة ، ليسترجع مراكزه الاستراتيجية والاقتصادية الحيوية ، التى فقدتها فى كل من مصر وسوريا والعراق . قلت ، ايضا ، ان الاستعمار لن يتوانى ، لتحقيق اغراضه الدنيئة ، عن استخدام مختلف السبل والمناورات فى تصدير المؤامرات ، الى مساندة عملائه الحكام العرب الخونة ، الى حد الاعتداء على الحدود .

« ان خبرة العدوان الاستعماري الغاشم على بلادنا ، عام ١٩٥٦ . اثبتت ، بالدليل القاطع ، ان الشعب تمكن من صد المعتدين فى بورسعيد ، لأنه كان يتمتع ببعض الحريات النسبية ، وعلى رأسها حرية حمل السلاح ضد المستعمرين الغزاة ، وحرية كفاح الشعب ، وتعبئة الجماهير فى هذا السبيل . وأنه ليثرف هذه المجموعة ، الواقعة اليوم فى قفص الاتهام ، انهم لعبوا جميعا دورا رئيسيا فى تكوين وقيادة هذه اللجان . ان اهم درس استخلصناه ، من معركة بورسعيد ، هو أن الشعب الواعى

المنظم في تنظيمات جماهيرية واسعة ، هو القوة الوحيدة التي يمكنها أن تدافع عن بلادنا وتحمي استقلالها . وأن هذا لن يتأتى الا عن طريق اطلاق كافة الحريات السياسية ، والديمقراطية ، لجميع التوى الوطنية بما في ذلك حق تكوين الاحزاب الوطنية ، دون ادنى تدخل من جهاز الدولة ، أو تنظيماته .

« لكن الحكومة ، بدلا من السير قدما في هذا الطريق ، شنت منذ أول يناير ١٩٥٩ ، حملة ضد اشرف العناصر الوطنية ، واصلبها ، من نقابيين وشيوعيين ومثقفين وانصار سلام ، رجالا ونساء ، والقت بهم في معتقلات أبى زعبل والواحات والفيوم ، للتعذيب للبربرى ، حيث سقط منهم عشرات من الشهداء ، نتيجة سياسة التعذيب والقتل المباشر . واليوم ، بالرغم من فشل هذه السياسة ، نجد أنه ما زال هناك في الجمهورية العربية المتحدة ، مئات المعتقلين ، رجالا ونساء . وفي سجونها مئات أخرى حكم عليها بأحكام تزيد عن الألف سنة . وانهم ما زالوا محرومين من أبسط الحقوق الانسانية ، معرضين ، كل يوم ، للموت البطيء ، من جراء سوء التغذية وأعمال السخرة وانعدام العلاج الطبى ، مما أدى الى استشهاد الشهيد شعبان حافظ في معتقل الواحات ، في ١٤ مارس الماضى .

« واستمرت الحكومة في هذه السياسة الخاطئة ، وأخذت تضيق ، أكثر وأكثر ، في الحريات ، وتحرم الشعب من أبسط حقوقه الديمقراطية ، وتعرض عليه نظاما ديكتاتوريا يجعل من أجهزة المباحث العامة أعلى سلطة في الدولة ، مما أدى الى مزيد من السخط والتذمر بين الجماهير الشعبية .

« ثم جاءت قوانين يوليو ١٩٦١ ، تلك القوانين الوطنية التقدمية ، التي دفعت بمجلة الاقتصاد المصرى الى الامام ، وخصصته من بعض الجيوب الاستعمارية الاقتصادية التي كانت تعرقل تطوره ، وما صاحب هذه القوانين من اجراءات ، تتطلب ضرب القوى الرجعية في البلاد . لكن الحكومة نست انه لا يمكنها ان ترفع ، بيد ، شعار ضرب الرجعيين ومكافحة الاستعمار ، وتضرب ، باليد الأخرى ، القوى الشعبية وطليعتها . وأن المكاسب الحقيقية التي حققتها تلك القوانين للجماهير الشعبية ، ستبقى ، رغم ضآلتها ، حبرا على ورق ، لا يستفيد منها العمال والفلاحون ، الا اذا كانت لديهم تنظيماتهم السياسية والنقابية ، المنبثقة منهم ، والتي تدافع عن مصالحهم وتمثلهم تمثيلا ديمقراطيا صحيحا .

« سيدى الرئيس ، حضرات السادة المستشارين

« ان فشل الوحدة المصرية - السورية ، وما يمثله ذلك من انتكاس في حركة التحرر العربى ، ليعكس المخاطر الجسيمة التي تهدد بلادنا

واستقلالها السياسى والاقتصادى ، من جراء استخدام السياسة الديكتاتورية التى تسير عليها الحكومة ، والتى تحرم الجماهير الشعبية من قيادة اخلص ابنائها ، وتتركهم يتخبطون فى الظلام ؛ بلا قيادة ، ولا تنظيم ، ولا توعية . انه ليس هناك سوى طريق واحد ، للمحافظة على استقلال البلاد وتدعيمه ، وهو طريق حل ازمة الديمقراطية ، التى تمسك بخناق البلاد ، وهذا يعنى :

**أولا :** اطلاق كافة الحريات السياسية والنقابية لجميع القوى الوطنية ، بما فى ذلك حق تكوين الاحزاب الوطنية ؛ ويتضمن هذا الغاء القانون رقم ٨ لعام ٥٨ ، والخاص بتدخل الاتحاد القومى فى تكوين وترشيحات النقابات .

**ثانيا :** الافراج عن جميع المعتقلين السياسيين ، رجالا ونساء .

**ثالثا :** وقف محاكمات الشيوعيين ، والافراج عن المسجونين .

**رابعا :** عقد جمعية تأسيسية منتخبة ، على أساس ديمقراطى واسع ، تبدأ فوراً ، فى وضع دستور للبلاد .

**خامسا :** الكفاح ، بلا هوادة ، لتصفية الاستعمار وعملائه الخونة ، نهائيا ، من منطقة الشرق العربى والدعوة الى الوحدة العربية الديمقراطية . بين كافة البلدان العربية المتحررة .

**سادسا :** رسم سياسة اقتصادية تكفل القضاء على الازمة الاقتصادية التى تمر بها البلاد ، وتضمن التغلب على العجز الدائم فى ميزاننا التجارى مع بلدان المعسكر الرأسمالى الغربى ، واقامة مزيد من العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية مع بلاد المعسكر الاشتراكى وبلدان آسيا وأفريقيا .

**سابعا :** حماية السلام العالمى ، ومنع استخدام القنبلة الذرية ، وتأييد كفاح الشعوب المستغلة ، المضطهدة فى كل مكان ، من أجل تصفية الاستعمار ، تصفية نهائية .

**ثاميا :** تطبيق سياسة الحياد الايجابى وقرارات مؤتمر بانكوك والدار البيضاء ، على اوسع نطاق .

**تاسعا :** تنفيذ برنامج عاجل للتنشاش الاقتصادى للجماهير الشعبية ، بخفف من حدة الغلاء ، ويرفع مستوى الأجور ، ويحدد من الضرائب غير المباشرة ، المتزايدة .



« سيدى الرئيس ، حضرات السادة المستشارين

« هذه هي آرائى ، وهذه هي اهدافى فى الحياة .

« وليس لى ما أقولنه سوى انه يسرفنى بانلى ، منذ عام ١٩٤٦ ، وانا اقدم كل ما املك بلا تردد ، ولا مقابل ، فى سبيل قضية بلادى العزيزة وشعبها الحبيب . لقد اشتركت فى مذبحة كوبرى عباس ، فى ٩ فبراير ١٩٤٦ ، وكذا ٢١ فبراير ١٩٤٦ ، ونكثت عضوة فى لجنة العمال والطلبة . اشتركت فى اضرابات عام ١٩٤٧ . ونتيجة لنشاطى الوطنى ، ايلان العهد الملكى البائد وارهاب ابراهيم عبد الهادى عام ١٩٤٩ ، حكم على بالسجن . وفور خروجى اشتركت فى معركة الكفاساح المسلح فى القتال ، عام ١٩٥١ . واستمر نضالى الوطنى بعد الثورة ، وساهمت فى كل معارك شعبنا . وفى ١٩٥٦ كنت عضوة فى لجنة المقاومة الشعبية بكتل الدوار ، وفى ١٩٥٧ كنت عضوة فى لجنة التوعية الانتخابية . وفى ١٩٥٨ قمت بدورى فى توعية الشعب بأهمية الوحدة العربية الديمقراطية ، وأهميتها بالنسبة لكفاح شعبنا وكافة الشعوب العربية .

« وانا اليوم ، بعد ثلاث سنوات من الاعتقال ، بعد كل ما قاسيته وما اقايسيه من تدهور سريع فى صحتى يكاد يودى بحياتى ، بعد كل التعذيب الوحشى الذى لاقاه زوجى ، محمد حلمى ياسين ، فى معتقل اوردى ابو زعبل ، اعلنها مدوية ، انى افخر واعتز بنضالى وتضحياتى من أجل بلادى . وانى مستعدة ، اليوم وغدا وفى كل وقت ، أن اقدم حياتى حتى آخر قطرة من دمى فى سبيل مصرنا العزيزة وشعبها الباسل المجيد .

\*\*\*

وانتهت المحاكمة فى ٢٢ يونيه عام ١٩٦٢ . وحكم على ثريا ادهم بالسجن ثلاث سنوات ، وكذا على ثريا ابراهيم بالسجن سنتين ، رغم عدم وجود أى دلائل ضد أى منهما .

وانتهى حبس ثريا ابراهيم فى اليوم التالى لصدور الحكم ، كما انتهى حبس ثريا ادهم بعد اسبوع من صدور الحكم . كانتا كلتاهما قد قضت المدة معتقلة . انتهت مدة الحكم والمصاريف والاشغال والغرامة . وبدلا من الافراج عنهما ، حولت كلتاهما ، بعد ان تم الافراج عنهما على الورق ، فقط ، الى معتقلتين ، مرة أخرى .

وفىما بعد جوكت نوال الحمالوى ، وحكم عليها بالسجن سنتين ، كانت قد انتهت ايضا ، فحولت الى معتقلة ، مرة أخرى .

بعد صدور الحكم والتصديق عليه ، رحل الرفاق ، الذين كانوا مع ثريا ادهم ، في نفس القضية الى الواحات . من صدر ضده حكم غدا مسجوناً ، ومن برى غدا معتقلاً . وهنالك في الواحات روى الرفاق ما حدث في القضية . كانت تلك أول قضية ، خلال هذه الفترة ، تقدم فيها سيدات الى المحاكمة . وكذلك كانت أول مرة تتقدم فيها سيدة بدفاع سياسى . واقام الرفاق في السجن حفلاً ، احتفاء بهذا الحدث والموقف ، كانت خلفيته بطانية سوداء كبيرة ، مرسومة عليها صورة ثريا ادهم بطول البطانية . رأسها في أعلاها وقدمها في أسفلها ، تطل من عل ، على حاجز قفص الاتهام ، الذى لم يتجاوز في الصورة ركبتها ، تلقى دفاعها السياسى . ويقف زكريا محى الدين ، وزير الداخلية ، بطول لا يزيد عن طول حاجز القفص ، في حالة مزع شحيد ، وهو مرتد ملابس شرطى . وفي أعلى اللوحة جملة ، بعرضها ، تقول ، « انفى ادافع عن اشرف قضية » .

وقد أقيمت في هذا الحفل كلمات الترحيب بالزملاء الجدد القادمين من سجن القناطر - رجال . وتم التنويه بدور الرفيقة ثريا ادهم ، ودفاعها السياسى ، ووجهت التحية لها ولكل الرفيقات الموجودات بسجن القناطر - نساء .

# الفصل السابع

## الافراج

افرج عن الرفيقات المعتقلات على دفعات ثلاث .

الدفعة الأولى ، في ٢٣ يوليو ١٩٦٠ ، وفيها افرج عن كل من .  
اجلال السحيمي ، محسنة توفيق ، ايفون حبشي ، سيدة حسن وزينب .  
وتكافئت صهبااء البربري قد خرجت ، قبل ذلك بحوالي اسبوعين ، الى  
غزة . كما كان قد افرج عن وداد مئري في آخر نوفمبر ١٩٥٩ .

الدفعة الثانية ، في سبتمبر ١٩٦٢ ، وفيها افرج عن كل من : انتصار  
خطاب ، ليلى الشال ، ليلى شعيب ، ليلى عبد الحكيم واسماء البقلى .

الدفعة الثالثة ، في ٢٤ يوليو ١٩٦٣ ، وفيها افرج عن كل من : انجي  
افلاطون ، فاطمة زكى ، ثريا ادهم ، ثريا شاكر ، ثريا ابراهيم ، سعاد  
الطويل ، نوال الحماوى ، اميمة ابو النصر ، سميرة الصاوى ، جنيهيف  
سيداروس وزينفات الصباغ .

\* \* \*

عندما جاء الافراج لدفعة سبتمبر ١٩٦٢ كانت انتصار خطاب في  
مستشفى سجن القناطر . كانت ما تزال تعاني من ذلك النزيف الذى  
اصابها ليلة القبض عليها . فوجئت بالسجانة تبحث عنها وهى تصيح ،  
افراج ، افراج . اذهلتها المفاجأة . كانت شديدة الوقع عليها . اسرعت  
الى المنبر تعد نفسها للخروج ، وتودع الرفيقات .

كان من الضرورى مرور المخرج عنهن ، على المباحث العامة ، قبل  
خروجهن الى الشارع مرة اخرى . وهناك تبدأ محاولات الشراء : « انت  
والاولاد تحتاجون الى نقود . اتصلى بنا ان احتجت لآى شئ . هاك رقم  
التليفون . نحن على استعداد لآية خدمة » ، الكلمات الناعمة هى المعبر  
الزلق الى الانزلاق . تساءلت انتصار خطاب فى دهشة ، « هل وقع حدث  
خطير ، يستدعى الافراج عنى ؟ هل توفيت والدتى ؟ هل اصيب أحد  
الاولاد ؟ » قيل لها ، « كلا ، رأينا انك مريضة . وان صحتك ليست على  
ما يرام فقررنا الافراج عنك » !

كانت هنالك اخريات من الرفيقات ، مريضات ايضا ، الا ان المباحث  
العامة لم تخرج عنهن . كانت انتصار خطاب مريضة ، واصاب مرضها  
الاطباء بالحيرة . كانت شكوكهم تدور حول احتمال اصابتها بالسرطان .

ومن هنا كان الإهراج عنها ، يستهدف التخلص من مريضة يحتمل وفاتها .  
ولم يكن الإهراج أشفاقا ولا رحمة .

الخروج الى الشارع يلقي فوق كاهل الأم ، المفرج عنها ، باحمال  
ثقال . لا عمل ، والابناء يتوقعون ان تعوضهم امهم عن كل الحرمان الذى  
عاشوه . هم يتصورون ان تلك الأم العائدة ، قادرة على ان تحضر لهم  
النجوم من كبد السماء .

يقول هنتام خطاب ، : عندما كان والدى ووالدى معتقلين ، كنت انا  
واخى نشترى الصندل اوسع من اقدامنا ، حتى ان كبرنا ، وكبرت معنا  
اقدامنا ، ظل صالحا للاستخدام . ولما خرجت امى من المعتقل ، طلبنا  
منها ان تشتري لنا احذية من الكاوتشوك . كان ثمن الحذاء اثنين وثلاثين  
قرشا ، فقط ، الا انها رفضت ، حيث لم يكن معها أى نقود .

وتقول انتصار خطاب ، : بدأت تنهال على طلباتهما ، وانا عاطلة  
بلا عمل او نقود ، وظروف البيت سيئة للغاية . كنت اتقن صناعة المناديل  
اللينو « بالآجور » . كان المنديل يكلفنى سبعين قرشا ، ويستغرق يوم  
عمل بأكمله ، وابعه بثمانين قرشا . أى ان دخلنا اليومى كان عشرة  
قروش فقط .

اخذت تبحث عن عمل ، حتى علونها احد الاصدقاء لتعمل فى فندق  
شبرد « شيف » بالمطبخ . كان من حقها ، الى جوار مرتبها ، ان تتناول  
وجبتين غذائيتين فى اليوم . كانت لا تأكل طوال اليوم ، لتأخذ نصيبها  
معها الى المنزل ، وهناك كان يتلقفه الوالدان بسعادة غامرة .

أعمال السرقة فى مطبخ الاوتيل تجرى على قدم وساق . كانت  
انتصار خطاب تدقق فى عملها ، مما ضيق على الآخرين . بعد شهرين قبل  
لها : انت انسانة جيدة ، ولذا سوف ننقلك الى فرع الفندق بالمطار .  
هناك جعلوها رئيسة قسم التنظيف ، بل وزادوا اجرها ، جنيهات عشر  
فى كل شهر .

ظلت كذلك حتى عرفت المباحث العامة بعملها . كان أحمد صالح  
داود وراء تلك التحريات . جاءها ضابط أمن المطار . سألها ، هل انت  
مدام انتصار خطاب ؟ اجابت بالايجاب . سحب منها ترخيص العمل داخل  
المطار ، وأخبرها ان القائد يريدنا . الحال ادركت ان النهاية قادمة . فى  
مكتب القائد طلب منها الا تحضر منذ الغد . فقد تم الاستغناء عن خدماتها .  
سألته عن السبب . قال ، جاعنا الأمر بذلك ، ولا اعرف سببا . كل  
ما اعرفه . الا تنحصرى من باكرا الى هنا . امسك بها خمسة من الرجال



ليخرجوها من المنطقة الجمركية كلها • كان منظرا مسيئا لها • تقول انتصار خطاب ، « الخارج على هذا النحو لابد وأن يكون لصا أو مهربا • قررت الا اصمت • اخذت في الزعيق بأعلى صوتي : أنا شيعوية ، وزوجى شيعوى ايضا • انا خارجة ، لتوى من السجن • وزوجى ما زال بالسجن • تجمع الناس ، وأخذوا يلومون الحرس المحيط بى : لماذا تفعلون بها هذا الذى تفعلونه ؟ الا تعرفون العيب ؟ بل ان البعض منهم أخذ فى البكاء •

خرجت من منطقة الجمرك وكأنى امبراطور ايران • القائد والضباط يشكّلون كردونا يحيط بى ، حتى خارج المطار ، ومنه الى الشارع ، عاطلة بلا عمل ، مرة أخرى •

\*\*\*

فى ١٣ فبراير ١٩٦٣ افرج عن ايفون حبشى للمرة الثانية ، ارسلوا بها الى قسم شرطة الظاهر • سألها الضابط النوبطشى ( وكان يعرف تسقيتها الضابط ) ان كان احدا قد ضايقها • قالت ، فتش الجنود هنا حثيبي ، وبها ملابس الداخلية ، رغم انه قد تم تفتيشها وانا خارجة من السجن • ان فى هذا النصرف ، امتهان لكرامتى • قال لها الضابط • الا تغضب • ثم اصدر اوامره بان تقضى الليل فى حجرة مأمور القسم • وهى حجرة واسعة للغاية ، نظيفة للغاية ، يفتح بابها غلقا جيدا ، ويقف عنده شرطى نوبطشى طوال الليل • فى الصباح ، عندما يأتى مأمور القسم ، كانوا يرسلون بها الى المباحث العامة • حيث تستبقيها المباحث طوال اليوم دون سؤال او جواب ، ثم تعاد الى قسم الشرطة عند المساء ، وهكذا •

قال لها ، مأمور القسم فى أحد الايام ، « انتم يا ابنتى اناس من الفلاحين • كيف يكون شعورك والدك الآن وانت هكذا ؟ ، من أجل هذا الأب ومن أجل خاطرى ، وافقى على ما تطلبه منك المباحث العامة • وافقى على أى شىء واخرجى • سألته ، « أى شىء » ، مثل ماذا ؟ ، قال ، « ان توقعى ، مثلا ، على ورقة » • قالت ، « لا يوجد فى الدستور نص يحرم على الانسان المصرى أن يعمل بالسياسة » • قال ، « لا تكورنى صلبة الرأى ، ارجوك ، افعلى ما يطلبون منك » • ظل الرجل بناسقةشها هكذا • بطريقة ناصحة ، بلح عليها ان تقبل توقيع الورقة وتخرج ، دون جدوى • وعندما تيقن من ذلك ، فتح درج مكتبه ، واخرج منه كتابا ، يرسل بقرائه الى السجن على الفور ، وقال لها ، « انظرى ماذا أقرا • لست وحدك التى تتحمسين لوطنك • كل منا لديه افكاره • كل منا لديه ما يثير ضيقه مما حوله • لكلك ما زلت صغيرة • ارجوك من أجل خاطر والديك

وخاطري ، وقعى واخرجى ، . ولم تقبل ولم نوقع . وفى اليوم العاشر  
افرجوا عنها ، لتعود الى طقطا بلدها .



فى ٢٢ يوليو ١٩٦٣ ، وصل احمد صالح داود الى المعتقل المستشفى  
بالقصر العينى . كانت به حينذاك : ثريا شاكر ، جنيفيف سيداروس ،  
سميرة الصاوى وزينات الصباغ . أجرى مع كل منهن مناقشة منفردة .  
عندما حل الدور على ثريا شاكر ، قال لها احمد صالح داود ، أن لها  
أخا كالمسكر . وأنه قد تعرف عليه فى الجزائر ، وسمح له بزيارتها ، وادخلها  
القصر العينى ، من أجل خاطره هو وليس من أجلها هى . وتساعل ، كيف  
يكون اخوها على هذا النحو الجيد ، وكيف تكون هى ابنة عائلة طيبة ،  
وتفعل ما تفعل ، وتدخل السجن .

تقول ثريا شاكر : « كنا ننظر اليه كالبهاء . ما الحكاية ؟ كنا قد  
سمعنا أخبارا عن الافراج . . . سألناه ، « لماذا اتيت اليوم لزيارتنا ؟ هل  
هنالك افراج أم لا ؟ » قال ، « هنالك افراج بالفعل ، لكنه ليس لكن  
جميعا . » سألناه مرة أخرى ، « ولماذا ؟ » قال ، « عليكن ان تكفن عن  
كونكن مسئولات عن غيركن . فلتكن كل واحدة منكن مسئولة عن نفسها ،  
فقط . لا تتحدث الا عن نفسها ، وفقط . » ثم انتقل الى الحديث عن  
مشاعر المباحث العامة نحونا ، وكيف ان رجالها اصحاء لنا ، يرغبون  
فى خروجنا الى الحياة العامة ، نشرفهم ، ونرفع رؤوسهم ، بأن تقتصر  
الحياة بالنسبة لنا ، على بيوتنا . »

ظل يتحدث قرابة النصف ساعة ، واحست الرفيقات نحوه  
بالامبالاة . كان السؤال الذى يشغل بالهن ، هل هناك ، حقيقة  
افراج ، أم أن ما يحدث الآن مجرد واحدة من مناورات المباحث العامة  
المعهودة ؟ وانهى احمد صالح داود حديثه ، بنعم ، هنالك افراج ، الا انه  
لن يكون افراجا لجميعهن .

مر ٢٣ يوليو ، دون افراج ، وعاد الشك والتساؤل فى حقيقة ما قاله  
احمد صالح داود . مر ٢٣ يوليو كئيبا ، مشحونا بالتوتر والاحتمالات  
الغامضة .

وجاء ٢٤ يوليو وانتضى حتى السادسة مساء ، وهى ساعة يكرن  
اليوم فيها منتويا بلا توقعات . . . ودق الهاتف طالبا ضابط الحرس . وكان  
النداء بلاغا بالافراج عن كل الرفيقات فى المعتقل المستشفى . واغلق

الضابط الهاتف ، واتصل بالمباحث العامة : حيث ابلاغهم بالمكالمة التي تلقاها منذ حين ، فقيل له انها مكالمة صحيحة . والحال صاح ضابط الحرس ، افراج ، افراج . وسألته الرفيقات الاربع ، عن مصير معتقلات سجن القناطر - نساء ، فقتل لهن ، الافراج للجميع . وأن زميلانهم قد غادرن السجن بالفعل ، منذ الصباح ، وانهن اجراءات المباحث العامة . وانهن ، هنا ، في القصر العيني ، سوف تنتهي اجراءاتهن في معتقل المستشفى ، حيث يغادرن الى الشارع مباشرة . .

اتصلت ثريا شاكراً بأخيها ، كى يحضر اليها ، لاختها . كان يعلم بالافراج . وكان قد اخبر الابناء ، بهذا النبا العظيم .

يقول حسام فوزى حبشى ، « انا لا اجيد الحكى والرواية ، لكنى الآن وأمى تروى ما حدث ، يدور شريط المساضى بصورة الغريبة للغاية . أتذكر نجوى ، اختى ، كانت مريضة ، فتركناها بالمنزل . وانتظرت انا وممدوح على رأس الشارع . كانت سيارة خالى حمراء ، فكنا نزعق ونقفز كلما مرت سيارة حمراء » .

وتكمل ثريا شاكراً ، « هكذا وجدتهما على الناصية ، عندهما وصانا الى اول الشارع الذى نسكنه فى حوالى التاسعة مساء . وانطلقت الزغاريد فى الشارع والمنزل . زغاريد ، زغاريد . لم اكن ابوقع كل ذلك . امتلا المنزل بالناس فى ثوانى معدودة . وانهالت التهاني ، واخذ الجيران فى توزيع الشربات » .

كانت نجوى مريضة ، ترقد بالفراش ، مصابة بحمى روماتيزمية . البسوها وقالوا لها ، امك الآن قادمة . الا ان نجوى كانت ترانى غريبة . ظلت فترة طويلة لا تتأقلى « يا ماما » . كانت احياناً تقول لى ، « يا تانت » . وأحياناً أخرى ، ان شاعت منى أمراء ، قالت لاختيها حسام « قول لها » . كانت تطلب من أخيها ان يكون وسيطاً بينى وبينها . استمرت كذلك مدة طويلة . كان سنها عندما خرجت من المعتقل يقترب من السادسة » .



٢٣ يوليو بسجن القناطر - نساء . افراج فى هذا اليوم عن عدد من المسجونات العائيات بمناسبة عيد الثورة . ولم يفرج عن رفيقة واحدة من المعتقلات .

السادسة صباح ٢٤ يوليو ، وحقات عصبية على نافذة عنبر المعتقلات . كان الباب ما يزال مغلقاً ، وسجينة تصيح ، فى لهفة ،

« افراج يا ستات ، افراج » • نهزتها الرفيقات على فطنتها تلك : كانت بعض السجانات تفعلن مثل هذه الفعلة ، حتى ان ضج العنبر بالفرحة ، اتضح كذب ما قلن •

حل موعد استلام الطعام ، غادرت فاطمة زكى وانجى افلاطون العنبر لاستلامه • قابلتهن الباشيسجانة في حوش السجن • صاحت • « افراج يا ستات • هذه المرة افراج حقيقى » • سألتها ، « ومن هن المفرج عنهن ؟ » قالت ، « جميعكن • وها هي المفاتيح معى لاعداد امثاتكن » • اسرعت الرفيقات الى العنبر • وانتشر الخبر في السجن كله وذاع •

تقول انجى افلاطون ، « ومع ذلك لم يكن لدينا اقتناع ، مائة في المائة » ، بأن الافراج حقيقى • الا ان السجن كله هاض وزاط • الضباط والسجانات والسجينات • كان الكل فرحا للغاية • لم يكونوا بقادرين على استيعاب اسباب اضطهادنا ، الى هذا الحد • عندما تبقت ان الافراج حقيقى ، سابت رجلى ، فجلست • كانت المشكلة التى اواجهها هي لوخاتى ، فقطوعت واحدة من المسجونات اللواتى كن يحببنا بجمعها لى •

بدأت الرفيقات فى اعداد حقائبهن • وفجأة دخل العنبر عدد من المسجونات العاديات • انقضضن عليه كالجراد • حملوا الدشاسيا والملاءات والسقائر والمنضدة والاطباق والطعام والسكر والشاى • تقول فاطمة زكى ، « كان المنظر ، كما حدث فى فيلم زوربا اليونانى تماما ، تحول العنبر فى خلال خمس دقائق الى بلاط عار من كل شئ » • وعند استلامنا الامانات ، وجدنا نصفها مسروقا • الا اننا لم نرتقم بأى من تلك الاشياء • كنا فى طريقنا الى الخارج ، الى الشارع •

فى الطريق من سجن القاطر - نساء الى وزارة الداخلية ، توقفت سيارة الترحيلة • كانت هنالك حادثة على الطريق • غادر ضابط الترحيلة السيارة • بدأ يسأل وكأنا يجرى تحقيقا • ضاقت الرفيقات بما يفعل • توجهت اليه انجى افلاطون متسائلة ان كانت تلك مسئوليته ، أم ان مسئوليته هي الترحيلة واخذهن فورا الى وزارة الداخلية • حقا لقد صبرت اربعة اعوام ، لكنهن ، الآن ، لسن على استعداد للصبر ولو دقيقة واحدة • عاودت السيارة سيرها الى وزارة الداخلية •

فى مبنى المباحث العامة ابقوهن ، طوال اليوم ، دون سؤال او جواب • كان الهدف هو التأثير على اعصابهن • قالت بعض الرفيقات ،



انهم ربما يطالبونهم بكتابة استنكار . انتهى تحليل الجميع الى ان رجال المباحث العامة يحاولون الضغط عليهم ، بكل الصور ، لعلهم يخرجون منهم باى شئ . الا انه عليهم الرفض وللصمود فان هذا الافراج نهائى ، ولا تملك المباحث العامة التلاعب فيه . اخذت الرفيفات فى الاشهاد . فأخرجوهن الى الممر ، فافترشن الأرض ، وأخذت كل منهن تعد نفسها للخروج . تقول فاطمة زكى ، « حقا ، نحن مناضلات ، لكننا أيضا سيدات » . بدأ النداء عليهن واحدة فواحدة . جرى أخذ البيانات : الاسم . اسم الأب . اسم الجد ، أسماء الاقارب . الصور المعتادة ، جانبية وامامية .

وكانت المرحلة الأخيرة ، هى مرورهن على حسن المصيلحي . كانت انجى افلاطون ترغب فى أن تحصل على صورة من تلك الصور التى اخذوها لها وهى متفكرة فى زى الفلاحة ، عندما قبض عليها . قالت لحسن المصيلحي ، « انا ارجب فى واحدة من الصور التى اخذتموها لى وأنا متفكرة » . صورة للذكرى ، « والحال بهل حسن المصيلحي وقال ، « هذا هو الصواب ، وأنا اهنئك على هذا ، الذى يسعدنى للغاية » . اندهشت انجى افلاطون لما يقول ، فقالت ، « انا لا افهم مقصداك مما تقول ! » . قال ، « بل تفهمين » ، فانت لا يفصك الفكاهة . قالت ، « لا اسمح لك بمثل هذا الكلام . فما هو قصدك بالضبط ؟ » . قال ، « عندما تقولين للذكرى ، فانت تعنين ان ما حدث قد غدا ماضيا » . كان يقصد انها عندما تتحدث عن هروبها وتفكرها ، كذكرى ، فكأنها هى تقدم له وعدا بانها ستكف عن العمل السياسى . قالت له ، « لقد فهمت كلامى بطريقة خاطئة تماما . انا بالفعل اريد واحدة من تلك الصور . الا انه لا علاقة البتة ، بين طلبى هذا ، وما يجرى فى رأسك من افكار » . قال ، وقد استنمزه ردها ، « انت من اسيرة كبيرة ، وفنائة ، والمفروض فيك ان تكونى بعيدة عن مثل تلك الاشياء » . الا تكون لك بها اية علاقة ، لكن يبدو انه لا فائدة منك . اخرجى بره .

وهكذا خرج الفوج الثالث الى الشارع .

وكان هذا الفوج هو آخر فوج للمعتقلات فى سجن القناطر - نساء .

وفى ٤ اغسطس ١٩٦٣ ، سافرت فاطمة زكى وثرى ادهم ونوال الحملوى الى ازواجهن فى سجن المخاريق بالوادي الجديد .

وعاد نضال الزوجات ، من جديد ، من أجل الافراج عن ازواجهن وكل المعتقلين والمسجونين للشبوعيين .



عندما خرجت انجى افلاطون ، فنجحت في أن تخرج معها كل لوحاتها المتبقية معها في السجن . كان الشارع بالنسبة لها ، في بادئ الامر ، غريبا ، « بعد هذه الحبسة الطويلة ، كنت في حاجة للتأقلم . كنت اخاف المشي في الشارع . كنا قد نسينا اشياء كثيرة ، نسينا ، حتى ، كيف نلبس » .

توجهت انجى ، بعد الافراج عنها بشهر ، الى بلدتها في الريف ، حيث بدأت ترسم . وفي مارس ١٩٦٤ اقامت اول معرض لها بعد خروجها من السجن . كان ذلك « بقاعة اخناتون » ، في شارع قصر الفيل . كانت معظم الصور واللوحات عن السجن والريف ، من بعده . كانت تخشى مصادرة اللوحات ، فاعطتها اسماء جديدة . « غروب الشمس في كفر شكر » ، كانت هي بعينها ، « غروب الشمس في السجن » . « صلاة الجمعة » ، كانت هي بعينها « اليا مخانة في السجن » . « القرفصاء » . كانت هي نفسها ، « طابور المسجونات » . كما وضعت فوق اللوحات تواريخ ترجع الى ما بعد خروجها من السجن . تحدثت الصحافة عن المعرض ، فجاء أحد ضباط المباحث العامة - مكافحة الشيوعية ، ليلقي على المعرض نظرة . الا انه لم يجد ما يستطيع ان يأخذه عليها . وكتب احمد بهاء الدين ، يرحب بعودة انجى افلاطون ، بعد غيبة طويلة . ويلمح الى ان لوحة الشجرة ، خلال المواسم الاربعة ، تعطى احياء بالسجن . نجح المعرض نجاحا كبيرا . كانت انجى تحتاج نقودا بعد الافراج فباعت بعض اللوحات ، « الا انها كانت قليلة والحمد لله . اذ احسنت فيما بعد بأهمية ان تظل تلك المجموعة ، هي مجموعتي الخاصة » .

وقبل يونيه ١٩٦٧ ، بقليل ، اقامت انجى اول معارضها خارج مصر . كان ذلك في روما ثم باريس . واخذت معها اهم لوحات هذه المجموعة ، كان الاقبال شديدا ، والرغبة في شراء هذه اللوحات عارمة ، « الا انني رفضت للبيع تماما . فهذه المجموعة جزء منى ومن تاريخ بلدى ، وهى ليست مطروحة للبيع أو الشراء » .

وفي عام ١٩٧٥ ، اقامت انجى افلاطون معرضها الشامل ، الذى يعرض كل مراحل حياتها الفنية . كان ذلك في مجمع الفنون في مصر واحتل المعرض طابقين ، شغلت لوحات السجن ، باسمائها الحقيقية ، مكثها في تاريخ انجى الفنى والنضالى . اشتمل المعرض على لوحات عن الكفاح الوطنى ، تأميم قناة السويس ، السد العالي ، المقاومة الشعبية ، الريف

المصرى والسجن ؛ « كانت هنالك فترة لم نكن نتحدث فيها عن السجن .  
أما الآن ، فلا . فهو بالطبع جزء من تاريخنا نفخر به » .

ترك المعرض أثرا كبيرا على المشاهدين ، وعلق عليه أحد النقاد ،  
« ان التجي افلاطون ، بفنهما ، شاهد على عصرها » .

وغدا نضال للرفيقات وتضحياتهن ، في سجن النساء ، جزء لا يتجزأ  
من نضال الشعب المصرى ؛ من أجل حماية الاستقلال والديمقراطية  
والتقدم الاجتماعى . غدا جزء لا يتجزأ من تراثه البطولى ، من ملحمة  
ماضيه وحاضره ، من أجل مستقبل افضل تتحطم فيه كل القيود وكل  
الاسلاك وكل القضبان .





ملحق رقم ( ١ )  
حول الاتحاد القومى  
رد على السيد أنور السادات

## حول الاتحاد القومى

رد على السيد

أنور السادات

الحزب الشيوعى المصرى - المكتب السياسى

ادلى السيد أنور السادات ، السكرتير العام للاتحاد القومى ، بحديث هام لبعض الصحف حول حقيقة الاتحاد القومى ، بمناسبة تكوين لجانه التنفيذية فى انحاء مصر . وكانت التصريحات التى اختص بها الدكتور يوسف ادريس ، مندوب « جريدة الاهرام » ، هى ، بلا شك أهم ما ادلى به السيد السادات ، نظرا لخطورتها وصراحتها ، سواء فى وضع كثير من المسائل ، أو فى التطبيق ، مثل مشكلة الدخول فيه وعلاقته بالتنظيمات الأخرى ومسير الديمقراطية معه . ومن الطبيعى أن يهتم المواطنون بهذه التصريحات ، بالنظر الى المكانة التى يحتلها السيد أنور السادات ، على رأس الاتحاد القومى وفى داخل الحكم الوطنى ، فتصريحاته ، بهذه الصفة ، تصريحات مسئولة ، تماما . ومن الطبيعى ، أيضا ، أن تقابل تلك التصريحات بالاهتمام الشديد ، ليس فقط فى مصر ، وإنما كذلك فى سوريا ، حيث تجرى المحاولات تلو المحاولات لتكوين الاتحاد القومى ، بل وفى البلاد العربية الأخرى ، وبخاصة العراق ، حيث تطرح الآن ، بالحاح ، قضية اتحاد الجمهورية العراقية الفتية مع الجمهورية العربية المتحدة ، وحيث يناقش ، بقلق بالغ ، مستقبل الديمقراطية فى ظل الوحدة العربية .

وقد كنا نتوقع أن تجيء تصريحات السيد أنور السادات لتبديد كثيرا من التساؤل لدى الاغلبية الساحقة من جماهير الشعب والمثقفين ، حول الاتحاد القومى ، ما هو ، وما أهدافه ، وما تكوينه ، وما علاقته بالأحزاب السياسية ، حاليا ومستقبلا ، غير أن تصريحات السيد السادات لم تضيف ، فى هذا الشأن ، جديدا كان يجهله المصريون ، فهو ، حتى الآن ، حريص على التأكيد أن الاتحاد القومى ليس حزبا ، ولا نظاما للحزب الواحد ، ولا جبهة وطنية ولا هيئة تحرير أخرى ، ولا جهازا حكوميا ، ولا بد ، بعد هذه التأكيدات ، أن يتساءل الوطنيون ، بالحاح : واذن ، فماذا يمكن أن يكون هذا الاتحاد القومى ؟ ألا أن السيد أنور السادات لا يعنى كثيرا بهذا التساؤل الطبيعى ، ويكتفى بالقول ، « بأن جوهر الاتحاد القومى هو جمال عبد الناصر الرمز » . ولا نحسب هذا الجواب الأخير يمكن أن يبطو الغموض الكثيف الذى يحيط بطبيعة الاتحاد القومى ، وعلى

العكس ، فهي انما تزداد غموضا وليس من شأن هذا كله أن يقترب الاتحاد القومى من الجماهير ، ومن حق الجماهير بعد ذلك ان يزداد تساوؤا عن حقيقته هذا الاتحاد القومى ، الذى عجز حتى فادته عن تحديد كتبه ، واستجلاء مكنونه . ولكن عندما تخلى السيد أنور السادات عن غموضه ، وأخذ يتناول عددا من المسائل الجدية ، بالصراحة الواجبة ، بدأ حديثه يتسم بطابع الجدة والاهمية الخاصة ، وكان ذلك حين عرج السيد أنور السادات على من أسماهم « نوى الأفكار المعينة » . ولقد ظل يدير الحديث عنهم ، حتى نهايته . وكان من الواضح ان السيد أنور السادات انما يقصد الشيوعيين بهذا التسمية الغريبة ، حقا . فالسيد أنور السادات لا يمكن ، بحكم مركزه ، إلا ان يعرف الشيوعيين ، ويعرف غير الشيوعيين . ومن الطبيعى أن يكون الشيوعيون نوى أفكار ، ايا كانت هذه الأفكار ، ولا ندرى لماذا عمد السيد أنور السادات الى تمييز الشيوعيين بأفكارهم المعينة عن سائر الناس ، مع أن أفكار الشيوعيين انما تعبر عن أفكار ومصالح اوسع الجماهير الشعبية عن عمال وفلاحين ومثقفين ، فليس للشيوعيين أفكار ولا مصالح مستقلة عن أفكار ومصالح الشعب . ولذا ، فإن أفكار الشيوعيين يجب وضعها فى الاعتبار ، تماما . غير أن مناقشة السيد أنور السادات للشيوعيين لم تلبث أن اتخذت سبيل الطعن والتجريح ، وأسرف السيد أنور السادات ، اسرافا ملحوظا ، فى تقدير الشيوعيين ، فوصفهم بانهم جامدون وجهلة ! ومضللون وشكليون وأنانيون . ولم تسلم حتى وطنيتهم من تجريح السيد أنور السادات ، وبالطبع ليس الطعن والتجريح سبيلا مجديا لمناقشة القضايا الاساسية لشعبنا ، ولذلك ننحيزها جانبا ، لنناقش القضايا الشعبية ذاتها . تلك القضايا التى كانت ، فى الحقيقة ، مثار حملة السيد أنور السادات للجائرة .

ان القضية الاساسية التى تخفى وراء تلك الحملة هى قضية الفشل فى تكوين الاتحاد القومى ، قضية انفضاض الجماهير الشعبية عن دخول الاتحاد القومى . لا يملك السيد أنور السادات الا ان يعترف ، ضمنا ، بهذا الفشل الواقع ، ومع ذلك فهو لا يريد ان يعترف بالسبب الحقيقى لفشل الاتحاد القومى ، الا وهو فرض الاتحاد القومى على الشعب مع حرمان الشعب من تكوين أحزابه . ان السيد السادات لا يريد ان يواجه قضية الشعب الأساسية التى يثيرها الاتحاد القومى ، وهى قضية الديمقراطية ، غير انه يكتفى بالتلميح الى أن الشيوعيين هم وراء فشل الاتحاد القومى ، ليثبت نظرتهم الجامدة عن الديمقراطية ، التى لا تتحقق عندهم ، على حد قوله ، الا فى وجود الاحزاب ، والسيد أنور السادات قاطع فى رفض هذه النظرة ، وقاطع فى القول بأن « فكرة القومية التى يقوم الاتحاد القومى عليها تتنافى ، أساسا ، مع فكرة الحزبية الضيقة او على الاقل .

نتعارض معها ، وباختصار فإن السيد السادات يرفض وجود الجبهة الوطنية ، كما يرفض وجود الاحزاب ، وهي الأساس الذى يمكن ان يقوم عليه اتحاد قومى راسخ البنيان . ولما لم تكن هناك احزاب ، الى جانب الاتحاد القومى ، سوى الحزب الشيوعى ، فليس لنظرية السيد أنور السادات سوى معنى بديهي ، هو رفض دخول الشيوعيين فى الاتحاد القومى ، وهنا يعلن السيد السادات نظريته الخاصة من أن « الاتحاد القومى اتحاد مواطنين » ، وليس اتحاد اتجاهات . ولا بد ان ينفى به فشل هذا المنطق الى نتيجته المحتومة ، فيرفض انضمام الشيوعيين ويقبل انضمام « حتى هؤلاء الذين كانوا اعضاء فى الاحزاب المنحلة » .

وهكذا تتبين منذ السطور الأولى فى حديث السيد أنور السادات ان الفكرة الأساسية التى تدور حولها تصريحاته ، هي أن الاتحاد القومى اتحاد افراد لا اتحاد اتجاهات ، وعندما يكون اتحادا فوق الجبهات ، لا اتحاد جبهة وطنية فلا يمكن ، عندئذ ، الا ان يكون حزبا من الاحزاب ، ولا بد أن يخدم اتجاهها معيناً ووجهة نظر معينة . وبالتالي يكون الاتحاد القومى حزبا ، بينما يحظر تكوين الاحزاب وتلك ، فى رأينا ، هي القضية الأساسية فى كل متاعب الاتحاد القومى ، وهي بالتالى جذيرة بالمناقشة المستفيضة .

ان السيد أنور السادات يسلم معنا بحقيقة اولية هي أن فى مصر طبقات وطنية عديدة ، وأن هذه الطبقات يجب ان تتحد لتواجه العدو الواحد وهو الاستعمار من غير أن نفسى التناقضات الداخلية فيما بين تلك الطبقات ، بمعنى ان هذه الطبقات المتحدة ضد الاستعمار ننصارع فيما بينها حول مصالحها الطبقيّة الخاصة . هذه الحقيقة الاولى لا غنى عنها والا لم يعد هناك أمل من أى مناقشة تدور حول الاتحاد القومى . ولحسن الحظ لا يوجد بيننا ، اليوم ، من يستطيع أن يزعم انه ليس فى مصر طبقات ، وليس فيها صراع طبقات . وهكذا يحسن ان نؤكد جميعا حقيقة تعدد الطبقات فى مصر ، وحقيقة قيام الصراع الطبقي فيما بينها . وليس الصراع الطبقي من اختراع الشيوعيين ، وانما هو حقيقة موضوعية فى المجتمعات ، ما بقى فيها تعدد الطبقات . وقد لا يعلم البعض ان الشيوعيين هم أشد الناس حرصا على الغاء الصراع الطبقي . غير ان الشيوعيين يعلمون ان الغاء الصراع الطبقي لا يكون الا بالغاء الطبقات ذاتها ، وهم يعلمون ايضا ان ذلك لن يتحقق الا عن طريق الاشتراكية . وهذا هو بالضبط ما يكافح من أجله الشيوعيين . غير أن رغبتنا فى الغاء الطبقات مستقبلا لا تنفى وجودها حاليا وقيام الصراع فيما بينها . وكل طبقة كما قال السيد أنور السادات تدافع عن مصالحها ضد أعداء طبقتها . من ثم تقوم تنظيماتها المهنية والسياسية وتكون حزبها الذى يقود



صراعها . فالاحزاب طلائع طبقاتها تمثل مصالحها وافكارها وأسسها . عملها . وطالما وجدت الطبقات ، وجد الصراع الطبقي ووجدت الاحزاب . ومثلما لا يتوقف وجود الطبقات على رغبة أو استياء فرد من الاعراد ، كذلك لا يتوقف وجود الاحزاب على الرغبات والاعتراضات ، وانما يتوقف ذلك على وجود الطبقات ذاتها .

ولقد اتخذت الطبقات في مصر احزابا لها ، في الماضي ، كما ظهر الحزب الشيوعي ، الذي يمثل أحدث الطبقات الاجتماعية ، وهي الطبقة العاملة وجمهرة الكادحين . فالطبقة العاملة المنظمة في المصانع ، طبقة لها مصالحها المتميزة . ولقد ناضلت ، منذ نهاية القرن الماضي ، فاحسنت النضال من أجل مصالحها الخاصة ومصالح الوطن كله ، وهي ، اليوم ، طبقة واعية حسنة التنظيم لا ينكر أحد وجودها ، ولا يجهل أحد نضالها ، ولقد وجد حزب الطبقة العاملة ، على الرغم من جميع العقبات والعرافيل التي وضعت ، باستماتة ، في طريقها . وفي ظروف بلادنا التي يجب ان نتحد لمواجهة العدو الواحد ، لا يمكن ان يكون وجود الحزب الشيوعي ، ونجاحه في تمثيل طبقته ، ونضاله لتوحيد صفوفها مصدرا لاستياء أحد من الوطنيين . فالمفروض في كل حزب أنه يوحد طبقته ، ومن ذم ، فالاحزاب الوطنية توحد الطبقات الوطنية ، ونعتقد ، اعتقادا راسخا ، ان وجود الاحزاب الوطنية انما يساعد ، بالفعل ، على توحيد الطبقات الوطنية . ولهذا نرحب بقيام الاحزاب الوطنية ، ونعتقد ، اعتقادا راسخا ، ان وجود الاحزاب الوطنية انما يساعد ، بالفعل ، على توحيد صفوف الوطنيين . وبعبارة أخرى ، فان الطريق الطبيعي والبسيط لاتحاد الوطنيين انما هو اتحاد الاحزاب الوطنية ، فيما نسميه بالجبهة الوطنية . وذلك ، أيضا ، هو الطريق الديمقراطي في بناء الجبهة الوطنية . وباختصار ، فان الطبقات الوطنية المتصارعة فيما بينها في مصر متحدة أو على الأقل ، يجب ان تكون متحدة في معركتها الوطنية ضد الاستعمار ، وهي معركتها الكبرى . فاذا قيل لنا اليوم أن الاتحاد القومي ليس حزبا ولا جبهة وطنية ، واذا قيل أنه اتحاد مواطنين لا اتحاد اتجاهات ، واذا قيل لنا بالتالي أنه يضم جميع الطبقات ، أفرادا لا طبقات ، فيجب أن نعترف بأن هذا كله لا يعنى ، في النهاية سوى أمرين واضحين ، كل الوضوح . الأول أن الاتحاد القومي حزب ، والثاني أن الحزب الشيوعي مطلوب منه أن يصفى نفسه .

اما ان الاتحاد القومي حزب فامر واضح ، تماما ، أولا من الاعتراف المؤكد ، مرارا ، بأنه ليس جبهة وطنية ، وثانيا من الطبقة التي يمثلها ، والافكار التي يتبناها ، والمصالح التي يدافع عنها ، وأسايب العمل التي تتبعها . ونحن نرى أن الاتحاد القومي يمثل طبقة الرأسماليين الوطنيين ،

ويتبنى أفكارهم ، ويدافع عن مصالحهم ، ويتبع أساليبهم في العمل ، ولا يمكن الاحتجاج علينا بان الاتحاد القومي يضم عمالا وفلاحين ومتقنين ، وانهم يكونون اغلبيته الساحقة ، فالعبرة ، في نهاية الامر ، بقيادة الانحاد القومي ، التي تشكل سياسته ، وتحدد مصيره . وهذه القيادة توجد ، الآن ، بايدى طليعة الرأسمالية الوطنية التي يتزعمها الرئيس عبد الناصر ، ولقد كان حزب الوفد يضم اغلبيية شعبية هائلة . ومع ذلك لم يعتبره أحد حزبا للعمال أو الفلاحين ، ولا اتحادا قوميا ولكنه كان حزب الرأسماليين والاقطاعيين ، الذين يسيطرون على قيادته وسياسته . وقد يضم الحزب الشيوعى نفسه اغلبيية من المثقفين والفلاحين وصغار الرأسماليين ، ومع ذلك ، فهو حزب الطبقة العاملة ، ما دام يمثل تلك الطبقة بامانة ، ويتبنى افكارها ، ويدافع عن مصالحها ، ويتوخى اسلوبها في العمل . وببنفس الطريقة ، فان الاتحاد القومي حزب الرأسمالية الوطنية ، ولو كانت اغلبيته من العمال والفلاحين والمثقفين ، ما دامت للسيطرة فيه للطبقة المسيطرة في مصر ، وهى طبقة الرأسمالية الوطنية . ان هذه النتيجة يؤكد ان قيادة الاتحاد القومي ، التي لم ينتخبها أحد ، هى التي تقوم باحتيار اعضائه ، وتحظر انتخاب مستوياته القيادية . واذا كان الاتحاد القومي ما زال يتعثر في سبيل التكوين فما ذلك الا نتيجة لمحاولته ان يكون حزب العمال والفلاحين والمثقفين والرأسماليين ، في وقت واحد ، وهو أمر مستحيل . ولو حرص الاتحاد القومي على ان يمثل طبقة صراحة لكان حزبا ناجحا . واما الاصرار على تكوين الاتحاد القومي ، بطريقة الحالاية ، فلن تكون له سوى نتيجة واحدة هى المزيد من الفشل والانعزال عن الشعب .

ان اصرار الاتحاد القومي على ان يكون اتحاد جميع الطبقات ، واصراره على ان يكون اتحاد افراد لا اتحاد اتجاهات ، ليس له سوى معنى واحد ، هو نفى وجود الطبقات ، ونفى الصراع الطبقي ، ونفى وجود الاحزاب ، الا حزب الاتحاد القومي . فباسم الوحدة الوطنية ، يعلن السيد السادات ان « فكرة القومية التي يقوم عليها الاتحاد القومي تتنافى ، اساسا مع فكرة الحزبية » ، وباسم هذه الوحدة الوطنية ، يطالب بانضمام المواطنين على اختلاف طبقاتهم ، للاتحاد القومي كأفراد ، وبعبارة أخرى ان السيد السادات يطالب باسم الوحدة الوطنية لا بتكوين احزاب وطنية للطبقات الوطنية ، ولا بتكوين جبهة وطنية ، ولكنه يطالب بانشاء حزب واحد . وهو يحاول ان يغطى هذه النتيجة بقوله « لن ننسى التناقضات في الداخل » . اى لن ننسى الصراع الطبقي في الاتحاد القومي . ولو كان ذلك صحيحا ، فكيف يمكن ان نتذكر هذا الصراع ؟ كيف واين ومتى يمكن ان يظهر ذلك الصراع ؟ ان حجة الوحدة الوطنية انما يساء استخدامها ، عن

عمد ، لتكوين حزب واحد ، وفرضه على جميع المصريين . وفي هذا ما فيه من الغاء للوحدة الوطنية ، لانه انما يقوم على اسباب الغاء الطبقات والصراع الطبقي .

ونصل الآن للأمر الآخر في حديث السيد أنور السادات ، وهو أن الحزب الشيوعي مطلوب منه أن يلغى وجوده ، ويصفى نفسه ! وهذا واضح مما اعلنه السيد أنور السادات من أن الاتحاد القومي يتنافى مع الحزبية ، ومن أنه فتوح لكل المواطنين كافراد وليس كاتجاهات . ولما لم تكن هناك احزاب الى جانب الاتحاد القومي سوى الحزب الشيوعي ، فليس لنظرية السيد السادات من نتيجة سوى رفض دخول الشيوعيين في الاتحاد القومي - اللهم الا اذا نخلوا ، كما يقول ، عن طريقتهم الخاصة في التفكير . وتخلوا عن حزبهم ، ونبذوه ، وخلوا تنظيمهم ، وصفوه ، وتنصلوا ، نهائيا ، من الشيوعية . وعندئذ ، فان عليهم ، كما يشترط السيد السادات ، أن « يؤمنوا بالاتحاد القومي » ، وان يدخلوه متطهرين ، كافراد وليس كاتجاه ! والسبب الذي يسوقه السيد السادات في تبرير نظريته أنه « اذا سمحنا لانجاء بعينه ان يدخل الاتحاد القومي كاتجاه ، فاننا بهذا نفني الفكرة من وجود الاتحاد القومي ، اذ انه « ليس قائما لخدم اتجاهها بعينا ، أو وجهة نظر معينة » . ومن ثم لا يتردد السيد السادات في أن يصرح ، لأول مرة بأن دخول الاتحاد القومي محظور ، في حابة ، اذا ما نبت لدينا ان هذا الشخص أو ذاك عضو في هيئة اخرى غير الاتحاد القومي ، وبغض النظر ان المباحث العامة هي التي تقدم أدلة الاثبات ضد المواطنين ، فمن المقتطوع به من نصريح السيد السادات أن الشيوعيين ممنوعون من دخول الاتحاد القومي ، الا اذا تخلوا عن حزبهم ، وبرأوا من شيوعيتهم . وذلك مسألة خطيرة حقا . فالاتحاد القومي ، الذي يجب أن يكون جبهة وطنية توحد الصفوف ، يجعل أولى مهامه تسنيت المواطنين المتجمعين في حزب يشهد له الشعب بالوطنية الصادقة . ان الاتحاد القومي يرفض وجود أى تجمع وطنى سواء ، وهو يشترط لعضويته أن يدخله الوطنيون افرادا اثبتا متخلين عن كل اتجاه وعن كل وجهة نظر ، يمكن أن تكون لهم . وهكذا ، فان الاتحاد القومي المسلح بكل سلطان يشهر على جميع الوطنيين ، وعلى حزبنا بصفة خاصة ، سلاحا خطيرا ، هو سلاح التهديد . وباسم دعوة براقة لنبذ الحزبية ، فانه ، في الحقيقة ، انما يدعو الشيوعيين للتخلي عن الحزب والشيوعية . وتلك الدعوة انما تحركها ، في نهاية الامر ، رغبة واضحة في عزل الحزب الشيوعي ، وفي نصفيته . ولن تكون تصفية الحزب في مصلحة الشعب ، ولن تكون في مصلحة الوحدة الوطنية . ولهذا ، فلا ينبغي ان يخفى على فطنة السيد أنور السادات



ان دعوته هذه لن تلقى صدى لدى الشيوعيين ، وأن جماهير الشعب لن  
ينفض عن الحزب الشيوعى ، بل سوف تلتف حوله وزيادة .

ومن واجبنا ان نقول ان الدعوة لنبذ الحزبية ، اليوم ، نبست ، فى  
الحقيقة ، سوى دعوة لنبذ الشيوعية . وان الخوف من الاحزاب انما  
يعنى ، فى الحقيقة ، الخوف من الحزب الشيوعى . وليست الحزبية  
شرا ، فى ذاتها وقد كانت هناك ، قبل الثورة ، احزاب رجعية ، معادية  
للوطنية والديمقراطية ، وكانت معادية للشعب ، بعماله وفلاحيه ومثقفيه ،  
وكانت عوناً للاستعمار والرجعية ، ولذلك كانت تصفيتها خطوة تقدمية .  
اما اليوم ، وليس فى مصر احزاب رجعية خائنة ، فان الدعوة لنبذ الحزبية  
لا يعنى سوى الرغبة فى التخلص من الحزب الوحيد الموجود ، وهو الحزب  
الشيوعى ، هذا الحزب الذى كان له شرف توجيه المعركة  
ضد الاحزاب الرجعية والخائنة ، حتى النهاية . اننا ضد الاحزاب الرجعية  
والخائنة ، ولكننا نرحب بالاحزاب الوطنية والاشعبية ، ولهذا نرحب  
بالاتحاد القومى ، وندافع عن وجود حزبنا ، اما القول بان الاتحاد القومى  
يتنافى مع الحزبية ، واما الدعوة لنبذ الحزبية ، فهى ، فى الحقيقة ، دعوة  
لاقامة حزبية من نوع معين ، هى حزبية الحزب الواحد ، حزبية الاتحاد  
القومى ، فحسب . فالواقع الذى لا شك فيه ان الاتحاد القومى لا يتنافى مع  
الحزبية ، بل انه يقوم ، اساسا ، على فكرة الحزبية ، وهو نفسه حزب  
من الاحزاب . الا الاتحاد القومى ، حين يرفض ان يمثل أكثر من اتجاه  
واحد ، فانه يمثل ، عندئذ ، اتجاها واحدا ، هو اتجاه الرأسمالية الوطنية .  
ومن ثم فليس صحيحا ان يقال ان كل الاتجاهات غير مسموح بها فى الاتحاد  
القومى . فكل الاتجاهات محظورة ، بالفعل ، الا اتجاه الرأسمالية  
الوطنية . وهكذا ، باسم الوحدة الوطنية ، وباسم الدعوة لنبذ الحزبية ،  
تسارع طبقة واحدة ، هى طبقة الرأسماليين الوطنيين ، بتكوين حزبها ،  
وحظر تكوين الاحزاب الأخرى ، وفرض حزبها الواحد على الطبقات الوطنية  
جميعا . وتلك هى الحزبية الضيقة ، وليست الحزبية الوطنية ، على  
الاطلاق .

ولقد كنا نريد الاتحاد القومى جبهة وطنية ، فمصر بحاجة الى جبهة  
وطنية ، هى ، وحدها ، التى تستطيع ، بتوحيد جميع القوى والطبقات  
الوطنية لجعل الاتحاد القومى حزبا طبقيا ، يفرض على طبقات الشعب ،  
الوطنية فيها ، أن تقود بلادنا ، بنجاح ، فى صراعها الجبار ضد الاستعمار  
والرجعية ، حتى نهايته . غير أن المسئولين عن تكوين الاتحاد القومى  
لا يعنون ببناء تلك الجبهة الوطنية . ويكتفون باستخدام حجة الوحدة



والتالى يحاول أن يطمس صراعها الطبقي . ولم يستطع الانحدار القومى أن يكون حتى حزبا ، يضم أحزابا أخرى بداخله ، كما كان الكومنترنج قديما فى الصين ، وكما كان حزب المؤتمر الهندى . فقد كان الحزب الشيوعى الهندى ، فى البداية ، جناحا منها ، معترفا له بوجوده المستقل داخلها ، أما الاتحاد القومى عندما فلم يقبل حتى ذلك للوضع الأخير ، ولذلك كان الفشل محتوما عليه . وحين يبحث السيد أنور السادات عن سبب هذا الفشل لا يجده فى مشكلة الديمقراطية ، ولكنه يبحث عنه عند الشيوعيين ، فيحاول أن يلقي عليهم نبعة فشل الاتحاد القومى . وتلك حجة سهلة لكنها لا تقنع أحدا . والمهم أن السيد السادات قد حاولها ، فماذا قال ؟ لقد حمل على الشيوعيين فى ميدانى الديمقراطية والوطنية ، فاتهمهم بأنهم جامدون ، لا يفهمون الديمقراطية ، كما اتهمهم بأنهم يريدون صرفنا عن معركتنا الكبرى مع الاستعمار . ولم يتعرض الشيوعيون لمثل هذه الحملة الجائرة ، منذ سنوات ، ولا هم يفهمون لماذا نطلق اليوم ضدهم (١) ( ٠٠٠ ) ومن واجبهم أن يثقلوا لهذه البادرة السيئة .

أن السيد السادات يسخر من الدعوة التى تحرك أوسع الجماهير الشعبية لتكوين الأحزاب الوطنية ، ويعتبر دفاع الشيوعيين عن حرية تلك الأحزاب جمودا ، وجهلا ، ونضليلا . أما رأيه فيتلخص فى أنه « لا علاقة بين الديمقراطية والأحزاب » . وليس الاتهام الذى يسوقه السيد السادات من الانصاف فى شيء . فالشيوعيون هم أول من يدرك أن الديمقراطية ليست هى الحزبية ، دائما . ولقد أعلن الشيوعيون المصريون أن بلادنا التى تحررت من الاستعمار ، وقلبت أظافر الاقطاع ، وجدت من سيطرة الاحتكار بلادنا ، هذه قد تهيأت فيها ، بصفة جوهرية ، جميع الاسس الموضوعية لقيام الديمقراطية ، التى تمارسها أوسع الجماهير الشعبية . لقد أيد الشيوعيين المصريين فرض الاحكام العرفية ، عندما وقع العدوان الثلاثى الغادر على بلادنا ، وكنا ، عندئذ ، من أشد انصار الديمقراطية ، مثلما نحن اليوم ، عندما طالبنا بالغائها ، حين تحولت الى أسلوب دائم للحكم . والواقع أن الديمقراطية لا يمكن أن تقوم اليوم فى بلادنا الا على أساس الأحزاب ، فما دامت لدينا عدة طبقات فلا مفر من قيام الأحزاب ، وعندما تتمتع كل طبقة بحريتها فى تنظيم نفسها بنفسها ، وتدافع بحرية عن مصالحها ، وتكون لنفسها طبيعتها القائدة ، فى صورة حزب من الأحزاب ، فتلك هى الديمقراطية . غير أننا لا نطالب بقيام أى ديمقراطية ، ولسنا نطالب بتكوين أى حزب . انفسا ندعو الى قيام الديمقراطية الموجهة ، التى تكفل حرية الوطنيين ، ونحرم الخونة من كل

---

(١) سطر مفقود فى الصورة التى لدينا .

حربة . اننا نطالب بتكوين الاحزاب الوطنية ، فقط تلك التى تسلك سبيل الوطنية ، وتقف ضد الاستعمار والرجعية ، نأين هو الجمود ، أو الجهل . أو التضليل ، فيما ندعو له ؟ أم أن السيد أنور السادات يحسب أن منع قيام الاحزاب ، إلا حزب الاتحاد القومى ، هو بعينه المرونة ، والعلم ، والامانة ؟ أن السيد أنور السادات لا يريد أن تكون هناك احزاب ، لا اليوم ولا غدا ولا بعد غد . وحتى انتهاء مرحلة الفضال ضد الاستعمار ، لا يتصور السيد السادات إمكان قيام الاحزاب . عندها سأل يوسف ادريس « هل من الممكن أن تنشأ ، حينذاك ، احزاب تقود معاركنا الداخلية ؟ » أجاب بقوله « من الممكن ، حينئذ ، أن يحدث شيء كهذا ، أما أنا شخصا فأرجو عندها يأنى ذلك إلا يكون هناك داع لأن تقوم بيننا معارك فى الداخل » .

فاى صراحة تفوق هذا الحديث ؟ " ومع ذلك فلا يلبث السيد أنور السادات أن يستأنف الحملة علينا ، فيقول « أن هؤلاء الذين يريدون الديمقراطية الحزبية ، يريدونها لكى يستعينوا بواسطتها أن يحكموا هم ، شخصا . فالمشكلة عندهم ليست هى الاستقلال ولا التحرر ، المشكلة هى من يأنى بالاستقلال والتحرر » .

ولا ريب أن هذه حجة مرسلّة للمجادلة ليس الا ، فلا يوجد من يصدق أن الشيوعيين يطلبون الاحزاب ليحكموا هم ، شخصا . ولقد أعلن الشيوعيون أكثر من مرة ، انهم لا يفكرون ، حاليا ، فى الحكم ، وانهم مشغولون ، قبل كل شيء بتوحيد القوى الوطنية داخل احزابها ، لكى تتروحد فى جبهة وطنية ، تقود بأكملها صراعنا الوطنى . ولقد أعلنوا ، مرارا وتكرارا ، أنه لا توجد طبقة واحدة تستطيع أن تواصل الصراع بمفردها ضد الاستعمار . ومع ذلك تصر طبقة واحدة فى الحكم على أن تتفرد هى بالحكم ، وأن تشهر بالطبقات الوطنية الأخرى ، وهى توجد خارج الحكم . بزعم انها تشتهى الحكم . ويكفيها اللرد على هذا الزعم ، أن نسوف فقره أخرى من تصريحات السيد أنور السادات نفسه ، حين يقول « أن الصراع لا يدور بين طبقتنا حول ايها تستولى على الحكم » . واثن ، مغيم كان التشهير ، ولماذا كان هذا التناقض الصارخ فى الحديث ؟ اننا نطالب بتكوين الاحزاب الوطنية ، ليس ، فقط ، كطلائع مدافعة عن طبقاتها ، ولكن كطريقة فعالة لتوحيد الوطنيين جميعا من أقرب سبيل . وتلك هى الديمقراطية الصحيحة التى تحتاج اليها بلادنا . اننا نطالب للبورجوازية بحزبها ، كلها نطالب للشعب باحزابه ، فاى انانية فى ذلك .

على أن براعة السيد أنور السادات لا تقف عند حد . وهو يأبى التسليم بالهزيمة . وغدئذ يشهر فى وجه الشيوعيين أخطر ما فى جعبته ،

وهو انهم بديمقراطيتهم « يحولون معركتنا الكبرى ضد الاستعمار الى معركة صغرى بيننا وبين أنفسنا ، وانهم « يريدون تغيير الوسيلة ، في الظاهر ، ولكنهم ، حقيقة ، يريدون صرفنا عن أهدافنا الوطنية ، ربما لانهم ضد هذه الأهداف ، ومن الصعب علينا ان نفهم السر في هذه الحملة الطائشة التي لا تصيب ، في النهاية ، غير الوطن والقضية الوطنية الكبرى . فالجميع يعلمون . والسيد أنور السادات لا شك يعظم - أن الحزب الشيوعي المصري هو المدافع الأمين عن المصالح الوطنية والديمقراطية للشعب ، وأن المهمة التاريخية التي يحملها على عاتقه هي مهمة النضال في سبيل صون الاستقلال الوطني ضد العدوان الاستعماري وضد النير الاقطاعي . ان الجميع يعلمون ان الشيوعيين يخودون ، ببسالة ، عن الاستقلال الوطني ، ويناضلون ، بشرف ، في سبيل تدعيم الاقتصاد الوطني ، وفي سبيل السلام بين الشعوب . اننا ، نحن الشيوعيين ، نعلم . علم اليقين ، أن خطر العدوان الاستعماري باق ما بقى الاستعمار ، وأن علينا أن نبرهن على أعظم اليقظة حيال ( . . . ) (\*\*) الناجم من الاستعمار . ونعلم ان تعبئة الجماهير الشعبية . . . (\*\*) وحريتها في تنظيم نفسها هي الضمان الفعال لرد المعتدين على أعقابهم . اننا نعتقد ، اعتقادا راسخا ، ان النصر في نضالنا الوطني يزداد تأكيدا كلما ازداد جميع القوى الوطنية . ان الشيوعيين ، عندما يطالبون بالحرثان ، لا يتخفون ذلك وسيلة لتحويل انظارنا عن قضيتنا الوطنية الكبرى ، ولا يشغلون السيد أنور السادات بمعركة صغيرة . ولكنهم يفتنون ذلك حرصا على مصير القضية الوطنية . ورغبة في توفير أصلب ضمانة لصون استقلالنا الوطني ، ودحر المستعمرين المنربصين . وتلك هي الوطنية .

ان وطنية الشيوعيين لا يمكن أن تكون خافية على أحد . فوطنيتهم تشهد بها بطولاتهم في حركتنا الوطنية ، سنة ١٩٤٦ ، ويشهد بها كفاحهم المرير ضد ارهاب فاروق ، وتشهد بها تضحياتهم في معارك التلكفاح المسلح ، سنة ١٩٥١ ، وتشهد بها المقاومة الشعبية ، سنة ١٩٥٦ . ان بطولة الشيوعيين قد شهدت بها محاكماتهم العديدة ، وسنوات السجن والاعتقال ، والتفنى الطويل ، وأعمال التعذيب الوحشية التي ذاقوها ، والآلام المبرحة التي ما زالوا يتحملونها ، من غير أن يكون لها داع . ان وطنية الشيوعيين تشهد بها مواقفهم العديدة في تأييد الحكومة الوطنية ، تلك الحكومة التي ما تزال ، حتى الآن ، تضع الشيوعيين في السجون والمنافي ، وسنط الصحراء ، والتي تطارد الشيوعيين الاطلاق في ازراعتهم ، سرء كانوا عمالا أو موظفين ، وتشردهم ، رجالا ونساء . ومنع ذلك

(\*) كلمات غير واضحة في الأصل .



فلسنا نمن على الحكومة الوطنية بمواقفنا الوطنية ، لأننا لم نتخذها بغرض استرضائها ، وانما اتخذناها عن عقيدة خالصة ، وتقديم المصالح الوطنية العامة على المصالح التطبيقية الخاصة . لقد اغضينا كثيرا عن آلامنا وعذاباتنا ، من أجل القضية الوطنية الكبرى ولم تكن الجماهير ، أحيانا ، تفهم كيف نهتف بحياة الرئيس عبد الناصر ، ورفاقنا الأبطال مكبلون بالأغلال في السجون ، وفي جوف الصحراء . ولكثنا كنا نضرب المثل في أنفسنا ، كنا ننكر ذاتنا ، من أجل الوطن ، ثم يأتي السيد أتور للسادات فيعلن وهو مستول عن كل كلمة يقولها ، أن الشيوعيين « ربما كانوا ضد الأهداف الوطنية » . وهذا كلام خاطيء وخطير . ان المسألة عندنا ليست ان يحقق أهدافنا الوطنية عبد الناصر أو الشيوعيون . انما المسألة ان تتحقق هذه الأهداف ذاتها . وعندما كانت تتحقق على أيدي عبد الناصر كنا نرفع فوق رؤوسنا ، لأن في انتصاره تقدم بلادنا ، ومصالح بلادنا ، وحدها ، نقف الى جانبه ، ونضم قوتنا الى قوته ، وليسنا بحاجة لتفكير أحد بأن الشيوعيين كانوا أول من وضع الشعارات الوطنية الكبرى ، قبل الثورة ، مثل الكفاح المسلح والجلد الشامل ، ومقاومة الأحلاف الاستعمارية ، وإلغاء النظام الملكي ، وإقامة الجمهورية ، وإلغاء الإقطاع ، والإصلاح الزراعي ، وتأميم المشروعات الاستعمارية ، وفي مقدمتها شركة قناة السويس ، والجنوك ، وإقامة جيش وطني ، يحمي الاستقلال ويصون السلام . ولكننا لا نريد مع ذلك أن نعيش على الذكريات ، بل نكافح وتقدم ، دائما . وفي كها هنا تجد الجماهير نفسها ، فليست لنا مصلحة مستقلة عن مصلحة الجماهير .

ان وطنية الشيوعيين فوق كل شبهة ، ان الشيوعيين يعرفون أنفسهم ، والجماهير كذلك تعرفهم . انهم وطنيون صادقوا الوطنية ، بل هم أصلب الوطنيين جميعا ، وأكثرهم استقامة ، وأبعدهم نظرا ، وأكبر شجاعة . ومن وطنيتهم ، أنهم يدعون لبحث الخلافات التي تنشأ بين صفوف الوطنيين - وليس من مصلحة الوطنيين ، على الإطلاق ، إخفاء تلك الخلافات أو التستر عليها ، ومن مصلحة الجميع أن يحرصوا على مناقشتها وتسويتها ، اذ انها خلاصات وطنيين مع وطنيين . ومهما تفاقمت الخلافات ، فهي ، في النهاية ، قضايا صغرى ، بجانب القضية الكبرى التي لا تحتل خلافا ولا تصدعا في الصفوف . وفي أكثر من مرة ، عندما أحرق خطر العدوان الاستعماري ، برهن الشيوعيون على وعيهم العالي ، وصدق وطنيتهم ، وكانوا ، وهم جزء من الجماهير الشعبية ، مثالا للتضحية ، وإنكار الذات . وحتى عندما يبتعد الخطر ، فإنهم لا يضعون قضايانا الصغرى قبل قضيتنا الكبرى ، ولا في مستواها . وهل معنى أنهم يناقشون



الاتحاد القومي ، ويناضلون من أجل الديمقراطية ، ويطالبون بتكوين الأحزاب ، أنهم غير وطنيين ؟ ان الشيوعيين لا يقدمون المعركة الداخلية على المعركة الوطنية ، غير انهم يرون ان من واجبهم ان يبصروا الوطنيين جميعا ، وفي مقدمتهم الحكومة الوطنية ، بالاحطار التي تهدد الوحدة الوطنية . ولقد أصبح الاتحاد القومي ، بتكوينه الحالي وبمواقفه الراهنة ، حطرا على الوحدة الوطنية . فالاتحاد القومي ، بتكوينه غير الديمقراطي ، وبرفضه ان يكون جبهة وطنية ، وباصراره على ان يكون حزبا فوق كل الأحزاب ، حزبا فوق الجبهة الوطنية ، وبسيطرته المفروضة على التنظيمات الجماهيرية النقابية والسياسية ، وبالتعاون الوثيق مع المباحث العامة ورجال الادارة ، قد تحول ، بذلك ، الى سلاح ضد الجماهير الشعبية ، يحاربها في حريتها ، وفي ارزاقها ، ولا يمكن بالتالي ان يكون ساحة الوطنية ، التي تضم الوطنيين جميعا .

ولا يمكن ان ينهم الشيوعيون بانهم يخربون الجبهة الوطنية ، حين يكشفون عن جوانب النقص الفادح في تكوين الاتحاد القومي . ان الشيوعيين اتشد انصار الجبهة الوطنية ، التي تحتاج اليها بلادنا لتفقد كفاحنا الوطني . انهم يناضلون من أجل بناء جبهة وطنية حقيقية ، كذلك التي توجد في اندونيسيا أو العراق ، ولكنهم يرون الخطر ، كل الخطر ، على الوحدة الوطنية ، فيما يقوم به الاتحاد القومي ، وهو حزب ، من محاولات لخرص نفسه على الشعب ، بينما يحرم الشعب من حرية تنظيم نفسه بنفسه . ان الجبهة الوطنية ، التي تضم العمال والفلاحين والمثقفين وصغار الرأسماليين والرأسماليين الوطنيين ، هي اتحاد حر اختياري ، يضم عدة طبقات ، وهو بالتالي اوسع من ان يكون حزبا . وليس الاتحاد القومي ، باعتراف السيد السادات ، جبهة وطنية . بل هو ، على حد قوله ، « فوق الجبهات » . وبهذا الموقف نجد الاتحاد القومي يرفض تكوين الجبهة الوطنية ، ويمنع قيام الأحزاب الوطنية ، ويفرض نفسه على جميع الوطنيين حزبا بالاكراه . وعندئذ فلا مفر من انفضاض الجماهير عن الاتحاد القومي ، ولابد ان يستمر انعزال الحكومة عن الشعب . وليس امام السيد السادات ، عندئذ ، غير ان يحمل على الشعب ويقول « ان حكومة الثورة هي التي كانت تتولى الى الآن ، مهام الدفاع عنا وقيادتنا . اما نحن . كشعب ، فكان موقفنا متخلفا جدا عن موقف حكومتنا » . ان براعة السيد السادات قد قلبت الاوضاع ، وبدلا من ان ينمى على الحكومة موقفها من الشعب ، يتهم الشعب بالتخلف جدا عن الحكومة . فهل يستطيع الشعب ان يفقد حكومة لا تثق فيه ، وتحرمه من حريته في تنظيم نفسه بنفسه ؟

ان قضية الاتحاد القومي هي احدى قضايا الشعب الأساسية ، وفيها تتجمع قضايا لها شأن خطير في حياتنا السياسية ، الا وهي قضية

الديمقراطية ، وقضية بناء الجبهة الوطنية . واليوم ، حين تطرح قضية الوحدة العربية ، ويلتظر العرب الى مصر ، التي ينخضونها مثالا لوحدهم الكبرى ، فمن حقهم ان يقلقوا على مصير الديمقراطية في بلادهم في ظل الوحدة . انهم ، بطبيعة الحال ، يتأملون ملبا ما آلت اليه سوريا بعد وحدتها مع مصر . فقبل الوحدة كانت الديمقراطية المزدهرة ضامنا قويا لقيادة الجبهة الوطنية ، ولما تمت الوحدة ، وعطلت الاحزاب والحياة الديمقراطية تعرضت الجبهة الوطنية للخطر الشديد ، ومن حق العراقيين ، اليوم ، ان يحرصوا على مطلب الاتحاد الفيدرالى ، كوسيلة للمحافظة على حرياتهم .

وبعد ، فتلك اجابة سريعة على المسائل الصريحة التي طرحها في حديثه السيد أنور السادات ، السكرتير العام للاتحاد القومى ، نامل ان نكون ذات فائدة . وحرصا منا ، فى الخاتمة ، على تحديد رأينا ، بدقة ، نحاول هنا ان نجمله فى النقاط التالية :

اولا - ان الشيوعيين المصريين يناضلون لتكوين جبهة وطنية ، تضم جميع القوى الوطنية فى مصر ، على أساس حر اختياري ، وليس على الاكراه او التمييز .

ثانيا - ان الشيوعيين المصريين يناضلون من اجل اقامة ديمقراطية مرخية ، لا ديمقراطية على النمط الغربى ، وذلك على أساس السماح بحرية تكوين الاحزاب للطبقات والفئات الوطنية ، وليس للطبقات او الفئات الرجعية والخائنة .

ثالثا - ان الشيوعيين يعتبرون الاحزاب الوطنية هى الاساس الوطني لتكوين الجبهة الوطنية ، فالاحزاب وسيلة لتوحيد طبقاتها ، ومن ثم فهم وسيلة لتوحيد الوطنيين جميعا فى جبهة واحدة .

رابعا - ان الشيوعيين المصريين يعتبرون ان الاتحاد القومى حزب ، وأنه حزب الرأسمالية الوطنية الحاكمة وأنه ليس جبهة ، على الاطلاق . وأنه بوصفه حزبا وطنيا ، يعتبر حزبا طيفيا ، نتحد معه ، وتتصارع ضده ، فى وقت واحد ، نرحب به ، ونناضل للتحالف معه ، وعلاقتنا به لا غموض فيها ، فنحن لا نعاديهِ ، ولا نخربه . ولا يمكن ان يتهم الشيوعيون بتخريب الاتحاد القومى ، فليست مهمة الحزب الشيوعى دعوة الشعب لتكوين حزب الرأسمالية . ومع ذلك ، فان تحالفنا معه يجعلنا نتنازل من خارجه ومن داخله ، لتأكيد ضرورة بناء الجبهة الوطنية ، على أساس الديمقراطية .

ذلك موقف الشيوعيين المصريين من الاتحاد القومي ، موقف لا لابس فيه ولا غموض ، وهم بذلك انما يعبرون ، بامانة ، عن المهمة التي حملتهم اياها جماهير الشعب . وأن الشيوعيين ليستمدون من الشعب جادا على الضال ، وثقة ، لا تحد بالمستقبل ، وهم لا ينفكون يمدون ايديهم لجميع القوى الوطنية من أجل بناء جبهتنا الوطنية ، على أساس الديمقراطية . ومع جميع القوى الوطنية يقفون صفا متراصا من أجل صون استقلالنا الوطني ، الذي يتعرض لهجمات ، لا تنقطع من جانب الاستعمار العالمي .

المكتب السياسي

للحزب الشيوعي المصري

١٩ سبتمبر ١٩٥٨ .





## ملحق ٢

قرار الاتهام في قضية مقتل

الشهيد فرج الله الطو

## قرار الاتهام في قضية مقتل الشهيد فرج الله الحلو

( الصادر عن قاضي التحقيق العسكري

لدى المجلس العدلي في الجمهورية العربية

السورية ، الرائد أحمد زهير صبحي العدلي )

\*\*\*

باسم الأمة

نحن الرائد أحمد زهير صبحي العدلي قاضي التحقيق لدى المجلس  
العدلي بعد الاطلاع :

على أحكام المرسوم التشريعي رقم ١٦٩ وتاريخ ١٩٦١/١٢/٦  
المتضمن تشكيلات واختصاصات المجلس العدلي .

وعلى الشكوى المقدمة من المحامي الاستاذ ميشيل عقل من بيروت  
بالوكالة عن فرجيني يوسف الحلو ارملة المرحوم فرج الله الحلو بالاصالة  
عن نفسها ووصيتها على بناتها القاصرات وهن : بشرى ونجوى وندى  
بحق المدعى عليهم : عبد الحميد السراج ، عبد الوهاب الخطيب ، سامي  
جمعه وكل من يظهره التحقيق من الموظفين السابقين . . انه فاعل أو  
مشترك أو متدخل أو محرض في جريمة القتل .

وعلى الادعاء الأولي رقم ١ وتاريخ ١١-١١-٦١ والمتضمن ملاحقة  
المدعى عليهم : عبد الحميد السراج وعبد الوهاب الخطيب وسامي جمعه  
بجرائم توقيف المواطن فرج الله الحلو بصورة غير مشروعة وإيقاع التعذيب  
الجسدي به وقتله وذلك خلال الفترة الواقعة بين ٢٢-١-٥٨  
و ٢٨-٩-١٩٦١ واثناء توليهم وظيفة عامة في وزارة الداخلية وهي الجرائم  
المنصوص عليها والمعاقب عليها بأحكام المواد ٣٥٣ ، و ٥٥٦ و ٥٢٤ من  
قانون العقوبات .

وعلى الادعاء الملحق المؤرخ بـ ٢٥ - ١١ - ٦١ والمتضمن ملاحقة  
المدعى عليهم : أحمد صبحي السراج وزيدان مهنا وعبد القادر سعيد النحام  
ومحمد طالب السادات بجرائم كتم معلومات في قضية جنائية وذلك خلال  
انفترة الواقعة من ٢٢ - ٢ - ١٩٥٨ و ٢٨ - ٩ - ١٩٦١ واثناء توليهم  
وظيفة عامة في وزارة الداخلية وهي الجرائم المنصوص عنها والمعاقب  
عليها بأحكام المواد ٣٩٨ من قانون العقوبات السوري .

وعلى الادعاء رقم ٧٧٢ ق م وتاريخ ١٧ - ٣ - ١٩٦٢ المتضمن ملاحقة المدعى عليهم عبد الحميد السراج وعبد الوهاب الخطيب ونعسان زكار ووجيه الانطاكي وبهجت مسروتى وناصر صائح بجرائم سرقة واتلاف جثة اناها كليا بقصد اخفاء الموت وذلك خلال الفترة الواقعة بين ٢٢ - ٢ - ١٩٥٨ و ٢٨ - ٩ - ١٩٦١ واثناء توليهم وظيفة عامة في وزارة الداخلية وممارستهم سلطة عامة وهي الجرائم المنصوص عنها والمعاقب عليها بأحكام المادة ٤٦٥ من قانون العقوبات .

وعلى الادعاء رقم ٦٤ ق م ع وتاريخ ٩ - ١ - ٦٢ والمتضمن ملاحقة المدعى عليه نعسان زكار بجرم كتم معلومات في قضية جنائية وذلك خلال الفترة الواقعة بين ٢٢ - ٢ - ١٩٥٨ و ٢٨ - ٩ - ١٩٦١ واثناء توليه وظيفة عامة في وزارة الداخلية وهي الجرائم المنصوص عنها والمعاقب عليها بأحكام المادة ٣٩٨ من قانون العقوبات العام .

وعلى الادعاء رقم ٧٧٢ ق م ، وتاريخ ١٧ - ٣ - ١٩٦٢ والمتضمن ملاحقة المدعى عليه وجيه انطاكي ورفيق رضا ونعسان محمد زكار وعبد الحميد السراج وعبد الوهاب الخطيب وسامى جمعه بجرائم توقيف فرج الله الحلو بصورة غير مشروعة وايقاع التعذيب الجسدى به وفنته من قبل المدعى عليهم ١ و ٢ و ٣ وجرم اساءة استعمال السلطة والاخلال بواجبات الوظيفة من قبل المدعى عليهم كتمه وذلك خلال الفترة الواقعة بين ٢٢ - ٢ - ١٩٥٨ و ٢٨ - ٩ - ١٩٦١ واثناء توليهم وظيفة عامة في وزارة الداخلية وممارستهم سلطة عامة وهي الجرائم المنصوص عنها والمعاقب عليها بأحكام المواد ٣٥٧ و ٥٥٦ و ٥٣٤ و ٣٦٦ و ٣٦٧ من قانون العقوبات العام .

وعلى مطالعة النيابة العامة لدى المجلس العلى بالاساس رقم ٩٤ وتاريخ ٢ - ٥ - ٦٢ والمتضمن طُلب :

١ - اتهام المدعى عليهم : عبد الوهاب الخطيب وسامى ابن محمد جمعه ونعسان بن محمد زجار ووجيه بن أحمد توفيق انطاكي ورفيق أحمد رضا بجناية قتل المغرور فرج الله اسطغان الحلو قصدا مع ارتكاب أعمال التعذيب نحوه المنصوص عنها والمعاقب عليها بأحكام الفقرة ٧ من المادة ٥٣٤ من قانون العقوبات العام بدلالة المادتين ١٨٨ و ٣٦٧ من القانون نفسه .

٢ - اتهام المدعى عليهم عبد الوهاب الخطيب ونعسان بن محمد زكار وسامى بن محمد جمعه ووجيه بن أحمد توفيق انطاكي ورفيق رضا

بجناية حرمان المغدور فرج الله المذكور حرите وأنزال التعذيب الجسدى والمعنوى به المنصوص عنها والمعاقب عليها بأحكام الفقرة ب لامادة ٥٥٦ من قانون العقوبات بدلالة المادة ٣٦٣ من القانون نفسه عدا تطبيق المادة ٣٦٧ المذكورة بحق اقدمهم رفيق .

٣ - الظن على المدعى عليهم عبد الحميد بن محمد السراج وعبد الوهاب الخطيب ونعسان بن محمد زكار ووجيه أحمد انطاكي وناصر بن محمد صالح وبهجت بن محمود المسوتى بالجناية المنصوص عنها والمعاقب عليها بأحكام المادة ٤٦٥ من قانون العقوبات بدلالة المادة ٣٦٧ من القانون المذكور .

٤ - منع محاكمة المدعى عليهم : عبد الحميد السراج وعبد الوهاب الخطيب وسامى جمعه ونعسان بن محمد زكار ووجيه بن أحمد توفيق انطاكي من جناية التوقيف غير المشروع لعدم توفر عناصر الجرم .

٥ - منع محاكمة المدعى عليهم المبينة اسمائهم فى البند ( ٤ ) من الجرم المنصوص عنه والمعاقب عليه بأحكام المادة ٣٥٣ من قانون العقوبات لعدم توفر عناصر الجرم .

٦ - منع محاكمة المدعى عليهم : محمد طالب السادات وعبد القادر ابن سعود اللحام وزيدان بن ابراهيم مهنا وأحمد صبحى السراج من جناية كتم المعلومات اثناء تحقيق جنائى لتراجعهم وادلائهم بالحقيقة قبل اختتام التحقيق عملا بأحكام المادة ٣٩٩ .

٧ - منع محاكمة المدعى عليه عبد الحميد بن محمد السراج عن جناية الاشتراك بحرمان المغدور فرج الله الحو حريقه وتعريضه للتعذيب لعدم توفر الدليل .

٨ - منع محاكمة المدعى عليه نعسان بن محمد زكار من جناية كتم المعلومات اثناء تحقيق جنائى عملا بأحكام المادة ٤٠٠ من قانون العقوبات .

٩ - اصدار مذكرات قبض ونقل بحق المدعى عليهم المبينة اسمائهم فى البندين ١ و ٢ .

١٠ - اجراء محاكمة المدعى عليهم المبينة اسمائهم فى البنود ١ و ٢ و ٣ امام المجلس العدلى .



وعلى التحقيقات الجارية في هذه القضية .

وعلى أوراق هذا الملف كافة فقد تبين لنا ما يلي :

### في الوقائع

اصدر رئيس المجلس التنفيذي وزير الداخلية في الاقليم السوري من الجمهورية العربية المتحدة السيد عبد الحميد السراج ( آنذاك ) امرا بناء على الامر رقم ٣٨ وتاريخ ٢ اكتوبر ١٩٥٨ الذي يخونه القاء القبض على المشبوهين والمتهمين ومن ينقص صون الأمن العام القبض عليهم بمكافحة الشيوعية في سورية لا سيما بعد حوادث الموصل في تسهوا آذار من عام ١٩٥٩ وكان هذا الامر عاما الى جميع مفارز الأمن الداخلي من المخابرات والمباحث . فشن المسئولون عن الامن حملة عامة في سورية للتفتيش عن الشيوعيين وتوقيفهم بالاستناد الى قانون الطوارئ والصلاحيات المخولة الى وزير الداخلية من رئيس الجمهورية في ذلك الحين .

وكان ان ذكر صبحي الحبل اثناء التحقيق معه عن نشاطه الشيوعي ان فرج الله الحلو اللبناني الجنسية واحد ثلاثة مسئولين عن الحزب الشيوعي اللبناني السوري سيزور وكرا للحزب بدهشق بدار على طريق كفر سوسة فرؤى ارسال مراقبين الى الدار يترصدون حضور فرج الله الى الدار . وارسل شاهر قويناتي وقاسم الشباط بتكليف من سامي جمعه رئيس احدى مفارز المباحث الى دار صبحي الحبل التي ذكر ان فرج الله سيحضر اليها واطلعه على اشارة خاصة بين فرج الله وصاحب الدار وكما هناك الى ان حضر فرج الله وطرق على الباب الاشارة المصطلح عليها ففتح له الباب ولقيا القبض عليه وتبين انه دخل الحدود السورية بهوية ذات اسم مستعار اطلقه على نفسه هو عساف منصور ولقب نفسه وهو اسمه الحزبي باسم ابو فياض فاتصل شاهر بسامي جمعه وابلغه نبأ اعتقال فرج الله الحلو ونجاح الخطة .

ذهب سامي جمعه على رأس ثلة مؤلفة من وجيه انطاكي وسعيد مظلتي وغيرهما بتاريخ ٢٥ - ٦ - ١٩٥٩ الى حيث كان شاهر قويناتي وزملاؤه قد حجزوا قبل دقائق فرج الله الحلو فشد وثاقه ونقله الى مقرزته في حي الصالحية بدمشق قرب المستشفى الايطالي واتصل بمدير الفروع السابع للمخابرات نعيان زكار واطلعه على نبأ نجاح خطة اعتقال فرج الله الحلو وانه في قبضته . قابل نعيان زكار مدير الفرع السابع للمخابرات فرج الله الحلو في المفزة المذكورة وتذاكر واياء برهة فقدم له

نعمان فنجان قهوة واخذنا يتناقشان في سياسة الجمهورية العربية المتحدة آنذاك ولاحظت نعمان حلقة تضم عدة مفاتيح في يد فرج الله الحلو فسأل عنها فلم يجبه بشيء وانهم جمال عبد الناصر بآته عميل اميركي فصفع نعمان فرج الله وامر ببطحه في الصالون فمات فرج الله الحلو في الخروج واخذ يحتذى بوجيه انطاكي فاخرج بالقوة الى حيث امر نعمان وتعرض للضرب على قدميه بأمر من نعمان حتى اغشى عليه دون ان ينصيح عن سبب وجود المفاتيح المتعددة معه فتركه نعمان بين يدي عناصر المفزة وانصرف .

علم عبد الوهاب الخطيب رئيس القسم السياسي في المباحث العامة باعتقال فرج الله الحلو فحضر الى المفزة المعتقل بها وما ان شاهده حتى باذره بقوله « انك لصيد ثمين » واخذ يحقق معه عن نشاطه الشيوعي وعن المفاتيح التي بحوزته والدور التي يتردد اليها الا ان فرج الله كان يرفض الاجابة او يحاول التخلص منها . فاستعمل عبد الوهاب العنف والشدة معه ليكرهه على القول وضربه بعصاه حتى تكسرت وصفعه بالكهرباء في قدميه وكان سامي جمعه يضع سلك الكهرباء في المآخذ كما يامره عبد الوهاب الخطيب يوصل التيار ويقوم عبد الوهاب بوضع الطرف الثاني من السلك في ابهامي قدمي فرج الله ليحمله على الاقضاء بما لديه من معلومات وكلما امن في الكتمان امن عبد الوهاب الخطيب في التعذيب وتفنن في اساليبه فأمر بوضعه « فلقة » وضربه ضربا مبرحا على قدميه وجسمه وجلده بالسوط حتى ساعة متأخرة من الليل ونفخ بطقه بالهواء بمنفاخ سيارة ثم ضغط بقدمه على بطنه ليخرج الهواء وامر بتعليق وعاء من الماء فوق رأسه تقطر منه قطرات متقطعة من الماء « وعاء لمازوت المدفأة » وتتساقط على وجه فرج الله في اشد عطشه فعلم سامي جمعه بأن فرج الله مصاب بمرض القلب وقد شاهد معه احدى منها الكورامين وخشى عليه من الضرب ففهره عبد الوهاب واستمر في تعذيب فرج الله حتى ينتزع منه معلومات عن نشاطه . وكان رفيق رضا يناقشه في افكاره السياسية والعقائدية ونصحه ان يعترف ليتخلص غير ان فرج لم يكن ليجيب الا باتهام رفيق رضا بالخيانة وتجننى على عبد الوهاب السخط وخرج سامي جمعه الى حديقة البناء بعد ان نهره عبد الوهاب وبقي حتى عودة وجيه انطاكي . عاد وجيه انطاكي الى المفزة في اواخر الليل وفي الساعة الاولى من صباح ٢٦ - ٦ - ١٩٥٩ فوجد ان عبد الوهاب لا يزال في المفزة وقد انهكه التعب فسلمه فرج الله حيث كان في الصلاة وطلب منه ان يعطيه بما سيحدث وخرج الى داره وعاد وجيه الى فرج يستجوبه واقدم على ضربه ثم خرج الى غرفة أخرى فطلب فرج الله قائلا

من الماء فخرج ياسين حب الله لتلبية طلبه وما ان عاد حتى شاهده مد مات فذهب فوراً واخبر وجيه انطاكي بما جرى فحضر وشاهد فرج الله وقد انقطعت انفاسه فحمله الى غرفة سامى جمعه وانصل بعبد الوهاب الخطيب واطّعه على ما جرى فأمر عبد الوهاب باخفاء الجثة في غرفة نحت أسفل الدرج حتى لا يراها موظفو المفرزة والشيوعيون الموقوفون رينما يحضر ليتدبر الامر . انصل وجيه انطاكي بنفسان زكار مدير الفرع السابع للمخابرات العامة واعلمه بالموضوع وبعد برهة وجيزة حضر الى المفرزة نعيان زكار وبهجت مسوتى وتاصر صالح وعبد الوهاب الخطيب واخذوا يباحثون في تدبير الامر فامتزجوا مبدئياً بتقرير مصيرها وبعدت الاقتراحات وأمر عبد الوهاب الخطيب وجيه انطاكي بان يخفيها في مزرعة سامى جمعه قرب دير سلمان وانصلوا بسامى جمعه هاتفياً فحضر ورفض ان تدفن في أرضه وتعددت الاقتراحات فمن قائل ان تدفن في قبر مهجور ثم يصب عليها الحمض الازوتى ومن قائل بدفنها في مزرعة سامى جمعه اى ان حان المساء أمر نعيان زكار وجيه انطاكي ان ينقل الجثة الى قرب مزرعة سامى جمعة ودفنها هناك فقام بنقلها مع عدد من موظفى المفرزة ودفنوها ليلاً حيث استقر الراى واشاع وجيه في تلك القرية حيب يقيم اخوه حسن انطاكي انه دفن أوراقاً شيوعية على درجة من الخطورة وعين ياسين حب الله حارساً عليها خوفاً من سرقتها او اكتشافها . ادعى نعيان زكار انه اتصل هاتفياً بوزير الداخلية آنذاك عبد الحميد السراج في بيته فلم يجده اذ انه كان خارج دمشق عندما علم نعيان بموت فرج الله وعاد للاتصال به مرة ثانية واعلمه بالنبا فاستدعاه في صباح اليوم التالى وبرفقته كلا من بهجت مسوتى وتاصر صالح وما ان قابلوه حتى شرح الوضع له نعيان بالتفصيل فاستاء من الخبر وعرضوا عليه احالة القضية الى النيابة العامة للتحقيق وتحديد المسؤولية فاجابه وعلى ما بدا لهم انه على علم بالامر من قبل انه لا يرغب في ذلك حتى لا تحدث هذه القضية ضجة عالمية فيما اذا سلمت الجثة الى نويها ووعدهم بدراسة الموضوع بعد ان كان موظفوا المفرزة قد دفنوا الجثة في مكان قرب قرية دير سلمان المؤهلة .

نمى الى نعيان ان سيارة لبنانية تتردد الى مكان مدفن جنة فرج الله الطو فاقترح نقلها الى قرب قرية في جبل الشيخ ووضعها في كهف ثم يصار الى تفجيره وخرج مع جماعة من موظفيه لاستكشاف المكان فرأى ان الكهف بل الفكرة غير صالحة لئلا يتنبه أهل القرى الى الحادث فعاد واقترح اذابة الجثة بالحمض « الاسيد » وكلف وجيه انطاكي بتنفيذ المهمة واعطاه امر صرف مبلغ مائتى وخمسين ليرة سورية لشراء الادوات اللازمة لذلك ، فذهب الى محاسب المخابرات الثقيب صلاح الحين الالىرى واستلم



المبلغ واشترى به مغطسا « بانيو » وحمضا « اسيد » ومنتسارا وقطننا وكحولا وذهب برفقة أحمد السراج وعبد القادر اللحام وزيدان مهنا وسعيد مخللاتي وهو متحمس لازالة الجثة من الوجود واجتمعوا هناك بزميلهم ياسين حب الله حيث كان في حراستها ونفث وجيه قبر فرج الله نحت جنح الظلام وهو ثمل واخرج الجثة وكان ان سد فمه وانفه وكذلك رفاقه بالقطن اتقاء لرائحة التفسخ وقطع وجيه بمنشاره الجثة اربا اربا ووضعها في كيس معه وعاد بها الى المفرزة ثم الى بيته في كهر سوسه ووضعها في المغطس الذي اشتراه وصب عليها الحمض الكيماوي « اسيد » ونقعها ثلاثة ايام حسب ارشادات نعيسان زكار وتغيب عن المفرزة هذه المدة بعد ان شاع ان جثة فرج الله الحلو ارسلت الى اللانقية والتيت في البحر طعاما للاسماك . ولما تأكد من نجاح التجربة بنفسه وان عظام فرج الله الحلو قد ذابت في الحمض ابلغ نعيسان بذلك فحضر برفقة سامي جمعة وتأكد بنفسه من النجاح فأمر بصب الماء في النهر الذي يجري بالقرب من دار وجيه انطاكي . ولقد تهي عبد الحميد السراج ان يكون على علم بمقتل فرج الله الحلو بدمشق على ايدي رجال المخابرات او يكون على علم بدخوله سورية حتى ساعة استجوابه عنه وادعى انه لو علم في حينه لما توانى من اتخاذ الاجراءات القانونية بحق الفاعلين وذكر انه لما اثرت القضية ، بل قضية فرج الله الحلو على الصعيد الدولي بين خروشوف وعبد الناصر سئل رسميا عن موضوع فرج الله الحلو فسأل بدوره المخابرات العامة عن هذا الشخص فقدمت له قائمة بأسماء الممنوع دخولهم الى سورية وكانت تضم اسم فرج الله الحلو ولم يذكر انه دخل سورية او طرد منها ، فاجاب الجهة التي سألته رسميا بان فرج الله الحلو لم يدخل سورية وانه ممنوع من دخولها بأمر منه استنادا الى قانون الطوارئ وصونا للامن العام ولم يدر ان رسميا او عاديا ان فرج الله الحلو قد اوقف وحقق معه ومات بدمشق . وادعى وجيه انطاكي ان عبد الوهاب الخطيب ونعيسان زكار كلفاه بأخذ توافيق افراد المفرزة ممن اطلعوا على هذا الحادث على وثيقة تشعر باشتراكهم برؤاسته بتعذيب فرج الله الحلو مما ادى به للموت حتى تدخل الرهبة على كل منهم ولا يخبر احد بذلك . فحرر وجيه بخط يده وثيقة تضمنت : نحن الموقعين انفاء وجيه انطاكي ، محمد السادات ، جورج جبور ، سعيد مخللاتي ، عبد القادر اللحام ، ياسين حب الله ، زيدان مهنا ، أحمد السراج وعلى موعد بعد ان قبضنا على الشيعي اللبثاني فرج الله الحلو في الساعة ٤٥ ، ١٩ من يوم ٢٥-٦-١٩٥٩ في دار سرية للحزب المذكور بدمشق وخلال قيامنا مشتركين بالتحقيق الذي كان يرأسه احدا وجيه انطاكي اذ بنا نلاحظ منه حركات جسمانية غير عادية ادت الى موته بالساعة ١٥ ، ٧ من يوم ٢٦-٦-١٩٥٩ واعترافا



منا بهذه الواقعة وباشتراكتنا في هذا التحقيق الآنف الذكر وبانزعاق  
الاقوال من المذكور اسمه فيما سبق فائنا نوقع هذا الاعتراف باختيارنا .  
نحن بكامل قوانا الجسدية والعقلية تحريرا في ٢٦-٦-١٩٥٩ وقد ضمت  
تواقيع المذكورين في مقدمتها .

نفى ان يكون نعتسان زكار على علم بهذه الوثيقة كما افاد موقعوها  
بائهم وضعوا تواقيعهم عليها بناء على طلب وجيه اذ فهموا منه ان نعتسان  
زكار قد طلب ذلك وذكر سامي جمعه انه حصل على نسخة من هذه  
الوثيقة بعد مقتل فرج الله الحلو اثر تمنعه عن العمل ومقابلته لوزير  
الداخلية عبد الحميد السراج وطلب منه ما يثبت براءته من هذا الجرم  
ليتابع العمل فوعده عبد الحميد السراج بدراسة القضية مع عبد الوهاب  
الخطيب ونعتسان زكار وقد احتفظ بهذه الوثيقة ثم قدمها الى التحقيق  
بتاريخ ٦-١-١٩٦٢ اثناء استجوابه .

### في الأدلة :

وقد أيدت هذه الوقائع بالأدلة التالية :

١ - افاد سامي جمعه في المحضر رقم ١٦ وتاريخ ٦ - ١ - ١٩٦٢  
والمضممة ان صبحي الحبل اعترف ان فرج الله سيزور دمشق بتاريخ  
٢٥ - ٦ - ١٩٥٩ فوضع له كمين ثم ذهب مع وجيه انطاكي من الفرزة  
الى الدار وعلا بفرج الله الحلو واتصل بعبد الوهاب الخطيب فلم يجده  
فاخبر نعتسان زكار فحضر وتناقش مع فرج الله الذي كان يحمل هوية  
لبنانية باسم عساف منصور واذا قال لنعتسان ان عبد الياصر عميل اميركي  
فصفعه وطلب من وجيه اخراجه الى الصالون فمانع فرج الله فاخرجه  
الموظفون بالقوة وطرحوه أرضا وانهالوا عليه ضربا بحضور نعتسان زكار  
وطلب ان يرفع فلقة وصار يسأله عن مفاتيح وجدت بحوزته فلم يعترف  
وحضر عبد الوهاب وقال انك لصيد تمين وتناقش مع فرج الله وقذفه  
بكأس وصار يضربه بعصا حتى تكسرت ثم امر بوضعه في الفلقة وارسل  
عبد الوهاب بطلب الياس أبو طاره ومنير فرح ورفيق رضا فحضروا  
ونصحوه فلم يصغ فركله رفيق رضا بقدمه سامي ونصح عبد الوهاب  
لوجود الكورامين فنهره بكوعه وانه اعلم عبد الوهاب باصابة فرج الله  
الحلو بمرض القلب لما شاهده ينفخه ويستعمل الكهرباء معه فخرج الى  
الحديقة وتردد الى الصالة فشاهد ان الضرب ما زال مستمرا فخرج وذهب  
الى مزرعته وشاهد وجيه يدخل الى الفرزة فذهب الى مزرعته وحضر اليه  
سميد مظلتي واعلمه بوفاة فرج الله الحلو وان النقيب نعتسان زكار

يطلبه فذهب الى المفرزة فشهد ناصر صالح وعبد الوهاب الخطيب ونعسان زكار وبهجت المسوتي ووجيه انطاكي مجتمعين فطلب اجراء التحقيق عن الوفاة اقترح نعسان ارسال الجثة الى البحر واقتراح بهجت اذابتها بالاسيد وانصرفوا ورفض سامي العمل فاستدعاه السراج وطاب منه متابعة العمل ووعدته باعطائه وثيقة تثبت براءته وان ووجه انطاكي احضر له ورقة تتضمن ان فرج الله الحلو مات اثناء التحقيق معه من قبله مع عدد من الموظفين فعاد الى عمله وعلم من بعض الموظفين ان جثة فرج الله قد نقلت واخذها ووجه لتفويدها وان نعسان اشرف على ذلك ورأى نعسان وعبد الوهاب يودان الذهاب الى دار ووجه للاشراف على عملية التفويج .

٢ - افادة المدعى عليه سامي جمعه المحضر رقم ٢٠ وتاريخ ٩ - ١ - ٦٢ والمتضمنة ان نعسان زكار ارتأى نقل الجثة حتى لا ينقلها اللبنانيون لعرضها في الامم المتحدة ثم نقل الجثة الى دار ووجه لتفويدها بالاسيد ثم ذهب مع نعسان الى دار ووجه واعلم ووجه نعسان بانتهاء العملية ونزل نعسان الى القبو ولم ينزل معه وعاد الى المفرزة .

٣ - افادة سامي جمعه في المحضر رقم ٦٠ بتاريخ ٦ - ٢ - ١٩٦٢ والمتضمنة انه برىء مما نسب اليه وانه كان ينفذ الاوامر الصادرة اليه .

٤ - افادة المدعى عليه ووجه انطاكي في المحضر المؤرخ في ١٥-١١-١٩٦١ امام التحقيق العدلي والمتضمنة انه علم من صبحي الحبل ان مرج الله الحلو يتردد عليه من لبنان فذهب مع سامي جمعه واحضره الى المفرزة واذا بالنقيب نعسان زكار ينتظر واخذ يحقق مع فرج الله ووجد معه حلقة مفاتيح فسأله نعسان عنها فرفض الاجابة امر النقيب نعسان لاخذه للخارج فأخذ يمانع ويتمسك به فأخرجوه الموظفون حضر عبد الوهاب فنترك المفرزة وفيها عبد الوهاب ونعسان وعاد في اليوم التالي فوجد فرج الله ممددا على ظهره مكتوف اليدين وعليه آثار الضرب وترك عبد الوهاب المفرزة وطلب اليه ان يخبره بما سيحدث وكان رفيق رضا حاضرا وامره عبد الوهاب بوضع المغدور على كرسي فشهد بطه يرتفع ويهبط واصبح بلا حرارة فأخبر عبد الوهاب فامر بنقله لغرفة صغيرة تحت الدرج ثم حضر عبد الوهاب وبهجت وناصر ونعسان وتحقق عبد الوهاب من موته فاتصلوا بسامي جمعه فناداه عبد الوهاب وطلب منه اخفاء الجثة في مزرعة سامي ثم حضر سامي وامره عبد الوهاب بالذهاب لتلك المنطقة فذهب ومحمد السادات وسعيد مخللاتي وزيدان مهنا وآخرين وفهم من عبد الوهاب ونعسان ان الدفن موقت وامره نعسان بوضع حراسة على الجثة للمراقبة

فعين ياسين حب الله نم اعطاه مائتي وخمسين ليرة سورية ثمن بانيسو. لحل الجثة به فانتسرى بانيسو واسيد واوصلها الى داره واشترى منشارا صغيرا بارساد نعلان وذهب ليلا ومحمد السادات وزيدان مهنا وسعيد مخللاتي وعلى موعد وفتحوا الحفرة ونشروا الجثة ووضعوها في الكيس راندز الجثة الى داره ووضعها في البانيو وبقيت بماء الاسيد ثلاثة او اربعة ايام واخبر النقيب نعلان فحضر وسامى وتأكد من النتيجة ثم نقل وجيه ماء الاسيد الى النهر وبتكليف من نعلان تسيع ان الجثة ارسلت الى اللاذقية وكلفه نعلان بأخذ توقيع افراد المفرزة على اشتراكهم برئاسته بنعنيبه مما ادى الى الموت .

٥ - افاد وجيه انطاكي في المحضر رقم ٦٤ وتاريخ ١-١-١٩٦٢ والمتضمنة انه دفن الجثة بأمر من نعلان زكار وعبد الوهاب الخطيب. وانه ذوبها بأمر نعلان ووفق تعليماته .

٦ - افادة الشاهد نعلان زكار في المحضر رقم ٢ وتاريخ ٢٥-١٢-١٩٦١ والمتضمنة ان سامى جمعه اتصل به واءلمه انه القى القبض على فرج الله الحلو فذهب لمفرزة سامى جمعه اتصل به ولم يجر معه تحقيقا واوصى سامى به خيرا وانصرف وفي اليوم التالي اتصل به وجيه واءلمه بوفاة فرج الله وان عبد الوهاب حقق معه حتى الصباح وضربه اثناء التحقيق فذهب لدار بهجت واتصل بناصر صالح وذهبوا الى المفرزة فشاهدوا وجيه انطاكي وحده فاعلمهم ان الجثة في مكان آخر ضمن المفرزة حسب تعليمات عبد الوهاب واءلمهم ان رفيق رضا كان حاضرا جزءا من التحقيق فخرجوا دون مشاهدة الجثة فاتصل هاتفيا بمنزل عبد الحميد السراج فلم يجده فعاود الاتصال في اليوم التالي وذكر له الحادث فأبدى دهشته وطلب مقابلة مع ناصر وبهجت واعادوا عليه ذكر الحادث واقترحوا اطلاق النيابة العامة وقال السراج انه كان ينوي اخبار النيابة العامة الا ان ذلك يترتب عليه تسليم الجثة الى نويها وسيكون ذلك فرصة ذهبية للتسيوعية لمهاجمة الجمهورية العربية المتحدة وربما تعرض الجثة في الهم المتحدة لذلك فانه مضطر لعدم اخبار النيابة العامة واعتبار الموضوع منتهيا وسيدرسه .

٧ - افادة المدعى عليه نعلان زكار في المحضر رقم ٦١ تاريخ ٧-٢-٦٢ والمتضمنة ان توقيف فرج الله الحلو لم يستمر أكثر من عشر ساعات اذ انه مات ولا يعرف كيفية موته ولم يستعمل معه الشدة او العنف .

٨ - شهادة سعيد مخللاتي في المحضر رقم ٣ تاريخ ٢٥ - ٢ - ٦٢ المتضمنة انه سمع سامي جمعه يقول لفرج الله الحلو اهلين ابو فياض والقي القبض عليه وعادوا الى المفرزة وعرضوه على الشيوخين ثم ادخل الى مكتب سامي جمعه وحضر بنفس المساء عبد الوهاب الخطيب وبيده كرباج وابو فياض ممدد على الارض ومجرد من ملابسه وكان عبد الوهاب يضربه وسامي يقف ساكنا وطلب عبد الوهاب ان تعلق بطيخة مازوت مدفأة وفيها ماء وينزل منها الماء نقطة نقطة وان عبد الوهاب عاد وضرب فرج الله ولم يشاهد سامي جمعه ثم نام ولما استيقظ شاهد وجيه يقترب من ابي فياض وقد احمر وازرق جلد جسمه وورم وجهه وكان وجيه يقول لفرج انا جيت ابي فياض شو ما حكيت فسمع ياسين حب الله ينادي وجيه ليري ما يحصل وشاهد رأس فرج الله متدليا على صدره بدون حراك فطلب منه وجيه ان يذهب لاحضار احمد السراج فاحضرته واحضرت سامي جمعه فسأله عما اذا كان « الزلّة » مات وعبد الوهاب ووجيه وانهم وضعوا الجثة في حفرة وانه ذهب مع وجيه ووضعوا الجثة في كيس وفهم من وجيه انه سيلقى بالجثة في البحر .

٩ - افادة المدعى عليه نعنسان زكار في المحضر رقم ٢٣ تاريخ ٦ - ٢ - ١٩٦٢ والمتضمنة انه لم يعط وجيه انطاكي ملابس مرج الله الحلو ولم يعط نفودا لشراء بانوي لتخويب الجثة .

١٠ - شهادة محمد ياسين حب الله في المحضر رقم ٥ تاريخ ٢٦ - ١ - ١٩٦٢ والمتضمنة انه علم من زملائه ان الشخص الموقوف هو مرج الله الحلو وان سامي جمعه كان يصل سلك الكهرباء وعبد الوهاب الخطيب يربطه باصبعي قدمي فرج وكان رفيق رضا ومنير فرح وسعيد خليلاني ومحمد السادات وآخرون حاضرين التحقيق وان عبد الوهاب طلب من رفيق رضا اقناع فرج الله الحلو للكلام فاستسكنه فرج الله فضربه عبد الوهاب وانه سمع سامي جمعه ينبه عبد الوهاب الى مرض فرج الله واستمرار عبد الوهاب بالضرب ونفخ فرج الله بأمر من عبد الوهاب وجلده بالسوط وصفعه وصعقه بالكهرباء ، وكان سامي يضع الفيتش بأمر عبد الوهاب وان سامي انصرف وبقي عبد الوهاب يتابع الضرب الى ان حضر وجيه انطاكي وان وجيه لم يضرب فرج الله وان فرج الله مات فاخبر وجيه وحضر ضباط لم يعرفهم وان وجيه طلب نقل الجثة الى غرفة بأسفل الدرج ثم نقلها ثم وضعها في حفرة وانه حرسها سبعة ايام ثم حضر وجيه وزيدان والسادات واحمد السراج والمخللاتي واللحام واخرج وجيه الجثة ونشرها ووضعها في الكيس وان عبد الوهاب هددهم بأن مصيرهم



كمصير فرج الله اذا باحوا بالسر وان اشاعة في المركز روجها ان الجثة  
القيت في البحر .

١١ - شهادة رفيق رضا في المحضر رقم ١٠ تاريخ ٢٦ - ١٢ - ٦١  
والمتضمنة انه تلقى هانفا من سامى جمعه بأن القى القبض على فرج الله  
الخلو وطلبه الى المفرزة فدخل فشهد عبد الوهاب وفرج الله الخلو مجددا  
على الأرض وتبين له انه مضروب واخذه الى الصالون موظفون بأمر  
عبد الوهاب ثم انصرف ولم يجر للضرب بحضوره .

١٢ - شهادة بهجت مسوتى في المحضر رقم ١٢ تاريخ ٣٠-١٢-٦١  
والمتضمنة انه علم من نعيان زكار وناصر بأن فرج الله اوقف وتوفى في  
المفرزة وقتله عبد الوهاب للخطيب فذهب الى المفرزة معهما وشاهد وجيه  
انطاكي ولم يكن سامى او عبد الوهاب وسمع من وجيه ان عبد الوهاب  
حضر وضرب فرج الله وسمع من وجيه ان عبد الوهاب حضر وضرب  
فرج الله واتفق مع زملائه باخبار النيابة العامة بعد اعلام السراج وسأل  
نعيان زكار عن كيفية موته فأجاب مات يلعن ابوه كذب وذهب مع نعيان  
وناصر الى عبد الحميد السراج فاعلمه بالموضوع فانفعل السراج وأنه  
لا يؤد احالة القضية للقضاء حتى لا يستغل الشيوعيون الحادث وأنه علم  
ان الجثة دفنت في مزرعة سامى جمعة .

١٣ - شهادة جورج أبو نسعر في المحضر رقم ٢٦ وتاريخ  
١٥ - ١ - ٦٢ والمتضمنة انه شاهد نعيان زكار عند وجود فرج الله في  
المفرزة وشاهد عبد الوهاب الخطيب وسامى جمعة وسمع صوت للضرب  
في الوقت الذي كان فيه سامى حاضرا وشاهد بطن فرج منفوخا ومنفاخا  
على الأرض .

١٤ - شهادة احمد السراج في المحضر رقم ٢٩ وتاريخ ١٥ - ١ - ٦٢  
والمتضمنة انه شاهده بداخل البانيو وذهب الى المفرزة واخبر سامى  
جمعة وعاد الى وجيه وساعده في تفريغ البانيو وسمع منه ان سامى  
ونعيان شاهدا نجاح العملية .

١٥ - شهادة محمد طالب للسادات في المحضر رقم ٣٤ وتاريخ  
١٥ - ١ - ٦٢ والمتضمنة ان الضرب بدا من قبل عبد الوهاب الخطيب  
وكان سامى جمعة يضع الفيش بالكهرباء وبأمر من عبد الوهاب الخطيب

وان وجيه قام بنجريده من ملايسه وان ناصر صالح ونعسان زكار وبهجت مسوتى وعبد الوهاب الخطيب اجتمعوا صباح الحادث وانه وقع على الوثيقة لوجيه انطاكي بناء على طلبه .

١٦ - شهادة الشرطى عبد القادر اللحام فى المحضر رقم ٣٥ تاريخ ١٥ - ١ - ٦٢ والمتضمنة ان نعسان زكار كان حاضرا اثناء ما كان عبد الوهاب الخطيب يضرب فرج الله وان اول من انصرف نعسان فوجيه فعبد الوهاب فسامى ثم عاد وجيه ثم مات فرج الله وانه وقع على الوثيقة بناء على طلب وجيه .

١٧ - شهادة الشرطى زيدان مهنسا فى المحضر رقم ٣٦ وتاريخ ١٥ - ١ - ٦٢ والمتضمنة انه شاهد عبد الوهاب الخطيب وبيده كرباج ولم يشاهد سامى جمعة يضرب فرج الله وانه وقع على ورقة لوجيه انطاكي وان سبب كتمه هذه المعلومات اعتقاده انها سر عسكري .

١٨ - شهادة مروان السباعى فى المحضر رقم ٤٧ وتاريخ ٢٠ - ١ - ٦٢ والمتضمنة انه سمع من عبد الوهاب الخطيب بعد فصرم الوحدة ان وجيه انطاكي اذاب جثة فرج الله الحلو بالأسيد وان السراج طالب مته اى الخطيب تنظيم ضبط بالمستولين الذين اشتركوا فى ضرب فرج الله وسببوا موته .

١٩ - شهادة برهان ادهم فى المحضر رقم ٤٣ وتاريخ ٢٠ - ١ - ١٩٦٢ والمتضمنة انه سمع من نعسان زكار ان عبد الوهاب الخطيب قتل فرج الله اثناء التحقيق معه بالضرب والتعذيب .

٢٠ - شهادة جورج جبور فى المحضر رقم ٤٦ وتاريخ ٢١ - ١ - ٦٢ والمتضمنة ان نعسان كان يتفرج على وجيه انطاكي حين كان يضرب نرج الله وان عبد الوهاب بعد ذهاب نعسان اشترك معه وجيه فى التعذيب وكان عبد الوهاب يأمر سامى جمعة بأن يضع فيش الكهرباء لكهربة فرج الله وان وجيه ضرب فرج الله بعد ذهاب عبد الوهاب عدة كرابيج ثم جرى نقل الجثة الى غرفة تحت الدرج وان عبد الوهاب هدده هو ورفاقه بالا يتكلموا عن هذه القضية وان وجيه أخذ منهم توقيعاً على وثيقة بذلك .

٢١ - شهادة رضا النعسال فى المحضر رقم ٤٨ وتاريخ ٢٥ - ١ - ٦٢ والمتضمنة انه القى القبض مع سامى جمعه ووجيه

انطاكى على فرج الله الطو واخذوه الى المفرزة فوجدوا نعسان زكار في المفرزة ثم حضر عبد الوهاب الخطيب وتحري ابا فياض « فرج الله » وان وجيه لكم فرج الله بقبضة يده وان عبد الوهاب ضرب ابا فياض بالسوط ثم وجيه كذلك وان سامى جمعه صفعه كذلك . وان عبد الوهاب خرج مسامى وانه شاهد الاضطرابات على وجه وجيه ثم حضر عبد الوهاب واجتمع عبد الوهاب ونعسان في المفرزة وان عبد الوهاب جلد فرج بالسوط ونعسان يتفرج ووجيه جنده بالسوط وسامى استعمل الكهرياء مع فرج الله بايعاز من عبد الوهاب الخطيب وان رفيق رضا كان بنصيح فرج الله بالاقرار .

٢٢ - شهادة نور الدين الادلبى في المحضر رقم ٥٠ وتاريخ ٢٧ - ١ - ١٩٦٢ والمتضمنة انه شاهد عبد الوهاب الخطيب يضرب فرج الله بالكرباج على قدميه وسامى جمعه حاضر ورفيق رضا ينصحه بالكلام ثم ذهابه مع سامى جمعه وحضور وجيه وانه سمع ان صباط فرج الله وانه شاهد جثة مغطاة بحرام وان وجيه نقلها بعلم سامى الى المخابرات عبد الوهاب ونعسان وناصر كانوا في المفرزة اثر وفاة مزرعة سامى وانه وقع على ورقة لوجبه وان وجيه قال ان الجثة للقيت في البحر .

٢٣ - افادة المدعى عليه عبد الحميد السراج في المحضر رقم ٥٦ وتاريخ ٢٩ - ١ - ٦٢ والمتضمنة انه برىء مما اسند اليه .

٢٤ - افادة المدعى عليه بهجت مسونى في المحضر رقم ٦٣ تاريخ ١٨ - ٣ - ٦٢ والمتضمنة انه برىء مما اسند اليه وانه لم يشاهد فرج الله وان عبد الحميد السراج اطلع على وفاة فرج الله الطو .

٢٥ - افادة المدعى عليه نعسان زكار في المحضر رقم ٦٥ وتاريخ ١٦ - ٣ - ١٩٦٢ والمتضمنة انه برىء مما يسند اليه وانه لا علاقة له باطلاق جثة فرج الله وانه اتصل بالسراج وانه قال له انه مضطر لعدم احالة القضية للقضاء نظرا لما قد تحدثه من تأثير في الراى العام العالمى .

٢٦ - افادة المدعى عليه ناصر محمد صالح في المحضر رقم ٦٧ وتاريخ ١٦ - ٣ - ١٩٦٢ والمتضمنة انه حضر الى دار بهجت فشاهد ذلك من - بل نعسان وعلم ان فرج الله الطو قد مات فذهب معها الى المفرزة فشاهد وجيه انطاكى وحدثهم ان عبد الوهاب حقق معه حتى الصباح وبعد خروجه مات وانهم اتصلوا بالسراج واستنكر وانه برىء

مما يسند اليه ولم يسرق جثة فرج الله بقصد اخفائها وان وجيه اشترك في التحقيق والتعذيب مع عبد الوهاب ولا يتذكر ان كان سامي اشترك وان نعيان طلب من السراج فتح تحقيق فوعد بتدارس القضية .

٢٧ - افادة المدعى عليه عبد الحميد السراج في المحضر رقم ١١ وتاريخ ٣٠ - ١٢ - ٦١ والمتضمنة انه سئل في امر فرج الله فسأل المخابرات فاجيب بانه غير موقوف في سورية وسئل رسميا فسأل المخابرات فقدم اليه لائحة الممنوعين من دخول سورية واسم فرج الله فيها فاجاب رسميا بنفي وجود فرج الله في سورية وان نعيان أو بهجت لم يطلعاه على تعذيب فرج ولا يعرف ان كان فرج الحلو قتل في سورية وانه لا يعلم باعتقاله ولا بقتله .

٢٨ - الوثيقة المحفوظة في الاضبارة رقم ١٠١ احمر ضمن مغلف المفردة من سامي جمعه .

٢٩ - صورة الار رقم ٣٨ تاريخ ٢ اكتوبر ١٩٥٨ الصادر عن رئيس الجمهورية .

٣٠ - مجمل تحقيقات هذه الاضبارة .

٣١ - ظروف وملابسات هذه القضية .

### في القانون

اولا - في جرم التوقيف غير المشروع وحجز الحرية .

المدعى عليهم : عبد الحميد السراج ، وجيه انطاكي ، رفيق رضا ، نعيان زكار ، عبد الوهاب الخطيب ، وسامي جمعه ، لما كان رئيس الجمهورية العربية المتحدة « آنذاك » قد اصدر امرا برقم ٣٨ وتاريخ ٢ - ١٠ - ١٩٥٨ يعهد فيه الى وزير الداخلية في الاقليم السوري بالامر بالقبض على المتمردين والمشتبه فيهم ومن يقتضي صون الامن العام القبض عليهم وحجزهم في مكان امين والافراج عنهم .

وحيث تبين من اقوال المدعى عليه عبد الحميد السراج ، وزير الداخلية في الاقليم السوري آنذاك انه اصدر امرا بمنع دخول المغدور فرج الله الى سورية لمقتضيات الامن وان دخوله بطريق غير مشروع وبدون اذن يشكل مخالفة قانونية تستوجب القاء القبض عليه .



وحيث تبين ان المسئولين في المخابرات قد اعدوا كميناً للقبض على فرج الله الحلو اذ تأكد لديهم انه سيدخل باسم عساف منصور ولقبه أسر فياض وألقوا القبض عليه بتاريخ ٢٥ - ٦ - ٥٩ بالجرم المشهود وحيث ان المدعى عليهما سامي جمعه ووجيه انطاكي ند القيا عليه القبض تنفيذاً للأوامر الصادرة بهذا الخصوص واقتاداه الى مركز المباحث وضمن بسلطة عامة في ذلك الوقت وبوشر التحقيق معه فور وصوله وان توقيفه لم يدم اكثر من الاجل المحدد ليصار الى توقيفه تضائياً فضلاً عن ان الامر رقم ٣٨ المشار اليه لم يحدد مدة ومكان التوقيف المخول لوزير الداخلية .

وحيث ان عناصر المادة ٢٥٧ من قانون العقوبات السوري لم تتوفر اذ ان التوقيف لم يستمر لأكثر من الاجل المحدد ووقف حسب نص قانوني باستناد الى قانون الطوارئ : وحيث ان المدعى عليهما سامي ووجيه لم يوفيا المغدور فرج الله اضراراً بنفسه او بهانه او بقصد جلب منفعة لهما ولم يحجرا حريته لجلب منفعة شخصية لهما الامر الذي يجعل عناصر المادة ٥٥٦ من قانون العقوبات السوري العام غير متوفرة .

وحيث ان المدعى عليهما رفيق رضا ونيسان زكار لم يشتركا في التوقيف أي في الفعل المادي مطلقاً وانما شاهدا المغدور في مركز المباحث فضلاً عن ان توقيفه كان لامر قانوني مما يتوجب مع ذلك منع محاكمة المدعى عليهم بالتوقيف غير المشروع لعدم توافر العناصر .

ثانياً - في ايقاع التعذيب الجسدي بالمغدور وقتله .

المدعى عليهم : نيسان زكار وسامي جمعه ووجيه انطاكي وعبد الوهاب الخطيب ورفيق رضا وعبد الحميد البراج .

#### ١ - بالنسبة للمدعى عليه نيسان زكار :

حيث تبين من تحقيقات هذه القضية ان المدعى عليه نيسان زكار قد سافر التحقيق مع المغدور عن عدة مفاتيح كانت معه وعن الدور التي تستعمل لها هذه المفاتيح فلم يجبه عنها فعذبه بنفسه بواسطة مرؤوسيه بالضرب على قدميه ليبدل باعترافه عن هذه المفاتيح .

وحيث انه لم يثبت ان المدعى عليه كان يقصد قتل المغدور وازهاق روحه وهو ما يميز جرائم عن غيرها من جرائم الايذاء وانما كان ينبغي

انتزاع اعتراف منه حول نشاطه الحزبي وسبب دخوله سورية بطريقة غير مشروعة .

وحيث ان عمله لا يشكل جرم القتل المنصوص عنه في المادة ٥٣٤ من قانون العقوبات وانما يشكل جنحة انتزاع اقرار معلومات بالعنف المنصوص عنها والمعاقب عليها بأحكام المادة ٣٦١ من قانون العقوبات وحيث ان لقباض التحقيق ان يبذل الوصف الجرمي الوارد في الادعاء وبكفيه حسب ما ينطبق النص الاكثر انطباقا على الواقعة .

## ٢ - بالنسبة للمدعى عليه سامى جمعه :

حيث تبين ان المدعى عليه سامى جمعه قد صفع المغدور ذفا ليهدهه اثناء التحقيق الجارى من قبل نعتان زكار ولم يضربه لانتزاع اقرار منه عن نشاطه الحزبي او السياسى او سبب دخوله سورية غير المشروع اذ ان ذلك كان من اختصاص ضباط المباحث الموجودين في المبرة آنذاك وكانوا يباشرون التحقيق فعلا بانفسهم وحيث ان وصلة الكهرباء بجسم المغدور وبناء على امر من عبد الوهاب الخطيب الذى كان يصعق المغدور فرج الله عندهما يريد وعندما يطلب منه اثناء التحقيق وفي مواضع معينة من جسم المغدور دون ان يتعدى سامى وصل التيار بالسلك الصاق الذى كان يستعمله عبد الوهاب الخطيب وحيث ان الموظف الذى يقوم بتنفيذ امر رئيسه في امور وجبت عليه طاعته فيها قد منحه القانون سببا لتبرير فعله .

وحيث ان سامى جمعه انما كان عمله تنفيذا لامر صادر اليه من رئيسه لا يجوز له مناقشته لما يربط الطرفين من صفة رسمية ولاه كان ينفذ امر رئيسه في امور داخلية في الاختصاصه ( وهى التحقيق ) وجبت عليه طاعته في المادة ٢٢٥ من قانون العقوبات السورى .

وحيث ان عمله لا يشكل جرم القتل المنصوص عنه في المادة ٥٣٤ المذكور وانما يشكل جنحة الضرب مستغلا بسلطته المنصوص عنها والمعاقب عليها بأحكام المادة ٥٤٠ بدلالة المادة ٣٦٧ من قانون العقوبات العام .

## ٣ - بالنسبة للمدعى عايها عبد الوهاب الخطيب ووجه انطاكى :

حيث تبين ان المدعى عليه عبد الوهاب الخطيب قد استعمل ضروبا من العنف والشدة بالمغدور كيما يرغمه على الاعتراف بنشاطه الحزبي

وعن الافتتاح التي بحوزته فاستعمل معه الضرب والبجاد والنفخ والكهرباء طيلة فترة غير متعيرة من ليل الحادث وحيث تبين أنه ذنحه ومن ثم داس على بطنه ليخرج الهواء منه وجائسه مع اشخاص آخرين يحاولون اثناعه واخذ اقرار منه عن نشاطه .

وحيث تبين ان سامي جمعه قد نبه المدعى عليه عبد الوهاب الخطيب الى ان المغدور مصاب بالقلب ويخشى عليه فنهره عبد الوهاب الخطيب وتابع الضرب وقبل بالمناظرة .

وحيث ان المادة ١٨٨ من قانون العقوبات العام قد اوجبت في الجريمة مقصودة وان تجاوزت بسبب الفعل او عدت قصد الفاعل اذا كان قد توقع حصولها فقبل بالمخاطرة .

وحيث تبين ان عبد الوهاب الخطيب قد طلب من وجيه انطاكي تنظيم وثيقة وتقرير عن قتل المغدور وطلب منه نوقيعها من صغار الموظفين والمستخدمين ليوههم بخطورة الامر ومنعهم من اللجج لاستراكتهم بالفعل ومهدهم بمصير سيء ان انشاعوا شيئاً عن ذلك مما يعتبر فرصة قضائية على انه عذب فرج الله وتسبب بموته .

وحيث ان المدعى عليه وجيه انطاكي قد استمر بالضرب والتعذيب بمساعدة عبد الوهاب الخطيب وبعد ذهابه .

وحيث ان تنظيمه الوثيقة التي يعترف بها واستوقع عليها بعض عناصر الشرطة والموظفين في مفرزة المباحث ان فرج الله قد مات بين يديه اثناء التحقيق معه وبرئاسته لما استعمل معه من ضروب التعذيب والشدة تعتبر فرصة قضائية ايضا على اقدامه مستقلا على ضرب المغدور فرج الله .

وحيث تبين انه اقدم على جلد فرج الله بالسوط بعد ذهاب عبد الوهاب ليذفعه على الاعتراف وقال له تسو ما حكيت انا جيت ابو فياض واقدم على ضربه ثم خرج الى غرفة أخرى فمات فرج الله وهو مقيد على الكرسي وحيث ان المدعى عليهما قد استعملتا الشراسة والتعذيب بحق المغدور فرج الله الحلو مما اودى بحياته وسبب موته وحيث ان عمل المدعى عليهما يشكل جنابة القتل قصدا المنصوص عنها في الفقرة ٧ من المادة ٣٤ بدلالة المادة ١٨٨ من قانون العقوبات .

#### ٤ - بالنسبة للمدعى عتيها رفيق رضا وعبد الحميد السراج :

حيث انه لم يتم دليل يثبت اقدم المدعى عليه رفيق رضا على ضرب المغدور وانما تحقيقات هذه القضية تشير الى انه كان يناقشه وحاول اقناعه فحسب دون ان يقدم على ضربه .

وحيث ان قول سامى جمعه بانه ركله بقدميه لم يؤيد بتحليل ولم يخرج عن كونه عطفاً جرمياً لم يؤيد بتحليل ما .

وحيث لم يتم دليل يثبت اقدم المدعى عليه عبد الحميد السراج على ضرب المغدور أو تعذيبه .

وحيث ان عدم كفاية الادلة توجب منع محاكمة المدعى عليهما رفيق رضا وعبد الحميد السراج عملاً بالمادة ٢٤ من قانون العقوبات العسكرى .

#### ثالثاً - فى سرقة الجثة واتلافها :

المدعى عليهم : عبد الحميد السراج وعبد الوهاب الخطيب ونعسان زكار ووجيه انطاكى وبهجت مسوتى وناصر صالح حيث تبين ان المدعى عليه عبد الوهاب الخطيب قد امر بوضع جثة المغدور فرج الله تحت الدرج فى مفرزة المباحث فور وفاته خوفاً من ان تراها عين الموقوفين فى المفرزة من الشيوعيين كى لا تحدث ضجة بينهم واخفائها على هذه الحال بقصد اخفاء خبر موت المغدور وكتمه عن الموقوفين ، وحيث تبين ان المدعى عليهم عبد الوهاب الخطيب ونعسان زكار وبهجت مسوتى وناصر صالح قد اجتمعوا فى مفرزة المباحث بعد موت فرج الله وتباحثوا قبل اخبارهم عبد الحميد السراج بأمر دفن الجثة فى مزرعة سامى جمعه موقفاً ريثما تتخذ الاجراءات المناسبة وطلبوا من ووجيه انطاكى ان يقوم بتنفيذ هذه المهمة .

وحيث ان المدعى عليهم نعسان زكار وبهجت وناصر قد اجتمعوا وبأنهم قد اعلوا السراج بالحادث ورفض ان يخبر السلطات القصائية بالموضوع خشية احداث ضجة عالمية حول شكل وسبب هذه الوفاة .

وحيث ان المدعى عليه نعسان زكار قد ادعى بانه اتصل بالمدعى عليه عبد الحميد السراج هاتفياً فلم يجده لانه كان خارج دمشق حسب



قوله ثم اتصل به ثانية واعلمه هاتفيا فطلب منه مقابلة مع بهجت وناصر ، وحيث ان المدعى عليه عبد الحميد السراج قد نفى علمه بهذا الحادث ونفى اطلاعه من احد من المدعو عليهم على هذا الموضوع وانه سئل رسميا من قبل رئيس الجمهورية العربية المتحدة فسأل الحائرات بدوره فأعلموه بأن المدعو فرج الله الحلو ممنوع دخونه الى سورية بموجب الاوامر المرعية فأخبر رئيس الجمهورية رسميا بان فرج الله الحلو غير موجود في سورية ولم يدخلها قط .

وحيث ان ادعاء المدعى عليهم نعيان وبهجت وناصر وسامي جمعه لم يخرج عن كونه عطفًا جرميًا يقصد منه القاء التبعة عن كاهلهم ثم يؤيد بدليل ما أو قرينة .

وحيث ان عدم كفاية الادلة بحقه انما يوجب منع محاكمته عملاً بالمادة ٢٤ من قانون العقوبات العسكري .

وحيث ان لقاضي التحقيق حق حرية تقدير كفاية الادلة لتقرير احالة المدعى عليه الى المحاكمة .

وحيث تبين ان المدعى عليه نعيان زكار قد قدم نقوداً للهدى عليه وجيه انطاكي وارشده الى شراء الحمض والمغطس « الأسيد والباسيو » وثم تفويب الجثة تحت اشرافه .

وحيث انه لولا مساعدته ما ارتكبت هذه الجريمة وهي تفويب الجثة واتلافها ، وحيث ان عمل المدعى عليه نعيان انما يشكل جنحة التدخل باتلاف جثة بقصد اخفاء الموت المنصوص عنها والمعاقب عليها بالمادة ٤٦٥ بدلالة المادة ٢١٨ من قانون العقوبات .

وحيث تبين ان المدعى عليهم عبد الوهاب الخطيب وبهجت مسوتي وناصر صالح قدموا ارشادات وان لم تسلّم على اقتتراف الفعل ، لاقتتراف اخفاء الجثة وتداولوا بالامر فور وقوعه اثناء اجتماعهم بالمفرزة وتباحثوا في دفن الجثة في مزرعة سامي جمعه بقصد اخفاء الموت .

وحيث ان عملهم انما يشكل جنحة التدخل في سرقة جثة بقصد اخفاء الموت أو اتلافها المنصوص عنها والمعاقب عليها بأحكام المادة ٤٦٥ بدلالة الفقرة أ من المادة ٢١٨ من قانون العقوبات .

وحيث تبين ان عمل المدعى عليه وجيه انطاكي يشكل جنحة سرقة واتلاف جثة بقصد اخفاء الموت والمعاقب عليها بالمادة ٤٦٥ من قانون

العقوبات العام ، وحيث ان وجيه الاتطساكى كان بإمكانه ان يناقش مشروعية هذا الامر طالما ان الجثة دفنت لا سيما وانه ليس من شغل المرطيين الذين لا يجوز لهم مناقشة امر رئيسهم في امور ضمن اختصاصهم فضلا عن ان هذا الامر يفرض ثبوته ليس من اختصاص رئيسه .

رابعاً - في كتم المعلومات .

المدعى عليهم ، نعان زكار ، أحمد السراج وزيدان مهنا وعبد القادر اللحام ومحمد السادات .

#### ١ - بالنسبة للمدعى عليه نعان زكار :

حيث تبين ان المدعى عليه نعان زكار قد اخفى بعضا من معلوماته في كيفية موت فرج لله اثناء استجوابه كشاهد حق عام في هذه القضية .

وحيث تبين انه ضرب وعذب فرج الله بقصد انتزاع اقرار منه وتدخل في اطلاق الجثة .

وحيث ان ادلاء بالحقيقة يعرضه حتما لخطر جسيم له مساس بحرمة مما يجعل له مصلحة في اخفاء هذه المعلومات وحيث ان الفقرة ١ من المادة ٤٠ من قانون العقوبات تعفى من العقوبة الشاهد الذى يتعرض حتما اذا قال الحقيقة لخطر جسيم له مساس بالحرمة او . . . وحيث ان عمله لا يشكل جرماً جزائياً لعدم توفر الركن القانونى مما يستوجب منع محاكمته .

#### ٢ - بالنسبة للمدعى عليهم أحمد السراج ، زيدان مهنا ، عبد القادر اللحام ، ومحمد السادات .

حيث تبين ان المدعى عليهم المذكورين قد كانوا شرطيين في مفرزة المباحث وانهم كانوا ينفذون اوامر رؤسائهم وانهم على علم بما فعل رؤسائهم بالمغдор فرج الله الحلو الا انهم لم يستطيعوا ان يخبروا عن ذلك ، وحيث تبين ان عبد الرهاب الخطيب كان يهددهم بالتعذيب ان باحوا بكيفية موت فرج الله الحلو واتلاف جثته وان ليس لهم ان ينشروا هذا الخبر وقد اسنوقهم على وثيقة بمعرفة وجيه انطاكي ليرهبهم باسراهم بالامر وتهويله عليهم لئلا يبوخوا به .

وحيث انهم عادوا وادلوا بالحقيقة اثناء التحقيق ربل ختمه وحيث ان الفقرة ١ من المادة ٣٩٩ من قانون العقوبات تعفى الشاهد من العقوبة اذا ادلى بالحقيقة قبل ختم التحقيق ، وحيث ان عمله لا يشكل جرماً جزائياً لعدم توفر الركن القانونى مما يستوجب منع محاكمته منه .

خامسا - في الاخلال بواجبات الوظيفية واساءة استعمال السلطة :

حيث ان المساده ٣٦٦ من قانون العقوبات تنص : كل موظف ائتم بقصد جلب المنفعة لنفسه أو لغيره أو بقصد الاضرار بالغير على عمل ينافي واجبات مهنته ولم يعين له عقاب خاص في القانون يعاقب ، وحيث ان المساده ٣٦٧ من القانون ذاته تنص في ما خلا للحالات التي يفرض فيها القانون عقوبات خاصة عن الجرائم التي يرتكبها الموظفون فان الذين يقدمون منهم بصفتهم المذكورة أو باسائهم استعمال السلطة أو التسلط المستمدين من وظائفهم على ارتكاب اية جريمة كانت يستوجبون العقوبات المشددة .

وحيث انه لم يتم دليل يتثبت ان المدعى عليهم على هذه القضية قد اقدموا على افعالهم تلك بقصد جلب المنفعة لنفسهم أو لغيرهم أو بقصد الاضرار بالغير وانما قاموا بفعل من واجبات مهنتهم وهو التوقيف والتحقيق .

وحيث ان القانون عين عقابا خاصا للجرائم التي ارتكبها بعض المدعى عليهم من انتزاع اقرار بالعنف والقتل وسرقة الجثة مما لا يوجب تطبيق المسادين ١١٦ و ٣٦٧ بحق المدعى عليهم لعدم توافر عناصرها ..

فلهذه الاسباب :

وعلا بالمواد ٣ و ١١ و ١٦ و ١٧ من المرسوم التشريعي رقم ١٦٩ تاريخ ١٦ - ١٢ - ١٩٦١ والمادتين ٢٤ و ٢٦ من قانون العقوبات العسكري ووفقا لمطالعة النيابة العامة لدى المجلس العتلى من جهة وخلافا من جهة أخرى :

نقد تقرر ما يلى :

١ - منع محاكمة المدعى عليهم عبد الحميد السراج . عبد الوهاب الخطيب ، سامى جمعه ، وجيه انطاكى ، رفيق رضا ، نعيان زكار من بنائيتى توقيف فرج الله الطودون مسوغ قانونى وحجز حريته لعدم نوافر عناصر الجرم . رد جنحتى اساءة استعمال السلطة والاخلال سواجبات الوظيفة لعدم توافر عناصرها ما عدا سامى جمعه بالنسبة للمادة ٣٦٧ من قانون العقوبات العام .

٢ - منع محاكمة المدعى عليهما عبد الحميد السراج ورفيق رضا من حناية قتل المغدور فرج الله الطودون لعدم قيام دليل .

٣ - منع محاكمة المدعى عليه عبد الحميد السراج من جرم سرقة واتلاف جثة بقصد اخفاء الموت لعدم قيام الدليل .

٤ - منع محاكمة المدعى عليهم نعيان زكار ، أحمد السراج ، زيدان مهنا ، عبد القادر اللحام ومحمد طالب السادات من جنابة كتم معلومات نعدم توافر العناصر الجرمية .

٥ - الظن على المدعى عليه نعيان زكار بجنحة تعذيب فرج الله الحلو لانتزاع اقرار منه المنطبقة على المادة ٣٦١ من قانون العقوبات العام .

٦ - اتهام المدعى عليهما وجيه انطاكي وعبد الوهاب الخطيب بجنابة ايقاع التعذيب الجسدى بالمغدوز فرج الله الحلو حتى وفاته المنصوص عنها بالفقرة ٧ من المادة ٥٣٤ بدلالة ١٨٨ من قانون العقوبات العام .

٧ - اصدار مذكرتى قبض ونقل بحقهما .

٨ - الظن على المدعى عليه سامى جمعه بجنحة الضرب المنصوص عنها فى المادة ٥٤٠ بدلالة المادة ٣٦٧ من قانون العقوبات العام .

٩ - الظن على المدعى عليهم نعيان زكار وعبد الوهاب الخطيب وناصر صالح وبهجت مسوتى التدخل فى اخفاء جنة بقصد اخفاء الموت المنصوص عنها والمعاقب عليها باحكام المادة ٤٦٥ بدلالة المادتين ٣١٨ و ٣١٩ من قانون العقوبات العام .

١٠ - الظن على المدعى عليه وجيه انطاكي بجنحة اتلاف جثة بقصد اخفاء الموت المنطبقة على المادة ٣٦٥ من قانون العقوبات .

١١ - تبليغ كل من المدعى عليهم صورة عن هذا القرار .

١٢ - اعادة كحالات تخلية سبيل المدعى عليهم زيدان مهنا ومحمد السادات وعبد القادر مسعود اللحام واحمد صبحى السراج الى دافعها .

١٣ - اجراء محاكمة المتهمين والاضناء امام المجلس العدلى وتضمنهم سبع ليرات ونصف رسم القرار .

١٤ - اعادة هذه الاضبارة الى النيابة العامة للمجلس العدلى لايداعها مرجعها المختص .

صدر بتاريخ ٣٠ - ٥ - ١٩٦٢ حسب الاصول .

**الرائد احمد زهير صبحى العدلى**

قاضى التحقيق العسكرى لادى المجلس العدلى



ملحق ۳

نقد ذاتی

تبیین مباحی

## « نقد ذاتي »

حينما طلب مني المؤلف ان أسجل شهادتي لتدخل ضمن مادة كتابه المرتقب ، الضروري والهام جدا بالنسبة لحركة الفضال المصري في الحاضر وأيضا في المستقبل غير المحدود ، فأننى انتبرت ذلك « سرفسا كبيرا » فأننى بحكم معرفتى به ككثير ومناضل فأنه يتميز بالداب والصلابة والامانة ولذلك فهو لا يجمع مادة كتابه بمنهج عشوائى .

ان ظنى هذا احدى بقتة مجددة ، ووضعتى امام مسئولية هامة ، وكليةما يتطلبان الامانة مع النفس ، وفي الحقيقة وكما عبرت على عجل خلال شهادتى ، فأننى اعتقد باننى لا زلت حتى الآن في موضع من يتعين عليه ان يتحفظ ألف مرة قبل ان يتعرض بالنقد لآخرين ، خاصة النقد الذى يتناول ادانة افكار أو مناهج أو سلوكيات منحرفة وضعيفة . فان من يقدم على ذلك يجب ان يكون مطمئنا الى موقفه هو أولا ، وان آراءه ستكون محل احترام حتى في حالة الاختلاف معها ، لأن ما يكسب الراى احترامه هو ان يكون جادا أى متسقا على الأهل مع مواقف صاحبه . وهذا هو بالتحديد ما افترضته في لحظة ضعف يائسة . وحينما اتبحت لى فرصة اعادة صياغة شهادتى ، كانت الارهاصات العاجلة لفناعتى بحقيقة وضعى الحائى تدبورت، الى ضرورة ان أبدا بهذا النقد الذاتى ، فقد يكون ضمن آثاره ان تكتسب شهادتى قيمة ما ، ولكن ما ارجوه في المقام الأول الا يقع القارىء لشهادتى في وهم ان صلابة مناضل ما أمام العدو الطبقي هى شىء رومانسى مطلق لا تحكمه ظروف موضوعية وذاتية ، غير ان تطور نظارة المناضل للعقيدة الانضائية ، وتطور تكوينه الذاتى الآخرين الحاسمين الذين يستوجبان عناية خاصة .

ان القيمة الحقيقية للمناضل الذى انتصر لقضايا شعبه تتمثل في  
عنصرين :

**الأول :** صهر ظروفه الذاتية في قضية نضاله ، والحذر في كل كبيرة وصغيرة - وتحت اية مصاعب - من الفصل بين الاثنين . ولا اقصد بالظروف الذاتية تلك المتعلقة بالحياة العائلية مثلا « فهذه لم يكن لها في حالى أثر مباشر على عكس ما يعتقد البعض » ، وإنما اعنى أساسا الظروف الذاتية في حركة النضال نفسها ، من مثل : التأثير بتهوى بعض من يثق بهم سواء بالانتماء لسلام للعدو أو بالارتداد أمام اغراء أو تهديد أو بالصمت غير المبرر أو بهجر الكفاح اما خوفا أو تمسكا بميزة بورجوازية ، وأيضا من مثل انكماش حركة الجماهير في نفس الوقت الذى

نستمر فيه السفسطة الكلامية في اوساط المناضلين واجيالهم للشسابة بل وتفشى الشللية والانقسامية فيما بينهم رغم نجرية حزب ٨ يناير . المساقلة امامهم من التأسيس الى الحل . مثل هذه الظروف اشد خطرا فيما لا يقاس من الظروف الشخصية البحتة ، فهي اذا احاطت بمناضل ما في فترة ما ولم يكن مسلحا بصفات الشيعوى : التواضع والجماعية المبدئية والتجرد من الاتانية والزعامية بالاضافة الى عمق وعيه بحتمية انتصار الشعب عبر التضحيات ، فانه اما ان يقع في هاوية اليأس ، واما ان ينوهم بانه « الوحيد المتفرد » بفهم متطلبات الفضل اى انه « المفقد » ، وبالتالي فان ذاته تصبح هي الحقيقة الوحيدة في الحركة من حوله ، وهذا الوهم الأخير غاية في الخطورة لأنه لا يكون فحسب قد سقط في براثن « الزعامية البورجوازية » بل يكون المساس أو الايذاء لهذه « الذات المتفردة » معناه انهيار كل شيء .

وهذا هو بالتحديد ما سقطت فيه .

وقد يسأل بعض من يعرفوننى : منذ متى حدث ذلك ؟ ولهم كل الحق في السؤال . وتكمن الاجابة فيما يلى :

**الحل والتحلل :** لا شك ان الامر حدث عبر تراكمات صغيرة متوالية على مدى سنوات ، وابت هذه التراكمات الى طغيان النظرة الفردية لحركة الاتصال . غير ان البداية في الحقيقة كانت بالصدمة التي تلقيتها بتقرير حل الحزب في عام ١٩٦٥ ، فقد كان في اعتقادى ان اية خلاقات فكرية في اطار الحزب امرا واردا ومحملا بل ودليل حيوية ، وحسم هذه الخلاقات بوسائل مبدئية - يقوى ويدعم الحزب ، اما حل الحزب فهذا امر آخر ، وهو غير قابل للنقاش الا في اطار الردة والاستسلام لبورجوازية ( حتى وان كان لاكثر اتسامها راديكالية ) .

وليس هنا مجال سرد تفاصيل أو تسجيل ادانة لحل الحزب ، إنما ما يهم هنا هو رد الفعل الخاص بداخلى ، والذي يتلخص فيما يلى :

( أ ) صدمة مروعة في عدد من الرفاق الذين ارتبطت بهم تاريخيا ولسنين طويلة وكانوا يتمتعون بمنزلة خاصة لدى . ويلاحظ هنا امران : بقية من حلفية من ناحية ، ومثالية بورجوازية من ناحية أخرى .

( ب ) اننى ، في رمضى لحل الحرب اتخذت موقفا مضللا مناورا تنعدم فيه المبدئية ، فقد صوت في الكونغرس ضد التقرير الايديولوجى والسياسى

الذى ينطوى على مبررات الحل ، بينما وافقت على قرار الحل . وبصراحة كان منطقي : أن التصويت بالموافقة على الحل هو أسرع وسيلة للاطاحة بالجنة المركزية للحزب .

ولتكشف المسألة في هذا الموقف اللامبدئي ، فأننى أقر بأنه تم بالاتفاق مع آخرين في التكونسرنس ، وبالنظر الى نتيجة التصويت ، فإن النتيجة كانت ستختلف لو أننا صوتنا جميعا بمبدئية أى ضد الحل ، أى أنه ما كان مشروع القرار بالحل حصل على الاغلبية ولا يمكن هزيمة الانتهازية المستسلمة بطريقة مشروعة .

وكان من نتيجة ذلك :

أولا : التردى في اسلوب المناورة ( وظهر بعد ذلك في مسائل بالغة للخطر في حركة النضال ) وهذا يعكس حقيقة تسلط تلك « الذاتية المتفردة » .

ثانيا : أنه كان من نتائج الصخبة في هؤلاء الرفاق ، تم من نتائج الحل والتحول من الاحتراف الى الوظيفة الحكومية ، اننى - في الحقيقة - انغمست لفترة طويلة ( بالإضافة الى ممارسة المغامرة في العلاقات النضالية ) في العمل بهدف أن يكون لى مكان « تحت شمس » المراكز الوظيفية البورجوازية : فصرع من اجل وظيفة اعلى ، واتمام للدراسة الجامعية من وجهة النظر هذه ، وهكذا ....

ان « بريق » ، الاستقرار البورجوازي كان يتغلغل محلا صفة المناضل في داخلى .

« ان حل الحزب ، واسلوب مواجهتى له - كلا الامرين ، كانا بداية المنزلق » .

ان المواجهة النضالية تعنى التمسك بالابدأ عند التصويت ، والتمسك بالابدأ في التعامل مع الرفاق ، والتوقع الحذر لضربات العدو الطبقي سواء من الخارج أو من الداخل ، وملاقاة تلك الضربات بالتعاون الرفاقى ، وبالأروح الجماعية المبدئية ، وبتطويع حركة النضال وفقسا للظروف .

ان تغير الظروف الذى أدى الى التحول من الاحتراف الثورى الى الحياة العادية للمواطن في المجتمع البورجوازي لم استقبله بها يجب من



نضالية ، فالعيب ليس في الحياة العادية - بل قد تكون مطلوبة منذ الافراج وقبل الحل ، ولكن العيب في هذا الطموح . ان حل الحزب واسلوب مواجهتي له كان بداية نطل مريز هو مقدمة طبيعية لانتهيار في لحظة ما غير متوقعة في توقيتها ، ولكن كان لابد أن تحدث طالما أن « الفردية » حالت دون ان تطرح هذه العيوب الخطيرة التي خلخلت تكويني النضالي - أقول حالت ان تشرح لتكون تحت رقابة ومعاونة الرماق .



غنى عن البيان ان اسطورية البطولات النضالية تنبع من ذلك الايمان العلمى الخلاق بحتمية انتصار الشعب والطبقة العاملة في طبيعته ، ذلك الايمان الذى يترجم عمليا في سعى دائم لوحدة العمل الجماعي للمناضلين ، وفي نضال لا يكل من أجل الارتباط بالجمهير وبحركتها ، وفي الوعي بأن كل ذلك سيتم عبر منحنيات مد وجزر كثيرة ، وعبر تضحيات جسيمة . ان هذا يعنى أولا وأخيرا أن قضية النضال لا ترتبط - سواء طال المدى أو قصر - بفرد أو بظروف ذاتية لأي فرد أو مجموعة من الأفراد ، فالأفراد وظروفهم الذاتية قد يؤثرون لبعض الوقت ولكن على المدى التاريخي ، بل والتاريخي القريب ، هم عنصر ظاري ولا شك ، ومن ثم فإن المقياس الحقيقي لصلابة المناضل وجديته هو في مدى مبدئيته في علاقته الحزبية والرقابية ، وفي مدى مراعاته لأن تجاوز ظرف ما إنما يبدأ وينتهي بفكر وعمل جماعيين ، أما أن يقع المناضل أسيرا لفرديته ففي هذا دماره .

ان مختلف اساليب الضغط أو التعذيب أو الخداع أو التخدير بالعقاقير المستحدثة ، ثبت علميا وعمليا أنها عاجزة في نهاية الامر امام ارادة الانسان المناضل الذى انتصر على ذاتيته الانانية ونخلص من ادراة فكر وأخلاقيات الجورجوازية الصغيرة الانتهازى ، ومن ثم ربط حياته كلية بقضية وطنه وشعبه بنقطة لا تقزعزع وبموضوعية مستقلة عن ذاتينه ، واضأ صهر ذاته في هذه المصالح العليا لوطنه وشعبه والحزب الذى يمثل هذه المصالح .

وما دام الأمر كذلك فأننى اعتقد - الآن - بأنه لا أهمية تذكر للاخلاف حول وقائع معينة خاصة بالتحقيق هي في نهاية الامر ثانوية أمام مضمون الموقف برمته فضلا عن أن الاثبات فيها غير متيسر ، وبالتالي فأننى مقتنع تماما باستبعادها كعنصر مخفف . بل اننى استبعد ايضاً موقفى في المحكمة ، وفي السجن ، ورفض مساومة السلطة لى قبل قرار المحكمة . . . اننى استبعد كل ذلك من عناصر التخفيف لأننى اعتقد منذ زمن - ولا زلت - بأن الشيوعى الحق يأخذ دائما بالمبادأة فيضع جلاليه موضع الاتهام منذ اللحظة الأولى لأنه - ببساطة - يناضل لتحرير وحرية ورخاء شعبه ، أما أن يتماسك بعد أن يكون قد استسلم في مرحلة أولى أو ثانية من مواجهته

مع العدو ورضخ لها املى عليه فاقوع بآخرين اجدر منه ، وأصاب حركة  
النضال بضربة موجعة في فترة. حرجة من نموها فان هذا لانهايار وسقوط  
مروعين لا يخفف منهما شيء .

ان حقوقيا بورجوازيا قال ذات المعنى . فحينما طلبت من احد  
المحاميين ضرورة فضح مساومة السلطة لى اثناء المحاكمة وفي الجلسة  
العننية ، رد على قائلها : « طبعنا » هذا مهم لمحاولة تبرئة الآخرين ،  
لكن يجب ان تعلم ان « الجدةنة » في التحقيق من الاول .

كان معه كل الحق - وهو البورجوازي - مما يدلنا على مدى الجرم  
والمهانة معا وما يستحقتهما من عقاب .

ولذلك فاني مقتنع - ايضا - بصواب تفحيتي بعيدا عن خطوط  
الكفاح برغم ما في ذلك من مرارة ، ولكن لابد من توضيح اننى اتفهم واقدر  
ان الاشد مرارة على نفسى - وعلى الجميع ايضا - ذلك التناقض الفاضح  
والمشين بين كونى ماركسيا ، واصرارى على ذلك في التحقيق ، وبين  
ما احتوته اقوالى وكتاباتى - والتي قراتها مؤخرا - من خذى يبرا  
منه. هذا الفكر العظيم الذى يقود البشرية جمعاء في نضالها المظفر ضد  
قوى الحرب والاستغلال والذى قدم في مسيرة هذا النضال اروع امثلة  
للبطولة على مر التاريخ الانساني .

ان اطلعنى على التحقيق جعلنى اعذر من اتهمونى ، غير ان كل هذا  
يعنى بالتحديد بأن ازالة المراءة في يدى بالدرجة الاولى .

\*\*\*

والعنصر الثانى في قيمة المناضل هو أن يكون أميناً مع نفسه وامسام  
الجميع ولذلك فاني اذا كنت انتقدت العنصر الاول في لحظة يأس مشثومة  
منذ سنين ، انهارت فيها ارادتى النضالية المعروفة من قبل ككادر صلب  
وقيادى ، فاني لا أريد - وكجزء من جمع الثقات - ان انتقد العنصر  
الانسانى .

ولذلك فاني ابدا شهادتى بهذا النقد الذاتى ، لا بمفهوم المظهر  
الكاثوليكي وانما :

ليكون جزءا بسيطا من الخبرة التي يهدف لها الكاتب بمؤلفه  
الوثنيك . نعم خبرة من سقطه كادر مناظر ، أسبابها ودوافعها حتى يكون  
لكل مناظر أن يتداركها إذا طرأت في طريقه .

وعلى ذلك فأننى أمل أن يتطلى القارئ بقدر من رحابة الصدر والفكر  
فينظر بموضوعية الى شهادتي ، ويبتعد عن قراءتها متأثرا في خفيته  
بشخص الشاهد ، فأننى أعلم - وبصدق - أمانة ومسئولية الشهادة  
التي أدليت بها للمؤلف .

## المراجع

احمد حمروش ، ١٩٧٥ - ١٩٧٧ : « قصة ثورة ٢٣ يوليو » الجزء الأول  
( الطبعة النانية ) الجزء الثانى والثالث  
( الطبعة الاولى ) . المؤسسة العربية  
للدراسات والنشر . بيروت - لبنان .

الياس مرقص ، ١٩٦٤ : « الاحزاب الشيوعية فى الوطن  
العربى » ( الطبعة الاولى ) - القسم  
الثانى ، ملاحق . بيروت - لبنان .

طاهر عبد الحكيم ، ١٩٧٤ : « الاقدام العارية . الشبيوعيون  
المصريون : ٥ سنوات فى السجون  
ومعسكرات التعذيب » . دار  
ابن خلدون . بيروت - لبنان .

عبد اللطيف بغدادى ، ١٩٧٧ : « مذكرات عبد اللطيف بغدادى »  
الجزء الاول والثانى - المكتب المصرى  
الحديث . ج ٢٠٠ ع .

فتحى عبد الفتاح ، ١٩٧٥ : « شيوعيون وناصريون » . مؤسسة  
روز اليوسف . القاهرة . ج ٢٠٠ ع .

محمد فوزى ، ١٩٨٣ : « حرب الثلاث سنوات -  
١٩٦٧/١٩٧٠ . مذكرات الفريق اول  
محمد فوزى وزير الحربية الاسبق » .  
دار المستقبل العربى . القاهرة .  
ج ٢٠٠ ع .

مجلة الطليعة ، ١٩٧٥ : عدد نوفمبر .

محضر تحقيق النيابة ، فى واقعة مقتل الشهيد محمد محمود  
عثمان ( السبعينيات ) .



## الجزء الثاني من

« الشيوعيون وعبد الناصر — التحالف والمواجهة . ١٩٥٨ — ١٩٦٥ » .  
د. فخرى لبيب

تحت الطبع ومن ضمن محتوياته :

- \* المرحلة الثانية من النصفية : الانهك النفسى والبدنى تحقيقا للقتل الجماعى .
- كيف طبقت الخطة فى معتقل اوردى ابو زعبل ؟ وكيف تمت مواجهتها وهزيمتها ؟
- دراسة نقدية للاوضاع الحزبية فى المواجهة . ابو زعبل معتقل البطولات الفردية .
- الشهداء : على متولى الديب ، محمد رشدى خليل ، فريد حداد ، شهدى عطية .
- كيف طبقت الخطة فى منفى المحاريق بالواحات ؟ وكيف تمت مواجهتها وهزيمتها ؟
- مقارنة بين الظروف الموضوعية والذاتية لاوردى ابو زعبل ومنفى المحاريق .
- الشهداء : على زهران — حسب الله مرسى — سيد امين — احمد البكار — شعبان حافظ .
- \* المرحلة الثالثة من النصفية : غسيل المخ — الاستنكار ومحرقة الضمير .
- منفى المحاريق بؤرة لجميع لكل الشيوعيين : مصريين وفلسطينيين ، بهدف التآكل من الداخل .
- خطة المواجهة ومعركة الاضراب عن الطعام .

— العودة الى معتقل العزب — فيوم. واستشهاد عبد القادر مفتاح .  
— لراحات تقاوم : الصخر ينبت الزهر ، وحماية عتول المعتقلين من  
التفريغ .

— محاولات الهرب من منفى المحاريق .

\* الافراج وهزيمة خطة التصفية بالقبر والتعذيب .

— استشهاد لويس اسحق .

— ما بعد الافراج : الوضع السياسى ، الوضع الحزبى والوضع  
المعيشى .

— كيف انتصر الشيوعيون فى مواجهة العوامل الخارجية ، وهزموا فى  
مواجهة العوامل الذاتية والداخلية ؟

— خطة التصفية تنجح . بيد من ؟

— حل الحزب الشيوعى المصرى والحزب الشيوعى المصرى « جدتو » ،  
كيف ؟ ولماذا ؟ .

— المقدمات والنتائج بالوثائق .

— احرص على حجز نسختك من الان .

الموضوع	رقم الصفحة
* اهداء	٣
* مقدمة	٥
* الباب الاول - ١٩٥٨ عام الثمة والازمة	١٩
* الفصل الاول - عام ١٩٥٨ محصلة اعوام سابقة	٢١
- الضباط الاحرار - حزب سياسى	٢٢
- خصوصية الحزب العسكرى	٢٣
- الطبيعة الطبقية التى يمثلها الحزب العسكرى	٢٦
- كيف تعامل الحزب العسكرى مع الظروف الداخلية والعالمية	٣٢
* الفصل الثانى - على مشارف عام ١٩٥٨	٤٣
* الفصل الثالث - كيف تطورت الامور عام ١٩٥٨ ؟	٥١
- قضية الوحدة العربية	٥٢
- قضية الوحدة الداخلية	٦٠
* الفصل الرابع - الصراع داخل الحزب الشيوعى	٦٥
- الخلاف حول قضية الوحدة والطبيعة الطبقية للسلطة	٦٥
x البورجوازية الوطنية التقليدية	٦٥
x البورجوازية الوطنية المحكوم عليها بالوطنية	٦٨
x بورجوازية وطنية ذات قيادة ثورية	٧٦
- ازمة سياسية ومعالجة تنظيمية	٨٨
- فاعلية الفكر الايقسامى	٨٩
x ماركسون ومتركسون	٩٠
x لا شيوعية خارج الحزب	٩٠

الموضوع	رقم الصفحة
x التنظيم الأم والتيار التاريخي	٩١
x نظرة التمايز	٩٢
x نظرة أن يوجد الحزب أو لا يوجد	٩٣
x نظرة ضرب اليمين باليمين لحساب اليسار	٩٧
— موقف الفكر التوحيدي	١٠٣
* ثورة العراق وحملة العداء للشيوعية	١٠٧
— الحزب العسكري يعلن انتهاء المعركة مع الاستعمار وبدايتها مع اليسار	١٠٨
* الباب الثاني — ١٩٥٩ — الحملة	١١٧
* الفصل الأول — الأول من يناير	١١٩
— رد الفعل الحزبي في الخارج	١٢١
— بيان ٩ يناير	١٢٢
ردود الفعل داخل المعتقل	١٢٣
— ٢٨ مارس	١٢٧
— استشهاد الرقيق محمد محمود عثمان	١٣٥
— لماذا نجحت الحملة ؟	١٤٥
— خطبة مايو	١٤٩
— العنف حتى القتل	١٥٢
* الفصل الثاني — معتقل قنسا	١٥٥
— الحملة	١٥٧
— الترحيلة	١٥٨
— المعتقل	١٦٠
— شيوعيون في المعتقل	١٦٣



الموضوع	رقم الصفحة
— المعركة	١٦٦
— في قلعة الامام	١٧٠
— الترحيل الى الواحات	١٧٢
* الفصل الثالث — معتقل القلعة	١٧٣
— القلعة	١٧٤
— حملة بنـاير	١٧٥
— حملة مارس	١٧٧
— سبتمبر ١٩٥٩	١٩٢
* الفصل الرابع — السجن الحربى	١٩٥
— القبض والترحيل	١٩٧
— السجن الحربى	١٩٨
— تحقيقات المخابرات	٢٠٧
— استـشهاد مناضل : مصطفى شوقى البهنساوى	٢١٣
— الهزيمة	٢١٥
* الفصل الخامس — معتقل العزب — فيوم	٢١٩
— الترحيلة	٢٢٠
— الاستقبال	٢٢٢
— المعتقل والادارة	٢٢٥
— المعتقلون	٢٣٥
— المرحلة الاولى من خطة التصفية	٢٤٠
— التفرد — الانهيار — التسليم	٢٤٠
— الخطبة المضادة	٢٤٧
— التوحيد والتجميع	٢٤٩

الموضوع	رقم الصفحة
— الصهيون والتحدى	٢٥٣
— المقاومة والمواجهة	٢٦٢
— المعركة الفاصلة	٢٧٤
* الفصل السادس — المحاكمة	٢٩٩
— التحقيق	٣٠٠
— الاعداد للقضية	٣٠٢
— المحاكمة	٣٠٨
— شهود الاثبات	٣١٠
— شهود النفي	٣١٢
— المتهمون ودفاعاتهم السياسية	٣١٣
— مراغمة النيابة	٣٢٤
— المصامون	٣٢٦
— تقييم المحاكمة	٣٣١
— نهاية مرحلة وبداية مرحلة أخرى	٣٣٧
* الباب الثالث — رجال ونساء في سجن القناطر	٣٤١
* ( أ ) سجن القناطر رجال	٣٤٣
* الفصل الأول — البداية	٣٤٥
* الفصل الثاني — الحملة واعداد القضايا	٣٥٣
* الفصل الثالث — سجن القناطر	٣٦٨
— العمل الحزبي	٣٧٢
— الحياة العامة	٣٨٠
— المجلة	٣٨٢

الموضوع	رقم الصفحة
— الأعمال الفنية	٣٨٣
— الأعمال التثقيفية	٣٨٧
* الفصل الرابع — الاضراب عن الطعام	٣٨٩
* الفصل الخامس — قضايا ومحاكمات	٣٩٧
— قضية نسيم يوبسف وآخرين	٣٩٨
— قضية عبد المحسن شاشه وآخرين	٤٠٣
— قضية فؤاد مصطفى وآخرين	٤٠٥
— قضية سامى عجيب وآخرين	٤٠٧
— قضية أبو سيف يوسف وآخرين	٤٠٨
— قضية ناروق ثابت وآخرين	٤١٦
— قضية شهدى عطية وآخرين	٤١٧
— قضية للطلبة الشيوعية ووحدة الشيوعيين	٤٢٨
— مغزى المحاكمات والموقف منها	٤٣٢
* ب — سجن القناطر نساء	٤٣٧
* الفصل الأول — الحميلة	٤٣٩
— الفلاحة الهاربة	٤٤٩
— فلسطينية فى المنفى	٤٥٢
* الفصل الثانى — الحياة فى السجن	٤٥٥
— مواجهة ظروف الاعتقال واوضاعه	٤٥٨
— حديث الرئيس ومعركة السحل	٤٦٠
— الامان	٤٦٥
— مواجهة الظروف الحياتية	٤٦٩
— الجوانب الثقافية	٤٧٤

الموضوع	رقم الصفحة
— الجوانب الترفيحية	٤٧٩
* الفصل الثالث — أطفال السجون	٤٨٣
* الفصل الرابع — معتقل النساء بالقصر العيني	٤٩٥
* الفصل الخامس — الاضراب عن الطعام	٤٩٩
* الفصل السادس — قضايا ومحاكمات	٥٠٩
— التحقيق والنيابة	٥٠٩
— القضايا والمحاكمات	٥١٦
— انجى افلاطون وآخرون	٥١٦
— ثريا ادهم وآخرون	٥١٨
— الدفاع السياسى لثريا ادهم	٥١٩
* الفصل السابع — الافراج	٥٢٥
* ملحق	
— ملحق رقم ١ — حول الاتحاد القومى ، رد على انور السادات	٥٣٥
— ملحق رقم ٢ — قرار الاتهام فى قضية مقتل غرج الله الحلو	٥٥١
— ملحق رقم ٣ — نقد ذاتى	٥٧٥
* مراجع	٥٨٣
* الفهرس	٥٨٥



---

رقم الايداع ١٩٩٠/٤٥٢٠

977 -- 00 - 0239 - 9 - I. S. B. N

---

شركة الأمل للطباعة والنشر

( اخوان مورافيتلى )

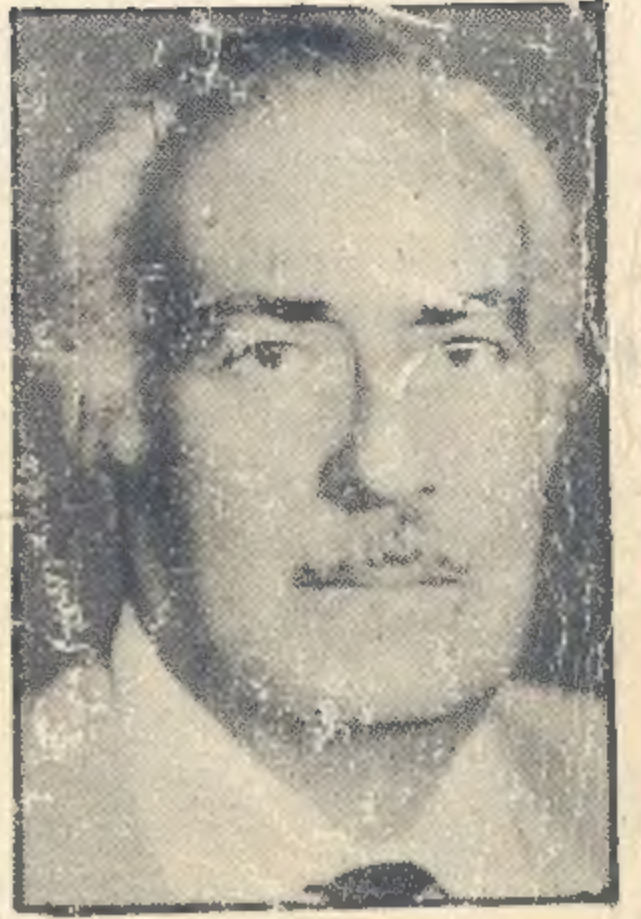
١٩ ش محمد رياض — ارض شريف — عابدين

ت ٣٩٠٤٠٩٦





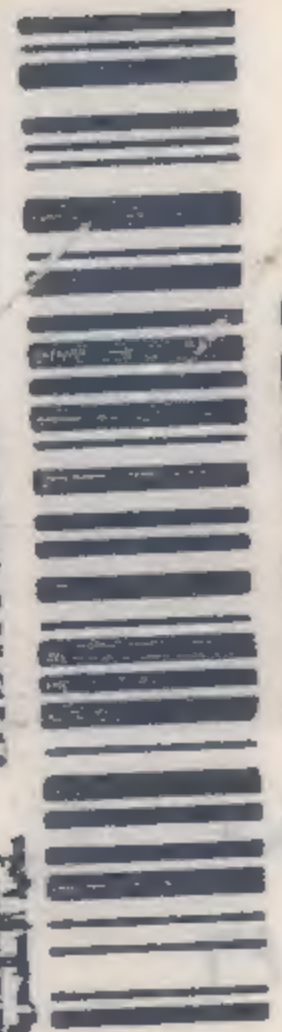
## هذا الكتاب



هذا الكتاب لم يصدر تصفية لحسابات أو إثارة لحزازات ، لقد صدر لأنه ضرورة ، بعضا من ذاكرة التاريخ في مصر . إنه شهادات عن فترة تاريخية فاصلة حفلت بالأحداث والرؤى السياسية والمواقف والمتاليات ، وما تركته من آثار على مجرى الثورة الوطنية الديمقراطية . إن تجارب الشعوب هي أثمن ما تمتلك من ثروة . إنها ذخيرة الأجيال التالية تتلمس من خلالها الخطأ والصواب لتقوم بدورها التزاما بوطنها . فالماضي والحاضر والمستقبل كل متصل . ونحن الذين سبقنا لا نملك غير أمانة الشهادة ميراثا نسلمه لمن يعدنا ، واجبا علينا وحقا لهم . وكما اخترنا طريقنا فلكل جيل أن يختار . فالإنسان ارادة واعية تختار فتلتزم فتتحمل المسؤولية . وهذا الكتاب دعوة ونداء إلى كل الأبناء .

د. مظهرى لبيب

Bibliotheca Alexandrina



0571276

شركة الأمل

للطباعة والنشر والتوزيع

١٩ شارع محمد رياض - أهراس

عابدين القاهرة - تليفون : ١٦

تصميم الغلاف : داود حريير